٧

٤٦
٣٩٧٩

٣١٥

شرح قصیدهٔ برده توسل

T. C.
MİLLÎ EĞİTİM BAKANLIĞI
RAGIP PAŞA KİTAPLIĞI
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 982

حسبي الله وكفى
من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور براغب
١١٧٥ وقفه عبده

١١٤٤

RAĞIP P.
Ka. N.
1132

١١٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي ارسل محمدا رحمة للعالمين ● وجعل شرعه القويم شرعة للعالمين ● خصه بالخلق العظيم والصراط المستقيم
وحباه بالفضل العميم والهدي القويم ● بعثه على فترة من الرسل وارسله باقوم السبيل ● وقرن رسالته بالآيات البينات
والمعجزات الظاهرات ● الشاهدة برسالته العامة لسائر الانام ● الباقية الشرايع والاحكام الى يوم القيام صلى الله عليه
وعلى آله الكرام ● واصحابه الفخام وبعد فلما وجب على كل فرد من افراد امته ● القيام بشكر نعمته ● والاعتراف بعرف
منته ● شكرا على نعم تتابعت تترا ● ومنن زاد كل منها على الاخرى ● دنيا واخرى ● ولما لم يمكن قيام كل ببعض شكرها
ولا قدرة للجميع على احصايها وحصرها ● بادر كل الى ما ندب اليه ● وقام ببعض ما يجب عليه ● فبعضهم مدحه
بحسب استعداده في قدرته ● وبعضهم ذكر شيئا من شمايله وصفته ● وبعضهم طلب من الله ان يصلي ويسلم عليه ●
وبعضهم وجه وجهة اماليه اليه ● وان من جملة مدايحه القصيدة الفريدة ● والدرة اليتيمة ● والجوهرة النضيدة
وهي القصيدة الابوصيرية ● المشهورة بالبردة المشهورة في ساير الاقطار ● اشتهار الشمس في رابعة النهار ● حتى تابر
على قراءتها غالب الانام ● واتخذوها وردا متلوا في اشرف الايام ● بحيث لا يخلو منها بلدة من البلدان ● بل تتلى
في كل زمان ومكان ● لما يعرفه الناس من بركاتها العامة ● وشاهدوه من خيراتها التامة ● وكانت تقرى في الحجرة
الشريفة ● والبقعة المقدسة المنيفة ● على سبيل الاجتماع في كل جمعة مرتين ● من المغرب الى العشاء ليلة الجمعة وليلة الاثنين
بالاصوات الحسنة ● والنغمات المستحسنة ● ويجتمع لاستماعها الانام ● من الخواص والعوام ● وكان يقع من الافاضل
بعض المباحثة بعد ذلك ● ويكثر السؤال من العوام عما نظمه الناظم في تلك المسالك ● فطلب جماعة من الاخوان ● وفرقة
من الرفقة والخلان ● ان اشرحها شرحا اسلك فيها طريق الايضاح ● واتجافى فيه عن مضاجع الايجاز كما فعله كثير
من الشراح ● وان اتكلم على ما يتعلق بها من المعاني في ذلك المقام ● دروسا ينتفع منها الخواص ويفيد منها العوام ●
فبادرت الى خدمة الرسول المعظم ● صلى الله عليه وسلم ● وشرحتها شرحا على وفق المرام ● مستمدا فيه من بركاته عليه الصلاة
والسلام ● مع اعترافي بقصر الباع وقصور الفهم الكليل ● ومع خلو دارنا من الشروح الا القدر القليل ● فاصلح
التكلم عليها بعض الليالي عقب الكلام على درسنا في التفسير ● في الحجرة الشريفة وذلك المقام المنير ● والله تعالى
يمن بالقبول ● انه خير مأمول وانا اروي هذه القصيدة عن ناظمها من طرق عديدة منها بل اجلها عن شيخنا شيخ الاسلام
البدر الغزي عالم دمشق الشام ● عن شيخ الاسلام ابي زكريا يحيى الانصاري عن العز ابي محمد بن الفرات عن العز بن البدر بن ●

جاء عن ناظمها هطلت عليه سحايب الرضوان ● واستهلت عليه مزن الغفران ● استهل المادح رحمه الله تعالى بعد البسملة خطا
والحمدلة والصلاة لفظا ● اهلة مدايحه في مطالع الكمال ● وحسن الابتداء في براعة قصيدة مقاصده المشرقة
بلوامع الافضال ● فاشرقت انوار بدورها الكاملة من منازل المنازل ● واشرقت شموس مطالعها الطالعة في آفاق الفضايل
حيث سبكت تبر معانيها العذبة المساغة ● مفرغة في قوالب لجين الفاظها السهلة المصاغة ● رقيقة المبنى رشيقة المعنى
سالمة عن الحشو والتعقيد ● متناسبة القسمين تناسب العقد النضيد ● دالة على ما بنيت له باكمل اشارة ● منبهة على غرض
الناظم باجمل عبارة ● بالفاظ اعرب في تشبيبها واغرب ● ومعان كادت من لطف نسيبها ان تشرب ● تعذب بحلاوتها
في الذوق السليم ● ويستدل بها على انه صدر مديح نبوي صدرت من حفيظ عليم ● فقد استكملت الشروط وجاءت
على النمط المقرر المضبوط ● فانهم شرطوا في براعة المطلع سهولة اللفظ ● ووضوح المعنى ● وصحة السبك ● ورقة
التشبيب ● والسلامة من الالفاظ القلقة الغليظة الموهمة خلاف المراد ● وما يفهم منه التبكيت على المخاطب والممدوح
وما يتطير منه ● وما يكره ذكره ● كما وقع ذلك لكثير من حذاق الشعراء حيث استولت عليهم الغفلة واشتملت عليهم
يد الذهول ● فخاطبوا ممدوحهم بما كان سببا لابعادهم ● عن ساحة مرامهم ● كما وقع لجرير مع عبد الملك ● ولابي
النجم مع ولده هشام ● ولاسحق بن ابرهيم الموصلي مع شدة يقظته وحذقه لما فرغ المعتصم من بناء قصره بالميدان
وعابوا على المتنبي بعض مخاطباته في براعاته ● وذلك لان الابتداء اول شيء يقرع الاسماع ● ويدخل القلوب ويعلق
الطباع ● فان حسن مهيعه ● ولطف موقعه ● التفتت النفس بكليتها اليه ● واقبلت بشراشرها عليه ● والا نفرت عنه
وبعدت منه ● وشرطوا فيها اجتناب الحشو وان لا يكون للبيت تعلق بما بعده ● وان يجتهد الناظم في تناسب قسميه
بحيث لا يكون الشطر الاول اجنبيا من الثاني ● فاذا ضم الشاعر مع هذه الشروط المشروطة في حسن الابتدا براعة
الاستهلال ● وهي ان ياتي الشاعر في اول شعره او الناثر في اول نثره بما يدل على المقصود من مدح ● او هجو او عتب
او عذر ● او تنصل ● او تهنية وجمع بين حسن الابتداء وبراعة الاستهلال كان ذلك دالا على بلاغة مقامه ومقاله
وسمي هذا النوع براعة الاستهلال لانه يفهم غرض المتكلم من كلامه عند رفع صوته به من استهل المولود
صارخا اذا رفع صوته عند الولادة واهل الحجيج اذا رفعوا اصواتهم عند التلبية وسمي الهلال هلالا لان الناس
يرفعون اصواتهم عند رؤيته ثم جرت عادة الشعراء ان يشببوا في براعة المطلع بشيء من لوازم العشق والغرام
والتيتم والهيام ● ومقاساة الكلف والاشجان ● ومعاناة السهر والاحزان ● وافاضة الدموع ● وعدم الهجوع
بحسب ما يعتني به الشاعر منه ويعانيه ● ويبتلى به ويقاسيه ● ثم يتخلص من ذلك الى مدح ممدوحه المقصود
بالذات ● بذكر ما له من المدايح والصفات ● فاذا تقرر ذلك ● واتضح ما هنالك فينبغي لكل شاعر ان يختار
في نسيبه ما يناسب غرض ممدوحه ● ويتحرى في مقاله ما يوافق مقامه فالمتعين على الشاعر الشارع في المدايح
النبوية ان يحتشم فيما يصدر به مديحه ويتبادى ويشبب مطربا بذكر سلع وراما وذي سلم وكاظمة واضم
وسفح العقيق والعذيب وبارق والغوير ولعلع والناجر وحاجر ● وما كان من تلك الاماكن الشريفة ● والمنازل
المنيفة ● وما بها من الاشجار اليانعة الباسقة ● والازهار الفايحة العابقة ● وما يناسب ذلك من هبوب النسيم
العاطر ● وما جاورها مما يشرح النفوس ويروق الخاطر ● وليجتنب كل الاجتناب ما يكون اجنبيا عن ذلك

كذكر محاسن المرد والتغزل في ثقل الردف • ورقة الخصر • وحمرة الخد • وبياض الساق • وخضرة العذار • وسواد
العيون • وما اشبه ذلك فان ذلك لشدة المباينة بينه وبين المديح النبوي • لا يدرك ولا يدري منه كونه صدر المديح
نبوي • وقل من سلك ذلك من اهل الادب والناظم سقى الله من ماء الرحمة عظامه • واعلاه في اوج المعالي مقاله ومقامه
• قد سلك في هذا المنهج الطريق الاقوم • والاسلوب الافهم • فتأدب بحسن تخلصه في مطلعه بطريقة اهل الادب الكاملة
واتى بالشروط التي هي لمحاسن الشيم شاملة • جريا على طريقتهم المألوفة • ومشيا على عادتهم المعروفة • وكان
مطلع قصيدته الهمزية البيت الرائي في مراقي الكمال • لجمعه تلك الصفات الكاملة التي نعدها على طريق الاجمال • تفننا
في الطريقين • وتنشيطا للفريقين • وكل منهما محمود في بابه • مقبول عند اصحابه • والى هذين الطريقين اشار
القايل في قوله • ان كان مدحا فالنسيب المقدم • ولعل مقصودهم بهذه الطريقة • سلوك المجاز الى الحقيقة • وانهم
وان ترامت بهم الاهوا في كل ناد • واختلفت عليهم الاراء فصاروا هايمين في كل واد • فغاية مرامهم الوصول
الى ذلك المراد • وان شببوا بذكر المنازل فكناية عن زينب وسلمى وسعاد • وصاحب الديار مضى بقلبي •
ولكن حب من سكن الديارا • وايضا ان من اراد الوصول الى عظيم مثله فانما يتوسل اليه ببعض احبابه واتباعه •
ويتوصل قبل الهجوم عليه بالحلول في محاله ورحابه • ولذلك كان طريق القوم في منازلاتهم • الانتقال من رتبة
الى رتبة بحسب حالاتهم • اذ ربما حصل منهم خلل في تلك الحالات • او قصور في سلوك تلك الدرجات • فيتدارك العاقل
حاله بالاداب • قبل ان يسدل عليه الحجاب • فلا يصل الى تلك الحضرات • الا وقد اتصف بتلك الثمرات • وقد جرت عادة
الشعراء انهم يجردون من انفسهم مخاطبا يوجهون اليه الخطاب • في محاوراتهم ومحاضراتهم من سؤال وجواب
اعلاما بعدم خليل يظهرون سر الحب عليه • واشارة لقلة صديق يبرزون شكوى الود لديه • حفظا لتلك الاسرار
عن ان تظهر • وصونا لذلك المخفي عن الاشتهار • مع انهم لا بد لهم عن الكتمان • ولا غنى لهم عن شكوى الجوى والاشجان
• ولا بد لهم من جملة في وصاله • فمن لي بخل اودع السر عنده • فلما اعياهم وجود ذلك الخليل جردوا من انفسهم
مخاطبا على سبيل التخييل والتمثيل • والتجريد هو ان ينتزع من امر ذي صفة امرا اخر مثله فيها مبالغة لكمالها وهو جار
على السنة العرب كثيرا يقولون في العسكر الف رجل اذا كانوا الفا في انفسهم وفي الكتاب عشرة ابواب اذا كان عشرة
وهو اقسام منها مخاطبة الانسان نفسه بان ينتزع من نفسه شخصا اخر مثله في الصفة التي سيق لها الكلام ثم يخاطبه
كقول المتنبي لا خيل عندك تهديها ولا مال • فليسعد النطق ان لم يسعد الحال • كانه انتزع من نفسه شخصا اخر مثله
في فقد الخيل والمال وخاطبه بذلك فقال الامام الناظم مخاطبا على سبيل التجريد

امن تذكر جيران بذي سلم • مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

الهمزة للاستفهام التقريري ومعناه حملك المخاطب على الاقرار والاعتراف بامر قد استقر عنده ثبوته او نفيه والجاؤه
اليه ويجب ان يليها الشيء الذي تقرر به كما يجب ذلك في المستفهم عنه بها كالفعل في اضرب زيدا والفاعل في انت
ضربت والمفعول ازيدا ضربت وكذا سائر المتعلقات نحو افي الدار صليت وايوم الجمعة صمت ولاصالة الهمزة في الاستفهام
خصت بذلك دون غيرها من ادوات الاستفهام والمسؤول عنه هنا هو علة المزج المحقق اهو التذكر ام ما عطف عليه
والاستفهام هو طلب حصول صورة في الذهن فان كانت تلك الصورة وقوع نسبة بين الشيئين او لا وقوعها فحصولها

هو

هو التصديق والا فهو التصور ولما كانت الهمزة اصل ادوات الاستفهام خصت باحكام منها التصدير حتى على العاطف ومنها
جواز حذفها متقدمة على ام وبدونها ومنها انها تدخل على الاثبات وعلى النفي ومنها السؤال عن الفعل والفاعل
والمتعلقات كما تقدم ومنها انها ترد لطلب التصور ولطلب التصديق واما هل فمختصة بطلب التصديق وبقية ادوات
الاستفهام بطلب التصور فقط فيطلب بما شرح الاسم كقولنا ما العنقا او ماهية المسمى كقولنا ما الحركة وعن العارض
المشخص لذي العلم كقولنا من في الدار وباي ما يميز احد المتشاركين في امر يعمهما نحو اي الفريقين خير مقاما
ويستفهم بكم عن العدد وبكيف عن الحال وباين عن المكان ومتى عن الزمان وبايان عن المستقبل وبسط الكلام
على ذلك في علم المعاني اعلم ان هذه الادوات الاستفهامية كثيرا ما تستعمل في غير الاستفهام مجازا بحسب ما يناسب
المقام بمعونة القرائن قال في المطول وتحقيق كيفية هذا المجاز وبيان انه من اي نوع من انواعه مما لم يحم حوله
احد فمن ذلك المجاز مجيئها للتقرير كما هو في هذا البيت المنير وشرطه ان يلي الهمزة ما يحمل المخاطب على الاقرار به كما يجي
والانكار كذلك اي بان يلي المنكر الهمزة اذا كان الانكار بها واما غيرها من الادوات فان صح مجيئه للانكار لكن
فيه هذا التفصيل والانكار اما للتوضيح او للتكذيب ومن المجاز مجيئها للاستبطاء نحو كم دعوتك وللتعجب
نحو ما لي لا ارى الهدهد والتنبيه على الضلال نحو فاين تذهبون والوعيد كقولك لمن يسيء الادب الم اؤدب فلانا
اذا علم ذلك والتهكم نحو اصلواتك تأمرك ان نترك ما يعبد اباؤنا والتحقير نحو من هذا والتهويل كقراءة ابن عباس
من فرعون بلفظ الاستفهام والاستبعاد نحو انى لهم الذكرى قال في المطول والحاصل ان كلمة الاستفهام اذا
امتنع حملها على الحقيقة يتولد منه بمعونة القراين ما يناسب المقام ولا تنحصر المتولدات فيما ذكره المصنف ولا ينحصر
شيء منها ايضا في ادات دون اداة بل الحاكم في ذلك هو سلامة الذوق وتتبع التراكيب فلا ينبغي ان تقتصر
في ذلك على معنى سمعته او مثال وجدته من غير ان تتخطاه بل عليك بالتصرف واستعمال الروية والله الهادي
ومن للتعليل متعلقة بمزجت قدم عليها لا لافادة الحصر او للاهتمام وتذكر مصدر تذكر حذف فاعله وهو ضمير
المخاطب المذكر المجرد ويكون بالقلب واللسان والمشهور ان ذكر القلب بالضم وذكر اللسان بالكسر فرقا بينهما
وقيل هما لغتان ولا يلزم ان يكون بعد غفلة ونسيان وصيغة التفعل للمطاوعة كانه من نفسه مذكرا فيتذكر او للعمل
المكرر بمهلة مرة بعد اخرى كما هو في تجرع وهو الانسب هنا لان التذكر يحصل منه اناء بعد ان بحسب تلك
البواعث والبواردات ولذلك قلنا انه لا يلزم ان يكون بعد الغفلة والنسيان انشد الشبلي في مجلسه

ذكرتك لا اني نسيتك لمحة • وايسر ما في الذكر ذكر لساني
وكدت بلا وجد اموت من الهوى • وهام علي القلب بالخفقان
فلما اراني الوجد انك حاضري • شهدتك موجودا بكل مكان
فخاطبت موجودا بغير تكلم • ولاحظت معلوما بغير عيان
لا انني انساك اكثر ذكراك • ولكن بذاك يجري لساني

وقال ذو النون واضيف الى مفعوله وهو جيران جيران جمع جار وهو المجاور واصله جوران قلبت الواو ياء لسكونها
وانكسار ما قبلها ومنه سميت المرأة جارة لمجاورتها الزوج والجار المجاور الملاصق لدارك ومنه جاري بيت بيت

ويطلق على من في جدار بعين دار من دارك ومنه لا صلوة لجار المسجد الا في المسجد اي كاملة وجار المسجد من يسمع
نداء المؤذن من كل جانب ويجمع على اجوار وجيرة ايضا كما يجمع قاع على اقواع وقيعان وقيعة قيل ولا ثالث لهما اعلم
ان لفظ جيران هنا منصوب المحل على المفعولية مخفوض اللفظ على الاضافة وقد اختلفوا في العامل في المضاف اليه
هل هو الحرف المقدر او المضاف او الاضافة والاصح في ذلك هو المضاف قال الرضي فاذا ثبت ان العامل في الاسم ما يحصل
بواسطته في ذلك الاسم المعنى المقتضي للاعراب وذلك المعنى كون الاسم عمدة او فضلة او مضافا اليه العمدة او الفضلة
فاعلم ان بينهم خلافا في ان العامل في المضاف اليه هو اللام المقدرة او من او المضاف فمن قال ان الحرف المقدر نظر
الى ان معناه في الاصل هو الموقع للاضافة بين الفعل والمضاف اليه اذ اصل غلام زيد غلام لزيد فمعنى الاضافة
قائم بالمضاف اليه لاجل الحرف ولا ينكر ههنا عمل الحرف مقدرا وذلك لقوة الدلالة عليه بالمضاف الذي هو مختص
بالمضاف اليه ومبين به كما ان نصب ان المقدرة في نحو اخض الوغى ضعيف فاذا وقع موقعها فاء السببية او واو
الجمع كما يجيء في باب نواصب المضارع جاز نصبها مطردا وكذا الجر برب المقدرة بعد الواو والفاء وليس بل بضعيف
ومن قال ان عامل الجار المضاف هو الاولى قال ان حرف الجر شريعة منسوخة والمضاف يفيد معناه ولو كان مقدرا
لكان غلام زيد نكرة كغلام لزيد بمعنى كون الثاني مضافا اليه حاصل بواسطة الاول فهو الجار بنفسه واقول
ذكر النحاة ان تعريف الاضافة باعتبار العهد وانك لا تقول غلام زيد الا لغلام معهود بين المتكلم والمخاطب
باعتبار تلك النسبة لا لغلام من غلمانه فبذلك فرق بين المعرفة والنكرة لكن ذكر بعض المحققين من النحاة ان هذا
اصل وضع الاضافة لكنه قد يقال جاءني غلام زيد من غير اشارة الى معين كالمعرف باللام وهو على خلاف وضع
الاضافة لكنه كثير في الكلام وقال بعضهم العامل معنى الاضافة وليس بشيء لانه ان اراد كون الاسم مضافا اليه
فهذا هو المعنى المقتضي وان اراد بها النسبة التي بين المضاف والمضاف اليه فينبغي ان يكون العامل في الفاعل والمفعول
ايضا النسبة التي بينهما وبين الفعل كما قال خلف العامل في الفاعل هو الاسناد لا الفعل ثم قال في المجرورات
عند قول الماتن وهو ما اشتمل على علم المضاف اليه بعد ان عرف المضاف اليه بانه كل اسم نسب اليه شيء بواسطة حرف جر
لفظا او تقديرا وكلمه على ذلك قال واعلم ان المضاف اليه في الاضافة اللفظية خارج عن هذا الحد اذ ليس الوجه في قولنا
زيد حسن الوجه مضافا اليه حسن بتقدير حرف الجر بل هو وكذا في ضارب زيد لان ضارب وان كان مضافا
الى زيد لكنه بنفسه لا بحرف الجر كما كان مضافا اليه من حيث المعنى حين نصبه ايضا ولم يحتج في اضافته في حال
الاضافة ولا قبلها الى حرف جر بل قد يدعم اسم الفاعل بحرف جر في بعض المواضع وان كان من فعل متعد بنفسه نحو انا
ضارب لزيد لكونه اضعف عملا من الفعل مفيدا وفي العامل في المضاف اليه خلاف بينهم كما مر في اول الكتاب وفي العامل
في المضاف اليه اللفظي اشكال ان قلنا ان العامل الحرف المقدر اذ لا حرف فيه مقدر وكذا ان قلنا ان العامل معنى الاضافة
لانا لا نريد مطلق الاضافة اذ لو اردنا ذلك لوجب انجرار الفاعل والمفعول والحال وكل مفعول للفعل بل نريد الاضافة
التي تكون بسبب حرف الجر وكذا اذا قلنا ان العامل هو المضاف لان الاسم على ما قال ابو علي في هذا الباب لا يعمل الجر
الا لنيابته عن الحرف العامل فاذا لم يكن حرف فكيف ينوب الاسم عنه ويجوز ان يقال عمل الجر لمشابهته
للمضاف الحقيقي بتجرده عن التنوين او النون لاجل الاضافة قال الجار الله الاضافة مقتضية للجر والفاعلية للرفع

والمفعولية

والمفعولية للنصب وهي غير العوامل يعني ان العوامل ما به يتقوم هذه المعاني المقتضية كما تقدم في اول الكتاب
واغا نسب العامل العمل الى ما يتقوم به المقتضي لا الى المقتضي فقيل الرافع هو الفعل ولم يقل هو الفاعلية لكون
المقتضي امرا اجنبيا معنويا وما يتقوم به المقتضي امرا ظاهرا جليا في الاغلب انتهى ثم الاضافة على نوعين معنوية
ولفظية فالمعنوية ان يكون المضاف غير صفة مضافة الى معمولها وهي بمعنى اللام فيما عدا الجنس المضاف وظرفه
او بمعنى من في جنس المضاف او بمعنى في في ظرفه وهو قليل نحو غلام زيد وخاتم فضة وضرب اليوم ويفيد تعريفا
مع المعرفة وتخصيصها مع النكرة وشرطها تجريد المضاف من التعريف وما اجازه الكوفيون من الثلاثة الاثواب
وشبهه من العدد ضعيف وانكر بعضهم الاضافة بمعنى اللام ومشى عليه الرضي قال ولا يلزم فيما هو بمعنى اللام جواز
التصريح بها بل يكفي افادة الاختصاص الذي هو مدلول اللام فقولك طور سينا ويوم الاحد بمعنى اللام ولا يصح
اظهار اللام في مثله فالاولى اذن ان نقول نحو ضرب اليوم وقيل كربلاء بمعنى اللام كما قاله باقي النحاة ولا
نقول ان اضافة المظروف الى الظرف بمعنى في فان ادنى ملابسة والاختصاص تكفي في الاضافة بمعنى اللام كقول احد
حاملي الخشبة لصاحبه خذ طرفك ونحو كوكب الخرقاء سهيل التي يقال لها اضافة لادنى ملابسة فنقول كل ما لم يكن
فيه المضاف اليه من جنس المضاف من الاضافة المحضة فهي بمعنى اللام وكل اضافة كان المضاف فيها جنس المضاف
فهي بتقدير من ولا ثالث لهما انتهى والاضافة اللفظية ان تكون صفة مضافة الى معمولها مثل ضارب زيد
وحسن الوجه ولا تفيد الا تخفيفا في اللفظ والمختلف فيه هل هو لفظي او معنوي ثلثة اشياء اضافة ما
ظاهره انه موصوف مضاف الى الصفة او ما ظاهره انه صفة مضافة الى موصوفها او اضافة افعل التفضيل بمعنى من
فان قلت اضافة تذكر الى جيران من الاضافة المعنوية او اللفظية قلت من الاضافة المعنوية لانه مصدر واضافة
المصدر من الاضافة المعنوية بمعنى اللام هنا قال الرضي واعلم ان حال المصدر بخلاف الصفة فان اضافته
الى معموله محضة وذلك لنقصان مشابهته للفعل لفظا ومعنى اما لفظا فلعدم موازنته واما معنى فلانه لا يقع
موقع الفعل ولا يفيد فائدته الا مع ضم ضميمة وهي ان بخلاف الصفة فانها تؤدي مؤدى الفعل بلا ضميمة تقول
اعجبني ضرب زيد عمرا اي ان ضرب وتقول زيد ضارب عمرو اي يضرب عمرا فلقوة شبه الصفة لم يكن لها
بد من مرفوع اما ظاهر او مضمر بخلاف المصدر كقوله تعالى او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما فانه مجرد عن المرفوع
وكقولك اعجبني ضرب فانه مجرد عن المرفوع والمنصوب فلما كانت الصفة اقوى شبها بالفعل كانت اولى بان يعمل عمل الفعل
فكان تقدير الانفصال فيها اظهر فمن ثمة كانت اضافتها الى معمولها لفظية واضافة المصدر الى معموله محضة
فيتخصص المصدر او يتعرف بنسبته الى فاعله او مفعوله لاشتهاره به كاختصاص الغلام برجل وتعريفه بزيد
فان قلت فمقتضى ما ذكرت ان يكون عمل الصفة عمل الفعل اولى من عمل المصدر عمله والامر بالعكس وذلك
ان المصدر لا يحتاج في عمله الى شرط بخلاف الصفة فانها تحتاج الى الاعتماد واسم الفاعل واسم المفعول
محتاجان الى كونهما بمعنى المضارع مع الاعتماد كما يأتي في ابوابها قلت ان الامر كذلك الا ان المصدر
المتعدي طالب لما هو فاعل له ومفعول من الصفة لانه يطلبهما لكونهما من ضروريات عقله لا وضعا
فبعد حصولهما له تكيفيه لم يحصل فيهما او في مشابهته للفعل واسما الفاعل والمفعول يطلبانهما لتضمنهما معنى المصدر

الطالب لهما فبعد حصولها يحتاج الى مشابهته قوية مع الفعل وشرط حتى يجلاء عمل الفعل فالمحصول ان طلب الفعل المصدر للفاعل والمفعول قوي لكونه اصالة وعمله فيهما ضعيف لكونه لمشابهته ضعيفة مع الفعل لفظا ومعنى فلهذا كان المصدر المضاف الى احدهما اكثر استعمالا من المصدر للعمل فيهما وطلب الصفة للفاعل والمفعول ضعيف لكونه يتضمن المصدر وعملها فيهما قوي لكونها لمشابهته قوية مع الفعل لفظا ومعنى فلهذا اذا جرت في اللفظ فاعلها فلا بد من ضمير فيها قائم مقام الفاعل مرفوع وان لم يكن في الحقيقة فاعلا كقائم الغلام وحسن الوجه فاذا كانت اقوى في العمل من المصدر كان اضافتها بتقدير الانفصال اولى من اضافة المصدر لان الانفصال الاضافة مبني على العمل كما ذكرنا لا على طلب الفعل والمفعول انتهى والسلم بالفتح نوع من شجر القضاة وهو كل شجر عظيم له شوك واحده غضا وواحد السلم سلمه و ذي سلم المكان الذي فيه هذا الشجر قيل هو صفة موصوف محذوف اي بمكان ذي سلم وقيل جعل اسما لمكان مخصوص بنواحي المدينة الشريفة بغلبة الاستعمال وهو الانسب هنا والباء بمعنى في والجرور في محل خفض صفة جيران والتاء في مزجت ضمير المخاطب والمزج الخلط من باب نصر ومزج الشيء بالشيء عبارة عن خلط اجزائهما بعضها ببعض بحيث يتعذر انفصال احدهما عن الاخر ومنه مزج الماء بالشراب و دمعا مفعول مزجت اسم جنس واحده دمعة وهي القطرة منه من حزن او سرور سالت من العين او بقيت وقيل لا يقال له دمع الا اذا كان في محله وهو العين وجمعها دموع والفعل بفتح العين في الماضي والمضارع لانه من حرف حلق وجاء في لغة من باب علم بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع خلافا لمن انكرها ومصدر دمع باسكان الميم وفتحها ودمعانا والدامعة من الشجاج بعد الدامية قال ابو عبيد الدامية هي التي تدمى من غير ان يسيل منها دم فاذا سال منها الدم فهي دامعة بالعين المهملة والمدامع المآقي وهو اطراف العين وهي لنا في الدمع من حزن او سرور اما الدمع من حزن فشهور معلوم واما من السرور فانه يعرض عند اشتداد الفرح وطفح السرور وعليه قوله

لا تعجبوا المدامع اجريتها • لما رايت الحب قد وافاني

طفح السرور علي حتى انني • من عظم ما قد سرني ابكاني

وقال الاخر

يظن الذي يدري المدامع انه • كئيب وقد يجري من اللهو ادمع

وجملة جرى نعت له وجريان الدمع شدة سيلانه وتتابع بعضه بعضا مع السرعة ولذلك اختاره على سال ومن مقلة متعلق بجرى ومن هنا للابتداء والمقلة شحمة العين التي تجمع البياض والسواد والحدقة وجمعها مقل كبسرة كنغم وحكي مقل كبسر وفعله من باب نصر تقول مقلته اذا نظرت اليه بطرف مقلتك و بدم متعلق بمزجت والباء للتعدية وتنوين جيران ودمعا ومقلة ودم عوض عن المضاف اليه وهو كان الحفظ ضمير المخاطب وتنكيرها اما للتعظيم في الكل اوله وللتكثير فيما عدا المقلة اما لان المراد بها الجنس او لان العرب يطلقونها ونظايرها مفردة ويريدون بها المثنى قال • بكت عيني وحق لها بكاها • اي عيني وحق لهما وقوله رايت بعينها ورأت بعيني وتقول سمعت باذني لان المقصود بهما واحد وذكر احدهما يراد به ما يراد بمثناه ومنه قوله عليه الصلوة والسلام ان العين لتدمع ويجوز لك في صفتها او ضميرها الا فراد بحسب اللفظ نحو مقلة حسنة رأيتها وهذا احد الاوجه الاربعة فيما وقع في البدن منه اثنان والوجه الثاني تثنيتهما مع المطابقة في صفتهما او ضميرهما كقوله ذي الرمة وعينان قال الله كونا فكانتا • فعولان بالالباب ما يفعل الخمر • والوجه الثالث تثنية الاول

وافراد الثاني تقول عيناه حسنة ومنه قول ابي الطيب حشاي على جمر ذكي من الهوى • وعيناي في روض من الحسن ترتع • والوجه الرابع افراد الاول وتثنية الثاني نحو عينه حسنتان قال اذا ذكرت عيني الزمان الذي مضى • بصحراء بلخ ظلتا تكفان • ومن الوجه الثاني البيت الثالث في قوله فما لعينك ان قلت اكففا هتا ويجوز ان يكون افراد المقلة هنا لانه بنى امره على التجاهل والخوف • نيام باحدى مقلتيه ويتقي • باخرى المنايا فهو يقظان نائم • فاذا نظر بمقلة الخوف بكى واذا نظر بمقلة الرجاء ما الطف القائل

عين سرا اذا رايتك واخيتها • تبكي لطول تباعد المتلاقي

فاخفظ لواحدة دوام سرورها • وعد التي بكيتها بتلاقي

وعلى افراد العين بالبكاء دون اختها ما يحكى ان بعض اهل الهند عشق جارية فرحلت الجارية فخرج الرجل في وداعها فدمعت عينه دون الاخرى فغمض العين التي لم تدمع اربعا وثمانين سنة ولم يفتحها عقوبة لها الا لم تبك عند فراق حبيبته وانشد بعضهم في المعنى

بكت عيني غداة البين دمعا • واخرى بالبكاء بخلت علينا

فعاقبت التي بخلت بدمع • بان غمضتها يوم التقينا

ثم الدليل بالمقلة وان كان الدمع لا يكون الا منها مع افادة التاكيد للاشارة الى امتزاج الدمع بالدم كان ابتداؤه من المقلة فالدم منها ايضا لتفرعها من كثرة البكاء حتى صار الدم نازلا منها كالدمع ولو لم تذكر لتوهم ان امتزاج الدمع بالدم كان بعد انفصال الدمع وجريانه على الخد وملاقاته بدم الخد السائل منه مثلا او من غيره فيصدق عليه الامتزاج فلذلك اتى بقوله من مقلة ونظير هذا التوكيد واقع في القرآن العظيم والحديث الشريف وكلام العرب كثيرا قال تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم يقولون بافواههم وكلم الله موسى تكليما اذا تداينتم بدين ولا طائر يطير بجناحيه وغير ذلك فاذا ظهرت نكتة زائدة على التاكيد ذكرت وحمل عليها وقد الف في هذا المعنى الشيخ العلامة قاضي القضاة شرف الدين احمد بن قاضي الجليل الحنبلي كتابا بالسماء المنهج المفيد في حكم التوكيد تكلم فيه على ما يتعلق بالتوكيد وعلى ايات قرآنية جاءت من هذا الباب اجاد فيها ما قال في المسئلة السادسة عشر اتفق جمع الفقها والادباء على انه متى وقع تقييد مفيد عند استخدام الجنان وتشحيذ الاذهان يقولوا ذكر هذا التقييد لمجرد التاكيد استرواحا الى كلام سهل التناول لا يفتقر الى اعمال فكر واستخدام روية وكذلك اذا وقع حرف لحكمة وفائدة كقوله تع وما كان معه من اله فسئلوا عن ادخال من هنا فيجيبون بان دخولها لمجرد الزيادة طلبا لسهولة الطريق وايذانا بعدم التحقيق فجعلوا التاكيد والزيادة ديدنا لهم في المجادلة والمحقق الفاهم ان هذه التقييدات والحروف التي زعموا كونها مزيدات لها معان مقصودة وامور زائدة مفيدة على قولنا هو تاكيد وهذا الحروف مزيد ويعرف هذا بتحقيق المقالات في الكلام على هذه التقييدات وقد قال فخر الدين ابن الخطيب اعلم ان التاكيد وان كان حسنا الا انه متى امكن حمل الكلام على فائدة زائدة وجب صرفه اليها قلت هذا مثل ما ذكر في ترجمة ابراهيم بن السري الزجاج لاستاد الزجاج انه قرأ على ثعلب والمبرد ثم اعجبته نفسه فانقطع ثم اجتمع بالمبرد فاراد المبرد ان يوقفه فقال له قال الله تعالى ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم فتوقف الزجاج ولم يجب فقال له المبرد اعلم انه قد بقي عليك بقية قال في المسئلة السابعة عشر في الكلام على قوله تع فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم فقال الكتابة لا تكون بغير اليد فلم قيدها بالتاكيد وما الحكمة في ذلك فيقال هذا الاسلوب في لغة العرب وفي كلام الله تع وكلام رسول الله صلعم وللعلماء والادباء فيه

مسلكان الاول مسلك من يحمل هذه الامور على التاكيد المجرد ولا يبحث عن سبب التقييد ولا يبحث عن لطائف معانيه قال
الامام ابو شامة العرب تفعل ذلك كثيرا فهو اسلوب من اساليب لغتهم فلا وجه لانكاره والسؤال فيقول القائل اخذ بيده وقال
بلسانه وفي القران من هذا كثير نحو ولا طائر يطير بجناحيه ويقولون بافواههم فخر عليهم السقف من فوقهم قلنا ما ذكره
وان كان اسلوبا من اساليب لغتهم فلا يمنعنا ذلك ان نبحث على علة تقييده بذلك وربطه بوصف ونحن لا نعلم احدا انكر
كونه اسلوبا من اساليب اللغة الا ما حكيناه عن الملاحدة وهم لم ينفوا كونه من اللغة كما تقدم لكن كونه اسلوبا من اساليب اللغة
لا يمنعنا طلب حكمة ربطه بذلك وتقييده به انتهى كلامه وقد تكلم الامام السهيلي في كتابه نتائج الفكر على قوله تعالى وما من دابة
في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم كلاما مفيدا اظهر فيه النكت التوكيدية واجاد فليراجع هذا وقد اشتمل
البيت على شيء من محاسن الاخلاق • ومكارم الاعراق وجمال الانصاف وكمال الاتصاف بالانصاف • منها حب الاوطان •
وحب الوطن من الايمان • ومنها الشوق للجيران • والتحرق لفقد الاخوان • وهذا يدل على ود الجار • وحب اهل
الديار • وحفظ الجار وحمايته مما افتخرت به العرب • حتى ساووه بالقرابة في النسب • وما زال صلعم يوصي بالجار حتى كاد
ان يورثه وهذا التشوق والوداد • يدل على شدة الالفة والاتحاد • وكمال التجانس والتناسب • ودوام التوانس والتحابب
لا اختلاف بينهم في مجاورتهم ولا شقاق • بل تراضعوا في محاوراتهم ثدي الائتلاف والاتفاق • حتى كانهم مع طول
المجاورة كالجسد الواحد • يجمعهم دائرة المقاصد • ولا يعرف الشاهد بين احدهم في المشاهد •

ولم ار مثل اخواني ومثلي • لمثلي عند مثلهم مقام
بارض ما اشتهيت رايت فيها • فليس يفوقها الا الكرام

ارواحهم جنود مجندة متعارفة • واشباحهم وفود مؤيدة متالفة • لا تخاذل بينهم ولا تقاطع • ولا تباعد
ولا تمانع • وهذه صفة حميدة • ينشا عنها سمات عديدة • وقد اطنب اهل الادب في الكلام على ذلك • واطالوا في سلوك
هذه المسالك • قال القاضي الماوردي في كتابه ادب الدين والدنيا فاول اسباب الاخاء التجانس في حال يجتمعان فيها او يأتلفان
لها ثم يحدث التجانس موانسة • بين المتجانسين وهي الرتبة الثانية ثم يحدث عن الموانسة رتبة ثالثة وهي المصافاة • ثم يحدث
عن المصافاة المودة • ثم يحدث عن المودة المحبة الاعظام • ثم العشق انتهى ملخصا فجعل العشق الاخر هذا التجانس
والعشق في نفسه مراتب عديدة كما ذكره اهله ممن دابه فيه من اهل الادب قال صاحب الريحان والريعان الحب اول الهوى ثم العلاقة
ثم الكلف • ثم الوجد ثم العشق • ثم الشغف • ومثله اللاعج واللوعة والغرام • ثم الجوى • ثم التتيم • ثم الهيام
ثم الوله انتهى • ملخصا والكلام على كل نوع منها مذكور في محله فالمراد بالجيران هنا المحبوبون وعبر عنهم بالجيران
للاشارة الى انه اذا كان شوقه اليهم الموصوف بهذه الاوصاف في حال وصفهم بالمجاورة فما ظنك به اذا كان في حال الهجرة ونأيها
العالية كانه قصر بيانه عن وصفه • وكل لسانه عن ذكره • وان هذه الحالة لا يعرفها الا اهل الغرام • ولا يدركها الا
من استولى عليه سلطان الوله والهيام • فهي حالة روحانية لا يمكن التعبير عنها باللسان • ولا يتاتى شرحها بالبنان •
بل هي كامنة كمون النار في الحجر • والنور في الشجر • وانما تظهر اثارها في بعض الاوقات • بحسب ما يطرا على المحب من الحالات •
ومنها ازدياد الوداد • في حال الهجر والبعاد • ابدا تضرم لوامع بروق شوقه على البعد في الظلام • وتسح هوامع مدامعه
فتبح منها وهو شديد الاوام • وهذه حالة بين العشاق مشهورة • وقضية عند قضاة الادب ثابتة مسطورة •

ومنها

ومنها ان الباعث لها على مزج الدمع بالدم هو تذكر الجيران • فما ظنك بما فوق ذلك والله اعلم • وانظر بعين البلاغة
والانصاف • ما بين هذا المطلع الكامل الاوصاف • وبين مطلع امرئ القيس من البون البعيد • والفرق الشديد •
هيهات هل يقاس الدر بالمدر • وهل تنظم الحصى في عقد الدرر • اين الذكرى من التذكر • اذ لا يخفى ان زيادة المبنى
تدل على زيادة المعنى • والذكرى تقتضي الذكر مرة بعد اخرى • وهو احق بالبكا واحرى • واين من طبع على البكا متحكما
وابتغى مماثلا ومساعدا • ممن مزج دمعه بدمه • وانفرد بحزنه وندمه • ثم ان امرا القيس اتى بالفعل مضارعا في قوله
نبك فدل على انه لم يبك من قبل وانما طلب ممن رفيقه الوقوف لان يقع منهم البكا في المستقبل وهذا الناظم الامام اتى
بالفعل ماضيا في قوله مزجت الصريح في تحقق الوقوع واين نبك المجرد عن المبالغة في شدة البكاء الصادق بالمرة الواحدة
من قوله مزجت الدال على شدة البكاء حتى تقرحت جفونه وامتزج دمعها بدمها فان قلت ان الفعل الماضي يدل
على الانقطاع والفعل المضارع على الاستمرار التجددي فيقتضي دوام الثاني وانقطاع الاول قلت وهذا
مما يدل على ابلغية الماضي في كلام الناظم دون المضارع في كلام امرئ القيس ووجه ذلك ان الفعل الماضي في مزجت
وان اقتضى الانقطاع فيدل على انه لكثرة ما تقدم منه من البكا نفدت منه الدموع حتى استعان بدمه فمزج بالدمع عند قلة
الدمع الى ان نفد الدمع والدم • ولم يبق مني الشوق غير تفكري • فلو شئت ان ابكي بكيت تفكرا •
وهذه الحالة لا تتأتى الا لمن تناهى في الغرام • ولم يبق فيه بقية لغير المحبة والهيام • واما الاستمرار التجددي
فحالة تشترك فيها العوام • اذ هي تتجدد بتجدد الاحوال والايام • وبما قررناه من الجمع بين الدمع والدم
على الوجه المذكور من الحالة التدريجية المستفادة من المزج اندفع ما اورده البدر الزركشي من قوله
وذكر المزج ناقص بالنسبة لقول الاخر بكيت دما حتى لقد قال قايل • ترى فهذا الفتى من جرح عينيه يرعف
اذ سلمنا ان الدم لا يكون صرفا الا بعد نفي الدمع لكن يدل له الالتزام وذكر المزج المقتضي للترقي في البكا مع الجمع بين
الشيئين مطابقة ابلغ منهما كما لا يخفى ثم ان امرا القيس عطف بالواو المنزل على الحبيب من قوله من ذكرى حبيب ومنزل
والعطف يقتضي المشاركة بينهما في علة البكاء والناظم رحمه اقتصر على ذكر الجيران الكائنين بالمنزل فلم يكن قصده
الا الجيران فقط وشرف المنازل يذكر بالذي قد حلها وامرؤ القيس جعل ذكرى الحبيب المطلوب والمنزل علة البكاء
والناظم جعل الجيران المجاورين للحبيب علة للمزج فما ظنك بافراد الحبيب بالتذكر اشارة الى انها حالة لا يمكن
شرحها ووصفها وقضية لا يتاتى ايضاحها وكشفها واين قوله نبك من قوله دمعا جرى الدال على شدة سيلانه
وجريانه من غير حجر لا ولا تكلف بل كان صار عادة وطبعا • وما كل من تكلف شيئا مثل من طبعا • ولعل عدم التناسب
بين القسمين هناك مع حسن التناسب هنا فامر غني عن البيان • معلوم الدلائل والبرهان • سبحان المانح ماهذه
المواهب الا بركة محمد وحبها صلعم وزاده شرفا وكرما لديه هذا ما يتعلق بالمباني الظاهرة من المعاني
الزاهرة • واما ما يتعارفه العارف من اهل المعارف • ويتنسمه الذائق • من ارباب الحقائق • فالمراد من الجيران
الكاملون من اهل العرفان • وهم جنود الله المجندة المتعارفة • المترافقة المتوافقة المتالفة • والمراد بذي
سلم دار الذر والسؤال • لما قال لهم الست بربكم قالوا بلى باصدق مقال • فعند تذكر مجاورة الجيران في ذلك
الوقت والاوان • تشوق المخلص للحظان • وتشوق عرف ذلك الشان • وتذكر تلك الجيران والاحباب • وتذكر بذي سلم

سلمى والرباب • ففاضت مقلته عينه ماعنده • ماوجرت مدامعه الممزوجة بالدما • او المراد بالجيران رفقته من اهل الطريقة
واخوانه السالك معهم في مجاز الحقيقة • فكانه عاقته عنهم في بعض المنازل العوايق • وقطعته الطوارق • وشغل الخلق
عن الخالق • فلما تذكر حال اخوانه جرى دمعه الدافق • ثم هبت عليه ريح القبول الفايح الفايق • وتنسم عن تلقاء كاظمة
ذلك النسيم العابق • وانارت له انوارها نيك المشارق في المشارق • ولمعت عليه لوامع ذلك البرق البارق • فتذكر ما لجيرانه
من تلك الاحوال والمواهب • وما حلوا فيه من المنازل والمراتب • فتلقلت دموعه ممزوجة بالدما • وكاد فواده ان يلتهب
في هواجر الغرام والظما • او المراد بجيران العقل الاول او الروح الانساني او النور المحمدي على ما ذكره اهل التحقيق
من اهل المعارف • وبطو الكلام عليه بحسب ما كشف لهم من تلك العوارف • وفي حال تفكر هذا العبد الفقير • في معنى
هذا البيت المنير • وتذكره ذكر الله تعالى هبت على الفقير ولله الحمد ريح من تلقاء تلك المعارف • تعرف منها معنى
لمع منه برق اضاء به المعنى • من ذلك البيت فاستنار به البادي والعاكف • وهو ان المراد من الجيران هو الله سبحانه وتعالى
وجمع الجيران اما على جعله من باب الا فارحموني يا اله محمد او على تعدد صفاته الكريمة الكمال والجمال بتنزيل كل صفة من تلك
الصفات العظيمة الشان باعتبار تجليها في مقام تجليها منزلة جار ولا خفا في ان الله سبحانه وتعالى هو الجار القريب
الذي هو اقرب الى كل شيء من كل شيء وهو اقرب من حبل الوريد • وهذا المقام هو مقام المراقبة المستلزم لاجلال الباري
وتعظيمه والحياء منه والاخبات اليه وهو مقام الاحسان اعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك لم تسعني ارضي ولا سماي
ووسعني قلب عبدي المؤمن ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو
معهم وهو معكم فاذا فتح العارف عين بصيرته وشاهد شهود الحق في احوال الرواق الازمه حينئذ التذكر والتذكر
هو الذكر مرة بعد اخرى ويكون بالقلب واللسان والقلب هو المراد بذي سلم هنا واطلق عليه السلام لسلامته عن حلول
الاغيار فيه وخلوصه لساكنه فلا بد حينئذ من تطهير القلب الذي هو محل التذكر واخلايه وكنسه بالة كلمة النفي
من لغبار الاغيار • عن وجوه الاسرار • ليصلح ان يكون عرشا لتجلي الا الله كلمة الاثبات عليه • ومحلا لنظر الحق اليه قال
تعالى يا داود طهر لي بيتا اسكنه وفي بعض الكتب ان موسى عم قال يا رب اين تسكن فاوحى الله تعالى اليه في قلب عبدي المؤمن
ومعناه سكون الذكر في القلب فان الرب سبحانه وتعالى منزه عن كل سكون وحلول فهو من باب حذف المضاف واقامة المضاف
اليه مقامه اي اين تسكن ذكرك من قلوب الناس لان قلوب بني ادم متقلبة بتذكر وتغفل فاي قلب يتوالى عليه ذكرك
وتقل غفلته فاخبره تعالى بانه قلب عبده التقي الورع الخائف من الحذر الذي لم يكن فيه موجود غير الله فعند نفي وجوده
الموجودات وظهور وجود الحق حقيقة يقول بقلبه لا موجود الا الله لمشاهدة ذات قيام الكل به وهذا المعنى هو المعنى
الحقيقي المقصود من النفي والاثبات والله اعلم قال العارف المحقق احمد الغزالي قدس سره ما دمت ملوثا بالنظر الى الاغيار
فلا بد من نفي لا اله فاذا غبت عن الكل في مشاهدة الكل استرحت من نفي لا اله ووصلت باثبات الا الله قل الله ثم
ذرهم متى تخلص من ذكر ما لم يكن وتشتغل بذكر من لم يزل يقول الله الله فتستريح عما سوى الله وهذا الذكر
العظيم وتطهير ذلك القلب تخرج الدنيا والاخرة من عين العارف اذ ليس همه من قصده وحفاه ما عبد الله خوفا
من نار ولا طمعا في جنتك فعبر عن الاخرة بالدمع لان بكاه غالبا انما يكون على ما فرط في الدنيا الموت لنعيم الاخرة
في الجنة والبكا عليها على الخوف من النار وعبر عن الدنيا بالدم لانها دم غبيط وكلاهما ملوثة بهما فخرجها هذا العارف

واخرجيهما

واخرجيهما من مقلته بسبب هذا التذكر العظيم والذكر القويم واعلم ان الذكر الذي يقابل به النسيان هو ذكر القلب لا ذكر اللسان
وهو افضل الذكرين وان كان الاكمل اجتماعهما والذاكر اذا استغرق في ذكر الله تعالى فقد عظم حقيرا وحقر عظيما
ولم يذكر الله تعالى على الحقيقة لكونه اشرك بين الذكرين فيخشى عليه ان يكون ممن قال الله تعالى في حقهم ومن يعش عن ذكر
الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين لان الغفلة الحاصلة عن ذكر الله تعالى اعراض ما عن ذكره فهو بذلك محصل لما يحصله
الشيطان من الاعراض عن الرحمن ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا فما دام الذاكر يذكر شيئا او لا يشعر بشيء
من الموجودات غير الله تعالى فيكون ذكره شكره فلا يقع عليه اسم الذاكر به على الحقيقة فاذا فني عن الكل ونسي الكل فقد
ذكر الله تعالى على الحقيقة قال تعالى واذكر ربك اذا نسيت اي اذا نسيت غير الله تعالى فقد ذكرت الله تعالى فلا بد من نسيان
ما سوى الله ليحصل حقيقة الذكر لله تعالى قال ذو النون من ذكر الله ذكرا على الحقيقة نسي في جنب ذكره كل شيء وكان له
عوضا من كل شيء وسئل عن الذكر فقال غيبة الذاكر عن الذكر وقال الواسطي حقيقة الذكر الاعراض عن الذكر ونسيانه
والقيام بالمذكور وقال سمنون حقيقة الذكر ان ينسي كل شيء سوى مذكوره لاستغراقه فيه فيكون اوقاته كلها اذكارا
فاذا نسي الذاكر في القلب افعال نفسه كان ذاكرا لافعال الحق سبحانه واذا نسي ذات نفسه في مقام ذكر الله تعالى كان ذاكرا
لذات الله سبحانه وتعالى بان يذكر ببذل وجوده له ليفنيه به قال تعالى فاذكروني اذكركم فاذكروني ببذل الوجود والفنا
اذكركم ببذل الشهود والبقا فاذا صح له هذا البقا بعد ذلك الفنا صح ان يسمى حينئذ جار الله تعالى معتكفا في حضرة
قدسه ليكون من المتقين ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر والطريقة الواضحة في تفسير
الجيران هنا ان المراد ال الرسول واصحابه وانصاره وازواجه واحبابه لانهم المجاورون له في الخلفا وفي الاحوال
المجاورون له في اقواله وافعاله الفايزون منه بانواع الاجلال والانعام عليه وعليهم افضل الصلوة واتم السلام
فهم نجوم الاهتدا في الاقتدا • ولو انفق احدنا مثل احد ما بلغ مد احدهم ابدا • فلما تذكرهم فاضت دموعه بالدما
حيث لم يكن من الصدر الاول فيفوز بما او المراد بالجيران الذين تبوءوا الدار والايمان المجاورون بالمدينة المنورة
الشريفة المشاهدون لانوار تلك الحجرة المنيفة المهاجرون عن لذاتهم الدنية والتاركون لاغراضهم الدنيوية
المقتفون لتلك الاثار • المصطفون بمشاهدة هاتيك الانوار • القايمون بحقوق المجاورة والاداب المستمسكون
بما ورد في السنة والكتاب • وعلى هذين الوجهين النيرين فالمراد بالجيران جيرانه صلعم فلا يكون التشويق عوضا
عن كافة الخطاب كما تقدمت الاشارة اليه فنسئل من مواهب الوهاب • ان يمن علينا بتقبيل تلك الاعتاب وتكحيل العيون
في ذلك الوصيد من التراب • انه بالاجابة جدير • وهو على جمعهم اذا يشاء قدير • وفي البيت من انواع البديع براعة
الاستهلال من حسن المطلع والتجريد ومراعاة النظير بين المقلة والدمع والدم وتجاهل العارف والتصريع وهو مطلوب
في اوايل القصايد ومن فوايده الاستعجال بتعريف السامع حرف الروي والارصاد فان لفظة مزجت دمعا يدل على ان
العجز بالدم لا يعرف ان المعروف ان روي القصيدة الميم وتمكين القافية والجناس المذيل بين دمعا وبدم وحسن التعليل والانسجام والتهذيب والترشيح

أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ كَاظِمَةٍ ۞ وَأَوْمَضَ البَرْقُ فِي الظَّلْمَاءِ مِنْ إِضَمِ

ام على قسمين متصلة ومنقطعة فالمتصلة هي التي ما قبلها وما بعدها لا يستغنى باحدهما عن الاخر وشرط المتصلة الكاتب
ان يقترن ما يعطف بها عليه اما بهمزة التسوية او بهمزة الاستفهام ويقصد بها وبام ما يقصد باي فتكون ام مع الهمزة

بالباء الموحدة

بتأويل اي وما بعدها بتأويل المضاف اليه فيجب ان تستفهم بهما عن شيئين او اشياء ثابت احدهما او احدها عند المتكلم
طلبا للتعيين لانها مع الهمزة بمعنى اي فجوابه بالتعيين والمنقطعة هي الواقعة بين جملتين ليستا في تأويل المفردين بل كل
منهما مستقل بفائدة مستغن عن الآخر ولم تكن بعد همزة التسوية او همزة يحسن في موضعها اي فالمتكلم بالمنقطعة
لا يثبت احد الامرين عنده ويطلب تعيينه بل ما قبل ام وما بعدها على كلامين لانه اضراب عن الكلام الاول وشروع في كلام
مستأنف فهي بمعنى بل التي تدل على ان الاول وقع غلطا في نحو انها لابل ام شاء او بمعنى بل التي تكون للانتقال من كلام
الى آخر لا لتدارك الغلط كما في قوله تعالى ام يقولون افتراه وفيها مع معنى بل معنى الهمزة الاستفهامية في نحو انها لابل ام
او الهمزة الانكارية في نحو ام يقولون افتراه وقد تجيء بمعنى بل وحدها مجردة عن الهمزة كما في قوله ام انا خير من هذا
الذي هو مهين اذ لا معنى للاستفهام هنا او جاءت بعدها اداة الاستفهام كقوله ام هل تستوي الظلمات والنور اذ لا يجمع
بين اداتي استفهام ثم جواب المتصلة بالتعيين لانها سؤال عنه فاذا قيل ازيد عندك ام عمرو قيل في الجواب زيد او قيل عمرو
ولا يقال لا ولا نعم وجواب المنقطعة لا او نعم لانها استفهام مستأنف كما لو قلت مقام المتصلة او مع الهمزة فيكون
جوابها لا او نعم اذا علمت ذلك فام هنا حرف عطف معادلة للهمزة السابقة في الاستفهام عن تعيين احد الشيئين
او الاشياء وهو هنا العلة الباعثة على مزج الدمع بالدم اهي التذكر ام الهبوب وما عطف عليه على سبيل منع الخلو متصلة
وانما سميت متصلة قال في المغني لان ما قبلها وما بعدها لا يستغنى باحدهما عن الآخر وقال الشيخ الرضي سميت متصلة
لكونها مع الهمزة التي قبلها كاي ويرجح كلام المغني شموله لنوعي المتصلة وهما المسبوقة بهمزة الاستفهام والمسبوقة بهمزة
التسوية ويضعفه ان اتصالها امر خارج عنها وهو اتصال متعاطفيها السابق عليها واللائق حملها باعتبارها نفسها
ويرجح كلام الرضي ان اتصالها بالمعنى الذي ذكره راجع اليها نفسها لا لامر خارج عنها ويضعفه انه انما يتأتى في المسبوقة
بهمزة الاستفهام كما هنا لا في المسبوقة بهمزة التسوية فتكافأ من وجهين وجهة وذهب البدر الزركشي الى ان ام هنا منقطعة
للاضراب بمعنى بل والهمزة وما بعدها مستأنف قال وانما لم تقدر عاطفة متصلة مع تقدم الهمزة عليها لان تاليها جملة
والجملة لا تكون مفعولا لاجله انتهى واقول هذا الذي ذهب اليه تكلف بعيد وخروج عما قصده من التجريد اما قوله في تعليل عدم تقديرها
متصلة لان تاليها جملة والجملة لا تكون مفعولا لاجله فمردود بان الجملة التي بعدها في تأويل المفرد فيصح جعلها مفعولا
لاجله اي ام من هبوب وايماض بدليل المفرد الذي قبلها وهو تذكر ومناسبة الثاني للاول مع الحكم عليهما بالاتصال لاسيما
مع الهمزة التي قبلها المقتضية الاولى من انقطاعها واخراجها من الحكم الى حكم الاضراب واما كونه لجملة تاليها فقط فلا تعين
جعلها منقطعة لان انقطاعها مشروط بان تقع بين جملتين ليستا في تأويل المفردين بل كل منهما مستقل بفائدة
ولم تكن بعد الهمزة التسوية ولا همزة يحسن في موضعها مع ام اي وان تكون الجملة ظاهرة الجزئين او مقدار احدهما
واما المتصلة فتقع بين مفردين وهو الغالب وقد تقع بين مفرد وجملة كقوله تعالى قل ان ادري اقريب ما توعدون ام يجعل
له ربي امدا ونظير ما هنا حيث وقعت بين مفرد مقدم وجملة مؤخرة وقد تقع بين جملتين ليستا في تأويل المفردين
مع تقدم الهمزة ويكونان فعليتين واسميتين وام هنا على عدم تأويل الجملة الفعلية التي بعدها بالمفرد ويجوز ان تكون
متصلة واقعة بين جملتين فعليتين الاولى محذوفة المقدرة بعد همزة الاستفهام المدلول عليها بجملة مزجت التي بعدها
وتقدير الكلام امزجت من تذكر جيران مزجت حذفت الجملة الاولى لدلالة الثانية عليها كما قالوا في قوله

فقمت

فقمت للطيف مرتاعا وارقني ۞ فقلت اهي سرت ام عادني حلم

على الارجح في هي من انها فاعل محذوف يفسره سرت كما قاله في المغني فارقا بين همزة التعيين وهمزة التسوية لكن الاولى لما قررناه
سابقا من تأويل الجملة التي بعدها بالمفرد وهو الهبوب ان تقع بين مفردين جريا على الغالب ويجوز في البيت ان يكون ام فيه
واقعة بين جملتين اسميتين والتقدير اسارية هي ام عائد حلم بها على ان يكون سارية مبتدا وهي فاعل سد مسد الخبر
ويؤيد اتصال ام هنا ان صاحب المغني قسم المنقطعة الى ثلاثة اقسام انواع مسبوقة بالخبر المحض ومسبوقة بهمزة لغير الاستفهام
ومسبوقة باستفهام بغير الهمزة وهي ليست واحدة منها ومما يؤيد اتصالها ايضا ان الشيخ الرضي بعد ان قرر حال ام
والهمزة بحسب ما يقع بعدهما من مفردين او جملتين مشتركتين في احد الجزئين او غير مشتركتين بين اتصالها وانفصالها
تعيينا واولوية بتفصيل يجب مراجعته قال اما قوله تعالى سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون فجاز اختلاف الجملتين
مع انها متصلة لامنهم من الالتباس بالمنقطعة لان التسوية لا معنى فيها للمنفصلة فعلى هذا ان كان بعد ام مفرد لفظا
وتقديرا فهي متصلة قولا واحدا وقبلها الهمزة في الاغلب لفظا او تقديرا وان كان بعدها جملة فان لم يكن قبلها همزة
فهي منقطعة وان كان قبلها الهمزة ميزت المتصلة عن المنفصلة كما ذكرت لك الآن اي من امنهم من الالتباس بالمنقطعة
لان المتصلة تتميز عن المنقطعة بتقدم الهمزة عليها اما للتعيين او للتسوية كما قرره رحمه في اول الوجوه الثلاثة التي يختص
بها المتصلة وحاصل ما يقال هنا انه تعارض معنا شيئان تقدم الهمزة وهو يقتضي اتصالها لان المنقطعة لا يتقدم
عليها الهمزة بل تكون مسبوقة بغير الهمزة كهل وتأخر الجملة وهو يقتضي انقطاعها ان لم تؤول بمفرد وقد علمت مما قررناه
ترجيح الاتصال بل تعيينه واما انا فاتصاله اختياري وغيري اختيار الانفصال فان قلت قد قررت ان جواب المتصلة بالتعيين
ولا يجاب بلا ولا بنعم وجواب المنقطعة نعم او لا وقد وقع في كلام الناظم جواب الاستفهام هنا بنعم في قوله
نعم سرى طيف من اهوى فارقني ۞ فيدل على انها منقطعة لا متصلة فلا يتأتى ما ملت اليه من الاتصال قلت على جعل نعم
هنا جوابا للاستفهام فليست جوابا لسؤال التعيين بل هي جواب عن السؤال عن الحب وآثاره الناشئة منه ومنها الدموع
المستفهم عنها على الاجمال لا على التعيين ولذلك لم يكتف بقوله نعم بل قال سرى طيف من اهوى فارقني وهذا نظير ما قاله صاحب المغني
في قول ذي الرمة

تقول عجوز مدرجي متروحا ۞ على بابها من عند اهلي وغاديا
اذو زوجة بالمصر ام ذو خصومة ۞ اراك بها بالبصرة العام ثاويا
فقلت لها لا ان اهلي جيرة ۞ لاكثبة الدهنا جميعا وماليا
وما كنت مذ ابصرتني في خصومة ۞ اراجع فيها يا ابنة القوم قاضيا

حيث قال قلت ليس قوله لا جوابا لسؤالها بل رد لما توهمته من وقوع احد الامرين من كونه ذا زوجة وكونه ذا خصومة
ولهذا لم يكتف بقوله لا اذ كان رد ما لا يلفظ به انما يكون بالكلام التام فلهذا قال ان اهلي جيرة البيت وقال ما كنت مذ ابصرتني البيت
وهبت من هبت الريح تهب بالضم هبوبا وهبيبا اي هاجت والهبوبة الريح التي تثير الغبرة ومثلها الهبوب والهبيب
والفعل في تأويل مصدر معطوف على تذكر اي ام من هبوب الريح واحدة الرياح وتجمع على ارياح وارواح وريح كعنب
قال في القاموس ولعله مقصور من رياح واصلها الواو وقلبت ياء لسكونها وانكسار ما قبلها فاذا زال الكسر عادت الى الواو
ولذلك كان جمعها على ارواح بالواو اقيس من جمعها على ارياح بالياء لانها جاءت على اصلها ولا داعي الى القلب

فان قلت اما كسر ما قبلها فسلم واما سكونها فممنوع لانها مفتوحة قلت هي ساكنة الاصل والحكم والفتح عارض لاجل الالف
اذ الالف تقتضي فتح ما قبلها او يدل على اسكانها في المفرد وزيادة الالف تكون في التكسير او قلبت في الجمع تبعا لقلبها في المفرد
او لما قلبت في المفرد جعلت مقلوبة على حكم للمفرد ففي الجمع يراعى حالة القلب فيقال رياح او رياح وحالة الاصل فيقال
ارواح وانما قلنا ان اصلها الواو لانها مشتقة من الروح قال ابن الانباري سميت رياحا لان الغالب مجيئها اذا هبت
بالروح والراحة كما ان انقطاع هبوبها يجلب الغم والكرب قالوا واذا وقعت الريح غالبا في القرآن او السنة مفردة
كانت للعذاب واذا جمعت كانت للرحمة ومنه الحديث اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا قيل في تعليله ان ريح العذاب
واحدة وهي الدبور لانها لا تلقح فلهذا افردت واما اللواقح فثلاث وهي الجنوب والشمال والصبا فلهذا جمعت ويظهر للفقير
في ذلك عموم الرحمة وتعددها من جهات وافراد العذاب وجهته لان الرحمة عامة والايات على ذلك شاهدة ومن غير
الغالب ان يشاء يسكن الريح وجرين بهم بريح لا تسبوا الريح فانها من نفس الرحمن والكلام على ذلك في محله والريح
جسم لطيف شفاف غير مرئي واعلم ان الريح من اعظم النعم التي انعم الله تعالى بها على الخلق لما ينشا منها من المنافع الغزيرة
من اعمها انها مادة نفس كل حيوان بحيث لو انقطعت ساعة لمات ومن ثم قالوا ان كل ما كانت الحاجة اليه اشد كان
وجدانه اسهل فالهوا اسهل وجدانا من كل شيء لشدة الضرورة اليه وبعده الماء مع ان الحاجة اليه ايضا شديدة فلهذا
يسهل وجدانه الا ان الهوى اسهل منه اذ الالات المهيات لجذبه حاصلة ابدا ولا بد في الماء من تكلف الاغتراف ثم بعد الماء
لا يخفى شدة الحاجة الى الطعام لا جرم كان اصعب منه لكنه اسهل من تحصيل المعاجين والادوية النادرة فانها اعز
ولكن هي اقل عزة من اليواقيت والزبرجد ونحو ذلك فسبحان الجواد الكريم • الرحمن الرحيم • وله الحمد والشكر قال
بعض العارفين ولما كانت الحاجة الى رحمته تعالى اعظم الحاجات فنرجوا ان يكون وجداننا لها اسهل من وجدان كل شيء
ومنها لولا تحرك الرياح لما جرت الفلك وذلك مما لا يقدر عليه احد الا الله تعالى فلو اراد كل العالمين قلب الريح
من الشمال الى الجنوب او تحريكه اذا سكن لتعذر عليهم ذلك ومن غريب قدرة الله تعالى المتعلقة بها اختلاف مهابها وصفاتها
في السخونة والبرودة واللين والقوة ومنافعها في الابدان والزروع ومضارها فيهما وفي ذلك دلالات
واحتجاج على وجود باريها ومرسلها ومدبرها وعلى جلالة عظمته سبحانه وتعالى من لابتداء الغاية تلقاء بكسر التاء
والمد اي جهة قال مكي ويجمع على تلاقي ووجهه غيره بان تفعالا يجمع على تفاعيل فالتقت الياء الزائدة مع الياء التي
هي لام الكلمة فادغمت فصارت تلاقي ويأتي هذا الوزن مصدرا بمعنى اللقا وهو شاذ كالتبيان والقيل الفتح قال
في الصحاح والتبيان مصدر وهو شاذ لان المصادر انما تجيء على التفعال بفتح التاء كالتذكار والتكرار والتوكاف
ولم يجيء بالكسر الا التبيان والتلقاء وزاد بعضهم التمثال مصدر مثلث واما الاسماء فتاتي بالكسر كثيرا كتبراك
اسم مكان وتكلام لكثير الكلام كاظمة بالمعجمة اسم موضع لا ينصرف للعلمية والتانيث وصرفه هنا لضرورة الشعر
ما احسن قول القاضي الفاضل رحمه الله   اصرف الشاعر نصفا زغلا • عنه خباز فلما ان عرف •
قيل هذا جائز قال نعم • يصرف الشاعر ما لا ينصرف •
وقد افرد ما يجوز لضرورة الشعر بباب مستقل واومض البرق لمع لمعا خفيفا ولم يعترض في نواحي الغيم
ومجرده ومض وبابه وعد ومصدره ومضا ووميضا ومضانا بفتح الميم والبرق واحد بروق السحاب برق

السيف

السيف بريقا وتلالا ويقال برق الخلب وبرق خلب بالصفة وهو الذي ليس فيه مطر وهو في الاصل مصدر ولذلك
لم يجمع اذا روعي اصله وهو للمصدرية وبابه نصر وعن علي وابن عباس رضي الله عنهم ان الرعد اسم ملك يسوق السحاب والبرق
لمعان سوط من نور يزجر به الملك السحاب والجملة عطف على هبت الريح بتاويل المفرد على الحكم السابق والواو اما على حقيقتها
فالتردد بين شيئين اما تذكر وصل نصرا وتطلب وصل متوقع هبت رياحه ولمعت بروقه من ديار الاحباب
او بمعنى او فالتردد بين اشياء ثلاثة فان كلا من تذكر الجيران وهبوب الرياح ولمعان البرق باعث على الحزن
لا يخلو عن ذلك في الظلماء بالمد اي الظلمة او صفة لموصوف محذوف بين الجار والمجرور اي في ليلة الظلما
واصل الظلمة المنع من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك لانها تسد البصر وتمنع الروية وسببها ذهاب
نور النهار فيسود الافق بتكاثف الهوى الراكد والظلمة ذات يخلقها الله تعالى والجار والمجرور متعلق باومض
من لابتداء اضم بكسر الهمزة وفتح المعجمة اسم جبل حال من الظلما واللام في الريح والبرق فالمراد ان كل ريح هب
من تلقاء كاظمة وكل برق يلمع من نواحي اضم يكون سببا لسح سحاب مدامعه الهامية الهامله • وسائل
باجفان هوامعه الدامية الهاطله • وفي ذلك تورية في رتبة المحبة • حيث كان يبكيه تذكر الجيران • فصار يبكيه الريح
الهاب والبرق الوامض من تلك الاوطان • وان كان فيه تنزل من حيث شرف الجيران • عليهما باعتبار ذاتيهما اذ
شرف العقيق بشرف مكة • ومن عادتي حب الديار لاهلها • وللناس فيما يعشقون مذاهب • وبجيرانها تغلو
الديار وترخص • وفي الاتيان بهما اشارة الى طول تلك الليالي ولذلك وصفها بالظلما لتراكم سحابها وتكاثف ظلامها
وهلوك غياهبها وحلوك سحابها قال   في ليلة من جمادى ذات اندية • لا يبصر الكلب في ظلمائها الطنبا
فلذلك كان برقها اشد لمعانا واكثر اضاءة وايماء بسهره متذكرا في ظلام تلك الليلة الاوطان والاوطار متفكرا
فيما تهب به الريح ويومض به البرق من اخبار الاحبار • وهذه حالة عند العشاق معروفة • وطبيعة للمحبين
مفروزة ومالوفة • واعلام برفعة تلك المنازل • وبعد هاتيك الديار • بحيث لا ينال منها الا الريح ولا يرى الا
السحاب كناية عما يلزم بعد المسافة وعلو المقدار • من رفعة المرتبة وعلو المنار • واما ان تكون اللام للعهد والمراد
ريح معهودة بين العشاق • وبرق معروف يلمع من بعض الافاق • كريح الصبا والشمال وبرق الغور وهاجر
وهم يتخذون النسيم رسولا • ويسئلونه حمل الامانة فيذهب قبولا • قال ابن غانم المقدسي في كتابه كشف الاسرار
على لسان حال النسيم انا رسول كل محب الى حبيبه • وحامل شكوى العليل الى طبيبه • ان تنفست تنفس المشتاق • وان تمتمت بوح العشاق
كلما دق الهوى الباب • قلت محبوبي اتاني • الهوى والباب كذاب • وحبيبي قد جفاني •
وانشد ابن غانم المقدسي في المعنى مشيرا الى وصول النسيم وما الطف التشبيب في المعنى

يا طيب ما نقل النسيم بمسمعي • عن طيب دارك الحل الارفع
وافى لينشر ما انطوى من نشره • فسكرت من طيب الشذا المتضوع
ولربما اعتل النسيم اذا بدت • انفاس وجدي المتكن باضلعي
هبت الصبا سحرا لبرد غلتي • فاثار نار تحرقي وتوجعي
ماذاك الا انها لما سرت • مرت على تلك الربا والاربع

فتحملت عرفا

فتحملت عرف الشذا في طيها • فسكوت حتى لا افيق ولا اعي

وفهمت ما لم تفهم العشاق من • سر الهوى وسمعت ما لم تسمع

وافت تبشرني بليلى انها • في حسنها لفرت ولم تبر قسع

وجلت على عشاقها في حانها • وجها تمنع في حمى متمنع

واكثر تولعهم وبستماعهم في اشعارهم نسيم الصبا وهي ريح لطيفة تهب قبل النهار بين الجنوب والشرق قال في الصحاح وجهها المستوي ان تهب من مطلع الشمس اذا استوى الليل والنهار ويقابلها الدبور وهم يستشفون بها لانها تاتيهم عاطرة بالاخبار وتصبو الهاار واحهم لعل ان تخمد بها ما بقلوبهم من لهيب النار ابن الفارض

نعم بالصبا قلبي صبا لاحبتي • فيا حبذا ذاك الشذا حين هبت

تذكرني العهد القديم لانها • حديثة عهد عند اهيل مودتي

روى المرزباني باسناده ان المجنون خرج مع اصحابه ليمتاروا من وادي القرى فمر بجبلي نعمان فقالوا ان هذين جبلا نعمان وقد كانت ليلى تنزلهما قال فاي ريح تهب من عوارضها الى هذا المكان فقالوا الصبا فقال والله لا ابرح حتى تهب الصبا واقام في ناحية من الجبل ومضوا وامتاروا الهم ولم ثم اتوا فحبسهم حتى هبت الصبا ورحل معهم وفي ذلك يقول

ايا جبلي نعمان بالله خليا • نسيم الصبا يخلص الي نسيمها

اجد بردها او تشف مني حرارة • على كبد لم يبق الا صميمها

فان الصبا ريح متى ما تنسمت • على نفس مهموم تجلت همومها

وقد تلاعب الادبا بعده بتضمين هذه الابيات وما يعجبني في هذا الباب الى الغاية قول الطغرائي يخاطب النسيم وهو اروع منه

بالله يا ريح ان مكنت ثانية • من صدغه فاقيمي فيه واستتري

وراقبي غفلة منه لتهتري • لي فرصة وتعودي منه بالظفر

وباكري ورد عذب من مقبله • مقابل الطعم بين الطيب والخفر

ولا تمسي عذاريه فتفتضحي • بنفحة المسك بين الورد والصدر

وان قدرت على تشويش طرته • فشوشيها ولا تبقي ولا تذري

ثم اسلكي بين بردية على مهل • واستبضعي وايتني منه على قدر

وبنهيني دون القوم وانتقي • علي والليل في شك من السحر

لعل نفحة طيب منك ثانية • تقضي لبانة قلب عاقر الوطر

وقول القاضي الفاضل في بعض غرامياته من قصيد

لقد ضعفت ريح الصبا في وصلتها • تمنى لامنها جوب الشمائم

دعوا نفسي المجروح تحمله الصبا • وان كان يهفو بالغصون النواعم

ومما كان يترنم به القاضي الفاضل رحمه كثيرا وكتبه بخط قصيدة القاضي المهذب ابن الزبير منها في هذا المعنى

بالله يا ريح الشمال • اذ اشتملت الروح بردا

وحملت

وحملت من نشر الخزامى • ما اغتدى للنـد ندا

ونسجت ما بين الغصون • اذا اعتنقن هوى وودا

وهززت عند الصبح من • اعطافها قدا فقدا

ونثرت فوق الماء من • اجيادها الزهر عقدا

فلثمت صفحة وجهه • حتى اكتسى آسا وردا

فكانما الفت فيه منهما • صدغا وخدا

مرى على برداعه • يزيد من حر الجوى بردا

نهر كنصل السيف تكسو • متنه الازهار غمدا

صقلته انفاس النسيم • بمرهف فليس يصدا

ومما الطف ما كتبه القاضي فتح الدين بن عبد الظاهر الى والده القاضي محيي الدين وقد توجه صحبة الركاب الشريف السلطاني الظاهري في مهم شريف فحصل له صعق بدمشق المحروسة وهو من نسيم هذا الباب

ان شئت تبصرني وتبصر حالتي • قابل اذا هب النسيم قبولا

تلقاه مثلي رقة ونحافة • ولاجل قلبك لا اقول عليلا

فهو الرسول اليك مني ليتني • كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

عند اهل الاداب • فمثل هذا الخطاب • لمثل هذا الوالد • ما يفتت الصم الجلامد • ولا نسبتي اخا الادب قصيدة الاديب ابن حجة فان نسيمها يلعب بالعقول وتهيم النفوس بصباها حيث يشد منشيها ويقول يا طيب الاخبار يا طيب الصبا يا من اليه كل قلب قد صبا ومدعبة الشعراء بالنسيم فيما لهم من الاغراض • ولا سيما مع الازهار والانهار والرياض • والاستنشاق اخبار الاحباب • وتحميله رسائل الكتاب • باب واسع ورحب شاسع • فانه ياتي بعرف تعرف منه العشاق المرام والمراد • وتتروح اليه النفوس وتنشرح الصدور وتنتعش الاكباد • وبنشر طيه تصفق الانهار • وتتعانق باعطافها اغصون الاشجار • ويطرب الجماد فهذا فكيف حال البشر • فلعله يحرك من قلبك الساكن • شوقا الى تلك المواطن والاماكن • وربما تعطفك تلك الريح مع الاخيار • وتبعثك بما تنعتك الى تلك المشاهد والاثار • واما تغزلهم في ذلك البرق اللامع المتالق • فامر معروف للعرب مشهور بين اهل الادب ومن احسن مطالع ذلك البرق الوامض قول العارف عمر بن الفارض

ابرق بدا من جانب الغور لامع • ام ارتفعت عن وجه ليلى البراقع

ويعجبني من انسجام البرق الشامي قول محمد بن صالح الحسني

وبدا لمن بعدما اندمل الهوى • برق تالق موهنا لمعانه

يبدو كحاشية الرداء ودونه • صعب الذرى متمنع اركانه

فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه • والماء ما سحت به اجفانه

وفي هذا الاقتصار على المجاء من الريح الهاب والبرق اللامع الانوار نكتة لا تخفى على اهل الادب اذ يستدل بهما منازل

الكرام من العرب فالريح تاتى بنشرهم القايق الفايح ونار القرى يشرق ببريقها اللامع اللايح قال ابو العلا المعرى

الموقدون بنجد نار بادية • لا يحضرون وفقد العز والحضر

اذا همى القطر شبتها عبيدهم • تحت الغمايم للسارين بالقطر

ويعجبنى فى ذلك الغاية قول ذى الصناعتين احمد الخلوفى المالكى من قصيد سماها سمط العقود فى مدح سيد الوجود

وما هاجنى الا تألف بارق • بكيت على حكم الهوى فتبسما

تلوى بأكناف السحاب تخلته • حبابا تلوى او حبابا تلوما

وخط الطرس الجو سطرا مذهبا • فنقطه قطر الغمام واعجما

ولم يزل ناظما درر سطورها فى طرس حق البلاغة الى ان قال فيها

وممانجا قلبى وابل عبرتى • تألف برق فى غمام يحمهما

فاجريت طوفان الدموع تلهفا • واضرمت نيران الضلوع تألما

ويممت ربع الدار اللثم تربها • ومن لم يجد الا التراب تيمما

فياماء اجفانى ويانار اضلعى • انا اشفق القاه ارحم منكما

ويا نوم اجفانى وسلوان خاطرى • دعانى وشانى والسلام عليكما

وقد اضاء هذا الطريق للسالكين القاضى شهاب الدين محمود بلامع قوله

اذا هبطوا ارضا واومض بارق • تروض من سح الدموع ثراها

يظنون نار الفريق على الحمى • تبدت لهم وهنا ولاح سناها

ويقتفون البيد يرشدهم بها • الى الدار ان ضلوا الطريق شذاها

وتهديهم انوارها الكواكب • لسما اذا حاروا ولا قمراها

اذا عاينوا اعلامها وضعوا لها • خدودا على وجه الثرى وجباها

وفى البيت مراعات النظر بين هبوب الريح وايماض والمجاز وهو مجاز الحذف فى الظلما

فالعينيك ان قلت اكففا همتا • وما لقلبك ان قلت استفق يهم

الفا جواب شرط محذوف على الاستيناف البيانى كان المستفهم لما اراد تقرير المخاطب باثبات البكا الناشى عن الحب لاثبات الحب انكر المخاطب ذلك انكار الاصل الحب فقال له ان لم يكن بكاؤك لحب لهذه الاسباب وكتمت الحب مع ظهوره عليك بلا ارتياب فما لعينيك فهى وما بعدها فى محل جزم على جواب الشرط وتسمى مثل هذه الفاء الفصيحة لافصاحها عن شرط محذوف ومثلها فى قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت كما حرره صاحب الكشاف وقدره فان ضرب بها فانفجرت واما صاحب المفتاح فجعل المقدر جملة وهى فضرب فانفجرت والاكثرون على انها تسمى فصيحة على التقديرين والمشهور فى تمثيلها قول العباس ابن الاحنف وكان الرشيد يالفه فلما خرج الى خراسان استصحبه معه وطال مقامه بها ثم خرج الى ارمينية ومعه العباس فاشتاق الى بغداد فعارضه العباس فى طريقه **وانشد** قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا • ثم القفول فقد جينا خراسانا • اى ان صح قلتم ان خراسان الاقصى ثم القفول فقد جينا

خراسانا

خراسانا فقال له الرشيد اشتقت يا عباس واذن له بالعود الى بغداد وامر له بثلثين الف درهم وانما سميت فصيحة لانبائها عن الشرط المحذوف بحيث لو ذكر لم يكن بذلك الحسن مع حسن موقع ذوقها يمكن التعبير عنه ويجوز ان تكون عاطفة **وما** استفهامية فمحلها رفع على الابتداء عطف على الاستفهام السابق والاستفهام حينئذ للتعجب **ولعينيك** تثنية عين حاسة الرؤية وهى مؤنثة وجمعها اعين وعيون واعيان وتصغيرها عيينة واصلها المصدر اتسع فيها فاستعملت فى الجارحة مجازا وهى من الالفاظ المشتركة تطلق بازاء معان عديدة فمنها عين الماء وعين الركبة لكل ركبة عينان وهما نقرتان فى مقدمها عند الساق وعين الشمس والدينار والمال الناض والجاسوس وعين الشى نفسه وانه بعد عين اى معاينة والرئيس وعين بلدة وعين البقر جنس من العنب يكون بالشام واعيان القوم اشرافهم والاعيان الاخوة من الابوين وفى الميزان عين اذا لم يكن مستويا والعين من حروف المعجم ويقال انت على عينى فى الاكرام والحفظ جميعا قال تعالى ولتصنع على عينى الى غير ذلك مما هو مذكور فى اللغة **ومن غرر القصايد فى اشتراك لفظ العين** واجب ايرادها هنا قصيدة العلامة بهاء الدين ابى حامد احمد ابن شيخ الاسلام تقى الدين السبكى التى ارسلها لاخيه جمال الدين ابى الطيب وقد ولى تدريس المدرسة الشامية البرانية بدمشق المحمية **سنة تسع وثلاثين وسبعمائة وهى**

هنياء قد اقر الله عينى • فلا زمت العدا احلى بعينى • وقد اتى البشير فاكرم • بخير به والى عينى

يخبرنى بان الله اخى اتاه • مناه وسعده من كل عين • ايا شامية الشام افتخارا • بمن يعلو سناه كل عين

بمن بركاته ظهرت فنارت • بها الدنيا وحاف كل عين • فتى ان عدت الاعيان قالت • له الايام انت اذا عينى

ابحر كم جرى من بحر علم • يروى الطالبين بطول عين • ويكفى فى العلوم لكل وفد • غدير فوايد كغدير عين

ووطاة لعقد بنى ابيه • كواسطة لقطة تدعى بعين • وقاض امره فى الناس ماض • فلا تخشى من الخبال عين

وينصب فيهما قسطاس حق • خلت من كل تطفيف وعين • له نوران من ورع وعلم • تخالهما كبدر دجى وعين

يصير عدله ذا المطل عدلا • ويجعل كل مطل محض عين • ويعجب من انامله ضياء • كما يعجب الغزالة نور عين

لئن شرفت دمشق به ومصر • فقد سارت محاسنه لعين • وتعظم كل ارض حل فيها • ولو حقرت حقارة رأس عين

يجود بكل ما فى راحتيه • اذا بخلت ذووا الدنيا بعين • ويوسع للورى نادا الوراد • مزادة غيثه تحت كعين

جمال الدين فضلك ليس يخفى • فدونك قطرة من سحب عين • بزعم ان اهنى من بعاد • وحق ان اجى لكم بعينى

فلو سمح الزمان لكنت اعطى • له ما فيه ورق وعين • ومن سخط المعيشة غيبتى عن • نزوركم لم اقر منها بعينى

ولو استطع حبت وجئت لبيتى • على ركبى اليك بكل عين • ولولا ما اروم من التلاقى • لاذهب بينكم نفسى وعينى

وكنت كعين قطر سال قطرا • فما ادكى واحسن سيل عينى • متى القاكم فى عين شمس • وقد حلت ركابكم بعين

وهنى اخاك تاج الدين عنى • فان كل كما خلى وعينى • وقوما وادعوا الرب كما اذ • لنا منه ابراب وعين

فدام بقاؤه ما لاح برق • واطرب صوت قمرى وعين • ولا زالت اعاديه تردى • بكل مذلة وبكل عين

ومن ينظر اليه بعين سوء • يقابله الاله بكل عين • وقد جمعت معانى العين طرا • قصيدى لم تدع معنى لعين

فلو عاش الخليل لقال هذى • معان ما راها قط عينى • وقد ضاقت قوافيها وركت • وذلك لالتزامى لفظ عين

ولولم التزم هذا الفائت • فصيدا ديب ارض الجامعين • ولولا اذ الطالب لها ختام • يذكر مليكها الغانى الحسين
تتمة قال السهيلى فى نتايج الفكر ولا يجوز اضافة العين بلفظ التثنية الى البارى سبحانه كما جاز ذلك فى اليد لعدم
المعنى الذى قدمنا ذكره فى اليد وان ذلك راجع الى تنويع الفعل الذى تعلقت به والعين لا يقع الفعل بها ولا
بالسمع ولا تثنى كما لا يثنى السمع وقوله تجرى باعيننا ليس من هذا الباب ولكن لما اخبر عن نفسه مجازا بلفظ الجمع
جمع ما اضاف الى اللفظ الذى هو كلفظ الجمع كما قال فى موضع اخر مما عملت ايدينا فان قلت ان المصدر لا يجمع
وان اضيف الى لفظ الجمع تقول بعلمنا ولا تقول بعلومنا وبامرنا ولا تقول باموارنا اذا اردت
ضد النهى كما قال وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر قلنا بينهما فرق وذلك ان العين وان كان مصدرا
بمعنى الرؤية فقد اتسع فيه حتى صار بمعنى العضو فجمع لذلك فلما الف وعرف فيه الجمع ثم اضيف الى الله تعالى
لم ينكر فيه ما عرف فيه فى حال المجاز والسمع الجمع فيه فى حال الحقيقة واما التثنية فممتنعة على كل حال لا مجازا ولا حقيقة
لانه فى المجاز غير ماذون فيه وفى الحقيقة محال وليس فى قوله ان ربكم ليس باعور ما يبيح وصفه بالعينين
على التثنية كما ظن بعضهم لان لفظ العينين معدوم فى الحديث ولا يصح الاطلاق الا بورود اللفظ
كما هو وقد عدم لفظ العينين بالتثنية فى الحديث وعدم معنى التثنية ايضا لغة وعقلا فلا سبيل الى اطلاقه الا
بالافراد كما قال ولتصنع على عينى او يخبر هو عن نفسه مجازا كما قال تجرى باعيننا فيكون لفظ الجمع فى كلامه
سبحانه لا فى كلامنا ويكون لفظ الافراد فى كلامه وكلامنا واما لفظ التثنية فانها لم ترد فى كلامه سبحانه وقوله عم
ان ربكم ليس باعور حديث ورد فى معرض التحذير من فتنة الدجال وتلبيسه لا فى معرض الاخبار عن الله تعالى
بصفاته فكيف ينتزع منه الجواز ايضا فى العينين اليه بلفظ التثنية ولاسيما والعين التى هى صفة لا حقيقتها
الرؤية والابصار ولم يوخذ اطلاق لفظها من جهة القياس والنظر لكن من جهة اطلاق الشرع بهذا اللفظ
ولم يوجد فى الشرع الا بلفظ الافراد وافاد قوله ان ربكم ليس باعور على نفى النقص وصفة الذم عن الله
سبحانه وتعالى فقط لا على اثبات صفة ثابتة بلفظ التى عبر عنها بالعين فى قوله ولتصنع على عينى وقد قدمنا انه
لاستحقاقه سبحانه لصفات الكمال واستغنايه بنفسه عن الالات والاسباب وجب ان تكون صفة غير مفتقرة
لعضو ولا آلة ووجب ان تكون مستغنية عن ان تستوى باخرى مماثلة لها كما فى البشر فاذا علم هذا
من جهة المعنى وعدم لفظ التثنية من جهة الشرع واللغة فلا سبيل الى تجويزها انتهى قال ايضا واعلم ان هذه
المسئلة انما بقيت فى حق اكثر العالم مقفلة الابواب مغدقة الحجاب لما اذكره لك وهو ان المتكلم فيها اما ان يكون
متبحرا فى علم الكلام والجدل قصيرا فى علم العربية ولا يحظى بعلم العربية دقايق النحو وغرائب اللغة ولكن قانون
البلاغة وابواب المجاز والاستعارة واما ان يكون المتكلم فيها متقدما فى علم العربية غير انه ضيق الباع فى علم
النظر وتصحيح الادلة العقلية واما ان يكون جامعا لهذين العلمين متمكنا فيهما غير انه ضيق الباع فى حفظ
السنن الواردة المتعلقة بها اطلاق ما يحتاج اليه من العبارات عن هذه المعانى فانه يحتاج الى الاذن الشرعية فى كل
لفظ يعبر به عن هذه الاعراض ولما قل فى الناس الجامع لهذه الفنون المتمكن منها قل فيهم ايضا بل كاد ان يعدم

من يصل الى كشف قناعها واظهار حقيقتها واطلاعها ولا توفيق الا بالله ولا عون الا منه ولا معول الا عليه
فى المزيد من الخير والمعافات من الجهل والبدع الاعليه وهو حسبى ونعم الوكيل انتهى واما اعراب لعينيك فهى متعلقة
بمحذوف اى ما عرض لعينيك خبر المبتداء ان حرف شرط قلت بفتح التاء محل جزم على انه فعل الشرط اى ان قلت هما
قصد الكتم الحب واخفاه وحذرا عن ظهوره واشتهاره اكففا بفك الادغام لضرورة الوزن كما فى قوله • مهلا
اعاذل قد جربت من خلقى • انى اجود لاقوام وان ضننوا • وكان الواجب الادغام لاتصال الالف الا بين
لانه يجب فتح ما قبلها وهو ثانى المتجانسين لئلا يلزم التقاء الساكنين على غير حده كما لو اتصل به واو الجماعة او ياء
المخاطبة لوجوب ضم ما قبل الواو وكسر ما قبل الياء والاول من المتجانسين ان لم يكن ساكنا يسكن ويدرج فى الثانى
كالساكن وضابط وجوب الادغام انه يجب فى كل فعل اجتمع فيه متجانسان ولم يقع بينهما فاصل ويكون الثانى متحركا
وما يقال ان فعل الامر هنا للواحد بالحقيقة لا بالنظر الى التعدد الصورى وهو لا يقدح فى الوحدة الحقيقية قصدا
الى جواز ذلك الادغام والفك لعدم وجود الالف المقتضية لوجوبه وانه قال ذلك بلسان الجيران وهو لا يعاب
بهفوات اللسان فتكلف بعيد ويأتى متعديا ولازما اى امتنعا معكما او امتنعا والجملة فى محل نصب مقول القول
همتا اى سالتا من باب رمى والهمى السيلان والاصل هميتا قلبت الياء الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصار
هماتا حذفت الالف لالتقاء الساكنين الالف وتاء التانيث باعتبار سكونها الاصلى بل هى فى حكم السكون
وتحريكها عارض لاجل الالف ولا تثبت هذه الالف الا فى لغة ضعيفة يقول اهلها هماتا كما قالوا رماتا باثبات الالف
نظرا الى الحركة والجملة فى محل جزم جواب الشرط واسناد السيل للعين مجاز مرسل من باب قولهم جرى النهر وسال الميزاب
والاصل همى دمعهما ما اسم استفهام مبتداء ولقلبك مع متعلقه خبره والواو لعطف الجملة على ما قبلها والقلب قال
فى الصحاح فى قلب القلب الفواد وقد يعبر عنه العقل قال الفراء فى قوله تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب اى عقل ثم
قال فى فاد الفواد القلب والجمع الافئدة انتهى وكلامه فى الموضعين صريح فى ان القلب هو الفواد وكذلك قال الشيخ
زكى الدين عبد العظيم فى نكته على مختصره لصحيح مسلم فى قوله صلعم افئدتهم مثل افئدة الطير الفواد القلب والجمع
الافئدة وفى قوله صلعم الين قلوبا وارق افئدة كرره لاختلاف اللفظين انتهى وهو صريح ايضا فى ترادفهما وفرق
بينهما الراغب فى كتاب المفردات بالاعتبار فقال الفواد كالقلب لكن يقال له فواد اذا اعتبر فيه معنى التفؤد
اى التوقد ذكره فى فاد وقال فى قلب قلب الانسان قيل سمى به لكثرة تقلبه يعبر بالقلب عن المعانى التى تختص به من الروح
والعلم والشجاعة وسائر ذلك وقال فى صدر قال بعض الحكماء حيث ما ذكر الله تعالى القلب فاشارة الى العقل
والعلم نحو ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب وحيث ما ذكر الصدر فاشارة الى ذلك والى سائر القوى
من الشهوة والهوى والغضب ونحوها انتهى وقوله سمى به لكثرة تقلبه بيان لوجه الاشتقاق وذلك تقلبه
فى خواطره وعزومه قال وما سمى الانسان الا لانسه • ولا القلب الا انه يتقلب • قال التوربشتى يشتق من القلب
الذى هو المصدر لفرط تقلبه الا ترى الى ما روى ابو موسى الاشعرى عن النبى عم مثل هذا القلب كمثل ريشة ملقاة
بفلاة تقلبها الريح بطنا لظهر والى مثل هذا المثل اشارة المتنبى حيث قال كريشة بمهب الريح ساقطة • لا تستقر
على حال من القلق • والى هذا الاشتقاق اشارة الفقير الحاجى قوله فذكرت ان لا نسميك الورى • قلبا

لانه لا ينقلب وقيل الفؤاد عبارة عن باطن القلب وقيل الفؤاد عين القلب وقيل الفؤاد غشاء القلب والقلب
حبته وسويداوه وقال ابن فرحون في كتاب مطالع الانوار وقيل القلب اخص من الفؤاد والقلب هو الشكل الصنوبري
المودع في جانب الايسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم اسود وهو منبع
الروح ومعدنه وعليه الجمهور خلافا لمن انكر ذلك وهذا المعنى يتعلق به غرض الاطبا واما غرض السادة الصوفية
وهو المعنى المطلوب لنا فقال الامام الغزالي هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة
هي حقيقة الانسان وهي المدركة العالمة العارفة وهو المخاطب والمعاتب والمطالب وقال الشيخ العارف خليل
البسطالي في كتابه الذي تكلم فيه على كلمة الشهادة ناقلا كلام الامام نجم الدين الرازي في كتابه المسمى بالمنارة
اعلم ان القلب صورة وهي المضغة التي اشار اليها النبي عم لجميع اولاد ادم بقوله ان في جسد ابن ادم مضغة الحديث
وهي موجودة للبهايم ايضا بل هي موجودة للميت وهي قطعة لحم لا قدر له وهو من عالم الملك وان له روحا وهو
الذي اثبت لبعض دون بعض لقوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وقد سمى الله من لم يكن روح القلب ميتا
بقوله تعالى انك لا تسمع الموتى فاما منشاء صورة قلب التي هي المضغة فهي الذرة التي استخرجها الله من ظهر ادم
يوم الميثاق واما منشاء روح القلب الذي هو به حي فهو الذي استفادته الذرة عند استماع خطاب الست بربكم
من الفيض الالهي فكما ان تلك الذرة المستخرجة صارت بذر شجرة القلب وثمرتها وهي القلب كذلك صار ذلك
الفيض المستفاد من الفيض الالهي بذر شجرة روح القلب وثمرتها وهي روح روحه وهو الذي اخبر الله
تعالى عنه بقوله كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه وهو الايمان الفطري عند خطاب الست بربكم وهو بذر شجرة
الايمان الكسبي وثمرتها الذين امنوا وعملوا الصالحات وانما سمي القلب قلبا لانه سريع التقلب متقلب القلب ولانه القلوب
خلق قلب عالمي الغيب والشهادة وهما الروح والجسد وقد تولد من ازدواجهما فصورته متصلة بالجسد
وروحه متصلة بالروح وقد عبر النبي عم عن عالمي الغيب والشهادة بالاصبعين لانهما صورتا صفتي لطف الله
وقهره والله اعلم فافهم جدا فانك لا تجد اوضح من هذا البيان انتهى وللقلب اخلاق فمنها التوبة • والانابة • والورع
والرقة • والوجد • والصفا • والوفا • والصبر • والقناعة • والذكر • والفكر • والمراقبة • والتواجد • والتوجد
والحزن • والصدق • والاخلاص • والحيا • والعلم • والتسخا • والحلم • والانابة • والولاية • والسماحة
والشجاعة • والزهد • والفقر • والاستسلام • والانقياد • والندامة • والشفقة • والرحمة • وله صفات
حميدة عديدة اخر وقد ذكر الامام الغزالي في الاحيا امثلة وخاصية بما فيه الشفا فليراجع هذا والمراد بالقلب هنا
هو العقل بدليل ما بعده ان قلت لا وهو سكرات الهيام وغمرات الغرام استفق مما انت فيه من استغراق عن افاق
من سكره قصدا الى كتم حاله عن وشاته وحاله عذاله ولستر ابما في بلباله من بالاه والاه والشين اما للبيان او
للطلب والشرطيتان حالان جعلتا اسميتين بتقدير هما في الاولى وهو في الثانية قال الزركشي فان قلت
كيف صح للجملة الحالية ان تصدر بدليل الاستقبال وهو حرف الشرط قلت ذلك جائز اذا قصد بالشرط استمرار
شيء ودوامه مثل لاضربنه ان ذهب او قام اي على كل حال والمعنى ما لهما هاميتان على كل حال لانهما هامتان
اذا امرهما بالكف عن الهطلان فاذا لم يامرهما بذلك فالهميان اولى انتهى تمسح من هام على وجهه هيما وهيمانا

من باب ضرب باع ذهب من العشق او غيره وقلب مستهام اي هايم والهيام بالضم اشد العطش والهيام ايضا كالجنون
من العشق تقول منها هام يهيم والهيام بالكسر اشد العطاش الواحد الهيمان وناقة هيمى مثل عطشان وعطشى وقوم
هيم اي عطاش وهو مجزوم على انه جواب الشرط وتحريك الميم بالكسر عارض للروي والاصل يهيم حذفت الياء
لالتقاء الساكنين هي والميم واصل يهيم يهيم بكسر الياء كيضرب استثقلت الكسرة على الياء فنقلت الى الهاء قبلها
ولا يصح ان يكون من وهم يهم والاصل يوهم حذفت الواو لوقوعها بين ياء وكسرة اي ذهب في الافكار والاوهام
لان المقام لا يستدعيه بل هو بمعنى يله ويتحير من شدة الوجد والغرام • والتتيم والكلف والهيام • انما
ايها الصب المشوق • والمحب المحروق • والواله الحيران • والظامي الهيمان • ماهذا الدمع الهامي الهامل •
والعقل الذاهب الذاهل • والجفن المقروح • والكبد المجروح • والدمع المنسجم • والكمد المضطرم •
ان ادعيت حدوث مرض • او زعمت حصول عرض كما زعم ابو العتاهية حيث يقول

كم من صديق لي اسار • قه البكاء من الحياء
فاذا تامل لامني • فاقول ما بي من بكاء
لكن ذهبت لارتدي • فطرفت عيني بالرداء

وهذا المعنى اخذه من قول بشار كما اعترف هو به حين قال له بشار انا والله استحسن اعتذارك حيث تقول لا نشاء
الابيات المذكورة فقال له ابو العتاهية لا والله يا ابا معاذ ما لذت الا بمعناك ولا اجتنيت الا من غرسك حيث تقول

شكوت الى الغواني ما الاقي • وقلت لهن ما يومي بعيد
فقلن لقد بكيت فقلت كلا • وقد يبكي من الطرب الجليد
ولكني اصاب سواد عيني • عويد قذى له طرف حديد
فقلن فما لدمعهما سواء • اكلتا مقلتيك اصاب عود

فكف دمعك عن ذلك • وافق قلبك من حالك الحالك • كيف وكلما قلت لجفنك زال العارض فكفه دمعك
ازداد • ومتى قلت لقلبك اما تشعر هام مع الشعرا في كل واد • اليس هما من اعظم الادلة والشهود •
او ما هذه حالة لا يمكن معها الكتم والجحود قال

علامة ذل الهوى • على العاشقين البكا
ولا سيما عاشق • اذا لم يجد مشتكى

بل هما علامة ظاهرة يعرف بها العشاق • فصرح بمن تهوى ولا تخف ما صنعت بك الاشواق
قال
لولا مدامع عشاق ولوعتهم • لبان في الناس عز الماء والنار
فكل نار فمن انفاسهم قدحت • وكل ماء فمن دمع لهم جار

ابعد دمعك الهامي وقلبك الهايم • وشهادة الظاهر والباطن عند قاضي الحب الحاكم • عليك التمويه والانكار
ويسعك التوجيه والاسرار • فارق يا اخا الادب والوجد في هذا الترقي من الظاهر الى الباطن فاعلى البنان في
• وحدق النظر في حدايق الادب لتنظر ما بين العين والقلب من التخالف والنفاق • وقد اورد صاحب

ديوان الصبابة بمجادلة وقعت بين العين والقلب من حيث ان العين تتمتع بالنظر • والقلب يتعذب بالالم
والحزن • وهي مشهورة بين اهل الادب • واما كتم المحبة والغرام • واخفاء شواهد غزارة الوجد والهيام •
فهو امر مقرر مشهور • وقد مال الى التصريح الجمهور •

اخفيت حبكم واخفائي اسى • حتى لعمري كدت عني اختفي

وكتمته عني فلو ابديته • لوجدته اخفى من اللطف الخفي

ولكل من الفريقين • وجه وجيه في الطريقين • اما اهل الكتم فلاخفائهم ادلة لا تخفى عند اهل الغرام •
ولكتمانهم شواهد لائحة واضحة وضوح البرق في جنح الظلام • وذلك انهم راوا المحبة كنزا مكنوزا • وسرا لا يجوز
ان يذاع مرموزا • فيجب كتمانه عن كل احد • ويحتم صونه حتى عن الوالد والولد • وراوا كشف الستار وظهور السرار
مما يكون سببا للوشاة عند الحبيب • وداعيا لملازمة اللاحي والرقيب • وغرضا لعدل العذول • باعثا للوم
اللائم مانعا من حصول الوصول • ربما فرق بين المحبوب والعشاق • وكدر ما صفا من ماء الود والوراق •
وربما اظهر الاسرار • وكان سببا في بعد المزار • الى غير ذلك من الامور • الباعثة الكتم المانع من الظهور ما اظرف
عباس بن الاحنف حيث يقول وسعى بنا ناس وقالوا انها • لهي التي يشقى بها وكما بد

وجحدتهم ليكون غيرك ظنهم • اني ليعجبني المحب الجاحد

ولهذين البيتين قدم المأمون في الصلاة عليه على ابرهيم الموصلي النديم والكسائي وهشيم حين امره الرشيد بالصلاة
عليهم • واما من صرح وباح • ولوح بالغرام وناح • واظهر احواله • واعلن مقاله • ولم يلتفت للعدل واللوم
وقال ليقل من شاء ما شاء فخرج الامر وعلي لا عتب على اليوم • فانه يرى المحبة افضل حليه • واجمل حله واحسن
وصف وجمال • واجمل نعت وكمال • وما الناس الا العاشقون ذووا الهوى • ولا خير فيمن لا يحب ويعشق • قال
ابن جني في الخصايص نشر الحب واظهاره هو الاكثر في كلامهم وهو الانسب عندهم واعذب على سمعهم لان فيه
ابدانا من صاحبه • بعجزه عن ستر مثله • ولو امكنه اخفاؤه والتحامل به لكان مطيعا له • قال عمرو بن ابي ربيعه

فقلت لهم ما بي لهم من ترقب • ولكن سري ليس يحمله مثلي

انتهى وهذا الكتم والاظهار • والاخفاء والاشهار • مبني على حالة الاختيار • دون حالة الاضطرار •
والظاهر ان هاتين الحالتين يملكها العاشق في اول امره • عند قدرته على كتم هواه وستره • واما اذا تمكن عليه سلطان
الغرام بقهره • وادخله بالرغم تحت حكمه وامره • فعند ذلك يرتفع عنه الملام ويستولي عليه الوله والهيام وينشد
في ذلك المقام الا ليقل من شاء ما شاء انما • يلوم الفتى فيما استطاع من الامر

قضى الله حب العامرية فاصطبر • عليه فقد تجري الامور على قدر

وسنزيدك ايضاحا على ذلك المعنى ونشرح صدرك بما نشرح لك في كل من البيت ومبنى وهذا الذي قررناه
هو كما قالوا في العشق هل هو اختياري او اضطراري ذهب كل ذاهب واصبح المذاهب في ذلك ان اوله اختياري واخره
اضطراري وفي البيت اشارة لطيفة الى ان الانسان كلما اراد ان يتكتم امر لاح عليه وكلما اراد ان يخفيه ظهر منه. انظر
الى هذا المحب كلما اراد كتم امره عن الوشاة والرقبا واخفاء حاله عن المستفهم او اللائم هام قلبه ونم دمعه

وباح

وباح بسره • وهو مع ذلك كلما اراد الكتم والاخفا ازداد القلب في الهيام • والدمع في الانسجام • فكذلك
كل من استر في قلبه سرا او عمل عملا خفيا خيرا او شرا اظهر ذلك عليه واشتهر • وكلما قصد اخفاءه اتضح للناس وانتشر
من استر سريرة البسه الله رداها ما كتم الانسان في قلبه شيئا الا ظهر على صفحات وجهه وفلتات لسانه قال

ومهما يكن عند امرء من خليقة • وان خالها تخفى على الناس تعلم

هذا والحسنة المخفية نور يشرق على صاحبها والسيئة المكتومة ظلمة تظهر على عاملها والكلام على ذلك طويل
الذيل والعارف تكفيه الاشارة وفي البيت من البديع المقابلة الملحقة بالطباق بين اكففا وهمتا
واستنفق ويلم وبين عينيك وقلبك لان الاول علامة ظاهرة والثاني علامة باطنه

ايحسب الصب ان الحب منكتم • ما بين منسجم منه ومضطرم

الاستفهام للتعجب او للانكار التوبيخي اي ما ينبغي للمحب ذلك الاكتتام مع ما يظهر عليه من شواهد الانسجام
والاضطرام ويحسب بمعنى يظن من افعال القلوب المتعدية لاثنين وقياس هذا الباب كسر السين في الماضي
وفتحها في المضارع وقد جاء شاذا بكسرها فيهما قليل في الصحيح في اربعة وردت بالكسر والفتح وهي
حسب يحسب ويحسب ونعم ينعم وينعم وبئس ييئس وييئس ويبئس قال الفرا العرب
جميعا على حسب يحسب الا بني كنانة فانهم كسروا وقال ابن الخشاب لغة النبي عم فيه بكسر السين وهي
الافصح والقياس الفتح وليست هي الفصحى قال الزركشي وفي مستدرك الحاكم ان النبي عم قرا يحسب
ان ماله اخلده بكسر السين وقال صحيح الاسناد وطريجان وكثر في المعتل بالكسر فيهما نحو يرث ورث
وري الزند يري وورع يرع وومق يمق ووفق يفق ووثق يثق وورم يرم وولي يلي الصب
العاشق من الصبابة وهي رقة الشوق وحرارته او من صب الماء فانصب سمي به لانه لكثرة بكائه كانه يصب الدمع صبا
ما اظرف قول ابن نباته دمعي عليك مجانس قلبي • فانظر على الحالين للصب

واما قول ابن الخشاب الصب الصابي الى الشيء من صبا يصبو فمردود باختلاف مادتيهما اذ الاول من المضاعف
والثاني من الناقص كما لا يخفى وفي الالتفات من الخطاب الى الغيبة اسلوب طريق ظاهر وذلك انه لما استفهم اولا
عن بكائه بعد ان استشعر منه المحبة ببيان اسبابها فانكر تلك الاسباب لانكاره اصل المحبة فاستفهم ثانيا حيث جاء
من نفسه بدليل ظاهر ودليل باطن لا يسعه معهما الانكار استشعر ذلك المستفهم من دليله لا سيما الثاني وهو
هيام القلب عند طلب افاقته في مقام الانكار حيث لا يتأتى له الانكار ان الهايم الولهان • الهاني الاجفان
لا يخاطب بقيام حجة عليه • ولا يوجه سؤال استفهام اليه • التفت من خطابه الى الغيبة لاشعار بغيبته ولم يخرج
عن اسلوبه في اثبات دليل المحبة باسلوب دفع به الاكتتام • واثبت به الهايم • وهو الانسجام والاضطرام •
واتى به على سبيل الاستفهام التعجبي او الانكار التوبيخي المقترن بالظن للاشارة الى انه لا ينبغي له انكار ذلك
وكتمه بعد وضوح دلايله الواضحة وضوح الشمس في رابعة النهار • وظهور شواهده الابهجة في سماء
الاشتهار • وسفوح اجفانه الجارية الانهار • بالانسجام واشتعال نيران قلبه الملتهب الاضطرام •
واستعمل الظن دون اليقين للاشارة الى انه كان عالما ان حاله لا يكتم مع ظهور دلايله لكنه ظن ذلك

بالنكاه وغوريه واختار الصب دون غيره لمناسبة ماهو فيه مزجت الدموع والالتفات كما هو مذهب ابن المعتز وعليه جرى البديعيون هو الانتقال من المتكلم الى الخطاب او الغيبة وبالعكوس واستشهد على ذلك بقول امرئ القيس

تطاول ليلك بالاثمد • ونام الخلي ولم ترقد • الابيات ولهم في هذه الابيات كلام مذكور في محله ان الحب منكتم ان مع اسمها وخبرها في تاويل المصدر سدت مسد مفعولي يحسب والحب بضم الحاء المهملة ومثله الحبة بالضم والحِب بالكسر المحبة والحبيب ايضا قال في الصحاح يقال احبه فهو محب وحبه يحبه بالكسر فهو محبوب وانشد الفضل بن شجاع النهشلي

احب ابا مروان من اجل تمره • واعلم ان الرفق بالمرء ارفق

ووالله لولا تمره ما حببته • ولا كان ادنى من عبيد ومشرق

قال وهذا شاذ لانه لا ياتي في المضاعف يفعل بالكسر الا ويشركه يفعل بالضم اذا كان متعديا ما خلا هذا الحرف انتهى وعبيد ومشرق ابنا الشاعر وفي البيت اقواء وهو اختلاف حركة الروي ونقل الزركشي عن المعري انه قال الكوفيون يقولون في الماضي اجبت فاذا صاروا الى اسم المفعول قالوا محبوب وربما قالوا محب ونقل عن ابي البقاء انه جوز في الحب ثلاثة اوجه احدها ان يكون مصدر حببت وهي لغة في احببت والثاني ان يكون مصدر احببت على حذف الزيادة الثالث ان يكون اسما للمصدر الذي هو الاحباب انتهى قال في الصحاح وامراة محبة لزوجها ايضا عن الفرا والحباب بالكسر المحاب والموادة وبالضم الحب قال ابو عطا السندي

فوالله ما ادري واني لصادق • اداء عراني من حبابك ام سحر

ومنكتم من الانكتام اي مختف عن الناس ما زائدة لافادة التعليل اي شيء من الانكتام بين ظرف مكان هنا متكتم واما موصول وبين صلته بحذف صدر صلتها اي الحب الذي هو بين وهي اما صفة للحب اي الحب الذي حدث بينهما او بدل منه وعليهما فمحله النصب ويجوز نصبه ايضا على الاختصاص او رفعه منسجم من سجم الدمع سال وبابه دخل صفة لموصوف محذوف اي دمع منسجم اي سائل بكثرة والانسجام السيلان الشديد منه متعلق بمنسجم والضمير للصب ومضطرم معطوف على منسجم صفة موصوف محذوف بين العاطف والمعطوف اي وقلب مضطرم بالضاد المعجمة والطاء المهملة بدل من تاء افتعال من الاضطرام اشتعال النار والتهابها واصله مضترم من الاضطرام قلبت التاء طاء لان القاعدة متى كان فاء افتعل صادا او ضادا او طاء او ظاء قلبت طاء تاءه وطاء لتعسر النطق بالتاء بعد هذه الحروف واختيرت الطاء لقربها من التاء مخرجا ووصفا مأخوذ من ضرمت النار من باب طرب وتضرمت واضطرمت التهبت واضرمها غيرها وضرمها اشد للمبالغة والضرام بالكسر اشتعال النار في الحلفا وغيرها وهو ايضا دقاق الحطب الذي يسرع اشتعال النار فيه والضرمة بفتحتين السعفة والشيحة في طرفها نار وتقدير الكلام ومضطرم منه حذف منه لدلالة المذكور عليه صفة للصب ان جعلنا اللام للجنس كما في قوله تعالى ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون منه او حال منه ان جعلناها للتعريف والمعنى ما ينبغي للعاشق ان يظن انكتام حبه مع انسجام دمعه واضطرام قلبه فانهما شاهدا عدل من نفسه يشهدان بصدق محبته فكيف يسعه الانكار بعد ذلك وقد قال سلطان العشاق عمر بن الفارض رحمه الله تعالى

هوى عبرة نمت به وجوى نمت • به حرق ادواؤها بي اودت

فطوبان نوح عند نوحي كادمعي • وايقاد نيران الخليل كزفرتي

ولولا زفيري اغرقتني ادمعي • ولولا دموعي احرقتني زفرتي

وما الطف قول المتنبي في هذا المعنى

حاشى الرقيب فخانته ضمائره • وغيض الدمع فانهلت بوادره

وكاتم الحب يوم البين منهتك • وصاحب الدمع لا تخفى سرائره

ويعجبني هنا قول ابن عرس الموصلي

انا صب وماء دمعي صب • واسير من الضنا في قيود

وشهودي على الهوى ادمع العين • ولكنني قذفت شهودي

ومثله قول ابن الظهير الاربلي ولكنه قصد تعديلهما بجرحهما

طرفي وقلبي ذا يسيل دما وذا • دون الورى انت العليم بقرحه

وهما بحبك شاهدان وانما • تعديل كل منهما في جرحه

وهذه حالة معروفة بين الاحباب • وقضية مسلمة مشهورة بين اهل الاداب • لا يسع العاشق انكارها • ولا يمكنه اسرارها • لا سيما وقد شهد على الصب دمعه وصبه • وباح بجواه الذي هو كناد على علم قلبه • هذا وقد اختلفوا في المحبة تعريفا واشتقاقا قال القاضي البيضاوي المحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ فيها ومحبة العبد لله ارادة طاعته والاعتناء بتحصيل مراضيه ومحبة الله للعبد ارادة اكرامه واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصي وقيل المحبة اسم لغليان وثوران مما في القلب من الاحزان والهيجان والهيمان الى لقاء المحبوب مشتق ذلك من قولهم حباب القدر لرغوتها حين غليانها وثورانها وقيل ان المحبة لا علوه حال يكون في القلب من امر المحبوب مشتق من قولهم لما يعلو من الماء الراكد عند سقوط القطر عليه حبابات الماء وقيل ان المحبة اسم لامتلاء القلب من حب المحبوب فلا يسع غيره مشتق من الحب وهو الخابية الملا وقيل ماخوذة من الحب وهو القرط سمي الحب بها القلقلة واضطرابه فان قلب المحب • كريشة بمحل الريح ساقطة • لا تستقر على حال من القلق وقيل من حب الاسنان وهو صفاؤها وبياضها واولا ظهر عندي انه ماخوذ من احب البعير احبابا فهو محب وهو ان يصيبه مرض او كسر فلا يبرح مقيما الى ان يبرا بالوصال او يموت بالهجر ويجوز ان يكون ماخوذا من احب الزرع اذا دخل فيه الاكل ونشا فيه الحب او من تحببت الابل اذا شربت حتى تملات ريا او من الاحباب وهو في الابل كالحران في الخيار لانه تعيف عندها ولا يتعداها وقيل المحبة حالة لطيفة يجدها في قلبه الانسان وهي الطف من ان يعبر عنها بلسان تحمل على تعظيم محبوبه ودوام الاستيناس بذكره والمسارعة الى مطلوبه وكثرة التشوق اليه وقلة الصبر عنه وعدم القرار دونه وطلب رضاه بالخضوع تارة والدموع اخرى والكلام على ذلك اكثر من ان يحصى واشهر من ان يذكر • وهو باب واسع • ورحب شاسع • قد ذكره اهل الادب • وفصلوا فيه الارب واما ما ذكره المحققون من اهل المعارف فذهب الجويني وغيره من المحققين الى ان الحب والارادة عبارة عن واحد وان قصدك الى الشيء هو نفس ارادتك اياه ونفس المحبة قال السهيلي والذي قاله صحيح ولكن فانه دقيقة

في تتمة المسئلة وذلك ان المحبة وان كانت من جنس الارادة لكنها ارادة معها طلب واستدعاء للمراد كما ان النظر فكر ولكن
مع طلب للعلم او غلبة الظن فمن حد النظر بالفكر فقط فهو كمن حد الانسان بالحيوان فقط وكذلك من حد المحبة بالارادة فقط
واذا كانت المحبة ارادة مع استدعاء فقد يكون الاستدعاء بالطمع كمحبة المخلوقين وقد تكون بالترغيب والوعد
وتلك محبة الخالق فهو يحب الطاعة لانه يريدها ويستدعيها ولا نقول يحب احياء الموتى ولا اماتة الاحيا
بل نقول يريد ذلك لانه ليس بفعل يستدعيه من غيره بترغيب ولا ترهيب فتأمل هذا وتدبر كتاب الله الحكيم فانك لا تجد
ذكر الارادة فيه الا متعلقة بفعل المريد مجردة من الاستدعاء بالوعد والوعيد وهو سبحانه يحب التوابين اذ يريد
اعمالهم ويستدعيها ويريد تعذيب الكفار ويريد وقوع الكفر منهم ولا يريده لهم شرعا ولا يستدعيه بوعد
ولا ندب والمؤمن يحب الله تعالى اي يريد ثوابه وطاعته وكذلك محبة الله للعبد تعلقها بالذات مجاز لانه قد اراد
وجوده حين اوجده ثم احب منه افعاله اي ارادها واستدعاها انتهى وقال البيضاوي في تفسير قوله تع قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني المحبة ميل النفس الى الشيء لكمال ادرك فيه بحيث يحملها على ما يقربها اليه والعبد اذا علم ان
الكمال الحقيقي ليس الا لله وان كل ما يراه كمالا لنفسه او غيره فهو من الله
وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفي الله وذلك يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه فلذلك فسرت المحبة بارادة
الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته والحرص على مطاوعته انتهى وقال السعد التفتازاني المحبة من الامور
التي لا يكشف عنها المقال عن الحال وهو بالوجدانات اشبه منها بالادراكات انتهى وقد اورد صاحب الكشاف في تفسير
هذه الاية كلاما ينسب عند اهل الطريق من ابواب ارباب التوفيق فلذلك قال السعد التفتازاني عند محشيته لو ما ذكره
المصنف في محبة الله ذلك مبلغه من محبة الله والى ينكشف ذلك لمن كانت عقيدته في اولياء الله واحبابه ما ما ينبغي عنده ووقفه
فيهم ونعم ما قال الامام في هذا المقام هب انه اجترى على الطعن في اولياء الله تع فكيف اجترى على مثل ذلك الكلام
الفاحش في تفسير كلام الله تع ولا يليق بالعاقل ان يكتب مثله في كتب الفحش وقال الامام الغزالي في الاحياء في بيان
حقيقة المحبة واسبابها وتحقيق معنى محبة العبد لله تع اعلم ان المطلب من هذا الفصل لا ينكشف الا بمعرفة حقيقة
المحبة في نفسها ثم معرفة شروطها واسبابها ثم النظر بعد ذلك في تحقيق معناها في حق الله تعالى فاولها ما ينبغي ان يتحقق
انه لا يتصور محبة الا بعد معرفة وادراك اذ لا يحب الانسان ما لا يعرفه ولذلك لم يتصور ان يتصف بالحب جماد
بل هو من خاصية الحي المدرك ثم المدركات في انفسها تنقسم الى ما يوافق طبع المدرك ويلائمه ويلذه والى ما ينافيه
وينافره ويؤلمه والى ما لا يؤثر فيه بايلام وايلام فكل ما في ادراكه لذة وراحة فهو محبوب عند المدرك وما في ادراكه الم فهو
مبغوض عند المدرك وما يخلو عن استعقاب الم ولذة فلا يوصف بكونه محبوبا ولا مكروها فاذن كل لذيذ محبوب
عند المتلذذ به ومعنى كونه محبوبا ان في الطبع ميلا اليه ومعنى كونه مبغوضا ان في الطبع نفرة عنه فالحب عبارة عن ميل
الطبع الى الشيء الملذ فان تأكد ذلك الميل وقوي سمي عشقا والبغض عبارة عن نفرة الطبع عن المؤلم المتعب فاذا
قوي سمي مقتا فهذا اصل في حقيقة معنى الحب لا بد من معرفته انتهى وقال الاستاذ ابو القاسم القشيري في الرسالة المحبة
شريفة شهد الحق سبحانه بها للعبد واخبر عن محبته للعبد فالحق سبحانه يوصف بانه يحب العبد والعبد يوصف
بانه يحب الحق والمحبة على لسان العلماء هي الارادة وليس مراد القوم بالمحبة الارادة فان الارادة لا تتعلق بالقديم

اللهم

اللهم الا ان تحمل على ارادة التقرب اليه والتعظيم له قال ونحن نذكر من تحقيق هذه المسئلة طرفا ان شاء الله تع فمحبة
الحق سبحانه للعبد ارادته لانعام مخصوص عليه كما ان رحمته ارادة الانعام فالرحمة خاصة من الارادة والمحبة
اخص من الرحمة فارادته ان يوصل للعبد الثواب والانعام تسمى رحمة وارادته ان يخصه بالقربة والاحوال
العلية تسمى محبة وارادته سبحانه صفة واحدة فبحسب متعلقاتها تختلف اسماؤها فاذا تعلقت بالعقوبة تسمى غضبا
واذا تعلقت بعموم النعم تسمى رحمة واذا تعلقت بخصوصها تسمى محبة واما محبة العبد لله فحالة يجدها
من قلبه تلطف عن العبارة وقد تحمله تلك الحالة على التعظيم وايثار رضاه وقلة الصبر عنه والاحتياج اليه وعدم
القرار من دونه ووجود الاستيناس بدوام ذكره له بقلبه وليست محبة العبد له سبحانه ميلا ولا اختلاطا كيف
وحقيقة الصمدية مقدسة عن اللحوق والدرك والاحاطة هذا اخر كلامه وقال الامام الغزالي اما بعد فان المحبة
لله تعالى هي الغاية القصوى من المقامات والذروة العليا من الدرجات فما بعد ادراك المحبة مقام الا وهو ثمرة من ثمارها
وتابع من توابعها كالشوق والانس والرضا واخواتها ولا قبل المحبة مقام الا وهو مقدمة من مقدماتها كالتوبة
والصبر والزهد وغيرها وسائر المقامات ان عز وجودها فلم تخل القلوب عن الايمان بامكانها واما محبة الله تع
فقد عز الايمان بها حتى انكر بعض العلماء امكانها وقال لا معنى لها الا المواظبة على طاعة الله تع واما حقيقة المحبة
فمحال الا مع الجنس والمثل ولما انكروا المحبة انكروا الانس والشوق ولذة المناجات وسائر لوازم الحب وتوابعه
ولا بد من كشف الغطاء عن هذه الامر ونحن نذكر في هذا الكتاب بيان شواهد الشرع في بيان المحبة ثم بيان حقيقتها
واسبابها ثم بيان ان لا يستحق المحبة الا الله ثم بيان ان اعظم اللذات لذة النظر الى وجه الله تعالى ثم بيان سبب زيادة
لذة النظر في الاخرة على المعرفة في الدنيا ثم بيان الاسباب المقوية لحب الله تعالى ثم بيان السبب في تفاوت الناس
في الحب ثم بيان السبب في قصور الافهام عن معرفة الله تعالى ثم بيان معنى الشوق ثم بيان محبة الله تع للعبد
ثم القول في علامات محبة العبد لله تع ثم بيان معنى الانس بالله تعالى ثم بيان معنى الانبساط في الانس ثم القول
في معنى الرضا وبيان فضيلته ثم بيان حقيقته ثم بيان ان الدعاء وكراهة المعاصي لا تناقضه وكذا الفرار
من المعاصي ثم بيان حكايات وكلمات المحبين متفرقة وبيّن كل واحد من هذه البيانات بما في الغنية والكفاية فليراجع ذلك
ثم اعلم ان محبة العبد لله سبحانه مودعة في الايمان قال تعالى والذين امنوا اشد حبا لله ومحبة الله للعبد
مودعة في متابعة المحبوب قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فازدياد المحبة بحسب ازدياد
الايمان وازدياد المتابعة بحسب ازدياد الايمان محبة العبد لله تعالى وازدياد محبة الله تعالى للعبد بحسب ازدياد
المتابعة فالعبد على قدر الايمان يحب الله تعالى وعلى قدر محبة الله تعالى يتبع النبي عم وعلى قدر متابعة المحبوب
عم يحبه الله تعالى فللاتباع ثلث درجات ولمحبة المحب ثلث درجات ولمحبة الله للمحب المتابع على حسب متابعته ثلث
درجات فاما درجات الاتباع فالاولى درجة عوام المؤمنين وهي متابعة اعماله عليه الصلوة والسلام والثانية
درجة الخواص اخلاقه عم والثالثة درجة اخص الخواص وهي متابعة احواله عم واما درجات محبة المحب
فالاولى محبة العوام وهي تنشأ عن مطالعة المنة من رؤية احسان المحسن وبره واياديه ونعمه المتقدمة فانه
جبلت القلوب على حب من احسن اليها وهذا يتغير بتغير الاحسان فان زاد الاحسان زاد الحب وان نقص

الاحسان نقص الحب وهو ليلتفى اعمال العم والثانية محبة الخواص وهى محبة تنشاء عن مطالعة شواهد عند تجلى
صفات الجمال والجلال وهذه محبة المقربين يحبونه اعظاما واجلالا وهذا حب التعظيم والاجلال وهو
الباقى الى الابد لبقاء الصفات الى السرمد ويزيد بازدياد المعرفة وهو لمبتغى اخلاق عليه السلام والثالثة
محبة اخص الخواص وهى الغاية القصوى والنعمة العظمى للعبد ولا غاية لها وهى خاطفة محبة تقع العبارة وتدق
الاشارة وهذه المحبة جذبة من جذبات الحق سبحانه المنشأة من المحبة القديمة فسر كنت كنزا مخفيا
الحديث هذه المحبة هم المستعدون لكمال المعرفة بسبق العناية واما درجات محبة الله للعبد فاعلم
ان محبة الله للخلق عائدة اليه بالحقيقة قال الشيخ نجم الدين الرازى وهذا بحث عميق ما شرع فيه لضيق الموضع
فان شرح هذه المحبة لا يسع اطباق السموات قراء القارى بين يدى الشيخ ابى سعيد بن ابى الخير قوله تعالى
يحبهم ويحبونه فقال بحق يحبهم لانه لا يحب الا نفسه على معنى انه ليس فى الكون الا هو وما سواه فهو من صنعه
والصانع اذا مدح صنعته فقد مدح نفسه فاذا لا يتجاوز المحبة نفسه لان نفسه قائمة بنفسها وما سواه قائم
به فهو لا يحب نفسه الا انه لما كان محوها على الخلق فبحسب تعلقها بالعام والخاص والاخص اثبت لكل صنف منهم
سعادة يحظى بها عند محوها عليه الى ان تنتهى الى محلها الذى صدرت منه فصدرت المحبة عن محل كنت كنزا
مخفيا فاحببت ان اعرف ثم ترت على خلقت الخلق لاعرف فما تعلقت الا باهل المعرفة وهم المخصوصون بالانعام
قال تعالى فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين الآية فتعلقت بالعام من اهل المعرفة بالرحمة ومشربهم
الاعمال فقيل فاتبعونى بالاعمال الصالحات يحببكم الله بالرحمة ويخصكم بتجلى الافعال ويغفر لكم ذنوبكم
التى صدرت منكم على خلاف المتابعة والله غفور لمن اطاع رحيم بمن يعصيه وتعلقت بالخاص من اهل المعرفة
بالفضل ومشربهم الاخلاق فقيل لهم فاتبعونى بمكارم الاخلاق يحببكم الله بالفضل يخصكم بتجليات صفات
الجمال ويغفر لكم ذنوبكم يستر ظلمة صفاتكم بانوار صفاته والله غفور ستار بصفاته صفات اهل فضله وتعلقت
بالاخص من اهل المعرفة بجذبات المحبة الالهية ومشربهم الاحوال فقيل لهم فاتبعونى ببذل الوجود يحببكم الله
الله بجذبات المحبة الازلية يخصكم بتجلى الجلال فيجذبكم عنكم به اليه ويغفر لكم ذنوبكم يستر بوجود ذنوب
وجودكم فيمحوكم عنكم ويثبتكم به قال تعالى فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا ويدا الحديث فان قيل
ما المحبة قلنا بدايتها موافقة المحبوب وترك مخالفته ووسطها ان لا يؤثر على الله غير الله وغايتها نار الله
الموقدة التى تطلع على الافئدة نار لا تبقى ولا تذر نار تحرق فى الدنيا قلوب العاشقين وفى الاخرة جلود الفاسقين
نار توقد من شجرة مباركة زيتونة الآية فان قيل هل الى المحبة للاكتساب سبيل وللسبيل دليل قلنا الآيات والاخبار تدل
على السبيل والدليل والدليل ظاهر كما قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله فالسبيل الى الاكتساب
هو المتابعة والدليل الى المحبة وسبيلها محمد رسول الله وصورة الاكتساب قوله عم حكاية عن ربه تعالى لا يزال العبد
يتقرب الى بالنوافل حتى احبه الحديث ونحن مأمورون بالتقرب وهو الكسب فلا بد لنا من امتثال الامر الظاهر
الذى يحكم به الشرع والله يتولى السرائر التى هى مبدء بدر المحبة الازلية بدو هقعة يحبهم ولا شك فى وقوع
هذا البدر انه من المواهب الالهية الازلية ولا مدخل للاكتساب فيه ولكن من سنة كرم الله تعالى ان يجعل لتربية

بدر المحبة مدخلا للعباد ليس للخلافة وهذا القدر كاف فى هذا الباب والله اعلم قال رحمه الله ثم اعلم ان
المحبة على ثلاثة اقسام محبة انسانية ومحبة ايمانية ومحبة ربانية فاما المحبة الانسانية ماهو مركوز فى الجبلة الانسانية
ولازم لوجوده لانه جبلت القلوب على حب من احسن اليها وهى على ضربين محبة روحانية ومحبة نفسانية فالمحبوبات
المحبة الروحانية مثل التاله والتعبد والرياضات والمجاهدات والعلوم العقلية وافعال الخير والاخلاق الحسنة
والصور الجميلة وغيرها ويشترك فى هذه المحبة المؤمن والكافر وكذلك محبوبات المحبة وهى ما قال تعالى زين
للناس حب الشهوات الآية واما المحبة الايمانية فهى نتايج نور الايمان من ازداد نور ايمانه ازدادت محبته واخبر الله
تعالى عن المحبة الانسانية والايمانية بقوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين
امنوا اشد حبا لله وعلامة هذا الحب المحبة الابتداء محبة للموافقة على القلوب وان عاج محبة المخالفة عنها واستطابة
روح المؤانسة واولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون قد اشتغلت قلوبهم بدوام ذكر المحبوب عن اللذات
واشتعلت نار المحبة دواعى الشهوات فانحسمت مواد المخالفة وانقطعت هواجس التبعات كما قيل

تعصى الاله وانت تظهر حبه • هذا محال فى الفعال بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته • ان المحب لمن يحب مطيع
فى كل يوم يبتديك بنعمة • منه وانت لشكر ذاك مضيع

واما المحبة الربانية فهى صنعة الله تعالى المنعكسة فى مراة قلوب المحبين المحبوبين عند قوله تعالى يحبهم ويحبونه وعلامة هذه
المحبة متابعة الرسول عم فى الظاهر فى ملازمة الفرائض ومداومة النوافل كما قال عم يقول الله تعالى لن يتقرب الى
المتقربون بمثل اداء ما افترضت عليهم ولا يزال العبدى يتقرب الى بالنوافل حتى احبه الحديث وعلامتها فى الباطن
ان لا يؤثر على الله غير الله ولا يكون متولى امره غير الله والله غالب على امره والتفاوت من القوم فى المحبة على قدر
العناية من الله وكثرة الرعاية من العبد وتعاهد المعرفة بتصفية اليقين والصدق فى المطلب وعلامة ذلك المسارعة
والمبادرة والحث على السير وحسن الالتجاء الى الله تعالى فى كل حال قال احمد بن ابى الحوارى حججت انا وسليمان الدارانى
فبينا نحن نسير اذ اسقطت السطيحة فقلت لابى سليمان فقدت السطيحة وبقينا بلا ماء وكان برد شديد فقال
ابو سليمان يا راد الضالة ويا هادى من الضلالة اردد علينا الضالة فاذا واحد ينادى من ذهبت له سطيحة قال فقلت انا
فاخذتها فبينا نحن نسير وقد تدرعنا بالفراء لشدة البرد فاذا نحن بانسان عليه طمران وهو يرشح عرقا فقال
ابو سليمان تعال ندفع اليك مما علينا فقال لى يا ابا سليمان اتشير الى الزهد وتجد البرد وانا اسيح فى هذه البرية منذ ثلثين
سنة ما انتفضت ولا ارتعدت يلبسنى فى البرد فيحا من محبته ويلبسنى فى الصيف برد محبته انتهى ملخصا من كلام الشيخ
نجم الدين الرازى هذا وقد كثرت اقوال المشايخ العارفين فى المحبة قال سلطان العارفين ابو يزيد البسطامى المحبة
استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك وقال سهل بن عبد الله التسترى الحب معانقة الطاعة
ومباينة المخالفة وسئل الجنيد عن المحبة فقال دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب وقال ابو عبد الله القرشى
حقيقة المحبة ان تهب كلك لمن احببت فلا يبقى لك منك شىء وقال الشبلى سميت المحبة محبة لانها تمحو من القلب
ما سوى المحبوب وقال سمنون ذهب المحبون بشرف الدنيا والاخرة لان النبى عم قال المرء مع من احب فهم مع الله

وقال يحيى بن معاذ الرازى حقيقة المحبة ما لا ينقص بالجفا ولا يزيد بالبر وقال ايضا ليس بصادق من ادعى المحبة ولم يحفظ حدوده وقال الجنيد اذا صحت المحبة سقط شروط الادب وفى معناه انشد

اذا صفت المودة بين قوم • ودام ولاهم سمج الثناء

وقال ابو يعقوب السوسى حقيقة المحبة ان ينسى العبد حظه من الله تعالى وينسى حوايجه اليه وقال الحسين بن منصور حقيقة المحبة مع محبوبك بخلع اوصافك قيل للنصرابادى قالوا ليس لك فى المحبة شيء فقال صدقوا ولكن حسراتهم نوادا حترق فيها وقال ايضا المحبة مجانبة السلوة على كل حال ثم انشد

ومن كان فى طول الهوى ذاق سلوة • فانى من ليلى لها غير ذائق

واكثر شيء نلته من وصالها • امانى لم تصدق كلمحة بارق

وقال محمد بن الفضل المحبة سقوط كل محبة عن القلب الا محبة الحبيب وقال الاستاد ابو على الدقاق فى معنى قوله ع م حبك الشيء يعمى ويصم فقال يعمى عن الغير غيرة وعن المحبوب هيبة ثم انشد

اذا ما بدا لى تعاظمنه • فاصدر فى حال من لم يرده

وقال الجنيد سمعت الحارث المحاسبى يقول المحبة ميلك الى شيء بكليتك ثم ايثارك له على نفسك وروحك ومالك ثم موافقتك له سرا وجهرا ثم علمك بتقصيرك فى حبه وقال الجنيد سمعت السرى يقول لا تصلح المحبة بين اثنين حتى يقول الواحد للآخر يا انا وقال الشبلى المحب اذا سكت هلك وقال النورى المحبة هتك الاستار وكشف الاسرار وقال يعقوب السوسى لا تصلح المحبة الا بالخروج عن روية المحبة الى روية المحبوب بفناء علم المحبة وقال الجنيد دفع السرى الى رقعة وقال هذا خير لك من سبعمائة قصة وحديث يعلو فاذا فيها

ولما ادعيت الحب قالت كذبتنى • فما لى ارى الاعضا منك كواسيا

فما الحب حتى يلصق القلب بالحشا • وتذبل حتى لا تجيب المناديا

وتنحل حتى لا يبقى لك الهوى • سوى مقلة تبكى بها وتناجيا

وقال ابن مسروق رايت سمنونا يتكلم فى المحبة فتكسرت قناديل المسجد وقال ابن مقاتل سمعت سمنونا وهو جالس فى المسجد يتكلم فى المحبة اذ جاء طاير صغير حتى قرب منه فلم يزل يدنو حتى جلس على يده ثم ضرب بمنقاره على الارض حتى سال منه الدم ثم مات وقال على بن عبيد كتب يحيى بن معاذ الرازى الى ابى يزيد سكرت من كثرة ما شربت من كاس محبته فكتب اليه ابو يزيد يقول لغيرك شرب بحور السموات والارض وما روى وبعد ولسانه خارج ويقول هل من مزيد

وانشدوا فى هذا المعنى

عجبت لمن يقول ذكرت ربى • وهل انسى فاذكر ما نسيت

شربت الحب كاسا بعد كاس • فما نفذ الشراب ولا رويت

قيل اوحى الله الى عيسى ع م اذا اطلعت على قلب عبدى فلم اجد فيه حب الدنيا والآخرة ملاءته من حبى وقال عبد الله بن المبارك من اعطى شيئا من المحبة ولم يعط مثله من الخشية فهو مخدوع وقيل المحبة سكر لا يصحو صاحبه الا بمشاهدة محبوبه ثم السكر الذى يحصل عند الشهود لا يوصف وقال يحيى بن معاذ خردلة من الحب احب الى من عبادة سبعين سنة بلا حب قيل اوحى الله الى داود ع م يا داود انى حرمت على القلوب ان يدخلها حبى وحب غيرى قيل احسن بول

التهم

فضيل بن عياض فرفع يديه وقال يحيى لك الا اطلقته عنى قيل فما برح حتى شفى وحكى عن ابى سعيد الخراز انه قال رايت النبى ع م فى المنام فقلت له يا رسول الله اعذرنى فان محبة الله شغلتنى عن محبتك فقال يا مبارك من احب الله فقد احبنى وقالت رابعة فى مناجاتها الهى اتحرق بالنار قلبا يحبك فهتف بها هاتف ما كنا نفعل هكذا فلا تظنى بنا ظن السوء وقيل الحب حرفان حاء وباء والاشارة فيه ان من احب فليخرج عن روحه وبدنه ولان الحاء من اقصى الحلق والباء من الشفتين فالحاء الابتداء والباء للانتهاء للاشارة الى الاحاطة بالطرفين وان ابتداه من المحبوب وانتهاؤه اليه واعطو الحب حركة الضم التى هى اشد الحركات واقواها مطابقة لشدة الحب واعطو المحب الذى هو المحبوب حركة الكسر لخفتها وخفة المحبوب وذكره على السهم فتامل فى المناسبة بين الالفاظ والمعانى ثم اعلم ان المشايخ قد اختلفوا فى ان المحبة هل هى صدف درة المعرفة او المعرفة صدف درة المحبة فان المحبة بغير المعرفة لا يمكن حصولها وان المعرفة بدون المحبة لا يمكن وصولها قال الشيخ نجم الدين الرازى كوشف لى ان المعرفة صدف درة المحبة لان المحبة من صفات الله والمعرفة من صفات العبد قال الله تعالى فاحببت ان اعرف فقد اضاف المحبة الى نفسه والمعرفة الى غيره والمحبة قديمة والمعرفة حادثة والقديم اولى بالدرية والحادث احرى بالصدفية الى آخر ما ذكره رحمه الله ثم اعلم ان للمحب علامات يعرف بها ويعرف بها نفسه وقد ذكروا من ذلك اشياء كثيرة واطنبوا الكلام فى ذلك ونحن نقتصر على بعض ذلك جاء فى الروايات ان الله تعالى يقول كذب من ادعى محبتى فاذا جنه الليل نام عنى اليس كل محب يحب خلوة حبيبه ها انا مطلع على احبائى فاذا جنهم الليل جعلت ابصارهم فى قلوبهم ومثلت نفسى بين اعينهم فخاطبونى عن مشاهدة وسألونى عن حضور فلم يحملنى الا ان ارواح ابدانهم يوم القيمة والناس فى هم وكرب وهم على كراسى من نور تحت عرشى ولابى تراب النخشبى فى علامات المحبة

لا تخدعن فللحبيب دلائل • ولديه من تحف الحبيب وسائل

منها تنعمه بمر بلائه • وسروره فى كل ما هو فاعل

فالمنع منه عطية مقبولة • والفقر اكرام وبر عاجل

ومن الدلائل ان يرى من عزمه • طوع الحبيب وان الح العاذل

ومن الدلائل ان يرى متبسما • والقلب فيه من الحبيب بلابل

ومن الدلائل ان يرى متفهما • لكلام من يحظى لديه السائل

ومن الدلائل ان يرى متقشفا • متحفظا من كل ما هو قائل

وقال يحيى بن معاذ

ومن الدلائل ان تراه مشمرا • فى خرقتين على شطوط الساحل

ومن الدلائل حزنه ونحيبه • جوف الظلام فما له من عاذل

ومن الدلائل ان تراه مسافرا • نحو الجهاد وكل فعل فاضل

ومن الدلائل زهده فيما يرى • فى دار ذل والنعيم الزائل

ومن الدلائل ان تراه باكيا • ان قد راه على قبيح مفاعل

ومن الدلائل ان تراه مسلما • كل الامور الى المليك العادل
ومن الدلائل ان تراه راضيا • بمليكه فى كل حكم نازل
ومن الدلائل ضحكه بين الورى • والقلب محزون كقلب الثاكل

وقد اشار الشيخ عمر بن الفارض فى التائية الى ذلك فى ابيات معرفة منها

وما حل بى من محنة فهو منحة • وقد سلمت من حل عقد عزيمتى
فكل اذى فى الحب منك اذا بدا • جعلت له شكرى مكان شكيتى
نعم وتباريح الصبابة ان عدت • علىّ من النعماء فى الحب عدت
ومنك شقائى بل بلائى منة • وفيك لباس البؤس اسبغ نعمة

قال الامام الغزالى ومنها اى من العلامات كتمان الحب واجتناب الدعوى والتوقى من اظهار الوجد والمحبة تعظيما للمحبوب واجلالا له وهيبة منه وغيرة على سره فان الحب سر من اسرار الحبيب ولانه قد يدخل فى الدعوى ما يتجاوز حد المعنى ويزيد عليه فيكون ذلك من الافتراء وتعظم العقوبة عليه فى العقبى وتعجل عليه البلوى فى الدنيا نعم قد يكون للمحب سكرة فى حبه حتى يدهش فيها وتضطرب احواله فيظهر عليه حبه فان وقع ذلك عن غير تعمل واكتساب فهو معذور لانه مقهور وربما تشتعل من الحب نيرانه فلا يطاق سلطانه وقد يفيض القلب به فلا يندفع فيضانه

فالقادر على الكتمان يقول
وقالوا قريب قلت ما انا صانع • بقرب شعاع الشمس لو كان فى حجرى
فما لى فيه غير ذكر بخاطر • يهيج نار الحب والشوق فى صدرى

والعاجز يقول
يخفى ويبدى الدمع اسراره • ويظهر الوجد عليه النفس

ويقول ايضا
ومن قلبه مع غيره كيف حاله • ومن سره فى جفنه كيف يكتم

وقال بعض العارفين اكثر الناس من الله عز وجل بعدا اكثرهم شهادة اشارة به كانه اراد من يكثر التعريض به فى كل شىء ويظهر التصنع بذكره عند كل احد فهو ممقوت عند المحبين والعلماء بالله عز وجل ودخل ذو النون المصرى على بعض اخوانه ممن كان يذكر المحبة فراءه مبتلى ببلاء فقال لا يحبه من وجد الم ضربه فقال الرجل لكنى اقول لا احبه من شهر نفسه بحبه فقال الرجل استغفر الله واتوب اليه فان قلت المحبة منتهى المقامات واظهارها اظهار للخير فلماذا تستنكر فاعلم ان المحبة محموده وظهورها ايضا محمود وانما المذموم التظاهر بها لما يدخل فيها من الدعوى والاستكبار وحق المحب ان ينم على حبه الخفى افعاله واحواله دون اقواله وينبغى ان يظهر حبه من غير قصد منه الى اظهار الحب ولا الى اظهار الفعل الدال على الحب بل ينبغى ان يكون قصد المحب اطلاع الحبيب فقط فاما ارادته اطلاع غيره فشرك فى الحب وقدح فيه كما ورد فى الانجيل اذا تصدقت فتصدق بحيث لا تعلم شمالك ما صنعت يمينك فالذى يرى الخفيات يجزيك به علانية فاذا صمت فاغسل وجهك وادهن رأسك لئلا يعلم بذلك غير ربك فاظهار القول والفعل كله مذموم الا اذا غلب سكر الحب فانطلق اللسان واضطربت الاعضاء فلا يلام به صاحبه الى اخر مقاله نفعنا الله باقواله واحواله اللهم اجعلنا من جملة احبابك المستمسكين بكتابك وفى البيت الجناس اللاحق بين الصب والحب والمقابلة بين المنسجم الذى هو من اوصاف الدمع التشبيه بالماء والمضطرم الذى

هو

هو من اوصاف النار المضادة للماء والمجاز بالحذف والانسجام والمماثلة الوزنية بين منكتم ومضطرم منسجم

لولا الهوى لم ترق دمعا على طلل • ولا ارقت لذكر البان والعلم

لولا حرف تدل على امتناع الثانى لوجود الاول ويرتفع ما بعدها بالابتداء عند البصريين وبالفاعلية عند الكسائى وبها نفسها عند الفراء وابن كيسان وبتقدير لو لم يحضر عند بعض متقدمى النحاة وزعم الاخفش انه لا يؤتى بهذا المرفوع بحال وحكى الكسائى عن ايوب لولا راسه مدهونا لكان كذا الهوى بالقصر هو النفس وجمعها هواء والمراد بها هنا الحب مصدر هوى اى حب وبابه صدى وهو مبتداء محذوف خبره وجوبا لسد جواب لولا مسده وكونه كونا عاما وشرط الجواب ان يكون مصدرا بفعل ماض او مضارع مجزوم بلم فان كان الماضى مثبتا قرن باللام غالبا وان كان منفيا تجرد منها غالبا اى لولا الهوى موجود لم ترق بضم التاء الفوقية وكسر الراء مضارع اراق من الاراقة وهى صب الماء حذف الهمزة من مضارعه كراهة اجتماع الهمزتين فى فعل المتكلم ثم حملوا بقية اقسام المضارع عليه كما قالوا فى يكرم ومن ابدل الهمزة هاء وقال هراق ابقاها فى المضارع لانتفاء العلة المذكورة وقال يهريق كيدحرج ولا يجمع بين العوض والمعوض واما من قال اهراق بهمزة بعدها هاء ساكنة فانما زادها عوضا عن حركة عين الفعل فيقول فى المضارع يهريق بحذف الهمزة وبقاء الهاء ساكنة والمعنى هنا امتنع نفى الاراقة والارق لوجود الهوى ولا امتناع نفى ونفى النفى اثبات فالمتحصل هنا وجودها لوجود الهوى اى لم تصب دمعا مفعول به وتنوينه للتعظيم او للتكثير او للعوض من المضاف اليه اى دمعك بدليل ترق وعلى اما للاستعلاء كما هو اصل وضعها واما للتعليل كما هو قوله تعالى ولتكبروا الله على ما هداكم اى لاجل طلل بفتح الطاء المهملة واللام متعلق بترق وجملة لم ترق ومعمولها جواب لولا لا محل لها من الاعراب لانها جواب شرط غير جازم ولسده مسد الخبر كره حذفه بخلاف جواب لو حيث يكثر حذفه وقد يحذف جواب لولا اذا دل عليه دليل اما من المعنى واما من لفظ مقدم على لولا يدل على الجواب فالاول نحو قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم اى لواخذكم ومثال الثانى وهم بها لولا ان رأى برهان ربه اى لهم بها وقوله تعالى ان كادت لتبدى به لولا ان ربطنا على قلبها اى لا بدت به قال ابو حيان وقد منع قوم تقديم جواب لولا والذى نختاره جوازه وهو ظاهر الايتين فيجوز هلكت لولا الانذار لتك وهلكت لولا ان تخلصنى وان لم يقع هلاك والطلل ما شخص من اثار الدار والجمع اطلال وطلول واما ما كان لاصقا بالارض فيسمى رسوما كالاثافى واماكن الاوتاد ومواضع النيران ومثال كل ذلك وتنكيره للتعظيم ان اراد به طللا كان نزل به من يحب او مر به مرة او نسب اليه بوجه من الوجوه او للتحقير ان اراد به طللا من الاطلال مطلقا فانه يذكره باطلال الاحباب فكانه اى طلل مر به ذكره طلل احبابه فبعثه ذلك على اراقة دمعه فكيف برؤية طلل الحبيب • هنالك يكثر البكاء والنحيب • والعويل والوجيب • ومازالت العشاق يبكون الاطلال والاثار • ويذرفون الدموع على الرسوم والاثار • حتى طفحت بذلك غدر الاشعار لله ابن المولى فى قوله

وقد طال توقافى اكفكف عبرة • على دمنة كادت لها النفس تزهق
وانسان عينى فى دوائر لجة • من الماء يبدو تارة ثم يغرق
وللعين من دمعى سحائب • مرشى الرجا والجايل المترقرق

وهذا المتنبي يقول

بكيت يا ربع حتى كدت ابكيكا • وجدت بي وبدمعي في مغانيكا

نعم صباحا لقد هيجت لي شجنا • واردد تحيتنا انا محيوكا

باي حكم زمان صرت متخذا • رئم الفلا بدلا من رئم اهليكا

ايام فيك شموس ما انبعثن لنا • الا ابتعثن دما باللحظ مسفوكا

والعيش اخضر والاطلال مشرقة • كان نور عبيد الله يعلو كا

وقال

اجاب دمعي وما الداعي سوى طلل • دعا فلباه قبل الركب والابل

ظللت بين اصيحابي اكفكفه • وظل يسفح بين الغدر والعدل

وما اظرف الارجاني حيث يقول من جملة قصيدة

ولله ربع من امية عاطل • توشحه الانداء باللؤلؤ الرطب

جعلت به قيد الركائب وقفة • اذا شاربع الحي طالت على صحبي

رميت محيا دارهم عن صبابة • بسابحة الانسان سابحة الغرب

اروى بها خدي وقد القيت عن • وقد يتخطى الغيث امكنة الجدب

وانما اوردت شواهد المعلقة في هذا السلك للاستغناء باشتهارها اشتهار قفا نبك وهو في كلامهم مشهور ودرر كلامهم كدموعهم منظوم ومنثور ولا ارقت بفتح الهمزة وكسر الراء من باب طرب من الارق وهو السهر واختياره عليه لما فرق بعضهم بينهما بان الارق ما استدعاه والسهر ما استدعيته والعاشق مستدعى للارق وقال في المحكم الارق ذهاب النوم لعلة معطوف على جواب لولا مزيدة لتوكيد النفي واختيارها على ما لان المعطوف عليه مضارع اللفظ وان كان ماضي المعنى فروعي لفظ لذكر مفعول لاجله متعلق بارقت اي لاجل ذكر البان والعلم المشبه بهما المحبوب في طول القامة وحسن الهيئة وطيب الرائحة والبان شجر معروف ممشوق الاغصان مشهور بالميس والميلان مالوف في الاوصاف معروف بشجر الخلاف والعلم الجبل او العلامة وفي الجلال الجلي بالرمح في رأسه راية اي لمناسبته للبان ولا يجوز هنا ان يراد به الكفل بمناسبة ذكره في صحبة البان المشبه به القد كما هو مذكور في كلام كثير من الشعراء لان المقام ياباه اذ القصيدة نبوية كما تقدمت الاشارة اليه ذلك بل المراد بالعلم على القول بانه الجبل الذي نزله المحبوب والبان الشجر الذي حوله فاللام للعهد وتعريفهما للعلم بهما كانه لا بان ولا جبل غيرهما او اللام للجنس اي بارق لجنس البان وجنس العلم وعلى القول بان المراد بالرمح لمناسبته للبان فلمشابهته للقدود وما زالت الشعراء يشبهون القدود باغصان البان وبالرماح وهذا في كلامهم اكثر من تلك الاغصان • واعرف من هاتيك الكثبان • وذكروا التشبيه وجوها لا تخفى حسنها بل ترفعوا عن ذلك باموز زائدة في القدود • راى قصر الاغصان ثم راى القنا • طوالا فاضحى بين ذلك قواما وما احسن قول بعضهم

قاسوك بالبان في التثني • قياس جهل بلا انصاف

فذاك غصن الخلاف يدعى • وانت غصن بلا خلاف

واما السهر والارق • والوجد والقلق • ومقاسات الشدائد والالم • عند تذكر البان والربع والعلم •

فأمر شهير • لا يحتاج الى تقرير • لانه عادة الفها العشاق • لا سيما ليالي النوى وايام الفراق قال المتنبي

ارق على ارق ومثلي يارق • وجوى يزيد وعبرة تترقرق

جهد الصبابة ان تكون كما ارى • عين مسهدة وقلب يخفق

مالاح برق او ترنم طائر • الا انثنيت ولي فؤاد شيق

وما احسن قول ابن العفيف في هذا المعنى الظريف

كم ليلة قضيتها متسهدا • والدمع يجرح مقلتي مسكوبه

والنجم اقرب من لقاء منالم • عندي وابعد من رضاء منعبيه

حتى لكثرة السهر وطول الليل نسوا النهار وايسوا الاسفار • خبر وفي عن النهار حديثا • او صفوه فقد نسيت النهار

ما اظرف ابن منقذ حيث يقول

ولرب ليل تاه نجم صباحه • فقطعته سهرا فطال وعسعسا

وسالته عن صبحه فاجابني • لو كان في قيد الحياة تنفسا

بل المحب المستهام • لا يعرف المنام • كل نوم على المحب حرام • فقد الفسهر الليالي • في حالتي النوى والوصال •

قال حبيبي وقد زارني • فبت لطلعته اسهد

اذا لم تنم ليل الوصال • وليل الصدود متى ترقد

وهجر الرقاد وعدم النوم امر بين العشاق مقرر ومعلوم ابدا يقطعون ايامهم بالجوى والقلق ولياليهم بالحرق والارق وفي البيت الجناس المطلق بين ترق وارقت وقد يتوهم ان مثل هذا من الجناس المشتق وليس كذلك فان مرجع المطلق الى اختلاف المعنى والمشتق الى اتحاد المعنى كما نص على ذلك اهل البديع مع شدة التشابه بينهما وخفاء الفرق وفيه الالتفات من الغيبة الى الخطاب لاقامة شاهدي العدل على حبه وهواه وتيمه وجواه بعد ان اورد اولا على سبيل الاستفهام شاهدي الانسجام والاضطرام وذكرهما حال الغيبة على معنى انه لا ينبغي لها كتمهما بعد الاقرار بهما ولما خالف في اسلوب الطريقة الالتفاتية خالف اسلوب الشهادة اما اراقة الدمع اولا فلانه كان بقية لاعتدام ظاهر حتى يشعر بالمحبة بل حالة التذكر وهو امر خفي لا يعلم الا منه وهو حالة ابتداء المحبة حين كان مستترا كاتما وهنا اراقة عند مشاهدة الاطلال اظهار الحال تذكرا لمن كان بها من الاحباب والدل والشاهد الثاني الارق لذكر البان والعلم والارق وان كان ناشيا عن الاضطرام باعتبار تخفيف الفضلات والرطوبات الا انه شاهد مستقل في افادة الغرام وبما قررناه خاطبه بقوله

فكيف تنكر حبا بعد ما شهدت • به عليك عدول الدمع والسقم

الفاء قيل فصيحة وقيل عاطفة على الشرط وكيف استفهام جاء للتعجب هنا عن انكار الحب بعد ظهوره او للانكار التوبيخي بمعنى ما كان ينبغي الانكار وكيف اسم مبهم جامد غير متمكن مبني واعتبار لاخره لالتقاء الساكنين وبني على الفتح دون الكسر استثقالا للكسر مع الياء وعن سيبويه ان كيف ظرف وعن السيرافي والاخفش انها اسم غير ظرف فالمعنى وترتب على هذا الخلاف امور احدها ان موضعها عند سيبويه نصب دائما وعندهما رفع مع المبتدا

نصب مع غير وانكر ابن مالك كونها ظرفا وقال لم يقل احد ان كيف ظرف اذ ليست زمانا ولا مكانا ولكنها لما كانت تفسير
لقولك على اي حال لكونها سؤالا عن الاحوال سميت ظرفا لانها في تأويل الجار والمجرور واسم الظرف يطلق عليها مجازا
انتهى قال ابن هشام في المغني بعد نقله وهو حسن ويؤيده الاجماع على انه يقال في البدل كيف انت اصحيح ام سقيم
بالرفع ولا يبدل المرفوع من المنصوب انتهى تنكر حبا بالانكار لوازمه مع انكاره وتنكيره للتعظيم بدليل ما قبله وما بعده
من الشواهد او للتعليل بمعنى ان الحب ولو كان قليلا لا يمكن انكاره لما يلوح على صاحبه من الشواهد فكيف اذا كثر
وعظم وتنكير مضارع انكر الرباعي وهو اكثر من انكر الثلاثي مع ورودها وقد اجتمعا في قول بشار اذا
انكرتني بلدة او نكرتها خرجت مع البازي على سواد بعد ظرف زمان منصوب بتنكر ما شهدت به عليك ما مصدرية
وما بعدها صلتها وهي وصلتها في تأويل مصدر مجرور باضافة بعد اليها والتقدير بعد شهادة وبه وعليك
متعلقات بشهدت قدما على الفاعل وضمير به للحب او موصولة والعائد في به لها وفي شهدت استعارة تبعية لان دلالة
الواضحة والعدول الدمع والسقم ترشيح واضافة عدول الى الدمع والسقم للبيان وقيل من باب جرد قطيفة وقيل بمعنى
من اي العدول المستفادة من جهتهما واستعمال الجمع في الاثنين شايع عندهم كقوله تعالى فقد صغت قلوبكما او باعتبار
تعدد قطر الدمع وحالات السقم حتى ان كل قطرة او كل حالة صارت شاهدا عدلا على حبه وغرامه وتتيمه وهيامه
وانما جمعه مع كونه في الاصل مصدرا لانه لما كثر الوصف به اجري مجرى الصفات فجاز تثنيته وجمعه والسقم بفتحتين كالسقم
بوزن الحزن والحزن المرض الطويل والجمع سقام ومما كتب به الفقير في هذا المعنى لبعض الاخوان

كتوم غرام احمرته القرايح	ونار غرام احمرته الجوانح
وبين فوادي والجفون تجادل	يسر فتبديه الجفون القرايح
فؤاد يسر الحب خيفة عاذل	وجفن باسرار المحبة بايح
جفوني تنادي الدمع وهو مزاحم	فيهمي لهم فوق خدي سايح
خليلي رفقا كيف يكتم في الهوى	غريم غرام والدموع فوايح
وكيف واني بين اضلع شوقه	تلهب نار جمرها الحب قادح
جمعت لاضداد بحرق مفردا	لجمي واخفاء عليه لوايح

وفي البيت المقابلة بين انكار الحب والشهادة به المستلزمة لثبوته والاستعارة في شهدت وعدول ومراعاة
النظير بين الانكار والشهادة والعدول ويمكن ان يكون فيه التوسيع بتكلف اي العادلان الدمع والسقم
وابثت الوجد خطي عبرة وضنا مثل البهار على خديك والعنم
وابثت عطف على شهدت مشارك له في حكمه اي كيف تنكر حبا بعد ما شهدت وابثت الوجد اسم للحزن من المحبة
من وجد وجدا بالفتح وقد شاع الوجد في الفاظ الشعراء بمعنى الحزن الناشي من المحبة وبمعنى الاصابة من وجد
فلان فلانا لقيه ووجد عليه حزن ونقل القاضي ابو الفضل بن المليق عن النوري انه قال الوجد لهيب ينشاء
في الاسرار عن الشوق فتضطرب له الجوارح طربا وحزنا عند ذلك الوارد وقيل الوجد وجد نسيم الحبيب لقوله تعالى حكاية
عن يعقوب عليه السلام اني لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون وقال ابو سعيد الخراز كل وجد يظهر على الجوارح

وفي القلب ادنى حركة له فهو مذموم ومنه قول بعضهم

اني كذبتك ليس لي	وجد بوافق ما لقيت
لو كان لي وجد علي	مقدار ما القى فنيت

وذكر الوجد عند بعضهم من المحققين فقال يبلغ بحيث يضرب وجهه بالسيف ولا يحس قال الجنيد وكان في نفسي
من ذلك شيء حتى صح عندي وقيل الوجد نيران الشواق تثيرها رياح المحبة عند سماع او ذكر محبوب خطي عبرة بفتح العين
هي ما سال من دمعها ولعل تسميتها بذلك لانها تعبر عما كمن في القلب من الوجد والمتعبر الرجل جرت عبرته فهو عابر
وقيل هي انهمال الدمع من غير سماع بكا وقيل العبرة الدمعة قبل ان تفيض وقيل تردد البكا في الصدر وقيل الحزن بلا
بغير بكاء والجمع عبرات وعبر وفي قوله ابثت الوجد استعارة تبعية مكنية استعار ابثت لاظهر والوجد قرينتها كما تعارفوا
على ما ذكره القوم من ان المستعار بالكناية لفظ المشبه به المستعار للمشبه في النفس المرموز اليه بذكر لوازمه من غير تقدير
في نظم الكلام وذكر اللازم قرينة على قصده من غرض الكلام واما على ما يشعر ظاهر كلام السكاكي من انها لفظ المشبه
المستعمل في المشبه به بادعاء ان المشبه عين المشبه به فاختار رد التبعية اليها بجعل قرينتها استعارة بالكناية وجعل
التبعية قرينتها عكس ما ذكره القوم ومثل نطقت الحال بكذا وقوله خطي عبرة ترشيح وحاصل ما ذكره للعتيم تنبيه المستفهم
بعدما يريد اثبات الحب على منكر ظهرت عليه شواهد المحبة من نفسه وهم شهود عدول لا يمكنه الطعن فيهم فاقام تلك
الشواهد عند الوجد المشبه بقاض وكتب الوجد خطي عبرة بذلك تسجيلا على ما ثبت وقيل اسناد الاثبات الى الوجد
مجاز عقلي من قبيل سر تنشر رؤيتك وهو سبب قريب والسبب الاولى في ذلك هو الحب وضنا عطف على خطي
والضنا المرض من ضني بالكسر يقال اضناه المرض اي اثقله والمراد به هنا اثر الناشي عنه عادة وهو صفرة في اللون
وقال في الصحاح البهار بالفتح العرار الذي يقال له عين البقر وهو بهار البر وهو نبت جعد له فقاحة صفراء ينبت ايام
الربيع يقال لها العرارة وقال ابن السيد له نور اصفر ولهذا اشبه لون العاشق به وقيل هو النرجس على خديك والعنم بفتح العين
العين المهملة والنون شجر له اغصان حمر لينة تشبه البنان يقال بنان معنم اي مخضوب وقال ابو عبيدة هو اطراف
الخرنوب الشامي وقال ابن الخشاب هو نبت بالهند له حب احمر وهو عائد الى خطي عبرة وتثنية الخط لان لكل عين
خطا ووجه التشبيه في الاول الصفرة وفي الثاني الحمرة بغلبة الدم على الدمع حتى صار احمر اللون قال المتنبي

فقد صارت الاجفان قرحى من البكا	وصار بهارا في الخدود الشقايق

وقيل ضنا عطف على عبرة اي ابثت على خديك خط عبرة مثل العنم وخط ضنا مثل البهار والنشر المشوش بحاله وفيه ايثار
الخط للضنا مع ان الضنا لا خط له وقيل عطف على خطي ومثل البهار والعنم صفة خطي باعتبار امتزاج الدمع بالدم في
حالتين فانه يكون اصفر فاذا غلب الدمع على الدم صار احمر كالعنم وفيه فصل بين الصفة والموصوف بالاجنبي ويجوز
ان يكون مثل صفة لمفعول مطلق اي ابثت اثباتا مثل اثبات البهار وقيل منصوب على الحالية او على انه مفعول ثان لابثت
بتضمينه معنى جعل ولا ينافي بين وقوعه صفة كما تقدم او حالا مع اضافته الى ما فيه الالف واللام مثل من الالفاظ التي لا تتعرف
بالاضافة وهي كلمة تسوية يقال مثله ومثله كما يقال شبهه وشبهه قال الراغب المثل عبارة عن المشابهة لغيره في معنى من المعاني
وهذا واصفرار الوجه علامة ظاهرة وعلة باهرة تعرف بها العشاق ان الذي يعشق معروف لانه اصفر مخوف

وذلك لان العاشق اذا ذكر من يهوى يحرب دمه ويستحيل لونه وترتعد فرايصه والحكمة فى ذلك ما ذكره بعض الاطبا
ان سبب اصفرار وجه العاشق الفزع فان الدم لا يأوى مع الفزع وربما نظر المعشوق الى العاشق فجأة فيضطرب قلبه وتشتعل
الحرارة وتخمد فاذا خمدت برد الناموس وجمد الدم واستحال اللون على السواد او الخضرة ثم يتصفى فيصفر واما احمرار وجه
المعشوق فمن الخجل والخجل يعرض من حركة ناموس القلب فيحمى الدم ويلطف فيظهر فى ارق مكان فى الوجه وذلك عند معالجة
الحرارة العرضية ومجاهدتها الدم لما يندفع فيطلب الخلاص حتى ينتهى الى تحت الركن فيمنعه الحاجز من النفوذ فيهبط
الى الوجه الرقيق البشرة الصافى الاديم ومن كان بهذه الصفة فاذا خجل احمر فاذا فزع اصفر وقولهم ديباجة الوجه
يريدون تلونه من رقته فحمرة لون الانسان يولدها الفرح والفضيحة وصفرته يولدها الفزع والبؤس والغم والسقم
انتهى ثم اعلم ان العشق يكسو كل انسان عكس طباعه • بحسب ما يظهر عليه من اثاره • وقد لا يظهر على بعض العشاق حالة
غرام من صفرة لون ونحافة جسم كما اعتذر بعضهم بقوله

احب قلبى وما درى بدنى • ولو درى لم يقم على السمن

وقائلة ما بال جسمك جاسم • وعهدى باجسام المحبين تسقم

فقلت لها قلبى بسرى لم يبح • لجسمى فجسمى بالهوى ليس يعلم

وقد تختلف احوال المحبين فمنهم من اذا ذكر محبوبه اعتراه اصفرار فى لونه ورعدة فى مفاصله وتلعثم فى كلامه وجموده فى فمه
كما قال ابو بكر الصنوبرى

آية من علامة العشاق • اصفرار الوجه عند التلاقى

وانقطاع يكون من غير عى • وولوع بالصمت والاطراق

وسئل محمد بن داود متى يكون البليغ عيا قال اذا سال ما يتمناه وشكا حبه الى من يهواه ثم انشد

بليغ اذا يشكو الى غيرها الهوى • وان هو لاقاها فغير بليغ

فهذا يدل على ان البليغ يكون عيا عند سؤال المطلوب وكذلك المحب متى رام شكوى حاله الى محبوبه ولذلك قال بعضهم
موطنان لا انفك من العى فيهما اذا شكوت الى محبوبى عشقى واذا سالت حاجة لنفسى فان السائل قد يهاب المسؤل
ويتبع السائل مع الهيبة ذل السؤال سئل العتابى رجلا حاجة فاقل فى كلامه فقال له مالك بن طوق فى ذلك فقال كيف
لا يقل كلامى ومعى دهشة الداخل وحيرة الطلب وذل السؤال وخوف الرد انتهى • وكيف لا يعترى العاشق العى •
ويدهش فلا يفرق بين الحى والى • وقد وقف بين يدى محبوبه • الذى هو سؤله وغاية مطلوبه • وهو بصفة سالب عقله
والدو فكره داهل • بلى وحرمة الغرام • انه ليعذر حالة الخرس فكيف الكلام • ومنهم من اذا ذكر محبوبه زها لونه وانبسطت
نفسه وحسن نظمه ونثره الى غير ذلك من الصفات واجاب بعض الاطبا عن ذلك بان مرجع ذلك الى الطبيعة بحسب
ما يغلب على طبع العاشق من الحرارة او البرودة وربما ان هاتين الحالتين يوجدان فى انسان واحد بطبع واحد والجواب
الظاهر ان ذلك انما يكون بحسب حال المحب مع محبوبه فمن علم من محبوبه الجفا والهجر اعترته الصفرة وما ذكر معها واذا
علم اللطف والكمال والظرف والوصال اعترته الحالة السارة وقد يتلون محبوبه عليه فيتلون باعتبار تلوناته ونظير ذلك
ما ذكره ابن الميلق فى كتاب شرح اسماء الله الحسنى فقال فصل واعلم ان الله تع جعل قلوب العارفين بين شهود ثوابه
وافضاله وشهود عذابه ونكاله فاذا افكروا فى ثوابه وافضاله ازدادت رغبتهم واذا فكروا فى عذابه ونكاله ازدادت

دهشتهم وخوفهم انتهى والاصل فى ذلك كله ما ذكر عن جالينوس الحكيم ان فى القلب تجويفين ايمن وايسر
وفى التجويف الايمن من الدم اكثر من الايسر وفيهما عرقان يأخذان من الدماغ فاذا عرض للقلب ما لا يوافق مزاجه
ويكرهه انقبض فانقبض لقبضه العرقان فيصفر الوجه لذلك ويتألم الجسد ويتكدر له سائر الحواس واذا عرض
له ما يوافق مزاجه انبسط فانبسط لانبساطه العرقان فينبسط لذلك سائر الجسد ويصفو جميع الحواس وقوله
على خديك متعلق باثبت لشارة الحجر بان تلك الشهود العدول فى مجارى التزكية على وجه القبول بشهادة
الظاهر والباطن بالحب البايح والوجد الكامن • فاثبت قاضى الوجد خطه على ما جرى فلا يسعك الانكار
مع هذا الضنا • تضنى فى الهوى كالسم فى الشهد كامنا • لذذت به جهلا وفى اللذة الحتف فاظهر الوجد ولا تخفه
وصرح بمن تهوى ودعنى من التمويه

لا تخف ما صنعت بك الاشواق • واشرح هواك فكلنا عشاق

فعسى يعينك من شكوت له الهوى • فى حمله فالعاشقون رفاق

لا تجزعن فلست اول مغرم • فتكت به الوجنات والاحداق

واصبر على جور الحبيب فربما • عاد الوصال وللهوى اخلاق

فلما برح الجفا وصرح بالحب بعد الخفا التفت من الانكار فى الخطاب • الى التكلم والتحدث بحديث الاحباب •
وتجرد عن التجريد فى الحال الى التكلم مع التكلم فقال

وقد برح التبريح بى وابادنى • وابدى الضنا منى خفى حقيقتى

وقالوا جرت حمرا دموعك قلت عن • امور جرت فى كثرة الشوق قلت

نحرت لطيف الطيف من جفنى الكرى • قرا فجرى دمعى دما فوق وجنتى

نعم سرى طيف من اهوى فارقنى • والحب يعترض اللذات بالالم

نعم هنا حرف جواب عن الاستفهام السابق من الحب واثاره قال فى المغنى نعم بفتح العين وكنانة بكسرها وبها
قرا الكسائى وبعضهم يبدلها حاء وبها قرا ابن مسعود وبعضهم بكسر النون اتباعا لكسرة العين وهى
حرف تصديق ووعد واعلام فالاول بعد الخبر كقام زيد او ما قام والثانى بعد افعل ولا تفعل وما فى معناهما
نحو هلا تفعل وهلا لم تفعل وبعد الاستفهام فى نحو هل تعطينى والثالث بعد الاستفهام فى نحو هل جاءك زيد
وتأتى للتوكيد اذا وقعت صدرا نحو نعم هذه اطلالهم والحق انها فى ذلك حرف اعلام وانها جواب لسؤال
مقدر ولم يذكر سيبويه معنى الاعلام البتة بل قال واما نعم فعدة وتصديق ثم انه فرق بينهما وبين بلى فليراجع
وسرى اى ذهب ليلا وسنتكلم عليه ان شاء الله تعالى فى محله طيف من اهوى الطيف ما يحصل للنائم من خيال
محبوب او غيره واصله طيف فيعل بتشديد الياء فخففوه الى طيف بحذف عينه كما قالوا فى ميت ميت وقال الاصمعى
هو مصدر طاف وبه اخذ السهيلى فقال هو مصدر طاف الخيال يطيف طيفا ولا يقال منه طائف على فاعل لانه لا حقيقة
للخيال انما هو توهم وتخيل فان كان شيء له حقيقة قلت فيه طائف نحو قوله تعالى فطاف عليها طائف من ربك لان الذى
طاف له حقيقة ويقال انه جبريل عم واما قوله تعالى اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فقد قرى طيف ايضا

فطائف لا ت لا حقيقة وطيف لا تن عز ور الشيطان واماني تشبه بالخيال وما لا حقيقة له وقال ابو البقا اصله طوف بالواو من طاف يطوف قلبت الواو ياء وان كانت ساكنة ولذا ذكره الحكم في مادة الواو وايضا وسبب الطيف على ما ذكر وان النفس اذا ولعت بشيء حصل في القوة المتخيلة فيصير نصب اعينه وقبالة وجهه مستيقظا او نائما فاذا نام لا يجها تما قام بمخيلة راه خيالا فيحصل له نوع تسل في ذلك ولعت الشعرا بذكر الطيف في اشعارهم ومن اسم موصول مضاف اليه واهوى صلة الموصول والعائد محذوف وذاي جاء في خيال من اهواه الى **فأرقني** اي اسهرني وتركني في الم حيث لم اجد من اهوى ولا دام خياله بعد ان كنت في لذة من النوم والتضعيف للتعدية والمراد تقليل النوم المستلزم لتقليل وصال الخيال فان النوم يكون لوصال الخيال والخيال ياتي لا دفع النوم **والحب يعترض اللذات بالالم** الجملة اما حالية او اعتراضية واقعة بعد تمام الكلام على مذهب من يجوز ذلك كقوله عليه السلام انا سيد ولد ادم ولا فخر ويعترض اما من اعرض الشيء اي وقع في عرض ومنه اعترضت الخشبة النهر او اعترض الشيء حال دونه واللذة ادراك ما يلائم الطبع والالم ادراك ما لا يلائمه ولما كان الالم يغير اللذات ويزيلها فهو يعترض بذلك وفي يعترض اللذات استعارة تبعية والبيت صرح في التصريح بالمحبة والاقرار • ظاهر في اظهار العشق والاشتهار

وجائز دعوى المحبة في الهوى • وان كان لا يخفى كلام المنافق

بالطف عبارة • واظرف اشارة • واجمل اعتذار واكمل اسلوب • حيث علل بهرب سرى طيف ذلك المحبوب • اذ كان سببا لسهوه • وذهاب لذته ومحو كدره • من حيث فارقه فارقه • وقيد قلبه واما دمعه فاطلقه **ما ارق القائل**

وزار في طيف من اهوى على حذر • من الوشاة وداعي الصبح قد هتفا

فكدت اوقظ من حولي به فرحا • وكاد يهتك ستر الحب بي شغفا

ثم انتبهت واما لي تخيلني • نيل المنى فاستحالت غبطتي اسفا

يقال من نكد الوجود ان الانسان يرى في منامه انه وجد مالا او اصاب جوهرا او ظفر بخير فاذا انتبه لم ير من ذلك شيئا وربما يرى انه قد احدث فاذا انتبه كان ذلك يقينا **ثم انشد**

ارى في منامي كل شيء يسوءني • ورؤياي بعد النوم ادهى وافتح

فان كان خيرا فهو اضغاث حالم • وان كان شرا جاءني قبل اصبح

ومن هذا المعنى قول الاحنف العكبري

واحلم في المنام بكل خير • فاصبح لا اراه ولا يراني

ولو ابصرت شرا في منامي • لقيت الشر قبل الاوان

قال الصلاح الصفدي في شرح اللامية واعلم ان السبب في تاخر تحقق المنامات الجيدة وسرعة تحقق المنامات الردية هو ان القوة الالهية المظهرة لهذه المنامات توجب تعجيل البشارة بالخيرات الكائنة قبل اوانها بمدة طويلة لتكون مدة الفرح والسرور اطول فتكون النفس للغبطة بالبشارة مرتاحة بتوقع وصولها قبل حصولها وموجب الانذار بالشرور الكائنة في زمان تقريب حصولها لتقصير زمان الهم والغم الى ما ذكر وقد كان هذا المحب قانعا من الوصال • مكتفيا لو امكنه المنام بطيف الخيال

اهلا بطيفكم وسهلا • لو كنت للاغفاء اهلا

لكنه

لكنه واف وقد • حلف الغرام علي ان لا

وفي هذا الاكتفا عند اهل الادب ما لا يخفى غير ان اهل الغرام • لما منعوا طيف الخيال لعدم المنام • توهموا ولو توهموا ان المحبوب ارسل طيف خياله نيابة عنه عند عدم وصاله **ولله در المتنبي في مقاله**

لا الحلم جاد به ولا بمثاله • لولا ادكار وداعه وزواله

ان المعيد لنا المنام خياله • كانت اعادته خيال خياله

بتنا يناولنا المدام بكفه • من ليس يخطر ان نراه بباله

بنتم عن العين القريحة فيكم • وسكنتم طي الفؤاد الواله

فدنوتم ودنوكم من عنده • وسمحتم وسماحكم من ماله

اني لابغض طيف من احببته • اذ كان يهجرنا زمان وصاله

دخل ابن القطان الشاعر البغدادي يوما على الوزير الزينبي وعنده الحيص بيص فقال قد عملت بيتين لا يمكن ان يعمل لهما ثالث لاني قد استوفيت المعنى فيهما فقال الوزير وما هما **فانشد**

زار الخيال بخيلا مثل مرسله • فما شفاني منه الضم والقبل

ما زارني قط الا كي يوافقني • على الرقاد فينفيه ويرتحل

فقال الوزير للحيص بيص ما تقول في قوله فقال ان عادهما سمع لهما ثالثا فاعادهما **فقال**

وما درى ان نومي حيلة نصبت • لطيفه حين اعيى اليقظة الحيل

ومن لطائف القاضي الفاضل في انشائه ان الطيف لا اعتد له بعتبة وان ركب المجاهل • وقطع المراحل • وتخطى الى اغصان القنا • وخاض جداول الظبا • ووطي شوك النصال • وعبر بحبال الجبال • وحل واعين الشهب اليه حول روان ودنا واطراف القسي دوان • وكيف اعتد له بمنة والفكر يدنيه وانا يقظان • ويمثل ما لم يكن من قربه انتهى كما مثلت العين منه ما كان • ويخليني منه ورب لجاب خالين به دوني ويوجدنيه وانا رهين شوقي لو طلبوني عنده ما وجدوني

وما الطف الشهاب محمود في قوله سرى والدجا شوقي اليه وتذكاري • خيال اضاءت من ضلوعي له نار

اموه بالتهويم ستر قدومه • اذا ما استزارته شجون وافكار

قالوا وما ولع احد بطيف الخيال ولوع البحتري ولا ابدع فيه مثل ابداعه حتى صار لاشتهاره بذلك مثلا يقال خيال البحتري **فمن ذلك قوله** بلى وخيال من امامة كلما • تاوب من وجدي يعرض بطمع

يري مقلتي ما لا ترى من لقائه • ويسمع اذني رجع ما ليس يسمع

ويكفيك من حق تخيل باطل • ترد به نفس اللهيف وتسمع

وقد اوضح بعضهم الحال • بما هو كالسحر الحلال • وارق من طيف الخيال **حيث قال**

عاتبت طيف الذي اهوى وقلت له • كيف اهتديت وجنح الليل مسدول

فقال انت نارا من جوانحكم • يضيء منها الذي السارين قنديل

فقلت نار الجوى معنى وليس لها • نور يضيء فماذا القول مقبول

فقال بتنا في الكرى واحدة • انا الخيال ونار الشوق تخييل

واعتذر كشاجم عن تأخر الخيال على لسان الحبيب فقال

لقد بخلت حتى بطيف مسلم • عليّ وقالت رحمة لتحيبي

اخاف على طيفي اذا جاء طارقا • وسادك ان يلقاه طيف رقيب

ومما وقع لي في هذا المعنى

منا ما رايت الحب اسرى زائرا • حماي وحولي من حماه قريب

فيا رب حتى الطيف فيه مراصد • كئيب وحتى في الخيال رقيب

وما الطف القاضي الارجاني في اعتذاره عن محبوبته وتلطفها في مزاره حيث يقول

وعدت بان تزور في الظلماء • وبان تحتمي زورتي في خفاء

واطالت مطل المحب الى ان • وجدت خلسة من الاعداء

ثم عادت من احتياطها الظل • فزارت في ليلة ظلماء

ثم خافت لما رأت انجم الليل • شبيهات اعين الرقباء

فاستنابت طيفا يلم ومن • علك عينا تنم بالاخفاء

هكذا انتها اذا نولتنا • وعناء تسمح البخلاء

يهدم الانتهاء باليأس منها • ما بناه الرجاء بالابتداء

ومثل هذا الاعتذار اعتذار شرف الدين بن عنين حيث كتب من اليمن الى اخيه

ماسمحت كتبك في القطيعة عالما • ان الصحيفة اعوزت من حامل

وعدرت طيفك في الجفاء لانه • يسري فيصبح دوننا بمراحل

وللثاني لابي العلاء المعري وهو من المبالغات المقبولة ولا بأس بايراد الادب القاضي السيد هبة الله بن سناء الملك حيث يقول

بانت معانقتي ولكن في الكرى • انرى درى ذاك الرقيب بما جرى

ونعم درى لما راى في بردتي • نزرود ثم من الثياب العنبرا

طيف تخطى الهول حتى يشترى • بينت الخنا فقد اشترى وقد اجترى

مازار الا في نهار جبينه • فاقول سار ولا اقول له سرى

بابي واني من حلمت بذكرها • لما انتهت ومزرقي ويتقطرا

ويعجبني في هذا الباب قول الاديب الشهابي بن مكية الشهير بالعنابي حيث شرح الحال لطيف الخيال فقال

قال لي كيف غبت والشرط • في الحب ان لا يد وقطعم المنامي

قلت عذرا فما منامي غدرا • لحبيبي والعذر عند الكرام

غير اني عندي رسالة شوق • وحبيبي عني بعيد المرام

واخاف الصباع الترمنها • وهي معتلة بحل الخزام

فنهوت

فنهوت كمارات فاهليك • عرامي وفيك حفظ الذمام

هاك يا طيف قل لبدر عداني • منذ فارقته حليف السقام

حل جسمي بنابلس وقلبي • عنده في طرابلس الشام

وبراك ما لقيت تحدث • عن عيان وخل نقل الكلام

هل ترى غير اعين باكيات • تبادي في باليات العظام

دنف لو حلته لم تجد في • حمله من عناوك من اثام

في ظلام من وحدة وفراق • ان من غاب بدره في الظلام

لا كتاب ولا رسول يوافي • بسلام لحبيب من منذ عام

اتناسي ما بيننا من عهود • في عقود محكومة الابرام

ان تناسى فلست ناس وعندي • من محياه شاهد بالتزامي

عن يميني وعن شمالي وخلفي • واماي في قعدتي او قيامي

وترى الطرف يجد القلب مذ كنت • لعو حشا بطول الصرام

فعسى ذا الفراق يطوى ونطفى • بتلاق ما فيهما من خصام

اهل وادي طرابلس حييتي • نحوكم قاده الهوى بالزمام

كلما طال بعدكم طال شوقي • فابتداي في حبكم كالختام

وهذه طريقة للعشاق معهوده • وحيلة لحصول ذلك الطيف مقصوده • ولبعضهم رسالة الطيف مشهوره • ولتعارضه المنظومة فهذا المعنى كالدرر المنثوره • وفي البيت والذي قبله الاستعارة في اثبت الوجد خطي عبرة وحنا واللف والنشر المشوش في مثل النهار والعنم والمجاز في ضنا والمراد دائم ومراعاة النظير بين النهار والعنم والطباق في اللذات والالم والمقابلة الملحقة به في سرى طيف اذ هو مقتضى للنوم وارقني والتكميل

يا لائمي في الهوى العذري معذرة • مني اليك ولو انصفت لم تلم

لما كان حال العاشق منصوبا على البكاء والنحيب • وقلبه مكسورا بالجفا والوجيب • وامره دائرا بين الواشي والرقيب والعدو والعذول عن الحبيب • واللائم والنمام واللاحي والساعي والحسود الى غير ذلك ولا نطيل المقال • بهذا الاحوال فان بغض هؤلاء امر مقرر عند اهل الهوى • والمخالفة على مخالفتهم مجمع عليه باتفاق اهل الصبابة والجوى • فلا يخلو العاشق مزحم منهم ابدا لحظة نظر • وهو على زعمهم ملازم العنا والقلق والحذر كما قال بعضهم شاكيا من الرقيب

انا والحب ما خلونا ولا • طرفة عين الا علينا رقيب

ما اجتمعنا بحيث ان يمكن الا • هو باني اقول انت الحبيب

بل خلونا بقدر ما قلت انت الحب • ثواني فقلت كيم الطيب

استشعر الناظم لائما يلومه اما على المحبة او على ما يستدل به عليها من هموع الدموع ووجود الجوى وفقد الهجوع فاوضح عذره • وبين عذره • وابدع بما اودع في النظام • من ان اللائم احق بالملام • حيث لم يسلك سبيل

الا نصاف • وما عذر بل عدل الجلجور والا عشاق فناه آه بيا التي هي لنداء البعيد بتبعيد الا عن سواء التشديد واصل
وضعها البعيد حقيقة او حكما وقد ينادي بها القريب توكيدا وقيل هي مشتركة بين القريب والبعيد وقيل بينهما وبين
المتوسط وهي اكثر حروف النداء استعمالا ولهذا لا يقدر عند الحذف سواها نحو يوسف اعرض عن هذا ولا ينادى اسم الله
عز وجل او الاسم المستغاث الا بها او لا يمى اى عاذل في الهوى متعلق بلا يمى والظرفية على اصلها او بمعنى على او
للسببية العذرى بالذال المعجمة نعت الهوى اى الحب المفرط نسبة لبنى عذرة قبيلة من قبائل العرب يؤدى العشق بهم
الى الموت واكثرهم موتا بداء العشق قال شاعرهم اذا سلم العذرى من ميتة الهوى • فذاك ورب العالمين دخيل
وذلك ان الواحد منهم اذا عشق مات ولا يخلو احدهم من العشق فلا يكون موته الا عشقا والى ذلك
اشارة المتنبى حيث يقول وعذلت اهل العشق حتى ذقته • فعجبت كيف يموت من لا يعشق
يحكى عن رجل من بنى عذرة قال كان فينا فتى ظريف فهوى جارية من الحى فراسلها فاظهرت جفوته فوقع مضنى
مدنفا فظهر امره فلم تزل النسا من اهله واهلها يشفعون له عندها فى اعادته حتى اجابت وصارت اليه عائدة
فلما نظر اليها تحدرت عيناه بالدموع ثم انشا يقول
اريتك ان مرت عليك جنازتى • تلوح على ايدى طوال وشرع
اما تتبعين النعش حتى تسلمى • على رمس ميت فى الحفيرة مودع
قال فبكت رحمة له وقالت ما كنت اظن ان الامر قد بلغ بك كل هذا فانى الله لا سعدنك ولا دونه على وصالك فهملت عيناه بالدموع
ثم انشا يقول
ولما اتتنى فى السياق تعطفت • على وعندى من تعطفها شغل
دنت وحياض الموت بينى وبينها • وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل
ثم شهق شهقة خرجت روحه معها فوقعت عليه تلثمه وتبكى فما اقيمت عنه الا وهى ميتة سئل بعضهم عن سبب موتهم شغفا
فاجاب بان فى قلوبنا خفة وفى نسائنا عفة وقال بعض العرب لرجل منهم ما لاحد يموت عشقا فى هوى شخص قد الفه
وانما ذلك ضعف نفس تجدونه فيكم يا بنى عذرة فقال اما والله لو رايتم الحواجب الزج • فوق النواظر الدعج •
تحت المباسم الفلج • لا تخذتموها اللات والعزى • قلت والله هو الكلام اللاعب بالعقول • الحليق بالقبول فان
العقل السليم • والطبع المستقيم • اذا رأى الجمال • تبلبل منه البال • وحول من حال الى حال • فاذا دعى روحه للوصال اسرعت بالاجابة
وبادرت الى الانابة •
روح دعاها للوصال حبيبها • فاتت اليه تطيعه وتجيبه
يا مدعى صدق المحبة هكذا • فعل الحبيب اذا دعاه حبيبه
وللجمال سر عجيب • يحير فيه العاقل الاريب • حتى انه لو سئل العاشق عن سبب هواه • وما الذى الهوى رماه يتحير فى مقاله ولم يدر
كيف حاله كما قال الحاجرى قال يا الذى الهم تعذيبى تناياك العذابا • ما الذى قالته عيناك لقلبى فاجابا
والموت عشقا يعترى العشاق كثير من بنى عذرة وغيرهم ومن وقف بين معترك الاحداق والمهج • شاهد مقابر الشهدا
ومن وقع فى مصائب سهام العيون ورماح القدود كيف لا يصاب بالردا • لكن لما كان فى بنى عذرة اكثر من غيرهم نص
على هواهم • دون من عداهم • وقيل الهوى العذرى هو الحب المفرط الذى من شانه ان يكون صاحبه مقبول العذر عند كل
احد لقوله معذرة امام رفع على انه خبر مبتدا محذوف او منصوب نصب المصدر بفعل مقدر اى اعتذر اليك او اقبل

او

او اقبل معذرة والمعذرة بوزن المغفرة اسم مصدر العذر من عذره يعذره بالكسر وهى بيان ما يقتضى مسامحة فيما عمله بوجه ما
منى اليك متعلقان بمعذرة ولو انصفت اى عدلت يقال انصفه من نفسه وتناصف القوم انصف بعضهم بعضا لم تلم
اى انك لو عدلت فى الاحكام • لما وجهت الى سهام الملام • ولكنت عذرا لا عاذلا فلم تلمنى لانك تعلم ان العاشق
مشغوف بانواع الالم • فلا ينبغى ان يوجه اليه سهام الملام • وقد سئل بعض الاطبا عن العشق فقال ان وقع باهله ليس
باختيارهم ولا بحرصهم عليه ولا لذة لاكثرهم عليه وفيه ولكن وقوعه بهم كوقوع العلل المضيقة والامراض المتلفة لا فرق
بينه وبين ذلك وقال المداينى لام رجل رجلا من اهل الهوى فقال لو ان للذى هوى اختيارا لاختار ان لا يهوى
فانهم قالوا العشق نوع من العذاب والعاقل لا يختار العذاب لنفسه فانظر يا اخا الوجد والغرام • ويا واحد
الادب الجامع لاساليب الكلام • ما احسن مخاطبة هذا اللائم وكيف بسط له المقدمة فى قبول العذر بالهوى
العذرى الذى لا يتاتى معه اللوم اصلا • وتعريفه الهو العذرى الكامل الاوصاف • ونسبته اللائم فى لومه الى عدم الانصاف
ومازالت العشاق ممتحنين باللوام • معذبين من العذال بانواع الالام • وكلما زاد اللائم فى ملامه • ازداد العاشق
فى غرامه وهيامه • ومتى ابدا من العدل لما اجابه • دع عنك لومى فان اللوم اغراء ما الطف شيخ شيوخ حماه حيث يخاطب عذوله
لا تعاتبنى فلا عتب على • خرج الامر وعقلى من يدى • ليس للنصح قبول يرتجى • عند شيخ هام وجدا بصبى
وادى لومك يغرينى به • لا تزدنى او فزدنى يا اخى • اراك بخيلا بعولى فهبنى • سكوتك عنى اذا لم تعنى
ومثله قوله
دعمت الهوى ورجوت السلو • فابكيت عينى واضحكت سنى • فان عفت شرب من خمرتى • فدعنى بين كاسى ودنى
ومثله قول ابن سنا الملك
واياك عربدة فاخشها • فانى قد اخذ المسكر منى • اقول لينا قد اشار بكم • لقد زدتنى فيما اتوب به بعدا
ومثله ايضا
يا ليت العرض العادلين تركو • او انهم لا اخرجت اثقالها وما اظرف القاضى الفاضل حيث قال مخاطبا للعاذل
ومثله قوله فى خطابه
اخرج حديثك من سمعى وما خرج • لا ترم بالعدل سهما رب ما قلد • وما يخف على قلبى حديثك لى • لا ومن خلق الانسان والجبل
سمعتك والقلب لم يسمع • فكم ذا القول وكم لا اعى • يقول وما عنده انتى • بغير فؤاد ولا اضلع
اما مع هذا الفتى قلبه • فقلت نعم يا فتى ما معى • عدل العواذل حول قلبى التايه • وهوى الاحبة منه فى سويدائه
يشكو الملام الى اللوائم حره • ويصد حين يلمن عن برحائه • وبمهجتى يا عاذل الملك الله • اسخطت اعدل منك فى ارضائه
ولما استزاده سيف الدولة من هذا المعنى قال
القلب اعلم يا عدول بدائه • واحق منك بجفنه وبمائه • فومن احب لاعصينك فى الهوى • قسما به وبحسنه وبهائه
احبه واحب فيه ملامة • ان الملامة فيه من اعدائه • واستوسل فى ذلك الى ان قال
مهلا فان العذل من اسقامه • وترفقا فالسمع من اعضائه • وهب الملامة فى اللذاذة كالكرا • مطرودة بسهاده وبكائه
لا تعذل المشتاق فى اشواقه • حتى يكون حشاك فى احشائه • ان القتيل مضرجا بدمائه • مثل القتيل مضرجا بدمائه
والعشق كالمعشوق يعذب قربه • للمبتلى وينال من حوبائه • لو قلت للدنف الحزين فديته • مما به لاغرته بفدائه
ومما يناسب بيت الناظم قول العارف ابن الفارض
بالله يا لائمى فى حبهم سفها • كف الملام فلو انصفت لم تلم • دع عنك تعنيفى وذق طعم الهوى • فاذا عشقت فبعد ذلك عنف
ورب عاذل العاذل من عدو لومه • وصار مغرى بالعاشق على عشقه وهيامه • اذا طلعت عليه شمس الملاحة

ولا حب لاشعة الجمال من قمر الصباحة وقد وقع ذلك لكثير من ارباب الكمال الغائبين في باب الغرام بشروط الجمال
كما وقع للحسن بن وكيع التنيسي قيل انه مال الى غلام امرد حسن الوجه فقيل له بيانه قد شغف بمن لا يستحق ان يشغف به فعاتبه
على ذلك واتفق ان الغلام اجتاز عليه وهو لا يعرفه فقال له لو هويت مثل هذا كنت معذورا فقال في الحال

ابصره عاذلي عليه * ولم يكن قبلها رآه
فقال لي لو هويت هذا * ما لامك الناس في هواه
قل لي من عذلت عنه * فليس اهل الهوى سواه
وظل من حيث ليس يدري * يامر بالحب من نهاه

ولم تزل بحور الشعر طافحة بقذف العذول ونفوسهم تسمح من سماحة ما يبدي ويقول ولا نطيل الكلام بذكر الملام
وفي البيت رد العجز على الصدر المسمى بالتصدير وجناس الاشتقاق في بات سبحي ولم تلم والسلب الصوري
والايجاب والجناس المطرف في لم تلم والجناس المطلق في العذري ومعذري

عدتك حالي لا سري بمستتر * عن الوشاة ولا دائي بمنحسم

عدا ان عدى بالى فمعنى سرى وبعلى فبمعنى ظلم وبعن فبمعنى تجاوز وبنفسه فبمعنى سار بسرعة وهو هنا معدى بالى
على الحذف والايصال اى تعدت اليك حالي فاعل عدت وفتحت الياء للوزن وجاز في مثله في النثر الفتح والاسكان
وجمع الحال احوال وقالوا احوله والحالة واحدة حالات الانسان والحال يذكر ويؤنث والجملة خبرية لفظا دعائية معنى
على اللائم بان الله تع يبتليه بالمحبة ليشاهد حيرة العاشق وعدم قدرته على كتم الاسرار وما يبتلي به المحب من لوم اللائم

كما قال ابن الفارض
دع عنك تعنيفي وذق طعم الهوى * فاذا عشقت فبعد ذلك عنف

ومنه قول المتنبي
وعذلت اهل العشق حتى ذقته * فعجبت كيف يموت من لا يعشق
وعذرتهم وعرفت ذنبي انني * عيرتهم فلقيت فيه ما لقوا

ثم بين ذلك الحال بقوله لا سري بمستتر بنيا الحال انه دعائه على لائمه كان سائلا سئله عن حاله هذه فاخبره بها ولا بمعنى ليس
وسري اسمها وبمستتر خبرها وكذا حكم ما عطف عليه وقال الزركشي سري وداي مبتدان لا اسمان للا على الاصح لتعريفها
وتكرار لا واختلف في دخولها على المعرفة نحو لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن والباء زائدتان لتاكيد النفي لا معلقان
بنوع وجملتا النفي مفسرتان للحال او مستأنفتان جوابا لسؤال مقدر على الوجهين فلا محل لهما على الوجهين والسر
الامر الخفي الذي يكتم وجمعه اسرار ومثله السريرة وجمعها سراير وعن الوشاة متعلق بمستتر والوشاة بضم الواو جمع واش
وهو كل هماز مشاء بنميم مناع للوصال معتد بالفتنة اثيم ملطخ بالاثم والنفاق ساع بين الاحباب بالفراق وخص
بالذكر لانه نصب نفسه لنقل الفتنة بين الاحباب باستخراج اساليب لهم فيها بالعجب العجاب من الوشي وهو التنميق والتزويق
والتلوين او العلامة لمعرفته بالكذب الظاهر والافتراء المبين ما الطف شكوى المجنون من الوشاة حيث يقول

ولو ان واش باليمامة داره * وداري باعلى حضرموت اهتدى ليا
وماذا لهم لا احسن الله حالهم * من الحظ في تصريم ليلى حباليا

وقوله ولا دائي بمنحسم اي بمنقطع من الحسم وهو القطع ومنه سمي السيف القاطع حساما والداء المرض الذي ينشأ منه الالم

ويجمع

ويجمع على ادواء قال المطرزي وعينه واو ولامه همزة وهذا التمهيد بيان لبسط عذره ضمن دعائه على لائمه فانه اذا لم يمكنه
كتم سره عن الوشاة الذين يعلم منهم القاء الفتنة ونقل الكلام والافساد بين المحبين ولم ينقطع المه ومرضه بوصل المحبوب
الذي هو غاية المطلوب فوقع بين امرين واش نمام وهجر على الدوام اما يعذره فكيف عنه الملام بلى والهوى انه

حقيق بالبلا خليق بالدعا
خليلين كانا داعيين على الود * عفا الله عن عبد اعان بدعوة
الى ذالك عن هذا الخالي عن العهد * الا ان واشي ولشي الهوى بغيته

وفي البيت المقابلة بين السر المستتر والوشاة وحسن التقسيم في حالة الوشاة لا يمكنه معهم الكتمان وداء لا يمكن انقطاعه

محضتني النصح لكن لست اسمعه * ان المحب عن العذال في صمم

محض الشيء اخلاصه وتصفيته عما لا ينبغي من الشوائب والشيء المحض الخالص وفي الصحاح المحض بوزن الفلس
اللبن الخالص لم يخالطه الماء حلوا كان او حامضا وكل شيء اخلصته فقد محضته واعرب الزركشي محضتني فعل وعلامة
وهو سبق قلم بل التاء فاعل لانها مفتوحة للمخاطب لا علامة تأنيث كما لا يخفى والنصح والنصاحة بالفتح مصدر نصح
ينصح بالفتح فيهما يتعدى بنفسه مرة وباللام اخرى يقال نصحته ونصحت له كما في شكرته وشكرت له والناصح لغة الخالص من كل
شيء وعرفا الخلص من الغش في الاغراض الباعثة له على النصيحة والتوبة النصوح الصادقة وهو خطاب للائم واعترافه
له بالنصح اما من باب التهكم في تسمية اللوم نصحا محضا وهو غش محض عند العاشق او اجراء على ظاهره او استعماله على ظاهره
بحسب حال اللائم الخلي دون العاشق الشجي واين المستهام من الخلي او بحسب حال العاشق الشجي ايضا من حيث ان
اللائم لم يشرع في نهيه وعذله عن محبوبه ولم يترسل في الصفات المتعلقة بالمحبوب اللائحة بالقلوب المتروح العاشق الى سماعها
وجنى مما جناه عليه اللائم طيب ثمارها وهذا نوع من انواع البديع يسمى بالمغايرة قال

عذلي فقد شنفوا اسمعي بذكرهم * فالله يكلاء عذالي ويلهمهم

فهو يستعذب التعذيب ويعد المحنة منحة وقوله لكن للاستدراك وهو تعقيب الكلام برفع ما يتوهم ثبوته او نفيه اذ يتوهم
هنا من قوله محضتني النصح قبول نصحه فعقبه بقوله لست اسمعه سماع تدبر وقبول وسمع يطلب مسموعا مكتفى به نحو
حتى يسمع كلام الله او مسموعا منه بشرط ان يعقبه جملة مما يسمع نحو سمعت زيدا يقول قال في المغني ان رأى البصرية
وسائر افعال الحواس انما تتعدى لواحد الا سمع المعلقة باسم عين نحو سمعت زيدا يقرأ فقيل متعدية لاثنين ثانيهما
الجملة وقيل الى واحد والجملة حال فان علقت بمسموع فمتعدية لواحد اتفاقا نحو يوم يسمعون الصيحة قال
محشيه الشمني القول الاول جوزه ابو علي لكن بشرط ان يكون الثاني مما يسمع نحو سمعت زيدا يقول كذا فلو قلت
سمعت زيدا اخاك لم يجز والقول الثاني هو الصحيح وهو على تقدير مضاف اي سمعت كلام زيد لان السمع لا يقع
على الذوات ثم بين هذا المحذوف بالحال المذكورة فهي حال مبينة ولا يجوز حذفها انتهى وقال الرضي ومما ينصب المبتداء
والخبر من غير افعال القلوب ومن غير مراد فاتها صير سمع المعلق بعيني نحو سمعتك تقول كذا ومفعولاه مضمونا الجملة
اي سمعت قولك ويجوز تصدير الجملة بان نحو سمعت انك تقول قالوا واذا عمل في المبتداء والخبر لم يكن الخبر
الا فعلا دالا على النطق نحو سمعتك تنطق بكذا وتتكلم وانا لا ارى منعا من نحو سمعتك تغني لجواز سمعت انك تغني اتفاقا

قال
سمعت الناس ينتجعون غيثا * فقلت لصيدح انتجعي بلالا

بنصب الناس وقد روي برفعه على حكاية الجملة انتهى والجملة هنا تحتمل الانشاء والاخبار بحسب ما تقدم من الوجوه
ثم ذيل كلامه بعد تمامه وحسن السكوت عليه بجملة حقق بها ما قبلها من الكلام وعلله واكد مضمونه موكدا بان للمتردد
في قبول العاشق قول اللائم ان المحب عن العذال بالذال المعجمة لا المهملة اللوام جمع عاذل والجار والمجرور متعلق بقوله
في صمم قدم عليه وان كان معمول المصدر لا يتقدم عليه اذ هو عند العمل مؤول بان مع الفعل وهو موصول ومعمول الصلة
لا يتقدم على الموصول لكونه كتقدم جزء من الشيء المرتب الاجزاء عليه فالترتيب معتبر بين الموصول والصلة كلا او بعضا
لكونهما كشيء واحد مترتب الاجزاء بحيث لا يجوز تقدم كل الصلة عليه ولا جزء الا بين اجزاء الصلة فيجوز تقدم
بعض اجزائها على بعض الا اذا ادى الى الفصل بين الفعل والموصول الحرفي فلا يجوز اعجبني ان زيدا ضربت لانه مع ما بعده
في تاويل المصدر فيطلب اتصاله بما يتضمن بالمصدر ويجوز اعجبني ان اعطيت درهما زيدا وكما لا يجوز تقدم
نفس الصلة على الموصول لا يجوز تقدم معمولها عليه لان مرتبة العامل قبل مرتبة المعمول فيلزم تقدم الصلة على الموصول
لان المتقدم على المتقدم على الشيء متقدم على ذلك الشيء كتقدم جزء من الشيء المرتب الاجزاء عليه لكنهم اجازوا
ذلك في الظروف مع ان الظرف مما يكفيه رائحة من الفعل لان له شانا ليس لغيره لتنزله من الشيء منزلة نفسه لوقوعه
فيه وعدم انفكاكه عنه ولهذا توسعوا في الظروف ما لا يتوسع في غيرها كما قالوا في قوله تع فلما بلغ معه السعي ولا تاخذ
بهما رأفة في دين الله وان فرق الاية الاولى والاية الثانية بالتعريف والتنكير فاجازه في التعريف دون التنكير واجازه
شارح تعلقه باسمعه وهو بعيد ويجوز ان يكون متعلقا بمحذوف فسره المذكور والفائدة العامة في حذف الشيء ثم تفسيره
زيادة تمكنه في القلب لان الشيء اذا بين بعد تطلع النفس اليه يكون اوقع فيها وهو فن من فنون البلاغة مفيد للتاكيد
ولا تكلف في التقدير كما لا يخفى وقال بعض الفضلاء الوجه الراجح في المصدر ان لا يتقدم معموله مطلقا عليه ويجوز مرجوحا
عليه في الظرف لانهم توسعوا فيه مع ان الراجح تقدم صلة ان المصدرية عليها مطلقا واذا قصد نكتة مقتضية لتقديم
معمول الظرف عليه يقدم في علم البلاغة بلا تكلف لان البلغا يلتفتون الى لطف المعنى بعد ان كان لما ارتكبوه وجه مساغ
في العربية واذا كان مرجوحا فاذا وجدنا ظرفا مقدما على المصدر فان راينا فيه نكتة تحصل بتقديم معموله عليه جعلناه
معمولا والا حملناه على وجه اخر بحسب اقتضاء الاحوال انتهى فظهر ان الاحسن في كلام الناظم ان يجعل الظرف متعلقا
بمحذوف يفسره المذكور اذ ليس في التقديم نكتة سوى القافية ويؤيده ما قررناه من ان المصدر عند العمل مؤول بان مع الفعل
وان اذا كانت مصرحا بها لا يجوز تقديم ما في خبرها عليها عند الجمهور فكذا ما في حكمها واما ما يقال من انه لا يلزم في كل
مؤول بشيء ان يعطى حكمه حكم ما اول به فمدفوع بان المناسب ان يكون المؤول بشيء حكمه حكم ذلك الشيء فيما اول به لاجله
كما لا يخفى وفي صمم خبر ان وظرفيته للمبالغة في عدم قبوله وهو فوق الوقر ودون الطرش اي لا يسمع عذل العاذل
العذال سماع قبول وامتثال فكانه لعدم قبوله لم يسمعه اصلا وفي الاتيان بلفظ المحب اشارة الى الحديث الشريف حبك
الشيء يعمي ويصم اي هب ايها اللائم على الغرام العاذل عن الهيام انك اتيت في هذه النصيحة بالمقدمات الصحيحة
لكنها لم تنتج اصلا ولم توافق في قياسي فاني محب والحب يعمي ويصم فلا اسمع كلامك ولا اقبل ملامك

لهفو الى كل قلب بالغرام له • شغل وكل لسان بالهوى لهج
وكل سمع عن اللاحي به صمم • وكل جفن الى الاغفاء لم يعج

والنصيحة

والنصيحة وان كانت في نفسها حسنة مقبولة الا انها عند العاشق مكروهة ومردودة اذ الداعي اليها هو الصدق في الوداد
والاخلاص في الصفا والاجتهاد في بيان المراد قد وردت به الاخبار ودل على طلبها الاثار وهي شعبة من شعب الايمان
ففي الحديث الشريف عن ابي هريرة قال جرير اتيت النبي عم فقلت اتيتك ابايعك على الاسلام فشرط علي والنصح لكل مسلم
فما يشترط لصحة الاسلام فهو منه وروى تميم الداري وابو هريرة ان النبي عم قال الدين النصيحة ثلاثا في حديث
ابي هريرة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولرسوله ولكتابه ولائمة المسلمين وعامتهم قال القصري في شعبه فوصف النصيحة
بانها معظم الدين كما يقال الحج عرفة اي معظم اركانه عرفة لانه ليس للحج ركن غير عرفة وكذا النصيحة ليس معنى الحديث
ان الدين كله هو النصيحة وانما معناه معظم شعب الدين النصيحة ووصفها بوصف العموم فعمت معاني الديانات كلها
لانه قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم فتعظم قدر النصيحة ومعنى النصيحة افراغ الجهد في تصحيح
النيات والاقوال والاعمال والنصح يتبين بضده وهو الغش في التدليس وستر العيب وكتمان الحق ومعناها ماخوذ
من النصاح وهو الخيط لانه لا يتعلق به شيء فكذلك النصح في العقود والاقوال والاعمال لا يتعلق بها شيء من الغش
والتدليس بل تكون بنية صحيحة سليمة مما يفسدها ويعيبها ودليلها ان النبي عم مر برجل يبيع الطعام فاوحي اليه ان
ادخل يدك فيه فاذا هو معلول فقال رسول الله عم ليس منا من غش والنصيحة عامة في كل شيء ومتعبد بها
الانبياء والاملاك فمن دونهم قال تعالى في جبرئيل وما هو على الغيب بضنين اي بمتهم بالغش والتدليس في التبليغ
وقال عم في نفسه ليس منا من غش وقال الانبيا وانا لكم ناصح امين وانصح لكم ونصحت لكم اي نصحوا الله
ونصحوا انفسهم ونصحوا العباد والنصيحة لها مراتب كما ذكر في الحديث لله ولرسوله ولكتابه ولائمة المسلمين
وعامتهم فقد عمت المقامات الثلاثة مقام الاسلام ومقام الايمان ومقام الاحسان ثم شرع في بيان عمومها بما يشفي
العليل ويروي الغليل فليراجع ثم قال واما النصيحة للانسان في نفسه فانها عامة في كل شيء بطن في مقام الاحسان
والايمان وظهر في مقام الاسلام لان العبد مأمور بان ينصح نفسه وغيره فيكون من افضل اهل المقام الاسلامي
على قدر طاقته وامر ان ينصح نفسه في مقام الايمان وعالم الاخرة فيكون من افضل اهل الاخرة على قدر طاقته وامر
ان ينصح نفسه في مقام الاحسان والروح فيكون من افضل اهل الايثار لله عز وجل والاقبال عليه والفكر فيه ولا
يغش نفسه في شيء على قدر طاقته فقد عمت النصيحة كل المقامات الى اخر ما ذكر رحمة الله تعالى عليه ولنبين اقسام
النصيحة في الحديث الشريف ببيان واضح مختصر ليعم نفعه اما النصيحة لله تعالى فهي وصفه بما هو اهله وتنزيهه
عما ليس له باهل والقيام بتعظيمه والخضوع له ظاهرا وباطنا والرغبة في محابه والبعد عن مساخطه وموالات
من اطاعه ومعادات من عصاه والجهاد في رد العصاة الى الطاعة قولا وفعلا والنصيحة لكتابه اقامته في التلاوة
وتحسينه عند القراءة وتفهيم ما فيه والذب عنه من تأويل المحرفين وطعن الطاعنين وتعليم ما فيه للخلايق اجمعين
والنصيحة لرسوله احياء سنته بالطلب لها واحياء طريقته في ثبوت الدعوى وتاليف الكلمة والتخلق بالاخلاق
الظاهرة والنصيحة للائمة معاونتهم على ما كلفوا القيام به وتنبيههم عند الغفلة وارشادهم عند الهفوة وتعليمهم
ما جهلوه وتحذيرهم فمن يريدهم بسوء واعلامهم باخلاق عمالهم وسيرتهم في الرعية وسد خلتهم عند الحاجة
ورد القلوب النافرة اليهم والنصح لجماعة المسلمين الشفقة عليهم وتوقير كبيرهم والرحمة لصغيرهم وتفريج كربهم

وتوقع فيما يشغل خواطرهم ويفتح باب الوسواس عليهم وفقنا الله لمرضاته ثم لما كانت النصيحة تخالف غرض المنصوح في مطلوبه وتنغص عيشه ومن محبوبه ومطلوبه كانت مكروهة عنده مردودة لديه قال ميمون بن مهران قال لي عمر بن عبد العزيز قل لي في وجهي ما اكره فان الرجل لا ينصح اخاه حتى يقول له في وجهه ما يكره وفي منثور الحكم وذلك من نصحك وقلاك من مشى في هواك

وما احسن قول ورقة بن نوفل

لقد نصحت لاقوام وقلت لهم • انا النذير فلا يغرركم احد

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته • الا الاله ويردى المال والولد

لم تغن عن هرمز يوما خزائنه • والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

وقد تقبل في الحال او بعد التامل في المآل قيل ان السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب قال يوما للقاضي الفاضل لنا مدة لم نر فيها العماد الكاتب فلعله ضعيف امض اليه وتفقد احواله فلما دخل القاضي الى دار العماد وجد اشياء انكرها في نفسه مثل آثار مجلس انس ورائحة خمر والات طرب فانشد في الحال

ما نا صحتك خبايا الود من احد • ما لم ينلك بمكروه من العذل

محبتي فيك تأبى عن مسامحتي • بان اراك على شيء من الزلل

فلما قام من عنده خرج العماد عن كل ما كان منه واقلع فلم يعد الى شيء من ذلك ابدا قلت وذلك ببركة السلطان صلاح الدين ونصيحة استاذه الفاضل وفي البيت المحكم والاستدراك والتذييل والاقتباس من الحديث والطباق بين اسمعه وصمم والمقابلة المصحفة بين الحب والعذل

اني اتهمت نصيح الشيب في عذلي • والشيب ابعد في نصح من التهم

اي تاكيد لمن ينكر اتهام الشيب او يتردد فيه واتهمت من الاتهام وهو الظن بالانسان والاسم فيه التهم بفتح الهاء والتاء بدل من الواو كما تخمة فهو معتل الفاء ونصيح الشيب فعيل بمعنى فاعل للمبالغة في القاء النصيحة وجمعه نصحاء كشريف وشرفاء والشيب ياتي مصدر شاب يشيب وكذا المشيب وقال الاصمعي الشيب بياض الشعر والمشيب دخول الرجل في حد الشيب من الرجال والاشيب المبيض الراس يقال شاب راسه فهو اشيب على غير قياس لان هذا النعت انما يكون من باب فعل يفعل ويجمع على شيب بالكسر وقيل ماخوذ من الشوب وهو الخلط سمي شيبا لاختلاط سواد شعره ببياضه والاضافة للبيان وقيل من اضافة الصفة الى الموصوف كما في جرد قطيفة ويجوز ان يكون الشيب استعارة بالكناية واثبات النصح تخييل وفي عذلي ترشيح والمراد من نصيحة الشيب دلالته على قرب الموت وما قارب الشيء يعطى حكمه فيقتضي الاستعداد والتاهب للموت والافاقة من سكر الغفلة والمراد من اتهامه حمله على مسارعة حصوله ووقوعه في غير اوانه وانه بادئ في غير وقته فيسوف التوبة من وقت الى وقت ولا يعمل بمقتضاه مع ان طلوع الشيب علامة مؤذنة بالحين لمن عمل بمقتضاه ليوم الشيب كما ان الشيب يوقره وفي عذلي متعلق باتهمت والعذل بفتح الدال وسكونها اسم مصدر مضاف الى مفعوله اي في عذله اياي عما كنت فيه من سكر الشباب وتراخي الامل واغرايه على استدراك التوبة وتجديد العمل واعلامه بقرب الارتحال وايذانه بطول الاجال نظر رجل الى شيب في راسه فجمع نساءه وقال انتبهي فقد مات بعضي قال

الشيب عنوان المنية • وهو تاريخ الكبر

وبياض شعرك موت شعرك • ثم انت على الاثر

واذا رايت الشيب حل • الراس فالحذر الحذر

والشيب ابعد في نصح من التهم هذه الجملة حال لازمة من مفعول اتهمت في المعنى وهو الشيب وتذييل لما قبلها والبيت بلسره توكيد للبيت الذي قبله كما ان ما بعده علة له ولا يخفى وجه الاتيان بالشيب اسما ظاهرا لا مضمرا من دلالته على النصح والانذار والتهويل بما لا يتاتى بالاتيان به مضمرا وابعد اسم تفضيل خبر الشيب من البعد ضد القرب اي اكثر بعدا من غيره حذف المفضل عليه في نصح التنوين عوض عن الضمير المضاف اليه من التهم متعلقان بابعد وهي معمول فصل بينهما بالظرف والتهم جمع تهمة فاذا كان الشيب الذي ليس في نصحه ريب وهو ابعد النصحاء عن الاتهام لانه لا غرض له ولا يخشى منه ومع ذلك قد اتهمته في نصحه لي فكيف بك ايها العاذل اللائم المتهم بالحسد والطمع والغيرة والمراقبة وغير ذلك الا اقبل منك نصحا مع ما يتوهم فيك من الاغراض والتهم فان النفوس اذا تزاحمت على غرض واحد نفر بعضهم عن بعض فكان ذلك سببا مثيرا للعداوة المستلزمة لعدم القبول كلا والغرام • لا اقبل النصح ولا اسمع الملام • يا من وخط الشيب جاءك النذير بلا ريب • فاكشف عين الغيب • واتق عالم الشهادة والغيب • جاءك النذير الناصح • واتضح الحق الواضح • قد ذهب الليل واشرق فجر الصبح واضا واشتعل المبيض في مسوده مثل اشتعال النار في جزل الغضا • قدم رائد الهداية • وراد الغواية

يا ايها الشيخ المطيع هواه دع • داعي الدعاية قد اتى داعي الردا

وخيوط هذا الشيب في ريبه • اخا قرب الرحيل مريبه

ارى شعرات الشيب سيفا من الردى • لها في سويداء القلوب دبيب

واول منعي من المرء شعره • ولا شك ان الكل منه قريب

وفي موت بعض المرء لو كان عاقلا • نذير ولكن الرجاء حبيب

ومن تكن الايام اكثر دائه • فليس له مما جنته طبيبه

قال الحسن لجلسائه يا معشر الشيوخ ما ينتظر بالزرع اذا بلغ قالوا الحصاد قال يا معشر الشباب فان الزرع قد تدركه افة قبل ان يبلغ قال

قد شاب راسك وانقضت نوب الصبا • واراك غرا في البطالة تلعب

قال الشباب لعلنا في شيبنا • ندع الذنوب فما يقول الاشيب

ولله ابن المعتز حيث يقول

فما اقبح التفريط في زمن الصبا • فكيف به والشيب للراس شامل

قال عمر بن هانئ التوبة تقول للشاب مرحبا واهلا وتقول للشيخ اقبلك على ما كان منك لما راى الخليل عليه السلام الشيب قال الحمد لله الذي اخرجني من الشباب سالما قال الحسن ادركت اقواما كان احدهم الشيخ على عمره منه على درهمه

اليس عجيبا بان الفتى • يصاب ببعض الذي في يديه

فمن بين باك له موجع • ومن بين غاد معز اليه

ويسلبه الشيب شرخ الشباب • فليس يزن به خلق عليه

من عزل شبابه • وله عصابه • من شاب عذاره • لم تقبل اعذاره عن عبادة بن الصامت قال جاء جبرئيل الى النبي عم فقال ان الله عز وجل امر الحافظين فقال لهما ارفقا بعبدي في حداثته حتى اذا بلغ الاربعين فاحفظا وحققا قال ص وق اذا بلغ احدكم اربعين سنة فليأخذ حذره من الله تعالى

الا انما الدنيا الشباب وانما • سرور الفتى ها تيكة السكرات

تراع اذا لاحت نجوم مشيبنا • كان نجوم الليل منكدرات

وتنفطر الاكباد عند شموله • كان الطباق السبع منفطرات

فائدة

من كبر دوى عوده • وغاب سعوده • وافل نجمه • ووهن عظمه • وضعف بعد القوة جسمه احتضر ابو العتاهية

يا نفس قد مثلت حالى • هذه لك منذ حين

وشككت انى ناصح لك • فاشتملت على الظنون

فتاملى ضعف الحراكة • وكله بعد السكون

وتيقني ان الذى بك • من علامات المنون

لله در الفقيه الزاهد ابى عمران حيث يقول ذاما الشباب ومادحا للمشيب

ذهب الشباب بجهله وبعاره • واتى المشيب بحلمه ووقاره

شتان بين مبعد من ربه • بغروره ومبشر بجواره

ما زلت امرح بالشباب جهالة • كالطرف يمرح معجبا بعذاره

حتى تقلص ظله فتكشفت • عوراته وبدا قبيح عواره

لم احظ منه بطائل غير الاسى • وتندم مني على اوزاره

والان قد خط المشيب بعارضي • بمواعظ والحق في تذكاره

والنفس تركب غيها وتعوقني • عنه ولا تصغى الى انذاره

تهوى على عمر مضيعا • محصى على بليله ونهاره

وفي البيت التصدير وجناس الاشتقاق في اتهمت والتهم ونصيح ونصح والتكرير في الشيب والشيب والاستعاره والتذييل

فان امارتي بالسوء ما اتعظت • من جهلها بنذير الشيب والهرم

الفاء للتعليل في عدم قبول النصح وان للتاكيد لمن ينكر عدم الاتعاظ او يتردد فيه وامارتي صفة لموصوف محذوف اى نفسى الامارة بالسوء والمبالغة لكثرة امرها وهى واحدة النفوس الثلاثة والنفس تطلق على معان ولابد من معرفة النفس ومعرفتها واجب بالكتاب والسنة اذ معرفتها باب لمعرفة الله تعالى بمقتضى حكمة الله تعالى حسبما ورد من عرف نفسه عرف ربه فهو من لم يعرف نفسه لم يعرف ربه ومعرفة الله واجبة بل هي اول واجب على الانسان والجهل حرام فما يتوقف عليه الواجب واجب ومن جهل نفسه فهو بغيره اجهل قال الامام الغزالي في الاحياء واكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وانفسهم وقد حيل بينهم وبين انفسهم وان الله يحول بين المرء وقلبه وحيلولته بان يمنعه من مشاهدته

والح

ومراقبته

ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفية تقلبه بين اصبعين من اصابع الرحمن وانه كيف يهوى مرة الى اسفل السافلين وينخفض الى افق الشياطين وكيف يرتفع اخرى الى اعلى عليين ويرتقى الى عالم الملائكة المقربين ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه ويترصد ما يلوح من خزائن الملكوت عليه وفيه فهو ممن قال الله تعالى فيهم نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون فمعرفة القلب وحقيقة اوصافه اصل الدين واساس طريق السالكين ثم شرع في شرح معنى النفس والروح والقلب والعقل وبين كلا منها على حدته وذلك لانها ترجع بحسب الاصل الى معنى مشترك بينها فقال في بيان معنى النفس انها تشترك بين معان ويتعلق بغرضنا منه معنيان احدهما ان يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الانسان على ما سياتي بيانه وهذا الاستعمال هو الغالب على الصوفية فهم يريدون بالنفس الاصل الجامع للصفات المذمومة من الانسان فيقولون لابد من مجاهدة النفس وكسرها واليه الاشارة بقوله صلعم اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك المعنى الثاني هي اللطيفة التي ذكرناها التي هي الانسان بالحقيقة وهي نفس الانسان وذاته ومراده باللطيفة التي ذكرها اي في تعريف القلب بقوله هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسان وهي المدركة العالمة العارفة من الانسان وهو المخاطب والمعاتب والمطالب ولهذه اللطيفة علاقة مع القلب الجسماني وقد تحير اكثر الخلق في ادراك وجه علاقته وان تعلقها به ايضا هي تعلق الاعراض بالاجسام والاوصاف بالموصوفات او تعلق المستعمل للالة بالالة او تعلق المتمكن بالمكان ثم قال هنا ولكنها اى النفس توصف باوصاف مختلفة بحسب اختلاف احوالها فاذا سكنت تحت الامر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت بالنفس المطمئنة قال الله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك والنفس بالمعنى الاول لا يتصور رجوعها الى الله فانها مبعدة عن الله وهي من حزب الشيطان واذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعترضة عليها سميت النفس اللوامة لانها تلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة مولاها قال تعالى ولا اقسم بالنفس اللوامة وان تركت الاعتراض واذعنت واطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت النفس الامارة بالسوء قال تعالى وما ابرئ نفسى ان النفس لامارة بالسوء وقد يجوز ان يقال بان الامارة بالسوء المراد هي النفس بالمعنى الاول فاذن النفس بالمعنى الاول مذمومة غاية الذم وبالمعنى الثاني محمودة لانها نفس الانسان اي ذاته وحقيقته العاملة بالله تعالى وسائر المعلومات انتهى وقال الامام القشيري في رسالته نفس المرء في اللغة وجوده وعند القوم ليس المراد من اطلاق النفس الوجود ولا القالب الموضوع وانما ارادوا بالنفس ما كان معلولا من اوصاف العبد ومذموما من افعاله واخلاقه ثم قال ويكون النفس والروح من الاجسام اللطيفة في الصورة ككون الملائكة والشياطين بصفة اللطافة وكما يصح ان يكون البصر محل الرؤية والاذن محل السمع والانف محل الشم والفم محل الذوق والسميع والبصير والشام والذائق انما هي الجملة فكذلك محل الاوصاف الحميدة القلب والروح ومحل الاوصاف الذميمة النفس فالنفس من هذه الجملة والحكم والاسم راجع الى الجملة انتهى كلامه فعلم مما تقرر ان مرجع هذه الامور كلها ترجع الى حقيقة واحدة وانما تختلف اسماؤها باختلاف صفاتها وتجدد اسمائها باعتبار تنوعاتها وتطوراتها وقد ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم مجملة ومفصلة فاجمل ذكرها واطلق وصفها بقوله ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها وبين شانها بنعتها تارة بالامارة وتارة بالمطمئنة وحيث ما اطلقت النفس فتحمل على الامارة سيما ان حذر منها او تعقب ذكرها بذمها سميت بذلك لكثرة امرها بالسوء

والمخالفة قال ابو القاسم الجنيد النفس الامارة بالسوء هي الداعية الى المهالك المعينة للاعداء المتبعة للهوى المتهمة بالاوصاف
الاسوا ولم تزل المشايخ في سائر الاعصار محذرين منها ومن شرها واللوامة هي التي اذا عملت سوءا اقبلت على نفسها
ولامتها ونومت او سميت بذلك لانها في القيامة تلوم نفسها ان كانت مؤمنة حيث لم تزد من الطاعات ولم تترك
المعاصي واما الكافرة فهي قطعا في القيامة تلوم نفسها على عدم الايمان وعدم فعل الطاعات والمطمئنة هي المقبلة على الطاعات
المعترفة على العبادات سميت بذلك لاطمينانها الخ رحمه الله تعالى وكلام اهل التحقيق من ارباب الطريق في هذا الباب
كالبحر العباب فليراجع وقد ذكرناه هنا قطرة بتراصد القلوب وتجلوه في تجلوة الاستخدام ليعرف بها الانسان
نفسه وقول الماتن بالسوء متعلقة بامارتي والسوء اسم يجمع القبايح والشرور ما نافية وفاعل اتعظت ضمير راجع
للامارة والجملة خبران والاتعاظ قبول الوعظ والوعظ التذكير بما يرق القلوب من انواع الترغيب والترهيب
فيبعث على الطاعات ويحذر عن المعاصي ومن جهلها متعلق باتعظت علة له والجهل ضد العلم وهو مركب وبسيط
واثبات الجهل لها اما حقيقة او لتنزيلها منزلة الجهل لعدم جريها على موجب العلم وقوله بنذير الشيب والهرم
متعلق باتعظت وبجهلها والنذير مبالغة في المنذر والانذار بمعنى اسم الفاعل والمصدر يستعمل غالبا في التخويف
والاضافة للبيان كما في شهر رمضان او من اضافة الصفة للموصوف كما في جرد قطيفة او من قبيل اضافة
المشبه به الى المشبه كما في لجين الماء مبالغة في التاكيد والهرم تناهي الشيب هنا والمراد من نذير الشيب هنا
ابيضاض الشعر وكبر السن وضعف القوى وعدم الشهوة التي هي من اوصاف الرد الحار ذل العمر فانها علامات مؤذنة
بقرب الاجل وحلول الموت وانه على شرف الزوال ومع ذلك فلم تتعظ نفسه بذلك ابدا ولم تضع لداعي المنون
والردا وهو مستمر في التسويف والتعليل والاقامة على ما هو عليه من عدم التوبة والانابة قال عبد العزيز بن
داود من لم يتعظ بثلاث لم يتعظ بشيء الاسلام والقران والشيب قال الشاعر

يا عامر الدنيا على شيبه • فيك اعاجيب لمن يعجب
ما عذر من يعمر بنيانه • وجسمه مستهدم يخرب

وفي كلام الناظم ابلغ اسلوب حيث عبر عن الواعظ في زمن الصبا بالاثيم واعتذر بالمعذرة في عدم قبوله
وفي زمن الكهولة بالناصح وهو ابلغ في باب الوعظ من اللوم وعبر عن عدم قبوله بالاتهام الابلغ في الرد مع نوع
من الاعتذار وفي زمن الهرم بالنذير بين يدي موت قريب وعبر عن عدم قبوله بعدم الاتعاظ صريحا اذ
لا مجال للاعتذار والاتهام لعدم ما يقتضيهما فلم يبق الا التصريح بعدم قبول ذلك الوعظ اليس بعد المشيب
من نذير • اليس مع الهرم من تذكير • اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير واختلفوا في مقدار
هذا التعمير قيل سبعون سنة وقيل ستون وقيل اربعون والمراد بالنذير الشيب على احد التفاسير • ايها الهم الفاني
الهرم البالي • اليس بعد الانذار بهذه الصفات • وحصول الافات • غير حلول الممات • ان لم تتعظ بهذا النذير
فانك لفي جهل كبير • والجهل لا يليق بالانسان • بل هو من صفات الحيوان • فنفسك بهذا الجهل تشبه الثور •
وقد قالوا ان النفس مستمدة من اخلاق البهايم والحيوانات والوحوش والحشرات فبجهلها تشبه الثور • وبالشره
تشبه الخنزير • وبالحرص النمل • وبالوقوع على نجاسة الدنيا الذباب • وبالتهافت على الشهوات الفراش • وبالتفرع

والحنة

والحنة الكلب • وبالتمزيق للاموال الذيب • وبالرذيلة السبع • وبالروغان الثعلب • وبالخبث الدب • وبالجبن
الضبع • وبالسرقة والاختلاس الفار والجرذان • وبالنميمة القرد • وبالكبر النمر • وبالحقد الجمل • وبكثرة السؤال
الهر • وبالبلادة الحمار • وبالاغل البغل • وبالجماع الخيل الشموس • وباللدغ العقرب • وبعظيم الاذية مع حسن الصورة
الحية • وبالمكر والخديعة الشيطان • ومجموعها الشيطان المريد • نسأل الله تعالى ان يقينا شر نفوسنا وسيئات
اعمالنا اعنه فالانسان اذا اعطى نفسه مناها واتبع هواها كان شرا من جميع ما ذكر من البهايم والحيوانات والوحوش
والحشرات لانه جمع جميع صفاتها المذمومة وكل منها انفرد بصفة من الصفات والباعث له ذلك هو الجهل المانع من الانتفاع
والمراد بالجهل هنا هو الجهل المركب وهو تصور الشيء على خلاف ما هو به في الواقع سواء كان ذلك الادراك
مستندا الى شبهة او تقليد كما هنا حيث تصور انذار الشيب والهرم بحلول وقت الموت وقرب الاجل على خلاف
ذلك مستندا الى شبهة الامل بتراخي الاجل وانما سمي هذا الجهل مركبا لان صاحبه يعتقد الشيء على خلاف ما هو عليه
مع اعتقاده انه على ما هو عليه فهذا جهل اخر وقد تركبا معا وهو اقبح من الجهل البسيط حيث اهمل النظر في الادلة
والبحث على حقايق الاشياء على ما هي عليه في الواقع والجهل المركب بهذا الاعتبار يضاد العلم لصدق حد الضدين
عليهما فانهما معنيان وجوديان يستحيل اجتماعهما في محل واحد وبينهما غاية الخلاف ايضا خلافا للمعتزلة في قولهم
انه ليس ضدا له بل هو مماثل فامتناع الاجتماع بينهما انما هو للمقابلة لا للمضادة ولا احتجاج لهذا القول بين مقرر في محله
واما الجهل البسيط المقابل للمركب فهو عدم العلم عما من شانه ان يكون عالما بالشيء مطلقا بان لا يدركه على ما هو به
ولا على خلاف ما هو به فلا يكون ضد العلم بل مقابلا له تقابل العدم والملكة كما صرح به في المواقف وشرحه ودخل
في عدم العلم بالشيء السهو والغفلة والذهول وفي المواقف وشرحه انه يقرب من الجهل البسيط السهو وكانه
جهل بسيط سببه عدم استثبات التصور اي العلم فانه اذا لم يتمكن ويتقرر كان في معرض الزوال فيثبت مرة ويزول اخرى
ويثبت بدله تصور اخر غير مستقر فيشتبه احدهما بالاخر اشتباها غير مستقر حتى اذا نبه الساهي ادنى تنبيه
تنبه وعاد له التصور الاول وكذا الغفلة ويفهم منها عدم التصور مع وجود ما يقتضيه والذهول قيل وسببه
عدم استثبات التصور حيرة ودهشا قال تعالى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت فهو قسم من السهو والجهل
البسيط بعد العلم يسمى نسيانا وقد فرق بين السهو والنسيان بان الاول زوال الصورة عن المدركة مع بقائها في الحافظة
والثاني زوالها عنهما معا محتاج في حصولها الى سبب جديد قال الامدي ان الغفلة والذهول والنسيان عبارات
مختلفة لكن يقرب ان يكون معانيها متحدة وكلها مضادة للعلم بمعنى انه يستحيل اجتماعها معه قال والجهل البسيط
يمتنع اجتماعه مع العلم لانهما فيكون ضدا له وان لم يكن صفة اثبات وليس الجهل البسيط ضد الجهل المركب ولا الشك
ولا الظن ولا النظر بل يجامع كل منها لكنه يضاد النوم والغفلة والموت لانه عدم العلم عما من شانه ان يقوم به العلم
وذلك غير متصور في حالة النوم واخواته واما العلم فانه يضاد جميع هذه المذكورات فاياك والغفلة عما ذكر
فانه ينفعك في كثير من المواضع وعلى ذكر الجهل المركب فما احسن ما انشد ابو القاسم الامدي

اذا كنت لا تدري ولم تك بالذي • يسايل من يدري فكيف اذا تدري
جهلت ولم تعلم بانك جاهل • فمن لي بان تدري بانك لا تدري

اذاكنت

اذا كنت في كل الامور بنعمة • فكن هكذا ارضا يطاك الذي يدري

ومن اعجب الاشياء انك لا تدري • وانك لا تدري بانك لا تدري

وقد قسم الخليل بن احمد احوال الناس فيما علموه او جهلوه اربعة اقسام متقابلة لا يخلو حال الانسان منها فقال الرجال اربعة رجل يدري ويدري انه يدري فذاك عالم فاسألوه ورجل يدري ولا يدري انه يدري فذاك ناس فاذكروه ورجل لا يدري ويدري انه لا يدري فذاك جاهل فارفضوه فانظر وفقك الله الى ما يؤدي اليه الجهل من القبائح • حيث اصره على الفضائح • واصمه عن قبول الواعظ الناصح • كان في اذنيه وقرا • فلم يسمع للواعظ امرا • وليس هذا الا من الجهالة • واحتواء الغواية والضلالة • فتبا للجهل وتعسا • وسحقا له ونكسا • فقد قالوا الجهل راس الفضائح • ومعدن القبائح • ومضمار العثار • ومعيار الشنار • وهو دليل على غلظ الطبع • وجمود الخاطر • وفساد التركيب • واعتلال الذهن • وكدر النفس • وخبث الطينة رحم الله ابن دريد حيث يقول

جهلت فعاديت العلوم واهلها • كذاك يعادي العلم من هو جاهله

ومن كان يهوى ان يرى متصدرا • ويكره لا ادري اصيب مقاتله

وما اظرف قول بعضهم

وفي الجهل قبل الموت موت لاهله • واجسامهم قبل القبور قبور

وان امرأ لم يحيى بالعلم ميت • فليس له حتى النشور نشور

ومدح العلم اقبالا وافضالا • واكرم به شرفا وفخرا واجلالا قد قالوا العلم افضل مكتسب • واشرف منتسب • وانفس ذخيرة تقتنى • واطيب ثمرة تجتنى • وبه يتوصل الى معرفة الحقائق • ويتوسل الى رضى الخالق • وهو افضل نتايج العقل واعلاها • واكرم فروعه وازكاها • لا يضيع ابدا صاحبه • ولا يفتقر كاسبه • ولا يخيب طالبه • ولا تنحط مراتبه • ولله الزمخشري حيث يقول

وكل فضيلة فيها سناء • وجدت العلم من هاتيك اسنى

فلا تعتقد غير العلم ذخرا • فان العلم كنز ليس يفنى

وقال عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي

اخو العلم حي خالد بعد موته • واوصاله تحت التراب رميم

وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى • يظن من الاحياء وهو عديم

والايات والاحاديث والاثار والاشعار الواردة في مدح العلم اكثر من ان تحصى حتى افرده كثير من العلماء بالتصنيف وبذلك يستفاد ذم الجهل مع ما صرحوا به ايضا من ذمه وبضدها تتميز الاشياء ولو لم يكن من ذمه هنا الا عدم قبول قول الواعظ لكفى فنسأل الله تعالى من فضله ان يمن علينا بالعلم ويلهمنا العمل به انه ولي التوفيق • وهو الهادي الى سواء الطريق • وفي البيت مراعاة النظير والمقابلة مع حسن الانتقال الى ذكر مقام النفس بعد ان كان في حال المحبة ومخاطبة اللائم المسمى بالالتفات • وهو اسلوب من احسن اساليب البلغاء في كلامهم

ولا اعدت من الفعل الجميل قرى • ضيف الم براسي غير محتشم

ولا اعدت عطف على ما اتعظت قيل هو من عطف الخاص على العام فان الاتعاظ يكون بالاجتناب عن القبائح والاتيان بالمحاسن والاعداد الاتيان بالمحاسن ومجموع البيتين يدل على عدمهما خصوصا وعموما وقيل المراد بالاتعاظ

اجتناب القبائح ويدل عليه اماري بالسوء وبالاعداد الاتيان بالمحاسن فالاول اشارة الى عدم انتهائها بالنواهي المزجرة والثاني الى عدم ايتمارها بالاوامر المرغبة فاتضح من حالها انها سلكت طريق الخلاف فلم تقبل الاتعاظ والاعداد لا امرا ولا نهيا فما اتعظت ولا اعتدت اي هيأت من الفعل الجميل متعلق باعتدت ومن للابتداء او بقري فمن للبيان قدم عليه لوزن الشعر والفعل الجميل ما استحسنه الشرع والعقل من محاسن الاعمال واحاسن الاقوال ووصفه بالجميل لاخراج غير الجميل فان الفعل اعم منهما قال الراغب والفعل اعم من العمل فان العمل لا يقال الا فيما كان عن فكر وروية ولهذا قرن بالعلم فقيل علم وعمل حتى قال بعض الادباء قلب لفظ العمل عن لفظ العلم تنبيها على انه من مقتضاه قلت ولذلك اختاره الصرفيون في الميزان دون عمل مع اشتراكهما في المخارج الثلاثة بعموم الاول دون الثاني وكذا النحاة وقرى الضيف هو ما يعده الانسان للضيف اذا نزل به من طعام وشراب والمراد هنا ما يليق به من انواع اكرامه واصناف اعظامه بامتثال الاوامر واجتناب النواهي بعد التوبة او لاثم الترقي في مراقي الاعمال والسلوك في مسالك الافضال والضيف في الاصل مصدر وكذا يطلق على الواحد والمتعدد وقد يجمع على الاضيوف والضيفان والمرأة ضيف واضاف الرجل وضيفه انزل به ضيفا وضافه ضيافة اذا نزل عليه الم اي نزل براسي والجملة نعت لضيف وتنوين ضيف للتعظيم وغير اما بالجر على انها صفة ضيف واما بالنصب على انها حال اما من فاعل الم المستتر العائد الى ضيف وهو الظاهر او من ضيف نفسه الواقع مضافا اليه كما في اعجبني ضرب زيد راكبا لان المضاف مصدر عامل في المضاف اليه والعامل في الحال هو العامل في صاحبه قال تعالى اليه مرجعكم جميعا واتيان الحال من المضاف اليه مشروط باحد ثلاث شروط ان يكون المضاف عاملا في المضاف اليه كما في مثالنا او يكون جزءه من المضاف اليه نحو رايت هذا قائمة اذا رايت وجهها بخلاف رايت غلام هند قائمة قال تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا او يكون مثل جزئه بحيث يصح قيامه مقامه كما في قوله تعالى واتبعوا ملة ابراهيم حنيفا اي اتبعوا ملته فالعامل في الحال هنا هو العامل في المضاف لما بين المضاف والمضاف اليه من الاتحاد بالوجه المذكور وذهب بعضهم الى ان العامل في مثل هذا الحال معنى الاضافة لما فيها من معنى الفعل المشعر بحرف الجر كانه قيل ملة ثبتت لابراهيم حنيفا ورد بانه لو كان العامل معنى الاضافة بالطريق المذكور لم يكن لتخصيص الجواز بما اذا كان المضاف جزءا او كجزء معنى بل يلزم تجويز وقوع الحال من كل مضاف اليه وهو باطل اتفاقا بالجواز مقتصر على الصور الثلاثة المذكورة وقال ابن مالك في الفيه بقوله

ولا تجز حالا من المضاف له • الا اذا اقتضى المضاف عمله

او كان جزء ما له اضيفا • او مثل جزئه فلا تحيفا

هذا وقد منع الشيخ ابو حيان هنا في شرح الالفية جواز ذلك فقال ما ذهب اليه الناظم من الجواز اذا كان جزءا او كجزء ليس بمختار بل الصحيح ان ذلك ممنوع على الاطلاق واما ما استدل به من اخوانا ومن حنيفا في قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا وقوله تعالى اتبع ملة ابراهيم حنيفا فلا حجة فيه اما اخوانا فيجوز ان يكون منصوبا على المدح كانه قال امدح اخوانا واما حنيفا فيجوز ان يكون حالا من ملة وذكر على معنى الدين لان الملة هي الدين فكانه قال دين ابراهيم حنيفا ويحتمل ان يكون حالا من الضمير المستكن في اتبع انتهى واقول لا يخفى ما في كلامه من التكلف اما في ان اخوانا يكون منصوبا على المدح فخروج الى تقدير فعل والاصل عدمه لانه متى صح الكلام بدون التقدير فلا يصار اليه

واما قوله ان حنيفا يكون حالا من ملة فلا يصح لان فعيلا هنا بمعنى فاعل فيفرق بين مذكره ومؤنثه بالتاء وجعله التذكير على تأويل الملة بالدين تكلف بعيد لا ضرورة تحوج اليه واما جعله حالا من فاعل اتبع فيقتضي تقييد الاتباع بملة ابراهيم حال كونه حنيفا وهو غير لازم لانه وان كان الخطاب خاصا الا ان الحكم عام فتامل وعند كتابة هذا المحل ورد على الفقير من بعض اخواننا الافاضل بغزة ان بعض الفضلاء اعترض عبارة المغني في تفسير قوله تعالى اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون حيث جوز كون الجملة حالا من النار المضاف اليها في قوله وقد جوز كونه حالا من النار لاشتماله على ضميرها والعامل معنى الاضافة او اللام المقدرة الخ فقط فيه المعترض من وجهين الاول ان الحال لا يجيء من المضاف اليه الا اذا كان المضاف عاملا في المضاف اليه او جزءا له او كجزئه وليس هنا شيء من ذلك الثاني قوله والعامل معنى الاضافة فيه نظر يعلم مما قاله النحاة قال ابن الحاجب وعاملها الفعل او شبهه الخ ومعنى الاضافة ليس فعلا ولا شبهه ولا معناه كما لا يخفى انتهى كلام المعترض وطلب من الفقير النظر في وجهي النظر فاجبت عن النظر الاول بان هذا الحصر غير مجمع عليه فقد خالف في ذلك ابو علي الفارسي كما نقله عنه ابن الشجري حتى نقله عن ابي الشجري ابن عقيل في شرح الالفية وعلى تسليمه والوقوف على ظاهر كلام الالفية وحصره فالمضاف هنا اصحاب وهو عامل في النار وعلى تسليم عدم عمله فهم منزلون من النار منزلة جزئها فكانهم منها لوقودهم فيها وصيرورتهم بصورتها تهويلا عليهم وتشديدا في عذابهم ويدل عليه قوله تعالى وقودها الناس والحجارة الى غير ذلك من الايات او لعدم انفكاكهم عنها نزلوا منزلة جزئها والى ذلك اشارة المغني حيث يقول اصحاب النار اي ملازموها وملابسوها بحيث لا يفارقونها فان قلت شرط المنزل منزلة الجزء ان يصح قيامه مقامه مثل اتبعوا ابراهيم اذا اتبعوا ملته قلت وهنا يصح ذلك بان يقال ولئك النار اذا اشيرت الى اصحابها تهويلا وملازمة كما قررناه فان قلت فكيف يصح وقوع الحال مع اشتماله على ضمير النار ويلزم خلود الشيء في نفسه قلت لا يلزم اما اولا فلما قررناه اولا واما ثانيا فلان النار يراد بها معنيان وقودها ومحلها فاطلقت اولا بمعنى الوقود وارجع لضميرها في الحال بمعنى المحل على طريقة الاستخدام فليتأمل واما الجواب عن النظر الثاني فالعامل هنا وان لم يكن فعلا لكنه بمعناه قال الرضي يعني بشبه الفعل ما يعمل عمل الفعل وهو من تركيبه كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة والمصدر ويعني بمعنى الفعل ما يستنبط منه معنى الفعل ولا يكون من صيغته كالظرف والجار والمجرور وحرف التنبيه الى اخره اذ كل والاضافة في حكم الجار والمجرور لانها على تقدير الحرف كما تقرر ولذا قال معنى الاضافة وانكار المعترض عمل معنى الاضافة في الحال غير مستقيم لاشتهار القول به وهو مذهب جماعة من النحويين وشاع القول به فيما بينهم وان كان ضعيفا فلا ينبغي انكاره قال الرضي واما العامل في حال نحو بل ملة ابراهيم حنيفا اعني اذا كان الحال عن مجرور بعضا غير عامل في الحال كما عمل في ضرب زيد راكبا فعند من جوز اختلاف العامل في الحال وصاحبها لا اشكال فيه واما من منعه فقال بعضهم العامل فيه معنى الاضافة الى اخر ما قرر وقد اعرب القاضي ومثله المغني حنيفا في قوله تعالى بل ملة ابراهيم حنيفا في سورة البقرة حالا من المضاف اليه كقوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم قال حسن وفي حاشية للوفائي على المغني جاز ذلك اذا كان المضاف جزءا من المضاف اليه او بمنزلة الجزء بحيث يصح قيامه مقامه مثل اتبعوا ابراهيم اذا اتبعوا ملته ورايت هندا الذاريات وجهها بخلاف نحو رايت غلام هند قائمة واختلفوا في عامل مثل هذا الحال فقيل معنى الاضافة

لما فيه

لما فيه من معنى الفعل المشعر به حرف الجر كانه قيل ملة ثبتت لابرهيم حنيفا والصحيح ان عامله عامل المضاف لما بينهما من الاتحاد بالوجه المذكور واما مثل اعجبني ضرب زيد راكبا فلا كلام في جوازه وكون عامله هو المضاف نفسه وهو ظاهر انتهى

والاحتشام الاستحيا من جهة الاحترام وعدم احتشام الضيف في نزوله دليل ظاهر على كرمه في عادة العرب وعلى المنزول به اما دلالته على كرم الضيف فان عدم الاحتشام ح يدل على كرم الاخلاق • وطيب الاعراق • ورفع التكلف • ووجود التالف • ووفور الوداد • وحصول الاتحاد • وزوال الوحشة • وحصول الايناس • وجميل المجاملة • وحسن المخالطة • والمشاكلة حتى يعد نفسه كانه واحد منهم الى غير ذلك من الصفات الحميدة والسمات العديدة كما نقل عن الامام الشافعي رضه فيما رواه عن الربيع بن سليمان قال سمعت الامام الشافعي رضه يقول فارقت مكة وانا ابن اربع عشرة سنة لا نبات بعارضي من الابطح الى ذي طوى وعلي بردتان يمانيتان فرايت ركبا منيخين فسلمت عليهم فردوا علي السلام ووثب الي شيخ كان فيهم وقال سالتك الله الا ما حضرت طعامنا قال الشافعي رضه وما كنت اعلم انهم احضروا طعاما فاجبت مسرعا غير محتشم فرايت القوم يأخذون الطعام بالخمس فيدفعون بالراحة فاخذت كاخذهم كي لا يستبشع عليهم ماكل والشيخ ينظر الي ثم اخذت السقا فشربت ماء وحمدت الله تعالى واثنيت عليه فاقبل علي الشيخ ثم قال امكي انت قلت مكي قال قرشي انت قلت قرشي ثم اقبلت عليه وقلت يا عم بم استدللت علي فقال اما في الحضر فبالزي واما في النسب فبالطعام لان من احب ان ياكل طعام الناس احب ان ياكلوا طعامه وذلك في قريش خصوصا ثم ذكر الشافعي ان الشيخ المذكور حمله الى يثرب لاخذ العلم عن مالك بن انس رضه الى ان قال الشافعي فاقمت ضيف مالك ثمانية اشهر فما علم احد من الانس الذي كان بيننا انا الضيف واما دلالته على كرم المنزول به فلما يعلم الضيف من وجوده وانبساطه وبشاشته وطلاقة وجهه بكثرة الضيوف الواردين عليه وقيامه بحق الضيوف وبذل المعروف والعرب قديما ما كان لهم ما يفتخرون به الا الضيف والسيف والبلاغة وكانوا يحتفلون بالضيف اذا نزل بهم ويهتمون به ويرعون ذمامه ويعرفون حقه واحترامه انظر الى حمزة السعدي يخاطب امرأته وقد نزل به ضيف

اقول والضيف مخشي ذمامته • على الكريم وحق الضيف قد وجبا
يا ربة البيت قومي غير صاغرة • ضمي اليك رحال القوم والقربا
في ليلة من جمادى ذات اندية • لا يبصر الكلب من ظلمائها الطنبا
لا ينبح الكلب فيها غير واحدة • حتى يلف على خيشومه الذنبا

وكانت عادتهم انهم ينصبون بيوتهم على قوارع الطريق وفي شواهق الجبال ويوقدون النيران ليلا ويأمرون عبيدهم بايقادها كل ذلك طلبا لاهتداء الضيوف ومعرفة منازلهم واما كفهم حبا للضيف وحثا على الاطعام

نصبوا على جنب الطريق قبابهم • يتقارعون على قرى الضيفان

وسيأتي ذلك ان شاء الله تعالى في محله ولم يزل لهذا دابهم في الجاهلية والاسلام • وهم مستمرون على هذه السنة الى هذه الايام • ولا باس علينا بذكر من اشتهر من خيارهم • وذكر شيء من اخبارهم • اذ في ذكرهم حث على الكرم والجود وحب للبشر بالوفود فاجواد الجاهلية الذين انتهى اليهم الجود ثلاثة حاتم بن عبد الله الطائي وهرم بن سنان المزني

وكعب بن مامة الايادي ولكن المضروب به المثل حاتم وحده وكان اذا اشتد البرد وكلب الشتاء امر غلامه فاوقد
نارا في بقاع الارض لينظر اليها المار فيهتدي ويقول

اوقد فان الليل ليل قر • والريح يا موقد ريح صر
عسى يرى نارك من يمر • ان جلبت ضيفا فانت حر

واما هرم بن سنان فهو صاحب زهير الذي يقول فيه تراه اذا ما جيته متهللا • كانك تعطيه الذي انت سائله •
وسناتي ترجمته واما كعب بن مامة الايادي فيكفيه من ذكر كرمه ما ذكر عنه من ايثاره رفيقه السعدي بالماء حتى مات عطشا
ونجا السعدي وناهيك بهذا الكرم الذي ما لم يسبق اليه ومع ذلك فالمشهور منهم بالجود والمضروب به المثل في سائر
الافاق هو حاتم وقد ادرك مولد النبي صلعم ومات قبل مبعثه وحكي عن علي بن ابي طالب انه قال فلا يرى نفسه للخير
اهلا فلو كان لا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا لكان ينبغي له ان يسارع الى مكارم الاخلاق فانها تدل على سبيل النجاح
فقام اليه رجل فقال يا امير المومنين اسمعته من النبي صلعم قال نعم لما اتى بسبايا طي وقفت جارية عطا لعسا
فلما رايتها اعجبت بها وقلت لاطلبنها من النبي صلعم فلما تكلمت انسيت جمالها لفصاحتها فقالت يا محمد ان رايت
ان تخلي سبيلي ولا تشمت بي احياء العرب فاني ابنة سيد قومي وان ابي كان يفك العاني ويشبع الجايع ويكسو
العاري ويفشو السلام ولا يرد طالب حاجة قط انا ابنة حاتم الطاي فقال النبي صلعم يا جارية هذه صفة المومن
ولو كان ابوك مسلما لترحمنا عليه خلوا عنها فان اباها كان يحب مكارم الاخلاق واول ما ظهر من جود حاتم ان اباه
خلفه في ابله وهو غلام فمر به جماعة من الشعراء فيهم عبيد بن الابرص وبشر بن حازم والنابغة الذبياني يريدون
النعمان فقالوا لحاتم هل من قرى ولم يعرفهم فقال تسألوني عن القرى وقد رايتم الابل والغنم انزلوا فنزلوا
فنحر لكل واحد منهم وسألهم عن اسمائهم فاخبروه ففرق فيهم الابل والغنم وجاء ابوه فقال ما فعلت فقال طوقتك
مجد الدهر تطوق الحمام وعرفه فقال ابوه اذن لا اباك وكانت امه عتبة بنت عفيف موسرة وكانت لا تمسك شيئا
وكان اخوتها يمنعونها فتابى فحجروا عليها سنة يطعمونها قوتها لعلها تكف عما تصنع ثم مكنوها من حرمة من ابلها وقالوا
استمتعي بها فاتتها امرأة من هوازن فسألتها فقالت دونك الحرمة فقد والله ذقت من الفقر ما اليت ان لا امنع
سائلا شيئا وهو من فحول الشعراء والمجيدين على طبيعة والديه اشار في قوله من شعره

اعادل ان المال غير مخلد • وان الغنى عارية فتزود
وكم من جواد يفسد اليوم جوده • وساوس قد ذكرته الفقر في غد
وكم لئيم ابات فما كف جودهم • ملام ومن ايديهم خلقت يدي

فوائد

وحكي عن زوجة النوار انها قالت اصابتنا سنة اقشعرت لها الارض وضنت المراضع على اولادها فوالله اني لفي ليلة
صنبر بعيدة ما بين الطرفين اذ تضاغوا اولادنا عبد الله وعدي وسفانة فقام الى الصبيين وقمت الى الصبية فوالله
ما سكتوا الا بعد هدوة من الليل ثم ناموا ونمت انا واياه فاقبل علي يحدثني يعللني بالحديث فعرفت ما يريد فتناومت
وما بي نوم فقال ما لها انامت فسكت فلما تهورت النجوم اذا شيء قد رفع كسر البيت فقال ما هذا قالت
جارتك فلانة قال ما لك قالت اتيتك من عند صبية يتعاوون تعاوي الذياب من الجوع قال اعجليهم فهببت اليه

فقلت

فقلت ماذا تصنع فوالله لقد تضاغى صبيتك من الجوع فقال اسكتي واقبلت المرأة تحمل اثنين ويمشي جانبها اربعة
كانها نعامة حولها رئالها فقام الى فرسه جلاده فنحره وكشط عن جلده ودفع المدية الى المرأة ثم قال ابعثي صبيانك
فبعثتهم واجتمعنا فقال سوءة لكم تاكلون دون اهل الصرم ثم جعل ياتي بيتا بيتا ويقول دونكم النار فاجتمعوا
والتفع بثوبه ناحية ينظر الينا والله ما ذاق منها مزعة وانه لاحوجهم واصبحنا وما على الارض الا عظم او حافر
واما اجواد الاسلام فاحدى عشر رجلا في عصر واحد وهم عبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر وسعيد بن العاص
واجواد اهل البصرة خمسة في عصر واحد وهم ابن عباس وعبد الله بن ابي بكر مولى رسول الله صلعم ابن زيادة وعبيد الله
بن معمر القرشي التيمي وطلحة الطلحات وهو طلحة بن عبد الله بن خالد الخزاعي واجواد اهل الكوفة ثلاثة في عصر
واحد وهم عتاب بن ورقا الرياحي واحمد بن جارحة وعكرمة الفياض ولا باس بذكر شيء من مكارمهم فمن جود
عبد الله بن عباس انه اول من فطر جيرانه واول من وضع الموايد على الطريق وكان اذا خرج من بيته طعام لا يعاد منه
شيء فان لم يجد من ياكله تركه على الطريق ومن جوده انه اتاه رجل وهو بفناء داره فقام بين يديه وقال له يا ابن عباس
ان لي عندك يدا وقد احتجت اليها فصعد فيه بصره وصوبه فلم يعرفه فقال له ما يدك عندنا قال رايتك واقفا
بزمزم وغلامك يملي لك من مائها والشمس قد صهرتك فظللتك بطرف كسائي حتى شربت فقال اجل اني لاذكر ذلك
ثم قال لغلامه ما عندك قال مايتا دينار وعشرة الاف درهم قال ادفعها اليه وما اراها تفي بحق يده عندنا
فقال له الرجل والله لو لم يكن لاسمعيل ولد غيرك لكان فيك ولقد ولد سيد الاولين والاخرين ثم شفع
بك وبابيك ومن جوده ان معاوية حبس على الحسين بن علي صلته حتى ضاقت عليه فقيل لو وجهت الى ابن عمك
عبد الله بن عباس لكفاك وقد يقوم بنحو الف الف فقال الحسين وما مقدار ما عنده والله انه اجود من الريح واسخى
من البحر اذا ذخر ثم وجه اليه رسوله بكتابه ذكر فيه حبس معاوية عنه صلاته وضيق حاله وانه محتاج الى مائة الف
فلما قرأ كتابه وكان ارق الناس قلبا والينهم عطفا انهملت عيناه ثم قال ويلك يا معاوية تكون لين المهاد رفيع
العماد والحسين يشكو ضعف الحال وكثرة العيال ثم قال لقهرمانه احمل الى الحسين نصف ما تملكه من ذهب وفضة
ودابة واخبره اني شاطرته مالي فان اقنعه ذلك والا فارجع واحمل اليه الشطر الثاني فلما اتى الرسول الى الحسين
قال انا لله ثقلت على ابن عمي وما حسبت انه يتسع بهذا كله فاخذ الشطر من ماله وهو اول من فعل هذا في الاسلام
ومن جود عبد الله بن جعفر ان عبد الرحمن بن ابي عمارة دخل على نخاس يعرض قيانا للبيع فشغف بحب واحدة
منهن ولم تكن له جدة يتوصل بها الى المشتري فشبب بذكرها حتى مشى اليه عطا وطاوس ومجاهد يعذلونه
في ذلك فكان جوابه ان قال • يلومني فيك اقوام اجالسهم • فما ابالي اطار اللوم ام وقعا • فانتهى خبره الى عبد الله
بن جعفر فلم يكن له هم غيره فحج وبعث الى مولى الجارية فاشتراها منه باربعين الف درهم وامر قيمة جواريه ان تزينها
وتحليها ففعلت وبلغ الناس قدومه فدخلوا عليه فقال ما لي لا ارى ابن ابي عمارة زائرنا فاخبر بذلك فاتى مسلما
فلما اراد ان ينهض استجلسه ثم قال ما فعل بك حب فلانة قال جرى حبها في اللحم والدم والمخ والعصب قال اتعرفها
ان رايتها قال لو دخلت الجنة لم انكرها فامر عبد الله ان تخرج اليه وقال انما اشتريتها لك ووالله ما دنوت
منها فشانك بها بارك الله لك فيها فلما ولى قال يا غلام احمل معه مائة الف درهم قال فبكى عبد الرحمن وقال

يا اهل البيت والله لقد خصكم الله بشرف ما خص به احدا من صلب ادم فهنأكم الله بهذه النعمة وبارك لكم فيها ولنقتصر على ما
ذكرناه من مكارم الاخلاق لاهل بيت النبوة صلعم اذ المقام مقامهم ولنذكر مكارم غيرهم على كتب الادب وقال
صاحب العقد انه جاء بعدهم طبقة اخرى وهي الطبقة الثانية ولا بأس بذكر بعض منهم وذكر شيء من مكارمهم وان
طال الكلام لتتروح النفوس الى ماثرهم وتقتدي بمفاخرهم فمنهم الحكم بن حنطب قيل سأله اعرابي فاعطاه خمسماية
دينار فبكى الاعرابي فقال له لعلك استقللت ما اعطيناك قال لا والله ولكن ابكي لما تاكل الارض منك ثم انشد

فكان ادم حين حان وفاته • اوصاك وهو يجود بالحوباء

ببنيه ان ترعاهم فرعيتهم • وكفيت ادم غيلة الابناء

ومنهم معن بن زائدة كان يقال فيه حدث عن البحر ولا حرج وحدث عن معن ولا حرج واتاه رجل يستحمله فقال
يا غلام اعطه فرسا وبغلة وبعيرا وحمارا وجارية ولو عرفت مركوبا غير ذلك اعطيتك ومنهم يزيد بن المهلب
قيل كان هشام بن حسان اذا ذكره قال والله كانت السفن تجري في بحر جوده حكى الاصمعي انه قدم على يزيد قوم من قضاعة

فقال رجل منهم والله ما ندري اذا ما فاتنا • طلب اليك من الذي نتطلب

ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد • احدا سواك الى المكارم ينسب

فاصبر لعادتنا التي عودتنا • او لا فارشدنا الى من نذهب

فامر له بالف دينار ومنهم يزيد بن حاتم قيل ان ربيعة قدم مصر فاتى يزيد السلمي فلم يعطه شيئا ثم عطف على يزيد بن حاتم فشغل عنه لامر ضروري فخرج

وهو يقول اراني ولا كفران لله راجعا • بخفي حنين من نوال ابن حاتم

فلما فرغ يزيد من ضرورته سال عنه فاخبر انه خرج وهو يقول كذا وانشد البيت فارسل من يجد في طلبه فاتي به فقال
له كيف قلت فانشد البيت فقال شغلنا عنك وعجلت علينا ثم امر بخفيه فخلعا من رجليه وملئا مالا وقال ارجع بهما
بدلا من خفي حنين ومنهم ابو دلف واسم القاسم وسيأتي ذكر شيء من مكارمه ومنهم خالد بن عبد الله القسري قيل انه
كان جالسا في مظلة اذ نظر الى اعرابي يخب على بعيره مقبلا نحوه فقال لحاجبه اذا قدم لا تحجبه فلما قدم ادخله فسلم

وقال اصلحك الله قل ما بيدي • فما اطيق العيال اذا كثروا

اناخ وهو رمي بكلكله • فارسلوني اليك وانتظروا

فقال خالد اذا ارسلوك الي وانتظروا والله لا تنزل حتى تعود اليهم بما يسرهم وامر له بجائزة عظيمة وكسوة شريفة
ومنهم عدي بن حاتم حكى صاحب العقد قال دخل ابو دارة على عدي بن حاتم فقال اني مدحتك قال اسكت حتى اتيك
بمالي فاني اكره ان لا اعطيك ثمن ما تقول هذه الف شاة والف درهم وثلاثة اعبد وثلاثة اماء وفرسي هذا حبيس
في سبيل الله فامدحني على حسبما اخبرتك وهؤلاء هم كالبحر والسحاب فيضا وجودا والقطرة تدل على الغدير فلنكتف
بما ذكرناه ليتروح له التيح الكريم ويستميل صاحب الطبع السليم ولنذكر الان ما يتعلق بالضيافة واداب
المضيف والضيف ولنبدأ بسيد الاجواد والاسخياء ابي الضيفان وابي الانبياء النبي الجليل ابراهيم الخليل
على نبينا وعليه وعلى اولاده الانبياء الكرام افضل الصلوة واتم السلام ليكون ذكره ختاما للاسخياء الكرام
وبداية للضيافة المستمرة على دوام الايام اذ هو عليه الصلوة والسلام اول من سن القرى واضاف الضيوف

وكان

وكان يكنى ابا الضيفان وكان بنى دارا لها اربعة ابواب الى اطراف الارض وكان يركب في طلب الضيف اميالا وكان
لا ياكل الا مع الضيف وقيل له عليه السلام بم اتخذك الله خليلا قال بثلاث ما خيرت بين شيئين الا اخترت الذي لله
على غيره ولا اهتممت بما تكفل لي به ولا تغديت ولا تعشيت الا مع ضيف وكان عليه السلام يتعاطى خدمة
الضيوف بنفسه واهله قال تعالى وامراته قائمة ولما علم الله تعالى صدق نيته ومحبته لذلك اكرمه بان جعل ضيافته
عامة دائمة غير منقطعة الى يومنا هذا والى اخر الدهر ان شاء الله تعالى فالضيوف على توالي الايام كثيرة وقلة
لم ينقطعون عن ضيافته ونحن نشاهد ذلك عيانا على بسط الايام الواردين للزيارة لحضرته الشريفة من سائر
الاقطار وفي بعض الاوقات تاتي القوافل العديدة ويجتمع عدينه الالوف المؤلفة وكل منهم يأكل من سماطه ومن خبزه
ويحمل كل منهم من خبزه الذي يفرق هناك على سبيل التبرك الى سائر البلدان هذا ما كان من الضيوف واما اهل
المدينة المقيمون بها والمجاورون بتلك الحضرة الشريفة بجميعهم ليس لهم في بيوتهم خبز الا من سماطه حتى انه
في غالب الاوقات يفضل عن كفايتهم فيطعمونه لدوابهم وكثير من اهل بيت المقدس لهم مرتبات في وقفه الشريف
ومن جملتهم هذا العبد الفقير ونشاهد في خبزه البركة وصاع الخبز جماعة كبيرة كثيرة لا يفترون عن خبزه
واصطناعه ليلا ونهارا وقد دخلت الى المكان الخبز الذي يضع فيه وسألت منهم ومن كبير الكتبة المباشرين
عن كمية الخبز في كل يوم فاخبروني انهم يصنعون في كل يوم مرتب اربعين الف رغيف واذا زاد الضيوف والواردون للاعلام
زادوا بحسبهم واما مكان تفريق الخبز والطعام ودق الطبل المخصوص به عليه الصلوة والسلام بذلك فلهن حضرة
عظيمة وحالة جليلة لا يمكن التعبير عنها الا بالمشاهدة وقد الف اهل ديارنا في ادعيتهم اذا دعوا لاحد
بعد اكل طعام ان يقولوا اللهم اجعله من سماط الخليل لا مقطوعا ولا ممنوعا والحمد لله لم يعهد قطع سماطه
عليه السلام ولا منعه ونرجو الله تعالى دوام ذلك وان يمد نا بمدده صلعم واما الضيافة ففي سنة من سنن الانبياء
وعادات من عادات الكرام والاحاديث الشريفة متظاهرة على الامر بالضيافة والاهتمام بها وحسن موقعها
وقد اجمع المسلمون على الضيافة قال الشافعي ومالك وابو حنيفة والجمهور هي سنة وليست بواجبة وقال الليث
واحمد هي واجبة يوما وليلة على اهل البادية والقرى دون اهل المدن وتأول الجمهور الاحاديث المقتضية لوجوبها
بحملها على الاستحباب ومكارم الاخلاق كحديث غسل الجمعة واجب على كل محتلم اي متأكد الاستحباب وانما قلنا تأكد
استحبابها على اهل البادية لان المقصود من الضيافة ملائمة امور الايواء والتبجيل والقرى وهذه الثلاثة
متعذرة في البادية اجتماعها بخلاف المدن فانها موجودة لان المسافر لا يتعذر عليه وجود المنزل والخلق
الكثير والطعام الكثير على اختلاف انواعه كما ورد في الخبر الضيافة على اهل الوبر وليست على اهل المدر اي
لما تقرر قال تعالى هل اتيك حديث ضيف ابرهيم المكرمين وقال رسول الله صلعم من كان يؤمن بالله واليوم
الاخر فليكرم ضيفه ولا يؤذي جاره وقال عم من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه جائزته
يوم وليلة والضيافة ثلثة ايام وما زاد فهو صدقة ولا يحل له ان يثوي عنده حتى يحرجه وفي رواية حتى يؤثمه
قالوا يا رسول الله كيف يؤثمه قال يقيم عنده ولا شيء له يقريه وفي رواية ان نزلتم بقوم فامروا لكم بما ينبغي
للضيف فاقبلوا فان لم يأمروا فخذوا منهم حق الضيافة وفي الحديث الضيف ينزل برزقه ويرحل وقد غفر

لصاحبه وفي الحديث تصلي الملائكة على الرجل ما دامت مائدته موضوعة وفي حديث ان بيت لا يدخله الضيف لا تدخله الملائكة ومن سنن البناء ان يبني الانسان في منزله بيتا للضيافة كما فعله الخليل عليه السلام وفي الحديث ان لكل شيء زكوة وزكاة الدور بيت الضيافة وفي الصحيح عن ابن عمر ان رجلا سال النبي عم اي الاسلام خير قال تطعم الطعام فجعل اطعام الطعام من الاسلام واطعام الطعام على نوعين اما ان ياتيك الزائر فتطعمه فيكون ضيفا لك واما ان تدعوه صحبتك زائرا لك في منزلك فيكون ضيفا بدخوله في منزلك ولو لم يكن في التضيف فائدة الا ما ورد ان الضيف اذا ارتحل يذهب بذنوب اهل المنزل لكفى واما اداب المضيف فمن السنة ان يأخذ بيد ضيفه ويدخله المنزل مستبشرا به وينظر اليه بالبشاشة وبالبشر ويكرمه بالمستطاع من الرفق واللطف فقد قيل بشاشة الوجه خير من القرى فكيف بمن ياتي بها وهو ضاحك وقد ضمن ذلك الشمس البديوي حيث يقول في ابيات

اذا المرء وافى منزلا منك قاصدا ... قراك وامته لديك المسالك
فكن باسما في وجهه متهللا ... وقل مرحبا اهلا ويوم مبارك
وقدم له ما تستطيع من القرى ... عجولا ولا تبخل بما هو هالك
فقد قيل بيتا سالفا متقدما ... تداوله زيد وعمرو ومالك
بشاشة وجه المرء خير من القرى ... فكيف بمن ياتي بها وهو ضاحك

وان يعرف حق اجابته له ويتقلد منه منة عظيمة في ذلك ويقابل ذلك بالاحسان ويلاطفه بالكلام والخطاب قالت العرب تمام الضيافة الطلاقة عند اول وهلة

قال حاتم الطائي

سلي الطارق المعتر يا ام مالك ... اذا ما اتاني بين نادي ومجزري
هل ابسط وجهي انه اول القرى ... وابذل معروفي له دون منكري
الله يعلم انه ما سرني ... شيء كطارقة الضيوف النزل
ما زلت بالترحيب حتى خلتني ... ضيفا له والضيف رب المنزل

ولله در القائل اخذه من قول بعضهم

يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا ... نحن الضيوف وانت رب المنزل

وما احسن قول سيف الدولة ابن حمدان

منزلنا رحب لمن زاره ... نحن سواء فيه والطارق
كل ما فيه حلال له ... الا الذي حرمه الخالق

قال الاصمعي سالت عيينة بن وهب الدارمي عن مكارم الاخلاق فقال اوما سمعت قول عاصم بن وايل حيث قال

وانا لنقري الضيف قبل نزوله ... ونشبعه بالبشر من وجه ضاحك

ومن ادابه ان يعجل له ما حضر من الطعام والشراب ويضعه بين يديه كما فعل الخليل عم فراغ الى اهله فجاء بعجل حنيذ فقربه اليهم ولا يمنعه ذلك قلة ما عنده بل يحضر اليهم ما وجد فقد جاء عن انس وغيره من الصحابة انهم كانوا يقدمون الكسر اليابسة وحشف التمر ويقولون ما ندري ايهما اعظم وزرا الذي يحتقر ما يقدم اليه او الذي يحتقر ما عنده ان يقدم وان لا يعد كثرة ما يقدم الى الضيف اسرافا ولا يقوم ما ينفق على الضيف فانه من البخل ويختار للضيف اصفى الطعام وازكاه فيقدمه في احسن الاواني قيل لاوزاعي رجل قدم الى ضيفه الكامخ والزيتون وعنده اللحم والسمن والعسل

فقال لا يؤمن هذا بالله واليوم الاخر ولا يتكلف له فوق طاقته فيؤدي الى بغضه ويؤثر الضيف على نفسه بما عنده وان لم يجد الا قوت ليلة ويتولى خدمة الضيف بيده مهما امكن كما فعل الخليل عم ولا يمنعه من ذلك علو منصبه وزيادة شرفه فان ذلك من زيادة الشرف فقد نزل الشافعي على مالك رضي الله عنهما فصب بنفسه الماء على يديه وقال لا يروعك ما رايت مني فخدمة الضيف فرض وكان الشافعي اذ ذاك ابن اربعة عشر سنة ومالك في سن الشيخوخة وكبر المقدار وكثرة العلم ويبدا في التقديم باعز شيء كان عنده ولا باس بان يخبرهم الطباخ بما هي لهم من الالوان ليختار كل شهوته حكي عن الشافعي رض انه كان نازلا عند الزعفراني ببغداد والزعفراني هذا هو الامام الذي لحقه التهوق لما صلى خلفه الشافعي والف الشافعي بسببه كتابا سماه باسمه وهو اربعون جزءا يعرف بكتاب الزعفراني وصنفه بالعراق وكامل في ثلاث سنين قال فكان الزعفراني يكتب كل يوم في رقعة ما يطبخ من الالوان ويدفعها الى الجارية فاخذ الشافعي منها يوما والحق فيها لونا اخر فعرف الزعفراني ذلك فعتق الجارية سرورا بذلك وكان من سنة السلف ان يقدموا جملة الالوان دفعة لياكل كل ما يشتهي ويقدم كل شيء من المطعوم والنوادر والبقول والخضر والملح المدقوق وان يضع الزعفران ونرا ومن ادابه اذا قدم الطعام الى اضيافه ان لا ينتظر من يحضر من عشيرته فقد قيل ثلاثة تضني سراج لا يضي • ورسول يبطي • ومائدة ينتظر لها من يجي • ومن ادابه ان يكون رب المنزل اول من يضع يده في الطعام ان قعد معهم واخر من يرفع يده منه وان يحثهم على الاكل ان راى منهم تواينا ويرى مؤنة الضيف على الله تعالى لا على نفسه ولا يدعو الى طعام احدا الا الله تعالى ويجانب الريا والمرا والمباهات ويقصد بذلك ادخال السرور على اخوانه وبسط نفوسهم وزيادة تودد هم ولا يدخل على الضيف الا من يوافقه ولا يخص بضيافته الاغنياء ويحرم الفقرا ولا يدعو من دار واحدة الاب دون الابن والاخ اذا كانا كبيرين فان ذلك جفا ويقدم الافضل علما والاكبر سنا ولا يكرم الضيف بما يخالف السنة ولا بما يشق عليه ويقدم له بالليل ما يحتاج اليه من السراج والوقود والسواك والنعل والوضوء ولما نزل الشافعي بمالك رض وادخله منزله قال له القبلة في البيت هكذا وهذا اناء فيه ماء وهذا الخلاء وقد نقل عن ملك الهند انه قال اذا اضافك احد فاني الكنيف فاني ابتليت بمرة فوضعت في قلنسوتي ولا يغيب عن اضيافه لحظة الا لمهم واذا غاب اقام مكانه غيره وان يناولهم بيده روى انس عن النبي صلعم من لقم اخاه لقمة حلوا صرف الله عنه مرارة الموقف ولا يناول بعضهم دون بعض ولا يناجي بعضهم دون بعض ولا يكثر السكوت عندهم فيتداخلهم وحشة وان يحدثهم بما تميل اليه نفوسهم ولا يحدثهم بما يروعهم ولا يشكو الزمان بحضورهم ولا يلوح لديهم بفقره وضيق يده ولا يغلظ على خادمه ولا على احد من اهل بيته ولا يعبس في وجهه ولا يضرب احدا منهم ولا ينهره ولا يعاتبه فان ذلك فغص عليهم كما حكي بعضهم قال استدعاني اسحق بن ابرهيم الظاهري الى الاكل هريسة في بكرة فدخلت فاحضر له الهريسة فاكلنا فاذا شعرة قد جاءت على لقمة دخل عنها طباخه فاستدعا خادماله وامر اليه شيئا لم نعلمه فعاد الخادم ومعه صيفية مغطاة فكشف عن الصيفية واذا يد الطباخ مقطوعة تختلج فتكدر علينا عيشنا وقمنا من عنده ونحن لا نعقل فيجب على المضيف ان يراعي خواطر اضيافه كيف ما امكن بل يدخل عليهم السرور ولو قتل له قتيل كما حكي عن بعض الكرام انه دعا جماعة من اصحابه الى الضيافة وعمل لهم سماعا وكان له ولد جميل فكان الولد يلعب اول النهار

يخدم القوم ويانسون به في اخر النهار صعد الى سطح فسقط فمات فحلف ابوه على امه بالطلاق والثلث ان لا تفرح ولا تبكي الى ان تصبح فلما كان الليل سأل اضيافه عن ولده فقال هو نائم فلما اصبحوا وارادوا الانصراف قال لهم ان رايتم ان تصلوا على ولدي فانه بالامس سقط من على سطح فمات فتعجبوا من صبره وبكوا عليه قلت فقطع الله يد الاول ورحم الثاني ولا باس بالمهازلة المباحة على الطعام قصد الشرح النفوس روى عن يحيى بن عبد الرحمن قال قالت عائشة رضي الله عنها كان عندي رسول الله صلعم وسودة فصنعت خزيرا فجئت به فقلت لسودة كلي فقالت لا احبه قلت والله لتاكلن او لالطخن وجهك فقالت ما انا بذائقته فاخذت من الصحيفة شيئا فلطخت به وجهها ورسول الله صلعم جالس بيني وبينها فتناولت من الصحفة شيئا فلطخت به وجهي وجعل رسول الله صلعم يضحك ومن ادابه ان يأمر غلامه بحفظ نعال القوم وتفقد غلمانهم بما يكفيهم ويزيل حجابهم وقت الطعام ولا يمنع واردا قيل لبعض الكرام لا باس بالحجاب لئلا يدخل من لا يعرف الامير ويحترز عن العدو فقال ان عدوا يأكل طعامنا ولا يخدع لم يكنه الله منافاة ولي بالكرم منع الحجاب من الوقوف بالباب عند حضور الطعام واذا باتوا عنده فليمهد مراقدهم وليسهر معهم يوانسهم بلذيذ المحادثة وغريب الحكايات ولا ينام قبلهم ولا يستخدمهم فقد حكي عن الابرش الكلبي انه كان عنده ضيف فقام ليصلح المصباح فقال له صاحب المجلس مه انه ليس من المروة ان يستخدم الرجل ضيفه وقال بعض السلف لابن عمر بن عبد العزيز ما رايت رجلا اكرم من ابيك سمرت معه ذات ليلة فخفت المصباح فقام اليه فاصلحه فقلت يا امير المؤمنين هلا امرت باصلاحه فقال قمت وانا عمر بن عبد العزيز ورجعت وانا عمر بن عبد العزيز وان من لؤم الرجل ان يستخدم ضيفه واذا ارادوا الانصراف فمن ادابه ان يخرج معهم الى باب داره ويرى تقصيره في ايفاء حقوقهم ولو صب الدنيا عليهم صبا ولا يمن عليهم ولا يطلب منهم اجرا جزاء ولا شكورا وينبغي له ان يزودهم ما يوصلهم الى المرحلة الثانية ان كانوا مسافرين ما احسن قول بعضهم

ونكرم جارنا ما دام فينا • ونتبعه الكرامة حيث كانا

ومما يناسب من ظرف الحكايات هنا ما حكي بعضهم قال كنت في سفر فضللت الطريق فرايت بيتا في الفلاة فاتيته فاذا به اعرابية فلما راتني قالت من تكون فقلت ضيف قالت اهلا ومرحبا بالضيف انزل على الرحب والسعة فنزلت فقدمت لي طعاما فاكلت وماء فشربت فانا على ذلك واذا صاحب البيت قد اقبل فقال من هذا فقالت ضيف فقال لا اهلا ولا مرحبا ما لنا وللضيف فلما سمعت كلامه ركبت من ساعتي وسرت فلما كان في الغد رايت بيتا في الفلاة فقصدته فاذا فيه اعرابية فلما راتني قالت من تكون قلت ضيف قالت لا اهلا ولا مرحبا ما لنا وللضيف فبينا هي تكلمني واذا بصاحب البيت قد اقبل فلما راني قال من هذا قلت ضيف قال اهلا ومرحبا بالضيف ثم اتى بطعام حسن فاكلت وماء فشربت وذكرت ما مر بالامس فتبسمت فقال لم تتبسم فقصصت عليه ما اتفق لي مع تلك الاعرابية وبعلها وما سمعت منه ومن زوجته فقال لا تعجب ان تلك الاعرابية التي رايتها اختي وان بعلها اخو امراتي هذه فغلب على كل طبع اهله وقالوا لا باس ان يدخل الرجل دار اخيه ويطعم للصداقة الوكيدة وقد قصد النبي صلعم والشيخان منزل ابي الهيثم بن التيهان وكانت هذه عادة السلف ودخل صلعم دار بريرة فاكل من طعامها وهي غائبة وكان الحسن يوما عند بقال فجعل ياخذ من هذه الجونة تينة ومن هذه قصبة فياكلها فقال له هشام ما بدا لك يا ابا سعيد في الورع فقال يا لكع اتل علي آية الاكل فتلا ليس عليكم جناح الى قوله او صديقكم فقال الصديق من استروحت

اضيافه

له النفس واطمأن له القلب وكان محمد بن واسع واصحابه يدخلون منزل الحسن فياكلون ما يجدون بغير اذن الحسن فربما دخل فوجدهم كذلك فيسر ويقول هكذا كنا واما اداب الضيف فمنها اجابة الدعوة فاذا دعاه اخوه المسلم فلا يرد دعوته والاجابة لعرس فرض عين ولغيره سنة ولوجوبها شروط ملاوم داع ومدعو وعموم الاذن وان يدعو معينا وان يدعوه لعرس في يوم الاول وتسن للعرس وغيره في اليوم الثاني ويكره فيما بعده كما رواه ابو داود وغيره انه صلعم قال الوليمة في اليوم الاول حق وفي الثاني معروف وفي الثالث رياء وسمعة وان لا يكون ثم من يتأذى به او تقبح مجالسته ولا منكر كفرش محرمة والات مغن وصور حيوان مرفوعة فان ازيل بحضوره وجبت الاجابة اجابة للدعوة وازالة للمنكر واذا دعاه جماعة قدم الاسبق ثم الاقرب رحما ثم دارا ثم يقرع ولا تسقط اجابة بصوم لخبر مسلم اذا دعي احدكم الى طعام فليجب فان كان مفطرا فليطعم وان كان صائما فليصل اي فليدع بدليل رواية فليدع بالبركة ولا يكره ان يقول اني صائم فان شق على داع صوم نفل من المدعو فالفطر افضل اما صوم الفرض فلا يجوز الخروج منه ولو موسعا كنذر مطلق وفي الخبر ان رجلا صنع طعاما فدعا اليه بعض اخوانه فقال اني صائم فبلغ ذلك رسول الله صلعم فقال صنع لك اخوك طعاما فلم تاكل الا افطرت وصمت يوما مكانه دخل سفيان الثوري يوما على ابي اسحق الفزاري فقدم له قصعة فيها خبيص فقال لولا اني صائم لاكلت معك فقال له الفزاري دخل علي اخوك ابراهيم بن ادهم فقعد في موضعك هذا فقدمت اليه خبيصا في هذه القصعة فاكل فلما اراد الانصراف قال اما اني كنت صائما الا اني احببت ان اكل معك اسرك بذلك قال فوضع الثوري يده فجعل ياكل وتأدب بابراهيم فافطار ابراهيم وهو صائم لادخال السرور على صاحبه من الخلق المحمود وهذا من معنى قوله صلعم ان العبد ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم قال بعضهم هو الرجل يسأله اخوانه ان يفطر معهم نهارا او يسهر معهم ليلة ويكون من عادته الصيام والقيام فيساعدهم مخلصا ولكن من نيته اجابة الدعوة لله تعالى وسرور اخيه المؤمن لا لشهوة نفسه ويمشي الى الضيافة بتأن وسكون من غير عجلة وشره ومن ادابه ان لا يسأل صاحب المنزل عن شيء من داره سوى القبلة وموضع قضاء الحاجة ولا ينظر في بيته شيئا الا ما حرم الله ولا يسأله عن شيء من امر بيته ويغض بصره ولا يلتفت يمينا ولا شمالا ولا الى ناحية الحرام ولا يخالفه اذا اجلسه في مكان واكرمه به واذا راى صاحب المنزل قد تحرك بحركة فلا يمنعه منها نقل في بعض المجالس مع ان بعض الكرما كان عزم بيدا على اضيافه شيء الاخلاق فبلغ ذلك بعض الاذكيا فقال الذي يظهر لي من هذا الرجل انه كريم الاخلاق وما اظن سوء اخلاقه الا لسوء ادب الاضيافه ولا بد ان اتطفل عليه لارى حقيقة امره قال فقصدته وسلمت عليه فقال هل لك ان تكون ضيفي قلت نعم فسار بين يدي الى ان جاء باب داره فاذن لي فدخلت فاجلسني في صدر مجلسه فجلست حيث اجلسني واعطاني مسندا فاستندت اليه واخرج شطرنجا وقال انتقل شيئا قلت نعم فلعبت معه فلما حضر الطعام جعل يقدم لي ما استطابه وانا اكل فلما فرغنا قدم طستا وابريقا واراد ان يسكب الماء على يدي فلم امنعه من ذلك واراد الخروج بين يدي بعد ان قدم نعلي فلم اره عن ذلك فلما اراد الخروج قلت يا سيدي انشدك الله الا فرجت عني كربة قال وما هي فاخبرته الخبر فقال والله ما لي حيلة الى ذلك الا سوء ادبهم يصل الضيف الى داري فاجلسه في الصدر فيأبى ذلك ثم اقدم له الطعام فلا اتحفه بشيء مستظرف

الا ردة علي ثم اريد ان اصب على يديه الماء عند الغسل فيحلف بالطلاق ما يفعل ثم اريد اشيعه فلا يمكنني من ذلك فاقول في نفسي حق ولا يحكم الانسان في بيته فعند ذلك انشد **وفي هذا المعنى يقول بعضهم**

لا ينبغي للضيف ان يعترض • ان كان ذا حزم وطبع لطيف
فالامر للانسان في بيته • ان شاء ان ينصف او ان يحيف

ومن ادابه ان لا يشتهي على رب البيت شيا الا الملح والماء ولا يعيب طعامه قدمه اليه ولا يحتقر منه شيئا وان كان حقيرا خسيسا ولا يرد اللبن والطيب والوسادة وماء زمزم ولا يتامر على رب البيت وللضيف الاكل مما قدم اليه بلا لفظ اكتفاء بالقرينة العرفية الا ان ينتظر الداعي غيره فلا ياكل حتى يحضر او ياذن المضيف لفظا ولا ياكل من غير ما قدم له ولا يتصرف فيما قدم له بغير اكل لانه المادون فيه عرفا فلا يطعم منه سايلا ولا هرة ولان يلقم منه غيره من الاضياف الا ان يفاضل المضيف طعامهما فليس لمن خص بنوع ان يطعم غيره منه ولا اخذ ما يعلم رضاه به الا ان شك قال الغزالي واذا علم رضاه ينبغي له مراعات النصف مع الرفقة فلا ياخذ الا ما يخصه او يرضون به عن طوع لا عن حياء واذا قدم له المضيف الطعام اكل منه كما ياكل في بيته او فوق ذلك قليلا فانه اكرام للمضيف ولا ينقص عن عادته فانه نفاق ولا يعتذر بالشبع ويمتنع من الاكل فان ذلك منغص لصاحب المنزل ورد على بعض الاعراب ضيف فدخل الى بيته وقدم له طعاما فقال الضيف لست بجايع وانما احتاج الى مكان ابيت فيه فقال الاعرابي اذا كان هذا عزمك فكن ضيف غيري فاني لا ارى ان تمدحني في البلاد وتهجوني فيما بيني وبينك **حكي عن بعض التجار** قال استدعاني الوزير ابو حفص محمد بن القاسم الكرخي لاعرض عليه قماشا فبينما انا بين يديه واذا باطباق الفاكهة قد حضرت فقمت فقال يا فلان ما هذا الخلق العامي اجلس فجلست وتحققت كرمه فجعلت اكل الكمثرى في لقمة والتفاحة في لقمة ثم قال قدم الطعام وكنت جايعا فاكلت اكلا جيدا ثم انصرفت فلم اشعر في اليوم الثاني الا وقد جاءني غلامه وبغلته فاستدعاني اليه فقال يا فلان اني قليل الاكل سيء الهضم وقد طابت لي مواكلتك بالامس فاريد ان لا تنقطع بعدها قال فكنت متى انقطعت حضر غلامه في طلبي فحصل لي بتربيته مال كثير وجاه كبير وليأكل ما يسقط من فتات الطعام يقال انه مهور الحور العين ولا يرفع يده قبل اخوانه اذا كانوا يحتشمون ويحتاجون الى تنشيط فان قلل الاكل مع الفقرا ايثارا لهم او لقلة الطعام فحسن ومن ادابه ان يدعو للمضيف بعد الفراغ فيقول افطر عندكم الصايمون واكل طعامكم الابرار وزارتكم الملايكة او نزلت عليكم الملايكة بالرحمة ثم بعد ذلك لا يستانس للحديث الا ان يحسبه رب البيت فاذا اراد الانصراف استاذن من رب البيت وشكر احسانه وانصرف داعيا شاكرا ولمعروفه ذاكرا ناشرا ولعيبه معرضا ساترا **وذكروا عيوبا عدوها على الضيف** ينبغي الاحتراز عنها منها كثرة الاكل المفرط الا ان يكون بدويا فانها عادته ومنها ان يتبع طريق المسكين بحيث لكن يتخذ معه خريطة مشمعة يقلب فيها الزبادي والحلوى وغير ذلك ومنها ان ياخذ معه ولده الصغير ويعلمه ان يبكي عند الانصراف من الطعام ليعطى على اسم الصغير ومنها قبح المواكلة **وذكروا فيها عيوبا كثيرة** ومنها المتشارف والعداد واللزاق والرشاف والنفاض والقراض والبهات والكتات والعوام والقسام والخلل والمزيد والمرنخ والمرشش والمفتش والمنشف والملبب والصباغ والنفاخ والحامي والجنح والشطرنجي والمهندس والمتمني والفضولي

فاما المتشارف فهو الذي يتحكم جوعه قبل استواء الطعام فلا تراه الا متطلعا لناحية الباب يظن ان كل ما دخل هو الطعام والعداد هو الذي يستغرق في عدد الزبادي ويعد على اصابعه وينسى نفسه واللزاق هو الذي يجعل اللقم في جانب الزبدية ويحرفها الى الجانب الاخر والرشاف هو الذي يجعل اللقمة في فيه ويرتشفها فيسمع لها حس في البلع حتى لا يخفى على جلسايه وهو يلتذ بذلك والنفاض هو الذي يجعل اللقمة في فيه وينفض اصابعه في الزبدية والقراض هو الذي يقرض اللقمة باطراف اسنانه حتى يشدمها ويضعها في الطعام بعد ذلك والبهات هو الذي يبهت في وجوه الاكلين حتى يبهتهم وياخذ اللحم من بين ايديهم واللتات هو الذي يلت اللقم باصابعه قبل وضعها في الطعام والعوام هو الذي يميل ذراعه يمنة ويسرة لاخذ الزبادي والقسام هو الذي ياكل نصف اللقمة ويعيد باقيها من فيه في الطعام والخلل هو الذي يخلل اسنانه باظفاره والمزيد هو الذي يحمل معه الطعام والمرنخ هو الذي يرنخ اللقم في الامراق فلا يبلغ الا ولحيته بكين الثانية والمرشش هو الذي يفسخ الدجاج بغير ضبوع فيرش على مواكله والمفتش هو الذي يفتش على اللحم باصابعه والمنشف الذي ينشف يديه من الدهن باللقم ثم ياكلها والملبب الذي يملا الطعام لبابا والصباغ هو الذي ينقل الطعام من زبدية الى زبدية ليبرده والنفاخ هو الذي ينفخ في الطعام والحامي هو الذي يجعل اللحم بين يديه فيحميه عن مواكليه والجنح هو الذي يزاحم مواكليه بجناحيه حتى يفسح له فلا يقعد عليه احد والشطرنجي هو الذي يرفع زبدية ويضع اخرى والمهندس هو الذي يقول لمن يحط الزبادي حط هذه ههنا وهذه ههنا حتى ياتي قدامه ما يحبه والمتمني هو الذي يقول ليتني لم يكن معي من ياكل والفضولي هو الذي يقول لصاحب المنزل عند فراغ الطعام ان كان بقي عندك من المقدور شيء فاطعم الناس فان منهم من لم ياكل شيئا ومن الاضياف من لا يبذل الحديث الا وقت غسل يديه فيبقى الغلام واقفا والابريق في يده والناس ينتظرونه ومنهم من يغسل يديه بالاشنان مرة واحدة فاذا اجتمع الزفر والوسخ شوه بهما ومن الاضياف من يدخل الدار فيبتدي بالهندسة فيقول كان ينبغي ان يكون باب المجلس من هاهنا والايوان كان يكون هاهنا وينتقل من الهندسة الى ترتيب المجلس فينقل الفاكهة من موضعها الى موضع اخر وان كان ما استحكم جوعه استعفى من الطعام وذهل عن بقية الاضياف وشدة جوعهم ومنهم من يخرج فيطوف على اصدقائه على صاحب الدعوة فيتألم من انقطاعهم ويستوحش من غيبتهم ويلطمهم على عرض صاحبهم ومنهم من يفهم عن صاحب الدعوة انه يقول لغلامه اشتر كذا فيقول والله العظيم والطلاق يلزمه ما تشتري شيئا فاذوقه فيحرج صاحب المنزل ويخجله اذ لم يكن شيئا في بيته موجودا وليت شعري اذا كان لا ياكل شيئا لاي شيء حضر ومنهم من يرى صاحب البيت قد سير الى صديقه شيئا فيقول ما الذي قال المولى لصاحبنا وهو لا يريد ان يعلم ومنهم من يستعجل صاحب المنزل بالاكل ويشكو الجوع ويظن ذلك بسطا ومكارم اخلاق وذلك يكون في بيته لا في بيوت الناس ومنهم من يقول لصاحب الدعوة من يغني لنا فيقول فلان فيقول غلطت لم لا دعوت فلانا ومنهم من يسال صاحب البيت كيف قوتك في النكاح فيقول انا رجل كبير وضعفت شهوتي او يقول له ما لي قوة طايلة في ذلك فيقول لا والله انا كل عام على عام تزايدت شهوتي وكثر لهذا الفن شوقي ويعلن بذلك حتى تسمعه صاحبة البيت ومنهم من يشكي حاله مع اهل بيته ويذكر نفقته عليهن وكسوته لهن وكثرة انعامه واحسانه لهن وما عليه زوجته من الاخلاق وكبر النفس

لتشتغل زوجة صاحب الدار ما هي فيه مع زوجها وربما كان ذلك سببا لفراقها منه ومنهم من تعجبه نفسه ويستحسن
لباسه ويستطيب رايحته واذا سمع الغنا تواجد واظهر الطرب وحرك راسه ويقوم فا عا يتمايل حتى يرى اهل الرجل
انه لطيف الشكل بديع الحركات ويظن في نفسه انه يعشق وان رسولة صاحبة البيت لا تبطي عليه ومنهم من يقال له العب
الشطرنج فياباه ويشتغل بالدندنة فيقع في الفضول ومنهم من يتامر على غلمان صاحب الدار ويهين اولاده
ويظن انه يدل عليهم ومنهم من يقال له كل فيقول انا ما اكل الا انا ورفيقي ومنهم من يسمع السائل على الباب
فيتصدق عليه من مال صاحب البيت بغير اذنه او يقول للسائل فتح الله لك ومنهم من يدعو الناس لصاحب الوليمة
بغير اذنه ويقلده بذلك المنة واكثر الناس واقع في ذلك نسأل الله السلامة واما الضيف الذي هو الطفيلي وما
يتعلق به من الاحكام والماجريات فقد ذكرنا طرفا من ذلك في كتابنا شرح الكبائر وقد استوفى اهل الادب الكلام على ذلك
فلا نطيل بذكره بل حذفه وتركه اولى واما اداب الاكل فقد ذكرها العلماء اجمالا وتفصيلا وممن افردها بالتصنيف العلامة
ابن العماد فليراجع وانما اطنبنا الكلام هنا لعموم الحاجة في بيان هذه الاداب في عموم الناس اذ لا يخلو الانسان من ان يكون
مضيفا او ضيفا والثالث فاقتضى المقام الاطناب اذا تقرر ذلك فالناظم استعار الضيف للشيب استعارة بالكناية وذكر
القرى تخييل وترشيحها بالاعداد والاحتشام واستعارة الضيف للشيب طفحت بها بحور الشعر من المولدين والعرب العربا

قال المتنبي

ضيف الم برأسي غير محتشم • والسيف احسن فعلا منه باللمم

ابعد بعدت بياضا لا بياض له • لانت اسود في عيني من الظلم

فالمتنبي رحمه الله وان اشتهر عنه ما اشتهر الا انه مهد العذر لكراهة هذا الضيف حيث قصد ابعاده وبين مع بياض سواده لانه
ناع بفقد الشباب • ناه عن التشبيب بسلمى والرباب • داع لترك ما كان فيه من لذة العيش مع الاحباب • حيث كان
نسيم الصبا يميل غصون الصبا • وشرخ الايام يبعث على الهيام شوقا وطربا • ما العمر الا خمسة او ستة • لهو وان ذهبت به الاعمار •

زمن الربيع وشرخ ايام الصبا • والكاس والمعشوق والدينار

اذا كان يمرح في ميادين اللهو والغرام • ويسرح في رياض العشق والهيام

صغيرين نرعى البهم ياليت اننا • الى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم

محاول شغف الكواكب اللاتي هن كالكواكب في النور • واهل لعشق ربات الخدور المشرقات في الخدور كالبدور • قال
ابو تمام في هذا الغرض المناسب للمرام • احلا الرجال الى النساء مواقعا • من كان اشبههم بهن خدودا • وما بكت العرب
على شيء مثل ما بكت على الشباب ولم توفه حقه قال بعض الشعرا

شيأن لو بكت الدماء عليهما • عيناي حتى يوذنا بذهاب

لم يبلغا المعشار من حقيهما • فقد الشباب وفرقة الاحباب

ولم تزل الشعرا تمدح ايام الشباب الى ان دنى المشيب • ونزل بكل امر عجيب • موذنا بالرحيل • معلما بما بقي من الزمن القليل •
فاطلقوا عليه الضيف لان من شأنه انه لا يقيم الا قليلا ويرحل ويلزم من ارتحاله ان يرحل بمن نزل به فلذلك كان سببا داعيا
على سبه فلذلك قال المتنبي والسيف احسن فعلا منه باللمم والى هذا المعنى اشار مسلم بن الوليد في قوله

الشيب كره وكره ان يفارقني • اعجب لشيء على البغضاء مودود

يعنى

يمضي المشيب فلا يأتي له خلف • والشيب يذهب مفقودا بمفقود

اخذه سليمان بن وهب حين نظر الى المرأة فقال عيب لا عدمناه وقال ابو الفتح البستي

ياشيبتي دومي ولا تترحلي • وتيقني اني بوصلك مولع

قد كنت اجزع من حلولك مرة • فالان من خوف ارتحالك اجزع

وقال التهامي الشيب علة لا يعاد عنها • ومصيبة لا يعزى عليها ويقول

كيف يميل مثلك للصبا • وعليك من عظة المشيب عذار

والشيب ينهض في الشباب كانه • ليل يصيح بجانبيه نهار

تاوبني هم لبيضاء نابتة • لها بغضة في مضمر القلب ثابتة وقال ابو دلف

ومن عجب اني اذا رمت قصها • قصصت سواها وهي تضحك شامتة

وراى الغواني الشيب لاح بعارضي • فاعرضن عني بالخدود النواضر وقال ابن المعتز

سالتها قبلة يوما وقد نظرت • شيبي وقد كنت ذا مال وذا نعم وقال اخر

فاعرضت وتولت وهي قايلة • لا والذي اوجد الاشياء من العدم

ماكان لي في بياض الشيب من ارب • افي الحياة يكون القطن حشو فمي

ومثله قول الاخر

قالت ارى مسكة الشعر البهيم غدت • كافورة قد اجادتها يد الزمن

فقلت طيب بطيب والتنقل في • معادن الطيب امر غير ممتهن

قالت صدقت وما انكرت ذا ابدا • المسك للعرس والكافور للكفن

وما اظرف قول ابن نباتة

تبسم الشيب بوجه الفتى • يوجب سح الدمع من جفنه

وكيف لا يبكي على نفسه • من ضحك الشيب على ذقنه

وما احسن قول الاخر

عريت من الشباب وكنت غضا • كما يعرى من الورق القضيب

فياليت الشباب يعود يوما • فاخبره بما فعل المشيب

وقال ابن النقيب

وكم كان من عين عليها وحافظ • وكم كان من واش لها ورقيب

فلما بدا شيبي اطمأنت قلوبهم • ولم يحفظوها واكتفوا بمشيبي

اترجو ان تكون وانت شيخ • كما قد كنت ايام الشباب وقال الحاجط

لقد كذبتك نفسك ليس ثوب • دريس كالجديد من الثياب

وقال حبيب يتشكى من المشيب

اصبحت روضة الشباب هشيما • وغدت ريحه البليل سموما

شعلة فى المفارق استودعتنى • فى صميم الفواد ثكلا صميما

غرة عبرة الا انما كنت • اعز ايام كنت بهيما

رفة فى الحياة تدعى جلالا • مثل ما سمى اللديغ سليما

وقال عبد الرحيم بن هارون

رايت الشيب مبتسما بفودى • ففاضت ادمعى بدم الفواد

وعمرى كل يوم فى انتقاص • وذاك النقص يعقب بالزياد

وللخط وللايام خط • وبينهما مخالفة المداد

فاكتبه سوادا فى بياض • وتكتبه بياضا فى سواد

وهم يرون ان الجالب للشيب وجوم الهموم والاحزان ووجود الشدائد والاشجان قال تعالى يوما يجعل الولدان شيبا المنفطر الى اليوم بحازا لما يقع فيه من تفاقم الهموم وتعاظم الغموم قال بعضهم ما شيبتنى السنون لكن شيبنى من احتاج ان اتكوى

وقال البحترى يتعذر من الشيب

عيرتنى المشيب وهو بدو • فى عذارى بالصد والاجتناب

لا تريه عارا فما هو بالشيب • ولكنه جلاء الشباب

وبياض البازى اصدق حسنا • ان تاملت من سواد الغراب

اخذه ابن رشيق فقال

وانى لم يعجبنى بياض شعرى • فلا تستغرف بلق الغراب

تعافين المشيب وليس نقصا • ولكن هذه شبة الشباب

واخذ معنى البيت الاول ابن بنانة فقال

مسئلة الدور غدت • بينى وبين من احب

لولا مشيبى ما جفت • لولا جفاها لم اشب

وحاصل الامر ان الناس ما زالوا يكرهون الشيب ويذمونه نظما ونثرا لما فيه من دليل الفنا والهجنة عند النساء وقطع اللذات بالحيا ويحبون الشباب ويمدحونه لما فيه من عذر الجاهل وايثار العاجل وحسن الشمائل الى ان تلطف الحذاق من الشعرا فى تحسين ما كانوا يكرهون ومدح ما كانوا يذمون رياضة للنفوس وتوسعا فى القول **كما قال المأمون متمثلا**

رأت وضحا فى الراس منى فراعها • فريقان مبيض به وبهيم

تفاريق شيب فى السواد لوامع • وما حسن ليل ليس فيه نجوم

وقال المتنبى فى الكافوريات

منى كن لى ان البياض خضاب • فيخفى بتبييض القرون شباب

ليالى عند البيض فودى فتنة • وفخر وذاك الفخر عندى عاب

فكيف اذم اليوم ما كنت اشتهى • وادعو بما اشكوه حين اجاب

جل

جلا اللون عن لون هدى كل مسلك • كما انجاب عن ضوء النهار ضباب

وفى الجسم نفس لا تشيب لشيبه • ولو ان ما فى الوجه منه حراب

وقال ابن الرومى يمدح الشيب

من كان يبكى الشباب من اسف • فلست ابكى عليه من اسف

كيف وشرخ الشباب وقفنى • يوم حسابى موقف التلف

لا مرحبت مسرة الشباب ولا • عدمت ما فى المشيب من خلف

لقد جل قدر الشيب ان كان كلما • بدت شيبة يعرى من اللهو مركب

وقال ابن رشيق

اراك للشيب ذا اكتياب • فاين غضى عن الصواب

ان كنت ترعى الوفاء حقا • فالشيب اوفى من الشباب

وعلى جعل الشيب ضيفا فما احسن قول دعبل

احب الشيب لما قيل ضيف • لحبى للضيف النازلينا

ولما كانت العادة جارية بتنزيل الضيوف فى منازلهم بحسب اختلاف مراتبهم وكان هذا الضيف العزيز من اعظم الضيوف واجلهم لم ينزل الا فى ارفع منزل من المنزول به واشرف مكان واعلى محل وهو الراس ولما قد كان يخفى نزوله فى الراس لستره تحت العمامة نزل ايضا باللحية التى هى حلية الوجه وظهر ابيضاضه فى الشعر اشعارا بانه ينبغى ان يكون المنزول به صافى الظاهر عن كل ما يبعث على المواخذة والملام • من الذنوب والاثام • والخواطر الخاطئة والاوهام • اذ بياض القلب عبارة عن سلامته من الافات النفسانية • والخواطر الشيطانية • وخلوصه من دنس الشهوات البهيمية • وتجريده عن الكدورات الحيوانية • فكلما هم لذلك الى شهوة تداركها ببصيرته وفزعه منها الالتجاء الى الرحمن الذى قلبه بين اصبعين من اصابعه قال عليه الاسلام والله سبحانه وتعالى عن ان يكون له اصبع مركبة من لحم وعظم ودم منقسمة بالانامل ولكن روح الاصبع سرعة التقليب والقدرة على التحريك والتغيير فانك لا تريد اصبعك لشخصها بل لفعلها فى التقليب والترديد وكما انك تتعاطى الافعال باصابعك فالله تعالى انما يفعل ما يفعله باستسخار الملك والشيطان وهما مسخران لقدرته فى تقليب القلوب كما انك اصابعك مسخرة لك فى تقليب الاجسام لا محالة والقلب باصل الفطرة صالح لقبول اثار الملائكة ولقبول اثار الشيطان صلاحا متساويا ليس يترجح احدهما على الاخر وانما يترجح احد الجانبين باتباع الهوى والاكباب على الشهوات والاعراض عنها ومخالفتها فان اتبع الانسان مقتضى الشهوة والغضب ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عش الشيطان ومعدنه لان الهوى هو مرعى الشيطان وان جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه وتشبه باخلاق الملائكة صار قلبه مستقر الملائكة ومهبطهم ولما كان لا يخلو قلب عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول امل الى غير ذلك من الصفات البشرية المتشعبة عن الهوى لا جرم لم يخل قلب عن ان يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة ولذلك قال النبى صلعم ما منكم من احد الا وله شيطان قالوا وانت يا رسول الله قال وانا الا ان الله تعالى اعاننى عليه فاسلم فلا يأمر الا بخير وانما كان هذا لان الشيطان لا يتصرف الا بواسطة

الشهوة فمن اعانه الله على شهوته حتى صار لا ينبسط الا حيث ينبغى والى الحد الذى ينبغى فشهوته لا تدعو الى الشر فالشيطان
المتدرع بها لا يأمر الا بخير ومهما غلب على القلب ذكر الدنيا ومقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالا فوسوس ومهما
انصرف القلب الى ذكر الله ارتحل الشيطان وضاق مجاله واقبل الملك والهم والتطارد بين جندى الملائكة والشياطين
فى معركة القلب دائم الى ان ينفتح القلب لاحدهما فيستمكن ويستوطن ويكون اختيار الثانى اختلاسا الى اخرها اذ
رحمه الله وقال القصرى فى شعبه فى الجهاد وجهاد الشيطان والنفوس المتصفة باخلاق الشيطانين والكفرة والمنافقين
هو الذى خفى لبطونه على الخلق وضعف على الجم الغفير فغار عليهم العدو ولتيبب ثغورهم فاكثرهم واوثقهم بحبال غرور
فلابد من تبيين معانيه ان شاء الله تعالى فالعدو الباطن هم الشياطين واخلاق النفوس وصفاتها واسلحتهم الوساوس
والى هذا الجهاد الاشارة بقوله عم المجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله والكلام فى هذا الباب يستدعى بيان احكام الخواطر
الخاطرة على القلب فانها هى الاسلحة وقال النبى صلعم النظرة سهم من سهام ابليس واغار هى الناظر بها حين ولوكل
فقال له انظر فرماه اولا بالخطرة فقبلها فنفذت فقاتله حتى وصلت الى عينه فنظرت فقلت صفات الصيانة والعفاف من العبد
فاول ما يجب ان يفهم ان جسد الانسان خلق للنفس وصفاتها بمنزلة الوطن والمدينة وهى باطنة فيه والدنيا محل
الجسد وهى وطنه والنفس تطلع على الدنيا على طرف الحواس والجوارح والروح باطنها فى غيب النفس مما يلى الاخرة
التى هى محل الملائكة عليهم السلام والشياطين غيب فى وجود الدنيا فقد حصل الانسان بجملته بين الدنيا والاخرة
والملائكة والشياطين والله محيط بالجميع والخواطر نابتة من جميع جهاته ظاهرا وباطنا تدعوه الى الخير والشر
والجنود متصادمة ومتقابلة لا تفتر طرفة عين والله يؤيد بنصره من يشاء والخواطر هى الكلام فالدنيا تتزين
للنفس بزينتها وتدعو الخلق اليها والى الرغبة فيها وعمارتها والشغل بها وكذلك الاخرة فى مقابلتها تدعو الخلق اليها والاقبال
عليها والاعراض عن الدنيا والشيطان يدعو الى ما هو عليه من المخالفة والعصيان والملك يدعو الى ما هو عليه من الطاعة
وصفات الايمان والروح الذى صفته العقل ينظر ويدعو الى ما ظهر له مما استحسنه واختاره والنفس تدعو وتامر بما فيه
غرضها وارادتها والبارى تعالى محرك الكل ومنه يأتى كل خاطر وقول وهذه كلها وسائط وللبارى تع خاطر من غيب الباطن
وهو التوفيق لكنه يقوى فى حق قوم ويضعف فى حق قوم اخرين على حسب ارادته تعالى فى قوة الخاطر وضعفه فقد صارت الخواطر
سبعة لا ثامن لها وشرع فى بيانها خاطرا خاطرا فليراجع فالقلب اذا تداركه الرحمن برحمته ووفقه لما فيه رضاه عشية
كان ذلك القلب ابيض صافيا سالما من الريب والحجاب وكلما صدر منه غفلة صقل مرآته بالتوبة والاياب واما صفاء
الظاهر الباعث على بياض الوجه فهو امتثال الاوامر واجتناب النواهى والقيام بحقوق الله تع والسلامة من حقوق
العباد اذ بياض الوجه كناية عن فعل مرضى يأتى به العبد لطاعته وجهه تقول لمن ارضاك فى امر مثلا جئتنى
بياض وجهه وسواد الوجه كناية عن ضد ذلك فالدعم الفقر سواد الوجه فى الدارين ولا شك ان الظاهر عنوان
الباطن فاذا صفى القلب واستنار ظهر ذلك على الجوارح الظاهرة لان القلب رئيس الاعضاء وهى جنوده فاول
ما يلوح ذلك الشيب على الرأس يشعر بان الدنيا وصل الحسن استقام فيه امره وصفا قلبه اذا بلغ الاشد من عمره وهو الاربعون
التى لا ينبغى له بعدها الا الاقبال على الاخرة والاعراض عن الدنيا فلما ابتداء فى صفاء القلب وبياضه ظهرت اثار
بياضه على شعر رأسه وسنظهر على بقيته وبقية على جوارحه بانواع الطاعات وكان حصول هذا الشيب ونزوله

برئه

برئه كنزول الضيف ولا بد للضيف من قرى وقرى هذا الضيف هو تزكية النفس وتزكيتها تختلف باختلاف
المزكين فى مقاماتهم والسالكين فى سلوكهم واول المقامات هو التوبة وهى لغة الرجوع وشرعا الرجوع عما لا يرضاه
الحق وهى مختلفة باختلاف مقامات النفس الاولى التوبة باعتبار النفس الامارة وهى ترك المنهيات والقيام بالمأمورات
وقضاء الفوائت ورد الحقوق والاستحلال عن المظالم والندم على ما جرى والعزم على ان لا يعود وهذه توبة الاقوال
والافعال وهى مرتبة عوام المؤمنين قال تع وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون وقال عم التائب من الذنب كمن لا ذنب له
الثانية التوبة باعتبار النفس اللوامة وتكون بالانابة الى الله تعالى وهى ترك الدنيا والزهد فيها زهدا وتهذيب الاخلاق
وتطهير النفس بمخالفة هواها والمداومة على جهادها وهذه مرتبة خواص المؤمنين قال تعالى وانيبوا الى ربكم فاذا
اناب الى الله تعالى بعثه ذلك على الشوق الى لقاء الله تع وكان ح اخذا فى الاستعداد للقاء ومن اماراته ان يتبدل
المخالطة بالعزلة والمنادمة بالخلوة والتوحش عن الخلق والتأنس بالحق وجاهد نفسه فى الله حق جهاده ساعيا
فى قطع تعلقاتها عن الكونين الثالثة التوبة باعتبار النفس المطمئنة وهى جذبة العناية الربانية للنفس الرضية يا ايتها
النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية طائعة هائمة شوقا الى لقائه مرضية فى السير مرضية عنده تعالى لها بما تطلب
من رضاه والنظر اليه من المواهب والمنح التى خصها به وهذه مرتبة اخص الاولياء والانبياء فى مقعد صدق عند مليك
مقتدر ولما كانت هذه المراتب لا تحصل الا بالتدريج على حسب الترقى فى تلك المراقى الرفيعة كان ابيضاض الشعر
المشعر بابيضاض الظاهر والباطن تدريجا ايضا اشعارا بانه لا يصل الى الخلوص بياض ذلك الشيب الذى هو نور الله تعالى
على عبده كما قال عم اوحى الى ان رب يقول الشيب على عبدى المؤمن نور من نورى الا وقد وصل الى الخلوص عما سوى الله
فعند ذلك كان فارغا عن الكونين مخلصا فى محبة لقاء الله تعالى فيحب الله تعالى لقاه فيصطفيه لنفسه ويخرجه عن هذه الدنيا
الى تلك المراتب العلية والحضرة السنية مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وحسن اولئك رفيقا خاتمة اول من شاب سيدنا ابرهيم الخليل على نبينا وعليه وعلى نبيه الكرام افضل الصلوة واتم
السلام روى انه لما رآه قال يا رب ما هذا قال وقار قال يا رب زدنى وقارا واما نبينا صلعم ففى رواية انس قال
ما عددت فى رأس رسول الله صلعم ولحيته الا اربع عشرة شعرة بيضاء وفى رواية ابن عمر رضى الله عنهما قال انما كان
شيب رسول الله صلعم نحو من عشرين شعرة بيضاء ولا تنافى بين الروايتين لان الاربع عشر نحو العشرين لانها اكثر
من نصفها ومن زعم ان ذلك دال على نحو الشىء على القرب منه فقد وهم نعم روى البيهقى عن انس نفسه ما شانه الله بالشيب ما كان
فى رأسه ولحيته الا سبع عشرة او ثمان عشرة بيضاء وقد يجمع بينهما بان اخباره اختلف لاختلاف الاوقات وبان الاول
اخبار عن عدة والثانى اخبار عن الواقع فكان سبع عشرة او ثمان عشرة وجمع بين رواية انس لم يشنه الله بالشيب ووقار
ونور بانه وان كان كذلك لكنه يشين عند النساء غالبا واما امره صلعم لهم لما رأى ابا قحافة رضه ورأسه ولحيته كالثغامة
بياضا بتغييره وكرهه وكذلك قال عمر والشيب فلا يدل على انه شين مطلقا بل بالنسبة لمن يروا فى تغييره مصلحة
ما بالنسبة للجهاد وارهاب الكفار وبالنسبة لوقوع الالفة بين الزوجين والجمع بين الاحاديث ما امكن اسهل من دعوى
النسخ وان ايدها منع الاكثرين التغيير لان الصحيح من مذهبنا انه يندب للخناسنة اذ خبره فى الصحيحين
فلا يمكن تأويله كما لا يخفى انتهى ورواية نفى شيبه كرواية ابى جابر ابن سمرة حيث سئل عن شيب رسول الله صلعم

وبين حبران الشيبه

فقال كان اذا ادهن رأسه لم يتبين وإذا لم يدهن تبين فشيبه محمولة على نفي كثرته لا نفي اصله وانما لم يتبين عند الادهان لان الشعر يجتمع فيستر

البياض لقلته في السواد بخلافه عند عدم الادهان فان الشعر يتفرق فيظهر الابيض من غيره واما العلة في سبب قلة

شيبه صلعم ان النساء يكرهنه غالبا ومن كره من النبي صلعم شيئا كفر كما نقله القسطلاني في المواهب عن الشيخ عبد الجليل

في شعب الايمان فيما حكاه عنه الفاكهاني وقال ابن حجر المكي في شرح الشمائل والهمزية وقيل المراد بقوله غير محتشم وصفه

بانه غير مستحي لانه طالب يلح على التقصير والتفريط فهو اولى بالاستعداد له مخافة تقريعه وتوبيخه ومن كان

بهذه الصفات فيكرم مداراة وخوفا ومع ذلك فلم يجد له القرى ولا اخشى عاقبة تقريعه وهذا نوع من القصور

محمول على عظم النفس وعدم الرضى بافعالها وفي البيت مراعات النظير والاستعارة والتذييل والتضمين

لو كنت اعلم اني ما اوقره كتمت سرا بدا لي منه بالكتم

لو حرف لانتفاء الشرط الشيء لانتفاء غيره يفيد نفي العلم والكتم ويجوز ان تكون هنا شرطية وكتمت الجواب على حذف اللام

كنت كان واسمها وجملة اعلم خبرها واني بفتح الهمزة ان واسمها التوكيد النفي التوقير لمن يتردد فيه او يدعي حصوله

بحسب اقتضاء الحال فان وجود مثل هذا الضيف يقتضي توقيره حتما فلما استدعى المقام التوقير نفاه مؤكدا بقوله

الا ما نافية اوقره اعظمه بعد نزوله برأسي من التوقير وهو التعظيم وبه فسر قوله تعالى وتعزروه وتوقروه وقوله تعالى

ما لكم لا ترجون لله وقارا اي لا تاملون له تعظيما لمن عبده واطاعه او لا تعتقدون له عظمة فتخافوا عصيانه والضمير

المنصوب في اوقره راجع الى الضيف المراد به الشيب والجملة من الفعل والفاعل والمفعول خبر ان وان معمولاها سدت

مسد مفعولي اعلم وانما خص التوقير بالذكر دون اخويه وهما الايواء والقرى لان التوقير هو المقصود الاعظم والمطلوب

المهم اولا لانه يزيل عنه وحشة الغربة ويثمر عنده ثمار المعرفة ويبسط لديه بساط الانس ويولد بينهما كمال المحبة

الى غير ذلك من الفوائد والتوقير هو السبب الباعث على الاطعام والايواء فان اكرام الضيف توقيره لمعرفة حقه فلذلك

قال عم من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه ففي ذلك تنبيه عظيم لفهم الجزاء على الاعمال معناه من كان

يؤمن بالله واليوم الاخر اي يصدق بلقاء الله والقدوم عليه فان الانسان ضيف في الاخرة قادم على الله تعالى

فيؤويه سبحانه في منزله ودار كرامته التي هي الجنة ويعظمه وتخدمه الولدان فيلقونه بالبشرى والتوقير والتبجيل

ويكرمه بالاطعام والراحة في دار كرامته فليكرم ضيفه فانه قادم عليه ليس له ماوى كما تقدم الانسان

غريبا في الاخرة ليس له ماوى فيؤويه الله تعالى في الجنة فاذا اوى الانسان ضيفه اواه الله الجنة واذا تلقاه

بالبشر والترحيب والتوقير امر الله الملئكة ان يتلقوه ويخدموه باعظم من ذلك واذا اطعمه اطعمه الله تعالى

من جميع ما في الجنة من الاطعمة وقد قسم القصري في شعب التضيف على قسمين ظاهري وباطني وقدم الظاهري

قال واما الباطن فعلى ضربين ضرب في مقام الايمان وضرب في مقام الاحسان فاما الضرب الاول الايماني

فاعلم ان كل وارد يرد على العبد من الغيب مما ليس بحاضر معه ولا هو مجاور له فانه ضيف يورد

عليه يجب له من الاكرام ما يليق به كضيف ابينا ابرهيم الخليل عليه الصلوة والسلام وهم الملئكة الواردون

على الخلق قال تعالى هل اتيك حديث ضيف ابرهيم المكرمين وقال في لوط عم هؤلاء ضيفي فلا تفضحون

ولقد راودوه عن ضيفه فانما سموا اضيافا بقدومهم عليه ودخولهم منزله لان ذلك الم لهم فافهم فان

الملائكة

الملائكة تتعاقب على الخلق في كل يوم وليلة ترد من عند الله ملائكة النهار عند صلوة الصبح فتحفظ على الخلائق اعمالهم

وكذلك ملائكة الليل ايضا ترد عليهم عند ذهاب النهار واقبال الليل فتحفظ عليهم اعمالهم هكذا مع كل يوم وليلة

لا يخلو العبد عن القادمين عليه والواجب على العبد اكرامهم بما يليق بهم من التعزيز والتوقير وقبول الهامهم وترك

الايذا لهم بما يكرهونه من مخالفة العبد وترك بقيهم في كتب الفضول من القول والفعل واملاء الاعمال الصالحة عليهم

من الاذكار والاقوال الطيبة ليكتبوها فذلك اكرامهم وتضيفهم وكذلك الانفاس ثم الساعات ثم الايام والليالي قادمة

على العبد شاهدة له وعليه اكرامها املاؤها بالخير فانها ظروف لا يعمل العبد خيرا ولا شرا الا في ساعة من الزمان

او اقل من ساعة او اكثر واهانتها املاؤها بالشر وكذلك كل وارد من الله تعالى من خاطر خير وواعظ في قلب

المؤمن او تفهيم علم من الله يجب اكرامه بالقبول والامتثال واما الضرب الثاني من الباطن في مقام الاحسان فهو تجلي

الباري بقلوب المؤمنين وتنزله اليهم بصفات الرحمة والتجليات في كل ليلة وتنبيههم في كل وقت من التذكر والوعظ

فيجب اكرام تنزله وتجليه ومجيئه سبحانه من اتاني يمشي اتيته هرولة وكيف لا وهو اقرب اليه من حبل الوريد وانما مجيئه

وتنزله كشف الحجب من الغفلة وغيرها عن القلوب فقد عم التضيف والاكرام جميع المقامات الثلاثة الاسلام والايمان

والاحسان وتعين الاكرام في كل مقام منها لكل ضيف وارد فيها فمن اكرمها اكرم ورفع قدره في الحال ان كان من اهل

الاحوال وفي المال اذا قدم على ذي الجلال ومن اغفلها واستهان بها حرم الاكرام والترفيع في الحال والمال ومن هذه

الواردات ما يعظم قدره فيتزيد في قلوب المتلقين له اكراما وترحيبا على غيره وان كان الكل مكرما كيوم الجمعة في الايام

كان السلف الصالح يأخذون الاهبة لغشية الخميس وذلك من الاكرام له وكانوا يلقونه بالترحيب كان ابن ابرهيم بن

ادم يقول في كل صبيحة يوم الجمعة وعشيته مرحبا بيوم المزيد مرحبا بالكاتب والشهيد وكذلك باوقات الصلوات

على غيرها والشهور الفاضلة كشهر رمضان وغيره وليلة القدر وغيرها من الليالي الفاضلة وكذلك الواردات

كلها من الله تبارك وتعالى في القلوب ومن هذا الباب دخول الاستعداد لقدوم الموت عليهم والارتقاب له والتأهب

للقائه فمن اكرم هذه الواردات وتلقاها بالاكرام ورأها رسلا واردات من الله تعالى كان جزاؤه عند اول دخول

الجنة في منهى للتأهب لقدومه وحتى في السموات حتى ان الارض لتقول لاحدهم مرحبا بك لقد كنت احبك

وانت على ظهري فسترى صنيعي بك اليوم ولا يمر بروح على ملاء من الملئكة الا تلقته بالترحيب والاكرام ويقول

روح طيبة جاءت من جسد طيب حتى لا يبقى في الوجود الا من يكرمه ويرحب به على قدر درجته وان اردت اعتبارا

هذا المعنى في الوجود كله فان الملئكة والوجود كله بين يدي الله عز وجل متعلق لما يرد عليه من الله بالترحيب

والامتثال والاكرام وهذا مقام الاحسان فافهم فهمنا الله واياك واعاننا واياك على بره وبر وسايط المكرمة

امين كتمت سرا كتم الشيء من باب نصر اخفاه والكتمة بوزن الهمزة الذي يكتم سره وكتم من الافعال المتعدية لمفعولين

حذف احدهما هنا اي كتمت الناس سرا والسر هنا اما بمعنى المصدر او بمعنى المفعول واوقع الكتم على السر وهو الامر

الخفي الذي يكتم للاشارة الى المبالغة في شدة اخفائه وعدم الاباحة به وعدم اسراره الى الغير فانه ربما يظهر ما احسن

قول ابي اسحق ابراهيم بن خفاجة الاندلسي لا تودعن ولا الجمادات سرة • فمن الجوامد ما يشيد وينطق

واذا المحك اذاع سرا لم يكن له • وهو النظار فمن به يستوثق

وكتمان السر مما دعى اليه وحض عليه قال تعالى حكاية عن قول يعقوب ليوسف عليه السلام حين قص عليه رؤياه فعلم

منها مبتدا امره ومنتهاه يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا وقال صلعم استعينوا على قضاء حوائجكم

بالكتمان وكان عم اذا اراد غزاة ورى عنها بغيرها وقال عمرو بن العاص القلوب اوعية الاسرار والشفاه اقفالها

والالسن مفاتيحها فليحفظ كل امرء مفتاح سره وقال ايضا ما اودعت سرى عند احد فافشاه فلمته لانى كنت اضيق صدرا

حين استودعته اياه قال

اذا ضاق صدر المؤمن عن سر نفسه * فصدر الذى يستودع السر اضيق

واذا المرء افشى سره بلسانه * ولام عليه غيره وهو احمق

ومن امثالهم صدرك اوسع لسرك ويقال اذا انتهى السر من الجنان الى عذبة اللسان فالاذاعة مستولية عليه وعيون

العواقب تنظر اليه وقالوا اذا ضاق سرك عن نجواك فكيف تشكو ان لم يسعه سواك وقال حكيم سرك من دمك فلا تجره

فى غير اوداجك فانك متى تكلمت به اراقته وكما انه لا خير فى انية لا تمسك ما فيها فكذلك لا خير فى صدر لا يملك سره وقال

اخر كن على حفظ سرك احرص منك على حقن دمك وقالوا سرك اسيرك فان بذلته صرت اسيره نظمه شاعر فقال

صن السر عن كل مستخبر * وحاذر فما الحزم الا الحذر

اسيرك سرك ان صنته * وانت اسير له ان ظهر

قال بعضهم كتمانك سرك يصحبك السلامة وافشاؤه يعقبك الندامة والصبر على كتمان السر ايسر من الندامة على افشائه

قيل لابى مسلم الخراسانى باى شىء ادركت ما ادركت فقال ايتزرت بالحزم وارتديت بالكتمان وخالفت

الصبر وساعدت القدر فادركت مرادى وحزت ما فى نفسى ثم انشد

ادركت بالحزم والكتمان ما عجزت * عنه ملوك بنى مروان اذ حشدوا

ما زلت اسعى عليهم فى ديارهم * والقوم فى ملكهم بالشام قد رقدوا

حتى ضربتهم بالسيف فانتبهوا * من نومة لم ينمها قبلهم احد

ومن رعى غنما فى ارض مسبعة * ونام عنها تولى رعيها الاسد

الى غير ذلك مما ذكروه فى حفظ الاسرار عن ان تدال الى الاحرار والاندال وفى ذلك اشارة لطيفة خفية الى ان العارف ينبغى له

او لا كتمان عمله من الطاعات كيلا يطلع عليه الناس فيفسده الريا وثانيا نسيان عمله كيلا ينظر اليه فيفسده العجب وجملة بدا من فعله

وفاعل المستتر العائد على اصغر سرا وهو واوى اللام من باب سما اى ظهر لحمته متعلقان ببدا وضمير منه للشيب

وبالكتم متعلق بكتمت والكتم بفتحتين مخففا وحكى تشديده كبقم سمى بذلك لانه يكتم اللون الذى يأتى عليه

نبت او ورق الاس وقيل كورق الناريخ يخلط مع الوسمة وهى ورق النيلة وقال الازهرى نبت فيه حمرة اى لو كنت

اعلم اسما او قرنا مما يليق به كتمته بالكتم اى خضبته حين نز ولحقنى لانه انسب لى لعدم توقيره الناشى من نفى الامارة بالتوقير

ومع ذلك فلا يليق بالشيخ ان يتصابى والخضاب لا يرد الى الشباب ثم الخضاب ان كان بغير السواد من صفرة

او حمرة فمذهبنا انه سنة لانه يذكر حالة الشيخوخة ودليلنا ما فى الصحيحين عن ابن عمر رضه انه راى النبى صلعم

يصبغ بالصفرة ويوافقه خبر ابى داود مر رجل على النبى صلعم قد خضب بالحنا والكتم فقال هذا احسن ثم مر اخر

خضب بالصفرة فقال هذا احسن وما فى الصحيحين انه لما جى بابى قحافة يوم الفتح وراسه ولحيته كالثغامة بياضا

فقال

فقال صلعم غيروا هذا الشيب واجتنبوا السواد واما قول القاضى عياض منع الاكثرون الخضاب مطلقا وهو مذهب

مالك لما روى من النهى عن تغيير الشيب ولان النبى صلعم لم يغير شيبه فاجاب عنه النووى بان ما مر عن ابن عمر وغيره

لا يمكن تركه ولا تأويله قال فالمختار انه صلعم صبغ فى وقت وتركه فى معظم الاوقات فاخبر كل بما راى وهو صادق وهذا

التأويل كالمتعين للجمع بين الاحاديث ومذهبنا ندب خطب الرجل بنحو حمرة او صفرة واما خضبه بالسواد فقد حرم

الائمة خضاب شعر ابيض من راس رجل او امراة ولحية رجل بالسواد لخبر ابى داود والنسائى وابن حبان فى صحيحه

والحاكم عن ابن عباس قال قال رسول الله صلعم يكون قوم يخضبون فى اخر الزمان بالسواد كحواصل الحمام

لا يريحون رائحة الجنة وكالرجل والمراة الخنثى نعم يجوز الصبغ بالسواد فى الجهاد لما فيه من ارهاب العدو ويجوز

للمراة ذلك باذن زوجها او سيدها لان له غرضا فى تزينها به وقد اذن لها فيه واستدلوا على تحريم صبغ الشعر بالسواد

بقوله صلعم المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبى زور ووجه الشبه هنا ان شاهد الزور اذا اراد الشهادة لبس ثيابه

التى اعدها التزويج شهادته عند الحاكم والى الحاكم فشهد والذى يصبغ انما يصبغ فى الغالب حتى يخطب عند قوم فيز

وجوه او يخطب للمراة فتخضب ليتزوج بها قال الامام الرملى والظاهر كما قاله بعض المتاخرين انه يحرم على الولى

خضب شعر الصبى او الصبية اذا كان اصهب بالسواد لما فيه من تغيير الخلقة قال محمود الوراق

يا خاضب الشيب الذى * فى كل ثالثة يعود

ان الخضاب اذا نضا * فكانه شيب جديد

فدع المشيب وما يريد * فلن يعود كما تريد

وكان ابن نباتة نحا هذا حيث يقول

للضيف ان يقرى ويعرف حقه * والشيب ضيف فاقره بخضاب

وافى باصدق شاهد ولربما * وافى المشيب بشاهد كذاب

فافسخ شهادته عليك بخضبة * تنفى الظنون بها عن المرتاب

فاذا دنا وقت الرحيل فخله * والشيب يذهب فيه كل ذهاب

وفد عبد المطلب بن هاشم على سيف بن ذى يزن فقال له لو خضبت شعرك فلما ورد الى مكة اختضب فقالت امراته نتيلة ما احسن هذا لو دام فقال

فلو دام لى هذا الخضاب حمدته * وكان بديلا من خليل قد انصرم

تمتعت منه والحياة قصيرة * ولا بد من موت نتيلة او هرم

وما احسن قول بعضهم

قالت اراك خضبت الشيب قلت لها * سترته عنك يا سمعى ويا بصرى

فقهقهت ثم قالت من تعجبها * تكاثر الغش حتى صار فى الشعر

قال مالك بن سمان بن خارجة لجارية له قومى اخضبى راسى ولحيتى فقالت دعنى عيبت فاعقك فقال

عيرتنى خلقا ابليت جدته * وهل رايت جديدا لم يعد خلقا

وما احسن قول الاخر

اليس عندك شكر للتي جعلت • ما ابيض من قادمات الراس كالحمم

وجددت منك ما قد كان اخلقه • طول الزمان وصرف الدهر والقدم

وقال عبدان الاصبهاني

لي شيبي شماتة لعداتي • وهو ناع منغص لحياتي

ويعيب الخضاب قوم وفيه • لي انس الى حضور وفاتي

لا ومن يعلم السرائر مني • ما تطلبت خلة الغانيات

انما رمت ان يغيب عني • ما اريه كل يوم مراتي

وهو ناع الي نفسي ومن ذا • سره ان يرى وجوه النعاة

وما اظرف قول ابن عبد ربه

اذا نصل الخضاب بكى عليه • ويفرح كلما وصل الخضابا

كان حمامة بيضاء ظلت • تقاتل في مفارقه غرابا

واظرف منه قول ابن هاني الاندلسي

بنتم فلولا ان اغير لمتي • عبثا وألقاكم علي غضابا

لخضبت شيبا في مفارق لمتي • ومحوت محو النقس منه كتابا

وخضبت مبيض الحداد عليكم • لو انني اجد البياض خضابا

واذا اردت على المشيب وفادة • فاجعل مطيك دونه الاحقابا

فلتاخذن من الزمان حمامة • ولتدفعن الى الزمان غرابا

قلت رحم الله ابن الرومي حيث يقول

يا ايها الرجل المسود شعره • كيما يعد به من الشبان

اقصر فلو سودت كل حمامة • بيضاء ما عدت من الغربان

ثم قلت واحسن شعر في باب الخضاب ما نقله ابن واصل في مفرج الكروب من شعر الملك الافضل نور الدين علي بن الملك صلاح الدين يوسف بن ايوب حيث يقول

يا من يسود شعره بخضابه • لعساه من اهل الشبيبة يحصل

ها فاختضب بسواد حظي مرة • ولك الامان بانه لا ينصل

رحمه الله من ملك اديب كيف لا يقول ذلك فانه مع ما كان فيه من حسن الصفات ولطف السمات وكمال الادب وجمال السيرة والفضل والعلم والديانة الزائدة والحلم قل ان عاقب او عاتب وكانت له المناقب الجليلة والصفات الجميلة وكان اكبر اخوته واخوانه وشمس دهره وكوكب زمانه قد ولع الدهر باخماده واخماله وعانده كما هي عادته مع امثاله فمع هذه الصفات التي سارت بها الركبان ما صفا له الدهر ولا هناه بالملك بعد ابيه السلطان صلاح الدين رحمهما الله تعالى الا مدة يسيرة بدمشق ثم تحضر اليه عمه ابو بكر العادل واخوه الملك العزيز عثمان فاخرجاه من ملكه بدمشق المحروسة ثم جهزاه الى شمساط وهذه عادة الدهر مع اهل الادب ولا سوة بابن المعتز حيث ادركته حرفة الادب وهذه عادة الدهر يأتي لنا بالعجب

كما قال هذا الفقير

ابو العجايب هذا الدهر فاستمعوا • فعاله انها للناس بالعجب

النذل قدم والمفضال اخره • فلا يفرق بين الراس والذنب

واقول لولم يكن من قبائح الخضيب الا تغيير البياض الزاهي الزاهر الذي هو صبغة الله تعالى التي يعجز الصباغون عن فعلها ومن احسن من الله صبغة فان كل لون قابل للتغيير الا الاسود يصير ابيض ناصعا مشرقا فهو مخصوص بقدرة الله تع دون غيره فاذا غيره الى السواد كان فيه غاية القباحة بعد تلك الوضاحة مع ما فاته من توقير شيبته النيرة اما في الدنيا فانها باعثة على اكرامه فقد روى انس عن النبي صلعم انه قال ما اكرم شاب شيخا لسنه الا قيض الله له من يكرمه عند سنه وعن جعفر بن محمد عن ابيه قال جاء رجلان الى النبي صلعم شيخ وشاب فتكلم الشاب قبل الشيخ فقال كبر كبر ولما قام وكيع لسفيان انكر عليه قيامه له فقال له اتنكر علي قيامي لك وانت حدثتني عن عمرو بن دينار عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلعم ان من اجلال الله عز وجل اجلال ذي الشيبة المسلم قال فاخذ سفيان بيده فاقعده الى جانبه واما في الاخرة فقد ورد في الحديث القدسي الشيب نوري وانا استحي ان احرق نوري بناري وعن انس عن النبي صلعم قال الله تعالى وعزتي وجلالي وفاقة خلقي الي اني لاستحي من عبدي وامتي يشيبان في الاسلام ان اعذبهما ثم بكى فقيل له ما يبكيك يا رسول الله قال ابكي ممن يستحي الله منه وهو لا يستحي من الله وحدث محمد بن مسلم الخواص الرجل الصالح قال رايت يحيى بن اكثم القاضي في المنام فقلت ما فعل الله بك فقال اوقفني بين يديه وقال يا شيخ السوء لولا شيبتك لاحرقتك بالنار فاخذني ما ياخذ العبد بين يدي مولاه فلما افقت قالها ثانية وثالثة فلما افقت قلت يا رب ما هكذا حدثت عنك فقال تعالى وما حدثت عني قلت حدثني عبد الرزاق قال حدثني معمر بن راشد عن ابن شهاب الزهري عن انس بن مالك عن نبيك صلعم عن جبريل عنك يا عظيم انك قلت ما شاب لي عبد في الاسلام شيبة الا استحييت منه ان اعذبه بالنار فقال الله عز وجل صدق عبد الرزاق وصدق معمر وصدق الزهري وصدق انس وصدق نبيي وصدق جبريل انا قلت ذلك انطلقوا به الى الجنة وفي البيت الطباق في كتمت سرا بدا لي والجناس المطلق في كتمت بالكتم والله اعلم

من لي برد جماح من غوايتها • كما يرد جماح الخيل باللجم

من اسم استفهام مبتداء والاستفهام هنا استعطاف لنفسه واستعانة بكل احد متضمن معنى التمني والاستبعاد يستعمل فيما يستبعد حصوله وخبره متعلق بكون خاص دل عليه المعنى اي من يتكفل لي برد جماح بكسر الجيم هو والجموح مصدر جمح الفرس اذا اعتز فارسه من شدة العدو وغلبه لا جمع جموح كما قاله شارح فهو فرس جموح وجماح المراة من زوجها خروجها من بيته الى اهلها قبل ان يطلقها ناشزة والجموح من الرجال الذي يركب هواه فلا يمكن رده قال

خلعت عذاري جامحا ما يردني • عن البيض امثال الدمى زجر زاجر

والمعنى عليه هنا لان النفس لما ركبت هواها وعسر ردها استفهم عمن يردها من غوايتها بفتح الغين مصدر كالغي اي ضلالها وهو من باب ضرب يضرب ورد من باب علم يعلم متعلق برد وقيل صفة جماح او بيان له استعار الجماح لاسراع نفسه في ركوبها الغواية استعارة لطيفة وتنكير جماح للتعظيم والاستفهام عمن يردها انفصال منه بمواعظ الشيب والمراد المقدسة العلية كما يرد الكاف اما جارة او مجرورة المحل صفة ردا او منصوب صفة لمصدر محذوف اي ردا مثل رد وما مصدرية ويرد يجوز ان يكون بالياء التحتية مبنيا للفاعل كما هو في نسخة المص وفاعله ضمير يعود على الراكب المفهوم من السياق وان يكون

بالتاء جنيا للمفعول كما هو الظاهر والتانيث على اكتساب المضاف من المضاف اليه نحو تلتقطه بعض السيارة و جماح الخيل
نائب الفاعل اى غلبتها لراكبها من اضافة الصفة الى الموصوف اى الخيل الجامحة والخيل جماعة الافراس سميت بذلك لاختيالها
في مشيها وهي من الحيوان المشرف ولقد مدحها الله تعالى فقال ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وقال
عم الخير معقود بنواصي الخيل الى يوم القيمة وقال عليكم باناث الخيل فان ظهورها عز وبطونها كنز روى عن ابن عباس
لما اراد الله خلق الخيل اوحى الى الريح الجنوب وقال انى خالق منك خلقا فاجتمعى فاجتمعت فاتى جبريل عم فاخذ
منها قبضة فخلق الله تعالى منها فرسا كميتا فقال خلقتك عربيا و فضلتك على سائر البهايم فالرزق بناصيتك والغنايم
تقاد على ظهرك وبصهيلك ارعب المشركين واعز المؤمنين ثم وسمه بغرة وتحجيل فلما خلق الله تعالى ادم عم
قال لا اختر يا ادم اى الدابتين الفرس او البراق فقال الفرس يارب فقال الله تعالى اخترت عزك وعز اولادك وفي الحديث
قال ما من فرس الا ويقول في فجر كل يوم اللهم من جعلتنى له فاجعلنى احب اهله اليه والخيل ثلاثة فرس للرحمان وهو المعروف
عليها وفرس لك وهي التي تسابق بها وفرس للشيطان وهي التي جعلت للخيلاء وورد ايضا الخيل ثلاثة لرجل اجر ولرجل
ستر ولرجل وزر وفي الحديث ان الملائكة لا تحضر شيئا من اللهو الا في مسابقة الخيل وملاعبة الرجل اهله ومما قيل فيها

احبوا الخيل واصطبروا عليها • فان العز فيها والجمالا
اذا ما الخيل ضيعها اناس • ربطناها واشركت العيالا
نقاسمها المعيشة كل يوم • ونكسوها البراقع والجلالا

وفضائل الخيل واوصافها الحسنة لا تخفى وقد اطنب فيها الشعراء وغيرهم و باللجم متعلق بترد واللجم بضمتين
جمع لجام ويجمع على الجمة وجمعه على الجم لحن وهو فارسي معرب على المشهور واصله لكام او لغام ابدلجيما الاعجم اذا
عربوا كلمة غيروا بعض حروفها اشعارا بالتعريب والناظم رحمه الله تعالى شبه الانسان في اتباع هو انفسه الامارة
المسارعة فيه بحيث عسر ردها براكب فرس قوية الجمح لشدة عدوها وعسر ردها واستفهم متمنيا مستبعدا مستغيثا
بمن يردها ويرشدها الى سواء السبيل والعود الى محل السلامة كما ترد الفرس المذكورة باللجام ووجه الشبه اوضح من الشمس
في رابعة النهار وقد وقع تشبيه النفس بالفرس في الحديث الشريف فى ذلك نفسك مطيتك فارفق بها وفي حديث اخر
مثل المؤمن مثل الفرس يجول في اخيته ثم يرجع والاخية الطيل الذى يربط في رجل الفرس فترعى من كل جانب فاذا اراد
ان يخرج من الحد الذى ربط فيه الاخية جذبه الحبل فرده وكذلك المؤمن اذا ركب روحه مطية نفسه فانها ترتع في المباح
فاذا ارادت ان تجمح الى المعاصى ردها بلجام الاستمساك بعناية توفيق الله تعالى قال الحسن ما الدابة الجموح باحوج
الى اللجام الشديد من نفسك ولما كان الانسان لا قدرة له على رد نفسه بل لا بد له من مساعد على ذلك كما ان الراكب
لا قدرة له على رد الجماح الا باللجام احتاج الى المساعد والمساعد لا يكون الا من جانب الشارع الهادى الذى بيده التوفيق
والارشاد الى سواء الطريق وهذا المساعد اما عالم بالاوامر والنواهى واساليب الترغيب والترهيب ماهر في مسالك
التسليك وهو الواعظ الناصح كما هو في شأن العلماء واما عارف بقوانين الرياضة فابض على المريد سجال الافاضة
طبيب يدفع بدوا القلوب الذى حريص على خلاص الطالب من ايدى الردا وهم الاولياء وقد جمع الانبياء هاتين
الرتبتين فانهم المبعوثون بالرحمة وهم هداة الامة ومع هذا كله فلا بد لهذا الانسان الراكب هوا نفسه المريد لهداها

من مساعدة الواعظ العالم والولى العارف بالاقبال عليه والاعتقاد فيه وقبول قوله والتمسك بهديه عاضا عليه بالنواجد
كما ان الراكب للفرس الجموح يكون من قصده بشراشر كلية وجزئية رد جماحها باللجام فاذا كان بهذه الصفة تيسر له
المرام وفرس فرس نفسه بذلك اللجام فاول ما يلزم المريد بعد الانتباه من غفلته ان يقصد من اشتهر بالتسليك والارشاد
فيعتمد عليه ويحكمه في نفسه وشرط هذا المسلك ان يكون مؤمنا على دينه عالما بالاحكام الدينية عارفا بالعلوم اللدنية
ناصحا في القول والفعل والنية فطوبى لمن حصل هذه الصفات وثبته الله عليها الى الممات وهنيئا لمن اهتدى به واعانه
على نفسه ومن شرط المريد ان يعتقد في هذا المسلك انه عارف بالله ناصح بخلق الله وانه على بينة من ربه وان طريقه
اشرف الطرق الى غير ذلك من الشروط التى ذكروها في صفات المسلك والمريد وقد لا يردع الوعظ بالرفق بل يحتاج
الى زجر بليغ وهو يختلف باختلاف الجامحين فلذلك اتخذ المحتسب والكلام عليه في محله وقد تساعد الجامح عناية
ربانية تكف بها نفسه عن الوقوع في مهادى المهالك فيتمسك ح بلجام التوفيق راد ابه نفسه الامارة الى المطمئنة والحكايات
في هذه المقامات كثيرة شهيرة في كتب القوم وفي البيت الاستعارة والجناس التام وجناس الاشتقاق ومراعات النظير والتنبيه والاستفهام

فلا ترم بالمعاصى كسر شهوتها • ان الطعام يقوى شهوة النهم

شروع في رد جماح النفس وبيان كيفية بذكر شيء من صفاتها واعظم ردها بمخالفتها ومخالفة هواها ولما تفهم
عن يرد جماحها من غوايتها المشعر قايلا بانها لا تشبعها من مشتهياتها ولا تحتاج الى سؤال ردها وليس هذا
الا من مغالطة النفس الامارة المزينة للمساوى فالتفت من التكلم الى الخطاب تجريدا ورد عليها مقالتها الفاسدة
بابلغ ردود حيث اتى بصيغة النهى فقال فلا ترم اى لا تطلب ولا تتوقع بالمعاصى متعلق بترم والباء للاستعانة
والخطاب وان كان للتجريد الا انه لكل من يصلح له والمعاصى جمع معصية عند الطاعة مأخوذة من الاستعصاء وهو
شدة الامتناع ولما كان العاصى يمتنع عن طاعة الامر سمى فعله معصية وكسر اى قطع شهوتها في الصحاح الشهوة
معروفة وطعام شهى اى مشتهى فعيل بمعنى مفعول وبيان المغالطة الثانية من تلك النفس الامارة القائلة بان
النفس اذا شبعت من المعاصى انكسرت شهوتها مبنية على مقدمات فاسدة لا يظهر لها نتيجة وهى ان الشهوة
هى ميل الطبع الى ما يلايمه ويقتضيه مما تدعوه اليه النفس ليترتب على ذلك لذة تجدها عند حصول غرضها المطلوب
لها لتأخذ حظها منه فاذا حصل لها تلك الشهوة وتكررت المرة بعد الاخرى ملتها ولم يبق لها التفات اليها بخلاف
ما اذا منعت منها ودوفعت عنها فانها تبقى متلفتة اليها مترقبة لها متوجهة نحوها بكليتها واحب ما تهوى حبيب
ممنوع وليت هذه المغالطة الفاسدة بهذه المقدمات الكاسدة الا من تزيين الشيطان والنفس الامارة بالسوء
افمن زين له سوء عمله فراه حسنا فان النفس ما عودتها تعودت عليه وما الفته تكررت كل حين تشتاق اليه واذا
ذاقت لذة الشهوة صعب فطامها عنها واذا شربت مدام الاثام طربت على الدوام منها بخلاف ما اذا حسم من اول
الامر مادة طمعها وقطع عرق طلبها واعرض عن الالتفات اليها فانه ح لم يكن لها في منازل قلبه نزول ولا تراها بين خيام
اربه تجول غريبة عن معاهد مراده بعيدة عن مقاصد وداده لا تعرف لها طعما ولا يثبت لها حكما فهو خال الذهن منها
سالم عن البحث عنها فلذلك اتى الناظم بدليل حسى يظهر منه رد تلك المغالطة ويعلم منه ان فعل المعصية يدعو الى الاستئناس
بالفيها والزيادة لها والانجرار الى ما هو اعظم منها فقال مؤكدا لمن يتردد في ذلك ويظنه ان الطعام هو ما يؤكل

اى المطعوم يقوى شهوة النهم بفتح النون وكسر الهاء كثرة صفة مشبهة التشويد الشهوة الى الطعام والنهم بفتحتين افراط الشهوة فى الطعام وانكر ابن قتيبة والعسكرى صيغة نهم وقالوا الا يقال نهوم ونهوم ولا يقال النهم واورد العسكرى حديث منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا وما انكراه حكاه اهل اللغة كصاحب القاموس والمحكم وغيرهما ورد عليهما ابن برى وقال قد جاء نهم الرجل فهو مفهوم ونهم فهو نهم ومنه قول الحريرى فمن ساعد النهم وحل حلة الفيل المنهم والجملة بالسرها تاكيد لما قبلها مبينة لها من حيث ان فعل المعاصى تقوى طلب النفس لها والاستر سال فيها وربما صار ذلك طبعا لها وعادة يصعب فطامها عنها مع ان الانسان لا يأمن من حلول الموت انا ولحدا فربما ادركته منية وهو فى تلك المعصية قبل ان يأخذ منها اربه كما وقع ذلك للاغشى حين جاء مؤمنا مادحا للنبى صلى الله عليه وسلم بقصيدته التى مطلعها

منها فى المخلص

الم تغتمض عيناك ليلة ارمدا • وبت كما بات السليم مسهدا

فاليت لا ارثى لها من كلالة • ولا من حفى حتى تلاقى محمدا

متى ما تناخا عند باب ابن هاشم • تريحى وتلقى من فواضله ندا

نبى يرى ما لا يرون وذكره • اغار لعمرى فى البلاد وانجدا

فصده قريش وقالوا انه حرم الخمر وكان مغرما بشربها فقال ارجع واتشربها سنة واعود تائبا وعاد راجعا فمات من سنته ففاعل المعاصى الزاعم ان نفسه تنكسر شهوتها بها اما ان يختطفه الموت بغتة او تتراكم ظلمة الذنوب على قلبه وتتعذر عليه التوبة اذ القليل يدعو الى الكثير ويصير القلب مقيدا بسلاسل شهوات لا يمكن تخليصه من مخالبها وهو المعنى بانسداد باب التوبة والعياذ بالله تعالى وهو المراد بقوله تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا الآية ولذلك قال على كرم الله وجهه الايمان يبدو فى القلب نكتة بيضا فكلما ازداد الايمان ازداد ذلك البياض فاذا استكمل العبد الايمان ابيض القلب كله وان النفاق فى القلب ليبدو نكتة سودا فكلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد فاذا استكمل النفاق اسود القلب كله واعلم ان النفس عدو منافق مخادع مماليق والشهوة هى حبة المتمزج به المستمسكة بسببه وهو اساس كل فتنة وسوس كل شر وبها تقوى النفس فالنفس كالراكب والشهوة كالفرس الجموح فمن اطلق عنانها فى ميادين المعاصى فقد هوت به فى مهاوى الطغيان وكبت به فى ذلك الميدان ومن ردها بعنان الشرع ارتدت وحاصل الكلام ان اعظم شهوات الانسان ترجع الى امور اربعة شهوة القلب وشهوة البطن وشهوة الفرج وشهوة اللسان واعظمها ضررا شهوة القلب من حب الرياسة والعجب والكبر وما ضاهى ذلك وشهوة البطن من الاكل والشرب وما يلحق بذلك كالكسوة وشهوة الفرج من المواقعة ودواعيها كالنظر الذى هو اول بواعثها وشهوة اللسان هو القيل والقال كالغيبة والنميمة والشتم وما ضاهى ذلك وما خلق الله النفس ممتزجة بالشهوة لفائدة وحكمة ارادها سبحانه لانه لو انقطعت شهوة الطعام لهلك الانسان ولو انقطعت شهوة الوقاع لانقطع النسل ولو عدم الغضب بالكلية لم يدفع الانسان عن نفسه ما يهلكه و لهلك وليس المطلوب حسم الشهوة بالكلية بل ردها الى الاعتدال الذى هو وسط بين الافراط والتفريط وهو ما امر به الشرع الشريف وحده ومنع من مجاوزته وخلق لها من المباحات ما تندفع به تلك الشهوة وما حرم الله سبحانه وتعالى علينا شيئا حتى احل لنا الطيبات وحرم علينا الخبائث

من جنسه وما خلق داء الا وخلق له دواء فاما ما تعلق بشهوة البطن فان الله تعالى احل لنا الطيبات وحرم علينا الخبائث والطيب ما اذن فيه من المباح ووصل الى الانسان من وجه حل ما لم يتجاوز فيه عن حده المادون فيه شرعا والخبيث هو ما نهى عنه ووصل للانسان بغير حقه فدخل فيه المغضوب والمسروق وكل مسكر كالخمر وما شابه ذلك فكسر شهوتها عن ذلك الحرام هو كفها عنه والرضى بما تيسر من الحلال المادون فيه شرعا فان الله تعالى ما حرم شيئا الا عنه عباح من جنسه لما علم من نوازع الشهوة وتركب الفكرة ليكون ذلك عونا على طاعته وحاجزا عن مخالفته وقال عمر بن الخطاب ما امر الله تعالى بشىء الا واعان عليه ولا نهى عن شىء الا واغنى عنه ثم اخذ هاف ذلك شيئا فشيئا حتى ترضها تاض بالقناعة بما فيه سد الرمق وينشا من شهوة البطن خبائث كثيرة منها الشرة والكلب والحرص على المال الى ذلك من المال وبالسرقة والتطفيف والارتشاء واكل مال اليتيم والغصب والنهب وقطع الطريق واخذ العوض على الكهانة والتنجيم وشهادة الزور والقمار والربا والاحتكار والبيع على بيع اخيه والسوم على سوم وتلقى الركبان والخديعة بنحو التصرية والغش بنحو بيع المبيع من غير بيانه وبيع الحر والعبد المسلم والمصحف والكتب المحترمة للكفار وكل عقد فاسد مع ما يلزم من ذلك من اكرام الظلمة وكثرة الخصومات والايمان الفاجرة وعقوق الوالدين وقطع الارحام ومنع الزكوات وفطر رمضان واكل الميتة والخنزير بلا ضرورة او شىء من النجاسات وشرب المسكر وتمنى حله وذكر اسم الله على شربه والتلفظ بنحو التزيد خير من العلم مع اخراجه اياه من الاسلام نعوذ بالله من ذلك واما شهوة الفرج فقد احل الله لنا ما كان بنكاح وملك يد وحرم علينا ما سوى ذلك فما حرم وطى الزوجة حائضا او فى الدبر او فى نهار رمضان وقبل الارتجاع ورد المطلقة ثلاثا قبل نكاح زوج اخر وسائر العقود الفاسدة ومباشرة الاجنبية والزنا واللواط واتيان البهائم والاستمنا والتملق لاصحاب الفجور والبغايا وغيرهن وربما ادى ذلك الى الكفر كقول بعضهم يخاطب معشوقته وصلك اشهى لقلبى من رحمة الخالق الجليل الى غير ذلك نسال الله العفو والسلامة فكسر شهوتها كفها عن ذلك الحرام باستعمال الحلال ان وجد والا فبدوام ذلك الداء وهو استعمال الصوم ومجاهدة النفس بالاعمال الشاقة عليها فان ذلك كاسر لشهوتها والكف عن بواعثها ولا سيما النظر فانه مبداء الزنا فحفظه مهم وهو عسير من حيث انه قد يستهان به ولا يعظم الخوف منه والافات تنشاء كلها عنه

كل الحوادث مبداها من النظر • ومعظم النار من مستصغر الشرر

كم نظرة فتكت فى قلب صاحبها • فتك السهام بلا قوس ولا وتر

والمرء ما دام ذا عين يقلبها • فى اعين العين موقوف على الخطر

يسر مقلته ما ضر مهجته • لا مرحبا بسرور جاء بالكدر

والنظرة الاولى اذا لم يقصدها لا يؤاخذ بها والمعاودة يؤاخذ بها قال صلعم لك الاولى وعليك الثانية اى النظرة قال العلا بن زياد لا تتبع بصرك رداء المرأة فان النظر يجعل فى القلب شهوة وقلما يخلو الانسان فى تردداته عن وقوع البصر على النساء والصبيان ومهما تخايل اليه الحسن تقاضى الطبع المعاودة وعنده ينبغى ان يقرر عند نفسه ان هذه المعاودة عين الجهل لانه ان حقق النظر واستحسن ثارت الشهوة وعجز عن الوصول ولا يحصل له الا التحسر وربما ادى الى

قال

رأى حب فرام الوصل فامتنعوا • فسام صبرا فاعى قبله فقضى

وان يستقبح لم يتلذذ به ويأثم لانه قصد التلذذ فقد فعلهما آكد فلا يخلو في كل حاليه عن معصية وعن تألم وغم
ومنها حفظ العين بهذا الطريق اندفع عن قلبه كثير من الآفات واما كسر شهوة اللسان من الغيبة والنميمة وشهوة القلب
من حب الرياسة والكبر وغير ذلك فيكون بالكف عنها ورياضة النفس بترك كل ذلك وما دعا اليه وتخويفها
بالزجر والتهديد وما ورد في ذلك من الوعيد الشديد والنفس في جميع ذلك قابلة للتهذيب وصالحة للتاديب
ومذهب القوم ترك ما للنفس من الشهوات في جميع الحالات حتى من انواع المباحات وها نحن نقص عليك احسن القصص
من اقوالهم ونتلو عليك سور سير محاسن افعالهم واحوالهم لتشتفي نفسك من علتها وتحسم مادة شهوتها فالله
يا اخا الورع يحفظنا الله واياك من اتباع الشهوات فنقع في مهاوي الردى قال الامام الغزالي في الاحياء في بيان
شواهد النقل من ارباب البصائر وشواهد الشرع على ان الطريق في معالجة امراض القلوب بترك الشهوات
وان مادة امراضها هي اتباع الشهوات وقال في بيان طريق الرياضة في كسر شهوة البطن اعلم ان على المريد في بطنه
ومأكوله اربع وظائف الاولى ان لا يأكل الا حلالا فالعبادة مع اكل الحرام كالبناء على امواج البحر وقد ذكرنا ما يجب
مراعاته من درجات الورع في كتاب الحلال والحرام وبقي ثلاث وظائف خاصة بالاكل وهو تقدير قدر الطعام
في القلة والكثرة وتقدير وقته في الابطاء والسرعة وتعيين الجنس المأكول في تناول المشتهيات وذكر تلك
الوظائف بما فيه الشفا فلتراجع قال الغزالي والذي يقتضي الايمان بهذا الامر اي ترك الشهوات في القرآن والسنة
واقاويل العلماء اكثر من ان تحصى قال الله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وقال تعالى اولئك الذين
امتحن الله قلوبهم للتقوى قيل نزع عنها محبة الشهوات ويروى ان الله عز وجل اوحى الى داود عم يا داود حذر
وانذر اصحابك اكل الشهوات فان القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها عني محجوبة وقال عيسى عم طوبى
لمن ترك شهوة حاضرة لموعود غائب لم يره وقال يحيى بن معاذ الرازي جاهد النفس باسياف الرياضة والرياضة
على اربعة اوجه القوت من الطعام والغمض من المنام والحاجة من الكلام وحمل الاذى من جميع الانام فيتولد من قلة الطعام
موت الشهوات ومن قلة المنام صفوة الارادات ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال الاذى
البلوغ الى الغايات وليس شيء على العبد اشد من الحلم عند الجفا والصبر على الاذى فاذا تحركت من النفس ارادات
الشهوات والآثام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيف قلة الطعام من غمد التهجد وقلة المنام
وضربتها بايدي الخمول وقلة الكلام حتى تنقطع من الظلم والانتقام فتأمن من بوائقها في سائر الايام وتصفيها
من ظلمة شهواتها فتنجو من غوائل آفاتها فتصير عند ذلك روحانية لطيفة ونورية خفيفة فتجول في ميدان
الخيرات وتسير في مسالك الطاعات كالفرس الفاره في الميدان وكالملك المتنزه في البستان وقال ايضا اعداء
الانسان ثلاثة دنياه وشيطانه ونفسه فاحترس عن الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان بمخالفته ومن النفس بترك
الشهوات وقال بعض الحكماء من استولت عليه النفس صار اسيرا في حب شهواتها محصورا في سجن هواها ومنعت قلبه
الفوائد وقال جعفر بن حميد اجتمعت العلماء والحكماء على ان النعيم لا يدرك الا بترك النعيم وقال ابو يحيى الوراق
من ارضى الجوارح بالشهوات فقد غرس في قلبه شجر الندامات وقال وهب ما زيد على الخبز فهو شهوة وقال
وهيب بن الورد من احب شهوات الدنيا فليتهيأ للذل وقال رجل لعمر بن عبد العزيز متى اتكلم قال اذا اشتهيت

الصمت قال فمتى اصمت قال اذا اشتهيت الكلام فقد اتفق العلماء والحكماء على ان لا طريق الى سعادة الآخرة الا بنهي
النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات ثم قال في الوظيفة الثالثة في نوع الطعام وترك الادام واعلى الطعام مخ
البر فان نخل فهو غاية الترفه واوسطه شعير منخول وادناه شعير لم ينخل واعلى الادام اللحم والحلاوة وادناه
الملح والخل واوسطه المزورات بالادهان من غير لحم وعادة سالكي طريق الآخرة الامتناع عن الادام على الدوام
بل الامتناع عن الشهوات فان كل لذيذ يشتهيه الانسان فاكله اقتضى ذلك بطرا في نفسه وقسوة في قلبه وانسا
للقلب بلذات الدنيا حتى يألفها ويكره الموت ولقاء الله وتصير الدنيا في حقه جنة فيكون الموت سجنا له
واذا منع نفسه عن شهواتها وضيق عليها وحرمها لذاتها صارت الدنيا سجنا عليه ومضيقا واشتهت نفسه الانفلات منها فيكون الموت اطلاقها واليه اشار يحيى بن معاذ حيث قال معاشر الصادقين جوعوا انفسكم لوليمة
الفردوس فان شهوة الطعام على قدر جوع النفس وكل ما ذكرناه من آفات الشبع فانه يجري في اكل الشهوات
وتناول اللذات فلا نطول باعادته فلذلك يعظم الثواب بترك الشهوات من المباحات ويعظم الخطر في تناولها
حتى قال رسول الله صلعم شرار امتي الذين يأكلون مخ الحنطة وهذا ليس بتحريم بل هو مباح على معنى انه من اكله
مرة او مرتين لم يعص ومن داوم عليه ايضا لم يعص بتناوله ولكن تتربى نفسه بالنعيم وتأنس بالدنيا وتألف
اللذات وتسعى في طلبها فيجرها ذلك الى المعاصي فهم شرار الامة لان مخ الحنطة يقودهم الى اقتحام تلك الامور
وقال صلعم شرار امتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه اجسامهم وانما همتهم الوان الطعام والوان اللباس
يتشدقون في الكلام واوحى الله تعالى الى موسى عم اذكر انك ساكن القبر ليمنعك ذلك عن كثير من الشهوات وقد
اشتد خوف الصلحاء السلف عن تناول لذيذ الاطعمة وتمرين النفس عليها ورأوا ان ذلك علامة الشقاوة ورأوا
منع الله تعالى عنه غاية السعادة حتى روي ان وهب بن منبه قال التقى ملكان في السماء الرابعة فقال احدهما
للآخر من اين فقال امرت بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودي لعنه الله فقال الآخر امرت باهراق
زيت اشتهاه فلان العابد وهذا تنبيه على ان تيسر اسباب الشهوات ليس من علامات الخير ولهذا امتنع عمر
رضه من شرب ماء بارد بعسل وقالوا امنعوا عن حسابها فلا عبادة لله اعظم من مخالفة النفس في الشهوات
وترك اللذات كما اوردناه في كتاب رياضة النفس وعن بشار بن نمير قال ما نخلت لعمر دقيقا قط الا وانا له
عاص وروي ان عتبة الغلام كان يعجن دقيقه ويجففه في الشمس ثم يأكله ويقول كسرة وملح حتى يتهيأ لي
في الدار الآخرة الشوا والطعام الطيب وكان يأخذ الكوز فيغرف به من جب كان في الشمس نهاره فتقول مولاة له
يا عتبة لو اعطيتني دقيقك لخبزته لك وبردت لك الماء فيقول لها يا ام فلان قد شردت عني كلب الجوع
وروي عن مالك بن دينار انه بقي اربعين سنة يشتهي لبنا فلم يأكله واهدي له يوما رطب فراودوه في اكله فقال لاصحابه
كلوا فما ذقته منذ اربعين سنة وقال احمد بن ابي الحواري اشتهى ابو سليمان الداراني رغيفا حارا بملح فجئته به فعض منه عضة
ثم طرح الرغيف واقبل يبكي وقال عجلت الي شهوتي بعد اطالة جهدي وشقوتي قد عزمت على التوبة فاقلني قال
احمد فما رأيته اكل الملح حتى لقي الله عز وجل ومر ابو حازم بالسوق فرأى فيها من الفاكهة فاشتهاها فقال لابنه اشتر لنا
من هذه الفاكهة المقطوعة الممنوعة لعلنا نذهب الى الفاكهة التي لا مقطوعة ولا ممنوعة فلما اشتراها واتى بها قال

لنفسه قد خدعتني حتى نظرت واشتهيت وغلبتني حتى اشتريت والله لا ذقته فبعث به الى يتامى من الفقراء وروى
ان عتبة الغلام اشتهى لحما سبع سنين ثم بعد سنة فاشترى قطعة لحم على خبز وشواها فلقى صبيا فقال الست انت ابن فلان
وقد مات ابوك قال بلى فناوله اياه واقبل يبكي ويقول ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا ومكث عتبة الغلام
يشتهي تمرا سنين فلما ان كان ذات يوم اشترى بقيراط ورفعه حتى يفطر عليه فقال فهبت ريح واظلمت الدنيا ففزع
الناس فقال عتبة واجراءتي عليك وشراى التمر بالقيراط وقال لنفسه ما اظن اخذوا الا بذنبك لا ذقته وترك التمر
واورد القشيري في رسالته عن ابرهيم بن الخواص انه قال كنت في جبل اللكام فرايت رمانا فاشتهيته فدنوت فاخذت
منها واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركت الرمان فرايت رجلا مطروحا قد اجتمع عليه الزنابير
فقلت السلام عليكم فقال وعليك السلام يا ابرهيم فقلت كيف عرفتني فقال من عرف الله تعالى لا يخفى عنه شيء
فقلت ارى لك حالا مع الله تعالى فلو سالته ان يحميك الاذى من هذه الزنابير فقلت وارى لك حالا مع الله تعالى
فلو سألته ان يقيك شهوة الرمان فان لدغ الرمان يجد الانسان المه في الاخرة ولدغ الزنابير يجد المه في الدنيا
وتركته ومضيت وحكي عن ابرهيم بن شيبان انه قال ما بت تحت سقف ولا في موضع فيه غلق اربعين سنة وكنت
اشتهي في اوقات ان اتناول شبعة من عدس فلم يتفق لي فكنت وقتا بالشام فحمل الي غضارة فيها عدس فتناولت
منه وخرجت فرايت قوارير معلقة فيها شيء شبه نموذجات فظننته خلا فقال لي بعض الناس اي شيء تنظر هذه
جات الخمر وهذه الدنان خمر فقلت في نفسي لزمني فرض فدخلت حانوت الخمار وطرت اصب ما في الدنان
وهو يتوهم اني اصب بامر السلطان فلما علم بي اخذني الى ابن طولون فامر بضربي مائتي خشبة وطرحني في السجن
وبقيت مدة حتى دخل ابو عبد الله المغربي الى ذلك البلد فشفع لي فلما وقع بصره علي قال ايش فعلت فقلت
شبعة عدس ومائتي خشبة فقال نجوت مجانا اي باطلا ومعناه ان الله يجعل لك عقوبة شهوتك في دنياك
ولم يوخرها الى اخراك واورد عن الجنيد انه قال سمعت السري يقول ان نفسي تطالبني منذ ثلثين او اربعين
سنة ان اغمس جزرة في دبس فما اطعمتها وقال ابو بكر الجلاء اعرف انسانا تقول له نفسه انا اصبر لك على طي عشرة
ايام واطعمني بعد ذلك شهوة اشتهيها فيقول لها لا اريد ان تطوي عشرة ايام ولكن اترك هذه الشهوة قال
الامام الغزالي فقد عرفت ان هولاء كيف امتنعوا من اكل الشهوات ومن الشبع من الاقوات وكان امتناعهم
للفوائد التي ذكرناها وفي بعض الاوقات لانه كان لا يصفو لهم حلال فلم يرخصوا لانفسهم الا في قدر الضرورة
والشهوات ليست من الضروريات ثم قال وعلى الجملة لا سبيل الى اهمال الشهوات في المباحات واتباعها بكل حال
وبقدر ما يستوفي العبد من شهوة نفسه يخشى ان يقال له اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا وبقدر ما يجاهد
ويترك شهوته يتمتع في الاخرة بشهواته وقد قال تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية وكانوا
اسلفوا ترك الشهوات ولهذا قال ابو سليمان ترك شهوة من شهوات النفس انفع للقلب من صيام سنة وقيامها
واما شهوة الفرج فاعظم واعظم من تحذيرها ان النساء حبائل الشيطان ولولا هذه الشهوة ما كان للنساء
سلطنة على الرجال وقال بعضهم ان الشيطان قال للمراة انت نصف جندي وانت سهمي الذي ارمي به فلا اخطئ
وانت موضع سري وانت رسولي في حاجاتي فنصف جنده الشهوة ونصفه الغضب واعظم الشهوة شهوة

النساء قال الغزالي وهذه الشهوة ايضا لها افراط وتفريط واعتدال فالافراط ما يقهر العقل حتى يصرف همة الرجل
الى التمتع بالنساء والجواري فيحرم عن سلوك طريق الاخرة او يقهر الدين حتى يجر الى اقتحام الفواحش وقد ينتهي
افراطها بطائفة الى امرين شنيعين احدهما ان يتناولوا ما يقوي شهوتهم لاستكثار الوقاع والثاني انه
قد تنتهي هذه الشهوة ببعض الضلال الى العشق وهو غاية الجهل حتى يزداد به ذل الاخذ لا عبودية الى عبودية
وتفريطها بالعنة وبالضعف عن امتاع المنكوحة وهو ايضا مذموم وانما المحمود ان تكون معتدلة
او مطيعة للعقل والشرع في انبساطها وانقباضها ومهما افرطت فكسرها بالجوع وبالنكاح قال صلعم
معاشر الشبان عليكم بالباه فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء قال الامام الغزالي في الاحياء بيان
فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين اعلم ان هذه الشهوة اغلب الشهوات على الانسان واعصاها عند الهيجان على العقل
الا ان مبتداها قبيح يستحيى منه ويخشى من اقتحامه فامتناع اكثر الناس عن مقتضاها اما لعجز او لخوف او لحياء
او لمحافظة على حشمة وليس في شيء من ذلك ثواب فانه ايثار حظ من حظوظ النفس على حظ اخر نعم من العصمة
ان لا يقدر ففي هذا العوائق فائدة وهي دفع الاثم فان من ترك الزنا يدفع عنه اثمه بايّ سبب كان تركه وانما الفضل
والثواب الجزيل في تركه خوفا من الله تعالى مع القدرة وارتفاع الموانع وتيسر الاسباب لا سيما عند صدق الشهوة
وهذه درجة الصديقين ولذلك قال صلعم من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد وقال صلعم سبعة يظلهم الله
تعالى يوم القيمة في ظله يوم لا ظل الا ظله وعد منهم رجلا دعته امراة ذات جمال وحسب الى نفسها فقال اني اخاف
الله رب العالمين وقصة يوسف عم وامتناعه مع القدرة ومع رغبتها معروفة وقد اثنى الله تعالى عليه بذلك
في كتابه وهو امام كل موفق لمجاهدة الشيطان في هذه الشهوة العظيمة روي ان سليمان بن يسار كان
من احسن الناس وجها فدخلت عليه امراة فسألته نفسه فامتنع عنها وخرج هاربا من منزله وتركها فيه قال
سليمان فرايت في المنام يوسف عم وكاني اقول له انت يوسف قال نعم انا يوسف الذي هممت وانت سليمان الذي لم تهم
وعن سليمان ايضا ما هو اعجب من هذا وهو انه خرج حاجا من المدينة ومعه رفيق له حتى نزلا بالابواء فقام رفيقه
واخذ السفرة وانطلق الى السوق يبتاع شيئا وقعد سليمان في الخيمة وكان سليمان من اجمل الناس وجها واورع
الناس فبصرت به اعرابية من قلة الجبل فلما رات جماله وحسنه انحدرت وعليها البرقع والقفازان فجاءت ووقفت
بين يديه فاسفرت عن وجهها كانه فلقة قمر فقالت هيئني فظن انها تريد طعاما فقام الى فضل السفرة ليعطيها
فقالت لست اريد هذا انما اريد ما يكون من الرجل لاهله فقال جهزك الي ابليس ثم وضع راسه بين كميه واخذ
في النحيب فلم يزل يبكي فلما رات ذلك سدلت البرقع على وجهها ورفعت رجلها حتى رجعت الى خيمتها فجاء
رفيقه فراه قد انتفخت عيناه من البكاء وانقطع حلقه فقال ما يبكيك فقال خير ذكرت صبيتي فقال لا الا ان
لك قصة انما عهدك بصبيتك منذ ثلث او نحوها فلم يزل به رفيقه حتى اخبره بشان الاعرابية فوضع السفرة
وجعل يبكي بكاء شديدا فقال له سليمان وانت ما يبكيك قال انا احق بالبكاء منك لاني اخشى اني لو كنت
مكانك لما صبرت عنها فلم يزالا يبكيان فلما انتهى سليمان الى مكة وطاف وسعى اتى الحجر واحتبى بثوبه فنعس
فاذا رجل وسيم جميل طوال له شارة حسنة ورائحة طيبة فقال له سليمان من انت رحمك الله قال انا

يوسف قال يوسف الصديق قال نعم قال ان في شانك وشان امرأة العزيز لشانا عجيبا فقال له يوسف شانك وشان
صاحبة الابواء اعجب ومن هذا المضمار حديث احد الثلاثة الانفار الذين انطبق عليهم باب الغار وهو قال الآخر
اللهم كانت لي ابنة عم وكانت احب الناس الي فاردتها عن نفسها فامتنعت مني حتى المت بها سنة من السنين فجاءتني
فاعطيتها مائة وعشرين دينارا على ان تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى اذا قدرت عليها قالت لا احل لك
ان تفض الخاتم الا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي احب الناس الي وتركت الذهب الذي
اعطيتها اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة وروي عن بكر بن
عبد الله المزني ان قصابا اولع بجارية لبعض جيرانه فارسلها اهلها في حاجة لهم الى قرية اخرى فتبعها فراودها
عن نفسها فقالت له لا تفعل لانا اشد حبا لك منك لي ولكني اخاف الله قال فانت تخافينه وانا لا اخافه فرجع
تائبا فاصابه العطش حتى كاد ينقطع عنقه فاذا هو برسول لبعض انبياء بني اسرائيل فسأله فقال ما لك قال
العطش قال تعال حتى ندعو حتى تظلنا سحابة حتى ندخل القرية قال ما لي من عمل فادعو قال فانا ادعو وامن
انت فدعا الرسول وامن هو فاظلتهما سحابة حتى انتهيا الى القرية فاخذ القصاب الى مكانه ومالت السحابة
معه فقال له زعمت ان ليس لك عمل وانا الذي دعوت وانت الذي امنت فاظلتنا سحابة ثم تبعتك لتخبرني بامرك
فاخبره فقال الرسول ان التائب من الله بمكان ليس احد من الناس بمكانه وعن احمد بن سعيد العابد عن ابيه قال كان
عندنا بالكوفة شاب متعبد ملازم المسجد الجامع لا يكاد يخلو منه وكان حسن الوجه حسن القامة حسن السمت
فنظرت اليه امرأة ذات جمال وعقل فشغفت به وطال ذلك عليها فلما كان ذات يوم وقفت له على طريقه وهو يريد
المسجد فقالت له يا فتى اسمع مني كلمات اكلمك بها ثم اعمل ما شئت فمضى ولم يكلمها ثم وقفت له بعد ذلك على طريقه
وهو يريد منزله فقالت له يا فتى اسمع مني كلمات اكلمك بها قال فاطرق مليا وقال لها هذا موقف تهمة وانا اكره
ان اكون للتهمة موضعا فقالت له والله ما وقفت موقفي هذا جهالة مني بامرك ولكن معاذ الله ان يشرف العباد
الى مثل هذا مني والذي حملني على ان لقيتك في مثل هذا الامر بنفسي لمعرفتي ان القليل من هذا عند الناس كثير وانتم معاشر
العباد مثل القوارير ادنى شيء يعيبه وجملة ما اكلمك به ان جوارحي كلها مشغولة بك فالله الله في امري وامرك
قال فمضى الشاب الى منزله واراد ان يصلي فلم يعقل كيف يصلي فاخذ قرطاسا وكتب كتابا وخرج من منزله فاذا
المرأة واقفة موضعها فالقى اليها الكتاب ورجع الى منزله وكان في الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم اعلمي
ايتها المرأة ان الله تبارك وتعالى اذا عصي حلم فاذا عاد العبد في المعصية ستره فاذا لبس لها ملابسها غضب الله
عز وجل لنفسه غضبة تضيق منه السموات والارضون والجبال والشجر والدواب فمن ذا يطيق غضبه فان كان
ما ذكرت باطلا فاني اذكرك يوما تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن وتجثو الامم لصولة الجبار
العظيم واني والله قد ضعفت عن اصلاح نفسي فكيف باصلاح غيري فان كان ما ذكرت حقا فاني ادلك
على طبيب يداوي الكلوم المرضة والاوجاع المرمضة ذلك الله رب العالمين فاقصديه على صدق المسألة فاني
متشاغل عنك بقوله تعالى وانذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع
يطاع يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور فاين المهرب من هذه الآية ثم جاءت بعد ذلك بايام ووقفت له

على طريقه فلما راها من بعيد اراد الرجوع الى منزله لئلا يراها فقالت يا فتى لا ترجع فلا كان الملتقى بعد هذا ابدا الا بين يدي
الله عز وجل وبكت بكاء كثيرا وقالت اسأل الله تعالى الذي بيده مفاتيح قلبك ان يسهل ما قد عسر من امرك ثم تبعته
فقالت امنن علي بموعظة احملها واوصني بوصية اعمل عليها فقال لها الفتى اوصيك بحفظ نفسك من نفسك واذكرك
قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار قال فاطرقت وبكت بكاء اشد من بكائها الاول ثم افاقت
ولزمت بيتها واخذت في العبادة فلم تزل على ذلك حتى ماتت كمدا فكان الفتى يذكرها بعد موتها ثم يبكي عليها
فيقال له مم بكاؤك وانت قد ايستها فيقول اني ذبحت طمعها مني في اول امرها وجعلت قطعها ذخيرة لي عند
الله عز وجل واني استحي من الله ان استرد ذخيرة ادخرتها عنده وهو احكم الحاكمين وحكى ابن حجة في ثمرات
الاوراق عن الامير بدر الدين ابي المحاسن يوسف المهمندار المعروف بمهمندار العرب قال حكى لي شجاع الدين الشيزري
متولي القاهرة في ايام الكاملية سنة تسعين وستمائة قال بتنا عند رجل ببعض بلاد الصعيد فاكرمنا وكان الرجل
شديد السمرة وهو شيخ كبير فحضر له اولاد بيض الوجوه حسان الاشكال فقلنا له هؤلاء اولادك فقال نعم
وكان بكم انكرتم بياضهم فقلنا له نعم قال هؤلاء امهم فرنجية اخذتها في ايام الملك الناصر صلاح الدين
وانا شاب نوبة حطين فقلنا له كيف اخذتها قال حديثي بها عجيب قلنا اتحفنا به قال زرعت كتانا في هذه البلاد
وقلعته ونفضته فانصرف عليه خمسمائة دينار ولم يبلغ في الثمن الى اكثر من ذلك فحملته الى القاهرة فلم يصل الى اكثر
من ذلك فاشير علي بحمله الى الشام فحملته فما زاد على تلك القيمة فوصلت به الى عكا فبعت بعضه بالاجل والبعض
تركته عندي واكتريت حانوتا ابيع فيه على مهلي الى حيث انقضاء المدة فبينما انا ابيع اذ مرت بي امرأة فرنجية ونساء
الفرنج يمشون في الاسواق بلا نقاب فاتت تشتري مني كتانا فرايت من جمالها ما بهرني فبعتها وسامحتها ثم جاءت
في اليوم الثاني فبعتها وسامحتها اكثر من الكرة الاولى فتكررت الي ومعها عجوز وعلمت اني احبها وقلت
للعجوز التي معها اني قد تلفت بحبها واريد منك الحيلة فقالت لها ذلك فقالت تروح ارواحنا الثلاثة انا وانت وهو
فقلت لها قد سمحت بروحي في حبها واتفق الحال على ان ادفع لها خمسين دينارا صورية فوزنتها وسلمتها للعجوز
فقالت نحن نجيئك الليلة عندك فمضيت وجهزت ما قدرت عليه من ماكول ومشروب وشمع وحلوى وجاءت
الفرنجية فاكلنا وشربنا وجن الليل ولم يبق غير النوم فقلت لنفسي اما تستحي من الله وانت غريب تعصي الله
مع نصرانية اللهم اني اشهدك اني قد عففت عنها في هذه الليلة حياء منك وخوفا من عقابك ثم نمت الى الصبح
فقامت في السحر وهي غضبانة ومضت ومضيت انا الى حانوتي فجلست فيه فاذا هي قد عبرت علي والعجوز
وهي مغضبة وكانها القمر فهلكت وقلت في نفسي من انت حتى تترك هذه البارعة في حسنها ثم لحقت العجوز
وقلت ارجعي فقالت وحق المسيح ما ارجع الا بمائة دينار فقلت نعم ومضيت بوزنها فلما حضرت الجارية
عندي لحقتني الفكرة الاولى وعففت عنها وتركتها حياء من الله ثم مضت ومضيت الى موضعي ثم عبرت
علي بعد ذلك وكانت مستعبية فقالت وحق المسيح ما بقيت تفرح بي عندك الا بخمسمائة دينار او تموت كمدا
فارتعت لذلك وعزمت انني اصرف عليها ثمن الكتان جميعه فبينما انا كذلك والمنادي ينادي معاشر المسلمين
ان الهدنة التي بيننا وبينكم قد انقضت وقد امهلنا من هنا من المسلمين الى جمعة فانقطعت عني واخذت

انا فى تحصيل ثمن الكتان الذى كان لى والمصالحة على ما بقى واخذت معى بضاعة حسنة وخرجت من عكا وفى قلبى
من الفرنجية ما فيه فوصلت الى دمشق وبعت البضاعة باوفى ثمن بسبب فراغ الهدنة ومن الله بكسب وافر واخذت
اتجر فى الجوارى لعسى يذهب ما بقلبى من الفرنجية فمضت ثلاث سنين وجرى للملك الناصر ما جرى من وقعة
حطين واخذ جميع الحصون وفتح بلاد الساحل باذن الله تعالى فطلب منى جارية للملك الناصر فاحضرت جارية
فاشتريت منى بمائة دينار فاوصلوا الى تسعين دينارا وبقيت عشرة دنانير فلم يلقوها فى الخزانة ذلك
اليوم لانه انفق جميع الاموال فشاوروه على ذلك فقال امضوا به الى الخزانة التى فيها السبى من نساء الفرنج
فخيروه فى واحدة منهن يأخذها بالعشرة دنانير التى له فاتيت الخزانة فعرفت بنت الفرنجية فقلت اعطونى
هاتيك فاخذتها ومضيت الى خيمتى وخلوت بها وقلت اتعرفينى فقالت لا فقلت انا صاحبك التاجر الذى
جرى له معك ما جرى واخذتى منى الذهب وقلتى ما بقيت تبصرنى الا بخمسمائة دينار وقد اخذتك ملكا
بعشرة دنانير فقالت حديدك انا اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاسلمت واحسن اسلامها
فقلت والله لا وصلت اليها الا بامر القاضى فرحت الى ابن شداد وحكيت له ما جرى فعجب وعقد لى عليها وباتت
تلك الليلة عندى فحملت منى ثم رحل العسكر واتيت الى دمشق وبعد مدة يسيرة اتى رسول الملك يطلب الاسارى
والسبايا باتفاق وقع بين الملوك فرد الاسارى من الرجال والنساء ولم يبق الا التى عندى فسألوا عنها
وافتضح الخبر انها عندى فطلبت منى فحضرت وقد تغير لونى واحضرتها معى بين يدى السلطان الملك الناصر
بحضرة الرسول فقال ترجعين الى بلادك والى زوجك فقد فككنا اسرك واسر غيرك فقالت يا مولانا السلطان
انا قد اسلمت وحملت وها بطنى كما ترونه وما بقيت الفرنج تنتفع بى فقال لها الرسول ايما احب اليك هذا
المسلم او زوجك الفرنجى فلان فاعادت عبارتها الاولى فقال الرسول لمن معه من الفرنج اسمعوا كلامها
ثم قال لى الرسول خذ زوجتك فوليت بها فطلبنى ثانيا وقال ان امها ارسلت معى وديعة وقالت ان بنتى
اسيرة واشتهى ان توصل لها هذه الكسوة فتسلمت الكسوة ومضينا الى الدار ففتحنا القماش فاذا هو قماشها
بعينه قد سيرته لها امها ووجدت الصرتين الذهب الخمسين دينارا والمائة دينار كما هما بربطتى لم يتغير
وهؤلاء الاولاد منها وهى التى صنعت لكم هذا الطعام انتهى واما شهوة اللسان فقد تساهل الخلق فى الاحتراز
عن افاته وغوائله والحذر من مصايده وحبائله فانه اعظم آلة للشيطان فى استغواء الانسان صغير الجرم
كبير الجرم وهل يكب الناس على مناخرهم فى النار الا حصايد السنتهم فانه رحب الميدان ليس له مرد ولا لمجاله
منتهى وحد طاعته طاعة عظيمة ومعصيته معصية وخيمة فبسبب اللسان يفرق بين الكفر والايمان وما غاية
الطاعة والطغيان فله فى الخير مجال رحب وله فى الشر مجر سحب ولا ينجو من شره الا ان يقيده بلجام الشرع
فلا تطلقه الا فيما ينفعك فى دنياك واخرتك وهو اعصى الاعضاء على الانسان اذ لا تعب فى تحريكه ولا مؤنة
فى اطلاقه وقد ذكر الامام الغزالى فى الاحياء عشرين افة واطال الكلام عليها افة افة فلتراجع والنجاة من تلك
الافات انما تكون بالصمت فلذلك مدح الصمت وحث عليه قال صلعم من صمت نجا وقال عليه السلام الصمت
حكمة وقليل فاعله وقال عقبة بن عامر يا رسول الله ما النجاة قال املك عليك لسانك وليسعك بيتك

وابك على خطيئتك وقال سهل بن سعد الساعدى قال رسول الله صلعم من يتوكل لى بما بين لحييه ورجليه اتوكل
له بالجنة وقال صلعم من وقى شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقى والقبقب البطن والذبذب الفرج واللقلق اللسان
قاله فى الاحيا فهذه الشهوات الثلاث بها تهلك اكثر الخلق ولذلك اشتغلنا بذكر افات اللسان لما ذكرنا افات
الشهوتين القلب والفرج والاحاديث فى ذلك كثيرة والاثار غزيرة شهيرة فمنها ما روى عن الصديق رضه
انه كان يضع حصاة فى فيه يمنع بها نفسه من الكلام وكان يشير الى لسانه ويقول هذا اوردنى الموارد وقال
الحسن كانوا يتكلمون عند معاوية والاحنف ساكت فقالوا مالك لا تتكلم يا ابا بحر قال اخشى الله ان كذبت
واخشاكم ان صدقت وقال ابن مسعود والله الذى لا اله الا هو ما من شىء احوج الى طول سجن من لسان فقال اخذه حميد بن عياش

لعمرك ما شىء علمت مكانه ٭ احق بسجن من لسان مذيل
على فيك مما ليس يعنيك شانه ٭ بقفل وثيق حيث كنت فاقفل
فرب كلام قد جرى من ممازح ٭ فساق اليه سهم حتف معجل
وللصمت خير من كلام ممازح ٭ فكن صامتا تسلم وان قلت فاعدل
ولا تك فى حب الاخلاء مفرطا ٭ وان انت ابغضت البغيض فاجمل
فانك لا تدرى متى انت مبغض ٭ حبيبك او تهوى بغيضك فاعقل

اجتمع اربعة من الملوك على اربع كلمات توارد وافيها موارد النصائح واخرجوا درر معانيها من بحار القرائح قال كسرى
انا على ما لم اقل اقدر منى على رد ما قلت وقال ملك الصين اذا تكلمت بالكلمة ملكتنى واذا لم اتكلم بها ملكتها وقال ملك الهند
عجبت لمن يتكلم بالكلمة ان ذكرت عنه ضرته وان لم تذكر عنه لم تنفعه وقال ملك الروم لان اندم على ما لم اقل احب الى من
ان اندم على ما قلت فهذه كلمات صدرت من صدور صافية من كدر الغل وغشه يحذر بها العاقل من لذع اللسان ونهشه
وقالوا الصمت زين الحلم وعودة العلم ومطية السلم المتحلى به فى حصن من السلامة وامن من الندامة ودرع من الافات
وصون من العثار وستر من العيب وكنف من الريب حافظه منه فى راحة مساء وصباح قال شاعر

ان كان يعجبك السكوت فانه ٭ قد كان يعجب قبلك الاخيارا
الصمت زين والسكوت سلامة ٭ فاذا نطقت فلا تكن مكثارا
ما ان ندمت على سكوتى مرة ٭ ولقد ندمت على الكلام مرارا

قال الغزالى فان قلت فهذا الفضل الكبير للصمت ما سببه فاعلم ان سببه كثرة افات اللسان من الخطأ والكذب والغيبة والنميمة
والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس والخصومة والفضول والخوض فى الباطل والتحريف والزيادة والنقصان
وايذاء الخلق وهتك العورات فهذه افات كثيرة وهى لا تثقل على اللسان ولها حلاوة فى القلب وعليها بواعث
من الطبع ومن الشيطان فان الخائض فيها قل ما يقدر على ان يزم اللسان فيطلقه بما يجب ويكفه عما لا يجب فان
ذلك من غوامض العلم كما سيأتى تفصيله ففى الخوض خطر وفى الصمت سلامة فلذلك عظم فضله هذا مع ما فيه من جمع الهم
ودوام الوقار والفراغ للفكر والعبادة والذكر والسلامة من تبعات القول فى الدنيا ومن حسابه فى الاخرة وقد قال تعالى
ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ويدلك على لزوم الصمت امر وهو ان الكلام اربعة اقسام قسم هو ضرر محض وقسم

هو نفع محض وقسم فيه ضرر ومنفعة وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة اما الذى هو ضرر محض فلا بد من السكوت عنه وكذلك
ما فيه ضرر ومنفعة لا يفى بالضرر واما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان وهو عين الخسران
فلا يبقى الا القسم الرابع فقد سقطت ثلثة ارباع الكلام وهذا الربع فيه خطر اذ يمتزج به ما فيه اثم من دقايق الريا والتصنع
والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجا يخفى مدركه فيكون الانسان به مخاطر ومن عرف دقايق افات اللسان على ما
سنذكره علم قطعا ان ما ذكره صلعم هو فصل الخطاب حيث قال من صمت نجا فلقد والله اوتى جواهر الحكم وجوامع
الكلم ولا يعرف ما تحت احاد كلماته من بحار المعانى الا خواص العلما وفيما نذكره من الافات وعسر الاحتراز عنها
ما يعرفك حقيقة ذلك ان شاء الله تعالى واما القلب فانه اعظم الاعضا وشهوته اعظم الشهوات والمجاهدة فى دفعها
اعظم المجاهدات وحاصل ما يقال انه بيت الله وكعبة تجلياته فلا تدنسه باصنام الاثام وهو ركن المعارف وملتزم
البادى والعاكف فعمره باجلاء هوام الاوهام وانما اطلنا الكلام فى هذا المقام لان النفس مجبولة على حب الشهوات وحسن التعليل
واكثر الناس واقعون فيها الا بعض اهل المجاهدات فاستمسك بعنان العناية وقد نفسك بزمام الهداية وجاهدها والارصاد
بترك المرام لتصل الى دار السلام وفقنا الله واياك لمرضاته بمنه وفى البيت المقابلة فى كسر شهوتها وتقوى شهوة والتكرير والامتعا

فالنفس كالطفل ان تهمله شب على ... حب الرضاع وان تفطمه ينفطم

الفاء للتفريع عما قبلها وجعل ما بعدها كالعلة له واشارة الى التشبيه والنفس واحدة النفوس تطلق على معان وقد تقدم المراد
بها عند الاطلاق وهو مبتداء وكالطفل خبره شبهت به فى استمرارها على مألوفها وجريها على عوايدها التى جعلت عليها
فان الله تعالى لما نفخ الروح فى جسد ادم خلق من ازدواج الروح والجسد ولدين ذكر وانثى فالذكر المضغة الصنوبرية
فى الجانب الايسر من الصدر والانثى وهى النفس وتثبت والتقها الجسد السفلى فتامر بالشر وهى الامارة مجبولة
وهى على ضد الروحانيات المخلوقة عن الملكوت الاعلى لانها مخلوقة عن الملكوت السفلى كالشياطين ومن طبعهم التمرد
والاستكبار روى ان الله تعالى لما خلقها قال لها اقبلى فادبرت وقال لها ادبرى فاقبلت فهى على ما جبلت عليه من طبع
المخالفة والاباء وجعل موضعها جميع الجسد فلا تخلو ذرة منه عنها كما لا تخلو قطرة من اللبن عن ذرة من الزبد وقد خلقها
الله تعالى على صورة جهنم وخلق بحسب كل دركة فيها صفة لها وهى باب من ابواب جهنم يدخل فيها من هذا الباب الى دركة
من دركاتها السبع وهى سبع صفات الكبر والحرص والحسد والشهوة والغضب والبخل والحقد فمن لم يزك نفسه
عن هذه الصفات عبد دركات جهنم السفلية ومن زكى نفسه عن هذه الصفات بقى فى دركات جهنم خايبا خاسرا كما قال تعالى
وقد خاب من دساها فانظر الى اين تضع نفسك اما فى مقام التدلى بحسب طبعها السفلى وهو مقام اهمالها فى مشتهياتها
فتهوى فى دركات جهنم بهويك معها فى دركاتها المذكورة واما فى مقام الترقى بابعادها عن عادتها ومنعها عن شهواتها
ومرادها فترقى فى درجات الجنان الى ان تصل الى اعلى عليين وتلحق بالمقربين الذين انعم الله عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا والى هذا اشارة البيت والنفس بهذا الاعتبار
على الضد من الروح وقد اختلفوا فيه وفى تعريفه وماهيته وللقوم فى ذلك كلام مشروح فى محاله فقال بعضهم
انه جسم لطيف وقيل عرض وقيل جوهر قائم بنفسه ولكنه مخلوق وقال الاكثرون ان الله تعالى ابهم علم الروح
على الخلق واستأثره بنفسه والمناسب هنا ان الروح لطيفة ربانية وهوا لمخلوق تعلقت القدرة بايجاده بامر كن

قيل ان الله تعالى لما خلقها اوقفها بين يديه وقال لها من انا قالت له من انا وانما كان الباعث لها على ذلك والله
اعلم كونها من الامر الربانى كما نطق بالقران الشريف ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربى فلذلك قلنا
انها لطيفة ربانية وقال تعالى ونفخت فيه من روحى وقال عم ان الله تعالى خلق الارواح قبل الاجساد بالفى عام
فلما كانت مخلوقة من ذلك العالم العلوى ارادت ان تقف فى ذلك المركز بالاستعلاء وعدم التسفل بالانقياد
الى الاعتراف والاقرار فتجلى فيها بقهره وقهرها بالجوع المعرف بالصمدانية الملجى الى الافتقار والاضطرار فعلمت انه
الاحد الصمد الفرد فاقرت له عند ذلك بالربوبية ثم لما كان ذلك الروح الانسانى فى جوار الحق وقربه وكان
يستفيض من الحضرة بلا واسطة قبل ان يتعلق بالجسد فلما امرها الحق سبحانه ان تتعلق بالجسد بعد تسوية الجسد
فكان الجسد فى اسفل سافلين الموجودات عرف الغير وتعلق به ان لم يكن عارفا غير الحق ولم يذكر غيره فحصلت
حجب من الحضرة بسبب بعده عنها وتعلقه بالغير فنسى الحضرة وما كان فيه من القرب وكان البعد سببا للحجاب
والحجاب سببا للنسيان فنسى الحق واشتغل بالغير فحصل لذلك الروح المسكين امراض ومواد فاسدة وفى
الحجب بسبب نسيان الحق وذكر الغير فلذلك احتاج الى مذكر وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين واول
مذكر ينفتح به باب الرجوع ويدخل منه الى دار الكرامة ويترقى به الى مراقى المعارف ويزيل حجاب الوحشة ويحل
فى حضرة الانس هو لا اله الا الله فنفى لا اله تزيل المواد الفاسدة التى تولد منها مرض القلب والروح وباثبات
الا الله تحصل صحة القلب وسلامة الروح وتتخلص الروح عن ذكر الغير وتشتغل بالحق وان استمر بعد ذلك
راقيا فى مراقى المعارف سالكا فى مسالك الاخلاص عن الالتفات الى ما وراءه وصل الى حضرة الانس وحضيرة
القدس فى مقعد صدق عند مليك مقتدر وهو وظيفة الروح وان التفت الى ما وراءه واشتغل بسوى الله
وهو مقام النفس المنطبعة على حب الشهوات الجارية على ما الفته من العادات كان منحطا مع الاسفلين وفرق عظيم
بين المقامين ولكل من الروح والنفس اخلاق نبينها وندل عليها قال الشيخ المحقق صدر الدين ابو محمد روزبهان
البقلى قدس الله سره فى كتابه سر الارواح واعلم ان للروح والقلب اخلاقا فمن اخلاق الروح السير فى الاسرار
والغوص فى الاقدار ومن خلقه الطهارة والرعاية ومن خلقه السكر والصحو ومن خلقه القبض والبسط ومن خلقه الخوف
والرجا ومن خلقه السيران فى الازل والطيران فى الابد ومن خلقه التفرد والتجرد ومن خلقه الصبر فى الهجران
والسير فى الاخران ومن خلقه طلب المشاهدة والقربة للمحاضرة ومن خلقه خفض الاصوات واخفاء المناجات
ومن خلقه الرضا فى الارادة والتضرع فى سؤال العناية ومن خلقه الضحك فى الانبساط والبكا فى المعاتبات ومن خلقه
الضرب فى السماع والدخول فى الصفا وحسن النظر الى وجوه الحسان والموانسة للورد والريحان كما قال ذو النون
من استأنس بالله استأنس بكل شىء مليح وبكل صوت طيب ورايحة طيبة ومن خلقه الاحتراق والاشتياق الى وجه
الحبيب ومن خلقه الحنين والانين والصعقة والشهقة ومن خلقه الاضطراب فى الوجد والفنا فى الوجود ومن خلقه
الخلوة وطلب الوصلة ومن خلقه الفرح فى البقا ومن خلقه الترنم والرقص ومن خلقه التبرى من الناسوت والوحدة
مع اللاهوت وكما ان للروح اخلاقا محمودة فللنفس اخلاق مذمومة فمنها صحبة العوام البطالين واهل السوق
الغافلين والمحدثين الجاهلين ومداواتها صحبة العلما الخائفين وعباد الله الصالحين ومن عيوبها صحبة

اهل الديوان وامامة الاتراك والمحجوبين الذين في دار الامراء والاشتغال بامرهم باموره لاجل الدنيا ومداواتها صحبة
الزهاد والمتورعين والتذكر لاهوال القيامة وانواع عذاب الظالمين ومن عيوبها صحبة اهل الاباحة واهل الناموس
والرعاية والزينة وصحبة الغواة المداهنين والمتفقهة الغافلين والمتصوفة الجاهلين ومداواتها صحبة اهل الهداية
والديانة والسياسة من المشايخ المتقين والاولياء الصادقين ومن عيوبها صحبة الروساء والخيلاء والجلوس
على منازلهم ومداواتها الجلوس مع اهل المراقبة من المتصوفة ومن عيوبها التالف والميل الى صحبة النساء والصبيان
والنظر الى وجوههم والمعاشرة معهم والملاعبة ويظن ان صحبتهم لا تضر به كما قال تعالى افمن زين له سوء عمله
فراه حسنا ومداواتها ترك صحبتهم والدخول بين المتحابين في الله ولا يفارقهم ساعة ولا لحظة لانهم حصن
الله في الارض ومن كان معهم فهو محصون من ابليس وجنوده كما قال تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
وقال عم المرء قليل بنفسه كثير باخيه ومن عيوبها الميل الى اللهو والهزل والاقتحام في الكبيرة والافعال السيئة
كما تفعل الصبيان وهذه الافعال مما تقسي القلوب ومداواتها الدخول في علوم القوم وادابهم ومعاملتهم
حتى يتخلص من شهوات الطبيعة ويتأدب باداب الحقيقة نسأل الله التوفيق لمرضاته ثم اعلم ان النفس قابلة للتأثر
فتلتحق بالروحانيين المرصود العلويين فترجع الى مقامها الاولى وتسمى الروح وذلك بحسب سلوكها في المسالك
المحمودة المحبوبة المطلوبة منها وترقيها في مراقي الكمال ومعاني الافضال واما اذا خلت ونفسها هملا سارحة في مهامه
الشهوات ومهالك الغوايات فتلتحق بالشياطين السفليين وتسمى النفس الامارة والتأديب اما بلطف الاهي
يوفقه الله تعالى به العبد او بزاجر قوي يقهر النفس ويردعها حتى تسلك المسالك المحمودة وترتدع عن المهالك
المذمومة فان النفس لا تصرف لها بذاتها كما ان الروح لا تصرف له بذاته لان الروح اثر لطف الله والنفس
اثر قهره وهما صفتان من صفاته تعالى ومنشاء هذا الزاجر الرادع يكون من اللطف الالهي فيكون باعثا على ذلك
فاذا عرفت ذلك وتقرر لك ما هنالك ظهر لك واتضح وجه شبه النفس بالطفل في المعنى الذي ذكره الناظم رحمه الله
ونتكلم على الزاجر في اخر البيت عند الكلام على الفطام ثم النفس لا يجوز اطلاقها على الله تعالى الا على المشاكلة كما
في قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك وقوله عم في الحديث القدسي من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي
واما قوله تعالى ويحذركم الله نفسه فالمراد بالنفس هنا وحيث ما افردت ذاته المقدسة قال المفتي فان جواز
اطلاق لفظ النفس مرادا به الذات عليه سبحانه بلا مشاكلة مما لا كلام فيه عند المتقدمين وقد صرح بعض محققي المتأخرين
بعدم الجواز وان اريد به الذات الا مشاكلة والطفل المولود وجمعه اطفال ويأتي اسم جنس يطلق على الواحد
والجمع بلفظ واحد قال تعالى والطفل الذين لم يظهروا وقال تعالى ثم يخرجكم طفلا وهو من لم يبلغ حد الشهوة
والمراد به هنا الرضيع بقرينة المقام يقال الناس على ان وصبيان واطفال الى البلوغ ثم هم بعد البلوغ شبان وفتيان
الى الثلاثين ثم هم بعدها كهول الى الاربعين ثم هم بعدها شيوخ والالف واللام فيهما اما للواحد او للجنس فتكون
من مقابلة الجنس بالجنس والكاف للتشبيه وهو الدلالة على مشاركة امر لامر في معنى فالنفس المشبه والطفل
المشبه به والمعنى هو وجه الشبه وهو هنا من تشبيه المعقول بالمحسوس تشبيه مفرد بمفرد والغرض من التشبيه
في الاغلب يعود الى المشبه وهو هنا بيان حاله فيما يذكر من اهماله او فطامه وذلك يقتضي ان يكون وجه التشبيه

في المشبه به

في المشبه به وثبوته اشهر واعرف كما هنا باعتبار المشاهدة الحسية ثم شرع في بيان وجه الشبه تفصيلا اثر اجماله فقال
ان تهمله اي تتركه ونفسه سدى يرتضع شب اي نشاء من شب الغلام يشب بالكسر شبابا وشبيبة بفتح الشين فيهما
وانشبه الله ويجوز في على ان تكون بمعنى مع اي مقارنا معها او على معناها وعلى الثاني ان تكون متعلقة بشب
او بمحذوف هو حال من فاعل شب اي حريصا او ملازما على حب الرضاع جريا على ما ألفه وجملة شب جواب الشرط
وجملة الشرط وجملة الشرط وجوابها وما عطف عليها تفسيرية مبنية لوجه الشبه لا محل لها من الاعراب قال
الزركشي فان قلت فكان ينبغي ان يأتي باذا وبدل ان لانها انما تكون عند الشك وهذا محقق قلت ابهام الزمان
فيه نزله منزلة غير المحقق وهو الجواب عن الاية ايضا انتهى والاية هي التي نظر بها وهي قوله تعالى فمثله كمثل الكلب
ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث وقد اعربها الزمخشري حالا فيكون محلها النصب اي لاهثا واما السؤال
والجواب الذين رتبهما من العدول عن اذا المقتضيها المقام الى ان الخ فهو عدول عن مقتضى المقام وما اجاب به
من الابهام ففيه ابهام لانهم قالوا الاصل ان واذا للشرط في الاستقبال لكن اصل ان عدم الجزم بوقوع الشرط
في اعتقاد المتكلم واصل اذا الجزم بوقوعه في اعتقاده وهنا البيت ظاهر من مقتضيات ان لان المتكلم لم يكن
جازما بحصول الاهمال والفطم من المخاطب حتى يكونا محققين عنده فلذلك جاء فيهما بان المقتضية للشك
واما الاية الشريفة فعدم الجزم بوقوع الشرط في اعتقاد المتكلم لم يقع في كلام الله تعالى الا على طريق الحكاية
او على ضرب من التأويل فاذا حملنا الاية الشريفة على طريق الحكاية مثلا فالمتكلم لم يكن جازما في اعتقاده بالحمل
والترك فكان المقام مقام ان ايضا فالبيت نظيرها في ذلك فلا حاجة الى تنزيلها منزلة غير المحقق لابهام
الزمان وحب الرضاع من اضافة المصدر الى مفعوله وفاعله الضمير المستتر العائد الى الطفل والرضاع بفتح
الراء وكسرها لغة اسم لمص الثدي وشرب لبنه وشرعا اسم لحصول لبن امرأة او ما حصل منه في معدة طفل
او دماغه والمراد من الطفل المذكور من لم يبلغ حولين في ابتداء الرضاعة الخامسة والفعل منه رضع يرضع
من باب علم يعلم ولغة نجد من باب ضرب يضرب وامرأة موضع اي لها ولد ترضعه فان وصفتها بارضاع الولد
قلت مرضعة وان تفطمه اي تفصله عن رضاعه بمنعها اياه منه وبابه ضرب والولد فطيم ذكرا كان او انثى وجمعه
فطم ككسرير وسرر ينفطم جواب الشرط اي ينفصل وصيغة الانفعال للمطاوعة ولهذا لا يكون فعلها الا لازما وفي هذا
التشبيه اكمل تسليك وتنبيه على ان النفس قابلة للارشاد وحسم مادة الفساد ولذلك نص عليها بنفسها معرفة
هنا لتعرفها في هذا البيت وما بعده بارجاع ضمائرها اليها حال تعريفها انها بقبولها لسلوك تلك المسالك تكون
مقبولة مرضية نفيسة في ذلك بخلاف ما اللوم حيث وصفها بالامارة في حال عدم اتعاظها وعدم اعدادها فاسقط
ذكرها والتنصيص عليها بنفسها للاشارة لسقوطها من الكسان الى سقوطها عن ساحة البيان ثم كان من لطف الله
تعالى بها وكمال رحمته اذ لم يؤاخذها بالنسيان عند هبوطها في الجسد السفلي لان طبع التسافل ذلك كما ان
الطفل لم يواخذ في حال ولادته بطلب الارتضاع مدة ارتضاعه وبما يصدر منه فلما وصلت الى وقت التمييز
بين ما كانت عليه من ذلك القرب العلوي وبين ما الت اليه من هذا الجسد السفلي واختلفت عليها الاهوا فان تذكرت
ما هي فيه من الجسد غلب عليها حب الوطن وان تفكرت ما كانت فيه من ذلك الانس وتذكرت تلك المعاهد

حتى حنين الواجد الفاقد • فلم تزل تلعب بها الامواج • وهي في هذه الحالة ضعيفة محتاجة الى العلاج • فكانت مؤاخذه
بالنسيان • ومعاتبة على المعايب مع عدم التشديد • قابلة للترشيد • الى ما فيه النجاح والتسديد • كحال الطفل بعد
التميز والبلوغ حيث وكل عليه عند البلوغ كراما كاتبين فامرهم الله تعالى ان يسامحوه احيانا رفقا به اذ هو
في قوة شبابه وقوة هيجان شهوته واذا بلغت مبلغ الكلام وعرفت الرشد من الضلال • وجب عليها الاعتنا
وترك الاغيار والتوقي للافات • والندم على ما فات • والخوف بعقابها العلوي الاولى كما ان الطفل اذا بلغ اشده
وبلغ اربعين سنة قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه اذ ليس المطلوب
منه الا ما يوصله الى المقامات الرفيعة فاذا مال عنها فقد مال عن سنن ما هو بصدده وترك عملا ما طلب منه
من التوفيق والتسديد فلذلك امرت الكرام الكاتبون بالتدقيق عليه والتشديد ثم ان النفس لما كانت قابلة
الارشاد والانفطام عن مادة الفساد فلا بد لها من مرشد يظهر اثر ارشاده فيها وذلك اما لطف الاهي او زاجر قوى
يتقوى باللطف الالهي ومن اللطف الالهي الكمال الفطري بحيث يخلق الانسان ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كفى
سلطان الشهوة والغضب بل خلقا معتدلين منقادين للعقل والشرع فيصير بغير تعلم عالما وبغير مؤدب
اديبا كعيسى بن مريم ويحيى بن زكريا وكذا سائر الانبياء صلوات الله اجمعين وقد يدرك ذلك بالاكتساب
وهو مخالطة الصبي المتخلقين بالاخلاق المرضية والتخلق باخلاقهم والاقتداء بهم في افعالهم ومن اللطف الالهي
ان يكون للانسان واعظ من نفسه يكفه عما لا ينبغي فعله واما الزاجر القوى فهو المسلك المتبوع الذي يطب نفوس
المريدين ويعالج قلوب المسترشدين واعظمهم في ذلك الرسل المبعوثون بالترغيب والترهيب وبيان
الشرايع والاحكام من الحلال والحرام ومن الزاجر المذكور الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ودخل في ذلك المحتسب
والكلام على ذلك كله مبسوط في محله وقال الامام الغزالي في الاحيا في بيان امثلة القلب مع جنوده الباطنة
اعلم ان جندي الغضب والشهوة قد ينقادان للقلب انقيادا تاما فيعينانه على طريقه الذي يسلكه ويحسنان
مرافقته في السفر الذي هو بصدده وقد يستعصيان عليه استعصاء بغي وتمرد حتى يملكانه ويستعبدانه وفيه هلاكه وانقطاعه
عن سفره الذي به وصوله الى سعادة الابد وللقلب جند اخر وهو العلم والحكمة والتفكر كما سياتي شرحه وحقه ان يستعين
بهذا الجند فانه حزب الله على الجندين الاخرين فانهما قد يلتحقان بحزب الشيطان فان ترك الاستعانة وسلط على نفسه
جندي الغضب والشهوة هلك يقينا وخسر خسرانا مبينا وذلك حال اكثر الخلق فان عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم
في استنباط الحيل لقضاء الشهوة وكان ينبغي ان تكون الشهوة مسخرة لعقولهم فيما يفتقر العقل اليه ونحن نقرب
هذا الى فهمك بثلاثة امثلة المثال الاول ان نقول مثل نفس الانسان في بدنه واعني بالنفس اللطيفة المذكورة كمثل وال
في مدينته ومملكته فان البدن مملكة النفس وعالمها ومستقرها ومدينتها وقواه وجوارحه بمنزلة الصناع والعملة
والقوة العقلية المفكرة له كالمشير الناصح والوزير العاقل والشهوة له كعبد سوء يجلب الطعام والميرة الى المدينة والغضب
والحمية له كصاحب الشرطة والعبد الجالب للميرة كذاب مكار مخادع خبيث يتمثل بصورة الناصح وتحت نصحه الشر
الهائل والسم القاتل وديدنه وعادته منازعة الوزير الناصح في كل تدبيره حتى لا يخلو عن منازعته ومعارضته
في اراه ساعة فكما ان الوالي في مملكته متى استشار في تدبيراته بوزيره معرضا عن اشارة هذا العبد الخبيث بل استدل

بلشارته على ان الصواب في نقيض رايه ادب صاحب شرطته وساسه لوزيره وجعله مؤتمرا له ومسلطا من جهته
على هذا العبد الخبيث واتباعه وانصاره حتى يكون العبد مسوسا لا سايسا ومامورا مدبرا لا اميرا مدبرا استقام امر بلده
وانتظم العدل بسببه فكذلك النفس المثال الثاني ان البدن كالمدينة والعقل المدرك من الانسان كملك مدبر لها
وقواه المدركة من الحواس الظاهرة والباطنة كجنوده واعوانه واعضاؤه كرعيته والنفس الامارة بالسوء التي هي الشهوة
والغضب كعدو ينازعه في مملكته ويسعى في اهلاك رعيته فصار بدنه كرباط وثغر ونفسه كمقيم فيه مرابط فان جاهد
عدوه فهزمه وقهره على ما يحب حمد امره اذا عاد الى الحضرة كما قال الله تعالى فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم
على القاعدين درجة وان ضيع ثغره واهمل رعيته ذم امره وانتقم منه عند لقاء الله تعالى فيقال له يوم القيمة يا راعي
السوء اكلت اللحم وشربت اللبن ولم ترد الضالة ولم تجبر الكسير اليوم انتقم منك كما ورد في الخبر والى هذه المجاهدة
الاشارة بقوله صلعم رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الكبير المثال الثالث مثل العقل مثل فارس متصيد وشهوته
كفرسه وغضبه ككلبه فمتى كان الفارس حاذقا وفرسه مروضا وكلبه مؤدبا ومعلما كان جديرا بالنجح ومتى كان
هو في نفسه اخرق وكان الفرس جموحا والكلب عقورا فلا فرسه تنبعث تحته منقادا ولا كلبه يسترسل باشارته
مطيعا فهو خليق بان يعطب فضلا من ان ينال ما طلب وانما خرق الفارس مثال جهل الانسان وقلة حكمته وكلال
بصيرته وجماح الفرس مثال لغلبة الشهوة وخصوصا شهوة البطن والفرج وعلو الكلب مثال لغلبة الغضب واستيلائه
انتهى وقال الامام الغزالي رحمه الله في بيان سرعة تقلب القلوب وانقسام القلوب في التغير والثبات اعلم ان القلب كما ذكرنا
تكتنفه الصفات التي ذكرناها وتنصب اليه الاثار والاحوال من الابواب التي وصفناها فكانه هدف يصاب على الدوام
من كل جانب فاذا اصابه شيء فتاثر به اصابه من جانب اخر ما يضاده فيتغير وصفه فان نزل الشيطان به فدعاه
الى الهوى نزل الملك به وصرفه عنه وان جذبه شيطان الى شر جذبه شيطان اخر الى غيره وان جذبه ملك الى خير جذبه
اخر الى غيره فتارة يكون متنازعا بين ملكين وتارة بين شيطانين وتارة بين ملك وشيطان ولا يكون قط مهملا
واليه الاشارة بقوله تعالى ونقلب افئدتهم وابصارهم ولاطلاع رسول الله صلعم على عظيم صنع الله في عجايب القلب
وتقلبه كان يحلف به فيقول لا ومقلب القلوب وكان كثيرا ما يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالوا
او تخاف يا رسول الله قال وما يؤمنني والقلب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء وفي لفظ اخر ان شاء
ان يقيمه اقامه وان شاء ان يزيغه ازاغه وضرب له رسول الله صلعم ثلاثة امثلة فقال مثل القلب مثل العصفور
يتقلب في كل ساعة وقال مثل القلب في تقلبه كالقدر اذا استجمعت غليانا وقال مثل القلب كريشة بارض فلاة
يقلبها الرياح ظهرا لبطن وهذه التقلبات وعجيب صنع الله في تقلبها من حيث لا يهتدى اليه لا يعرفها الا المراقبون
لقلوبهم والمراعون لاحوالهم مع الله تعالى والقلوب في الثبات على الخير والشر والتردد بينهما ثلاثة قلب عمر
بالتقوى وزكى بالرياضة وطهر عن خبايث الاخلاق تنقدح فيه خواطر الخير من خزائن الغيب ومداخل الملكوت
فينصرف العقل الى التفكر فيما خطر لتعرف دقايق الخير فيه ويطلع على اسرار فوائده فينكشف له بنور البصيرة وجهه
فيحكم بانه لا بد من فعله ويستحثه عليه ويدعوه الى العمل به فينظر الملك الى القلب فيجده طيبا في جوهره طاهرا
بتقويه مستنيرا بضياء العقل معمورا بانوار المعرفة فيراه صالحا لان يكون مستقرا له ومهبطا فعند ذلك

بعده بجنود لا ترى وبهدايته الى خيرات اخرى حتى ينجر الخير الى الخير وكذلك على الدوام ولا يتناهى امداده
بالترغيب في الخير وتيسير الامر عليه واليه الاشارة بقوله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره
لليسرى وفي مثل هذا القلب يشرق نور المصباح من مشكوة الربوبية حتى لا يخفى فيه الشرك الخفي الذي هو اخفى من دبيب
النملة السوداء في الليلة الظلماء ولا يخفى على هذا النور خافية ولا يروج عليه شيء من مكايد الشيطان بل يقف الشيطان
ويوحي اليه زخرف القول غرورا ولا يلتفت اليه وهذا القلب بعد طهارته من المهلكات يصير على القرب معمورا بالمنجيات
التي سنذكرها من الصبر والشكر والخوف والرجاء والفقر والزهد والمحبة والرضا والشوق والتوكل والتفكر والمحاسبة
وغير ذلك وهو القلب الذي اقبل الله عليه بوجهه وهو القلب المطمئن المراد بقوله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب
والمراد بقوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة **القلب الثاني** القلب المخذول المشحون بالهوى المدنس بالخبائث الملوث
بالاخلاق الذميمة المفتحة فيه ابواب الشياطين المسدودة فيه ابواب الملائكة ومبداء الشر فيه ان ينقدح فيه خاطر
من الهوى ويهجس فيه فينظر القلب الى حاكم العقل ليستفتي فيه ويستكشف وجه الصواب فيه فيكون العقل
قد الف خدمة الهوى وانس به واستمر على استنباط الحيل في موافقة الهوى ومساعدته فيستولي النفس ويساعد عليه
فينشرح الصدر بالهوى تنبسط فيه ظلماته لانخناس جند العقل عن مدافعته فيقوى سلطان الشيطان لاتساع مكانه
بسبب انتشار الهوى فيقبل عليه بالتزيين والغرور والاماني ويوحي بذلك زخرفا من القول غرورا فيضعف
سلطان الايمان بالوعد والوعيد ويخبو نور اليقين لخوف الاخرة فيصير العقل كالعين التي ملاء الدخان اجفانها
فلا تقدر على ان تنظر وهكذا تفعل غلبة الشهوة بالقلب حتى لا يبقى للقلب مكان للتوفيق والاستبصار ولو بصره واعظ
واسمعه ما هو الحق فيه عمي عن الفهم وصم عن السمع وهاجت الشهوة وسطا الشيطان وتحركت الجوارح على وفق الهوى
وظهرت المعصية الى عالم الشهادة من خزاين الغيب بقضاء الله وقدره والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله تعالى ارايت
من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم كالانعام بل هم اضل سبيلا
وبقوله لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون وبقوله سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون فرب
قلب هذا حاله بالاضافة الى بعض الشهوات كالذي يتورع عن بعض الاشياء ولكنه اذا راى وجها حسنا لم يملك
عينه وقلبه وطاش عقله وسقط مسك قلبه او كالذي لا يملك نفسه فيما فيه الجاه والرياسة والكبر ولا يبقى معه مسكة
للتثبت عند ظهور اسبابه او كالذي لا يملك نفسه عند الغضب مهما استحقر او ذكر عيب من عيوبه او كالذي لا يملك
نفسه عند القدرة على اخذ درهم او دينار بل يتهالك عليه تهالك الواله المستهتر فينسى فيه المروة والتقوى وكل ذلك
لتصاعد دخان الهوى الى القلب حتى يظلم وتنطفي منه انوار البصيرة فيطفى نور الحيا والمروة والايمان ويسعى في تحصيل
مراد الشيطان **القلب الثالث قلب يبتدى فيه خاطر الهوى** فيدعوه الى الشر فيلحقه خاطر الايمان فيدعوه الى الخير
فتنبعث النفس بشهوتها الى نصرة خاطر الشر فتقوى الشهوة وتحسن التمتع والتنعم فينبعث العقل الى خاطر
الخير ويدفع في وجه الشهوة ويقبح فعلها وينسبها الى الجهل ويشبهها الى البهيمة والسبع في تهجمها على الشر
وقلة اكتراثها بالعواقب فتميل النفس الى نصح العقل فيحمل الشيطان حملة على العقل ويقوى داعي الهوى ويقول
ما هذا التحرج البارد ولم تمتنع عن هواك فتؤذي نفسك هل ترى احدا من اهل عصرك يخالف هواه ويترك

غرضه

غرضه افتترك لهم ملاذ الدنيا يتمتعون فيها وتحجر على نفسك حتى تبقى محروما شقيا متعوبا يضحك عليك اهل
الزمان اتريد ان يزيد منصبك على فلان وفلان وقد فعلوا مثل ما اشتهيت ولم يمتنعوا اما ترى العالم الفلاني ليس يحترز
عن فعل ذلك ولو كان ذلك شرا لامتنع عنه فتميل النفس الى الشيطان وتنقلب اليه فيحمل الملك حملة على الشيطان
ويقول هل هلك الا من اتبع لذة الحال ونسي العاقبة افتقنع بلذة يسيرة وتترك لذة الجنة ونعيمها ابد الاباد
ام تستثقل الم الصبر عن شهوة ولا تستثقل الم النار اتغتر بغفلة الناس عن انفسهم واتباعهم هواهم ومساعدتهم
الشيطان مع ان عذاب النار لا يخف عنك بمعصية غيرك ارايت لو كنت في صيف ووقف الناس كلهم في الشمس
وكان لك بيت بارد اكنت مساعد الناس ام تطلب لنفسك الخلاص فكيف تخالف الناس خوفا من حر الشمس ولا
تخالفهم خوفا من حر النار فعند ذلك تميل النفس الى قول الملك فلا تزال تردد بين الجندين متجاذبة بين الحزبين
الى ان يغلب على القلب ما هو اولى به فان كانت الصفات التي في القلب الغالب عليه الصفات الشيطانية التي ذكرناها
غلب الشيطان ومال القلب الى جنسه من احزاب الشيطان معرضا عن حزب الله تعالى واوليائه ومساعدا لحزب
الشيطان واعدائه وجرى على جوارحه بسابق القدر ما هو سبب بعده عن الله تعالى وان كان الاغلب في القلب
الصفات الملكية لم يصغ القلب الى اغواء الشيطان وتحريضه اياه على العاجلة وتهوينه امر الاخرة بل مال الى حزب الله
تعالى وظهرت الطاعة بموجب ما سبق من القضا على جوارحه وقلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن اي
بين تجاذب هذين الحزبين وهو الغالب اعني التقلب والانتقال من حزب الى حزب اما الثبات على الدوام مع حزب
الملائكة او حزب الشياطين فنادر من الجانبين وهذه الطاعات والمعاصي تظهر من خزاين الغيب الى عالم
الشهادة بواسطة خزانة القلب فانه من خزاين الملكوت وهي اذا ظهرت كانت علامات تعرف ارباب القلوب
سابق القضا فمن خلق للجنة يسرت له اسباب الطاعة ومن خلق للنار يسرت له اسباب المعصية وسلط عليه
اقران السوء والقى في قلبه حكم الشيطان فانه بانواع الحكم يغر الحمقى كقوله ان الله رحيم فلا تبال وان العمر
طويل فاصبر حتى تتوب غدا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا يعدهم بالتوبة ويمنيهم
بالمغفرة فيهلكهم باذن الله بهذه الحيل وما يجري مجراها فيوسع قلبه لقبول الغرور ويضيقه عن قبول الحقايق
وكل ذلك بقضاء الله وقدره فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره
ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده فهو الهادي
والمضل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه خلق الجنة وخلق لها اهلا فاستعملهم بالمعاصي
وعرف الخلق علامة اهل النار واهل الجنة فقال ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم ثم قال تعالى فيما روي عن نبينا
صلعم هؤلاء في الجنة ولا ابالي وهؤلاء في النار ولا ابالي فتعالى الله الملك الحق لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون
انتهى وانما اطنبنا الكلام هنا مع نقل كلام الاحيا فيما يتعلق بالقلب لان المقام اقتضى ذلك اذ هو امر عام
في الخواص والعوام والقلب هو المضغة التي اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله وهو
المركز الدائر عليه دائرة الاعمال والاقوال فلذلك اقتصرنا على ما يتعلق به من تهذيب النفس واحلنا ما كان
خارجا عنه من تهذيبها وتاديبها الى ما ذكروه في رياضة النفس فعليك بمراجعته لتكون نقي الباطن والظاهر

والله يتوط الرابي وهو حسبي ونعم الوكيل هذا السلوك اشارة العارف السالك الشيخ عمر بن الفارض في نظمه بقوله

نفسي كانت قبل لوامة متى • اطعها عصت او تعص كانت مطيعتي
فاوردتها ما الموت ايسر بعضه • واتعبتها كيما تكون مريحتي
فعادت ومهما حملته تحمله • مني وان خففت عنها تأذت
وكلفتها لا بل كفلت قيامها • بتكليفها حتى كلفته بكلفتي
واذهبت في تهذيبها كل لذة • بابعادها عن عادها فاطمأنت
ولم يبق هول دونها ما ركبته • واشهد نفسي فيه غير زكية
وكل مقام عن سلوك قطعته • عبودية حققتها بعبودة
وكنت بها صبا فلما تركت ما • اريد اردتني لها واحبت
وصرت حبيبا بل محبا لنفسه • وليس كقول مر نفسي حبيبتي
خرجت بها عني اليها فلم اعد • الي ومثلي لا يقول برجعة
وافردت نفسي عن خروجي تكرما • فلم ارضها من بعد ذاك لصحبتي
وغيبت عن افراد نفسي بحيث لا • يزاحمني ابداء وصف بحضرتي

وفي البيت التشبيه والمقابلة بين تمله وتقطعه والرضاع والفطام والجناس المضارع بين شب وجب والمشتق بين تقطعه وينفطم ومراعات النظير بين الطفل والرضاع وينفطم وحسن البيان والتعليل والسهولة وتمكين القافية والتتميم فان الطفل ليس له غير هذين القسمين اما الاهمال واما الفطام والانسجام والابداع والله اعلم

فاصرف هواها وحاذر ان توليه • ان الهوى ما تولى يصم او يصم

الفاء اما فصيحة او تفريعية او عاطفة واصرف فعل امر اي امنع وهو يقتضي المنع الابتدائي من اول الامر بحيث انه اذا اراد الدخول عليها صرفه قبل الوصول اليها بصارف شرعي ومانع رحماني وهو مبالغة في التحذير منه وهذا الذي قصدنا ابلغ مما قاله بعض الشراح انه ضمن منه معنى القطع لانه يقتضي حصوله وحلوله اولا ثم قطعه وصرفه لان القطع لا يكون الا بعد التعلق وانما حمله على تضمينه معنى القطع والله اعلم لان غالب النفوس متعلق بها الهوى فصرفه عنها قطع له والاول من قبيل الدفع فهو اسهل واسلم والثاني من قبيل الرفع وهو اشق واعظم وهواها مفعوله والضمير عائد الى النفس والهوى اما بمعنى المفعول او بمعنى المصدر بالقصر هوى النفس وجمعه اهوا واما بالمد وهو ما بين السماء والارض وجمعه اهوية والهوى عرفا هو ميلان النفس الى مستلذاتها من غير داعية شرعية تنشاء عنها مصلحة عاجلة او عاقبة اجلة وحاذر بالذال المعجمة امر من حاذر اي احذر وصيغة المفاعلة للمبالغة من الحذر وهو الخوف وبابه علم والتحذير التخويف ورجل حذر بكسر الذال وضمها اي مستيقظ والجمع حذرون وحذارا وقرئ وانا لجميع حذرون وحاذرون لحذرون خائفون وحاذرون متأهبون وان توليه في محل نصب على المفعولية بتأويل المصدر اي توليه من ولاه الامارة قلدها اياه وولاه جعله واليا وحذف المفعول لقصد التعميم مع الاختصار اي امرا وضمير توليه للهوى في هواها وجملة ان الهوى وما بعدها استينافية لا محل لها من الاعراب او تعليلية واللام

في الهوى للاستغراق اذ يجوز ان يخلفها كل بقرينة المقام والمعرفة اذا اعيدت كانت في الغالب عين الاولى وما اسم شرطية جازمة لمحل الفعل منصوبة به على المفعولية اما مفعولا مطلقا او مفعولا به كما قاله صاحب المغني في قوله تعالى ما ننسخ من اية ويجوز ان تكون مع الشرط للزمان او العموم اي اي وقت تولى او اي حال تولى واعربت هنا موصولة والعائد محذوف وهو لا يتاتى الا على قول من يجوز اطلاقها على احاد من يعلم كما قاله المغني في قولك ما احسن ما كان زيدا او يصم بضم الياء وسكون الصاد المهملة من اصمى الصيد اي قتله في مكانه الذي رماه فيه ومنه الحديث كل ما اصميت ودع ما انميت اي كل ما قتله سهمك بحضرتك ودع ما غاب عن عينك فوجدته ميتا وان لم يكن فيه الا اثر سهمك او يصم بفتح الياء وكسر الصاد من وصمه مثل الفا اذا الحق به وصمة وهي العيب والعار قال المعري واصل الوصم ان يكون في العود عقدة خفية او شق يسير ثم استعير للعيب واصل يصم يوصم حذفت الواو لوقوعها بين ياء وكسرة وفاعلهما ضمير راجع الى الهوى ومفعولهما ما والفعلان في محل جزم على انهما جواب الشرط واو لتفصيل لاحد الشيئين وجملة ما تولى وما بعدها في محل رفع خبر ان وجملة ان واسمها وخبرها بما تضمنته استينافية لا محل لها ولما كانت النفس في اغلب احوالها منقادة لهواها وهو سبب هلاكها وبلاها فان الهوى غالب الهوان ومادة البلا وسبب الطغيان • اجمع على ذمه العارفون • واتفق على قبحه العالمون العاملون • ووردت بذمه الايات القرانية • والسنة النبوية المحمدية • قال تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وقال تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا وقال تعالى ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد ومدح سبحانه من خالف هواه بقوله واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى وكل دليل دل على مدح المتقين فهو دليل على مخالفة الهوى والعمل على رضى المولى امر الناظم رحمه الله بصرف هواها واتى بموكدات تقتضي التنفير عن الهوى واجتنابه اما اولا فانه امر بصرفه حيث قال فاصرف هواها المقتضي لصرفه عن الخاطر عند خطوره فضلا عن ميله اليه واقباله عليه قبل الوقوع فيه واكد التنفير منه باضافته الى النفس لانها الامارة بمخالفتها لسوءها ومخالفتها فما كان مضافا اليها مشتهى لها يجب تركه بالاولى ثم اكد ذلك الامر بقوله وحاذر ان توليه للاشارة الى ان النفس لما كانت عدوة بمقتضى اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك والعدو يتعين اخذ الحذر منه ولا سيما العدو الكامن بين لحمك ودمك المخادع الذي يتصور لك بصورة المحب المشفق وهو العدو الازرق قال تعالى يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم وقد جاء في الخبر صفة قوم يدخلون الجنة افئدتهم افئدة الطير فقيل بمعنى فراغها من هم الرزق والتدبير في ادخاره وتحصيله وقيل بمعنى الحذر والخوف اذ الطيور لا تزال خائفة مترقبة من يصيدها فلا تزال محدقة ببصرها متلفتة يمنة ويسرة خوفا من قانص يقنصها فكذلك يجب على العاقل ان لا يزال حذرا خائفا من نفسه ان توقعه في المهالك لا سيما ودسائسها كثيرة ولها دسائس في الطاعات ودسائس في المعاصي والخوف من دسائس الطاعات اشد من الخوف من دسائس المعاصي اذ خطها في المعصية ظاهر جلي وحظها في الطاعات باطن خفي وما خفي صعب علاجه وسنتكلم على ذلك ان شاء الله تعالى فيما بعد ثم اكد ذلك بعد تحذيرا من اتباع الهوى بقوله ان الهوى ما تولى يصم او يصم قال صاحب تمليك الخواص ومتى تمكن العبد نظر

بالعقل وسلم من الهوى بانت له الامور على حقايقها ولكن ذلك عزيز لغلبة الاهوا على الانفس والتباسها عليها
فالتخلص من الهوى عسر جدا ولكن قد لا يحس الانسان به لخفايه وغموضه ولا يتمكن من فهم ذلك من نفسه الا
الابطال اصحاب العقول الراجحة لان الاهوا اعداء الانفس والانفس متشبثة بها فيعسر خلاصها فجانب
الهوى ونزه نفسك عنه فانه يشينك في دينك ومروتك وهو كما قيل فيه

اذا انت تابعت الهوى قادك الهوى • الى كل ما فيه عليك مقال

واذا نظرت في الاشياء وميزتها وجدت الهوى اصل كل بلية وفتنة على اختلاف احوالها لانه مصدر الاباطيل
ومنشاء الاضاليل وله حالة شبيهة بالسكر تعترى الانسان فتمنعه من التمييز لما قد غلب على عقله من نشوة الهوى
فليتنبه له الفطن ليحسم مادته بمجاهدة ومخالفة انتهى وقال القاضي الماوردي في كتاب ادب الدين والدنيا
فاما الهوى فهو عن الخير صاد وللعقل مضاد لانه ينتج من الاخلاق قبايحها ويظهر من الافعال فضايحها
ويجعل ستر المروة مهتوكا ومدخل الشر مسلوكا قال عبد الله بن عباس رضى الله عنه اخاف عليكم اثنين الهوى
وطول الامل فان اتباع الهوى يصد عن الحق وطول الامل ينسى الاخرة وقال الشعبى انما سمى الهوى هوى
لانه يهوى بصاحبه وقال اعرابى هوان اخذه شاعر فقال

ان الهوى ان هو الهوى قلب اسمه • فاذا هويت فقد لقيت هوانا

وفي منثور الحكم من اطاع هواه اعطى عدوه مناه وقال بعض الحكما العقل صديق مقطوع والهوى عدو متبوع
وقال بعض البلغا افضل الناس من عصى هواه وافضل منه من رفض دنياه وقال هشام بن عبد الملك بن مروان

اذا انت لم تعص الهوى قادك الهوى • الى كل ما فيه عليك مقال

قال ابن المعتز لم يقل هشام بن عبد الملك سوى هذا البيت وقال الشاعر

اذا ما رايت المرء يقتاده الهوى • فقد ثكلته عند ذاك ثواكله

وقد اشمت الاعداء جهلا بنفسه • وقد وجدت فيه مقالا عواذله

وما يردع النفس اللجوح عن الهوى • من الناس الا حازم الراى كامله

فلما كان الهوى غالبا والى سبيل المهالك موردا جعل العقل عليه رقيبا مجاهدا يلاحظ عثرة غفلته ويدفع سطوة بادرته
ويوضح خداع حيلته لان سلطان الهوى قوى ومدخل مكره خفى ومن هذين الوجهين يؤتى العاقل حتى تنفذ
احكام الهوى عليه اعنى باحد الوجهين قوة سلطانه وبالاخر خفاء مكره فاما الوجه الاول فهو ان يقوى سلطان
الهوى بكثرة دواعيه حتى تستولى عليه مغالبة الشهوات فيكل العقل عن دفعها ويضعف عن منعها مع وضوح قبحها
في العقل المقهور بها وهذا يكون في الاحداث اكثر وعلى الشباب اغلب لقوة شهواتهم وكثرة الهوى المتسلط عليهم وانهم
ربما جعلوا الشباب عذرا لهم كما قال محمد بن بشير

كل يرى ان الشباب له • في كل مبلغ لذة عذر

وكذلك قال بعض الحكما الهوى ملك غشوم • ومتسلط ظلوم • وقال بعض الادبا الهوى عسوف • والعدل مالوف وقال بعض الشعرا

يا عاقلا اردى الهوى عقله • ما لك قد سدت عليك الامور

اتجعل العقل اسير الهوى • وانما العقل عليك امير

وحسم ذلك ان يستعين بالعقل على النفس المتصورة فيشعرها ما في عواقب الهوى من شدة الضرر وقبح الاثر وكثرة
الاجرام وتراكم الاثام فقد قال النبى صلعم حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات فاخبر ان الطريق الى الجنة
احتمال المكاره والطريق الى النار اتباع الشهوات وقد قال على بن ابى طالب رضه اياكم وتحكيم الشهوات على انفسكم
فان عاجلها ذميم واجلها وخيم فان لم يرها تنقاد بالتحذير والارهاب سوفها بالتاميل والارغاب
فان الرغبة والرهبة اذا اجتمعا في النفس ذلت لهما وانقادت وقد قال ابن السماك كن لهواك مسوفا ولعقلك
مسعفا وانظر ما تسوء عاقبته فوطن نفسك على مجانبته فان ترك النفس وما تهوى داؤها وترك ما تهوى دواها فاصبر
على الدوا كما تخاف من الدا وقال الشاعر صبرت على الايام حتى تولت • والزمت نفسى صبرها فاستمرت

وما النفس الا حيث يجعلها الفتى • فان طمعت تاقت والا تسلت

فاذا انقادت النفس للعقل بما قد اشعرت من عواقب الهوى لم يلبث الهوى ان يصير بالعقل مزجورا وبالنفس مقهورا
ثم له الحظ الاوفى في ثواب الخالق وثناء المخلوقين قال تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة
هى الماوى وقال الحسن افضل الجهاد جهاد الهوى وقال بعض الحكما اعز العز الامتناع من ملك الهوى وقال بعض
البلغا خير الناس من اخرج الشهوة من قلبه وعصى هواه في طاعة ربه وقال بعض الادبا من امات شهوته احيى مروته
وقال بعض العلماء ركب الله الملايكة من عقل بلا شهوة وركب البهايم من شهوة بلا عقل وركب ابن ادم من كليهما
فمن غلب عقله على شهوته فهو خير من الملايكة ومن غلبت شهوته على عقله فهو شر من البهايم وقيل لبعض الحكما
من اشجع الناس واحراهم بالظفر في مجاهدته قال من جاهد الهوى طاعة لربه واحترس الناس من ورود خاطر الهوى على قلبه
وقال بعض الشعرا قد يدرك الحازم ذو الراى المنا • بطاعة الحزم وعصيان الهوى

واما الوجه الثانى فهو ان يخفى الهوى مكره حتى تموه افعاله على العقل فيصير القبيح حسنا والضرر نفعا وهذا يدعو اليه احد
شيئين اما ان يكون للنفس ميل الى ذلك الشىء فيخفى عنها القبيح بحسن ظنها وتتصوره حسنا لشدة ميلها
ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم حبك الشىء يعمى ويصم اى يعمى عن الرشد ويصم عن الموعظة وقال صلعم الهوى
عمى قال الشاعر حسن في كل عين من تود وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن ابى طالب رضى الله عنه

ولست براى عيب ذى الود كله • ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا

فعين الرضا عن كل عيب كليلة • ولكن عين السخط تبدى المساويا

واما السبب الثانى وهو استثقال الفكر في تمييز ما اشتبه وطلب الراحة في اتباع ما استسهل حتى يظن ان ذلك اوفق امريه
واحمد حاليه فان الا سهل محمود والا عسر مذموم فلن يعدم ان يتورط بخدع الهوى وزينة المكر في كل مخوف
حذر ومكروه عسر ولذلك قال عامر بن الظرب الهوى يقظان والعقل راقد فمن ثم غلب وقال سلمان بن وهب الهوى
امنع والراى انفع وقيل في المثل العقل وزير ناصح والهوى وكيل فاضح وقال الشاعر

اذا المرء اعطى نفسه كلما اشتهت • ولم ينهها تاقت الى كل باطل

وساقت اليه الاثم والعار بالذى • دعته اليه من حلاوة عاجل

وحسم السبب الا وان يجعل فكر قلبه حكما على نظر عينه فان العين رايد الشهوة والشهوة من دواعي الهوى والقلب
رايد الحق والحق من دواعي العقل وقال بعض الحكما نظر الجاهل بعينه ونظر العاقل بقلبه وخاطره ثم يتهم نفسه في صواب
ما احبته وتحسين ما اشتهته ليصح له الصواب ويستبين له الحق فان الحق انقل محمله واصعب مركبا فان اشكل عليه امران
اجتنب احبهما اليه وترك اسهلهما عليه فان النفس عن الحق انفر وللهوى اثر وقد قال العباس بن عبد المطلب اذا اشتبه
عليك امران فدع احبهما اليك وخذ اثقلهما عليك وعلة هذا القول هو ان التثقيل تبطي النفس عن التسرع
اليه بصح مع الابطاء وتطاول الزمن صواب ما استعجم وظهور ما استبهم وقد قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه
من تفكر ابصر والمحبوب اسهل شي تسرع النفس اليه وتعجل بالاقدام عليه فيقصر الزمان عن تصفحه ويفوت
استدراكه بتقصير فعله فلا ينفع التصفح بعد العمل ولا الاستبانة بعد الفوت وقد قال بعض الحكما ما كان عندك
معرضا فلا تكن متعرضا وقال الشاعر اليس طلاب ما قد فات جهلا • وذكر المرء ما لا يستطيع
ولقد وصف بعض البلغا حال الهوى وما يقارنه من محن الدنيا فقال الهوى مطية الفتنة والدنيا دار المحنة فانزل
عن الهوى تسلم واعرض عن الدنيا تغنم ولا يغرنك هواك بطلب الملاهي ولا تفتنك دنياك بحسن العواري
فمدة اللهو تنقطع وعارية الدهر ترتجع ويبقى عليك ما ترتكبه من المحارم وتكتسبه من المآثم وقال علي بن عبد الله الجعفري
سمعتني امراة بالطواف وانا انشد اهوى هوى الدين واللذات تعجبني • فكيف لي بهوى اللذات والدين
فقالت هما ضرتان فذر ايهما شئت وخذ الاخرى فاما فرق ما بين الهوى والشهوة مع اجتماعهما في العلة والمعلول
واتفاقهما في الدال والمدلول فهو ان الهوى مختص بالاراء والاعتقادات والشهوة تختص بنيل اللذة فصارت الشهوة
من نتايج الهوى وهي اخص والهوى اصل وهو اعم ونحن نسال الله تعالى ان يكفينا دواعي الهوى ويصرف عنا سبيل
الردى ويجعل التوفيق لنا قائدا والعقل لنا مرشدا انتهى كلام الماوردي وفيه الشفاء من داء الهوى فلذلك اوردته
بجملته وقال البقال البغدادي في تسليك الخواص فصل اعلم ايها الاخ رزقنا الله واياك الفهم بمنه ان الله سبحانه
وتعالى خلق هذا الانسان بحكمته المتقنة فجعل له قلبا وعقلا ونفسا وهوى ابتلاه بذلك ابتلاء ليثبت له الاعمال
بعد المجاهدة والنصب قال تعالى لقد خلقنا الانسان في كبد اي يكابد الشدائد ثم جعل تعالى هذه القواعد الاربع مناط
افعاله كلها ثم تنقسم هذه الاربع قسمين بينهما مضادة واختلاف فصارا كعسكرين متقابلين متى قوي احدهما
ضعف سلطان الاخر فاثنان من القسمين هما حزب الله وهما القلب والعقل واثنان هما حزب الشيطان وهما النفس
والهوى فالعقل مع القلب والهوى مع النفس الى ان قال فاذا اراد الله سبحانه وتعالى بالعبد خيرا نظر اليه نظر رحمة
فيستنير ويكتسي البهجة ويحيى قلبه وينطلق عقله من اسر الهوى فيتمكن العبد اذ ذاك من التمييز وينجلي عن قلبه الريب
واذا اعرض الله سبحانه وتعالى عن العبد غشيه ظلمة يعرفها منه الشيطان فيدخل عليه من طريق الهوى واعلم ان للقلب
حياة وموتا فعلامة حياته اشراق نور العقل فيه فينشرح الصدر اذ ذاك فتخمد النفس وتنقمع وتنكسر سورتها
لبطلان التقاوم الهوى لانه اذا قويت العقول تلاشت الاهوا فيرى العبد اذا كان قلبه حيا محببا الى الناس عليه الانس
ساكن البال صالح الافعال وقوامه بيا انوار الحق عليه لا يحة ترتاح النفوس برؤيته لما عليه من انوار الحق ذلك فضل الله
يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وترى العبد اذا كان ميت القلب كاسف البال سيئ الافعال مضطرب الاحوال

وحشة ومقت منقادا لزمام الهوى قد اعماه هواه ان يرى معايب نفسه فاذ ذاك يتحير العقل ويضطرب بمنزلة
انسان قد خرب بيته لان القلب مسكن العقل فهو يستوحش بخراب مسكنه وقال في موضع اخر فقد جعل الله تعالى
افراط الامور للنفوس وجعل الامور المعتدلة للقلوب فاذا رايت الاخلاق والعلوم والعبادات بسكون وطمانينة
فاعلم انها صادرة عن القلوب واذا رايتها مزلزلة ورايت صاحبها ذا طيش ورعونة فاعلم انها صادرة عن النفوس
واصحابها اصحاب هوى اذ هذا كان ذلك او علما او اي شي كان لان الاهوا تفسد العقول وتزلزلها فشان الهوى
الافساد اين حل فان تعلق بالعقول خبطها وازعجها وان خالط الاديان دنسها ووحشها فترى الانسان
يكون حسن التدين جيد السلوك حتى يخالط تدينه شي من الهوى فتراه اذ ذاك مختبط الامر سيئ الحال
ممقوتا بين الناس لان شان الباطل اذا خالط الحق ان يفسده فاذا كان الهوى يفسد العقول والاديان فما ظنك
اذا تعلق بابناء الدنيا كيف يكون حالهم فترى صاحب الهوى كالاعمى لا يهتدي لطريق بل يعمه هواه عن طلب
شي له حقيقة ولا يفكر في عاقبة امر ما ولا بل دابه وعبادته مثارة الناس واكثار الخصومات وتضييع عمره في الهوى
والمفاضلة بين الائمة واما ارباب العقول فانهم مشغولون بانفسهم يحكمون اعمالهم بالنيات الصالحة ويغتنمون
اوقاتهم اغتناما ما يجتهدون فيما يقدرون عليه ويتاسفون على ما لا يقدرون عليه ثم قال رحمه الله تعالى
فصل الهوى وان كان مذموما ولكنه حكمة من حكم الرب سبحانه في خليقته لانه قوة الانفس ولولاه ما احتملت
الانفس هذه الكلف الشاقة والاثقال المتعبة التي قد بليت بها لان النفس اذا اعتراها الكلال والملال وكانت تحنح
بصاحبها حدثت بشي من الهوى ولهذا المعنى ينبغي للعاقل ان يروح نفسه بشي من هذه الملاذ المباحة لانه لا يكثر
من ذلك ولا يفرط فيه الا ترى الى قول الشاعر

اقد طبعك المكدود بالجد راحة • يجم وعلله بشي من المزح
ولكن اذا اعطيته المزح فليكن • بقدر ما تعطى الطعام من الملح

وقد تقدم لنا من القول ان الامور المقتصد فيها بما يقتضيها العقل اذا افرط فيها عادت اهوا فكذا الهوى اليسير منه
لا باس به واذا افرط الانسان فيه صار فاسدا مذموما وذكر امثلة ثم قال فالهوى معنى عجيب وسر من اسرار هذه الخليقة
فلولاه عدمت مصالح كثيرة من منافع الناس وبقيت التجار عن كثير من الاسفار والمساعي ولتعطل على الناس كثير
من معائشهم وتبايعهم فقد جعل الله تعالى بحكمته المتقنة الهوى سببا لتواصل العالم في معائشهم وارزاقهم ولتقوى نفوسهم
على متاعب الدنيا فتحملهم على اقتحام الاخطار وركوب البحار ولولا ما تستروح اليه هولاء المساكين اهل الكد
والتعب بما ينفس عنهم الاهوا لاضرت بهم الهموم والغموم فاهل الدنيا المساكين يفرحون بالاماني المتبعدة
ويرتاحون الى الاهوال المتوهمة وتنشط نفوسهم بما يؤملونه من جمع الاموال تفاخرا ومباهاة ولو قنع هذا
الفريق من الناس باخذ الضرورة لتعطلت مصالح الناس ولتعذر ايصال الامتعة الى الاقاليم البعيدة فهذه حكمة
الهوى فافهم فاصحاب الحق لم يخلقوا لهذا المعنى فشانهم غير شان هولاء المساكين المستعبدين باهوائهم
الذين قد سخروا للمصالح الغير وهم لا يشعرون فترى الاشيا اذا خلت من الهوى فاسدة خامدة مزهودا
فيها كانت ما كانت دنيوية كانت او غير ذلك لان النفوس هي التي تقيم الاشيا وتربيها والنفوس تحتاج الى الغذ

وغذاؤها الهوى فاذا فقدت النفوس غذاءها كانت بمنزلة الدابة اذا فقدت العلف فكيف تقدر على حمل الاثقال
وكذا الاسفار فافهم هذا السر فترى اهل ضعف العزائم متى عدموا الهوى تبرموا وضاقوا بالاشياء ذرعا واعتدتهم
كآبة بخلاف احوال العارفين ذوى البصائر فان ما عندهم من حسن اليقين يقوى انفسهم على احتمال المجاهدات
والمشاق فيكون ذلك لانفسهم بمنزلة الهوى لاهل ضعف العزائم وقلة التميز فافهم فالهوى حلو مستعذب
الا ان عاقبته ردية كالحلوى المسمومة طعمها طيب الا ان عاقبتها التلف نسأل الله تعالى ان يلطف بنا ويهدينا
سبلنا وان يدفع عنا شرور انفسنا وسيات اعمالنا وفي البيت التكرير في هواها والهوى وجناس الاشتقاق
في قوله تولبه وتولى وجناس التحريق بين يصم ويصم والمقابلة بين مرف الهوى وتوليه والله اعلم

وراعها وهي في الاعمال سائمة وان هي استحلت المرعى فلا تسم

شروع في التحلية بعد التخلية اذ المناسب لمن اراد ان يتشرف بحلول ملك في بيته وكان من عبيد ذلك الملك خصوصا اذا كان
ذلك الملك منعما على هذا العبد وكان العبد مترقبا رفعة منزلته عند الملك وافاضة النعم عليه فالاليق بحال هذا
العبد اولا ان يستعد في تنظيف بيته وازالة جميع ما فيه من الامور المستقذرة الكريهة وازالة الاغيار وجميع ما يكرهه
ذلك الملك ولا يليق به ثم بعد ذلك يشرع في فرشه وتزيينه بحسب ما يليق بذلك الملك وان يعد فيه ما يناسب ذلك
الملك من انواع الروايح والازهار ثم اذا استكمل ذلك المجلس مع مراقبته اطلاع الملك على كل احواله واحوال منزله
سأل فضل ذلك الملك ان يشرفه مع امتثال اوامره واجتناب نواهيه مظهرا اثر انعامه عليه شاكرا افضاله المرسلة اليه مستعدا
لخدمته على الوجه الاكمل معترفا انه وبيته وما عليه ولديه من نعم ذلك الملك مغيبا نفسه غير ناظر لها مقاما ولا مقالا وانما
الفضل للملك حيث حباه بذلك الاكرام واعطاه ذلك الانعام فاذا رأى ذلك الملك من عبده هذا حسن خدمته والقيام
بواجب طاعته خلع عليه خلع الافضال ونقله في مراتب الكمال وشرفه بفضله وحباه وقربه من حماه وحماه كذلك
حال العبد ينبغي له اولا ان ينظف قلبه من غبار الاغيار وان يجلو مرآة بصيرته من صدا الاكدار وان يطهر ظاهره وباطنه
من ادناس الذنوب وان يفرغ عيبة اسراره من عيون العيوب وان يطمئن قلبه بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب
ثم يشرع بعد ذلك في انواع العبادات واصناف الطاعات والمجاهدات متجافيا عن طريق الريا والكبر والعجب متجانبا دونية
اعماله ولما كانت الاعمال قد لا تصفو عن شوب الشوائب وقد لا تخلص لعدم الاخلاص فيها وربما كان للنفس حظ في فعلها
لامر ما من الامور اشار رحمه الله في هذا البيت الى مراعات اعمالها لتتميز تلك الاعمال فقال وراعها فعل امر من المراعات
وهي الملاحظة للنظر في الاعمال او من مراعات الحقوق للنظر في واجباتها وما ينبغي لها على الوجه الاكمل ومنها سمي الوالي
راعيا والعامة الرعية لانه يلاحظهم في اعمالهم لتكون على وفق السداد ويراعيهم فيما يجب لهم من الحقوق
وجملة الامر معطوفة على جملة الامر في البيت قبلها وجملة وهي في الاعمال سائمة من المبتداء والخبر ومتعلقه
في موضع نصب على الحال والرابط الواو والضمير والمراد بالاعمال الاعمال الصالحات المندوبات فان السائبات لعدم نفعها
كانها ليست باعمال او لعدم نظر العارف اليها اذ هي ليست من قصده وسائمة اي راعية تقول سامت الماشية رعت
وبابه قال فهي سائمة وجمع السائم والسائمة سوائم واسامها صاحبها اخرجها الى المرعى قال تعالى فيه تسيمون
وقال الزمخشري ماخوذ من السومة وهي العلامة لانها تؤثر في المرعى باكلها علامة وسائمة مؤنث سائم اسم فاعل

من الاجوف الواوى الثلاثي المجرد وقاعدة هذا الباب في اسم فاعله واويا كان او يائيا ان يعتل بالهمزة ان اعتل فعله فصائن
وبائع اصلهما صاون وبايع فارادوا اعتلالهما لاعتلال فعلهما ولم يمكن حذف الواو والياء لانه يزيل صيغة اسم الفاعل
ويصير الى لفظ فعلهما الماضي حال الوقف فقلبوهما الفا لتحركهما وانفتاح ما قبلهما لكون الالف حاجزا غير حصين
او لان الالف بمنزلة الفتحة لزيادتها عليهما وكونها من جوهرها او مخرجها فالتقى الفان فكرهوا حذف احديهما
وكذا تحريك الاولى لما مر فحركوا الاخيرة بقلبها همزة لقربها منها ويجوز تخفيفها بجعلها بينها وبين الياء ونص
ابو علي الفارسي على ان النقط خطا فاحش وحكي انه دخل على واحد من المتسمين بالعلم فاذا بين يديه جزء مكتوب
فيه مايل بنقطتين من تحت فقال ابو علي هذا خط من فقال خطي فالتفت الى صاحبه كالمغضب وقال قد اضعنا
خطواتنا في زيارة مثله وخرج من ساعته ولذلك طعن الفضلاء على الحريري في رسالة الرقطا حيث قال نايل
يديه فاض وانما قلنا ان اعتل فعله لانه ان لم يعتل فعله لم تنقلب واوه همزة كما في عاور فان فعله عور
بمعنى اعوار وهو غير معتل فلا يعتل اسم فاعله واقول لحكم الجمع كذلك كالتوائم واللوائم والفوائد والمكائد
وان الواو للعطف قال الزركشي ولو جاء بالفا فكانها كان اولى انتهى وفيه نظر فليتأمل وان حرف شرط وهي
فاعل بفعل محذوف وجوبا يفسره ما بعده كما في قوله تعالى وان احد من المشركين استجارك وانما كان الحذف واجبا
مع وجود المفسر لان الغرض من الاتيان بهذا الظاهر تفسير المقدر فلو ظهر لم تحتج الى المفسر ولان الابهام المحوج
الى التفسير انما كان لاجل التقدير ومع الاظهار لا ابهام والغرض من الابهام ثم التفسير احداث وقع في النفوس
لذلك المبهم لان النفوس تتشوق اذا سمعت المبهم الى العلم بالمقصود منه وايضا في ذكر الشيء مرتين
مبهما ثم مفسرا توكيد ليس في ذكره مرة وانما لم يحكم بكون احد مبتدا واستجارك خبره لعلمهم بالاستقراء
باختصاص حرف الشرط بالفعلية على انه نسب الى الاخفش جواز وقوع الاسمية بعدها بشرط كون الخبر
فعلا وهنا الناء على مذهبه اذ من قبيل ما نحن فيه واستحلت من حلى يحلا وحلي يحلو حلاوة ضد المرورة يقال حلي فلان
بعيني وفي عيني وبصدري وفي صدري بالكسر حلاوة اذا اعجبك وكذا حلا بعيني وفي عيني يحلو حلاوة
وقال الاصمعي حلي في عيني بالكسر وحلا في فمي بالفتح وهو هنا يحتمل البابين وصيغة الاستفعال للطلب مع المبالغة
والمرعى الرعي والموضع والمصدر والمراد به هنا النبات على الاستعارة او المجاز تسمية للحال باسم المحل وقوله فلا تسم
بضم التاء وكسر السين من اسام الرجل طلب كلاء الوسمي وهو مطر الربيع الاول لانه يسم الارض بالنبات نسب الى الوسم
وقال الزركشي اشتقاقه من السوم بالضم وهي العلامة لان الماشية تؤثر بالمرعى علامات في الارض انتهى ولا تسم مجزوم
بلا الناهية وكسرت الميم للروي وجملة لا تسم جواب الشرط وجملة الشرط بشرطها انشائية معطوفة على مثلها لان جوابه
الشرط وانشائيتها تابعة للخبر ان خبرا فخبر وان انشاء فانشاء ومعناه نقلها منه الى غيره وعدم ابقائها
سائمة فيه ولذلك اسباب منها ان النفس اذا تعودت شيئا الفته وسهل عليها وارتاحت الى فعله فيكون لها في فعله
حظ فينقلب من العبادات الى العادات والمقصود الاصلي هو فعل الاشق عليها الباعث على قمعها وقهرها كيدا تقوى
فاذا استحلت عملا من الاعمال الصالحة والفته نقلها منه الى ما هو اشق منه عليها ومنها انها ان بقيت في ذلك العمل
ربما تعجب به فيداخلها العجب فيحملها ذلك على الرياء فتستحلي فعله مع هذا المعنى المقترن به فانقلها منه الى ما هو

اشق عليها ومنها ان مطمح نظر السالك انما هو قطع المسافات والترقي في مراقي المنازلات فلا نقف عند عمل بل تستقبل
منه الى ما هو اعلى وافضل ولذلك قيل من استوى يوماه فهو الخاسر وقيل ان معنى البيت انه اذا اشكل عليك عمل واردت
ان تعلم عاقبته فانظر فان وجدت نفسك قد استحلته واستلذته فاتركه فانها لا تستحلي الا ما فيه هلاكها وان كرهته
واستثقلته فاكرهها على عمله فانها لا تنفر الا عما فيه نفعها الاخروي فان من طبعها ان تلتبس على صاحبها
فتزين القبيح حسنا والحسن قبيحا ويدل على هذا المعنى الظاهر ظاهر البيت الذي بعده وهذا المعنى مأخوذ من قول
بعض السلف ما تحيرت بين امرين الا اخترت الذي كرهته نفسي لعلمي انها لا تختار الا المضرة واصله قوله عليه الصلوة
والسلام حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات قال ابو حفص من لم يتهم نفسه على دوام الاوقات ولم يخالفها
في جميع الاحوال ولم يجرها الى مكروهها في سائر ايامه كان مغرورا ومن نظر اليها باستحسان شيء منها فقد اهلكها
والذي يظهر لهذا العبد الفقير في معنى البيت الامر براعاتها في اعمالها بان يؤديها التوديها على الوجه الاكمل
من واجبات العمل وسننه وشرائطه وادابه حسب ما هو المطلوب فاذا اوقعت ذلك العمل على الوجه الاكمل والاسلوب الاجمل
واستحلته بالالتفات الى ثوابه واسناد صدوره عنها وتحليها به فلا تسمها اي فازجرها عن ذلك ولا تسمها بذلك العمل
ولا بملاحظته بل تسمها اياه واجعلها كانها لم تعمله اصلا واقطع ملاحظتها عن طلب ثوابه بل يكون قصدها
الاصلي ومطمح نظرها انما هو القيام بواجب ما عليها فان رؤية استحسان افعالها يجر الى الوقوع في العجب
واضافة الفعل لغير الفاعل ونسيان المنة لله تعالى عليها بما هي فيه واقبح من ذلك طلب الثواب من الله تعالى
على افعالها مع ان ما هي فيه من جملة فضل الله تعالى عليها وافعاله الجارية المقارنة لاقدارها عليه فيجتمع معه شران
رؤية النفس واضافة الافعال اليها والوقوع في العجب المحرم بسبب ذلك مع نسيان المنة ثم تطلب الجزاء على ما لم تفعله
من الخيرات بل ما وقع منه من المحرمات قال الامام الغزالي فاذا كان الكلام فينبغي ان يعجبك جوده وفضله
لا نفسك واما ان كانت تلك الصفة من غيره فلا يبعد ان يعجب بتلك الصفة وهذا يتصور في حق الملك
ولا يتصور في حق الجبار ملك الملوك المنفرد باختراع الجميع المنفرد بايجاد الموصوف والصفة فانك ان اعجبت بعبادتك
وقلت وفقني للعبادة لحبي له فيقال ومن خلق الحب في قلبك فتقول هو فيقال فالحب والعبادة كلاهما نعمتان من عنده
ابتداك بهما من غير استحقاق من جهتك اذ لا وسيلة لك ولا علاقة فيكون الاعجاب بجوده اذ انعم بوجودك
وبوجود صفاتك وبوجود اعمالك واسبابها فاذا لا معنى لعجب العابد بعبادته وعجب العالم بعلمه وعجب
الجميل بجماله وعجب الغني بغناه لان كل ذلك من فضل الله وانما هو محل لفيضان فضل الله وجوده والمحل ايضا
من جوده وفضله الى اخر ما ذكر رحمه الله وفي البيت جناس الاشتقاق بين سائمة وتسم وراعها والمرعى ثم اخذ
ورد العجز على الصدر فيهما ولذا هريات براعية مكان سائمة ومراعات النظير بين سائمة والمرعى ثم اشار
الحيان ما افاده الشطر الثاني من البيت باثبات ما هو كالدليل عليه فقال

كم حسنت لذة للمرء قاتلة … من حيث لم يدر ان السم في الدسم

كم هنا خبرية بمعنى كثيرا منصوبة المحل اما على المصدرية او على الظرفية على حسب ما يقدر مميزها اي كم
من تحسين او كم من وقت وحذف مميزها هنا والمشهور انه جائز الحذف وهو مخصوص وجوبا خلافا

للفراء والزجاج وابن السراج وهذا الوجه احد الوجوه الخمسة التي تفارق فيها الخبرية للاستفهامية كما انهما
يشتركان في خمسة وجوه كما نص على ذلك ابن هشام في المغني الثاني من وجوه الافتراق ان الكلام مع الخبرية
محتمل للتصديق والتكذيب بخلافه مع الاستفهامية الثالث ان المتكلم بالخبرية لا يستدعي من مخاطبه جوابا
لانه مخبر والمتكلم بالاستفهامية يستدعيه لانه مستخبر الرابع ان الاسم المبدل من الخبرية لا يقترن بالهمزة
بخلاف المبدل من الاستفهامية يقال في الخبرية كم عبيد لي خمسون بل ستون وفي الاستفهامية كم مالك اعشرون
ام ثلاثون الخامس ان تمييز الخبرية مفرد او مجموع يقال كم عبد ملكت وكم عبيد ملكت قال الفرزدق

كم عمة لك يا جرير وخالة … فدعاء قد حلبت علي عشاري

وقد يجري تميم كم الخبرية مجرى الاستفهامية فينصبون مميزها وان كان جمعا وروي بيت جرير بالنصب
ويروى بالرفع على حذف المميز ورفع عمة بالابتداء وجعل نصبا على المصدر ولا يكون تمييز الاستفهامية
الا مفردا خلافا للكوفيين واما اوجه الاشتراك فالاسمية والابهام والافتقار الى التمييز والبناء ولزوم التصدر
وحسنت اي زينت وصيغة فعل اما للتعدية اي جعلته حسنا في الظاهر اي بصورة الحسن وان لم يكن واما للنسبة
اي نسبته الى الحسن كفسقته وفجرته وفاعله ضمير يعود الى النفس التابعة والتاء لتانيث الفاعل واللذة بالذال المعجمة
واحدة اللذات وتأتي كاللذاذة واللذاذ مصدر لذذته بالكسر الذه بالفتح تطلق تارة على ادراك الملائم واخرى
على الملتذ به وهما مرادان هنا والمرء الرجل يقال هذا مرء صالح وضم الميم لغة فيه وهما مرءان صالحان ولا يجمع
على لفظه وبعضهم يقول هذه مرأة صالحة ومرة ايضا بترك الهمزة وتحريك الراء بحركتها فان جئت بالف الوصل
كان فيه ثلاث لغات فتح الراء على كل حال حكاه الفراء وضمها على كل حال واعرابها على كل حال تقول هذا امرء ورأيت
امرءا ومررت بامرئ قيل معربا من مكانين وقيل على الاتباع ولا جمع له من لفظه وهذه امرأة مفتوحة الراء على كل حال
فان صغرت اسقطت الف الوصل فقلت مري ومرية والنسبة الى امري مرائي بفتح الراء وهو ما متعلق باسم الفاعل
بعده مفعول له واللام لتقوية العمل لضعفه من حيث فرعيته وتأخره عن معموله واما بحسنت واللام للتعدية ولا يضر فصله
بين الموصوف الذي هو لذة وصفته التي هي قاتلة لورود مثل ذلك في الظروف ولا يجوز جعله بدلا لان البدل لا يكون
الا جامدا ومن للابتداء متعلقة بمحذوف ويجوز ان تكون للتعليل والعامل فيها اما قاتلة او حسنت اي حال كون الفعل
والتحصيل حاصلا من حيث وحيث ظرف مكان اتفاقا قال الاخفش وقد ترد للزمان والغالب كونها في محل نصب
على الظرفية او خفضا بمن وقد تخفض بغيرها كقوله لدى حيث القت رحلها ام قشعم وقد تقع مفعولا كما حمل
عليه الفارسي قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته وناصبها يعلم محذوفا دل عليه اعلم لا باعلم نفسه لان افعل التفضيل
لا ينصب المفعول به فان اول بعالم جاز ان ينصبه وهي مبنية بتثليث المثلثة مع الياء على اللغة المشهورة ومع الواو
على لغة طي اما الضم فتشبيها بالغايات لانها لم تجئ الا مضافة الى جملة والاضافة الى الجملة كلا اضافة لان اثرها وهو الجر
لا يظهر واما الكسر فعلى اصل التقاء الساكنين واما الفتح فللتخفيف استثقالا للكسرة مع الياء كما قالوا في كيف
ومن العرب من يعربها وقراءة من قرأ من حيث لا يعلمون بالكسر يحتمل الاعراب والبناء ونقل في المغني عن ابي الفتح
ان من حيث اضاف الى المفرد اعربها وحيث تلزم الاضافة الى الجملة اسمية كانت او فعلية واضافتها الى الفعلية اكثر وندر

اضافتها الى المفرد كما ذلك مذكور في محله ولم يبدل جازم ومجزوم لفظا مجرور محلا باضافة حيث اليه والضمير المستتر
فيه فاعل يعود على المرء وان بفتح الهمزة لانها معمولة ليدر والسم اسمها وفي الاسم خبرها وهي مع معمولها مفعول
يدر والسم القاتل بفتح السين وضمها وحكي كسرها وهو نادر جدا ويجمع على سموم وسمام والاسم بفتحتين الودك
تقول منه وسم من باب طرب وهو هنا اما المصدر او الحاصل به وتقول شيء دسم بالكسر اي اصابه الدسم هذا واعلم
ان العدو اما مظاهر مجاهر واما مخادع مماذق فالاول قليل الضرر بالنسبة الى الثاني لان المجاهر بالعداوة لا يمكنه
ان يدخل عليك الضرر الا في بعض الاحيان لاخذك الحذر منه في غالب الاحوال واما الثاني فانه متصور لك
في صورة الصديق الصادق وهو العدو المماذق فيمزج لك السم في الدسم والشرور في السرور والقبح في النصح كما قال شاعر

واذا كشفت ضميره عن قلبه • وافيت فيه نقيع سم اسود

فانه يعد بالصفا وهو بالكدر ولتصوره بصورة الصديق لا تأخذ منه الحذر فاشتغاله داعا في المقدمات التي توقعك
في العنا والضرر ولا سيما اذا كان من الداخل لا يمكنك التحرز عنه في كل الاحوال وقد زين لك المقال وزخرف لك
الفعال والى هذا اشارة عليه الصلوة والسلام بقوله اعدى اعدائك نفسك التي بين جنبيك فاشار الناظم رحمه الله
الى مضمون ذلك بقوله كم حسنت لذة للمرء قاتلة البيت ولهم في المراد بهذه اللذة طريقان الاول تحسينها ملاذ الدنيا
والانهماك في شهواتها من غير توقف على حلال او حرام وارتكابا بطرق المعاصي والاثام والوقوع في الاغراض
وما اشبه ذلك مما يكون غرضا لها وباعثا على شهوتها فانها تحسنه وتزينه فاذا تبعث على ذلك وحذرت عاقبته
وما فيه من المهالك ردت ذلك بطول الامل وتسويف العمل وقالت ان الله كريم غفور رحيم الطريق الثاني تحسينها
الطاعات لاغراض خفية لها في ذلك فان النفس لها دسايس كثيرة وخبايا خفايا خطيرة ولها اغراض في المعاصي
واغراض في الطاعات والخوف من دسايس الطاعات اشد من دسايس المعاصي اذ حظها في المعصية ظاهر جلي
وحظها في الطاعات باطن خفي والخفي صعب العلاج بالنسبة الى الجلي ولذلك شبهها بالسم في الاسم قال بعضهم
استحلاء الذين الطاعات سموم قتالة وقال الشبلي ان في الطاعات من الافات ما يغنيكم ان تطلبوا المعاصي في غيرها
قال الامام الغزالي في منهاج العابدين ولقد بلغني عن رجل من بعض الصالحين يقال له احمد بن ارقم البلخي انه قال
نازعتني نفسي الخروج الى الغزو فقلت سبحان الله ان الله تعالى يقول ان النفس الامارة بالسوء وهذه تأمرني
بالخير لا يكون ذلك ابدا ولكنها استوحشت فتريد لقاء الناس لتستروح اليهم ويتسامع الناس بها فيستقبلونها
بالتعظيم والبر والاكرام فقلت لها لا انزل العمران ولا انزل على معرفة فاجابت فاساءت الظن بها وقلت الله عز
وجل اصدق فاجابت الى ذلك كله قال فقلت يا رب نبهني لها فاني متهم لها مصدق لك فكوشفت كانها تقول انت
يا احمد تقتلني كل يوم بمنعك اياي من شهواتي مرات ويخالفك ولا يشعر بك احد فان قاتلت قتلت مرة واحدة
فنجوت منك ويتسامع الناس فيقال استشهد احمد ويكون لي شرف وذكر قال فقعدت ولم اخرج الى الغزو في ذلك
العام قال حجة الاسلام فانظر الى خداع النفس وغرورها ترائي الناس بعد الموت بعمل لم يكن بعد لله تعالى بل

توق نفسك لا تأمن عواقبها • فالنفس اخبث من سبعين شيطانا

وذلك لان الانسان يتحفظ من الشيطان والنفس بجهده فلا تزال تجره وتنتهز منه فرصة في غفلة حتى توقعه

عن مراده

عن مراده وتأخذ بقياده الى مواطن اغراضها الفاسدة واهوائها الردية الا ان يلاحظ الله تعالى بالعناية الربانية ويحفظه
بالمعقبات الرحمانية فيستعين عند ذلك على قهرها وقمعها عما فيه شهوتها وقالوا ان النفس تبعث الانسان على عمل فيه تسعة وتسعون
بابا من الخير ولها فيه باب واحد من شهوتها وغرضها التوقعه تلك الباب نعوذ بالله من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا
وفي البيت الجناس المطرف بين السم والاسم وهو ما زاد احد ركنيه على الاخر بحرف في اوله كما ان الذيل ما زاد
على الاخر بحرف في الاخر وتسميته بالمطرف هو ما عليه القوم وهو احسن من تسميته بالناقص ومراعات النظير
بين السم وقاتله وبين لذة والدسم وحسن التعليل في قوله من حيث لم يدر والله اعلم

واخش الدسايس من جوع ومن شبع • فرب مخمصة شر من التخم

واخش عطفه بعض الشراح على وراعها وجعله الزركشي معطوفا على محذوف اي فاحذر اللذات واخش الدسايس
قال ولا يحسن عطفه على وراعها لانه يخرج بذلك عن كونه من امثلة ما تحسنه النفس تريد بذلك التلبس انتهى وفيه
من ارتكاب التقدير والاصل عدمه وايضا فان قوله كم حسنت لذة كالتعليل لقوله وان هي استحلت المرعى المتفرع
على قوله وراعها فيكون داخلا في حكم المراعاة في عطف واخش الدسايس والخشية ابلغ الخوف ومكره والدسايس
جمع دسيسة وهي المكروه الخفي الذي بولغ في اخفائه ومنه قيل للجاسوس دسيس القوم ويقال له دساس في هذا الاسم
اي مكايد خفية ومهالك كامنة ومن للابتداء او للبيان اي الدسايس الحاصل من جوع وشبع اما حالا او صفة
للدسايس والجوع والشبع متضادان تقول جاع يجوع جوعا والشبع بكسر الشين وفتح الباء الامتلاء من الطعام
وبتسكين الباء الشيء المشبع به وذلك بان لا يبالغ في كل منهما بل يسلك الطريق الوسطى بين الافراط والتفريط
وهذا مأخوذ من قوله تعالى وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ولذلك قال بعض الاطباء ان الله تعالى قد جمع الطب في نصف اية
واشار الى هذه الاية الشريفة ومن القواعد المقررة المتفرع عليها كثير من المسائل في كثير من العلوم والاداب الشيء
اذا تجاوز عن حده انعكس الى ضده وكل من الجوع والشبع اي الافراط والتفريط فيهما افات عديدة كثيرة ومضرات
كبيرة ولذلك جمع الدسايس في قوله واخش الدسايس وقد ارشد صلى الله عليه وسلم الى بيان ما يكفي من ذلك
بقوله صلى الله عليه وسلم ما ملأ ادمي وعاء شرا من بطنه حسب ابن ادم لقيمات يقمن صلبه فان كان لا بد فاعلا
فثلث لطعام وثلث لشرابه وثلث لنفسه وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن يأكل في معاء واحد والمنافق يأكل
في سبعة امعاء اي يأكل سبعة اضعاف المؤمن او تكون شهوته سبعة اضعاف شهوته فالمعى كناية عن الشهوة وقد
ذكر والشبع المفرط افات وللجوع المفرط افات فمن دسايس الجوع الحدة وسوء الخلق والذبول والكلال والملل
ونحو ذلك من الامور التي ذكروها ولا سيما الفتور عما طلب للمرء من العبادة والضعف عن القيام بوظائف
الطاعات ودسايس الشبع الكسل وغلبة الشهوة واظلام القلب قال الامام الغزالي في الاحياء والبطن على التحقيق
ينبوع الشهوات ومنبت الافات وبين ما يتبع شهوة من الشهوات فليراجع وذكر فضائل الجوع وذم الشبع
وذكر في الجوع عشر فوائد ثم ذكر الطريق في كسرة شهوة البطن ثم ذكر في الوظيفة الثامنة وقت الاكل ومقدار تأخيره
وذكر فيه ثلاث درجات الدرجات الثالثة وهي ادناها ان يقتصر في اليوم والليلة على اكلة واحدة وهذا هو الاقل
وما جاوز ذلك اسرافا ومداومة الشبع حتى لا تكون له حالة جوع وذلك فعل المترفين وهو بعيد من السنة روي

ابو سعيد الخدري انه صلى الله عليه وسلم كان اذا تغدى لم يتعش واذا تعشى لم يتغد وكان السلف ياكلون في كل يوم اكلة ثم قال ومن اقتصر في اليوم على اكلة واحدة يستحب ان ياكلها سحرا قبل طلوع الفجر فيكون اكله بعد التهجد وقبل الصبح ويحصل له جوع النهار للصيام وجوع الليل للقيام وخلو القلب لفراغ المعدة ورقة الفكر واجتماع الهم وسكون النفس الى المعلوم فلا ينازعه قبل وقته ثم اورد بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف احوال الناس وقال اعلم ان المطلوب الاقصى في جميع الاحوال والاخلاق الوسط اذ خير الامور اوساطها وكلا طرفي قصد الامور ذميم قال فاذا عرفت هذا فاعلم ان الافضل بالاضافة الى الطبع المعتدل ان ياكل بحيث لا يحس بثقل المعدة ولا يحس بالم الجوع بل ينسى بطنه ولا يؤثر فيه اصلا فان مقصود الاكل بقاء الحياة وقوة العبادة وثقل الطعام يمنع من العبادة والم الجوع ايضا يشغل القلب ويمنع منها فالمقصود ان ياكل اكلا لا يبقى للاكل فيه اثر ليكون متشبها بالملائكة فانهم مقدسون عن ثقل الطعام وعن الم الجوع فابعد الاحوال عن الطرفين الوسط وهو الاعتدال ومثال طلب الآدمي البعد عن هذه الاطراف المتقابلة بالرجوع الى الوسط مثال نملة القيت في وسط حلقة محمية على النار مطروحة على الارض فان النملة تهرب من حرارة الحلقة وهي محيطة بها لا تقدر على الخروج فلا تزال تهرب حتى تستقر على المركز الذي هو الوسط ولو ماتت ماتت على الوسط لان الوسط هو ابعد المواضع عن الحرارة التي في الحلقة المحيطة فكذلك الشهوات محيطة بالانسان احاطة تلك الحلقة بالنملة والملائكة خارجون عن الحلقة ولا مطمع للانسان في الخروج وهو يريد ان يتشبه بالملائكة في الخلاص فاشبه احواله بهم البعد وابعد المواضع عن الاطراف الوسط فصار الوسط مطلوبا في جميع هذه الاخلاق المتقابلة وعنه عبر قوله عليه السلام خير الامور اوساطها واليه الاشارة قوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا ثم مهما لم يحس الانسان بجوع ولا شبع تيسرت له العبادة والفكر وخف في نفسه وقوي على العمل مع خفته الى اخر ما ذكره رحمه الله ثم ان المصنف رحمه الله لما اشار الى اساس الجوع والشبع وكان الجوع في نفسه محمودا بالنسبة الى الشبع ولذلك كان شعار الصالحين ووردت فيه الاخبار والاثار اشار الى انه لا اساس بجنب ما يطرا بسببه من الضعف عن وظائف الطاعات فانه ربما تحصل العبادة مع الشبع ولا تحصل مع الجوع وربما اداه الجوع الشديد الى المرض المديد وربما كان سببا للنحافة والهزال وربما ادى ذلك الى الريا والعجب وغير ذلك من الافات الذي لا يترتب على الشبع قال بعاء النفع يع فرب وهي هنا للتقليل خلافا للزركشي في جعله اياها للتكثير هنا والمخمصة كالمعبة مصدر المجاعة والخميص الخالي البطن ومنه تغدو خماصا وتروح بطانا وتنوينها للتفخيم او للتقليل وهي في موضع رفع على الابتداء وشر خبره وقيل بالعكس ويروى بالجر صفة لمخمصة وهي اسم تفضيل ورب متعلقة بفعل محذوف مؤخر اي توجد او تحصل ومن التخم متعلق بشر اما جمع تخمة للمبالغة في شر المخمصة الواحدة على التخم الكثيرة او اكتفاء تخمة للمطابقة بينهما افرادا والتخمة فساد الطعام في المعدة اما لادخال بعضه على بعض قبل انهضام الاول والمبالغة في كثرة الاكل المؤدي ذلك الى امتلاء البطن وعدم قدرة المعدة على هضامه واصلها بالواو حذفت الواو وعوض عنها التاء في الاخيرة وفي الصحاح التخمة بالتحريك والعامة تسكنها وقد جاءت في الشعر ساكنة الخاء والجمع تخمات بفتح الخاء وتخم وكونها شرا من التخم باعتبار الافات الناشئة من الجوع المفرط فانه يضر بالقلب والروح والبدن واما التخمة فغالب ضررها

بالجسم

بالجسم ويقاس على التوسط في الافراط والتفريط بين الجوع والشبع سائر الاعمال من الطاعات كالصلوة والصوم وانواع العبادات ولذلك نهي عن صيام الدهر كله وقيام الليل كله لما يؤدي ذلك الى الضعف عن العبادات بقية الزمن ولما يداخل ذلك من الريا والعجب وغير ذلك كما هو مقرر عند اهل الطريق نسال الله التوفيق وفي البيت الطباق بين الجوع والشبع والمخمصة والتخم ومراعاة النظير

واستفرغ الدمع من عين قد امتلأت ... من المحارم والزم حمية الندم

السين في واستفرغ الدمع للطلب مع المبالغة في ذلك اي اطلب افراغه بكثرة البكا بحيث لم يبق بقية ما من عين لا يخفى وجه تنكيرها وتنوينها او انها لا تستحق التعريف ومن ابتدائية وافراد عين اما على ارادة الجنس او على ارادة التثنية قد امتلأت من المحارم متعلق بامتلأت والمحارم جمع محرم بمعنى حرام والجملة قيل في محل جر نعت لعين وقيل في محل نصب على الحال من الدمع وامتلاء العين من المحارم كناية عن كثرة المعاصي وارتكاب المناهي التي من جملتها بل عمدتها ما كان بسببه نظر العين الباعث على الفعل

كل الحوادث مبداها من النظر ... ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فتكت في قلب صاحبها ... فتك السهام بلا قوس ولا وتر
يسر مقلته ما ضر مهجته ... لا مرحبا بسرور جاء بالكدر

وقد اطنبنا الكلام على النظر واحكامه وافاته والتحذير منه في كتابنا شرح الكباير والصغاير فليراجع والزم بفتح الزاء فعل امر معطوف على استفرغ حمية بكسر الحاء المهملة مفعول له مصدر حميت المريض الطعام حمية وحموة بكسرها وهي منعته منه لما يتصل بالصحة والندم مضاف اليه حمية والاضافة اما بيانية او على تقدير من اي الحمية الحاصلة من الندم ولقد احسن الناظم في وصف العلاج له صلاح المزاج مما اعتراه من المرض الحاصل من الامتلاء فان علاجه بالاستفراغ اولا لتنقية المعدة مما حصل فيها مما لا قدرة لها على هضمه ولا يخفى لطف ذكر ذلك بعد التخم في البيت السابق والحمية ثانيا وهو منع تناول الغذاء لان المعدة ضعفت حرارتها عن هضم الطعام وبردت فلا قدرة لها على الهضم وفيه ارشاد لطيف كما انه يستعمل ذلك في الطب البدني فيستعمله في الطب الديني فذكر الاستفراغ والامتلاء والحمية على طريق الاستعارة كما لا يخفى والمراد بحمية الندم التوبة النصوح المستكملة للشرائط الشرعية التي تحميه عن عقاب المحارم وعتاب المآثم وذكر الندم لانه العمدة في تعريف التوبة وشروطها ولهم في تعاريفها حدود كثيرة ورسوم شهيرة حاصلها هو الندم على ما فات مع العزم على ان لا يعود وتخليص الذمة من سائر الحقوق فالندم هو الركن الاعظم الباعث على ذلك كله لانه ينشئ من الندم على ما فات ترك معاودته في الاستقبال وتخليص الذمة من سائر الحقوق فهو الركن الاعظم الواجب والتوبة واجبة على الفور على جميع الاشخاص في جميع الاحوال والايات والاحاديث في ذلك اكثر من ان تحصى وفي قول الماتن واستفرغ الدمع اي بالبكاء يدل على ان الندم اذا كان صادقا والتوبة نصوحا حصل عند ذلك البكاء على ما صدر منه من تلك المعصية التي ارتكبها ولهذا ترى السلف فيما مضى يبكون على ما صدر منهم حتى قال بعضهم لو لم يبك الانسان الا على ما ضاع من عمره النفيس بغير طاعات لكفاه رحم الله ابن المقري حيث قال

لقد ضاع عمر ساعة منه تشترى • بملء السماء والارض اية ضيعة

انظر الى ادم عليه السلام وبكائه على خطيئته بعد ما تاب الله عليه وبعد هبوطه من الجنة روى عن ابن عباس رضى الله عنهما
ان ادم وحوى بكيا على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتى سنة ولم ياكلا ولم يشربا اربعين يوما ولم يقرب ادم حوا
مائة سنة وقال وهب بن منبه لما اهبط ادم الى الارض مكث يبكى ثلثمائة سنة لا يرقى له دمع وقال المسعودى
لو ان دموع اهل الارض جمعت لكانت دموع ادم اكثر حين اخرجه الله من الجنة وقال مجاهد بكى ادم مائة عام
لا يرفع رأسه الى السماء وانبت الله من دموعه العود الرطب والزنجبيل والصندل وانواع الطيب وبكت حوا
حتى انبت الله من دموعها القرنفل والافادى واما داود عليه السلام وبكاؤه ونوحه فقد اشتهر وذاع قال مجاهد
بكى داود عليه السلام اربعين يوما ساجدا لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموعه حتى غطى رأسه فنودى يا داود
اجائع انت فتطعم ام ظمأن فتسقى ام عار فتكسى فنحب نحبة هاج العود فاحترق من حر جوفه ثم انزل الله عليه التوبة
والمغفرة فقال يا رب اجعل خطيئتى فى كفى فصارت خطيئته فى كفه مكتوبة وكان لا يبسط كفه لطعام ولا لشراب
ولا لغيره الا رآها فابكته قال وكان يؤتى بالقدح ثلثاه ماء فاذا تناوله ابصر خطيئته فما يضعه على شفته حتى يفيض
القدح من دموعه روى عن يحيى بن زكريا عليهما السلام انه كان اذا قام يصلى بكى حتى يبكى معه الشجر والمدر
ويبكى زكريا عليه السلام لبكائه حتى يغمى عليه فلم يزل يبكى حتى احرقت دموعه لحم خديه وبدت اضراسه للناظرين
فقالت له امه يا بنى لو اذنت لى ان اتخذ لك شيئا يوارى به اضراسك عن الناظرين فاذن لها فعمدت الى قطعتى لبود
فالصقتهما على خديه فكان اذا قام يصلى بكى فاذا استنقعت دموعه فى القطعتين اتت اليه امه فعصرتهما
فاذا رأى دموعه تسيل على ذراعى امه قال اللهم هذه دموعى وهذه امى وانا عبدك وانت ارحم الراحمين فقال له زكريا
يوما يا بنى انما سألت ربى ان يهبك لى لتقر عيناى فقال يحيى يا ابه ان جبريل اخبرنى ان بين الجنة والنار
مفازة لا يقطعها الا كل بكاء قال زكريا عليه السلام فابك يا بنى وقيل كان الخليل عليه السلام اذا ذكر خطيئته
يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلا فى ميل فياتيه جبريل فيقول له الجبار يقرئك السلام ويقول هل رأيت
خليلا يخاف خليله فيقول يا جبريل انى اذا ذكرت خطيئتى نسيت خلتى واما السلف الصالحون والخلف
الخائفون فبكاؤهم مشهور وحالهم فى الخوف غير منكور قال العنبرى اجتمع اصحاب الحديث على باب
الفضيل بن عياض فاطلع عليهم من كوة وهو يبكى ولحيته ترجف فقال عليكم بالقران عليكم بالصلوة ويحكم
ليس هذا زمان حديث انما هذا زمان بكاء وتضرع واستكانة ودعاء كدعاء الغريق انما هذا زمان احفظ
لسانك واخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وحكى ان قوما وقفوا بعابد وهو يبكى فقالوا
ما الذى يبكيك يرحمك الله قال روعة يجدها الخائفون فى قلوبهم قالوا وما هى قال روعة النداء بالعرض على الله
عز وجل وكان الخواص يبكى ويقول فى مناجاته قد كبرت وضعف جسمى عن خدمتك فاعتقنى

مدامع المشتاق ما تفتر • وطرفه من جزع يسهر
وقلبه من خوف معبوده • مكتئب منزعج منكر
فلو تراه فى دجى ليله • والدمع من اجفانه يقطر

رايت

رايت عبدا خائفا واقفا • على عقاب الخوف مما يعثر

عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله افرح بتوبة احدكم من رجل خرج بارض دوية مهلكة معه
راحلته عليها طعامه وشرابه وزاده وما يصلحه فاضلها فخرج فى طلبها حتى اذا ادركه الموت ولم يجدها قال
ارجع الى المكان الذى اضللتها فيه فاموت فيه فاتى مكانه فغلبته عينه فاستيقظ فاذا راحلته عند رأسه عليها طعامه
وشرابه وما يصلحه اخرجاه فى الصحيحين اللهم انا نسألك اى عن علينا بالتوفيق للتوبة النصوح وان تتوب علينا وتدخلنا الجنة
وان تغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى انفسنا برحمتك يا ارحم الراحمين وفى البيت الطباق بين الاستفراغ والامتلاء ومراعات النظير

وخالف النفس والشيطان واعصهما • وان هما محضاك النصح فاتهم

الواو للعطف وخالف من المخالفة ضد الموافقة وهو اعم من العصيان لان العصيان ترك امتثال الامر والنهى والمخالفة
ترك الموافقة سواء امره او نهاه او لا فكل عصيان مخالفة ولا ينعكس والنفس تقدم تعريفها والشيطان معطوف عليها
اما فعلان من شاط اذا احترق غضبا او فيعال من شطن اى تباعد وعليهما يترتب القول بالصرف وعدمه وهو كل كافر
شديد عات من الجن والحق به متشابهه من الانس فى التسمية سمى بذلك اما لاحتراقه بافعاله او لبعده عن رحمة الله تعالى
واعصهما من عطف الخاص على العام ولا يخفى وجهه وليس الجملتان بمترادفتين كما عرفت فلا يرد ما نقله الشيخ خالد
عن الارتشاف ان عطف الجملة فى التوكيد خاص بثم واللام فى النفس عوض عن المضاف اليه اى نفسك كما فى قوله تعالى ونهى
النفس عن الهوى ولم يذكر المخالف فيه اشعارا بالتعميم او جعله من باب فلان يعطى ويمنع اى القصد مطلق المخالفة مع قطع
النظر عن المخالف فيه فهما وجهان لا وجه واحد كما ظنه الزركشى وقدم النفس على الشيطان لان فتنتها اعظم من فتنته
لامور منها انها عدو فى صفة صديق فلا يتنبه الانسان لمكايدها ولا يحترس من مخادعها داخلى فيه غير خارج
عنه لا تسكن اذا هاجت ولا ترضى الا بفعل ما طلبته وامرت به بخلاف الشيطان فانه عدو ظاهر قد اعدت عداوته
واتحد الحرس منه ينصرف بادنى صارف فاذا امر الانسان بامر فان قبله منه والا تركه ودعاه الى غيره وهو على هذه
الحال الى اخر المال نسأل الله تع ان يكفينا شرهما وفى افرادهما فى المخالفة وجمعهما فى العصيان نكتة لطيفة ولان
الاضعف كيدهما اذا استعاذ الانسان من شرهما واستعان بالله تعالى عليهما وذلك انه امر اولا ان يخالف النفس وان
يخالف الشيطان كذلك حالة انفراد كل منهما عن الاخر فاذا تقوى كل منهما بالاخر واتفقا عليه واعدا انواع المكايد
وامراه ونهياه ليغوياه ويوقعاه فى مرادهما امره ان يعصيهما فكما ان العصيان بخصوصه اقوى من المخالفة لعمومها
واجتماعهما اقوى فى المكيدة من الانفراد دفع القوى بالقوى مستعينا بالله تعالى مستغيثا به مستعيذا به منهما
ومن شرهما فكانه يقول له لا تبالى بهما واظهر عصيانهما وان حرف شرط تستعمل فى المشكوك المظنون الحصول
بخلاف اذا حيث تستعمل فى المقطوع الحصول وهذا معنى قولهم الجازم فى غير الجازم وغير الجازم فى الجازم
ولا يقع بعدها الا فعل اما ظاهر او مقدر كما هنا فان هما فاعل بفعل محذوف تقديره وان محضاك فلما حذف الفعل فصل
الضمير ودل على هذا المحذوف الفعل المذكور فيكون جملة محضاك النصح تفسيرية لا محل لها من الاعراب وانما اتى
بان لان النصح من جهتهما مظنون غير مقطوع به وان اتيا بالنصح الصورى الظاهرى فليس بنصح فى الحقيقة
وانما هو غش محض لانه اما غش مصور بصورة النصح واما نصح باعث على الغش داع اليه كما قيل ان الشيطان

يفتح للانسان تسعة وتسعين بابا من الخير ليوقعه في باب من الشر ولذلك قال فانه كيف يأتي من الشيطان نصح وقد قال الله تعالى ان الشيطان لكم عدو مبين فاتخذوه عدوا وقد استنظر من الله البقاء لاغوائنا وقال ولاضلنهم ولامنينهم ولامرنهم وقال فبعزتك لاغوينهم اجمعين وقال تعالى يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة وكيف يركن الانسان لعدوه وعدو ابيه وجده وقد قاسم ادم وحواء انه لهما لمن الناصحين حتى اكلا الشجرة وبدت سوآتهما وكان سببا في اخراجهما من الجنة ومراده ان لا يدخل احد من ذريتهما الجنة فهو يجتهد ليلا ونهارا واعوانه في ذلك وكيف يرجى النصح من شيطان طرد وصار من الملعونين بسبب ابينا فيصح لنا كلو لهكايد وخدع يصورها بصورة النصح ليوقع الانسان في الوبال قال الامام الغزالي ينبغي ان يعلم ان الخواطر تنقسم الى ما يعلم قطعا انه داع الى الشر فلا يخفى كونه وسوسة والى ما يعلم انه داع الى الخير فلا يشك في كونه الهاما والى ما يتردد فيه فلا يدري انه من لمة الملك او لمة الشيطان فانه من الشيطان ان يعرض الشر في معرض الخير والتميز في ذلك غامض واكثر العباد به يهلكون فان الشيطان لا يقدر على دعائهم الى الشر الصريح فيصور الشر بصورة الخير كما يقول للعالم بطريق الوعظ اما تنظر الى الخلق وهم موتى من الجهل هلكى من الغفلة قد اشرفوا على النار اما لك رحمة على عباد الله تنقذهم من المعاطب بنصحك ووعظك وقد انعم الله عليك بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة مقبولة فكيف تكفر نعمته وتتعرض لسخطه وتسكت عن اشاعة العلم ودعوة خلق الله الى الصراط المستقيم فلا يزال يستجره بلطائف الحيل الى ان يشتغل بوعظ الناس ثم يدعوه الى ان يتزين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ واظهار الخير ويقول ان لم تفعل ذلك سقط وقع كلامك من قلوبهم ولم يهتدوا الى الحق فلا يزال يقرر ذلك وهو في اثنايه يؤكد فيه شوائب الريا وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزز بكثرة العلم والنظر الى الخلق بعين الاحتقار فيستدرج المسكين بالنصح الى الهلاك فيتكلم وهو يظن ان قصده الخير وانما قصده الجاه والقبول فيهلك نفسه وهو يظن انه عند الله بمكان الى ان قال وسنذكر جملة من مكايد الشيطان في كتاب الغرور في اخر هذا الربع ولعلنا ان امهل الزمان صنفنا فيه كتابا على الخصوص ونسميه تلبيس ابليس فانه قد انتشر الان تلبيسه في البلاد والعباد في المذاهب والاعمال حتى لم يبق من الخيرات الا رسمها كل ذلك اذعانا لتلبيسات الشيطان ومكايده فحق على العبد ان يقف عند كل هم يخطر له ليعلم انه لمة الملك او لمة الشيطان وان يمعن النظر فيه بنور البصيرة لا بهوى من الطبع ولا يطلع عليه الا بنور التقوى وغزارة العلم كما قال تعالى ان الذين اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا اي رجعوا الى نور العلم فاذا هم مبصرون اي انكشف لهم الاشكال وقال تعالى اخبارا عن ابليس لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قعد لابن ادم باطرقه فقعد له بطريق الاسلام فقال اتسلم وتذر دينك ودين ابائك فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال اتهاجر وتذر ارضك وسماك فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال اتجاهد وهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك فعصاه فجاهد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله ان يدخله الجنة ثم ان الشيطان لا يزال يجاذب بالقلب وينازعه ويلهيه عن ذكر الله فلا بد من مجاهدته وهذه مجاهدة لا اخر لها الى الموت اذ لا يتخلص احد عن الشيطان ما دام حيا نعم قد يقوى بحيث لا ينقاد له ويدفع عن نفسه شره بالجهاد ولكن لا يستغنى قط

عن الجهاد

عن الجهاد والمدافعة ما دام الدم يجري في بدنه فانه ما دام حيا فابواب الشياطين مفتوحة الى قلبه لا تنغلق وهي الشهوة والغضب والحدة والطمع والشره وغيرها ومهما كان الباب مفتوحا والعدو غير غافل لم يدفع الا بالحراسة والمجاهدة قال رجل للحسن يا ابا سعيد اينام ابليس فتبسم وقال لو نام لوجدنا راحة فاذا لا خلاص للمؤمن عنه نعم له سبيلي الى دفعه وتضعيف قوته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن ينضي شيطانه كما ينضي احدكم بعيره في السفر وقال ابن مسعود رضي الله عنه شيطان المؤمن مهزول وقال قيس بن الحجاج قال لي شيطاني دخلت فيك وانا مثل الجزور وانا الان مثل العصفور فقلت ولم ذاك قال تذيبني بكتاب الله عز وجل وقد ذكر امام الغزالي بيان تفصيل مداخل الشيطان الى القلب في الاحياء بكلام طويل مفصل لا بأس بمراجعته قال راجع يروى عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ان رجلا سال ربه عز وجل ان يريه موضع الشيطان من قلب ابن ادم فراى في النوم جسد رجل شبه البلور يرى داخله من خارجه وراى الشيطان في صورة ضفدع قاعدا على منكبه الايسر بين منكبه واذنه له خرطوم طويل دقيق قد ادخله من منكبه الايسر الى قلبه يوسوس اليه فاذا ذكر الله تعالى خنس اللهم نجنا من فتنته برحمتك يا ارحم الراحمين وفي البيت مراعات النظير بين المخالفة والعصيان وبين النفس والشيطان والمقابلة بين النصح والاتهام ثم ان الناظم اعاد حاصل صدر البيت الاول بعبارة اخرى وطريقة غير الاولى للتاكيد في مخالفتهما فقال

ولا تطع منهما خصما ولا حكما ... فانت تعرف كيد الخصم والحكم

نهى عن اطاعتهما اي امتثال اوامرهما عقب امره بالمخالفة لهما والعصيان ومن في منهما للبيان ويجرورها في محل نصب على الحال من خصما وحكما اي لا تطع خصما ولا حكما كائنا من جهتهما قدم للضرورة ويظهر لي ان المراد هنا النوع التجريدي جرد منهما خصما وحكما على سبيل المبالغة ونهى عن اطاعتهما والخصم المعروف بالخصومة يستوي فيه المذكر والمؤنث والجمع لانه في الاصل مصدر ومن العرب من يثنيه ويجمعه فيقول خصمان وخصوم والاسم الخصومة والحكم الحاكم وزيدت لا بعد العطف لافادة التوكيد في النفي مجتمعين ومتفرقين والمراد من الخصم من يخاصم بما يوافق النفس والشيطان ومن الحكم من يحكم عليك ويشير بمقتضى مرادهما ومقصودهما والفاء للتعليل فانت مبتداء تعرف خبره وكيد مفعول تعرف والكيد المكر واللام في الخصم والحكم اما للعهد الذكري واما للجنس اي جنس الخصم والحكم قال بعضهم ومعنى البيت ان دواعي الانسان ثلاثة القلب والنفس والشيطان فالقلب يدعو الى الخير وهما الى الشر فاذا اختصم القلب مع احدهما تحاكما الى الثالث والثالث الحاكم هو من جهة احد الخصمين فلا يحكم الا بمراده فلذلك نهى عن طاعتهما معا وفي البيت مراعات النظير بين الخصم والحكم ورد العجز على الصدر فيهما

استغفر الله من قول بلا عمل ... لقد نسبت به نسلا لذي عقم

استغفر الله اي اطلب منه المغفرة وهي ستر الذنب المقتضي ذلك للعفو عنه والمسامحة فيه وعدم المؤاخذة به وهو من الافعال المتعدية لمفعولين احدهما بنفسه والاخر بحرف الجر ثم توسعوا فيه بحذف الجار منه لكثرة الاستعمال فصار في اللفظ كالمتعدي لاثنين ثم حرف الجر تارة يكون من كما في بيت الناظم وتارة يكون اللام كما في قوله تعالى فاستغفروا لذنوبهم نعم الحذف يجوز ان يكون الحذوف احدهما فيقدره وهذه الثلاثة اشتهرت كثيرا وغيرها دونها في الرتبة وهي سمي وكنى ودعا وزوج وصدق وخبر وهدى وفرق وفزع وجاء واشتاق وراح وتعرض

الافعال وردت مسموعة عن العرب ... اختار وامر واستغفر وصدق

ونأى وحسن وزعم الجرجاني ان من باب اختار كلت ووزنت وزعم ابن الطراوه وتلميذه السهيلي ان استغفر
ليس اصلها التعدية الى الثاني بحرف الجر بل الاصل ان يتعدى اليه بنفسه وتعديته بمن انما هو بتضمينه طلب التوبة والخروج
من الذنب **من قول** متعلق باستغفر الله في موضع نصب على انه مفعوله الثاني **بلا عمل** نعت قول كنت قلته ولما اعمل به حيث
امرت بما لم افعله ونهيت عما كنت مرتكبه وهذه الصفة مذمومة في حد ذاتها لان الانسان اذا امر بشيء او نهى عن شيء
يتوهم منه انه متحل بما امر به متخل عما نهى عنه فيكون قسم النفاق وقد قال تعالى اتأمرون الناس بالبر وتنسون
انفسكم وقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون على ان
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يتوقف وجوبه على ان يكون الامر والناهي متصفا مجتنبا فقد قالوا يجب
على مدير الكاس ان ينكر على الجلاس وقالوا يجب على من غصب امراة على الزنا ان يامرها بستر وجهها عنه لكن
الامر والنهي في الغالب انما يؤثر اذا كان الامر والناهي ممن يعمل بهما فان الوعظ بالفعل اقوى من الوعظ بالقول
لانه يؤثر وقعا في القلوب والا فيكون كمن يقول لاخر هذا الطعام مسموم فلا تاكل منه ياخذ في اكله

ومن المشهور في ذلك قول ابي الاسود الدؤلي من قصيدة

يا ايها الرجل المعلم غيره • هلا لنفسك كان ذا التعليم
ابدا بنفسك فانهها عن غيها • فان انتهت عنه فانت حكيم
فهناك يسمع ما تقول ويقتدى • بالقول منك وينفع التعليم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله • عار عليك اذا فعلت عظيم

وهذا المعنى من قول ابي العتاهية حيث يقول

يا واعظ الناس قد اصبحت متهما • اذ عبت منهم امورا انت تأتيها
كالملبس الثوب من عري وعورته • للناس بادية ما ان يواريها
واعظم الاثم بعد الشرك نعرفه • في كل نفس عماها عن مساويها
عرفانها بعيوب الناس تبصرها • منهم ولا تبصر العيب الذي فيها

وقال القاضي الماوردي في الادب ثم ليجتنب ان يقول ما لا يفعل وان يامر بما لا ياتمر وان يسر غير ما يظهر ولا يجعل
قول الشاعر اعمل بقولي وان قصرت في عملي • ينفعك قولي ولا يضرك تقصيري
مكي
عذرا في تقصيره بغيره ولا يضر غيره فان اعذار النفس تغريها وتحسن لها مساويها فان من قال ما لا يفعل فقد
وان امر بما لا ياتمر فقد خدع ومن اسر غير ما يظهر فقد نافق وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
المكر والخديعة وصاحبهما في النار على ان امره بما لا ياتمر مطرح وانكاره ما لا ينكره من نفسه مستقبح بل ربما كان ذلك
سببا لاغراء المامور بترك ما امر به عنادا او ارتكاب ما نهى عنه كيادا حكي ان اعرابيا اتى ابن ابي ذيب فسأله
عن مسئلة طلاق فافتاه بطلاق امراته فقال انظر حسنا فقال قد نظرت وقد بانت منك فولى الاعرابي وهو يقول

اتيت ابن ذيب ابتغي الفقه عنده • فطلق حتى البت بتت انامله
اطلق في فتيا ابن ذيب حليلتي • وعند ابن ذيب اهلها وحلائله

فظن

فظن بجهله انه لا يلزمه الطلاق بقول من لا يلتزم الطلاق فظنك بقول يجب اشتراك الامر والمامور
فيه كيف يكون منه مقبولا وهو غير عامل به ولا قايل له كلا وقد قال احمد بن يوسف

وعامل بالفجور يامر بالبر • كهادي يخوض في الظلم
او كطبيب قد شفه سقم • وهو يداوي من ذلك السقم
وقال اخر
يا واعظ الناس غير متعظ • ثوبك طهر اولا فلم تلم
وقال اخر
عود لسانك قلة اللفظ • واحفظ كلامك ايما حفظ
اياك ان تعظ الرجال وقد • اصبحت محتاجا الى الوعظ
انتهى ف

ثم انه اشار الى تشبيه حالته هذه على طريق الاستعارة التمثيلية فقال **لقد** اللام جواب قسم محذوف على طريق الا(شيئا)
والباء في **نسبت** للسببية والضمير راجع الى القول وتنكير **نسلا** للتحقير والنسل الولد واللام في لذي متعلقة
بنسبت او بنسلا وذي بمعنى صاحب **عقم** والعقم عدم الولادة لعلة تقع في الرحم فلا يقبل الولد وقياس بابه
الضم الا ان المسموع هو الفتح واعقم الله رحمها فعقمت على ما لم يسم فاعله اذا لم يقبل الولد الكسائي رحم
معقوم اي مسدوده لا تلد قيل ماخوذة من الريح العقيم التي لا تلقح سحابا ولا شجرا وسمي يوم القيمة يوم
عقيم لانه لا يوم بعده ووجه الشبه ان القول كالنسل لقايله لصدوره عنه فان لم يعمل به لا يعمل سامعه به غالبا
فكانه لم يقله فنسبته اليه كنسبة نسل الى عقيم وهو كذب فيستغفر منه **ويظهر للفقير في وجه الشبه**
ان القول كالنسل لقائله لصدوره عنه فان لم يعمل به فكانه لم يقله لانه لو كان قوله لعمل به او لا فكان عقيما
وقد اثبته له فاثبت النسل للعقيم فتامل وقاف عقيم اصلها السكون وضمها لغة للقاعدة المقررة عندهم ان كل
اسم على ثلاثة احرف اوله مضموم واوسطه ساكن من العرب من يثقله اي يضم ساكنه مثل عسر ويسر
وحلم وفي البيت الاستعارة التمثيلية والطباق بين النسل والعقم

امرتك الخير لكن ما ائتمرت به • وما استقمت فما قولي لك استقم

امر من الافعال المتقدمة التي تتعدى الى مفعولين الاول بنفسه والثاني بحرف الجر تارة وبتركه اخرى
وقد اجتمعا في البيت **كما في قول الشاعر** امرتك الخير فافعل ما امرت به فقد تركتك ذا مال وذا نشب
وليس هو من باب الحذف والايصال كما ذهب اليه بعض الشراح والامر طلب الفعل والاعالية ولا يقتضي
علوا ولا استعلاء على الاصح كما انه لا يشترط فيه الايتمار ومقتضى حال من يامر بشيء ان يكون موتمرا
به فاستدرك بيان ذلك بقوله **لكن ما ائتمرت به** والضمير راجع الى الخير وال في **الخير** اما للعهد والمراد به
ما تقدم من قوله فلا ترم بالمعاصي الى قوله استغفر الله واطلاق الامر على النهي لوقوعه معه او للصدية
او لان النهي امر بالكف واما للجنس والمقصود الامر بمطلق الخير الشامل لما ذكر وغيره والاستغراق
لفظ يجمع انواع الخير ويقتضي المداومة على مقتضيات الاوامر والنواهي التي جاء بها الشرع القويم وهي
من جوامع الكلم قال عليه السلام لمن قال له دلني على عمل قال قل امنت بالله ثم استقام قال تعالى ان الذين
قالوا ربنا الله ثم استقاموا الاية وبعض القيام بوظائفها لما نزلت عليه قوله تعالى فاستقم كما امرت

فها
قال عليه السلام شيبتني سورة هود والاستقامة عند ارباب التصوف درجة عالية بها كمال الامور واحسانها
وبوجودها يناط الخيرات ونظامها ومن لم يكن مستقيما في احواله ضاع سعيه وخاب جهده في اعماله
قال الله تعالى ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا **وما استقمت** نافية وما في قوله
فما قولي لك استقم استفهامية اما للتعجب او للانكار او للاعتراف بالقصور والتقصير وهي مبتداء وقولي
خبره ولك متعلق بقولي واستقم في محل نصب مفعول قولي قال بعض الشراح والفاء عاطفة على قوله
امرتك عطف الانشائية على الخبرية لفظا وعلى الانشائية نظرا الى المعنى المقصود لان قوله امرتك بالخير
في الصورة اخبار وفي المعنى انشاء تحسر وتأسف على حاله او عطف الخبرية على الخبرية لان معنى قوله
فما قولي لك ما كان ينبغي ان اقول لك كان الواجب على العمل اولا ثم الامر بالخير ثانيا انتهى ومبنى البيت
على توبيخ النفس حيث يأمر بما لا يأتمر به ولم يستقم ويأمر بالاستقامة فالاستفهام للتوبيخ وذلك لان
المواعظ انما تقبل غالبا بعد عمل الواعظ بها ولا يكون داخلا تحت قوله تعالى اتأمرون الناس بالبر وتنسون
انفسكم ففيها حث على ان الواجب على الانسان ان يعتني بنفسه اولا لانه يهمه شانها ثم بغيره في بعض الكتب
اوحى الله تعالى الى عيسى بن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني وروى ذلك عن داود
عليه السلام ولذلك كفى بالمرء تهزيا ان يعظ غيره وينسى نفسه حكي ان واحدا من كبار المشايخ قدم الامة فقال
استقيموا استووا رحمكم الله وغشي عليه فلما افاق قال اه مالي امر غيري بالاستقامة وانسي نفسي قال
بعض الشراح فان قيل اين امر بالاستقامة والثبات حتى يستقيم قوله فما قولي لك استقم قلنا علم ذلك ضمنا
فان المقصود تطويع النفس الامارة للمطمئنة بحيث تأتمر باوامرها وتنتهي بنهيها على ما يدل عليه السياق
وذلك لا يحصل بالامتثال مرة واحدة على ان قوله والزم حمية الندم امر بالثبات في جانب وجانب اخر مقاس عليه
انتهى وفي البيت جناس الاشتقاق بين امرت وائتمرت واستقمت واستقم والنفي والايجاب فيهما والاستدراك

ولا تزودت قبل الموت نافلة ... ولم اصل سوى فرض ولم اصم

ولا تزودت عطف على قوله وما استقمت ولا نافية والتزود اتخاذ الزاد والزاد طعام يتخذ للسفر والمزود بالكسر
ما يتخذ ويجعل فيه الزاد **وقبل** ظرف زمان منصوب على الظرفية وقد تصحف عبارة الزركشي وهي قوله ولا تزودت
عطف على قوله وما استقمت وقبل نصب على الظرف على بعضهم وظن وقبل الظرف وقيل حكاية قول اخر فقال المصحف
كذا وقع في خط المصنف وهو سبق قلم وانما هو وقيل نصب على الحال اي تكون الواو للحال والجملة حالية انتهى
فما نسبه اليه من سبق القلم سبق قلم قبل تأمل قيل وهذا ليس بحال **والموت** ضد الحياة وهو امر وجودي عند اهل
السنة وعدمي عند المعتزلة ويؤيد الاول ويرد الثاني قوله تعالى خلق الموت والحياة ومحل الكلام على ذلك في علم
من مات يموت ويمات ايضا وهو فاعله ميت وميت بالتشديد والتخفيف وقوم موتى واموات وميتون
وميتون بالتشديد والتخفيف واصل ميت ميوت على فيعل اجتمعت الواو والياء والسابق منهما ساكن قلبت الواو
ياء وادغمت الياء في الياء ثم خفف وقد اجتمعا في قوله • ليس من مات فاستراح بميت • انما الميت ميت الاحياء
قال في الصحاح ويستوي فيه المذكر والمؤنث قال تعالى لنحيي به بلدة ميتا ولم يقل ميتة انتهى لكن قال القاضي وتذكير
ميتا لان

لان البلدة في معنى البلد ولانه غير جار على الفعل كسائر ابنية المبالغة فاجري مجرى الجامد انتهى وقال ايضا
في سورة الزخرف في قوله تعالى فانشرنا به بلدة ميتا وتذكيره لان البلدة بمعنى البلد والمكان انتهى وهو مخالف لما صرح به
في الصحاح حيث اخرجه عن صيغ المبالغة التي يستوي فيها المذكر والمؤنث واجراه مجرى الجامد في وجوب التمييز
بين مذكره ومؤنثه وقيل في وجه تذكيره ان ميتا فعل بزنة المصادر والمصدر يستوي فيه المذكر والمؤنث
فكذا ما وازنها ولذلك رجحت على قراءة عيسى بالتشديد وانما قيد التزود بقبل الموت لان بالموت تفوت
الطاعات وتنقطع العبادات مفعول تزودت واصل النافلة الزيادة اطلقت على الطاعات الزائدة على المفروضات
لزيادتها ومنها النفل في الغنيمة وسمي ولد الولد نافلة لكونه زائدا على مقصود النكاح والمقصود من النافلة
هنا ما زاد على المفروضات من الطاعات قليلا كان او كثيرا فتنوينها للتقليل اي ما تزودت نافلة ما والنافلة
ويرادفها المندوب والسنة والمستحب والتطوع والمرغب فيه والاحسان وكذا الحسنة ما يثاب
على فعله ولا يعاقب على تركه وهي عامة في حق الامة خلافا لمن انكر ذلك وزعم انها خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم
لقوله تعالى نافلة لك قال واما في حقنا فهي مكملة للفرائض وهذا مردود فان النوافل مسنونة في حق الامة زائدة
على الفرائض يثابون عليها على انفرادها واما قوله تعالى نافلة لك فالتخصيص به صلى الله عليه وسلم باعتبار وجوبها
عليه وفي حقه بطريق الفرض والنافلة لما كانت اعم من ان تكون صلوة او صوما او غيرهما عطف عليها عطف
الخاص على العام تنبيها على شرف الخاص كما هو القاعدة في ذلك فقال **ولم اصل** والمراد هنا الصلوة الشرعية
وهي اقوال وافعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم **سوى** مفعول اصل **فرض** مضاف اليه مفروض فرض علي
اداؤه وهي الصلوات الخمس المعلومة من الدين بالضرورة للادلة في ذلك ومنها حديث الاعرابي هل علي غيرها
قال لا الا ان تطوع والفرض ويرادفه الواجب عندنا ما يثاب على فعله ويعاقب على تركه وعند الحنفية الفرض
ما ثبت بقطعي والواجب ما ثبت بظني **ولم اصم** معطوف على لم اصل ومفعوله محذوف للعلم به مما قبله اي سوى
فرض والصوم لغة مطلق الامساك واصطلاحا الامساك عن المفطر على وجه مخصوص وانما خص الصلوة والصوم
دون غيرهما من بقية فروض الاسلام لعمومها في سائر افراد المكلفين بعد الشهادة التي هي اول الفروض المشتملة
عليها الصلوة بخلاف الزكوة فانها انما تجب على من ملك ما يزكي عليه والحج فانه انما يجب على المستطيع واما الصلوة
والصوم فلا يسقطان بحال عن كل الافراد والصلوة عماد الدين واول ما يحاسب عليه بعد الشهادة والصوم من اعظم
الاركان ايضا وهو العبادة المختصة به تعالى لانه لا يدخلها الريا ولذلك يبقى للانسان ولا يدفع في الحقوق وجزاؤه
الله تعالى به والبيت خبر ومعناه التأسف والتحسر على تضييع العمر بلا فائدة والتقصير في القيام بالصلاة والصيام
ونظيره قوله تعالى رب ارجعون الخ وضعتها النفي والاشارة بلفظ التزود الحاصل في هذه الدنيا على سفر لان الدنيا ليست بدار
قرار بل طريق يرحل منها الانسان الى الاخرة وكل مسافر لا بد له من زاد يوصله الى محل اقامته فاستعار الزاد للنافلة
لانها مما يستعان بها على الوصول الى ساحة عز الحضور قال تعالى في الحديث القدسي لا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل
حتى احبه الحديث والنوافل منقسمة اقساما كثيرة قد ذكرها الفقهاء وذكر المحدثون فضائل كل قسم وما ورد فيه
وليس هذا محل ذكره كما لا يخفى وفي البيت مراعاة النظير بين النافلة والفرض والصلوة والصوم

ظلمت سنة من احيى الظلام الى ان اشتكت قدماه الضر من ورم

ظلمت فعل وفاعل والتاء مضمومة للمتكلم بقرينة قول استغفر الله وما بعده من السياق والسباق وجعلها الزركشي
مفتوحة للمخاطب ولعل وجه ذلك انه لما قال لمخاطبه امرتك بالخير لكن ما ائتمرت به الخير قال له مخاطبه على طريق الحكاية
في الكلام ظلمت سنة من توبيخاله ولا تحينا الحاله اذ كان ينبغي له حيث كان امر ان يفعل ما امر به ولكن الوجه
الاول يقتضي الاعتراف والاقرار والوجه الثاني يقتضي التوبيخ والانكار ولكل وجهة هو موليها واصلها
الظلم وضع الشيء في غير موضعه تعديا تقول ظلم يظلم بالكسر ظلما ومظلمة بكسر اللام يقال من اشبه اباه فما ظلم
ومن استرعى الذيب فقد ظلم والمراد هنا تركت عبر عنه بالظلم مبالغة في الذم لانه كان حقه حيث كان عارفا ان
ان يجرى على موجب علمه وامره فلما خالف ووضع ذلك غير موضعه اطلق عليه الظلم فهو في المعنى تاكيد لقوله
ولم اصل ولم اصم ولذلك ترك العطف اي ظلمت بترك النافلة وما امرت به سنة مفعول ظلمت والسنة والسنن
لغة الطريقة خيرا كانت او شرا قال عليه السلام من استن سنة حسنة فله اجرها واجر من يعمل بها الى يوم القيمة
لا ينقص من اجورهم شيئا وشرعا اقوال الرسول صلى الله عليه وسلم او افعاله او تقريره ومن موصول اسمي في محل
خفض بالاضافة احيى صلته وفاعله ضمير يعود على من والظلام مفعوله والظلام اول الليل سمي به لشدة ظلمته
والظلمة ضد النور وضم اللام لغة فيها وجمع الظلمة ظلم وظلمات وظلمات بضم اللام وفتحها وسكونها والمراد الليل
كله او غالبه واحياء الظلم سهره بترك النوم فيه مشتغلا بالطاعات فان النوم كالموت واليقظة كالحياة وهو من مجاز
الاسناد الى الوقت كما يقال نومت الليل وصومت النهار او المراد باحيائه انارته بالصلوة والعبادة فانها كما تؤثر النور
في وجه العابد تؤثر في زمنه ايضا وحذف المحيى به للعموم ولتذهب نفس السامع فيه كل مذهب من اجناس العبادات
وانواع الطاعات والعبادة في الوقت الذي لم ير بر وخص الظلام بالذكر لانه محل الانس ووقت التجلي وهو اخف
بالعبادة واخفى عن الريا وانق على النفس كما قالوا في قوله تعالى ومن الليل فسبحه وادبار النجوم ولا تخفى فضيلة العبادة
ليلا وتفاوت اوقات الليل ايضا كما هو منصوص على ذلك والى متعلق باحيى وليست غاية انتهى اليها الاحيا بل شعا
بحصول الضر بكثرة القيام كما هو الطبع البشري ثم الف القيام واعتاده وواظب صلى الله عليه وسلم فقوله الى
ان اشتكت قدماه اسناد الاشتكا الى قدميه المباركتين مجاز عن الاشعار والاعلام بحصول الضر والالم لا اشتكاء
حقيقة لطلب ازالة ما حل بهما والقدمان تثنية قدم والقدم مؤنث معنوي سماعي بدليل ظهور التاء في تصغيره
قديمة الضر مفعول اشتكت ومنصوب بنزع الخافض اي من الضر وهو سوء الحال ولا يصح ان يكون المراد به الهزال تقول
لمناقضته لقوله من ورم ومن بيانية او متعلق باشتكت بدلا من الضر او حال اي كائنة منه او من سببية متعلقة باشتكت
والورم انتفاخ حدث بهما من طول القيام وهو واحد الاورام يقال ورم يرم بالكسر فيهما وهو شاذ وتورم
مثله وورمه غيره توريما والبيت لف على ترتيب النشر لانه لما قال ولم اصل سوى فرض ولم اصم فذكر الصلوة اولا
والصوم ثانيا بين ظلمه بمخالفة من احيى الظلام بالقيام في الصلوة الى ان اشتكت قدماه الضر من ورم وانما بدا برياضة
عليه السلام وقدمها على سائر الخصال تنبيها على شرف شانها وانه لم يتركها عليه السلام مع رفعة شانه وعلو منصبه
وفيه اشارة الى الحديث المتفق على صحته عن المغيرة بن شعبة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه فقيل

اتكلف

اتكلف هذا وفي رواية اتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال افلا اكون عبدا شكورا ورواه
الشيخان عن عايشة ايضا وفي رواية حتى تفطرت فقلت لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك
وما تأخر قال افلا اكون عبدا شكورا قال فلما بدن وكثر لحمه صلى الله عليه وسلم صلى جالسا فاذا اراد ان يركع
قام ثم ركع وفي رواية حتى انتفخت قدماه وهي رواية الشمائل عن المغيرة وفيها من رواية ابي هريرة قال كان رسول
الله عليه وسلم يصلي حتى ترم قدماه قال فقيل له تفعل هذا وقد جاءك ان الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك
وما تأخر قال افلا اكون عبدا شكورا وفيها عنه ايضا حتى تنتفخ قدماه وفي رواية لمسلم عن عايشة حتى تفطرت
رجلاه قال ابن حجر المكي في شرح الشمائل في شرح الحديث اتتكلف هذا اي اتلزم نفسك بهذه الكلفة والمشقة
التي لا تطاق الفاء للسببية عن محذوف اي اترك تلك الكلفة نظرا الى تلك المغفرة افلا اكون عبدا شكورا اي بل الزمها
وان غفر لي لاكون عبدا شكورا فالمعنى ان المغفرة سبب لكون ذلك التكلف شكرا فكيف اتركه بل افعله لاكون مبالغا
في الشكر بحسب الامكان البشري لخطر تلك النعمة العظيمة قلت وهذا التوجيه في معنى الحديث هو ما قاله القسطلاني
في المواهب اللدنية فانه بعد ان اورد الحديث قال والفاء في قوله افلا اكون للسببية وهي من محذوف تقديره اترك
تهجدي افلا اكون عبدا والمعنى ان المغفرة سبب لكون التهجد شكرا فكيف اتركه انتهى ثم قال ابن حجر فيه ومن ثم
اتى بلفظ العبودية لانها اخص اوصافه صلى الله عليه وسلم ولذا ذكرها تعالى في اعلى المقامات وافضل الاحوال اذ هي
تقتضي صحة النسبة المستلزمة للقيام على الخدمة وهو الشكر اذ العبد اذا لاحظ كونه عبدا وان مالكه مع ذلك
انعم عليه بما لم يكن في حسابه علم تاكد وجوب الشكر والمبالغة فيه عليه ولحيازته سائر انواع الشرف وما قررته
في معنى افلا واضح جلي وان زعم زاعم انه متكلف وان التقدير الاولى الذي انعم الله علي بالانعام الواسع
افلا عبدا شكورا اي ايصير هذا الانعام سببا لخروجي عن دائرة المبالغين في الشكر والاستفهام للانكار
سببية مثل هذا الانعام لعدم كونه عبدا شكورا انتهى وانت خبير بان هذا هو الذي فيه التكلف ويصح
ان يكون التقدير ايضا غفر لي ما تقدم وما تأخر لعلمه باني اكون مبالغا في عبادته فاكون عبدا شكورا
فلا اكون كذلك وهذا قريب من الاول وقد ظن من سأله صلى الله عليه وسلم في سبب تحمله المشقة في العبادة
ان سببها اما خوف الذنب او رجاء المغفرة فافاده ان لها سببا اخر اتم واكمل هو الشكر على التاهل لها مع المغفرة
واجزال النعمة وهو اعني الشكر الاعتراف بالنعمة والقيام في الخدمة ببذل المجهود فمن ادام ذلك كان شاكرا
وقليل ما هم ومن ثم قال تعالى وقليل من عبادي الشكور ولم يقر احد بكمال هذه المرتبة غير نبينا صلى الله عليه وسلم
ثم سائر الانبياء عليهم السلام وانما الزموا انفسهم بذلك من الجد في العبادة وعظم الخشية لعلمهم بعظم
نعمة ربهم عليهم حيث ابتداهم بها فضلا ومنة من غير سابقة موجب لاستحقاقها اداء لبعض الشكر
والا فحقوقه تعالى اعظم من ان يقوم بها احد من خلقه وفي هذه الاحاديث انه ينبغي تشمير ساق الجد في العبادة
وان ادى الى الكلفة لانه صلى الله عليه وسلم اذا فعل ذلك مع علمه بما سبق له فكيف بمن لم يعلم ذلك فضلا عمن
لم يأمن النار وهذا المعنى بعينه نقله القسطلاني عن ابن بطال نعم محل ذلك ان لم يفض الى ملال والا فالاخذ
بما لا يفضي اليه اولى للخبر الصحيح عليكم من الاعمال ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا ولا ينبغي التأسي

ح لانه صلى الله عليه وسلم منزه عن الملل لان حاله اكمل الاحوال سيما وقد جعلت قرة عينه في الصلوة كما اخرجه النسائي
وغيره وفي الحديث الشريف من الفوائد ما لا يخفى منها انه بين صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان قيامه الموصوف بهذه الاوصاف
انما هو على قدر معرفته بنعم الله تعالى عليه وبالله تعالى وان العبد كلما ازدادت معرفته بالله ينبغي ان يزداد عمله وعن
عايشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم كان اذا امرهم امرهم من الاعمال بما يطيقون قالوا انا لسنا كهيئتك
يا رسول الله ان الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فيغضب حتى يعرف الغضب في وجهه ثم يقول ان
اتقاكم واعلمكم بالله انا وقد كان قيام الليل فريضة في ابتداء الاسلام قال تعالى يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا
نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه خيره بين هذه المنازل فكان صلى الله عليه وسلم واصحابه يقومون على هذه المقادير
فكان الرجل لا يدري متى ثلث الليل ومتى النصف ومتى الثلثان فكان يقوم حتى يصبح مخافة ان لا يحفظ القدر
الواجب واشتد ذلك عليهم حتى انتفخت اقدامهم فرحمهم الله وخفف عنهم ونسخها بقوله فاقرؤا ما تيسر
من القرآن علم ان سيكون منكم مرضى فكان بين اول السورة واخرها سنة وروى البغوي في تفسيره بسنده الى سعد
بن هشام قال انطلقت الى عايشة رضي الله عنها فقلت يا ام المؤمنين انبئيني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان القرآن قلت فقيام رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ام المؤمنين قالت الست تقرأ يا ايها المزمل قلت بلى
قالت فان الله فرض القيام في اول هذه السورة فقام رسول الله عليه السلام واصحابه حوله حتى انتفخت اقدامهم
وامسك الله خاتمتها اثني عشر شهرا في السماء ثم انزل الله التخفيف في اخر هذه السورة فصار قيام الليل
تطوعا بعد فريضة قال مقاتل وابن كيسان هذه بمكة قبل ان تفرض الصلوات الخمس ثم نسخ ذلك بالصلوات
الخمس انتهى ثم اعلم ان الناظم رحمه الله ابتداء من رياضته عليه الصلوة والسلام بالصلوة لانها عماد الدين
وقوام شعار المهتدين وهي العبادة التي لا تترك بحال ولو في شدة الحرب وعند ملاقات العدو وفي حالة المرض
حتى اذا عجز عن القيام صلى قاعدا وان عجز فعلى الجنب مضطجعا فان عجز فمستلقيا فان عجز فبالاشارة فان
عجز اجرى افعالها على قلبه ولا تترك بحال كما نص على ذلك فقهاؤنا قال الراغب الصلوة جامعة للعبادات
وزائدة عليها لانها لا تصح الا ببذل مال جار مجرى الزكوة فيما يستر به العورة ويطهر به البدن وامساك في مكان
مخصوص مجرى مجرى الاعتكاف وتوجه الى الكعبة جار مجرى الحج وذكر الله ورسوله جار مجرى الشهادتين ومجاهدة
في مدافعة الشيطان جار مجرى الجهاد وامساك عن الاطيبين جار مجرى الصوم وفيها ما ليس في شيء من العبادات
الاخرى من وجوب القراءة واظهار الخشوع والركوع والسجود وغير ذلك وقال الطيبي وفيها ما قال صلعم
وجعلت قرة عيني في الصلوة الذي هو اصل ذلك كله وقال القسطلاني في المواهب اعلم ان بالصلوة يحصل
تحقق العبودية واداء حق الربوبية وسائر العبادات وسايل الى تحقيق سر الصلاة وقد جمع الله معا
للمصلين في كل ركعة ما فرق على اهل السموات فلله ملائكة في الركوع منذ خلقهم الله تعالى لا يرفعون من الركوع
الى يوم القيمة وهكذا السجود والقيام والقعود واجتمع ايضا من العبودية ما لم يجتمع في غيرها
من الطهارة والصمت واستقبال القبلة والاستفتاح بالتكبير والقراءة والقيام والركوع والسجود
والتسبيح في الركوع والسجود والتسبيح في الركوع والدعاء في السجود الى غير ذلك فهو مجموع

عبادات

عبادات عديدة لان الذكر بمجرده عبادة والقراءة بمجردها عبادة وكذا كل فرد وقد امر الله تعالى نبيه بالصلوة
في قوله سبحانه وتعالى اتل ما اوحي اليك من الكتاب واقم الصلوة وقال تعالى وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها
وفي ذلك كما نبه عليه صاحب كتاب التنوير امرنا الله بعده اشارة الى ان في الصلوة تكليفا للنفوس شاقا
عليها لانها تاتي في اوقات ملاذ العباد واشغالهم فتطالبهم بالخروج عن ذلك كله الى القيام بين يديه والفراغ
عما سوى الله تعالى فلذلك قال تعالى واصطبر عليها قال ومما يدل على ان بالقيام في الصلوة تكاليف العبودية وان
القيام بها على خلاف ما تقتضيه البشرية قوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلوة وانها لكبيرة الا على الخاشعين
فجعل الصبر والصلوة مقترنين اشارة الى انه يحتاج في الصلوة الى الصبر على ملازمة اوقاتها وصبر على القيام
بمسنوناتها وواجباتها وصبر بمنع القلوب فيها عن غفلاتها ولذلك قال تعالى بعد ذلك وانها لكبيرة الا
على الخاشعين فافرد الصلوة بالذكر ولم يفرد الصبر اذ لو كان كذلك لقال وانه لكبيرة فذلك يدل على ما قلناه
او لان الصبر والصلوة مقترنان متلازمان فكان احدهما هو عين الاخر كما قال تعالى في الاية الاخرى والله
ورسوله احق ان يرضوه انتهى ملخصا وفي هذا البيت الشريف الرفيع مع البديع من انواع البديع حسن
التخلص فانه قد تخلص فيه باسلوب لطيف الى مدايح ممدوحه عليه افضل الصلوة واتم السلام على الوجه الاكمل
والاسلوب الاجمل حيث كان في ذكر بلايا النفس ومكايدها ومكايد الشيطان وخدعه فبين ان ذلك انما
هو بسبب مخالفة سنته عليه السلام وان الطريق الى التخلص من تلك المكايد والبلايا يكون باتباع سنته
والاهتداء بطريقته وحسن التخلص هو ان يستطرد الشاعر المتمكن من معنى الى معنى اخر يتعلق بممدوحه
بتخلص سهل يختلسه اختلاسا رشيقا دقيق المعنى بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الاول
الا وقد وقع في الثاني لشدة الممازجة والالتيام بينهما حتى كانهما افرغا في قالب واحد ولا يشترط
ان يتعين المتخلص منه بل يجري ذلك في اي معنى كان فان الشاعر قد يتخلص من نسيب او غزل او فخر او وصف
روض او وصف طلل بال او ربع خال او معنى من المعاني يؤدي الى مدح او هجو او وصف حرب او غير ذلك
ولكن الاحسن ان يتخلص الشاعر من الغزل الى المديح وفيه الاستعارة في اماكن عديدة كما لا يخفى وفيه المقابلة
الملحقة بالطباق بين ظلمت واحيي وبين الظلم السنة والظلام وفيه جناس الاشتقاق بين ظلمت وظلام فان الظلم
مشتق من الظلام قال عليه السلام الظلم ظلمات يوم القيمة قال الزركشي وفيه جناس الاشتقاق نحو اسلمت مع سليمان
وقد منع غيره في هذه العبارة وهي في المشبه مسلمة دون المشبه به لانهم فرقوا بين الجناس المشتق وبين المطلق
بان المشتق يرجع ركناه الى معنى واحد والمطلق يختلف معناهما قال ابن حجر في شرح البديعيات رايت
الشيخ شمس الدين بن صايغ لما انتهى في شرحه على البردة الى قول المص ظلمت سنة من احيى الظلام الى ان
اشتكت قدماه الضر من ورم قال ظلمت وظلام جناس الاشتقاق وهو كقوله تعالى واسلمت مع سليمان قلت
اما ظلمت وظلام جناس اشتقاق بلا خلاف واسلمت مع سليمان جناس مطلق لانه لم يرجع في المعنى الى اصل
واحد وهو اعظم شواهد البديعيين على الجناس المطلق انتهى

وشد من سغب احشاءه وطوى ... تحت الحجارة كشحا مترف الادم

وشد بفتح الشين المعجمة عطف على احبوا اى ربطوا واصله ان يربط ليوثق ومن للتعليل سغب اى جوع قال تعالى
في يوم ذى مسغبة اى مجاعة وبابه طرب فهو ساغب وسغبان وامرأة سغبى قال الراغب لا يكون السغب
الا الجوع مع التعب قال وربما قيل في العطش مع التعب احشاءه مفعول شد اخر من تقديم جمع حشا
وهو ما ضمت عليه ضلوع وربما اطلق على الضلوع للمجاورة وطوى عطف على شد اى لف يقال طواه يطويه
طيا واصل طيا طويا ويجوز ان يكون معطوفا على سغب لان الطوى الجوع تأكيد له اى وشد من سغب
وجوع احشاءه تحت الحجارة وكشحا على هذا بدل منه او منصوب بفعل مقدر يفسره شد لكن الاول اولى
تحت ظرف مكان متعلق بطوى الحجارة مضاف اليه جمع كثرة لحجر وهو من الجموع النادرة كجمل وجمالة وذكر
وذكارة وجمع القلة احجار كشحا مفعول طوى والكشح بفتح الكاف وسكون الشين المعجمة وبالحاء المهملة
ما بين الخاصرة الى الضلع الخلف وطي الكشح كناية عن الاعراض تقول طوى فلان عنى كشحا اذا قطعك
وطويت كشحي على الامر اذا اضمرته وسترته والكشح بالتحريك داء يصيب الانسان في كشحه فيكوى
ومترف صفة كشحا اى ناعم شديد النعومة باعتبار اصل خلقته والترف التقلب في لين العيش ولذلك
يقال اترفته النعمة اى اطغته والادم بفتح الهمزة والدال المهملة باطن الجلد الذى يلي اللحم والبشرة ظاهره واديم
الارض وجهها والاضافة لفظية غير محضة لم تكسب المضاف تعريفا ولذلك صح وقوعه نعتا للنكرة يشير
الناظم رحمه الله تعالى في هذا البيت الى اجتهاده صلى الله عليه وسلم في كثرة صيامه مع شدة ما كان به من الجوع
المستلزمة ذلك لاعراضه عن الدنيا وزهده فيها ومساواته لفقراء امته ليحوز الفضائل اجمع ولا يستاثر على غيره
بل يؤثر بما عنده غيره صلى الله عليه وسلم وشدة الحجر على بطنه من الجوع وقع له في حفر الخندق وقول جابر
بشنا ثلاثة ايام لم نطعم فعرض في الخندق كدية فجئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم وبطنه معصوب بحجر الحديث رواه البخارى وزاده احمد في مسنده من الجوع والكدية بكاف مضمومة
فمهملة فتحتية قطعة جبل وروى مسلم عن انس جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فوجدته جالسا مع اصحابه
يحدثهم وقد عصب بطنه بعصابة قال اسامة وانا اشك على حجر فقلت لبعض اصحابه لم عصب رسول الله عليه السلام
بطنه فقال من الجوع واخرج الترمذى في الشمائل عن انس عن ابي طلحة قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الجوع ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه حجرين قال الترمذى هذا حديث
غريب من حديث ابي طلحة لا نعرفه الا من هذا الوجه ومعنى قوله ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر كان احدهم يشد في بطنه
الحجر من الجهد والضعف الذى به من الجوع انتهى واراد الترمذى بالغريب هنا غريب الاسناد وهو ما كان يعرف
عن صحابى فيروى بعدل وحده عن صحابى اخر وهذا هو الذى يقول فيه الترمذى غريب من هذا الوجه فغرابته ناشئة عن طريق
ابي طلحة لا من سائر الطرق واما غريب المتن فهو التفرد برواية متنه كان ينفرد عدل ضابط من رجال السند برواية
متنه قال القسطلانى في المواهب ناقلا عن شرحه لهذه القصيدة وانا لم اقف على الشرح واني لارجو الوقوف
عليه وانما فعل هذا صلى الله عليه وسلم ليسكن بعض الم الجوع وانما كان هذا الفعل مسكنا لان كلب الجوع من شدة
حرارة المعدة فهي اذا امتلأت من الطعام اشتغلت تلك الحرارة بالطعام فاذا لم يكن فيها طعام طلبت رطوبات

الجسم

الجسم وجواهره فيتألم الانسان بتلك الحرارة فتعلق بكثير من جواهر البدن فاذا انضمت على المعدة الاحشا
والجلد خمدت نارها بعض الخمود وانما انه ليحصل له تضعيف الاجر مع حفظ قوته ونضارة جسمه حتى ان من رآه
لا يظن به جوعا لان حسنه صلى الله عليه وسلم انما كان يرى اشد نضارة من اجسام المترفين بالنعم في الدنيا
وهذا المعنى هو الذى قصده الناظم بقوله مترف الادم وهو من باب الاحتراس والتكميل لانه لما ذكر انه شد من سغب
خاف ممن يتوهم ان جسمه الشريف يظهر فيه اثر الجوع فاحترس ودفع ذلك الايهام بقوله مترف الادم انتهى
كلام القسطلانى واتبعه ابن حجر المكى في شرح الشمائل على هذا الكلام من غير عزو اليه وقال الزركشى بعد ان حكى
ان اورد ان الحكمة فيه انه يمسك قوة الجائع ان يميل للسقوط ويحتمل ان يكون ذلك اشارة منه الى ان القوام الذى
بالطعام ليس هو من الطعام ولكن القوام بالله لا بالطعام فعمد الى ابعد الاشياء من معاني الغذا فربطه من خارج
ليقطعهم ذلك عن الاعتماد في حال الجوع على الطعام ويكون اعتمادهم على الله انتهى وهو اشارة حسنة
وروى ابن ابي الدنيا اصاب النبى صلى الله عليه وسلم جوع يوما فعمد الى حجر فوضعه على بطنه ثم قال الا رب نفس
طاعمة ناعمة في الدنيا جائعة عارية يوم القيامة الا رب مكرم لنفسه وهو لها مهين الا رب مهين لنفسه وهو مكرم لها وقد انكر
ابو حاتم بن حبان في صحيحه احاديث وضع الحجر على بطنه الشريف من الجوع وقال انها باطلة متمسكا بما في الصحيحين
انه صلى الله عليه وسلم قال لا تواصلوا قالوا انك تواصل قال انى لست كاحدكم انى اطعم واسقى وفي رواية
يطعمني ربى ويسقيني وفي رواية انى اظل عند ربى يطعمني ويسقيني قال وانما يعنى الحجز بالزاى وهو طرف الازار
لان الله تعالى قد كان يطعم رسوله عليه الصلاة والسلام ويسقيه اذا واصل فكيف يحتاج الى شد الحجر على بطنه
وما يغنى الحجر من الجوع انتهى وقال بعض الائمة يجوز ان يكون عصب الحجر لعادة عند العرب او اهل المدينة
انهم يفعلون ذلك اذا خلت اجوافهم وغارت بطونهم يشدون عليها حجرا ففعل صلى الله عليه وسلم
ذلك ليعلم اصحابه انه ليس عنده ما يستاثر به عليهم وانه مساوٍ لهم في ذلك والصواب صحة الاحاديث المتقدمة
وان الحجر بالراء وانه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك لما وجده من الم الجوع تحصيلا لهذه الفضيلة ومساواة لاصحابه
في هذه المزية لا يجد داعيا منهم بعدم الاستيثار فقط اختيارا للثواب الجزيل على هذا الحال الشديد اعراضا عن الدنيا
وطلبا فيما عند الله تعالى كما تقرر في زهده عليه السلام واما الجمع بين هذه الاحاديث واحاديث الوصال
وانه يطعم ويسقى فهو خاص بحالة المواصلة فكان اذا واصل يعطى قوة الطاعم والشارب او يطعم ويسقى حقيقة
على الخلاف في ذلك واما في غير حالة المواصلة فلم يرد فيه ذلك فوجب الجمع بين الاحاديث بحمل الاحاديث الخاصة
على جوعه على غير حال المواصلة تحصيلا لهذه الفضيلة وطلبا لهذه الرتبة الجليلة ولم تزل العقلاء يتمدحون بقلة
الاكل والشرب فان كثرتهما سبب لمضار الدنيا والاخرة وقلتهما دليل على القناعة وملك النفس وقمع الشهوة
من الصحة وصفاء الخاطر وحدة الذهن قال صاحب المواهب وتبعه ابن حجر في شرح الشمائل اعلم ان تناول الطعام
اصل كبير يحتاج الى علوم كثيرة اى من حيث وصفه وزمنه وغيرهما لاشتماله على المصالح الدينية والدنيوية وتعلق
اثره بالقلب والقالب وبه قوام البدن والقالب مركب القلب وبهما عمارة الدنيا والاخرة فالقالب بمفرده على طبيعة
الحيوانات يستعان بهما على عمارة الدنيا والروح والبدن على طبيعة الملكية يستعان بهما على عمارة الاخرة

مطلب الادب

وباجتماعهما يصلحان لعمارة الدارين ومن ثم قال الغزالي ولا طريق الى الوصول الى اللقا الا بالعلم والعمل ولا يمكن المواظبة
عليهما الا بسلامة البدن ولا تصفو سلامة البدن الا بالاطعمة والاقوات والتناول منها بقدر الحاجات على تكرر الاوقات
فمن هذا الوجه قال بعض السلف الصالحين ان الاكل من الدين وعليه نبه رب العالمين بقوله وهو اصدق القائلين
كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فمن تناول الاكل ليستعين به على العلم والعمل ويقوى به على التقوى فلا ينبغي
ان يترك نفسه كذا يسترسل في الاكل استرسال البهائم في المرعى فان ما هو ذريعة الى الدين ووسيلة اليه ينبغي
ان يظهر انوار الدين عليه وانما نور الدين واداب وسنته التي يزم العبد بزمامها ويلجم المتقي بلجامها حتى يزن
بميزان الشرع شهوة الطعام في اقدامها واحجامها فيصير بسببها موفقة للوزر ومجلبة للاجر واعلم ان الشبع
بدعة ظهرت بعد القرن الاول وقد روى النسائي وابن ماجه وصححه الحاكم من حديث المقدام بن معدي كرب
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما ملا ابن ادم وعاء شرا من بطنه حسب الادمي لقيمات يقمن صلبه فان
غلبت الادمي نفسه فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس قال القرطبي في شرح الاسما كما نقله شيخ الاسلام
الحافظ ابن حجر لو سمع بقراط هذه القسمة لعجب من هذه الحكمة وقال غيره انما خص الثلاثة بالذكر لانها اسباب
حياة الحيوان ولانه لا يدخل البطن سواها وهل المراد بالثلث التساوي على ظاهر الخبر او التقسيم الى ثلاثة اقسام متقاربة
محل احتمال وقد صح المؤمن ياكل في معاء واحد والكافر ياكل في سبعة امعا المعا بكسر الميم والقصر واحد الامعا
اي المصارين والمراد بالسبعة المبالغة في شهوته ونهمته لا حقيقة العدد والمعنى ان المؤمن من شانه التقلل من الاكل
لاشتغاله باسباب العبادة ومعرفته ان المقصود شرعا من الاكل ما يسد الجوع ويعين على العبادة ولكثرة فكره واشفاقه
من المناقشة في الحساب حتى على المباح يقلل اكله دائما كما اتصف به كثير من الزهاد وقيل المراد حقيقة العدد لقول
اهل الشرع ان امعاء الانسان سبعة المعدة ثم ثلاثة امعاء بعده متصلة بها البواب ثم الضايمة ثم الرقيق
والثلاثة رقاق ثم الاعور والقولون والمستقيم وطرفه الدبر وكلها غلاظ فيكون المعنى ان الكافر لكونه
ياكل بشره لا يشبعه الا ملؤ امعائه السبعة والمؤمن يشبعه ملؤ معاء واحد والمراد من المؤمن الكامل او المراد
الجنس فلا يلزم من هذا الحديث اطراده في حق كل مؤمن وكافر فقد يكون في المؤمنين من ياكل كثيرا اما بحسب العادة
واما العارض يعرض له من مرض باطن واما لغير ذلك ويكون في الكفار من ياكل قليلا اما لمراعات الصحة على راي
الاطبا واما للرياضة على راي الرهبان واما العارض كضعف المعدة ومحصل القول من شان المؤمن الحرص على الزهادة
والاقتناع بالبلغة بخلاف الكافر وقيل المراد ان المؤمن يسمي الله تعالى عند طعامه وشرابه فلا يشركه الشيطان
فيكفيه القليل بخلاف الكافر وقيل المراد بالمؤمن في هذا الحديث التام الايمان كما قدمناه لان من حسن اسلامه
وكمل ايمانه اشتغل فكره فيما يصير اليه من الموت وما بعده فيمنعه شدة الخوف وكثرة الفكر والاشفاق على نفسه من استيفاء
شهوته كما ورد في حديث لابي امامة رفعه من كثر تفكره قل مطعمه ومن قل تفكره كثر مطعمه وقسا قلبه وقالوا
لا تدخل الحكمة معدة ملئت طعاما ومن قل طعامه قل شربه وخف منامه ظهرت بركة عمره ومن امتلا بطنه كثر
شربه ومن كثر شربه ثقل نومه ومن ثقل نومه محقت بركة عمره فاذا اكتفى بدون الشبع حسن اغتذا بدنه وصلح حال
نفسه وقلبه ومن تملا من الطعام ساء غذا بدنه واشرت نفسه وقسا قلبه وعن ابن عباس قال صلى الله عليه وسلم

ان اهل الشبع في الدنيا هم اهل الجوع غدا في الاخرة رواه الطبراني وقالت عايشة لم يمتل جوف النبي صلى الله عليه وسلم
شبعا قط وانه كان في اهله لا يسالهم طعاما ولا يتشهاه ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب والمراد
نفي الشبع المفرط المثقل المثبط عن العبادة المفضي الى البطر والاشر والنوم والكسل لا مطلق الشبع الشرعي الذي لا يؤدي
لذلك ففي صحيح مسلم خروجه صلى الله عليه وسلم من الجوع وتوجههم الى بيت ابي الهيثم الانصاري وفيه فلما شبعوا
ورووا قال النووي فيه جواز الشبع وما جاء في كراهته محمول على المداومة عليه وعن ابي هريرة قال ما شبع ال
محمد صلى الله عليه وسلم من طعام ثلاثة ايام تباعا حتى قبض رواه الشيخان وعن ابن عباس قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة واهله طاويا لا يجدون عشاء وانما كان خبزهم الشعير رواه
الترمذي وصححه وفيهما دليل على ضيق عيشهم المستلزم لضيق عيشه صلى الله عليه وسلم اذ كان عليه السلام
لا يستاثر دونهم بل كان يؤثرهم وروى الشيخان عن عايشة انها كانت تقول لعروة والله يا ابن اختي
ان كنا لننظر الى الهلال ثم الهلال ثلاث اهلة في شهرين وما اوقد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم نار قال
قلت يا خالة فما كان عيشكم قالت الاسودان الماء والتمر الا انه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الانصار
وكانت لهم منايح يرسلون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من البانها فيسقيناه واخرج ابن سعد من طريق عمران بن زيد
المدني حدثني والدي قال دخلنا على عايشة فقالت خرج يعني النبي صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولا امتلا بطنه في يوم
من طعامين كان اذا شبع من التمر لم يشبع من الشعير واذا شبع من الشعير لم يشبع من التمر وليس في هذا ما يدل
على ترك الجمع بين لونين فقد جمع صلى الله عليه وسلم بين القثا والرطب وعن الحسن قال خطب رسول الله صلى الله
فقال والله ما امسى في ال محمد صاع من طعام وانها لتسعة ابيات والله ما قالها استقلالا لرزق الله ولكن اراد
ان تتاسى به امته رواه الدمياطي في السيرة له وعن عايشة قالت كان يعجب نبي الله من الدنيا ثلاثة اشيا الطيب
والنساء والطعام فاصاب اثنين ولم يصب واحدا اصاب النسا والطيب ولم يصب الطعام ذكره الدمياطي
ايضا وفي الشمائل للترمذي عن النعمان ابن بشير لقد رايت نبيكم وما يجد من الدقل ما يملا بطنه الدقل ردا التمر
وفي رواية مسلم يظل يلوي ما يجد من الدقل ما يملا به بطنه وقال عتبة بن غزوان لقد رايتني واني لسابع سبعة مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما لنا طعام الا ورق الشجر حتى تقرحت اشداقنا وعن عايشة توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وليس عندي شيء ياكله ذو كبد الا شطر شعير في رف لي فاكلت منه حتى طال علي فكلته ففني رواه البخاري ومسلم
وعنها ايضا قالت توفي صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعا من شعير ولا يستشكل
كونه عليه السلام واصحابه كانوا يطوون الايام جوعا مع ما ثبت انه كان يدفع لاهله قوت سنة وانه قسم بين اربعة
من اصحابه الف بعير مما افاء الله عليه وانه ساق في عمرته ماة بدنة فنحرها واطعمها المساكين وانه امر لاعرابي بقطيع
من الغنم وغير ذلك مع ما كان معه من اصحاب الاموال كابي بكر وعمر وعثمان وطلحة وغيرهم مع بذلهم انفسهم
واموالهم بين يديه وقد امر بالصدقة فجاء ابو بكر بجميع ماله وعمر بنصفه وحث على تجهيز جيش العسرة فجهزهم
عثمان بالف بعير وتسعين فرسا وفي رواية وماة اوقية وفي اخرى وبعث بعشرة الاف دينار فصبت بين يدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقلبها ويقول غفر الله لك يا عثمان ما اسررت وما اعلنت وما هو كائن الى يوم

الفينة ما يبالى ما حمل بعدها الى غير ذلك واجاب عنه الطبرى كما حكاه فى فتح البارى ان ذلك كان منهم فى حالة دون حالة
لا لعوز وضيق بل تارة للايثار وتارة لكراهة الشبع وكثرة الاكل انتهى وتعقب بان ما نفاه مطلقا فيه
نظر لما تقدم من الاحاديث الناصة على جوعه صلى الله عليه وسلم وجوعهم الا انهم كانوا يفعلون ذلك عن عدم
واخرج ابن حبان فى صحيحه عن عائشة من حدثكم انا كنا نشبع التمر فقد كذبكم فلما افتتحت قريظة اصبنا شيئا
من التمر والودك الى غير ذلك قال الحافظ ابن حجر الحق ان الكثير منهم كانوا فى حال ضيق قبل الهجرة حيث كانوا
بمكة فلما هاجروا الى المدينة كان اكثرهم كذلك فواساهم الانصار بالمنازل والمنايح فلما فتحت لهم النضير
وما بعدها ردوا عليهم منايحهم وقد قال عليه السلام لقد اخفت فى الله وما يخاف احد ولقد اوذيت فى الله
وما يؤذى احد ولقد اتت على ثلاثون من يوم وليلة ومالى ولبلال طعام ياكله احد الا شيء يواريه ابط بلال
رواه الترمذى وصححه والاحاديث تقتضى ان حالهم هذه من الحال تارة والفقد اخرى كان بعد فتح الفتوحات
والقرى عليهم منها ما رواه ابو هريرة من قصة خروجهم من الجوع فى مجيئهم الى بيت ابى الهيثم الانصارى
فان راوى الحديث ابو هريرة واسلامه بعد فتح خيبر واحتمال انه رواه عن غيره بعيد وذلك لانه صلى الله عليه وسلم
كان يصرف ما عنده فى وجوه البر من ايثار المحتاجين وتجهيز السرايا والبعوث ويؤيده ما ورد انه خرج من الدنيا
ولم يشبع من خبز الشعير وتوفى ودرعه مرهونة على اصبع من شعير استدانه لاهله والاحاديث المتقدمة تدل
على ذلك وكان حال الكبار من الصحابة مثل حاله من الفقر تارة واليسار اخرى حتى اغنياؤهم كان قد يحصل لهم ذلك
لاخراج ما عندهم فى وجوه البر فلا يستبعد جوعه مع جوعهم مع ما نقل من ايثارهم له على انفسهم واتحافهم
اياه بالطرف ونحوها صلى الله عليه وسلم عليه وعليهم اجمعين فقد ظهر لك ان الناظم رحمه الله اشار بالبيت الى ما وقع
صلى الله عليه وسلم مع ما كان فيه من شدة الجوع المتقدم تفصيله وانه عليه السلام كان يبيت جائعا ولا يمنعه ذلك
من صوم اليوم الذى بعده محافظة على الصوم الذى هو من افضل الاعمال حتى اختلفوا هل الصوم افضل ام الصلاة
فقيل الصوم افضل الاعمال البدنية لحديث النسائى عن ابى امامة قال اتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله
مرنى بامر اخذه عنك قال عليك بالصوم فانه لا عدل له ولكن المشهور تفضيل الصلاة عليه وهو مذهب الشافعى
وغيره وانما كان الصوم بهذه المزية لانه يمسك النفس عن حضيض عاداتها ويحبسها عن شهواتها فهو لجام المتقين
وجنة المحاربين ورياضة الابرار والمقربين وهو عمل خالص مخلص لله تعالى كما رواه مسلم فى الحديث الالهى كل عمل
ابن ادم له الا الصيام فهو لى وانا اجزى به واختلفوا فى علته قيل لانه لم يعبد غيره تعالى به وقيل لانه بعيد من الرياء
لخفائه دون غيره اى لا رياء فى فعله كما قال الحافظ فى فتح البارى وقيل لانه لا حظ للنفس فيه والكلام عليه وعلى فضائله
مستوفى فى محله وفى البيت مراعاة النظير بين شد وطوى والكشح والاحشا والادم وفيه الجناس المعنوى
وهو القسم الثانى منه وهو جناس الاشارة وتعريفه ان يقصد الشاعر المجانسة فى بيته بين الركنين من الجناس
فلا يوافقه الوزن على ابرادهما فيضمر الواحد ويعدل بقوته الى مرادف فيه كناية تدل على الركن المضمر فان لم يتفق له
مرادف الركن المضمر باتى بلفظة فيها كناية لطيفة تدل عليه وشاهده هنا انه اراد ان يجانس بقوله شد من طوى
احشاءه وطوى فلم يساعده النظم فعدل الى مرادفه وهو قوله من سغب فتامل والله اعلم

وراودته الجبال الشم من ذهب عن نفسه فاراها ايما شمم

اى طلبت من النبى صلى الله عليه وسلم والمراودة المفاعلة من راد يرود جاء وذهب وكان المعنى خادعته عن نفسه
وفعلت فعل المخادع بصاحبه عن الشئ الذى لا يريد ان يخرجه من يده يحتال عليه ان يغلبه ويأخذه منه وهى عبارة
عن التمحل لموافقته اياها والكلام مسوق لاعراضه صلى الله عليه وسلم عن الدنيا وعن الالتفات اليها فانه اذا كان عليه السلام
مع شدة سغبه واحتياجه فيها عرضت عليه جبالها من ذهب وان يصرفها فى طاعة الله تعالى ومع ذلك اعرض عنها
كما تقرر فذلك يدل على نزاهته عنها وزهده فيها بالكلية والجبال جمع جبل وال فيها للعهد وهى جبال تهامة
كما سيأتى فى الحديث الشريف او للجنس لما سنقرره ايضا وهو ابلغ والشم بضم الشين المعجمة نعت الجبال جمع الاشم
اى الشواهق العوالى التى لا تدرك لعلوها ومعنى يقال جبل اشم اى طويل الرأس بين الشمم ومن ذهب فى موضع
الحال من الجبال او الصفة اى كائنة او الكائنة سمى ذهبا لذهابه كما سميت الفضة لانفضاضها والمال لميلانه
ومعروف مذكر وربما انث والقطعة منه ذهبة ويجمع على الاذهاب والذهوب وخص بالذكر لانه اشرف
المعاملات المنتفع بها واعلاها وله اسماء كثيرة هو اشهرها وقد جمعها ابن مالك فقال

نضر نضير نضار زبرج سيرا • زخرف عسجد عقيان الذهب

والتبر ما لم يذب اشركوا ذهبا • وفضة فى سبيك هكذا العرب

ذكر الصاحب كمال الدين ابن العديم فى تاريخه الذى عمله لمدينة حلب باسناد متصل منه الى انس ابن مالك رضى الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اهبط الله ادم من الجنة الى الارض حزن عليه كل شئ جاوره الا الذهب والفضة
فاوحى الله اليهما جاورتكما بعبد من عبيدى ثم اهبطته من جواركما فحزن عليه كل شئ الا انتما فقالا الهنا
وسيدنا انت تعلم انك جاورتنا به وهو لك مطيع فلما عصاك لم يجب ان نحزن عليه فاوحى الله تعالى اليهما
كذا كان يروث انكما فو عزتى وجلالى لاعزنكما حتى لا ينال كل شئ الا بكما انتهى وعن نفسه متعلق براودته
اى طلبت منه ان يأخذها فاراها من باب الافعال وفاعله ضمير عائد عليه عليه السلام ايما نعت لمصدر محذوف
هو المفعول الثانى لاراها عدى اليه بالهمزة اى شمما ايما شمم وما زائدة للتأكيد والشمم ارتفاع فى قصبة
الانف مع استواء اعلاه يقال رجل اشم الانف وامراة شماء واصله الارتفاع فى كل شئ كنى به عن الاعراض
وعدم المبالاة مع القوة وهو من علامات الجمال والسودد قال حسان بيض الوجوه كريمة احسابهم شم الانوف
من الطراز الاول وهو من باب الكناية عن نزاهتهم وتباعدهم عن دنيا الامور ورذائلها لا من الحقيقة
لان طول الانف لا يمدح به فى الحسن كما ان بيض الوجوه كناية عن نقاء الاعراض ومحاسن الصفات الباقية لا عن
حقيقة ولذلك ذيله بقوله من الطراز الاول من السلف المتقدمين بتلك الصفات الجميلة فهم جارون على طرزهم
وطريقتهم والمعنى انه صلى الله عليه وسلم اعرض عنها غاية الاعراض وارتفع عنها غاية الارتفاع بعد تمكنه منها
وقدرته على الخروج من الضيق الى الاتساع مع ما كان فيه صلى الله عليه وسلم هو واهله واصحابه من ضيق العيش
وقلته بل قصد الاخرة وما عند الله على هذه الدنيا الدنية الفانية وهذا يشير الى الاحاديث الواردة
منها ما ذكره فى الشفا ان جبريل قال للنبى صلى الله عليه وسلم ان الله يقول لك اتحب ان اجعل هذه الجبال

ذهبا وتكون معك اينما كنت فاطرق ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمعها
من لا عقل له فقال له جبريل ثبتك الله بالقول الثابت يا محمد واخرج الترمذي من حديث ابي امامة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا قلت لا يا رب ولكن اشبع يوما واجوع يوما فاذا جعت
تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت شكرتك وحمدتك وحكمة هذا التفصيل الاستلذاذ بالخطاب
والا فالله تعالى عالم بالاشياء جملة وتفصيلا مع ما فيه من بيان تلك الحكمة لامته عليه السلام وروى الطبراني
باسناد حسن كان صلى الله عليه وسلم ذات يوم وجبريل على الصفا فقال صلى الله عليه وسلم يا جبريل والذي
بعثك بالحق ما امسى لآل محمد سفة من دقيق ولا كف من سويق فلم يكن كلامه باسرع من ان سمع هدة
من السماء افزعته فقال النبي صلى الله عليه وسلم امر الله القيامة ان تقوم قال لا ولكن اسرافيل نزل اليك
حين سمع كلامك فاتاه اسرافيل فقال ان الله قد سمع ما ذكرت فبعثني اليك بمفاتيح خزائن الارض وامرني ان
اعرض عليك اسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فان شئت نبيا ملكا وان شئت نبيا عبدا
فاومى اليه جبريل ان تواضع فقال بل نبيا عبدا ثلاثا قال صاحب المواهب عقب ايراده فانظر الى همته العلية
صلى الله عليه وسلم كيف عرضت عليه مفاتيح كنوز الارض فاباها ومعلوم انه لو اخذها لانفقها في طاعة ربه
فابى ذلك واختار العبودية المحضة فيالها من همة شريفة رفيعة ما اسناها ونفس زكية ما ابهاها وفي صحيح
البخاري عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا نائم اتيت بمفاتيح خزائن الارض فوضعت
في يدي قال الزركشي ومن هذا الحديث اخذ المعبرون ان من راى في يده مفتاحا او مفاتيح انه يملك ارضا
او عقارا انتهى قلت ورؤيته عليه السلام انه اتي بمفاتيح خزائن الارض انها عرضت عليه فلم يقبلها واخبر انها
ملكها امته بسببه عليه الصلاة والسلام ويستفيد من الحديث الذي اوردناه عن الشفا في قوله عليه السلام
قد يجمع من لا عقل له ان من يصرف همته اليها والى جمعها وعدم صرفها في مصارفها كان ممن لا عقل له
لانه اثر ما يفنى على ما يبقى قال الغزالي قسم الله العقل عشرة اجزاء فاعطى النبي صلى الله عليه وسلم تسعة اعشار
وقسم العشر الآخر بين جميع الخلق فاختار صلى الله عليه وسلم بعقله الفقر على الغنا ومن هنا ذكر الفقهاء
انه لو اوصى لاعقل الناس صرف للزهاد الذين رفضوا الدنيا ورغبوا فيما عند الله قالوا وفقر الزهاد
هو نفض اليدين من الدنيا قبضا وطلبا واسكات اللسان عنها ذما او مدحا والسلامة منها طلبا
او تركا والكلام عندهم في التفضيل بين الفقير الصابر والغني الشاكر طويل الذيل فليراجع

واكدت زهده فيها ضرورته ان الضرورة لا تعدو على العصم

واكدت عطف على محذوف اي راودته الجبال فزهد فيها واكدت زهده كما في قوله تعالى فارسلون يوسف والتأكيد
والتوكيد لغتان وذات الواو افصح لانها الاصل وانما لم يات بها الناظم لئلا يجتمع واوان وزهده مفعول
مقدم والزهد ضد الرغبة تقول زهد فيه وزهد عنه من باب سلم وعن الخليل الزهادة في الدنيا والزهد
في الدين ولهم في تعريفه اقوال شتى وفيها متعلق بزهده والضمير راجع الى الجبال من ذهب لا الى الظاهر
ولا ضرورة تدعو الى رجوعه الى الدنيا المفهومة من السياق كما ذهب اليه الزركشي وضرورته فاعل

اكدت اي شدة حاجته الى شيء منها ان الضرورة ان للتعليل واللام للعهد والجملة استئنافية عما قبلها استئنافا بيانيا
وجملة لا تعدو اي لا تغلب خبر ان في موضع رفع يقال عدى عليه غلبه وعلى العصم بكسر العين وفتح الصاد المهملة
متعلق بتعدو جمع عصمة وهو قوة من الله تعالى في عبده تمنعه عن ارتكاب شيء من المعاصي والمكروهات ويجوز ان يكون
على حذف مضاف اي على ذي العصم او من اطلاق المصدر وارادة اسم المفعول والى معنى هذا البيت وما بعده مما يتعلق

اشار قوله في الهمزية • مستقل دنياك ان ينسب الامساك منها اليه والاعطاء •

واعترض الزركشي وتبعه صاحب المواهب على الماتن بانه في مقام المدح فلا يليق منه الوصف بالزهد ولا بالضرورة
ونقل عن الحليمي في شعب الايمان انه قال من تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يوصف بما هو عند الناس من اوصاف
الضعة فلا يقال كان فقيرا وانكر بعضهم اطلاق الزهد في حقه صلى الله عليه وسلم وقد حكى صاحب نثر الدرر
عن محمد بن واسع انه قيل له فلان زاهد فقال وما قدر الدنيا حتى يحمد من يزهد فيها وقد عاد الناظم الى الصواب في اخر
القصيدة في قوله من جودك الدنيا وضرتها وكان بعض الفقهاء المتأخرين يقول لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فقيرا
من المال قط ولا حالته حال فقير بل كان اغنى الناس بالله قد كفي امر دنياه في نفسه وعياله وكان يقول في قوله عليه
السلام اللهم احيني مسكينا ان المراد به استكانة القلب لا المسكنة التي هي ان لا يجد ما يقع موقعا من كفايته وكان
يشدد النكير على من يعتقد خلاف ذلك انتهى كلام الزركشي ويقول هذا العبد الفقير ان كلام الناظم في غاية
الكمال لانه في مقام المدح كما ذكر وان من جملة المدح زهده في الدنيا واعراضه عنها بعد عرضها نفسها عليه
مع جبالها من ذهب ومراودتها له في قبولها فاراها ايما شمم مع ضرورته الداعية الى قبولها والضرورات تبيح
المحظورات فتركها في هذه الحالة من كمال المدح الذي لا يشك فيه وليس فيه وصف بضعة بوجه ما اما لو لم يكن
حصولها ممكنا له وطلبها ولم تحصل فوصف في هذه الحالة بالفقر فذلك يدل على الضعة التي يترفع مقامه عليه السلام
عنها وانظر الى ما استدل به كفره من كلام الحليمي ترى ما يرشد لك الى الجواب عما اورده في قول الحليمي من تعظيم النبي
صلى الله عليه وسلم ان لا يوصف بما هو عند الناس من اوصاف الضعة فالحكم دائر مع العلة حيث دارت وجودا وعدما
اذ لا ضاعة في حق من عرضت نفسها عليه واعرض عنها ورضي الله عن امامنا الشافعي حيث يقول

غنيت بلا مال عن الناس كلهم • وان الغنى العالي عن الشيء لا به

واستغناؤه صلى الله عليه وسلم عن الدنيا مدح عظيم بالنسبة لاستغنائه بها لان ذلك يستدعي حاجته اليها وانظر
فيما اورده صاحب المواهب في هذا المقام وتبعه عليه ابن حجر المكي في شرح الشمائل تجده مساعدا للناظم لا عليه
فانه قال وقد ذكر القاضي عياض في الشفا ونقله عنه الشيخ تقي الدين السبكي في كتابه السيف المسلول ان فقهاء
الاندلس افتوا بقتل حاتم المتفقه الطليطلي وصلبه لاستخفافه بحق النبي صلى الله عليه وسلم وتسميته اياه اثناء مناظرته
باليتيم وزعمه ان زهده لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات اكلها انتهى اذا رجع امر القتل الى الاستخفاف وزعمه
ان زهده لم يكن قصدا الخ والناظم رحمه الله تعالى ورفع في اوج المعالي مقاله ومقامه ذكر انه صلى الله عليه وسلم
راودته الجبال الشم من ذهب • عن نفسه فاراها ايما شمم • واكدت زهده فيها ضرورته • ان الضرورة لا تعدو
على العصم • فانظر الى المباينة بين الكلامين والفرق الظاهر بين المقامين ومما يؤيد ما ذكرناه ان صاحب

الشفا عقد فصلا ولا بأس بذكره اذ هو مناسب لما نحن فيه فيما يختلف الحالات في التمدح به والتفاخر بسببه والتفضيل
لاجل كثرة المال فصاحبه على الجملة معظم عند العامة لاعتقادهم توصله به الى حاجاته وتمكن اغراضه بسببه والا فليس
فضيلة في نفسه فمتى كان المال بهذه الصورة وصاحبه منفقا له في مهماته ومهمات من اعتراه وصرفه في مواضعه مشتريا به
المعالي والثناء الحسن والمنزلة من القلوب كان فضيلة في حق صاحبه عند اهل الدنيا واذا صرفه في وجوه البر وانفقه
في سبيل الخير وقصد بذلك الله تعالى والدار الآخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه ممسكا له غير موجهه
وجوهه حريصا على جمعه ولم يقف به حد التسلامة بل اوقعه في التمدح بالمال وفضيلته عند متفضليه ليست لنفسه
وانما هو للتوصل به الى غيره وتصريفه في متصرفاته بجامعه اذا لم يضعه مواضعه ولا وجهه وجوهه غير ملي بالحقيقة ولا غني
بالمعنى ولا متمدح عند احد من العقلاء بل هو فقير ابدا غير واصل الى غرض من اغراضه اذ ما بيده من المال الموصل اليها
لم يسلط عليه فاشبه خازن مال غيره ولا مال له فكانه ليس في يده منه شيء والمنفق ملي غني بتحصيله فوائد المال وان لم يبق
في يده من المال شيء فانظر سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم وخلقه في المال تجده قد اوتي خزائن الارض ومفاتيح البلاد
واحلت له الغنائم ولم تحل لنبي قبله وفتح عليه في حياته صلى الله عليه وسلم بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب
وما دانى ذلك من الشام والعراق وجلب اليه من اخماسها وجزيتها وصدقاتها ما لا يجبى ولا يجمع للملوك الا بعضه وهادته
جماعة من ملوك الاقاليم فما استاثر بشيء منه ولا امسك منه درهما بل صرفه مصارفه واغنى به غيره وقوى به المسلمين
وقال عليه السلام ما يسرني ان لي احدا ذهبا يبيت عندي منه دينار الا دينارا ارصده لدين واتته دنانير فقسمها
وبقيت منها بقية فدفعها لبعض نسائه فلم يأخذه نوم حتى قام فقسمها وقال الآن استرحت ومات صلى الله
عليه وسلم ودرعه مرهونة في نفقة عياله واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعو ضرورته اليه وزهده
فيما سواه فكان يلبس ما وجده فيلبس في الغالب الشملة والكساء الخشن والبرد الغليظ ويقسم على من حضره
اقبية الديباج المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضر اذ المباهاة في الملابس والتزين بها ليست من خصال الشرف
والجلالة وانما هي من سمات النساء والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط في جنسه وكون لبس مثله غير مسقط لمروءة
جنسه مما لا يؤدي الى الشهرة في الطرفين وقد ذم الشرع ذلك وغاية الفخر فيه عند الناس انما يعود الى الفخر بكثرة
الموجود ووفور الحال وكذلك التباهي بجودة المسكن وسعة المنزل وتكثير الاته وخدمه ومركوباته ومن ملك
الارض وجبي اليه ما فيها فترك ذلك زهدا وتنزها فهو حائز الفضيلة المالية ومالك للفخر بهذه الخصلة اذا كانت فضيلة
زائدة في الفخر ومعرقة في المدح باضرابه عنها وزهده في فانيها وبذلها في مظانها انتهى وعقد فصله في زهده في الدنيا
صلى الله عليه وسلم واورد فيه احاديث وقال فيه وحسبك من تقلله منها واعراضه عن زهرتها وقد سيقت اليه بحذافيرها
وترادفت عليه فتوحاتها ان توفي ودرعه صلى الله عليه وسلم مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وروى في آخر
هذا الفصل عن عائشة رضي الله عنها انها قالت لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط ولم يبث
شكوى الى احد وكانت الفاقة احب اليه من الغنى وان كان ليظل يلتوي طول ليلة من الجوع فلا يمنعه صيام
يومه ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت ابكي رحمة له مما ارى به وامسح
بيدي على بطنه مما به من الجوع واقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول يا عائشة ما لي

وللدنيا

وللدنيا اخواني من اولي العزم من الرسل صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم
مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني استحيي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي غدا دونهم وما من شيء هو احب
الي من اللحوق باخواني واخلائي قالت فما اقام بعد الا شهرا حتى توفي صلوات الله وسلامه ورحمة الائمة
عليه وما احسن ابن العماد حيث قال هنا في شرح هذا البيت وانما ذكره بيانا وتعليلا لعظم مرتبته صلى الله عليه وسلم
لانه ترك الدنيا مع حاجته اليها وغيرها لا يتركها وان لم يكن محتاجا وذكر ذلك لبيان ان من تركها وهو غير محتاج
اليها استحق المدح فمن تركها مع الحاجة اليها بعد ان عرضت نفسها عليه وراودته اولى بان يستحق المدح ويثبت له اسم الزهد التام

وكيف تدعو الى الدنيا ضرورة من • لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

كيف اسم استفهام انكاري بمعنى النفي والاستبعاد في محل رفع على الابتداء وتدعو خبره اي تطلب وتحث قال تعالى حكاية
عن يوسف عليه السلام رب السجن احب الي مما يدعونني اليه والى الدنيا متعلق بتدعو تانيث الادنى صفة لمحذوف
اي الدار الدنيا وهي من الصفات الغالبة لها لا خبره مشتقة من الدنو لقربها من الآخرة او من الدناءة لدناءتها
بالنسبة الى الآخرة تستعمل تارة بهذا المعنى وهو الاصل وتارة بمعنى المال والغنى وقد كررها في البيت فيحتمل انها
بالمعنيين الاول للثاني والثاني للاول ولا ينافيه ان المعرفة اذا اعيدت معرفة كانت عين الاول لانها قاعدة
اغلبية لا كلية ويجوز حملها في الموضعين على معناها الاصلي وضرورة فاعل تدعو ومن اسم موصول في محل خفض
بالاضافة ولا يخفى ما فيه من التفخيم ولولا اداة يقع بعدها مضمر يجوز اتصاله وانفصاله والافصح الانفصال
قال تعالى لولا انتم لكنا مؤمنين وشاهد الاتصال قول الشاعر

اومت بعينها من الهودج • لولاك في ذا العام لم احجج

وبيت الناظم من الاتصال ومحله الجر عند سيبويه والرفع عند الكوفيين واستعير ضمير المرفوع للمجرور اختصارا
كما استعير المرفوع للمجرور في قولهم ما انا كانت ولم تخرج بالبناء للمفعول والدنيا نائب الفاعل من العدم
متعلق بتخرج والعدم بفتح وسكون ضد الوجود والمعنى الضرورة لا تدعو سيد المعصومين المتميز عليهم
بالصفات الكاملة الى زخرف الدنيا لان الدنيا بما فيها ما برزت الا لاجله فكيف يضطر اليها ومن اجله خلقت واخرجت
من العدم الى الوجود وهذا البيت ماخوذ من حديث رواه الحاكم والبيهقي لما اقترف آدم الخطيئة وكان
قد رأى على قوائم العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله سأل الله بحق محمد ان يغفر له فقال الله تعالى اذ
سألتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك وروى الحاكم في مستدركه عن ابن عباس قال اوحى الله الى
عيسى بن مريم يا عيسى آمن بمحمد ومر من ادركه من امتك ان يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولولا محمد
ما خلقت الجنة والنار وصحح اسناده وآدم ابو البشر وقد خلق الله لهم ما في الارض جميعا وسخر لهم الشمس والقمر
والليل والنهار وغير ذلك وخلق لهم ما في الارض جميعا وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب اسألك بحق محمد لما غفرت لي فقال الله يا آدم وكيف عرفت
محمدا ولم اخلقه قال لانك يا رب لما خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش
مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انك لم تضف الى اسمك الا احب الخلق اليك فقال الله تعالى

صدقت يا ادم انه لاحب الخلق الي واذ سالتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك رواه البيهقي في دلائله
من حديث عبد الرحمن بن زيد بن اسلم وقال تفرد به عبد الرحمن ورواه الحاكم وصححه وذكره الطبراني وزاد فيه
وهو اخر الانبياء من ذريتك وفي حديث سلمان عند ابن عساكر قال هبط جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم
فقال ان ربك يقول ان كنت اتخذت ابراهيم خليلا فقد اتخذتك حبيبا وما خلقت خلقا اكرم علي منك
ولقد خلقت الدنيا واهلها لاعرفهم كرامتك ومنزلتك عندي ولولاك ما خلقت الدنيا وفي البيت رد العجز
على الصدر وعلى التكرير في الدنيا

محمد سيد الكونين والثقلين • والفريقين من عرب ومن عجم

محمد مرفوع خبر مبتداء مقدر قبله اي الممدوح محمد واعربه شارح بدلا من فاعل او مبتداء وسيد خبره او
منصوب بفعل مقدر قبله اي امدح محمدا وهما على القطع وحكمة القطع التنبيه على تعظيم الموصوف والاشادة
الى انه عدل به عن الاصل لذلك ويجوز فيه ان يكون بدلا من من او عطف بيان له ومحمد هو نبينا صلى الله عليه وسلم
خاتم الانبيا وسيد الاصفيا ونبي الانبياء والمرسلين افضل المخلوقين على الاطلاق وهو علم منقول من اسم مفعول
المضعف موضوع لمن كثرت خصاله الحميدة سمي به نبينا صلى الله عليه وسلم بالهام من الله لجده عبد المطلب
بذلك ليكون على وفق تسميته تعالى به قبل الخلق بالفي عام على ما ورد عن ابي نعيم عن انس بن مالك في مناجات
موسى على نبينا وعليه وعلى جميع الانبياء والمرسلين افضل الصلوة والسلام وروى ابن عساكر عن كعب الاحبار
ان ادم راى اسمه محمدا على ساق العرش وهو بين الروح والطين وانه لم ير في السماء موضعا الا وهو مكتوب
عليه وكذا على كل قصر وغرفة في الجنة ونحور الحور العين وعلى ورق شجرة طوبى وسدرة المنتهى واطراف
الحجب وبين اعين الملائكة وليطابق اسمه صفته ومن ثم قيل له لم سميت ابنك محمدا وليس لاحد من ابائك
وقومك قال رجوت ان يحمده اهل الارض كلهم وفي رواية اردت ان يحمده الله في السماء ويحمده الناس في الارض
وقد حقق الله رجاه وسبب ذلك لرؤيا كان راها عبد المطلب وذكر حديثها علي القيرواني العابد في كتاب
البستان قال كان عبد المطلب قد راى في منامه كان سلسلة من فضة قد خرجت من ظهره لها طرف في السماء
وطرف بالمشرق وطرف بالمغرب ثم عادت كانها شجرة على كل ورقة منها نور فاهل المشرق والمغرب كلهم
يتعلقون بها فقصها فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه اهل المشرق والمغرب ويحمده اهل السماء والارض
فلذلك سماه محمدا مع ما حدثته به امه حين قيل لها انك قد حملت بسيد هذه الامة فاذا وضعتيه فسميه محمدا الحديث
وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما عرج بي الى السماء ما مررت بسماء الا وجدت اسمي
عليها مكتوبا محمد رسول الله وابو بكر من خلفي ووجد على الحجارة القديمة مكتوب محمد تقي مصلح
امين ذكره في الشفا وذكر في الشفا انه شوهد في بعض بلاد خراسان مولود وله على احد جنبيه مكتوب لا اله
الا الله وعلى الاخر محمد رسول الله وببلاد الهند ورد احمر مكتوب عليه بالابيض لا اله الا الله محمد رسول الله
وذكر العلامة ابن مرزوق عند عبد الله بن صوحان قال عصفت بنا ريح ونحن في لجج بحر الهند فارسينا في جزيرة
فراينا فيها وردا احمر زكي الرائحة طيب النسيم وفيه مكتوب بالابيض لا اله الا الله محمد رسول الله وورد ابيض

مكتوب عليه

مكتوب عليه بالاصفر براءة من الرحمن الرحيم لجنات النعيم لا اله الا الله محمد رسول الله وفي تاريخ ابن العديم عن ابن
عبد الله الهاشمي الرقي انه وجد ببعض قرى الهند وردة كبيرة طيبة الرائحة سوداء عليها مكتوب بخط ابيض لا اله الا الله
محمد رسول الله ابو بكر الصديق عمر الفاروق قال فشككت ذلك وقلت انه معمول فعمدت الى ورقة لم تفتح فكان فيها
مثل ذلك وفي البلاد منه شيء كثير واهل تلك القرية يعبدون الحجارة لا يعرفون الله تعالى وقال ابو عبد الله بن مالك
دخلت بلاد الهند فسرت الى مدينة يقال لها عمله فرايت شجرة كبيرة تحمل ثمرا كاللوز له قشر فاذا كسرت ثمرته
خرج منها ورقة خضراء مطوية مكتوب عليها بالحمرة لا اله الا الله محمد رسول الله واهل الهند يتبركون بها
ويستسقون بها اذا منع الغيث حكاه القاضي ابو البقاء ابن الضياء في منسكه وفي كتاب روض الرياحين
لليافعي عن بعضهم انه وجد ببلاد الهند شجرة تحمل ثمرا كاللوز له قشران اذا كسر يخرج منه ورقة خضراء طرية مكتوب
فيها بالحمرة لا اله الا الله محمد رسول الله كتابة جلية وهم يتبركون بها قال فحدثت بذلك ابا يعقوب الصياد فقال
ما استعظم هذا كنت اصطاد على نهر الابلة فاصطدت سمكة على جنبها الايمن لا اله الا الله وعلى جنبها الايسر
محمد رسول الله فلما رايتها قذفتها في الماء احتراما لها ونقل صاحب المواهب عن ابن مرزوق في شرحه لهذه
القصيدة ولم اقف عليه وانا في شوق اليه انه اتي بسمكة فراى في احدى شحمتي اذنيها لا اله الا الله وفي الاخرى
محمد رسول الله ونقل ابن ظفر في كتابه النطق المفهوم عن بعضهم انه راى في جزيرة عظيمة لها ورق كبير طيب
الرائحة مكتوب فيه بالحمرة والبياض في الخضرة كتابة بينة واضحة خلقت ابدعها الله تعالى بقدرته في الورقة
ثلاثة اسطر الاول لا اله الا الله والثاني محمد رسول الله والثالث ان الدين عند الله الاسلام ثم اعلم ان الله
سبحانه وتعالى اشتق له اسمين من اسمه الحميد المحمود ليشرفه بذلك ويعلم الخلق بتعظيمه لا وهما محمد واحمد الذين هما
اشهر اسمائه عليه الصلوة والسلام والى ذلك اشار حسان بن ثابت حيث يقول

اغر عليه للنبوة خاتم • من الله من نور يلوح ويشهد
وضم الاله اسم النبي الى اسمه • اذ قال في الخمس المؤذن اشهد
وشق له من اسمه ليجله • فذو العرش محمود وهذا محمد

واخرج البخاري في تاريخه الصغير من طريق علي بن ابي زيد قال كان ابو طالب يقول

وشق له من اسمه ليجله • فذو العرش محمود وهذا محمد

ورواه البيهقي في دلائل النبوة عن عمه ابي طالب وقال لي عجلة انه توارد واقوله عليه فهو من قبيل التوارد او الابداع
فليتامل وفي هذين الاسمين الشريفين اشارة شريفة الى تعاقبهما وابنائهما عن الحمد المبني عن كل كمال في ذاته
والراجع اليه سائر اوصافه وهما احمد المبنية صيغته على افعل المبنية عن الانتهاء الى غاية التفضيل التي ليس وراءها
منتهى ومحمد المبنية صيغته على التفعيل المبنية عن التضعيف والتكثير الى عدد لا ينتهي له الاحصاء ولا يبلغه
الاستقصاء المشعر ان يحمده الله ويحمده الناس له في كل مقام ومقال وعلى كل وصف وحال قال السهيلي في الروض
الانف محمد منقول من الصفة فالمحمد في اللغة هو الذي يحمد حمدا بعد حمد ولا يكون مفعل مثل مضرب وممدح الا
لمن تكرر منه الفعل مرة بعد مرة واما احمد وهو اسمه صلى الله عليه وسلم الذي سمي به على لسان عيسى وموسى

فانه منقول ايضا من الصفة التى معناها التفضيل فمعنى احمد احمد الحامدين لربه وكذلك هو فى المعنى لانه يفتح
عليه فى المقام المحمود بمحامد لم يفتح على احد قبله فيحمد ربه بها ولذلك يعقد له لواء الحمد واما محمد فمنقول من صفة
ايضا وهو فى معنى محمود ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار فالمحمد هو الذى يحمد مرة بعد مرة كما ان المكرم من اكرم
مرة بعد مرة وكذلك الممدح ونحو ذلك واسم محمد مطابق لمعناه والله تعالى سماه به من قبل ان يسمى به نفسه فهذا
من اعلام نبوته اذ كان اسمه صادقا عليه فهو محمود عليه السلام فى الدنيا بما هدى اليه ونفع به من العلم والحكمة
وهو محمود بالاخرة بالشفاعة فقد تكرر معنى الحمد كما يقتضى اللفظ ثم انه لم يكن محمدا حتى كان احمد حمد ربه
فنباه وشرفه فلذلك تقدم اسمه احمد على الاسم الذى هو محمد فذكره عيسى صلى الله عليه وسلم فقال اسمه احمد وذكره
موسى حين قال له ربه تلك امة احمد فقال اللهم اجعلنى من امة احمد فباحمد ذكر قبل ان يذكر بمحمد لان حمده لربه
كان قبل حمد الناس له فلما وجد وبعث كان محمدا بالفعل وكذلك فى الشفاعة يحمد ربه بالمحامد التى يفتحها
عليه فيكون احمد الناس لربه ثم يشفع فيحمد على شفاعته فانظر كيف ترتب هذا الاسم قبل الاسم الاخر فى الذكر
وفى الوجود وفى الدنيا وفى الاخرة تلح لك الحكمة الالهية فى تخصيصه بهذين الاسمين وانظر كيف انزلت
عليه سورة الحمد وخص بها دون سائر الانبياء وخص بلواء الحمد وخص بالمقام المحمود وانظر كيف شرع لنا
سنة وقرانا ان نقول عند اختتام الافعال وانقضاء الامور الحمد لله رب العالمين وقال سبحانه وقضى بينهم
بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين وقال ايضا واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين ففيه ان الحمد مشروع لنا
عند انقضاء الامور وسن عليه السلام الحمد بعد الاكل والشرب وقال عند انقضاء السفر ايبون تائبون
لربنا حامدون ثم انظر لكونه خاتم الانبياء ومؤذنا بانقضاء الدنيا وارتفاع الوحى ونذيرا بقرب الساعة
وتمام الدنيا ان الحمد كما قدمنا مقرون بانقضاء الامور مشروع عنده تجد معانى اسمه جميعا وما خص به
من الحمد والمحامد مشاكلا لمعناه مطابقا لصفته وفى ذلك برهان عظيم وعلم واضح على نبوته وتخصيص الله
له بكرامته وانه قدم له هذه المقدمات قبل وجوده تكرمة له وتصديقا لامره صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم
وقال القاضى العياض كان عليه السلام احمد قبل ان يكون محمدا كما وقع فى الوجود لان تسميته احمد وقعت
فى الكتب السالفة وتسميته محمدا وقعت فى القران وذلك انه حمد ربه قبل ان يحمده الناس انتهى وهو موافق
كلام السهيلى وذكره فى فتح البارى واقره عليه وهو يقتضى سبقية احمد خلافا لما ادعاه ابن القيم ولا
يعكر على هذا ما قدمناه من حديث ابى نعيم انه سمى محمد قبل الخلق بالفى عام لان المراد السبق الوجودى
الذى اطلع عليه الناس لا السبق مطلقا فليتامل وذكر ابن القيم فى اسمه احمد انه قيل فيه انه بمعنى مفعول ويكون
التقدير احمد الناس اى احق الناس واولاهم ان يحمد فيكون محمدا فى المعنى لكن الفرق بينهما ان محمدا هو الكثير
الخصال التى يحمد عليها واحمد هو الذى يحمد افضل مما يحمد غيره فمحمد فى الكثرة والكمية واحمد فى الصفة والكيفية
فيستحق من الحمد اكثر مما يستحق غيره اى افضل حمد حمده البشر فالاسمان واقعان على المفعول قال
وهذا ابلغ فى مدحه واكمل معنى ولو اريد معنى الفاعل لسمى الحماد اى كثير الحمد فانه صلى الله عليه وسلم كان اكثر
الناس حمدا لربه فلو كان اسمه احمد باعتبار حمده لربه لكان الاولى به الحماد كما سميت بذلك امته وايضا فان

هذين

هذين الاسمين انما اشتقا من اخلاقه وخصاله المحمودة التى لاجلها استحق ان يسمى محمدا واحمد واجاب
البغوى والواحدى كونه من الفاعل ومن المفعول اى انه اكثر حمدا من الانبياء وانه محمود اكثر منهم لما فيه
به من الاخلاق السنية والمحاسن البهية وما قدمناه من كلام السهيلى والقاضى عياض اظهر مما ذكره
ابن القيم وغيره ويرد ما ذكروه من وجهين احدهما شذوذ بناء افعل التفضيل لما هو مفعول اسمى فاعله
او لم يسم والثانى ان اسناد الحمد لاحمد على سبيل المجاز كعيشة راضية والاصل الحقيقة قال ابن قتيبة ومن اعلام
نبوته صلى الله عليه وسلم انه لم يسم قبله احد باسمه محمد صيانة من الله تعالى لهذا الاسم كما فعل بيحيى اذ لم يجعل
له من قبل سميا وذلك انه تعالى سماه به فى الكتب المتقدمة وبشر به الانبياء فلو جعل اسمه مشتركا فيه لوقعت
الشبهة الا انه لما قرب زمنه وبشر اهل الكتاب بقربه سمى قوم اولادهم بذلك رجاء ان يكون هو هو والله
اعلم حيث يجعل رسالته وقال القاضى عياض فى الشفاء ان الله حمى اسمه ان يسمى به احد قبل زمانه اما احمد
الذى اتى فى الكتاب وبشرت به الانبياء فمنع الله تعالى بحكمته ان يسمى به احد غيره ولا يدعى به مدعو قبله
حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب او شك وكذلك محمد لم يسم به احد من العرب ولا غيرهم الى ان شاع
قبيل وجوده عليه الصلوة والسلام وميلاده ان نبيا يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب ابناءهم
بذلك رجاء ان يكون احدهم والله اعلم حيث يجعل رسالاته وذكرهم ستة لا سابع لهم ثم قال ثم حمى الله
كل من تسمى به ان يدعى النبوة او يدعيها احد له او يظهر عليه سبب يشكك احد فى امره حتى تحققت السمتان
له صلى الله عليه وسلم ولم ينازع فيهما وذكر ابو عبد الله بن خالويه فى كتاب ليس انهم ثلاثة وكذلك
السهيلى فى الروض الانف فانه قال لا يعرف فى العرب من تسمى قبله صلى الله عليه وسلم الا ثلاثة طمع اباؤهم
حين سمعوا بذكر محمد صلى الله عليه وسلم وبقرب زمانه وانه يبعث فى الحجاز ان يكون ولدا لهم ونقله عن ابن
فورك فى كتاب الفصول قال وهم محمد بن سفيان بن مجاشع جد جد الفرزدق الشاعر والاخر محمد بن احيحة
ابن الجلاح الاوسى والاخر محمد بن حمران بن ربيعة وكان اباء هؤلاء الثلاثة قد وفدوا على بعض الملوك
وكان عنده علم بالكتاب الاول فاخبرهم بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم وباسمه وكان كل واحد منهم
قد خلف امراته حاملا فنذر كل واحد منهم ان ولد له ذكر يسميه محمدا ففعلوا ذلك انتهى قال شيخ الاسلام
الحافظ ابو الفضل بن حجر وهو حصر مردود والعجب ان السهيلى متاخر الطبقة عن عياض ولعله لم يقف على كلامه
قال وقد جمعت اسماء من تسمى بذلك فى جزء مفرد فبلغوا نحو العشرين لكن مع تكرر فى بعضهم ثم سماهم
وذكرهم واحدا واحدا ووهم فى بعض فيتخلص منهم خمسة عشر نفسا ثم قال ولم يدرك الاسلام الا الاول
وفى سياق خبره ما يشعر بذلك والا الرابع فهو صحابى جزما والاول الذى ذكره وهو اشهرهم محمد بن عدى بن
ربيعة وخبره انه سال والده عدى بن ربيعة فقال له كيف سميتنى فى الجاهلية محمدا فقال خرجت رابع اربعة
اشرف انا وسفيان بن مجاشع ويزيد بن عمرو بن ربيعة واسامة بن مالك بن خندف فلما وردنا الشام علينا ديرانى
فقال اما انه سيبعث فيكم نبى فسارعوا اليه وخذوا بحظكم منه ترشدوا فانه خاتم النبيين فقلنا ما اسمه
قال محمد فلما صرنا الى اهلنا ولد لكل واحد منا غلام فسماه محمدا واما الرابع وهو محمد بن البراء بن طريف البكرى

ممن ذكرهم في الشفا ولم يذكره السهيلي ثم قال ابن حجر وفيمن ذكره عياض محمد بن سلمة الانصاري وليس ذكره
بجيد فانه ولد بعد النبي صلى الله عليه وسلم بازيد من عشرين سنة لكنه قد ذكر تلو كلامه المتقدم محمد بن احيحة الماضي
فصار من عنده ستة لا سابع لهم انتهى ثم اختلفوا في عدد اسمائه عليه الصلوة والسلام فروى الشيخان حديث محمد بن
جبير بن مطعم عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لي اسما انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله
بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب وفي رواية ان لي خمسة اسما اختص بها لم يسم بها الكفر
احد قبلي او مشهورة في الامم الماضية فالحصر اضافي لا حقيقي لورود الروايات بالزيادة على ذلك وقد تعرض
جماعة لتعدادها وبلغوا بها عددا مخصوصا فمنهم من بلغها تسعة وتسعين موافقة لعدد اسماء الله الحسنى
الواردة في الحديث قال القاضي عياض وقد خصه الله تعالى بان سماه من اسمائه بنحو ثلاثين اسما وذكرها في الشفا
وقال ابن دحية في كتابه المستوفى اذا فحص عن جملتها من الكتب المتقدمة والقران والحديث وفي الثلثمائة
انتهى ونقل القاضي ابو بكر بن العربي في كتاب احكام القران عن بعض الصوفية ان الله تعالى الف اسم وللنبي صلى
الله عليه وسلم الف اسم انتهى ونقله غيره ايضا قال صاحب المواهب وتبعه ابن حجر المكي في شرح الشمائل والمراد
الاوصاف فكل الاسما التي وردت اوصاف مدح واذا كانت كذلك فله صلى الله عليه وسلم من كل وصف اسم
ثم ان منها ما هو مختص به او الغالب عليه ومنها ما هو مشترك واذا جعلنا له من كل وصف من اوصافه اسما
بلغت اوصافه ما ذكر بل اكثر قال صاحب المواهب والذي رايته في كلام شيخنا في القول البديع والقاضي عياض
في الشفاء وابن العربي في القبس والاحكام له وابن سيد الناس وغيرهم يزيد على اربعمائة وقد سردها مرتبة
على حروف المعجم فليراجع من المواهب ثم ان في اسمه صلى الله عليه وسلم محمد اخصايص منها كونه على اربعة احرف ليوافق
اسم الله تعالى اسم محمد ومنها انه قيل ان مما اكرم به الادمي ان كان تصوير ته على شكل هذا اللفظ فالميم الاولى راسه
والحا جناحاه والميم الثانية سرته والدال رجلاه وقيل ولا يدخل النار ممن يدخلها اعاذنا الله منها الا ممسوخ
الصورة اكراما لصورة اللفظ وذكر اهل الخواص له خصائص عديدة مفيدة في محلها واما كنيته صلى الله عليه وسلم
فابو القاسم وقد ورد النهي عن التكني بها وصرحوا بتحريم ذلك فقيل مطلقا وقيل في زمنه صلى الله عليه وسلم فقط
وقيل لمن اسمه محمد سيد الكونين نعت للمرفوع او المجرور على الوجهين والسيد من ساد قومه من باب كتب
اذا علاهم فضلا وشرفا واوي العين واصله سيود اجتمعت الواو والياء والسابق منهما ساكن قلبت الواو ياء
وادغمت الياء في الياء وجمع ساده قال ابن سيده عندي ان ساده جمع سائد انتهى ونقول هو سيد قومه اذا اردت
الحال فاذا اردت الاستقبال قلت فيه سائد قومه وسيد قومه بالتنوين ويقال في المؤنثة سيدة وقول
الناس ست ليس من كلام العرب بل هو مولد ما اظرف البهاء زهير حيث يقول

بنفسي من اسميها بستي • فتنظرني النحاة بعين مقت
يرون بانني قد قلت لحنا • وكيف وانني لزهير وقتي
ولكن غادة ملكت جهاتي • فلا عجب اذا ما قلت ستي

قال رجل لعمر رضي الله عنه من السيد قال الجواد حين يسال الحليم حين يستجهل الكريم المجالسة لمن جالسه الحسن

الخلق

الخلق لمن جاوره وقيل هو الذي تفرق قومه ويفزع اليه في الشدائد قيل لبعض العرب ما السودد قال اصطناع العشيرة
وحمل الجريرة واسباب السودد سبعة العقل والحلم والصيانة واداء الامانة والصدق والعلم والسخا واضيف الى ذلك
الصبر والتواضع والعفاف تلك عشرة كاملة لمحاسن الشيم شاملة والاسباب المانعة من السيادة سبعة وهي الجهالة
والبخل والزنا والظلم والحمق والفقر والكذب والمفهوم من كلامهم ان الانسان قد يسود قومه بالصفات
المحمودة وان لم يكن من بيت سيادة قال رجل للقمان ثم سدت قومك ولست من خيارهم نسبا قال عفوت عن دني
عن مسيئهم وكافات محسنهم وشيعت ميتهم وعدت مريضهم فمن فعل فعلي يا ابن اخي فقد ساواني ومن زاد علي فقد سادني
وقول القائل
نفس عصام سودت عصاما • وعلمته الحرب والاقداما
وقال عامر ابن الطفيل
فما سودتني عامر عن كلالة • ابى الله ان اسمو بام ولا اب
ولكنني احمي حماها واتقي • اذاها وارمي من رماها بمقنب
وفي ذلك اشارة الى ان الانسان انما يسود بنفسه فان كان من بيت السيادة وجرى على مقتضاها وسنن ابائه
الكرام كان زيادة في سيادته والا لم يكن نقصا من سيادته هذا ما يليق بالصفات واما ما هو من صفات الذات
فالعرب تقول من نعت السيدان يكون حليما ضخم الهامة جهير الصوت اذا خطا ابعد واذا تكلم ملا العين
مهابة لان حقه ان يكون في صدر مجلس او ذروة منبر او منفردا في موكب يقولون في نعته بملاء العين جمالا والسمع مقالا
وقال دعبل
واذا جالسته صدرته • وتنحيت له في الحاشية
واذا سايرته قدمته • وتاخرت مع المستانية
واذا سايرته صادفته • شرس الراي ابقاداهية
فاحمد الله على صحبته • وسل الرحمن منه العافية
ومثله قول الفرزدق بقلب راسا لم يكن راس سيد • وعينا له حولا بادعيوبها هذا هو الذي ينبغي ان يكون من حال السيد
في ذاته وقد يكون على خلاف ذلك فيها فالمعتبر الصفات المحمودة وقد انصف المقال عمرو بن عبيد حيث يقول
ونلقى الفتى ضخما جميلا رواؤه • يروقك في البادي وليس له عقل
واخر تنبو العين عنه مهذب • يجود اذا ما الضخم نهنهه البخل
وهذا المعنى مشهور بين اهل الادب ثم اعلم انهم جوزوا اطلاق السيد على الله تعالى لانه جاء النبي صلى الله عليه وسلم
ذكره الامام البيهقي في كتاب الاسما والصفات عن مطرف بن الشخير قال قال ابي انطلقت في وفد لبني عامر الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقلت انت سيدنا فقال السيد الله قال الحليمي ومعناه المحتاج اليه بالاطلاق فان سيد
الناس انما هو راسهم الذي يرجعون اليه وبامره يعملون وعن رايه يصدرون ومن قوله يستمدون فاذا كانت الملائكة
والانس والجن خلقا للباري جل ثناؤه ولم يكن بهم غنية عنه في بدء امرهم وهو الوجود اذ لو لم يوجدهم
لم يوجدوا ولا في الابقا بعد الايجاد ولا في العوارض العارضة اثناء البقا كان حقا له جل ثناه ان يكون سيدا
وكان حقا عليهم ان يدعوه بهذا الاسم انتهى قال السهيلي والذي اقول في السيد انه يعتبر بالاضافة لانه

في اصل الوضع بعض ما يضاف اليه تقول فلان سيد قيس اذ كان منهم ولا تقول في قيسي هو سيد بني تميم فلذلك
لا يقال الله سيد الناس ولا الملائكة وانما يقال ربهم فاذا قلت سيد الارباب وسيد الاكرمين جاز لان معناه اعظم
الارباب واكرم الاكرمين وقد منع ان يشتق له من السودد ولا يحتج في قول حسان رضي الله عنه يرثي رسول الله صلى الله عليه وسلم
في جنة الفردوس فاكتبها لنا • يا ذا الجلال وذا العلا والسودد
لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يسمعها فيقرها هذا ملخص كلام السهيلي ونظر فيه بان الخلفاء الراشدين واصحابه
المهتدين سمعوها واقروها ولم ينقل الينا ان احدا انكرها عليه انتهى وما قرره السهيلي اولا مبني على ان سيدا
في الاصل اسم تفضيل فيكون من جنس المفضل عليه مع زيادة ويأتي لهذا زيادة تفصيل والكونين بالياء مخفوضا
على الاضافة تثنية كونين وجمعه اكوان اي الوجودين وجود الدنيا ووجود الاخرة والظاهر نسبته الى كن لان الله
كونه بقوله كن والمراد الموجودون فيهما اي سيد اهلهما من اطلاق المصدر وارادة المفعول فيعم الملائكة كما سيأتي
ان شاء الله تعالى وعدوا من اسمائه صلى الله عليه وسلم سيد الكونين والثقلين هما الانس والجن سميا بذلك
اما لثقلهما على الارض احياء وامواتا او لرزانة رأيهما على ساير الحيوانات او لانهما يثقلان بالتكليف والفريقين
تثنية فريق وهم الجماعة الكثيرون من الناس المتجاوزون جانبا عن غيرهم مبالغة في الفرقة واصله من الافتراق
ولذلك قيل هو ضد الرفيق كان الناس كانوا رفقة واحدة فلما افترقوا فرقا سميت كل فرقة بكثرة فريقا قيل
والمقصود بالتثنية هنا التكثير كما في قوله تعالى فارجع البصر كرتين ويأباه ما بعده من قوله من عرب ومن عجم
بضم فسكون في الاول وبفتحتين في الثاني مع جواز كل في كل قال في الصحاح العرب جيل من الناس والنسبة اليهم
عربي بين العروبة وهم اهل الامصار والاعراب منهم سكان البادية خاصة وجاء في الشعر الفصيح الاعارب
والنسبة الى الاعراب اعرابي اذ لا واحد له وليس الاعراب جمعا للعرب كما كان الانباط جمعا لنبط وانما العرب
اسم جنس والعرب العاربة هم الخلص منهم واخذ من لفظه فاكد به كقولهم ليل لائل وربما قالوا العرب العرباء والعرب
المستعربة هم الذين ليسوا بخلص وكذلك المتعربة والعربية هي هذه اللغة ويعرب بن قحطان اول من تكلم بالعربية
وهو ابو اليمن كلهم والعريب تصغير العرب قال ابو الهندي • ومكن الضباب طعام العريب • ولا تشتهيه نفوس
العجم • انما صغرهم تعظيما لهم كما قال انا جذيلها المحكك • وعذيقها المرجب • والعجم ما عدا العرب
من اي جنس كانوا سئل البديع الهمداني ايما اشرف العرب او العجم فقال العرب احلى واحلم واعلى واعلم واقوى
واقوم وانكى وانكر واذكى واذكر واعطى واعطف واحصى واخصف وابلى وابلغ واسمى واسمح واثرى
للنجار واشرف وانفى للعار وانف سأل كسرى الحارث بن كلدة لما وفد عليه ما الذي تحمد من اخلاق العرب وتحفظ
من مذاهبهم فقال الحارث لهم انفس سخية وقلوب جرية وعقول صحيحة وانساب صريحة تمرق الكلام
من افواههم مروق السهم من الرمية اعذب من الماء وارق من الهوا يطعمون الطعام ويضربون الهام عزهم
لا يرام وجارهم لا يضام ولا يروع اذا نام قلت والعرب سباق حلبة البيان يعترف لهم بذلك فصحاء
كل زمان قال بعضهم نحن امراء الكلام فينا وشجت عروقه وعلينا تهدلت غصونه فنحن نجني منها
ما احلولى وعذب ونترك ما املولح وخبث وقال الجاحظ ليس في الارض كلام هو امتع ولا انفع ولا انق

في الاسماع

في الاسماع ولا افتق للسان ولا اجود تقويما للبيان من كلام الاعراب الفصحاء العقلاء فمن شوارد الفاظهم البارعة
الفايقة • وبدايع معانيهم الرائعة الرايقة ما حكي ان اعرابيا قال عندي ضجرة في طلب الرزق والله لقد تقلبت
في الاسباب وقرعت جميع الابواب واضطربت غاية الاضطراب وسافرت حتى بلغت منقطع التراب وحتى رضيت
من الغنيمة بالاياب فرأيت الحرمان الا رابضا والبخت الا غائضا واقول لو لم يكن لهم من الفخار العظيم والفضل
الجسيم الذي لا يدرك ولا يتناهى ولا يعد ولا يماثله احد يتباهى الا الشرف برسول الله صلى الله عليه وسلم
وبالقرآن العظيم لكفى ذلك وانه والله الفخر الذي لا يرام والشرف العالي على النجوم لا على الاكام ولذلك قدم الناظم
العرب على العجم وفي حديث رواه الطبراني عن ابن عمر قال ان الله اختار من خيار المؤمن خلقه فاختار منهم بني ادم
فاختار منهم العرب ثم اختارني من العرب فلم ازل خيارا من خيار الا فمن احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغض
العرب فببغضي ابغضهم ومن لبيان الجنس او صفة من الصفات المخصصة للعموم والجار مع مجروره
في محل النصب على الحال من الفريقين والتعاطف في البيت بين المعطوفين من عطف الخاص على العام وهو مطلوب
في مقام المدح لنكتة زائدة في الخاص لا توجد في جميع افراد العام كما هو القاعدة في ذلك وبالنظر الى عموم
المعطوف عليه الا ولجاز اضافة سيد بمعنى اسم التفضيل اليه على المعنيين المتقدمين فلا يرد انه صلى الله عليه
وسلم ليس من الجن ولا من العجم فان اسم التفضيل تارة يضاف الى جماعة هو احدهم كقولك نبينا صلى الله عليه
وسلم افضل قريش اي افضل الناس من قريش وتارة يضاف الى جماعة من جنسه ليس داخلا فيهم كقولك يوسف
احسن اخوته فان يوسف لا يدخل في جملة اخوة يوسف بدليل انك لو سئلت عن عدد اخوة يوسف لم يجز لك عده
فيهم وسيادته صلى الله عليه وسلم على الخلق على الاطلاق مما اجمع عليها ووقع فيها الاتفاق للاحاديث
الواردة في ذلك منها الحديث الصحيح انا سيد ولد ادم وفي رواية انا اكرمهم على ربي وفي حديث انا سيد ولد
ادم يوم القيمة ولا فخر وبيدي لواء الحمد وما من بني ادم فمن سواه الا تحت لوائي وهو صريح في دخول ادم
لحديث البخاري وغيره انا سيد الناس يوم القيمة وحديث انا سيد العالمين صححه الحاكم وتقييده صلى الله
عليه وسلم بيوم القيمة لاختصاصه صلى الله عليه وسلم بالسودد فيه والشفاعة العامة اولان من كان سيدا
في القيمة كان سيدا في الدنيا لانه اعظم الدارين ولذلك قال وبيدي لواء الحمد واشار الشيخ تقي الدين السبكي
من قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن
به ولتنصرنه الى قوله وانا معكم من الشاهدين الى انه صلى الله عليه وسلم نبي الانبياء قال ولهذا ظهر ذلك في الاخرة
جميع الانبياء تحت لوائه وفي الدنيا كذلك ليلة الاسرا صلى بهم وصح عن بحيرا وهو من علماء اهل الكتاب الذين
لا يقولون شيئا الا عنه هذا سيد العالمين وقوله صلى الله عليه وسلم ولا فخر اعتراض تذييلي اتى به للاحتراس
من وهم من يتوهم انه صلى الله عليه وسلم قال ذلك على سبيل التفاخر بل قاله شكرا واظهارا لنعمة الله تعالى عليه عملا
بقوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث وتعريفا للامة في سلوك التواضع فقد كان من تواضعه صلى الله عليه
وسلم مع رفعة مقامه الذي لا يطمع في مثله طامع يركب الحمار معروريا ويردف خلفه ويعود المساكين ويجالس
الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس بين اصحابه مختلطا بهم حيث ما انتهى به المجلس جلس وحج صلى الله

على رجل رث وعليه قطيفة ما تساوي اربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة هذا وقد فتحت عليه
الارض واهدى في حجه ذلك مائة بدنة وعن عائشة والحسن وابي سعيد وغيرهم يزيد بعضهم على بعض كان في بيته
في مهنة اهله يفلي ثوبه ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم نفسه ويعلف ناضحه ويقم البيت ويعقل
البعير ويأكل مع الخادم ويطحن معها ويحمل بضاعته من السوق وحسبك انه خير بين ان يكون نبيا ملكا
او نبيا عبدا فاختار ان يكون عبدا فقال له اسرافيل عند ذلك ان الله قد اعطاك بما تواضعت انك
سيد ولد ادم يوم القيمة واول من تنشق الارض عنه واول شافع وسيأتي ان شاء الله تعالى لذلك
زيادة كلام وتقرير ويلزم من سيادته على ادم واولاده سيادته على الملائكة ومن سيادته
على الملائكة سيادته على بقية الخلق كما سنقرره ان شاء الله تعالى

نبينا الامر الناهي فلا احد ابر في قول لا منه ولا نعم

نبينا بالرفع اما خبر لمحمد او لمبتداء محذوف او نعت لمحمد ويجوز فيه القطع والاضافة فيه لتشريف المضاف اليه
كما هي لتشريف المضاف في قوله ناقة الله والنبي فعيل اما بمعنى الفاعل او المفعول اما من النباء وهو الخبر
والاصل فيه الهمزة وقد تبدل همزته ياء تخفيفا لانه مخبر او مخبر عن الله تعالى واما من النبوة وهي الرفعة
لانه مرتفع الرتبة على غيره من الخلق وعدم الهمزة هو لغة اهل الحجاز لانهم لا يهمزون في لغتهم ولذلك انكر
صلى الله عليه وسلم على من قال يا نبئ الله فقال عليه السلام لست بنبئ الله ولكني نبي الله والنبي هو ذكر من بني
ادم اكمل معاصريه غير الرسل عقلا وفطنة وقوة رأيا وخلقا بالمعجمة وعقدة موسى ازيلت بدعوته
عند الارسال كما في الاية معصوم ولو من صغيرة سهوا قبل النبوة على الاصح سليم من دناءة اب وخناء
ام وان عليا ومن منفر كعمى وبرص وجذام ولا يرد بلاء ايوب وعمى نحو يعقوب بناء على انه حقيقي
لطروه بعد الانباء والكلام فيما قارنه والفرق ان هذا منفر بخلافه فيمن استقرت نبوته ومن قلة مروة
كاكل بطريق ومن دناءة صنعة كحجامة اوحي اليه بشرع وان لم يؤمر بتبليغه فان امر فرسول وان لم يكن
له كتاب ولا نسخ لشرع من قبله على الاشهر والرسول افضل من النبي اجماعا لتميزه بالرسالة التي
هي على الاصح خلافا لابن عبد السلام افضل من النبوة فيه وزعم تعلقها بالحق فهو زيادة كمال فيها وانما اختار
لفظ النبي هنا على الرسول بسبب الاضافة المشعرة بتبينا بما جاء به من الاحكام والاوامر والنواهي عن الله
تعالى المفيدة لفظ نبينا دون رسولنا وقصد الى التشريف بالاضافة كما قررناه اذ لا يقال رسولنا لانه
فعول بمعنى مفعول بل رسول الله الينا لا يقال يحتمل ان الناظم قائل باتحاد النبي والرسول كما نقله المحقق
ابن الهمام في مسايرته عن المحققين لانا نقول التحقيق خلاف ذلك وان النبي اعم من الرسول للخبر الوارد
بعدد الانبياء والرسل وممن رد على ابن الهمام تلميذه الكمال ابن ابي شريف المقدسي الامر بالمعروف
والناهي عن المنكر بامر الله سبحانه وهما من اسمائه عم خصا بالذكر من بين بقية الاسماء لان الشريعة المطهرة
عمدتها بعد التوحيد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولذلك ذكرا بعد نبينا وهما نعت لمحمد او خبران له
خبر بعد خبر وكان المقام يقتضي العطف كما في قوله تعالى الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر

لكن

لكن حذف واو وصل وهو جائز في النثر كقولهم اكلت لحما تمرا فالنظم بالاولى وقد وصفه الله تعالى بذلك
فقال تعالى يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث وحذف مفعولهما
ايذانا بالعموم في كل مأمور ومنهي والامر قول دال على اقتضاء فعل غير كف مدلول عليه بغير
لفظ كف ولا يعتبر فيه علو ولا استعلاء خلافا للمعتزلة وابي اسحق الشيرازي وابن الصباغ في الاول
ولابي الحسين والرازي والامدي وابن الحاجب في الثاني والنهي القول المقتضي لكف عن فعل لا بقول كف
ونحوه كذر ودع فلا الفاء لمجرد العطف ولا هي العاملة عمل ليس واحد اسمها ثم اعلم ان احدا هنا نكرة
عامة واقعة في سياق النفي وقد صرحوا بان احدا اذا كانت همزته اصلية فلا يستعمل الا في النفي العام ويستوي
فيه المذكر والمؤنث مفردا ومثنى ومجموعا ولذا صح دخول بين عليه وعود ضمير الجمع اليه في قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله
فما منكم من احد عنه حاجزين واذا كانت همزته بدلا عن الواو واستعمل في الايجاب نحو قل هو الله احد فتكون بمعنى
الواحد فلا يعامل هذه المعاملة وقد استوفينا الكلام على ذلك فيما كتبناه على تفسير القاضي عند الكلام على سورة
قل هو الله احد وافردنا الكلام على ذلك في رسالة جوابا عما اعترض به بعض الفضلاء على كلام المفتي في سورة
البقرة في تفسير قوله تعالى وما يعلمان من احد مع كلامه في تفسير قوله تعالى ما سبقكم بها من احد من العالمين حيث
توهم المناقضة بين كلامي المفتي رحمه الله وابر بالنصب على خبر لا وجوز رفعه اما على اهمالها وما بعدها
مبتداء وخبر او على الوصف لاحد ومنه الخبر وعلى كل فهو لا ينصرف للوصف ووزن الفعل لانه اسم
تفضيل ومعنى ابر اصدق واذا وعد او اخبر في قول لا بالاضافة قول الحكاية لا لانها اسم باعتبار وضع لفظها وان
كانت حرفا اصطلاحا ومنه متعلق بابر والضمير للنبي صلى الله عليه وسلم ولا حرف نفي بدليل عطف ولا نعم
عليها فان قيل مقتضى الظاهر ان يقول الموعد الموفي دون الامر الناهي اجيب بان لا كناية عن النهي ونعم
عن الامر على اللف والنشر المشوش فان قلت قوله لا ونعم يقتضي رد السائل في قوله لا وهو مخالف لما في الصحيحين
عن جابر رضي الله عنه قال ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط فقال لا وروي عن محمد بن ابي السري
العسقلاني انه قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله استغفر لي فسكت عني فقلت يا رسول
الله ان سفيان بن عيينة حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر انك ما سئلت شيئا قط فقلت لا فتبسم في وجهي وقال اللهم اغفر له

وقال بعضهم: ما قال لا قط الا في تشهده • لولا التشهد كانت لاؤه نعم

قلت اجيب عن ذلك بانه ما قال لا منعا وانما قالها اعتذارا كقوله تعالى لا اجد ما احملكم عليه وفرق بين قوله
لا احملكم وبين لا اجد ما احملكم وبين قول القائل لا اعطيك ولا اجد ما اعطيك وذلك لان القائل
قد حصل عليه ذل السؤال فلا يجمع عليه ذل الرد ولذلك ورد النهي عن نهره واما صدقه صلى الله عليه وسلم
في اقواله كلها قبل النبوة وبعدها فقد شاع وظهر حتى كانوا يسمونه بالامين لانهم لم يعهدوا عليه كذبا
قط ولما كان الامر والناهي منه صلى الله عليه وسلم بامر الله تعالى اقتضى ذلك صدقه في كل ما يخبر به عن الله تعالى
في امره ونهيه ولذلك قال تعالى وما ينطق عن الهوى على عود الضمير اليه عليه السلام وهو ابلغ من ما ينطق في ذلك
بالهوى كما لا يخفى وفي البيت الطباق بين الامر الناهي وبين لا ونعم ومراعاة النظير بين نبينا وبين الامر الناهي والتكرير

هو الحبيب الذى ترجى شفاعته لكل هول من الاهوال مقتحم

هو الحبيب جملة مستأنفة من مبتداء وخبر وتعريف الخبر لافادة الحصر اى الجامع لصفات المحبوبية فعيل بمعنى
مفعول للمبالغة كقولهم انت الرجل اى الجامع لصفات الرجال واختصاصه صلى الله عليه وسلم بالمحبة التى
لا ترام ولا يطمع فيها طامع من الانام بالاثار الصحيحة والشواهد الصريحة وقد اشتهر على السنة المسلمين
بحبيب الله وقد دل القران العظيم على محبة الله تعالى له من ذلك قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعونى يحببكم الله لان الله تعالى رتب محبتهم على اتباع محبته عليه السلام بالاولية وذكر بعض
المفسرين بقوله تعالى ما ودعك ربك وما قلى استفادة اثبات محبة الله له وذلك لان الاثبات
اما ان يودع او يقلى اى يبغض او يحب فاذا انتفى التوديع والبغض ثبتت المحبة **واما الحديث فقد**
روى القاضى عياض فى الشفا والترمذى وغيرهما عن ابن عباس رضى الله عنهما قال جلس ناس من اصحاب
النبى صلى الله عليه وسلم ينتظرونه قال فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم
فقال بعضهم عجبا ان الله اتخذ ابرهيم من خلقه خليلا وقال اخر ماذا باعجب من كلام موسى كلمه
الله تكليما وقال اخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال اخر وادم اصطفاه الله فخرج عليهم وسلم وقال سمعت
كلامكم وعجبكم ان الله اتخذ ابرهيم خليلا وهو كذلك وموسى نجى الله وهو كذلك وعيسى روح الله وهو
كذلك وادم اصطفاه وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اول شافع واول
مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لى فيدخلنيها ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر وقد اشتهر نبينا
صلى الله عليه وسلم بالمحبة واشتهر ابرهيم الخليل عليه السلام بالخلة **وقد اختلف العلماء رضى الله عنهم** فى تفضيل
احد الصفتين على الاخرى بعد اتفاقهم على تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم وعلى ابرهيم الخليل عليه السلام
فذهب بعضهم الى تسوية درجتيهما وان كلا منهما مستلزمة للاخر لكنه خص ابرهيم بالخلة ومحمدا
بالمحبة وقال بعضهم درجة الخلة ارفع وهو مقتضى كلام الزركشى ومثله فى شرحه هنا والاكثرون
على خلافه **وممن اطال الكلام فى ذلك** الامام ابو بكر بن فورك وذكر ادلة كثيرة على تفضيل المحبة على الخلة
منها ان الخليل يصل بالواسطة لقوله تعالى وكذلك نرى ابرهيم ملكوت السموات والارض وليكون من المؤمنين
والحبيب بلا واسطة لقوله تعالى فكان قاب قوسين او ادنى وقيل الخليل الذى تكون مغفرته فى حد الطمع
لقوله تعالى والذى اطمع ان يغفر خطيئتى يوم الدين والحبيب مغفرته فى حد اليقين قوله تعالى ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تأخر والخليل قال ولا تخزنى والحبيب قيل له يوم لا يخزى الله النبى والذين
امنوا معه والخليل قال فى المحنة حسبى الله والحبيب قيل له حسبك الله والخليل قال واجعل لى لسان صدق
والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك الى غير ذلك من الادلة **وقال ابن المنير ظاهر الاحاديث** يعنى هذا الحديث
وغيره يدل على ان المحبة اتم من الخلة لان سياق الفضائل التى اوتيها نبينا صلى الله عليه وسلم يدل على ان كل
ما ذكر لغيره قد اوتيها وقد اختص بالمحبة كما اشتهر ابراهيم عليه السلام بالخلة فدل على ان المحبة افضل
لان صاحبها افضل **وفرق النيسابورى بين الخليل والحبيب** بان الخليل الذى محنته الله ثم احبه الله

ابتداء

ابتداء تفضله والخليل الذى جعل ما علكه فداء الخليله والحبيب الذى جعل الله مملكته فداء والخليل من اختار
الله على كل شىء والحبيب من اختاره الله على كل شىء وجد ابرهيم الخلة ولم يجد بها احد غيره بسببه ووجد محمد المحبة ووجدتها امته بسببه قال
ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله وقال تعالى يحبهم ويحبونه والمحبة اسم جامع لجميع الخلة وغيرها
والعام اكثر من الخاص **وقد اختلفوا فى اشتقاق الخليل ومعنى الخلة على اقوال كثيرة** على ان نبينا صلى الله عليه وسلم
قد فاز برتبة الخلة ايضا مع المحبة كما يدل على ذلك احاديث كثيرة منها ما رواه ابو سعيد عن النبى صلى
الله عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت ابا بكر وفى حديث اخر وان صاحبكم
خليل الله ومن طريق عبد الله بن مسعود وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا وفى حديث الشفاعة عند
ما ياتون ابرهيم الخليل عليه السلام فيقول لست بصاحبكم ذلك انما كنت خليلا من وراء وراء ومعناه
لم اكن فى التقريب والادلال بمنزلة الحبيب وقيل مراده ان الفضل الذى اعطيه كان بسفارة جبريل ومعنى
محبة الله تعالى لعبده تمكنه من سعادته وعصمته وتوفيقه وتهيئة اسباب القرب وافاضة رحمته عليه وقصواها
كشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر اليه ببصيرته فيكون كما قال فى الحديث فاذا احببته كنت سمعه الذى
يسمع به وبصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به قال فى الشفا ولا ينبغى ان يفهم من هذا سوى التجرد لله
والانقطاع الى الله والاعراض عن غير الله وصفاء القلب لله واخلاص الحركات لله كما قالت عائشة رضى الله
عنها كان خلقه القران برضاه يرضى وبسخطه يسخط **وبهذا عبر بعضهم عن الخلة بقوله**

قد تخللت مسلك الروح منى •	وبذا سمى الخليل خليلا
فاذا ما نطقت كنت حديثى •	واذا ما سكت كنت الغليلا

فاذا مزية الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا صلى الله عليه وسلم بما دلت عليه الاثار الصحيحة المنتشرة
المتلقاة بالقبول من الامة وحذف متعلق الحبيب فى كلام الناظم للعلم به ودلالة المقام عليه اى الحبيب لله
الذى ترجى شفاعته يجوز فى الذى ان يكون فى موضع رفع نعتا لما قبله او بدلا من الحبيب او خبر مبتداء محذوف على القطع اى
هو الذى وان يكون فى موضع نصب بامدح او باعنى وترجى مبنيا للمفعول صلة الموصول وشفاعته نائب الفاعل
والضمير العائد عائد الى الحبيب واتيان الفعل مبنيا للمفعول للاشارة الى عموم الرجا وانه لا يختص براج
دون راج والرجا ضد الخوف وهو ترقب حصول ما ينفع ويأتى بمعنى الخوف فهو من الاضداد والشفاعة
مأخوذة من الشفع ضد الوتر وهو ضم شىء الى مثله لان الشافع كانه يضم نفسه مع المشفوع له فى حصول ما امل
والمراد بها طلب العفو والفضل من الغير للغير واللام فى **لكل** متعلقة بترجى واضافة كل الى هول للتعميم **والهول**
مصدر هاله الشىء افزعه اطلق بمعنى الفاعل اى الهائل او المفعول اى مهول منه مبالغة وتنوينه للتعظيم **ومن الاهوال**
نعت لهول او حال ومن للتبعيض **ومقتحم** صفة بعد صفة واخرت الثانية وكان حقها التقديم للنظم ومقتحم بفتح
الحاء اسم مفعول حذف متعلقه اى مقتحم فيه والمراد به هول يوم القيمة الذى تقتحم فيه الخلق اى يقعون فى شدة عظيمة
وداهية دهيا وهول شديد يوم تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى
وما هم بسكارى فقد دخل بقية الاهوال بالاولوية يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه يوم

لا يغني مولى عن مولى شيئا يوم اذا ازفت الازفة فتذهل العقول ويشتد الهول المهول ويحير الانسان فلا يدري
ما يقول فعند ذلك يبعث الله الحبيب الاعظم والشفيع الاكرم نبينا صلى الله عليه وسلم المقام المحمود
الذي وعده بقوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا اتفق المفسرون على ان كلمة عسى من الله واجب
قال المعاينون لان كلمة عسى اطماع والله تعالى اكرم من ان يطمع احدا في شيء ثم يحرمه اياه لا سيما هنا لانه تعالى
اكرم الاكرمين وقد اطمع حبيبه الذي هو سيد الاولين والاخرين وجمهور المفسرين على ان المراد بالمقام المحمود
هو مقام الشفاعة حتى ادعى الواحدي اجماعهم على ذلك فقال اجمع المفسرون على انه مقام الشفاعة كما قال
صلى الله عليه وسلم في هذه الاية هو المقام الذي اشفع فيه لامتي وقال الامام ابن الخطيب اللفظ مشعر بذلك
لان الانسان انما يصير محمودا اذا احمده حامد والحمد انما يكون على الانعام فهذا المقام المحمود يجب ان
يكون مقاما انعم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم يحمدوه على ذلك الانعام لا يجوز ان يكون هو
تبليغهم الدين وتعليمهم الشرع لان ذلك كان حاصلا في الحال وقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما
محمودا يدل على انه يحصل للنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام حمد بالغ عظيم كامل ومن المعلوم ان
حمد الانسان على سعيه في التخلص عن العقاب اعظم من سعيه في زيادة من الثواب ولا حاجة به الى
احتياج الانسان في دفع الالام العظيمة عن النفس فوق احتياجه الى تحصيل المنافع الزائدة التي لا حاجة
الى تحصيلها واذا ثبت هذا وجب ان يكون المراد من قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا هو
الشفاعة في اسقاط العذاب على مذهب اهل السنة هذا مع ما ورد من الاحاديث الصحيحة والاثار الصريحة الدالة
على ذلك من ذلك ما في البخاري عن ابن عمر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المقام المحمود فقال هو الشفاعة
وفيه عنه ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الناس يصيرون يوم القيمة جثا كل امة تتبع
نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة الي فذلك المقام المحمود وعن ابي هريرة سئل عنها رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعني اية قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا فقال هي الشفاعة وعن كعب بن مالك رضي
الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة فاكون انا وامتي على تل ويكسوني ربي حلة خضراء
ثم يؤذن لي فاقول ما شاء الله ان اقول فذلك المقام المحمود وعن ابن مسعود رضي الله عنه عنه صلى الله عليه
وسلم ان قيامه عن يمين العرش مقاما لا يقومه غيره يغبطه فيه الاولون والاخرون ونحوه عن كعب وعن ابن
مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لقائم المقام المحمود قيل وما هو قال ذلك يوم ينزل الله تبارك
وتعالى الحديث وفي المقام المحمود والمراد به اقوال اخر لسنا بصددها لان المقام مقام الشفاعة والمقصود
ايراد احاديثها وقد وردت باحاديث عديدة شهيرة بلغ مجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الاخرة قال
القاضي عياض في الشفا وعلى ان المقام المحمود هو مقامه عليه السلام للشفاعة مذاهب السلف من الصحابة
والتابعين وعامة ائمة المسلمين وبذلك جاءت مفسرة في صحيح الاخبار عنه عليه السلام وجاءت مقالة
في تفسيرها شاذة عن بعض السلف يجب ان لا تثبت اذ لم يعضدها صحيح اثر ولا سند يد نظر ولو صحت لكان
لها تاويل غير مستنكر لكن ما قرره النبي صلى الله عليه وسلم في صحاح الاثار يرده فلا يجب ان يلتفت اليه مع انه

لم يات في كتاب ولا سنة ولا انعقد على المقال به امر وفي اطلاق ظاهره منكر من القول وشنعة انتهى واختلف في فاعل
الحمد والاكثر على انه اهل الموقف لحديث ابن عمر يحمده فيه اهل الجمع كلهم وقيل اعم من ذلك اي مقاما يحمده فيه القائم
فيه وكل من عرفه وهو مطلق في كل ما يجلبه الحديث من انواع الكرامات واستحسن هذا ابو حيان وايده بانه نكرة
فدل على انه ليس المراد مقاما مخصوصا واليه ذهب القاضي البيضاوي وغيره وتنكير مقاما قال الطيبي لانه افخم
واجزل اي مقاما محمودا بكل لسان وقد ذكر والنبينا صلى الله عليه وسلم في الموقف يوم القيمة تسع شفاعات
ذكر القاضي عياض والنووي في الروض منها خمسة وزاد عنها غيره اربعة اخر الاولى الشفاعة العظمى وهي
الشفاعة العامة في فصل القاضي والاراحة من طول الموقف وقد ورد من طرق عديدة فعن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس يوم القيمة ولا فخر هل تدرون بم ذلك قال يجمع الله الاولين
والاخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم
والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول بعض الناس لبعض الا ترون الى ما انتم فيه الا ترون ما بلغكم
الا تنظرون الى من يشفع لكم الى ربكم فيقول بعض الناس لبعض ايتوا ادم فيأتون ادم فيقولون يا ادم
انت ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وامر الملائكة فسجدوا لك واسكنك الجنة الا تشفع
لنا الى ربنا الا ترى الى ما نحن فيه وما بلغنا فيقول ادم ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن
يغضب بعده مثله وانه نهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا
الى نوح فيأتون نوحا عليه السلام فيقولون يا نوح انت اول الرسل الى اهل الارض وقد سماك الله عبدا شكورا
الا ترى ما نحن فيه الا ترى ما بلغنا الا تشفع لنا الى ربك فيقول لهم نوح ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب
قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وانه قد كان لي دعوة دعوت بها على قومي نفسي نفسي اذهبوا الى غيري
اذهبوا الى ابراهيم فيأتون ابراهيم عليه السلام فيقولون انت نبي الله وخليله اشفع لنا الى ربك
الا ترى الى ما نحن فيه فيقول لهم ابراهيم ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب
بعده مثله واني كنت كذبت ثلاث كذبات نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى موسى فيأتون
موسى فيقولون يا موسى انت رسول الله فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس الا ترى ما نحن فيه اشفع لنا
الى ربك فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله واني قد قتلت
نفسا لم اومر بقتلها نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى عيسى فيأتون عيسى عم فيقولون يا عيسى
انت رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد الا ترى الى ما نحن فيه اشفع لنا الى ربك فيقول
عيسى ان ربي اليوم قد غضب غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر له ذنبا نفسي
نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى محمد فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيقولون يا محمد انت رسول الله
وخاتم الانبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر الا ترى ما نحن فيه اشفع لنا الى ربك فانطلق
فاتي تحت العرش فاقع ساجدا لربي ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتح على احد
قبلي ثم يقال يا محمد ارفع راسك سل تعط واشفع تشفع فارفع راسي فاقول امتي يا رب امتي يا رب

فيقال يا محمد ادخل الجنة من امتك من لا حساب عليه من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب رواه البخاري ومسلم وفيه والذي نفس محمد بيده ان ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر او كما بين مكة وبصرى وصح في البخاري كما بين مكة وحمير ويتعلق بالحديث مسائل قال في فتح الباري وقد استشكل قولهم لنوح انك اول الرسول الى اهل الارض فان ادم نبي مرسل وكذا شيث وادريس وهم قبل نوح ومحصل الاجوبة عن ذلك ان الاولية مقيدة بقوله اهل الارض لان ادم ومن ذكر معه لم يرسلوا الى اهل الارض وان الثلاثة كانوا انبيا ولم يكونوا رسلا والى هذا جنح ابن بطال في حق ادم وتعقبه القاضي عياض بما صححه ابن حبان من حديث ابي ذر انه كالصريح في انه كان مرسلا وفيه التصريح بانزال الصحف على شيث وهو من علامات الارسال ومن الاجوبة ان رسالة ادم كانت الى بنيه وهم موحدون ليعلمهم شريعته ونوح رسالته كانت الى قوم كفار يدعوهم الى التوحيد وذكر الغزالي في كشف علوم الاخرة ان بين اتيان اهل الموقف ادم واتيانهم نوحا الف سنة وكذا كل نبي ونبي الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ونقله عنه القرطبي في تذكرته واقره وتعقب الغزالي الحافظ ابن حجر فقال لم اقف لذلك على اصل قال ولقد اكثر في هذا الكتاب من ايراد احاديث لا اصول لها فلا يغتر بشيء منها انتهى واما الكلمات الثلاث التي استعفى ابرهيم الخليل عليه السلام من الشفاعة بسببهن فقال القاضي البيضاوي الحق انها انما كانت في معاريض الكلام لكن لما كانت صورتها صورة الكذب اشفق منها استصغارا للنفس عن الشفاعة لان من كان اعرف بالله واقرب اليه منزلة كان اعظم خوفا واما قول عيسى انه لم يذكر ذنبا فوقع في حديث ابن عباس عند احمد والنسائي اني اتخذت الها من دون الله وفي حديث النضر بن انس عن ابيه حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني لقائم انتظر امتي عند الصراط اذ جاء عيسى فقال يا محمد هذه الانبياء قد جاءتك يسألونك لتدعو الله ان يفرق جمع الامم الى حيث شاء لعظم ما هم فيه فافادت هذه الرواية تعيين موقف النبي صلى الله عليه وسلم حينئذ وان هذا الذي وصف من كلام اهل الموقف كله يقع عند نصب الصراط بعد تساقط الكفار في النار فان عيسى هو الذي يخاطب نبينا صلى الله عليه وسلم وان جميع الانبيا يسألونه في ذلك ونقل القرطبي عن الغزالي ان الذين يطلبون الشفاعة من ادم ومن بعده من الانبيا الى ان يصلوا الى نبينا صلى الله عليه وسلم هم اصحاب الكراسي من النور وهم الرسل والعلماء والاولياء فانهم يكونوا في الموقف على كراسي ومنابر من نور حين يكون الناس على كمال الهول قد الجمهم العرق وهم على طبقات مختلفة من الشدة فيطلبون الشفاعة بالهام من الله تعالى حتى تظهر في ذلك اليوم شرف مقام نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وفي حديث سلمان عند ابن ابي شيبة يأتون محمدا فيقولون يا نبي الله انت فتح الله بك وختم وغفر لك ما تقدم وما تأخر وجئت في هذا اليوم وترى ما نحن فيه فقم فاشفع لنا الى ربنا فيقول انا صاحبكم فيجوس الناس حتى ينتهي الى باب الجنة وذكر في حكمة انتقاله صلى الله عليه وسلم من مكانه الى باب الجنة ان ارض الموقف لما كانت ارض عرض وحساب كانت مقام مخافة واشفاق ومقام الشافع يناسب ان يكون في مقام اكرام وافادة رواية ابي هريرة ان فتح الله عليه المحامد حال السجود بقوله فاقع ساجدا لربي ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على احد

قبل

قبلي ثم يقال يا محمد ارفع رأسك وفي رواية البخاري فارفع راسي فاحمد ربي بتحميد يعلمني وفي رواية فاقوم بين يديه فيلهمني بمحامد لا اقدر عليها الان ثم اخر ساجدا والظاهر جمعا بين الروايات انه يلهم التحميد قبل السجود وبعده وفيه وفي كل مقام بما يليق به فيه مما يناسبه وفي رواية النضر بن انس فاوحى الله الى جبريل ان اذهب الى محمد فقل له ارفع راسك يفيد ان القول على لسان جبريل وقوله فاقول امتي يا رب امتي يا رب مع ان الشفاعة عامة لسائر الخلق ليريحوا من كربهم احتفالا بامر امته واظهارا لمحبته فيهم وشفقته عليهم وقوله فيقال يا محمد ادخل الجنة من امتك من لا حساب عليه يدل على انه شفع فيما طلب من تعجيل الحساب لاهل الموقف فانه لما امر بادخال من لا حساب عليه من امته فقد شرع في حساب من عليه الحساب من امته وغيرهم وقد وقع في حديث ابي هريرة بعد ذكر الجمع في الموقف الامر باتباع كل امة ما كانت تعبد ثم تمييز بين المنافقين من المؤمنين ثم حلول الشفاعة بعد وضع الصراط فكان الامر باتباع كل امة ما كانت تعبد هو اول فصل القضاء والاراحة من كرب الموقف وبهذا تجتمع متون الاحاديث قال صاحب المواهب وظهر انه صلى الله عليه وسلم اول من يشفع ليقضي بين الخلق فان الشفاعة فيمن يخرج من النار وفيمن سقط بعد ذلك وان العرض والميزان وتطاير الصحف تقع في هذا الموطن ثم ينادي لتتبع كل امة ما كانت تعبد فتسقط الكفار في النار ثم يميز بين المؤمنين والمنافقين بالامتحان بالسجود عند كشف الساق ثم يؤذن في نصب الصراط والمرور عليه فيطفأ نور المنافقين فيسقطون في النار ايضا ويمر المؤمنون عليه الى الجنة ومن الادلة على هذه الشفاعة ايضا حديث انس عند البخاري ولفظه يجمع الله الناس يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا الى ربنا حتى يريحنا فيأتون ادم فيقولون انت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وامر الملائكة فسجدوا لك فاشفع لنا عند ربنا فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته ايتوا نوحا وذكر اتيانهم الانبيا واحدا واحدا الى ان قال فيأتوني فاستأذن على ربي واذا رايته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله ثم يقال لي ارفع راسك سل تعطه وقل يسمع واشفع تشفع فارفع راسي فاحمد ربي بتحميد يعلمني الحديث وهذه الشفاعة العامة مختصة به صلى الله عليه وسلم بالاجماع وهي المراد بالمقام المحمود كما قررناه وهذه اول الشفاعات الخمس التي ذكرها النووي وقبله القاضي عياض الشفاعة الثانية في ادخال قوم الجنة بغير حساب ولا عقاب قال القاضي عياض والنووي وغيرهما وهي مختصة قال بعضهم والعجب ممن توقف في هذه الخصوصية وقال لا دليل عليها اذ الدليل عليها اولا الاجماع على ان هذه الامور لا تدرك بالعقل ولم يرد النقل الا في حقه والاصل العدم والبقاء على ما كان ويدل عليها ما في حديث ابي هريرة عند البخاري ومسلم الذي قدمته فاقول يا رب امتي يا رب امتي فيقال يا محمد ادخل من امتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن من ابواب الجنة قال الغزالي والسبعون الالف الذين يدخلون الجنة بلا حساب لا يرفع لهم ميزان ولا يأخذون صحفا وانما هي براءة مكتوبة لا اله الا الله محمد رسول الله هذه براءة فلان بن فلان قد غفر له وسعد سعادة لا شقاوة بعدها ابدا فما مر عليه شيء اسر من ذلك المقام الشفاعة الثالثة في اناس استحقوا دخول النار فلا يدخلونها قال القاضي عياض وغيره ويشركه فيها من شاء الله وتردد النووي في ذلك قال السبكي لانه لم يرد تصريح بذلك ولا بنفيه قال وهي في اجازة الصراط

بعد وضعه ويلزم النجاة منها من النار قلت ويدل عليها حديث حذيفة عند مسلم ونبيكم على الصراط يقول رب سلم
الشفاعة الرابعة في اخراج من ادخل النار من العصاة وادلتها كثيرة وقد روى البخاري عن عمران بن حصين مرفوعا
يخرج قوم من النار بشفاعة محمد فيدخلون الجنة ويسمون الجهنميين وسياتي اخراج الجهنميين ايضا بشفاعة
رب العالمين وهذه الرابعة يشاركه فيها غيره من الانبيا والملائكة والمؤمنين كما سنذكر ذلك بادلته الشفاعة الخامسة
وهي رفع الدرجات في الجنة لاهلها قال النووي في الروض انها من خصائصه صلى الله عليه وسلم ولم يذكر لذلك
مستندا وقد ذكر القاضي عياض شفاعة سادسة وهي شفاعته صلى الله عليه وسلم لعمه ابي طالب في تخفيف
العذاب لما ثبت في الصحيح ان العباس قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابا طالب كان يحوطك وينصرك ويغضب لك
فهل نفعه ذلك قال نعم وجدته في غمرات من النار فاخرجته الى ضحضاح وفي الصحيحين ايضا من طريق ابي سعيد
انه صلى الله عليه وسلم قال لعله تنفعه شفاعتي يوم القيمة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه تغلي منه
دماغه وجعل ابن دحية منه التخفيف عن ابي لهب في كل يوم اثنين لسروره بولادة النبي صلى الله عليه وسلم
واعتاقه ثويبة حين بشر به وزاد بعضهم سابعة وهي الشفاعة لاهل المدينة لحديث سعد رفعه لا يثبت احد
على لأوائها الا كنت له شهيدا او شفيعا يوم القيمة وقد روى الترمذي حديث الشفاعة لمن مات بالمدينة
وصححه وتعقب ذلك الحافظ ابن حجر بان متعلقها لا يخرج عن واحد من الخمس الاول وبانه لو عد مثل ذلك
لعد حديث عبد الملك بن عباد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول اول من اشفع له اهل المدينة ثم اهل مكة
ثم اهل الطائف رواه البزار وزاد بعضهم اخرى وهي الشفاعة لمن زار قبره الشريف واخرى لمن اجاب المؤذن
ثم صلى عليه صلى الله عليه وسلم قلت ويدل عليها حديث عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم المؤذن
فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فمن صلى علي صلوة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا لي الوسيلة فانها منزلة
في الجنة لا ينبغي ان تكون الا لعبد من عباد الله وانا ارجو ان اكون هو فمن سال لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة
وحديث جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة
التامة والصلوة القائمة ات محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي
يوم القيمة وزاد القزويني في العروة الوثقى انه يشفع لجماعة من صلحاء المؤمنين فيتجاوز عنهم في تقصيرهم
في الطاعات لكن قال الحافظ ابن حجر انها مندرجة في الخامسة وذكر بعضهم انه يشفع في اطفال المشركين حتى يدخلوا
الجنة خدما لاهلها وذكر القرطبي انه اول شافع في دخول امته الجنة قبل الناس ويدل عليه ما رواه ابن عباس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حديث فاذا اراد الله ان يقضي بين خلقه نادى مناد اين محمد وامته
فاقوم وتتبعني امتي غرا محجلين من اثر الطهور وقال صلى الله عليه وسلم نحن الاخرون الاولون واول من يحاسب
وتفرج لنا الامم عن طريقنا وتقول الامم كادت هذه الامة ان تكونوا كلهم انبياء وزاد في فتح الباري اخرى
فيمن استوت حسناته وسيئاته ان يدخل الجنة لما اخرجه الطبراني عن ابن عباس قال السابق يدخل الجنة
بغير حساب والمقتصد برحمة الله والظالم لنفسه واصحاب الاعراف يدخلونها بشفاعته صلى الله عليه وسلم
وارجح الاقوال في اصحاب الاعراف انهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم وشفاعة اخرى وهي شفاعته

فيمن

فيمن قال لا اله الا الله قال ليس ذلك لك وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبروتي لاخرجن من النار من قال لا اله
الا الله والحاصل ان الوارد على الخمسة اربعة وما عداها لا يرد كما انه لا ترد الشفاعة في التخفيف عن صاحبي
القبرين وغير ذلك لكونه من جملة الدنيا وفي اخر حديث انس بعد ان ذكر حديث الشفاعة بطوله ثم اخر
ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع راسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فاقول يا رب امتي امتي
فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة او شعيرة من ايمان فاخرجه فانطلق فافعل ثم ارجع الى ربي
فاحمده بتلك المحامد وذكر مثل الاول وقال فيه مثقال حبة من خردل قال فافعل ثم ارجع وذكر مثل ما تقدم
وقال فيه من كان في قلبه ادنى ادنى ادنى من مثقال حبة من خردل فافعل وذكر في المرة الرابعة فيقال لي ارفع
راسك وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعطه فاقول يا رب ايذن لي فيمن قال لا اله الا الله قال ليس ذلك
اليك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبروتي لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله قال القرطبي
في التذكرة ان الحديث يدل على ان الايمان يزيد وينقص ومعنى اخرجوا من في قلبه مثقال ذرة من ايمان
التقدير من اعمال الايمان وليس المراد نفس الايمان الذي هو التوحيد ونفي الشركاء فان لم يكن في الدنيا
موحدا فالجنة عليه حرام وهؤلاء الذين اخرجوا من النار هم المفرطون في الطاعات من الصلوات والزكوات
وغيرها ويدل على انه ليس المراد مثقال ذرة من التوحيد قوله صلى الله عليه وسلم ايذن لي فيمن قال لا اله الا
الله قال الله سبحانه وتعالى ليس ذلك اليك او قال ليس ذاك لك وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبروتي
لاخرجن من قال لا اله الا الله ومعنى قوله فيخرج من لم يعمل خيرا قط يعني غير التوحيد واختلفوا في المراد
بقوله من في قلبه مثقال ذرة من ايمان هل التقدير مثقال ذرة من اعمال الايمان التي هي افعال الجوارح او من اعمال
الايمان التي هي افعال القلوب لمن وجد منه في الدنيا رحمة ليتيم او ثقة بالله او خوف من الله في وقت من الاوقات
وسميت هذه الاعمال اعمال ايمان لانها ناشئة عن محل الايمان وهو القلب على قولين والله اعلم قال القاضي
عياض في الشفا وفي الحديث المتفق الصحيح لكل نبي دعوة يدعو بها واختبأت دعوتي شفاعة لامتي يوم
القيمة قال اهل العلم معناه دعوة اعلموا انها تستجاب لهم ويبلغ منهم مرغوبهم والا فكم لكل نبي منهم
من دعوة مستجابة ولنبينا صلى الله عليه وسلم منها ما لا يعد لكن حالهم عند الدعاء بها بين الرجاء والخوف
وضمنت لهم اجابة دعوة فيما شاؤه يدعون بها على يقين من الاجابة وقد قال محمد بن زياد لكل نبي دعوة
دعا بها في امته فاستجيب له وانا اريد ان اؤخر دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة وفي رواية ابي
صالح لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ونحوه في رواية ابي زرعة عن ابي هريرة وعن انس
مثله فتكون هذه الدعوة المذكورة المخصوصة بالامة مضمونة الاجابة والا فقد اخبر صلى الله عليه وسلم
انه سال لامته اشياء من امور الدين والدنيا اعطي بعضها ومنع بعضها واخر لهم هذه الدعوة الى يوم
القيامة وخاتمة المحن وعظيم السؤال جزاه الله احسن ما جزى نبيا عن امته انتهى قال صاحب المواهب
فان قلت فاي شفاعة ادخرها صلى الله عليه وسلم لامته اما الاولى التي من الخمس فلا تختص بهم بل هي
لاراحة الجمع كلهم وهي المقام المحمود كما تقدم وكذلك باقي الشفاعات الظاهر انه يشاركهم فيها بقية الامم

والجواب انه يحتمل ان المراد الشفاعة العظمى التي للاراحة من هول الموقف وهي وان كانت غير مختصة بهذه الامة
لكن لهم وهم الاصل فيها وغيرهم تبع لهم ولهذا كان اللفظ المنقول عنه صلى الله عليه وسلم فيها انه قال يا رب امتي
امتي فدعا فيهم فاجيب وكان غيرهم تبعا لهم في ذلك ويحتمل ان تكون الشفاعة الثانية وهي التي في ادخال
قوم الجنة بغير حساب وهي المختصة بهذه الامة فان الحديث الوارد فيها يدخل من امتي الجنة سبعون الفا
الحديث ولم ينقل ذلك في بقية الامم ويحتمل ان يكون المراد مطلق الشفاعة المشتركة بين الشفاعات
الخمس وكون غير هذه الامة يشاركهم فيها او في بعضها لا ينافي ان يكون عليه السلام اخر دعوته شفاعة
لامته فلعله لا يشفع لغيرهم من الامم بل يشفع لهم انبياؤهم ويحتمل ان تكون الشفاعة لغيرهم تبعا
كما تقدم مثله في الشفاعة العظمى انتهى وفي رواية البخاري من حديث قتادة عن انس ثم اشفع فيحد لي
حدا ثم اخرجهم من النار وادخلهم الجنة قال الطيبي اي يبين لي في كل طور من اطوار الشفاعة حدا اقف عنده
فلا اتعداه مثل ان يقول شفعتك فيمن اخل بالجماعة ثم فيمن اخل بالصلوة ثم فيمن شرب الخمر ثم فيمن زنى
وهكذا على هذا الاسلوب وعن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم خيرت بين ان يدخل نصف امتي الجنة وبين
الشفاعة فاخترت الشفاعة لانها اعم اترونها للمتقين ولكنها للمذنبين الخطائين وعن ام حبيبة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اريت ما تلقى امتي بعدي وسفك بعضهم دماء بعض وسبق لهم من الله ما سبق
للامم قبلهم فسألت الله ان يؤتيني شفاعة يوم القيمة ففعل وروي في حديث انه صلى الله عليه وسلم قال
فياتوني فياذن لي ان اقوم فيثور من مجلسي من الطيب ريح ما شمها احد حتى اتي ربي فيشفعني
ويجعل لي نورا من شعر راسي الى ظفر قدمي ثم يقول الكافرون قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فمن يشفع
لنا فيقولون ما هو غير ابليس الذي اضلنا فياتونه فيقولون قد وجد المؤمنون من يشفع لهم
فقم انت فاشفع لنا فانك اضللتنا فيثور من مجلسه انتن ريح ما شمها احد ويقول عند ذلك ان الله وعدكم
وعد الحق الاية وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله من اسعد الناس بشفاعتك يوم القيمة قال
لقد ظننت يا ابا هريرة ان لا يسألني عن هذا الحديث احد اول منك لما رايت من حرصك على الحديث اسعد الناس
بشفاعتي يوم القيمة من قال لا اله الا الله خالصا من قبل نفسه وروي عن زيد بن ارقم عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة قيل يا رسول الله وما اخلاصها قال ان تحجزه عن محارم الله
رواه الترمذي وعن ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم توضع للانبياء منابر فيجلسون عليها ويبقى منبري
لا اجلس عليه قائما بين يدي ربي منتصبا فيقول الله تبارك وتعالى ما تريد ان اصنع بامتك فاقول يا رب
عجل حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي ولا ازال
اشفع حتى اعطى صكاكا برجال قد امر بهم الى النار حتى ان خازن النار ليقول يا محمد ما تركت لغضب ربك
في امتك من بقية ومن رواية انس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاشفعن يوم القيمة لاكثر
مما في الارض من حجر وشجر واحاديث الشفاعة كثيرة عديدة وانما اطلنا الكلام في ذلك تبشيرا لامة محمد
صلى الله عليه وسلم ورجاء ان الله سبحانه وتعالى يدخلنا في زمرة من يشفع لهم ويفتح لنا باب الرجاء وتحقيقا

لما قلنا

لما قلنا اولا ان احاديث الشفاعة بلغت مبلغ التواتر بجملتها ولنذكر بعض من يشفع من بقية الانبياء والعلماء والصالحين
ببركة نبينا صلى الله عليه وسلم واكرامه وفي الحقيقة شفاعة امته بعضهم في بعض انما هو اكرام له صلى الله عليه وسلم
فهو الشفيع بواسطة وبلا واسطة قال صلى الله عليه وسلم يشفع يوم القيمة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء
وعنه صلى الله عليه وسلم قال يدخل الجنة بشفاعة رجل من امتي اكثر من بني تميم قيل يا رسول الله سواك
قال سواي وكان الحسن يقول انه اويس القرني وفي رواية يدخل بشفاعة رجل من امتي الجنة مثل احد الحيين
ربيعة ومضر وكان المشيخة يرون ان ذلك عثمان بن عفان رضي الله عنه وعنه صلى الله عليه وسلم ان
من امتي من يشفع للفئام ومنهم من يشفع للقبيلة ومنهم من يشفع للعصبة ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخلوا
الجنة والفئام كما في الصحاح الجماعة من الناس لا واحد له من لفظه وفي رواية ان الرجل ليشفع للرجل والثلاثة
ولكل رجل من الصحابة شفاعة وفي حديث ابي سعيد الخدري حتى اذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي
بيده ما من احد منكم باشد مناشدة لله تعالى في استيفاء الحق من المؤمنين يوم القيمة لاخوانهم الذين في النار
يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم اخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار
فيخرجون خلقا كثيرا قد اخذت النار الى نصف ساقه والى ركبته فيقولون ربنا ما بقي فيها احد ممن امرتنا به
فيقول عز وجل ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون
ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون
خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها احدا خيرا رواه مسلم عن انس قال يصف اهل النار فيعرضون فيمر بهم الرجل
من اهل الجنة فيقول الرجل منهم يا فلان اما تذكر رجلا سقاك شربة من ماء يوم كذا وكذا فيقول انك انت هو
فيقول نعم قال فيشفع فيه فيشفع ويقول الرجل منهم لرجل من اهل الجنة اما تذكر رجلا وهب لك وضوءا يوم
كذا فيقول نعم فيشفع له ويشفع ويقول الرجل من اهل الجنة اما تذكر يوم استسقيتني اما تذكر يوم بعثتني
في حاجة كذا فذهبت لك فيشفع له وقال عليه السلام في قوله تعالى ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله قال
اجورهم يدخلهم الجنة ويزيدهم من فضله الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع اليهم معروفا في الدنيا وفي رواية
فيقول اللهم ان هذا اصطنع الي معروفا في الدنيا فيقال خذ بيده وادخله الجنة برحمة الله وفضله قال انس اشهد
اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله وقيل في الزبور اني ادعو الزاهدين في الدنيا يوم القيمة فاقول لهم
عبادي اني لم ازو عنكم الدنيا لهوانكم علي ولكن اردت ان تستوفوا نصيبكم موفورا اليوم فتخللوا الصفوف
فمن احببتموه في الدنيا او قضى لكم حاجة او رد عنكم غيبة او اطعمكم لقمة ابتغاء وجهي وطلب رضائي
فخذوا بيده وادخلوه الجنة وورد ان القران والصيام يشفعان قال صلى الله عليه وسلم يجيء القران يوم القيمة
كالرجل الشاحب فيقول انا الذي اسهرت ليلك واظمأت نهارك وعنه صلى الله عليه وسلم يؤتى بالقران يوم القيمة
واهله الذين كانوا يعملون به يتقدمه البقرة وال عمران كانهما غمامتان او ظلتان سوداوان او كانهما فرقان
من طير صواف يحاجان عن صاحبهما ومعنى ذلك على ما قاله القرطبي وغيره ان الله تعالى يخلق من ثواب القران
والصيام ملكين كريمين يشفعان له وكذلك ان شاء الله سائر الاعمال الصالحة كما روي عن زيد بن اسلم

قال بلغني ان المؤمن يمثل له عمله يوم القيمة في احسن صورة احسن ما خلق الله وجها وثيابا واطيبه ريحا فيجلس
الى جنبه كلما افزعه شيء امنه وكلما تخوف شيا هونه فيقول له جزاك الله من صاحب خيرا من انت فيقول اما تعرفني
وقد صحبتك في قبرك وفي دنياك انا عملك كان والله حسنا ولذلك تراني حسنا وكان طيبا فلذلك تراني
طيبا طالما ركبتك في الدنيا فاركبني الان فهو قوله تعالى وينجي الله الذين امنوا بمفازتهم فيركبه حتى يأتي به الى ربه
فيقول يا رب ان كل صاحب عمل في الدنيا قد اصاب في عمله وكل صاحب تجارة قد اصاب في تجارته غير صاحبي هذا
قد شغل في نفسه فيقول الرب تبارك وتعالى فما تسال قال اسال المغفرة فيقول اني قد غفرت له ثم يكسى حلة الكرامة
ويجعل على راسه تاج الوقار فيه لؤلؤة تضيء من مسيرة يومين ثم يقول يا رب ان ابويه قد كان شغل عنهما وكل
صاحب عمل وتجارة قد كان يدخل على ابويه من عمله فيعطيان مثل ما اعطي واما الكافر فيمثل له عمله في اقبح صورة
وانتن ريح فيجلس الى جنبه كلما افزعه شيء زاده وكلما خاف شيا زاده خوفا فيقول بئس الصاحب انت ومن
انت فيقول وما تعرفني انا عملك كان قبيحا فلذلك تراني قبيحا وكان منتنا فلذلك تراني منتنا فطاطي راسك
اركبك كما ركبتني في الدنيا وهو قوله تعالى ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة قال القرطبي وهذا يشهد له الحديث
الذي رواه قيس بن عاصم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انه لا بد لك يا قيس من قرين يدفن معك هو تدفن
معه وانت ميت فان كان كريما اكرمك وان كان لئيما اسلمك ثم لا يحشر الا معه ولا تبعث الا معه ولا تسال عنه
الا عنه فلا تجعله الا صالحا فانه ان كان صالحا لم تأنس الا به وان كان فاحشا لم تستوحش الا منه وهو
فعلك وذكر في حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما الشفاعة يوم القيمة لمن عمل الكبائر
من امتي ثم ماتوا عليها فهم في النار الاول لا جهنم لا تسود وجوههم ولا تزرق اعينهم ولا يغلون بالاغلال
ولا يقرنون بالشياطين ولا يضربون بالمقامع ولا يطرحون في الادراك منهم من يمكث فيها ساعة ثم يخرج
ومنهم من يمكث شهرا ومنهم من يمكث سنة ثم يخرج واطولهم مكثا فيها مثل الدنيا مذ خلقت الى يوم افنيت
وذلك سبعة الاف سنة الحديث بطوله وقال صلى الله عليه وسلم اهل النار الذين هم اهلها لا يموتون فيها ولا يحيون
وان اهلها الذين يخرجون منها اذا سقطوا فيها كانوا فحما حتى ياذن الله فيخرجهم فيلقيهم على نهر يقال
له الحياة او الحيوان فيرش عليهم اهل الجنة الماء فينبتون ثم يدخلون الجنة يسمون الجهنميين ثم يطلبون
الى الرحيم جل وعز فيذهب ذلك الاسم عنهم فيلحقون باهل الجنة وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما اهل النار الذين هم اهلها فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن
ناس اصابهم النار بذنوبهم او قال بخطاياهم فاماتهم اماتة حتى اذا كانوا فحما اذن لهم في الشفاعة فجيء
بهم ضبائر ضبائر فبثوا على انهار الجنة ثم قيل يا اهل الجنة افيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون
في حميل السيل رواه مسلم قال القرطبي هذه الموتة للعصاة موتة حقيقية لانه صلى الله عليه وسلم اكدها بالمصدر
وذلك تكريما لهم حتى لا يحسوا الم العذاب بعد الاحتراق بخلاف المخلدين فيها وقيل يجوز ان يكون المعنى
اماتتهم اي غيبتهم عن الامها بالنوم ولا يكون موتا حقيقيا فان النائم يغيب عن كثير من الالام وقد سماه
الله وفاة فقال تعالى الله يتوفى الانفس الاية لانها غيبة عن مشاهدة الالام الذي يختص بادراكها الى

سمى

سمى ذلك موتا قال والاول اصح لتاكيده بالمصدر فان قيل فما معنى ادخالهم النار وهم فيها غير عالمين قيل يجوز ان
يدخلهم تأديبا لهم وان لم يعذبهم ويكون حرمان نعيم الجنة مدة كونهم فيها عقوبة لهم فان الحبس عقوبة وان
لم يكن معه عذاب ولا فيه وقوله ضبائر ضبائر معناه جماعات وبثوا فرقوا والحبة بالكسر الواحدة من بزر البقول وفي رواية
اذا اخرج الله بشفاعة الشافعين من اخرج يقول الله تبارك وتعالى انا الله اخرج بعلمي وبرحمتي فيخرج اضعاف
ما اخرجوا واضعافه ويكتب في رقابهم عتقاء الله عز وجل فيدخلون الجنة فيسمون فيها الجهنميين فعند
ذلك يقولون الهنا لو تركتنا في النار كان احب الينا من العار فيرسل الله ريحا من تحت العرش يقال لها
المثيرة فتهب على وجوههم فتمحى الكتابة وتزيدهم بهجة وجمالا وفي رواية يقول الله تعالى تشفع الملائكة
وتشفع النبيون وتشفع المؤمنون ولم يبق الا ارحم الراحمين وفي البخاري وبقيت شفاعتي فيقبض
قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر على افواه الجنة يقال له نهر
الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل الا ترونها تكون الى الحجر والى الشجر ما يكون الى الشمس
يكون اصفر واخضر وما يكون الى الظل يكون ابيض قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم يعرفهم اهل
الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين ادخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رايتموه
فهو لكم فيقولون ربنا اعطيتنا ما لم تعط احدا من العالمين فيقول لكم عندي افضل من هذا فيقولون ربنا
واي شيء اعظم من هذا فيقول رضاي فلا اسخط عليكم بعده ابدا وعن ابن عباس رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فرغ الله من القضاء بين خلقه اخرج كتابا من تحت العرش ان رحمتي سبقت
غضبي وانا ارحم الراحمين قال فيخرج من النار مثل اهل الجنة او قال مثلي اهل الجنة قال واكثر ظني مثلا اهل الجنة
مكتوب بين اعينهم عتقاء الله وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ينادي مناد من تحت العرش
يوم القيمة يا امة محمد ما كان لي قبلكم فقد وهبته لكم وبقيت التبعات فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتي اللهم
يا ارحم الراحمين ادخلنا في رحمتك التي وسعت كل شيء وفي شفاعة نبيك صلى الله عليه وسلم تتمة انكر بعض
الخوارج والمعتزلة الشفاعة متمسكين بظاهر قوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين وقوله تعالى ما للظالمين
من حميم ولا شفيع يطاع واجاب اهل السنة بان هذه الايات في الكفار قال القاضي عياض مذهب اهل السنة
جواز الشفاعة عقلا ووجوبها سمعا لصريح قوله تعالى يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له
قولا وقوله لا يشفعون الا لمن ارتضى وقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا المفسر بها عند الاكثر
وقد جاءت الاثار التي بلغ مجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الاخرة لمذنبي المؤمنين وعبارة السعد
التفتازاني في شرح العقايد والشفاعة ثابتة للرسل والاخيار في حق اهل الكبائر بالمستفيض من الاخبار
خلافا للمعتزلة وهذا مبني على ما سبق من جواز العفو والمغفرة بدون الشفاعة فبالشفاعة اولى
وعندهم لما لم يجز العفو لم تجز الشفاعة لنا قوله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقوله تعالى
فما تنفعهم شفاعة الشافعين فان اسلوب هذا الكلام يدل على ثبوت الشفاعة في الجملة والا لما كان
لنفي نفعها عن الكافرين عند القصد الى تقبيح حالهم وتحقيق ياسهم معنى لان مثل هذا المقام

يقتضى ان يو سموا بما يخصهم لا بما يعمهم وغيرهم وليس المراد ان تعليق الحكم بالكافرين يدل على نفيه عما عداه حتى يرد عليه انه انما تقوم حجة على من يقول بمفهوم المخالفة وقوله صلى الله عليه وسلم شفاعتى لاهل الكبائر من امتى وهو مشهور بل الاحاديث فى باب الشفاعة متواترة المعنى واحتجت المعتزلة بقوله تعالى واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة وقوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع والجواب بعد تسليم دلالتها على العموم فى الاشخاص والازمان والاحوال انه يجب تخصيصها بالكفار جمعا بين الادلة ولما كان اهل العفو والشفاعة ثابتة بالادلة القطعية من الكتاب والسنة والاجماع قالت المعتزلة بالعفو عن الصغائر مطلقا وعن الكبائر بعد التوبة وبالشفاعة لزيادة الثواب وكلاهما فاسد اما الاول فلان التائب ومرتكب الصغيرة المجتنب عن الكبيرة لا يستحقان العذاب عندهم فلا معنى للعفو واما الثانى فلان النصوص دالة على الشفاعة بمعنى طلب العفو عن الجناية قيل واول من انكرها عمرو بن عبيد وهو مبتدع باتفاق اهل السنة ويروى عن يزيد بن صهيب الفقير قال كنت قد شغفنى راى الخوارج وكنت رجلا شابا فخرجنا فى عصابة نريد ان نحج فمررنا على المدينة فاذا جابر بن عبد الله يحدث القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الجهنميين فقلت له يا صاحب رسول الله ما هذا الذى تحدثون والله عز وجل يقول انك من تدخل النار فقد اخزيته وكلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها فقال اتقرأ القران قلت نعم قال فهل سمعت بمقام محمد المحمود الذى يبعثه الله فيه قلت نعم قال فانه مقام محمد المحمود الذى يخرج به من يخرج من النار ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه وان قوما يخرجون من النار بعد ان يكونوا فيها قال فرجعنا وقلنا اترون هذا الشيخ يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم شفعه فينا يا كريم

دعا الى الله فالمتمسكون به • مستمسكون بحبل غير منفصم

دعا الى الله اى طلب بترغيب كل احد الى الله اى الى دينه وهو دين الاسلام ان الدين عند الله الاسلام وحذف المفعول مودن بالعموم كما فى قوله تعالى والله يدعو الى دار السلام اى العباد كلهم لان الدعوة الى الجنة تعم الناس كافة لكن الهداية الى الطريق المستقيم الموصل اليها يختص به من يشاء ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم ودعوته صلى الله عليه وسلم عامة لسائر المخلوقات تشريفا له صلى الله عليه وسلم ولها وهذه الدعوة العامة خاصة به صلى الله عليه وسلم لم تكن لغيره من الرسل الكرام قال النووى اول ما وجب الانذار والدعا الى التوحيد ثم فرض الله من قيام الليل اول ما ذكره فى سورة المزمل انتهى وكانت هذه الدعوة المقرونة بالرسالة بعد ان اعطى النبوة ونزل عليه سورة اقرأ اعلاما بنبوته وسورة المدثر بعدها اعلاما بارساله بالنذارة والبشارة والتشريع وحكمة التاخير انه لما كانت سورة اقرأ متضمنة لذكر اطوار الادمى من الخلق والتعليم والافهام ناسب ان تكون اول سورة انزلت وهذا هو الترتيب الطبعى فانه ذكر الله سبحانه وتعالى ما اسداه الى نبيه عليه السلام من العلم والفهم والحكمة والنبوة ومن عليه بذلك فى معرض تعريف عباده ما اسداه اليهم من نعمة البيان الفهمى والنطقى والخطى ثم امره سبحانه وتعالى بان يقوم فينذر عباده ويدعوهم الى الله تعالى والى عبادته فبلغ صلى الله عليه وسلم الرسالة وادى الامانة ونصح الامة وكشف الغمة اللهم اذا

نشهد

نشهد بذلك فاجزه اللهم افضل ما جوزى به رسول عن امته واحشرنا تحت لوائه فكان اول من امن به وصدق صديقة النساء خديجة رضى الله عنها فقامت باعباء الصديقية حيث قال لها صلى الله عليه وسلم خشيت على نفسى فقالت ابشر فوالله لا يخزنك الله ابدا ثم استدلت بما فيه من الصفات والاخلاق والشيم على ان من كان كذلك لا يخزى وكان اول ذكر امن بعدها صديق الامة واسبقها الى الاسلام ابو بكر الصديق رضى الله عنه فازره فى الله ونصره وهو قول ابن عباس وحسان بن ثابت كما ذكره فى شعره حيث يقول

اذا تذكرت شجوا من اخى ثقة • فاذكر اخاك ابا بكر بما فعلا
خير البرية اتقاها واعدلها • بعد النبى واوفاها بما حملا
والثانى التالى المحمود مشهده • واول الناس قدما صدق الرسلا

ووافق على ذلك اسما بنت ابى بكر والنخعى وابن الماجشون ومحمد بن المنكدر وقيل ان على بن ابى طالب بعد خديجة وكان فى حجر النبى صلى الله عليه وسلم فعلى هذا يكون اول من اسلم من الرجال ابو بكر ويكون على اول صبى اسلم لانه كان صبيا لم يدرك ولذا قال

سبقتكم الى الاسلام طرا • صغيرا ما بلغت اوان حلمى

وكان سن على اذ ذاك عشر سنين فيما حكاه الطبرى وممن ذهب الى انه اول من اسلم سلمان وابو ذر والمقداد وخباب وجابر وابو سعيد الخدرى وزيد بن ارقم وهو قول ابن شهاب وقتادة وغيرهم وقيل اول رجل اسلم ورقة بن نوفل ومن منع ذلك يدعى انه ادرك نبوته لا رسالته لكن جاء فى السير وهو فى رواية ابى نعيم انه قال ابشر فانا اشهد انك الذى بشر به ابن مريم وانك على مثل ناموس موسى وانك نبى مرسل وانك ستؤمر بالجهاد وان ادرك ذلك لاجاهدن معك فهذا تصريح منه بتصديق رسالة محمد صلى الله عليه قال البلقينى بل يكون بذلك اول من اسلم من الرجال وبه قال العراقى وذكره ابن منده فى الصحابة واقول ما ذكر صحيح الا انه تصديق بالرسالة قبل الدعوة لما قام عنده من الشواهد على رسالته وحكى العراقى كون على اول من اسلم عن اكثر الصحابة وحكى ابن عبد البر الاتفاق عليه وحكى الثعلبى وغيره اتفاق العلما على ان اول من اسلم مطلقا خديجة قال ابن الصلاح والاورع ان يقال اول من اسلم من الرجال الاحرار ابو بكر ومن الصبيان او الاحداث على ومن النسا خديجة ومن الموالى زيد ومن العبيد بلال انتهى وقال الطبرى الاولى التوفيق بين الروايات كلها وتصديقها فيقال اول من اسلم مطلقا خديجة واول ذكر اسلم على بن ابى طالب وهو صبى لم يبلغ وكان مستخفيا باسلامه واول رجل عربى بالغ اسلم واظهر اسلامه ابو بكر بن ابى قحافة واول من اسلم من الموالى زيد قال وهذا متفق عليه لا اختلاف فيه واما ايمان ابى بكر حين سافر معه الى الشام فى قصة بحيرا فالمراد بالتيقن لانه كان قبل النبوة اذ كان صلى الله عليه وسلم ابن ثمانية عشرة سنة ثم امن بعد زيد بن الحارث عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابى وقاص وطلحة بن عبد الله بدعاء ابى بكر الصديق فجاء بهم الى النبى صلى الله عليه وسلم حين استجابوا فاسلموا وصلوا ثم اسلم ابو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح وابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد بعد تسعة انفس والارقم بن ابى الارقم المخزومى وعثمان بن مظعون الجمحى واخوه قدامه

وعبد الله وعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف وسعد بن زيد بن عمرو بن نفيل وامراته فاطمة ابنة الخطاب
وقال ابن سعد اول امراة اسلمت بعد خديجة ام الفضل زوج العباس واسماء بنت ابي بكر واما قول ابن اسحق وعائشة
اختها فوهم لانها لم تكن ولدت بعد لان مولدها كان سنة اربع من النبوة كما قال مغلطاي وغيره ثم دخل
الناس في الاسلام ارسالا من الرجال والنساء ثم ان الله تعالى امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يصدع بما جاءه
اي يواجه به المشركين قال تعالى فاصدع بما تؤمر فجهر هو واصحابه قال القاضي البيضاوي فاصدع بما تؤمر من صدع
بالحجة اذا تكلم بها جهارا قالوا وكان ذلك بعد ثلاث سنين من النبوة وهي المدة التي اخفى رسول الله صلى الله عليه
وسلم امره فيها الى ان امره الله تعالى باظهاره فنادى قومه بالاسلام وصدع به كما امره الله تعالى ولم يبعد قومه منه
ولم يردوا عليه حتى ذكر الهتهم وعابها وكان ذلك في سنة اربع كما قاله العيني فاجمعوا على خلافه وعداوته
الا من عصم الله منهم بالاسلام وقام عمه ابو طالب بنصرته فمنعهم منه وقام دونه واشتد الامر وتضارب
القوم واظهر بعضهم لبعض العداوة وتوأمرت قريش على من اسلم منهم يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم
وقام في نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنعه مع ابيه عمه ابي طالب بنو هاشم غير ابي لهب وقال مقاتل كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ابي طالب يدعوه الى الاسلام فاجتمعت قريش الى ابي طالب يريدون بالنبي
صلى الله عليه وسلم سوءا فقال ابو طالب حين تروح الابل فان حنت ناقة الى غير فصيلها دفعته اليكم

والله لن يصلوا اليك بجمعهم * حتى اوسد في التراب دفينا
فاصدع بامرك ما عليك غضاضة * وابشر وقر بذاك منك عيونا
ودعوتني وزعمت انك ناصحي * ولقد صدقت وكنت ثم امينا
وعرضت دينا لا محالة انه * من خير اديان البرية دينا
لولا الملامة او حذاري سبة * لوجدتني سمحا بذاك مبينا

وكان صلى الله عليه وسلم يطوف على الناس في منازلهم يقول يا ايها الناس ان الله يامركم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا
وابو لهب وراءه يقول يا ايها الناس ان الله يامركم ان لا تتركوا دين ابائكم ورماه الوليد بن المغيرة بالسحر
وتبعه قومه على ذلك واذته قريش ورموه بالشعر والكهانة والجنون ومنهم من كان يحثو التراب على راسه
ويجعل الدم على بابه ووطئ عقبة بن ابي معيط على رقبته الشريفة وهو ساجد عند الكعبة حتى كادت
عيناه تبرزان وخنقوه خنقا شديدا فقام ابو بكر دونه فجذبوا رأسه ولحيته حتى سقط اكثر شعره
فقام ابو بكر دونه وهو يقول اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقال ابن عمر كما في البخاري بينما رسول
الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة اذ اقبل عقبة بن ابي معيط فاخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلف
ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فجاء ابو بكر فاخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية
اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد ذكر العلماء ان ابا بكر رضي الله عنه افضل من مؤمن آل فرعون لان ذلك
اقتصر حيث انتصر على اللسان واما ابا بكر فاتبع اللسان يدا ونصر بالقول والفعل وفي رواية البخاري ثم اسلم
حمزة بن عبد المطلب وكان اعز فتى في قريش واشده شكيمة وكان اسلامه فيما قاله العيني سنة ست

فقربه

فقوي به رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفت عنه قريش وقال حمزة حين اسلم

حمدت الله حين هدى فؤادي * الى الاسلام والدين الحنيف
لدين جاء من رب عزيز * خبير بالعباد بهم لطيف
اذا تليت رسائله علينا * تحدر دمع ذي اللب الحصيف
رسائل جاء احمد من هداها * بايات مبينة الحروف
فاحمد مصطفى فينا مطاع * فلا تغشوه بالقول العنيف
فلا والله نسلمه لقوم * ولما نقض فيهم بالسيوف

وعند مغلطاي وسالوه يعني النبي صلى الله عليه وسلم ان كنت تطلب الشرف فينا فنحن نسودك علينا وان كنت تريد
ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذي ياتيك رئيا قد غلب عليك بذلنا اموالنا في طلب الطب لك حتى نبريك
منه او نعذر فيك فقال لهم عليه السلام ما بي ما تقولون ولكن الله بعثني رسولا وانزل علي كتابا وامرني ان
اكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم فان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا
والاخرة وان تردوه علي اصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم ولما كثر المسلمون وظهر الايمان
اقبل كفار قريش على من امن يعذبونهم ويؤذونهم ليردوهم عن دينهم حتى ان عدو الله ابو جهل سمية
ام عمار بن ياسر وهي تعذب فطعنها بحربة في فرجها فماتت وقتلها وكان الصديق رضي الله عنه اذا مر باحد
من العبيد اشتراه منهم واعتقه منهم بلال وعامر بن فهيرة وعن ابي زر كان اول من اظهر الاسلام سبعة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمار وامه سمية وصهيب وبلال والمقداد فاما رسول الله صلى الله
عليه وسلم فمنعه الله بعمه ابي طالب واما ابو بكر فمنعه الله بقومه واما سائرهم فاخذهم المشركون فالبسوهم
ادراع الحديد واجهروهم في الشمس وان بلالا هانت عليه نفسه في الله عز وجل وهان على قومه فاخذوه
فاعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول احد احد رواه احمد في مسنده وعن مجاهد مثله
وزاد في قصة بلال وجعلوا في عنقه حبلا ودفعوه الى الصبيان يلعبون به حتى اثر الحبل في عنقه فانظر كيف
فعل بلال لما فعل من الاكراه على الكفر وهو يقول احد احد فمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان وهذا كما وقع له
ايضا عند موته كانت امراته تقول واحرباه وهو يقول واطرباه غدا القى الاحبة محمدا وصحبه فمزج
مرارة الموت بحلاوة اللقا ولله در ابي محمد الشقراطي حيث يقول

لاقى بلال بلاء من امية قد * احله الصبر فيه اكرم النزل
اذا اجهدوه بضنك الاسر وهو على * شدائد الازل ثبت الازر لم يزل
القوه بطحا برمضاء البطاح وقد * عالوا عليه صخورا جمة الثقل
فوحد الله اخلاصا وقد ظهرت * بظهره كسر دب الطل في الطلل
ان قد ظهر ولي الله من دبر * قد قد قلب عدو الله من قبل

ثم اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه في الهجرة الى الحبشة وذلك في رجب سنة خمس من النبوة فهاجر

اليها ناس ذو عدد منهم من هاجر باهله ومنهم من هاجر بنفسه وكانوا احد عشر رجلا وقيل اثني عشر رجلا
واربع نسوة وقيل وخمس نسوة وقيل وامراتان وخرجوا مشاة الى البحر فاستاجروا سفينة بنصف دينار
وكان اول من خرج عثمان بن عفان مع امراته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رات قريش
استقرارهم في الحبشة وانهم ارسلوا عمرو بن العاص وعبد الله بن ابي ربيعة بهدايا وتحف من بلادهم
الى النجاشي وكان معهم عمارة بن الوليد ليردهم الى قومهم فابى ذلك وردهما خائبين بهديتهما واسلم
عمر بن الخطاب بعد حمزة بثلاثة ايام فيما قاله ابو نعيم بدعوته صلى الله عليه وسلم اللهم اعز الاسلام بابي
جهل او بعمر بن الخطاب وكان المسلمون اذ ذاك بضعة واربعين رجلا واحدى عشر امراة وسنذكر سبب
اسلامه ان شاء الله تعالى في ترجمته ولما اسلم عمر كبر المسلمون تكبيرة سمعت بطرق مكة وكان الرجل
اذا اسلم استخفى قال عمر ثم خرجت فذهبت الى رجل لم يكتم الستر فقلت له اني صبوت قال فرفع صوته
باعلاه الا ان ابن الخطاب قد صبا فما زال الناس يضربوني واضربهم فقال خالي ما هذا قالوا ابن الخطاب
فقام على الحجر واشار بكمه فقال الا اني اجرت ابن اختي قال فانكشف الناس عني قال فما زلت اضرب واضرب
حتى اعز الله الاسلام قال ابن عباس لما اسلم عمر قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد استبشر اهل
السماء باسلام عمر رواه ابن ماجه ولما رات قريش عزة النبي صلى الله عليه وسلم فلما بلغ ذلك ابو طالب
جمع بني هاشم وبني المطلب فادخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم شعبهم ومنعوه ممن اراد قتله فاجابوه
لذلك حتى كفارهم فعلوا ذلك حمية الا ابا لهب فانه كان مع قريش فلما رات قريش اجمعوا على كتابة
الصحيفة وسنتكلم عليها ان شاء الله تعالى ثم هاجر المسلمون الهجرة الثانية الى الحبشة وعدتهم ثلاثة وثمانون
رجلا وثماني عشرة امراة وخرج ابو بكر الصديق رضي الله عنه مهاجرا الى الحبشة حتى بلغ برك الغماد
ورجع في جوار سيد القارة مالك بن الدغنة وسنتكلم على ذلك ان شاء الله تعالى في ترجمته ولما اتت عليه
صلى الله عليه وسلم تسع واربعون سنة وثمانية اشهر واحدى عشر يوما مات عمه ابو طالب وله سبع وثمانون
سنة وقيل ومات في النصف من السنة العاشرة ثم بعد ذلك بثلاثة ايام وقيل بخمسة في رمضان بعد البعث
بعشر سنين على الصحيح ماتت خديجة رضي الله عنها وكان صلى الله عليه وسلم يسمي ذلك العام عام
الحزن وكانت مدة اقامتها معه صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة على الصحيح وسنتكلم على ترجمتها
ان شاء الله تعالى عند ذكر زوجاته صلى الله عليه وسلم ثم خرج صلى الله عليه وسلم الى الطائف بعد موت خديجة
في ليال بقين من شوال سنة عشر من النبوة لما نال من قريش بعد موت ابي طالب وكان معه زيد بن حارثة واقام
به شهرا يدعو اشراف ثقيف الى الله تعالى فلم يجيبوه واغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه قال موسى بن
عقبة ورموا عراقيبه بالحجارة حتى اختضبت نعلاه بالدماء زاد غيره وكان اذا اذلقته الحجارة قعد الى الارض
فياخذونه بعضديه فيقيمونه فاذا مشى يرجموه وهم يضحكون وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج
في راسه شجاجا وفي البخاري ومسلم من حديث عائشة انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل اتى عليك
يوم اشد مما لقيت منهم يوم العقبة اذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني الى ما اردت

فانطلقت وانا مهموم على وجهي فلم استفق الا وانا بقرن الثعالب فرفعت راسي فاذا سحابة قد اظلتني
فنظرت فاذا فيها جبريل عليه السلام فناداني فقال ان الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك وقد بعث
اليك ملك الجبال لتامره بما شئت فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال يا محمد ان الله قد سمع قول قومك
وانا ملك الجبال وقد بعثني ربك اليك لتامرني بامرك ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين قال النبي صلى
الله عليه وسلم بل ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا وعبد ياليل
بتحتانية وبعدها الف ثم لام مكسورة ثم تحتانية ساكنة ثم لام ابن عبد كلال بضم الكاف وتخفيف اللام
اخره لام رجل من اكابر اهل الطائف من ثقيف وقرن الثعالب هو ميقات اهل نجد ويقال له قرن المنازل
ولما انصرف صلى الله عليه وسلم عن اهل الطائف مر في طريقه بعتبة وشيبة ابني ربيعة وهما في حائط لهما
فلما رايا ما لقي تحركت رحمهما فبعثا له مع عداس النصراني غلامهما قطف عنب فلما وضع صلى الله
عليه وسلم يده في القطف قال بسم الله ثم اكل فنظر عداس الى وجهه ثم قال والله ان هذا الكلام ما يقوله
اهل هذه البلاد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال وما يدريك
قال ذاك اخي هو نبي مثلي فاكب عداس على يديه وراسه ورجليه يقبلها واسلم ولما نزل نخلة وهو موضع
على ليلة من مكة صرف اليه سبعة من جن نصيبين واستمعوا له وسنتكلم على ذلك ان شاء الله تعالى وفي طريقه
هذا دعا بالدعاء المشهور وهو اللهم اني اشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس
وانت ارحم الراحمين انت رب المستضعفين في الارض وانت ربي الى من تكلني الى بعيد يتجهمني او الى عدو
ملكته امري ان لم يكن بك علي غضب فلا ابالي ولكن عافيتك هي اوسع لي اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت
له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والاخرة من ان ينزل بي غضبك او يحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى
لا حول ولا قوة الا بك اورده ابن اسحق ورواه الطبراني في كتاب الدعاء عن عبد الله بن جعفر قال لما
توفي ابو طالب خرج النبي صلى الله عليه وسلم الى الطائف فدعاهم الى الاسلام فلم يجيبوه فاتى ظل شجرة
فصلى ركعتين ثم قال اللهم فذكره ثم وقع الاسراء والمعراج وسنتكلم على ذلك ان شاء الله تعالى ولما اراد الله تعالى
اظهار دينه واعزاز نبيه وانجاز وعده خرج صلى الله عليه وسلم في الموسم الذي لقي فيه الانصار الاوس والخزرج
فعرض نفسه صلى الله عليه وسلم على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم فبينما هو عند العقبة لقي رهطا
من الخزرج اراد الله بهم خيرا فقال لهم من انتم قالوا نفر من الخزرج قال افلا تجلسون اكلمكم قالوا بلى
فجلسوا معه فدعاهم الى الله تعالى وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القران وكان من صنع الله ان اليهود
كانوا معهم في بلادهم وكانوا اهل كتاب وكان الاوس والخزرج اكثر منهم فكانوا اذا كان بينهم شيء قالوا
ان نبيا سيبعث الان فقد اظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه فلما كلمهم النبي صلى الله عليه وسلم عرفوا النعت
فقال بعضهم لبعض لا يسبقنا اليهود اليه فاجابوه لما دعاهم اليه وصدقوه وقبلوا منه وعرض عليهم
الاسلام فاسلم منهم ستة نفر وكلهم من الخزرج فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم تمنعون ظهري
حتى ابلغ رسالة ربي فقالوا يا رسول الله انما كانت بعاث عام الاول يوم من ايامنا اقتتلنا به فان تقدم

ونحن كذلك لا يكون لنا عليك اجتماع فدعنا حتى نرجع الى عشايرنا لعل الله يصلح ذات بيننا وندعوهم الى ما دعوتنا فعسى الله ان يجمعهم عليك فان اجتمعت كلمتهم عليك وتبعوك فلا احد اعز منك ونوعدك الموسم العام القابل وانصرفوا الى المدينة ولم يبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان العام القابل لقيه اثنى عشر رجلا وفى الاكليل احدى عشر رجلا وفى العقبة الثانية فيهم خمسة من الستة المذكورين فاسلموا وبايعوا على بيعة النساء اى وفق بيعتهم عند فتح مكة وهى ان لا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل اولادنا ولا ناتى ببهتان نفتريه بين ايدينا وارجلنا ولا نعصيه فى معروف والسمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره وان لا ننازع الامر اهله وان نقول الحق حيث كنا لا نخاف فى الله لومة لايم ثم قال صلى الله عليه وسلم فان وفيتم فلكم الجنة ومن غش من ذلك شيئا كان امره الى الله ان شاء عذبه وان شاء عفى عنه ولم يفرض يومئذ القتال ثم انصرفوا الى المدينة فاظهر الله الاسلام وكان اسعد بن زراره يجمع بالمدينة بمن اسلم وكتبت الاوس والخزرج الى النبى صلى الله عليه وسلم ابعث الينا من يقرينا القرآن فبعث اليهم مصعب بن عمير وكانوا اربعين رجلا واسلم على يدى مصعب بن عمير خلق كثير من الانصار واسلم فى جماعتهم سعد بن معاذ واسعد بن حضير واسلم باسلامهم جميع بنى عبد الاشهل فى يوم واحد الرجال والنسا ولم يبق منهم احد الا اسلم حاشى الاحزم وهو عمرو بن ثابت تاخر باسلامه الى يوم احد واستشهد ولم يسجد لله سجدة واحدة واخبر صلى الله عليه وسلم انه من اهل الجنة ولم يكن فى بنى عبد الاشهل منافق ولا منافقه بل كانوا كلهم حنفا مخلصين رضى الله عنهم ثم قدم على النبى صلى الله عليه وسلم فى العقبة الثالثة فى العام المقبل فى ذى الحجة اوسط ايام التشريق منهم سبعون رجلا وقال ابن اسعد يزيدون رجلا او رجلين وامراتان وقال ابن اسحاق ثلاثة وسبعون رجلا وامراتان فكان اول من ضرب على يده عليه السلام البرا بن معرور ويقال ابو الهيثم ويقال اسعد بن زراره على انهم يمنعونه بما يمنعون به نساءهم وابناءهم وعلى حرب الاحمر والاسود وكانت اول آية نزلت فى الاذن فى القتال اذن للذين يقاتلون الايه وحضر العباس العقبة تلك الليلة متوثقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومؤكدا على اهل يثرب وكان يومئذ على دين قومه قال ابن اسحق ولما تمت بيعة هولاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وكانت سرا عن كفار قريش امر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان معه بالهجرة الى المدينة فخرجوا ارسالا واقام بمكة ينتظر ان يؤذن له فى الخروج فكان اول من هاجر من مكة الى المدينة ابو سلمة بن عبد الاسد ثم خرجت الصحابة ارسالا ومنهم عمر بن الخطاب وزيد وعباس ابن ربيعه فى عشرين راكبا فقدموا المدينة فنزلوا فى العوالى ثم خرج عثمان بن عفان رضى الله عنه حتى لم يبق معه صلى الله عليه وسلم الا على بن ابى طالب وابو بكر وكان الصديق

كثير

كثيرا ما يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة فيقول لا تعجل ان الله يجعل لك صاحبا فيطمع ابو بكر ان يكون هو ثم اجتمعت قريش فى دار الندوة للمشاورة فى قتل النبى صلى الله عليه وسلم ومعهم ابليس فى صورة رجل نجدى ثم خرج صلى الله عليه وسلم مهاجرا الى المدينة وسنذكر ذلك ان شاء الله تعالى ثم بعد الهجرة اذن له فى القتال وكانت غزواته كما سنذكرها فى محلها ثم كان فتح مكة الذى اعز الله به الاسلام ودخل الناس فى دين الله افواجا وانزل الله على رسوله اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا والحمد لله لم يزل الاسلام ينمو ويزيد بدعوته التامة الباقية الى يوم القيامة فلله الحمد على نعمة الاسلام اللهم انا نشهدك انه بلغ الرسالة وادى الامانة ونصح الامة وكشف الغمة اللهم فصل وسلم عليه وزده فضلا وشرفا واجزه عنا افضل ما يجزى نبى عن امته برحمتك يا ارحم الراحمين فالمستمسكون به الفا تفريع على ما تقدم وتفصيل على دعايه والمستمسكون مبتدا وبه متعلق به وما بعده خبر وساغ ذلك مع اتحادهما لاختلافهما تعريفا وتنكيرا ومتعلقا والمستمسكون اسم فاعل من استمسكت بالشئ تمسكت به والسين للمبالغة فى المسك لا للطلب لانه لا يلزم من طلب المسك حصوله والمراد بالحبل هنا هو النبى صلى الله عليه وسلم او المعجزة العظمى التى جاء بها عن الله تعالى وهى القرآن والحبل يطلق عليها قال تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا استعير الحبل للنبى صلى الله عليه وسلم من حيث ان التمسك به سبب النجاة عن الردى كما ان التمسك بالحبل سبب السلامة عن التردى للوثوق به والاعتصام والاستمساك ترشيح للاستعارة اما باقيا على معناه او مستعارا للوثوق كما جوزوا فى الاية وجوها اربعة من ان الاعتصام وهو الاستمساك يحتمل ان يكون ترشيحا ايضا باقيا على معناه او مستعارا للوثوق بالعهد او مجازا مرسلا فى الوثوق بالعهد بعلاقة الاطلاق والتقييد فيكون مجازا بمرتبتين او فى الوثوق المطلق كانه قيل ثقوا بعهد الله وح كل من الترشيح والاستعارة ترشيح للاخر كما نص عليه المولى عصام فى شرح الاستعارة وغير منفصم صفة للحبل والفصم بالفا كسر الشئ من غير ابانة وبالقاف قطعة بابانة ولهذا قيل ان الحروف لها اشعار بالمعانى لان القاف اقوى من الفا نطقا والفا هنا اولى مع جواز الوجهين لا يخفى وهو اقتباس من قوله تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها نص الناظم رحمه الله على احد القسمين وهم المستمسكون لانهم هم المقصودون بالذكر والشرف مبينا استمساكهم وتمسكهم وحذف غير المستمسكين اى ومن لم يستمسك واقعون فى مهاوى محامة المهالك ليس لهم متشبث ولا حجة يتمسك بها وفى البيت من البديع التكرير والاقتباس والاستعارة والتقسيم والله اعلم

فاق النبيين فى خلق وفى خلق ... ولم يدانوه فى علم ولا كرم

فاق النبيين اى علاهم يقال فاق الرجل اصحابه علاهم بالشرف وبابه قال فوقا وفواقا قال
الراغب وهو من فوق المستعمل فى الفضيلة نحو قوله تعا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات والنبيين
جمع نبى واللام فيه للاستغراق فدخل فيهم يوسف عليه السلام اى فاقهم **فى خلق** بفتح الخا وفى خلق
بضمها مع ضمة اللام ويجوز اسكانها قال الراغب الخلق والخلق بالفتح وبالضم فى الاصل بمعنى
واحد كالشرب والشرب لكن خص الخلق الذى بالفتح بالهيات والصور المدركة بالبصر و
خص الخلق الذى بالضم بالقوى والسجايا المدركة بالبصر وقدم الاول على الثانى لتقدمه طبعا
فقدم وضعا رعاية لترتيب الوجود لانه كالدليل على الثانى قالوا ومن تمام الايمان به صلى الله عليه
وسلم اعتقاد انه لم يجتمع فى بدن ادمى من المحاسن الظاهرة ما اجتمع فى بدنه صلى الله عليه وسلم
وسر ذلك ان المحاسن الظاهرة ايات على المحاسن الباطنة والاخلاق الزكية فلذلك كانت اكمل
الصفات مجموعة فى اكمل الناس وهم النبيون عليهم السلام وكان نبينا صلى الله عليه وسلم
اكمل النبيين فلذلك فاقهم فى الصفات خلقا وخلقا فلا اكمل منه صلى الله عليه وسلم بل ولا مساوى
له فى هذا المدلول فكذلك فى الدال وبما قررناه اندفع ما اورد انه لا يمدح بحسن الخلق والصور
لانها خلقية ليست باختيار للعبد ولا مكتسبة له وانما قلنا ومنهم يوسف عليه السلام لما
اشتهر من جمال صورته وانه اعطى شطر الحسن والمراد بشطر الحسن الذى اعطيه هو شطر حسن
نبينا صلى الله عليه وسلم وفرق الشطر الثانى على ساير الناس لا شطر الحسن مطلقا وفرق الثانى
على الناس فيكون نبينا من جملتهم كما قد يظن ذلك ويحقق ذلك ما رواه الترمذى والدار
قطنى عن قتاده عن انس قال ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم صلى الله
عليه وسلم احسنهم وجها واحسنهم صوتا وقد حكى القرطبى فى كتاب الصلوة عن بعضهم انه قال
لم يظهر لنا تمام حسنه صلى الله عليه وسلم لانه لو ظهر لنا تمام حسنه لما طاقت اعين الصحابة
رؤيته صلى الله عليه وسلم وهذه التشبيهات الوارده فى حقه صلى الله عليه وسلم انما هى على سبيل
التقريب والتمثيل والا فذاته اجمل وقدره اكمل وقد ذكر الناقلون لشمايله صلى الله عليه وسلم
والواصفون بعض صفاته وشمايله الكامله بحسب ما بلغته معرفتهم ووصلت اليه نقلتهم
وانما تاخذ الاذهان منه على قدر القرايح والفهوم واما بحسب نفس الامر وحقيقة الحال
فلا يحيط بتفاصيلها الا ذو الجلال والجمال فلنقتصر هنا على بعض ما ذكروه اذ فهمنا يقصر
عن وصف ذاته صلى الله عليه وسلم ونتكلم على بعض ذلك فى كل مقام بمقام قدرتنا لا بنفس الحقيقة
واما خلقه صلى الله عليه وسلم الذى بلغ من جميع المحاسن مبلغ الكمال وتقاصرت دونه
الهمم العوال وتقهقرت عنه حرى مطامع الامال فلنورد قطرة من ذلك البحر الزاخر ونفحة من
ذلك الروض الزاهر تبركا باخلاقه الكامله وتيمنا بشماله التى هى لمحاسن الشيم شامله فنقول
الخلق ملكة نفسانية تنشاء عنها جميع الافعال وهى للصورة الباطنة من النفس واوصافها

ومعانيها

ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق للصورة الظاهرة واوصافها ومعانيها واوصافها حسنة
وقبيحة لكن تعلق الكمال وضده باوصاف الاولى اكثر منه باوصاف الثانية ومن ثم تكررت الاحاديث
فى مدح حسن الخلق **وقال** فى الشفا حسن الخلق هو الاعتدال فى قوى النفس واوصافها والتوسط
فيها دون الميل الى منحرف اطرافها وقد كان خلق نبينا صلى الله عليه وسلم على الانتهاء فى كمالها والاعتدال
فى غايتها الخ **وقد** اختلف هل حسن الخلق غريزة او مكتسب فمن قال بالاول استدل بما رواه البخارى
من حديث ابن مسعود ان الله قسم اخلاقكم بينكم كما قسم ارزاقكم وقيل بعضه مكتسب لما صح فى
حديث الاشج ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له ان فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والاناة قال
يا رسول الله قديما كانا فى او حديثا قال قديما قال الحمد لله الذى جعلنى على خلقين يحبهما الله
رواه احمد والنساى وصححه ابن حبان فترديد السوال وتقريره عليه يشعر بان منه ما هو جبلى
ومنه ما هو مكتسب وهذا التفصيل هو الاولى بالقبول والاخر بالقبول ولذلك قال القرطبى
الخلق جبلة فى نوع الانسان وهم فى ذلك متفاوتون فمن غلب عليه شىء منها كان محمودا والا فهو
المامور بالمجاهدة فيه حتى يصير محمودا او بالرياضة حتى يقوى ومما يؤيد ذلك ما صح انه صلى الله
عليه وسلم كان يقول اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى اخرجه احمد وصححه ابن حبان وعند مسلم
فى حديث دعاء الافتتاح واهدنى لاحسن الاخلاق لا يهدى لاحسنها الا انت قال ابن الحجر المكى والظاهر
انه اراد بذلك العبودية والخضوع لله **واقول** هما من جملة ما جبل عليه صلى الله عليه وسلم اللهم الا
ان يريد كمالها والاظهر انه تعليم لامته لذلك الدعاء والا فهو مجبول على الاخلاق الكريمة فى اصل
جبلة خلقته بالفضل الوهبى والفيض الالهى من غير رياضة ولا تعب بل لم تزل انوار المعارف مشرقة
فى قلبه حتى اجتمع فيه من صفات الكمال وسمات الجمال ما لا يحيط به حد ولا يحصره عد ولذلك اثنى
الله تعا عليه فى كتابه الكريم فقال وانك لعلى خلق عظيم ولا يخفى ما فيه من انواع التاكيد المقتضية
لثبوت ذلك ردا على من اعتقد خلافه واذ مستقل عليه مستول له فان على للاستعلاء وقال تعا
وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما فوصفه تعا بانه عظيم فى قوته العملية والعلمية وبانه
منغمر فى الثانية مستغرق فيها مستولى على الاول مستقل عليها ودلت الايتان على ان روحه فيما بين
الارواح البشرية عظيمة عالية الدرجة كانها لقوتها وشدة كمالها كانت من جنس ارواح الملائكة قال
الحليمى وانما وصف خلقه بالعظيم والغالب وصف الخلق بالكرم لان كرم الخلق يراد به السماحة والديانة
ولم يكن خلقه صلى الله عليه وسلم مقصورا على ذلك بل كان رحيما بالمؤمنين رؤفا بهم شديدا على
الكفار غليظا عليهم مهيبا فى صدور الاعدا منصورا بالرعب منه على مسيرة شهر فكان وصف خلقه
بالعظم اولى ليشمل الانعام والانتقام قال الجنيد وانما كان خلقه صلى الله عليه وسلم عظيما لانه لم تكن
له همة سوى الله تعا ثم اعلم ان وصف الانعام فيه عليه السلام يغلب على وصف الانتقام ولذلك
اجتمعت فيه مكارم الاخلاق روى الطبرانى فى الاوسط بسند فيه ضعف عن جابر ان الله بعثنى بتمام

مكارم الاخلاق وكمال محاسن الافضال وفى رواية مالك فى الموطا بلاغا بعثت لاتمم مكارم الاخلاق
بجميع الاخلاق الحميدة بتمامها كانت فيه صلى الله عليه وسلم فانه تخلق بالقرآن كما قالت عايشة رضى الله
عنها كان خلقه القران قال العارف الشهاب السهروردى فى عوارف المعارف ولايبعد ان قول عايشة
رضى الله عنها كان خلقه القران فيه رمز غامض وايماء خفى الى الاخلاق الربانية فاحتشمت الحضرة
الالهية ان تقول كان متخلقا باخلاق الله تعا فعبرت عن المعنى بقولها كان خلقه القران استحياء
من سبحات الجلال وسترا للحال بلطف المقال وهذا من وفور عقلها وكمال ادبها انتهى فكما ان معانى
القران لا تتناهى فكذلك اوصافه الجبلية الدالة على خلقه العظيم لا تتناهى اذ فى كل حالة من احواله تتجدد له
من مكارم الاخلاق ومحاسن الشيم وما يقتضيه الله تعا عليه من معارفه وعلومه ما لايعلمه الا الله تعا وهذا
غاية فى الاتساع لايهتدى لانتهايها فاذا المتعرض لحصر جزئيات اخلاقه الحميدة متعرض لما ليس من مقدور
الجنس الانسانى ولا من ممكنات عاداته ومن ثم وسعت اخلاقه اخلاق العالم فارسل الى الثقلين وكذا الى
الملائكة والى كافة المخلوقات بعد جعلها مدركة قال الامام على بن احمد بن الحسن الحرالى بتشديد اللام
نسبة الى قبيلة بالبربر صاحب التصانيف المشهورة ولما كان عرفان قلبه عليه السلام بربه عز وجل
كما قال عليه السلام بربى عرفت كل شئ كانت اخلاقه اعظم خلق فلذلك بعثه الله الى الناس كلهم ولم
تقتصر رسالته على الانس حتى عمت الجن ولم يقصرها على الثقلين حتى عمت جميع العالمين فكل من كان
الله ربه محمد رسوله فكما ان الربوبية تعم العالمين فالخلق المحمدى يشمل جميع العالمين انتهى وقد كان
صلى الله عليه وسلم مجبولا على الاخلاق الكريمة فى اصل خلقته الزكية النقية لم يحصل له ذلك برياضة
نفس بل بجود الهى ولهذا لم تزل تشرق انوار المعارف فى قلبه حتى وصل الى الغاية العليا والمقام
الاسنى واصل هذه الخصال الحميدة ومنشاء هذه الاخلاق الجميلة ان الله تعا خلق الانسان وجعل
له قلبا يعقل به فبكمال العقل تقتبس الفضايل وتجتنب الرذايل فالعقل لسان الروح وترجمان
البصيرة والبصيرة للروح بمثابة القلب والعقل بمثابة اللسان ومحل العقل القلب على الاصح و
لذلك اذا اصلح القلب صلح ساير الجسد واذا فسد فسد سايره كما فى الحديث الشريف وجعل الله
سبحانه القلوب محل السر والاخلاص الذى هو سر الله يودعه قلب من يشاء من عباده فاجل قلب
اودعه ذلك قلبه صلى الله عليه وسلم وقد جعل الله تعا الاخلاق للنفوس اعلاما على اسرار القلوب
فمن تحقق قلبه بسر الله الاكبر اتسعت اخلاقه بجميع الخلق والمحاسن الظاهرة اعلام على الاخلاق الباطنة
ولاجل ذلك لما اختص صلى الله عليه وسلم من جمال الصورة الظاهرة بما لم يشاركه فيه مخلوق كان ذلك
اية باهرة وحجة ظاهرة على اتصاف نفسه من الاخلاق بما لم يشاركه مخلوق ايضا وتلك ايات
على سر قلبه الشريف كما تقرر ومن ثم ورد اذا وسع قلب اطلع الله عليه اى لما حباه من شرح الصدر
ووضع الوزر ورفع الذكر والشق المتكرر مرات وقد اختلف العلما فى ماهية العقل وتعريفه اختلافا
طويلا والحق انه روحانى به تدرك النفس العلوم الضرورية وابتداء وجوده عند اجتنان الولد

ثم لايزال ينمو الى ان يكمل فبالعقل ينبعث العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا تقريب الراى وجودة
الفطنة ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة وحسن السياسة والتدبير واقتناء الفضايل و
اجتناب الرذايل وقد كان صلى الله عليه وسلم بالغا من الكمال فيه الغاية القصوى التى لم يبلغها
بشر سواه ولهذا كانت معارفه عظيمة وخصايصه جسيمة حارت فيها العقول وكلت الافكار
فى بعض ما اطلعه الله عليه كما يتحققه من يتتبع مجارى احواله واطوار سيره وطالع جوامع كلمه
وحسن شمايله وحكم حديثه وعلمه بما فى التورية والانجيل والكتب المنزلة وحكم الحكما وسير
الامم الخالية وايامها وضرب الامثال وسياسات الانام وتقرير الشرايع والاحكام وتاصيل الاداب
النفيسة والشيم الحميدة المرعية وتشعب فنون العلم عنها التى اتخذ اهلها كلامه عليه الصلوة
والسلام فيها قدوة واشارته حجة كالعبادة والطب والحساب والفرايض والنسب وغير ذلك
دون تعلم ولامدارسة ولامطالعة كتب من تقدم ولا الجلوس الى علمايهم من بنى امى شرح الله
صدره وابان امره وعلمه ما لم يكن يعلم وملاء قلبه من معرفته وافاض على جسده المكرم ما وهبه من
اسرار الهيته ومعرفة ربوبيته وتحقق عبوديته كما يشهد بذلك تفاصيل الاقاصيص ومجموع
القضايا التى لامطمع فى بلوغ حصرها ولامطمح فى ضبط بعضها وبحسب عقله كانت معارفه
صلى الله عليه وسلم على حسب ما علمه الله تعا واطلعه عليه من علم ما كان وما يكون كما قال تعالى
وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما حارت العقول فى تقدير فضله عليه وخرست
الالسن دون وصف يحيط بذلك او ينتهى اليه وقال وهب بن منبه قرات فى احدى
وسبعين كتابا فوجدت فى جميعها ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضايها
من العقل فى جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة رملة بين رمل من جميع رمال الدنيا وان محمدا
صلى الله عليه وسلم ارجح الناس عقلا وافضلهم رايا رواه ابو نعيم فى الحلية وابن عساكر ونقل
فى عوارف المعارف عن بعضهم اللب والعقل مايه جزء تسعة وتسعون فى النبى صلى الله
عليه وسلم وجزء فى ساير المؤمنين ومن تامل حسن تدبيره للعرب الذين هم كالوحوش
الشاردة والطبع المتنافر المتباعد وكيف ساسهم واحتمل جفاهم وصبر على اذاهم الى ان انقادوا
اليه واجتمعوا عليه وقاتلوا دونه اهلهم واباءهم وابناءهم واختاروه على انفسهم وهجروا فى رضاه
اوطانهم واحباءهم من غير ممارسة سبقت له ولامطالعة كتب يتعلم فيها سير الماضين تحقق
انه اعقل العالمين ولما كان عقله عليه السلام اوسع العقول لاجرم اتسعت اخلاق نفسه الكريمة
اتساعا لايضيق عن شئ فمن جملة ذلك اتساع خلقه العظيم فى الحلم والعفو مع القدرة والصبر
على ما يكره وكل حليم قد عرفت منه زلة وحفظت منه هفوة وهو صلى الله عليه وسلم لايزيد
مع كثرة الاذى الا صبرا وعلى اسراف الجاهل الا حلما وحسبك صبره وعفوه عن قومه الكافرين
به المقاتلين له بحيث كسرت رباعيته وشج وجهه الشريف يوم احد حتى شق ذلك على

اصحابه شديدا وقالوا لو دعوت عليهم فقال انى لم ابعث لعانا ولكن بعثت داعيا ورحمة اللهم اغفر
لقومى او اهد قومى فانهم لا يعلمون قال ابن حبان اى اغفر لهم ذنبهم فى شج وجهى لا انه اراد
الدعاء لهم بالمغفرة مطلقا اذ لو كان كذلك لاجيب ولو اجيب لاسلموا كلهم كذا قال رحمه الله
وقد روى عن عمر رضى الله عنه انه قال فى بعض كلامه بابى انت وامى يا رسول الله لقد دعا
نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من
عند اخرنا فلقد وطى ظهرك وادمى وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت
اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون قال القاضى ابو الفضل انظر ما فى هذا القول من جماع الفضل
ودرجات الاحسان وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم اذ لم يقتصر صلى الله عليه وسلم
على السكوت عنهم حتى عفا ثم اشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال اللهم اغفر او اهد ثم
اظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله لقومى ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال فانهم لا يعلمون قال
صاحب المواهب وهنا دقيقة وهو انه عليه السلام لما شج وجهه عفا وقال اللهم اهد قومى
وحين شغلوه عن الصلاة يوم الخندق قال اللهم املاء بطونهم نارا فتحمل الشجة الحاصلة فى وجه
جسده الشريف وما تحمل الشجة الحاصلة فى وجه دينه فان وجه الدين هو الصلاة فرجح حق
خالقه على حقه انتهى ولذلك كان صلى الله عليه وسلم لا يغضب لنفسه وانما يغضب لله تعالى
ان تنتهك محارمه وكان يمتثل امر الله فيه كما قال الله تعالى يا ايها النبى جاهد الكفار والمنافقين
واغلظ عليهم قالت عايشة رضى الله عنها ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة
ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله تعالى وما ضرب بيده شيا قط الا ان يجاهد فى سبيل الله
وما ضرب خادما ولا امراة وروى الطبرانى وابن حبان والحاكم والبيهقى عن زيد بن سعنة بالمهملة
والنون المفتوحتين وهو كما قال النووى اجل احبار اليهود الذين اسلموا انه قال لم يبق من
علامات النبوة شئ الا وقد عرفته فى وجه محمد حين نظرت اليه الا اثنين لم اخبرهما منه يسبق
حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه الا حلما فكنت اتلطف لان اخالطه فاعرف حلمه وجهله
فابتعت منه تمرا الى محل اجل فاعطيته الثمن فلما كان قبل الاجل بيومين اتيته فاخذت بمجامع قميصه
وردائه ونظرت اليه بوجه غليظ ثم قلت له الا تقضينى يا محمد حقى فوالله انكم يا بنى عبد المطلب
مطل فقال عمر اى عدو الله اتقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمع فوالله لولا ما احاذر فوته
لضربت بسيفى راسك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر الى عمر فى سكون وتؤدة وتبسم ثم قال
انا وهو كنا احوج الى غير هذا منك يا عمر ان تامرنى بحسن الاداء وتامره بحسن التقاضى اذهب
به يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعا مكان ما روعته ففعل فقلت يا عمر كل علامات النبوة
قد عرفتها فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظرت اليه الا اثنتين لم اخبرهما يسبق حلمه
جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه الا حلما فقد اختبرتها فاشهدك انى قد رضيت بالله ربا وبالاسلام

دينا

دينًا وبمحمد نبيًا وكان ذلك سبب اسلامه وروى ابو داود من حديث ابو هريرة قال حدثنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ثم قام فقمنا حين قام فنظرنا الى اعرابى قد ادركه فجذبه
بردائه فحمر رقبته وكان رداء خشنا فالتفت اليه فقال له الاعرابى احملنى على بعيرى هذين فانك
لا تحملنى من مالك ولا من مال ابيك فقال له صلى الله عليه وسلم لا واستغفر الله لا واستغفر الله
لا واستغفر الله لا احمك حتى تقيدنى من جبذتك التى جبذتنى فكل ذلك يقول له الاعرابى
والله لا اقيدكها فقال لم قال لانك لا تكافى بالسيئة فضحك صلى الله عليه وسلم ثم دعا رجلا
ثم قال له احمل له على بعيريه هذين على بعير برا وعلى الآخر شعيرا وروى البخارى من حديث انس
ولما تصدى له غورث ابن الحارث ليفتك به ورسول الله صلى الله عليه وسلم منتبذ تحت شجرة
وحده قايلا والناس قايلون فى غزاة فلم ينتبه صلى الله عليه وسلم الا وهو قايم والسيف صلتا
فى يده فقال من يمنعك منى فقال الله فسقط السيف من يده فاخذه النبى صلى الله عليه وسلم وقال
من يمنعك منى فقال كن خير اخذ فتركه وعفا عنه فجاء الى قومه فقال جيتكم من عند خير الناس
ومن عظيم عفوه عفوه عن لبيد ابن الاعصم اذ سحره وعفوه عن اليهودية التى سمته فى الشاة وقال
يوم الفتح لاهل مكة لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين اذهبوا فانتم الطلقاء
ومن اتساع خلقه تواضعه صلى الله عليه وسلم مع اهله وخدمه واصحابه كما هو مذكور فى الاحاديث
وسيرته مع رفعة مقامه التى تنحط عنه حرى امال المطامع وللمطامح صلى الله عليه وسلم واما نعته
اخلاقه الشريفة وشيمه المنيفة فهى اوضح من الشمس فى رابعة النهار واوفى من نفحات الروض
للمشرق الازهار واجل من ان يعرف بانتشار واشتهار ولم يدانوه جملة موكدة لما قبلها اى لم
يقاربوه فى علم فانه تعالى اعطاه علم الاولين والآخرين قال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله
عليك عظيما ومع ذلك امره ان يساله الزيادة فى العلم بقوله وقل رب زدنى علما بمعرفة رتبة العلم
وفضله اذ كلما عرف رتبة العلم طلب زيادته وعن ابن عباس لما ولد صلى الله عليه وسلم قال فى
اذنه رضوان خازن الجنان ابشر يا محمد فما بقى لنبى علم الا وقد اعطيته فانت اكثرهم علما واشجعهم
قلبا ولذا كانت شريعته ناسخة لجميع الشرايع وقوله ولا كرم يحتمل وجهين احدهما الكرم بمعنى الرفعة
اى انه ارفع الخلق منزلة عند الله تعالى والثانى ان يكون من الكرم بمعنى السخا والجود وهى الفاظ
متقاربة المعانى وقد كان صلى الله عليه وسلم لا يوارى فى هذه الاخلاق الكريمة ولا يبارى وصفه بذلك
العارفون روى البخارى ومسلم من حديث انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس
واشجع الناس واجود الناس فاقتصار انس على هذه الاوصاف الثلاث من جوامع الكلام فانها
امهات الاخلاق فان فى كل انسان ثلاث قوى احدها الغضبية وكمالها الشجاعة ثانيها الشهوانية
وكمالها الجود وثالثها العقلية وكمالها النطق بالحكمة واجود افعل تفضيل من الجود وهو اعطا
ما ينبغى لمن ينبغى وسبب ذلك ان نفسه اشرف النفوس ومزاجه اعدل الامزجة ومن هو كذلك

يكون اجود الناس كيف لا وهو مستغن عن الفانيات بالباقيات الصالحات فاخبار جوده و
كرمه صلى الله عليه وسلم اكثر من ان يحصر واشهر من ان يذكر ما قال لا الا فى تشهده لولا
التشهد كانت لاوه نعم فى مسلم عن انس ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا الا
اعطاه ومثله عن جابر وسهل بن سعد وعن انس ان رجلا ساله فاعطاه غنما بين جبلين
فرجع الى قومه فقال يا قوم اسلموا فان محمدا يعطى عطا من لا يخاف الفقر واعطى غير واحد
مائة من الابل واعطى صفوان بن اميه يوم حنين مائة من الغنم ثم مائة ثم مائة حتى قال صفوان
لقد اعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اعطانى وانه لمن ابغض الناس الى فما برح يعطينى
حتى انه لاحب الناس الى وانما اعطاه ذلك لانه عليه السلام علم ان داءه لا يزول الا بهذا الدوا
وهو الاحسان فعالجه به حتى برئ من داء الكفر واسلم وهذا من كمال شفقته ورأفته ورحمته
عليه السلام اذ عامله بكمال الاحسان وانقذه من النار فاعطا وه ذلك لغرض اخروى انقذ
به نفسا من الكفر والخلود فى النار لا لقصد السمعة والاشتهار وكان هذا الكرم خلقه قبل
البعثة صلى الله عليه وسلم كما هو فى حديث ورقة حيث قال له انك لتحمل الكل وتكسب المعدوم
وتعين على نوايب الزمان وكذلك قول خديجة رضى الله عنها حين استدلت على نبوته و
نفت عنه الريب وكان على رضى الله عنه اذا وصف النبى صلى الله عليه وسلم قال كان اجود
الناس كفا واصدق الناس لهجة وخرج ابن عدى باسناد فيه ضعف من حديث انس مرفوعا انا
اجود بنى آدم وهو صلى الله عليه وسلم اجود بنى آدم بلا ريب على الاطلاق واعلمهم واشجعهم و
اكملهم فى جميع الاوصاف الحميدة وكان يجود بجميع انواع الجود من بذل العلم والمال وبذل نفسه
لله فى اظهار دينه وهداية عباده وايصال النفع اليهم بكل طريق من اطعام جايعهم ووعظ جا
جاهلهم وقضاء حوايجهم وحمل اثقالهم فسبحان من خصه بهذه المناقب الكامله ومنحه هذه
المواهب الشامله ولذلك قال انس وجابر حيث وصفاه ما سئل عن شئ قط فقال لا كما اخرجه
البخارى ومسلم اى ما طلب منه شئ من امر الدنيا فمنعه قال شيخ الاسلام بن حجر ليس المراد انه يعطى
ما يطلب منه جبر ابل المراد انه لا ينطق بالرد بل ان كان عنده اعطاه ان كان الاعطا سايغا والا سكت
قال وقد ورد بيان ذلك فى حديث مرسل لابن الحنفيه عند ابن سعد ولفظه اذا سئل فاراد ان
يفعل قال نعم وان لم يرد ان يفعل سكت وقال العز ابن عبد السلام معناه لم يقل لا منعا للعطا ولا
يلزم من ذلك ان لا يقولها اعتذارا كما فى قوله لا اجد ما احملكم عليه ولا يخفى الفرق بين قوله لا اجد
ما احملكم وبين لا احملكم انتهى وروى الترمذى انه حمل اليه تسعون الف درهم فوضعت على حصير ثم
قام اليها يقسمها فما رد سايلا حتى فرغ منها وفى الحديث الصحيح الذى رواه ائمة الحديث عن
ابن عباس قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اجود الناس بالخير وكان اجود ما يكون فى شهر
رمضان حتى ينسلخ فياتيه جبريل فيعرض عليه القران فاذا لقيه جبريل كان النبى صلى الله عليه وسلم

اجود بالخير من الريح المرسلة اما اجوديته فهى الثابتة المقررة واما افضليتها فى رمضان على غيره
فلان رمضان له دخل فى الاجودية باعتبار انه متخلق فيه باخلاق الله تعالى وهو تعالى وضع رمضان
لافاضة رحمته على عباده فيه باضعاف ما يفيضها عليهم فى غيره ولذلك امر بالعبادة فيه بمزيد الانفاق
على المحتاجين والتوسعة على العيال والاقارب والمحبين واما كونه اجود من الريح المرسلة عقب
ملاقات جبرئل وعرض القران عليه لان جبرئل رسول ربه اليه بما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا
خطر على قلب بشر وذلك يوجب زيادة الاجودية وايضا اذا عرض عليه القران جدد عليه اخلاق
ربه وافاض عليه غاية جوده ونهاية قربه فحينئذ يزداد جوده ويتسع وجوده واستفيد من الحديث
ندب اكثار الجود فى شهر رمضان وعند ملاقات الصالحين وعقب فراقهم شكر النعمة الاجتماع بهم
وروى انه صلى الله عليه وسلم جاءه رجل فسأله فقال ما عندى شئ ولكن ابتع على فاذا جانا شئ
قضيناه فقال له عمر ما كلفك الله ما لا تقدر فكره النبى صلى الله عليه وسلم ذلك فقال رجل من الانصار
يا رسول الله انفق ولا تخف من ذى العرش اقلالا فتبسم صلى الله عليه وسلم وعرف البشر فى وجهه وقال
بهذا امرت ذكره الترمذى وذكر ابن فارس فى كتابه فى اسماء النبى صلى الله عليه وسلم انه فى يوم حنين
جاءت امراة فانشدت شعرا تذكره ايام رضاعه فى هوازن فرد عليهم ما اخذ واعطاهم عطاء كثيرا حتى
قوم ما اعطاهم ذلك اليوم فكان خمسمائة الف الف وفى البخارى من حديث انس انه اتى بمال من البحرين
فقال انثروه يعنى صبوه فى المسجد فكان اكثر مال اتى به صلى الله عليه وسلم فخرج الى المسجد ولم يلتفت
اليه فلما قضى الصلوة جاء فجلس له فما كان يرى احدا الا اعطاه اذ جاء العباس فقال اعطنى فانى فاديت
نفسى وفاديت عقيلا فقال له خذ فحثا فى ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال يا رسول الله مر بعضهم
يرفعه قال لا قال فارفعه انت على قال لا فنثر منه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال يا رسول الله مر بعضهم
يرفعه على قال لا قال فارفعه انت قال لا ثم نثر منه ثم احتمله فالقاه على كاهله فانطلق فما زال صلى الله
عليه وسلم يتبعه بصره حتى خفى علينا عجبا من حرصه فما قام عليه السلام وثم منها درهم وكان جوده
صلى الله عليه وسلم كله لله وفى ابتغاء مرضاته فانه كان يبذل المال تارة للفقير وتارة ينفقه فى سبيل الله
وتارة يتالف به على الاسلام وكان يؤثر على نفسه واولاده فيعطى عطا تعجز عنه الملوك مثل كسرى
وقيصر ويعيش فى نفسه بعيش الفقراء فياتى عليه الشهر والشهران لا يوقد فى بيته نار وربما ربط
الحجر على بطنه الشريف من الجوع وكان صلى الله عليه وسلم قد اتاه شئ فشكت اليه فاطمة ما تلقى فى خدمة
البيت فطلبت منه خادما يكفها موؤنة بيتها فامرها ان تستعين بالتسبيح والتكبير والتحميد وقال
لا اعطيك وادع اهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع واتته امراة ببردة فقالت يا رسول الله
اكسوك هذه فاخذها صلى الله عليه وسلم محتاجا اليها فلبسها فرآها عليه رجل من الصحابة فقال
يا رسول الله ما احسن هذه فاكسنيها فقال نعم فلما قام صلى الله عليه وسلم لامه اصحابه وقالوا ما
احسنت حين رايت النبى صلى الله عليه وسلم اخذها محتاجا اليها ثم سالته اياها وقد عرفت انه لا يسال

شيئا فيمنعه رواه البخاري من حديث سهل ابن سعد واستنبط منه السادة الصوفية جواز استدعاء المريد
خرقة التصوف من المشايخ تبركا بهم وبلباسهم ولتكون مانعة عن الميل الى ما يخالف عاداتهم باعثة على
الاقتداء بهديهم كما استدلوا لالباس الشيخ للمريد بالباسه صلى الله عليه وسلم خالد خميصة سوداء ذات علم
واما ما يذكر من ان الحسن البصري لبسها من علي بن ابي طالب رضي الله عنه فباطل كما قاله ابن دحية وابن
الصلاح وقال الحافظ ابن حجر ليس في شيء من طرقها ما يثبت ولم يرد في خبر صحيح ولا حسن ولا ضعيف
انه صلى الله عليه وسلم البس الخرقة على الصورة المتعارفة بين الصوفية لاحد من اصحابه ولا امر احدا من اصحابه
بفعلها وكلما يروى صريحا في ذلك باطل ثم قال ابن المنكدر المفترى قول من قال ان عليا البس الخرقة الحسن
البصري فان ائمة الحديث لم يثبتوا للحسن من علي سماعا فضلا عن ان يلبسه الخرقة وكذا قاله الدمياطي والذهبي
والعلاوي ومغلطاي والعراقي والابناسي وغيرهم وقد لبسها جماعة منهم والبسوها تبركا وتشبها اذ ورد
لبسهم لها مع الصحبة المتصلة الى ابن زياد وهو صحب علي بن ابي طالب رضي الله عنه من غير خلف في صحبته
بين ائمة الجرح والتعديل وفي بعض الطرق اتصالها باويس القرني وهو اجتمع بعمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب
رضي الله عنهما وهذه صحبة لا مطعن فيها ومن السادة الصوفية من يكتفي بمجرد الصحبة كالشاذلية و
كثير منهم يكتفي بتلقين الذكر وهو الطريقة الواضحة اليوم كما رايناه في كثير من مشايخنا الصوفية قدس الله
سرهم وقد تلقناه ولله الحمد عن جماعة من الاكابر العارفين الصالحين المعتقدين نفعنا الله بهم امين وتكرير
لا وحرف الجر ليفيد التنصيص على شرفه في كل منهما وتخصيص العلم والكرم بالتنصيص قال شارح لان العلم
رأس الفضايل والكرم رأس الفواضل اي فكان ذكرهما لذلك ويدخل ما عداهما تبعا واقول هو كذلك
الا المدع يدعى ان العالم من الفواضل ايضا لان نفعه متعد للغير اذ لا اكرم من العالم لصرفه عمره وماله في تحصيل العلم
ليصرفه بعد تحصيله في افادة غيره بلا مقابلة فهو الكرم الصرف روى ان بعضهم دخل على ابن الزبير فقال
له ما وراك فقال رايت الناس قد انصرفوا الى ابني العباس ازدحم الناس على باب احدهما لاخذ العلم وعلى
باب الآخر لطلب الحوايج واكل الطعام وهذا هو الفضل الذي لا يبارى ولا يلحق وحاصل الكلام ان نبينا
صلى الله عليه وسلم جمع الله فيه ما تفرق في ساير الانبيا من محاسن الخلق وزاده بخصوصيات آخر خصه الله
تعالى بها اعلاما برفعة مقامه وعظم شأنه قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع
بعضهم درجات قال المفسرون هو محمد صلى الله عليه وسلم قال الزمخشري وفي هذا الابهام من تفخيم
فضله واعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على انه العلم الذي لا يشتبه والتميز الذي لا يلتبس وفي البيت
الجناس المحرف ومراعات النظير والتقسيم والمقابلة **وَكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللهِ مُلْتَمِسٌ غَرْفًا مِنَ الْبَحْرِ**
أَوْ رَشْفًا مِنَ الدِّيَمِ الواو للعطف على ما قبلها وكل اسم موضوع لاستغراق افراد المنكر نحو كل نفس ذائقة
الموت والمعرف المجموع نحو وكلهم آتيه وهي في البيت من هذا القسم واستغراق اجزاء المفرد المعرف نحو كل زيد
حسن ومن رسول الله متعلق بملتمس الواقع خبرا مطابقا لكل باعتبار لفظها قالوا اذا كانت كل مضافة
الى معرفة جاز مراعاة لفظها ومراعاة معناها اي كما هنا حيث اضافها الى الضمير فراعى لفظها في قوله ملتمس

ومعناها

ومعناها في قوله واقفون في البيت الثاني وقد اجتمعا في قوله تعالى ان كل من في السموات والارض الا آتى
الرحمن عبدا لقد احصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيمة فردا وتقديم المعمول لافادة التخصيص من
هذا الخاص اي منه لا من غيره ولهم في النبي والرسول كلام مبسوط مشهور خلاصة الخاص منه ان الرسول
اخص من النبي ولذلك ذكر النبيين في باب العموم بلفظ العام وذكر الرسول في باب التخصيص بلفظ الخاص
تنبيها ومراعات للمقامين ولذلك اوقع الظاهر موقع المضمر مع اضافته الى الله للتصريح برسالته والتلويح
الى الاستلذاذ بذكره والتنويه برسالته اي كل النبيين اخذون مما اوتيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من
العلم والحكمة في علم الله تعالى واصل الالتماس الطلب باليد ثم كثر حتى استعمل في مطلق الطلب واصطلاحهم
على ان الالتماس يكون من المتساويين او المتقاربين ولذلك ذكره هنا دون سايل **وغرفا** مفعول
ملتمس واصل الغرف اخذ الماء باليد يقال غرف الماء بيده من باب ضرب واغترف منه والغرفة بالفتح
المرة الواحدة وبالضم اسم للمغروف ومن في **من البحر** للبيان والبحر خلاف البر قيل سمي به لعمقه واتساعه
والمادة تدل على الاتساع يقال بحر للماء المستبحر المتسع الابعاد الثلاثة ورحب للمكان المتسع وحبر
للعالم المتسع العلم وحرب للشر المتسع وربح للفايدة المالية المتسعة وجمعه قلة ابحر وكثرة بحار وبحور
واصله للمكان اطلق على الماء الحال فيه مجازا وهل يختص بالملح او يشملها قولان لاهل اللغة والمزج الثاني
واو للتنويع **رشفا** معطوف على غرفا من رشف يرشف من باب ضرب اي مصا **من الديم** جمع ديمة
المطر الذي ليس فيه رعد اقله ثلث النهار او ثلث الليل واكثره ما بلغ من العدد واصله الواو من الدوام
والمعنى على التشبيه بالبحر الكاين في الارض والديم النازل من السماء ووجه الشبه ان بهما قوام الحيوان
وحياته فكذلك معارفه وعلومه بهما الحياة السرمدية فلذلك تزاحمت الانبيا عليهم السلام واممهم على
مناهل موارد بحره الزاخر والمنهل العذب كثير الزحام فاخذ كل منهم بحسب استعداده غرفة او رشفة
وقد تقدم في حديث الشفاعة رجوعهم اليه وتعويلهم عليه وجمعهم تحت لوائه وفي الدنيا سياتي في الاسرا
انه امهم في الصلوة وقد تشفع به آدم في قبول توبته وسأل موسى ربه ان يكون من امته وقد
اخذ الله الميثاق على النبيين والرسل اذ يؤمنوا به وينصروه ان ادركوا زمنه ووصى كل منهم
امته بذلك ولذلك قال عليه السلام لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي والمصراع الثاني
من البيت اما على الاستعارة او التشبيه بحذف اداته فليتامل

وَوَاقِفُونَ لَدَيْهِ عِنْدَ حَدِّهِمِ مِنْ نُقْطَةِ الْعِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ الْحِكَمِ

واقفون اسم فاعل من وقفت الدابة تقف من باب وعد وقوفا ولدى وعند ظرفان متعاقبان على
معنى واحد ويفترقان كما قال في المغني من وجهين احدهما ان عند تكون ظرفا للاعيان والمعاني
تقول هذا القول عندي صواب وعند فلان علم ويمتنع ذلك في لدى ذكره ابن الشجري في اماليه
ومبرمان في حواشيه والثاني انك تقول عندي مال وان كان غايبا ولا تقول لدي مال الا اذا
كان حاضرا قاله الحريري وابو هلال العسكري وابن الشجري وزعم المعري انه لا فرق بين لدى وعند

وقول غيره اولى انتهى قلت ويستفاد من كلامه فى المغنى فرق ثالث وهو ان عند تجر عن كثيرا وجر لدى
ممتنع وبما تقرر يعلم بلاغة الناظر فى اضافة لدى الى ضميره عليه السلام وعند الى حدهم ثم قال فى المغنى
ان عند اسم للحضور الحسى نحو فلما رأه مستقرا عنده وللمعنوى نحو قال الذى عنده علم من الكتاب وللقرب
كذلك نحو عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى ونحو انهم عندنا لمن المصطفين الاخيار وكسر فايها
اكثر من ضمها وفتحها ولا تقع الا ظرفا او مجرورة بمن وقول العامة ذهبت الى عنده لحن انتهى ولدى
هذا قول الحريرى فى المقامات وما ظرف لا يخفضه الاحرف وهما متعلقان بواقفون ولديه قال
الزركشى ينبغى ان يكون حالا من ضمير واقفون تعلق بمحذوف اى كاين وقوله عند حدهم متعلق
بواقفون والا فالظرف الواحد لا يعمل فى حالين ويجوز ان يكون عند حدهم بدلا من قوله لديه ويجوز
ابدال الظرف من الظرف وحد الشئ منتهاه من حد الدار من باب رد وحددها ايضا تحديدا ومن
فى قوله من نقطة العلم متعلقة بحدهم وهى لبيان الجنس اى انهم واقفون عند حدهم دونه فانه لم
يقف فبين ذلك الحد انه من نقطة العلم ويجوز ان يكون لابتداء الغاية والمعنى ان للعلم غايات و
قفوا عند حدهم فيها وهو صلى الله عليه وسلم تجاوز الغايات جميعا فان الله تعالى خصه بالاطلاع على
علوم لم يطلعوا عليها مع علومهم التى اطلعهم الله عليها ايضا والنقطة واحدة النقط والنقاط ايضا
بالكسر جمع نقطة كبرمة وبرام ونقط الكتاب من باب نصر ونقط للمصاحف نقطا فهو نقاط وعبارة
السمرقندى فى رسالة اشكال التاسيس مع شارحها قاضى زاده النقطة هى شئ ذو وضع يمكن ان
يشار اليه الاشارة الحسية غير منقسم اصلا لا طولا ولا عرضا ولا عمقا لا بالفعل ولا بالوهم ولا ينقص
التعريف بالجوهر الفرد لانهم غير قايلين به واما من يقول به فيقول هى عرض ذو وضع والخط طول بلا
عرض ونهاية النقطة ثم النقطة موجودة بالاتفاق عند المتكلم فلان النقطة هى الجوهر الفرد وهو
موجود واما عند الحكيم فلانها طرف الخط الموجود اى هنا وطرف الموجود موجود واما كونها لا
تقبل القسمة فلانها ان كانت جوهرا كما هو عند المتكلم فهو المطلوب لانه ح وجد جوهر ذو وضع
لا يقبل القسمة وان كانت النقطة عرضا كما هو عند الحكيم لم ينقسم محلها لانه لو انقسم محلها لانقسمت
بانقسامه ايضا لان الحال فى المنقسم لا بد وان ينقسم واذا لم ينقسم محل النقطة يلزم المطلوب
لان محل النقطة ذو وضع غير منقسم فان كان جوهرا يلزم وجود جوهر ذى وضع غير منقسم
وهو المطلوب وان كان عرضا فلا بد وان ينتهى الى جوهر ذى وضع غير منقسم وهو المطلوب

يعجبنى قول بعضهم برهن اقليدس فى فنه ٥ وقال النقطة لا تنقسم
ولحبيب فمه نقطة ٥ موهومة تقسم اذ يبتسم

واو للتقسيم وقيل بمعنى الواو والشكلة واحدة الشكل من شكلت الكتاب من باب نصر قيدته بالاعراب
واصله من شكلت الطاير او الفرس اذا شددت احد رجليها الى يديها لان تمنعها من المشى وجاء
من باب الافعال للسلب يقال اشكل الكتاب اذا ازال اشكاله كاعجمه واشكيته ازلت عجمته وشكواه

والنقط

والنقط والشكل مستحسن فى العلوم دون المكاتبات قالوا اذا صح الكتاب بالمقابلة على اصله
الصحيح او على شيخ فينبغى ان يشكل المشكل ويعجم المنعجم ويضبط الملتبس ويتفقد مواضع
التصحيف وقد جرت العادة فى الكتابة بضبط الحروف المعجمة بالنقط واما المهملة فمنهم من يجعل
الاهمال علامة ومنهم من ضبط بعلامات تدل عليه وانما استحسنوا النقط والشكل فى العلوم ولاسيما
فى كتب الادب التى يقصد بها معرفة صيغة الالفاظ وكيفية مخارجها مثل كتب النحو واللغة والشعر
الغريب لان الحاجة الى ضبطها بالشكل والاعجام اكثر وهى فيما سواه من العلوم ايسر لان من كان مميزا
بصحة الاستخراج ومعرفة الخط لم يخف عليه معرفة الخط وفهم ما تضمنه مع اغفال الشكل والنقط
وقد قال الثورى الخطوط المعجمة كالبرود المعلمة وقال بعض البلغا اعجام الخط يمنع من استعجامه وشكله
يؤمن من اشكاله وقال بعض الادبا رب علم لم تعجم فصوله فاستعجم محصوله وانما استقبحوه فى
المكاتبات لانهم رأوه من تقصير الكاتب وسوء ظنه بفهم المكاتب وكان استقباحهم فى مكاتبة
الرؤسا اكثر منه قال ابن عبد ربه فى العقد كانوا يفعلون اياك النقط والشكل الا ان يعجز المكتوب
اليه عن استخراجه قال سعيد بن حميد الكاتب لان يشكل الحروف على القارى احب الى من ان اعيب
الكتاب بالشكل حكى قدامة بن جعفر ان بعض كتاب الدواوين حاسب عاملا فشكا العامل منه
الى عبيد الله بن سليمان وكتب رقعة يذكر فيها احتجاجا لصحة دعواه ووضوح شكواه فوقع فيها
عبيد الله بن سليمان هذا هذا فاخذها العامل وقراها فظن ان عبيد الله اراد هذا هذا اثباتا
لصحة دعواه وصدق قوله كما يقال فى اثبات الشئ هو هو فحمل الرقعة الى كاتب الديوان واراه
خط عبيد الله وقال ان عبيد الله قد صدق قولى وصحح ما ذكرت فخفى على الكاتب ذلك فاطيف
به على كتاب الدواوين فلم يقفوا على مراد عبيد الله ورده اليه ليسال عن مراده فشدد عبيد الله
الكلمة الثانية وكتب تحتها والله المستعان استعظاما منه لتقصيرهم فى استخراج مراده حتى
احتاج الى ابانته بالشكل فهذه حال الكتاب فى استقباحهم اعجام المكاتبات بالنقط والاشكال
والمراد من العلم اعلم الله تعالى الذى لا يتناهى ومن الحكم حكمته التى لا تحد ولا تضاهى وما اوتيه الانبيا
وساير العلما من علمه تعالى كنقطة واحدة ومن حكمته كشكلة واحدة والنقطة بتمامها والشكلة
بكمالها حاصلتان لنبينا صلى الله عليه وسلم متفرقتان فى بقية الانبيا والعلما والحكما لكل
مقام لا يتعداه ومقدار لا يتخطاه وما ذكر فى نقطة العلم ماخوذ من قول الخضر لموسى عليه السلام
لما غمس العصفور منقاره فى البحر ما علمك وعلمى وعلم الخلايق فى علم الله الا مقدار ما غمس هذا
العصفور منقاره رواه البخارى وهذا باعتبار التقريب فى التشبيه والا فالبحر يتناهى فى علم
الله لا يتناهى ولذلك قال تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا والحكمة العلم المتقن قال الراغب الحكمة
اصابة الحق بالعلم والعقل فالحكمة من الله العلم بالاشيا وايجادها على غاية الاحكام والحكمة
من الانسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات قال الراغب ايضا ونسبة العلوم الى الحكمة من وجه

كنسبة الاعضاء الى اليدين فى كونها ابعاضا لها ومن وجه كنسبة المرؤسين الى الرئيسين فى كونها
مستولية عليها ومن وجه كنسبة الاولاد الى الام فى كونها مولدة لها ثم الذى اصطلح عليه انها اسم للعلوم
العقلية المدركة بالعقل وجمع بينهما للدلالة على ان نبينا صلى الله عليه وسلم وصل فيهما الغاية التى
لاينبغى لاحد من بعده ولا من قبله وجمع منهما ما تفرق فى غيره قال المحلى ولزيادة التفهيم بها على النقطة
خصها بالحكمة ومشى على ذلك كثير من الشراح وقال الزركشى فى وجه الخصوصية ان النقطة وضع
لبيان حقايق الالفاظ وذواتها والشكل وضع لبيان الاحوال والصفات العارضة للذوات ولما
كان العلم يعرف به حقايق الاشيا والحكمة تعرف بها المعانى اللطيفة الباعثة على الحكم استعمل مع كل منهما
مايلايمه ويشهد لذلك قوله بعد فهو الذى تم معناه وصورته ولان تبيين الذوات اشرف من تبيين
الصفات وللنقطة مزية على الشكل فى البيان فخص النقطة بالعلم لان اشرف انتهى وهو مخالف
لما مشى عليه الاول وفى البيت مراعات النظير بين الوقوف والحد ولدى وعند والنقطة والشكل و
العلم والحكم

فَهُوَ الَّذِى تَمَّ مَعْنَاهُ وَصُورَتُهُ ۞ ثُمَّ اصْطَفَاهُ حَبِيبًا بَارِئُ النَّسَمِ

الفاء للسببية وهو مبتداء والذى خبر والجملة بعده صلة لامحل لها من الاعراب وتم الشى يتم بالكسر
بمعنى كمل وفرق بعضهم بينهما بان الاتمام لازالة نقصان الاصل والاكمال لازالة نقصان العوارض
بعد تمام الاصل ومعناه فاعل تم وصورته بالرفع معطوف على معناه فهو منصوب ايضا حملا لتم
على معنى اتم قال ويدل لكونه بمعنى اتم قوله ثم اصطفاه ثم قال وبارى فاعل اصطفى ثم قال بعد وقوله
ثم فيه تغليب المذكر على المونث فان الصورة مونثة انتهى واقول فى كلامه مناقشة لانه وان كان
تستعمل تم بمعنى اتم الا انه لاداعى هنا الى حملها على اتم ودلالة اصطفاه عليه ليست بواضحة بل هو
على ذلك من باب التنازع وقوله وفيه تغليب المذكر على المونث ليس هذا من باب التغليب كما لايخفى
ثم ان التغليب الذى قصده انما يتاتى على جعل معناه وصورته فاعلين لامفعولين فليتامل ثم المراد
بمعناه وصورته اما باطنه فى الكمالات وظاهره فى الصفات او صفاته المعنوية وصفاته الخلقية او
اخلاقه الحميدة وافعاله الجميلة او شريعته وطريقته او علمه وعمله او معاملته مع الحق ومعاملته مع الخلق
الى غير ذلك مما قيل وثم لترتيب الصفات ان اريد من الاصطفا البعثة لانها متراخية عن بلوغه رتبة
الكمال صورة ومعنى وقيل للتراخى الرتبى لان مرتبة الاصطفاه متراخية عن مرتبة الكمال وجعلها
الزركشى لتراخى الاخبار لا المرتبة قال لان مرتبة الاصطفا من الله سابقة واصطفى افتعل من الصفو
واصله اصتفى فقلبت التاء طاء للقاعدة المشهورة ولايستعمل الا فى الخير والضمير المتصل مفعول قدم
على الفاعل خوف الانفصال واصطفاه اياه استخلاصه لنفسه وترقية الى المراتب الرفيعة التى
لامطمع لاحد سواه فيها واصطفاه من خلاصة خلاصة خلقه فهو خلاصة الخلاصة كما روى عن مسلم
عن وايلة بن الاسقع قال صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من
كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم وعن العباس قال قال رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم ان الله خلق الخلق فجعلنى خير فرقهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا رواه الترمذى
هكذا منفردا به وفى حديث رواه الطبرانى عن ابن عمر قال ان الله اختار خلقه فاختار منهم بنى
ادم ثم اختار بنى آدم فاختار منهم بنى العرب ثم اختارنى من العرب فلم ازل خيارا من خيار الحديث
وعن انس قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد جاءكم رسول من انفسكم نسبا وصهرا وحسبا
ليس فى آبائى من لدن آدم سفاح كلنا نكاح رواه ابن مردويه الى غير ذلك من الادلة ولذلك قال
واصفه لم ار قبله ولا بعده مثله وحبيبا حال من الهاء وقد تقدم كونه حبيبا وبارى فاعل اصطفاه
الى خالق النسم جمع نسمة وهى الاجساد المصورة وقال الخليل هى الانسان قيل ماخوذة من النسيم لتعيشها
به كما اشتقت النفس من التنفس ويظهر لى ان المراد باتمام معناه اتمام مايتعلق بذاته الشريفة من الفضايل
والصفات وباتمام صورته اتمام تبليغ رسالته ومايتعلق بها من بيان الشرايع والاحكام ثم بعد ذلك
اصطفاه بارى النسم الذى براه اولا الى دار البقا استخلاصا له لنفسه صلى الله عليه وسلم وفى معناه
وصورته واصطفاه حبيبا مراعات النظير وبين تم وثم جناس التحريف

مُنَزَّهٌ عَنْ شَرِيكٍ فِى مَحَاسِنِهِ ۞ فَجَوْهَرُ الْحُسْنِ فِيهِ غَيْرُ مُنْقَسِمِ

منزه اسم مفعول من التنزه وهو التباعد عن المياه والارياف قال ابن السكيت ومما يضعه الناس فى
غير موضعه قولهم ذهبنا نتنزه اذا خرجوا الى البساتين قال وانما التنزه التباعد عن المياه والارياف
ومنه قيل فلان متنزه عن الاقدار وينزه نفسه عنها اى تباعدها والنزاهة البعد من الشر ويقال فلان نزيه
كريم اذا كان بعيدا من اللوم وهو مرفوع على انه خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف اى هو منزه عن شريك
اى مشارك مماثل يجمع على شركا واشراك مثل شريف وشرفا واشراف والمراة شريكة والنسا شرايك و
شاركه صار شريكه وفى محاسنه متعلق بشريك والمحاسن جمع حسن على غير قياس كانه جمع محسن قال
المعرى هو جمع لم يستعملوا واحده ولو استعملوه لوجب ان يكون على محسنه مكطعه ويمكن استعماله على
محسنه لان الفعل من حسن يحسن ككرم من كرم يكرم والحسن ضد القبح قال بعضهم الحسن معنى
لاتناله العبارة ولايحيط به الوصف والفا فى قوله فجوهر الحسن للسببية وجوهر مبتدا مضاف الى الحسن
والضمير فى فيه راجع للنبى صلى الله عليه وسلم وغير منقسم خبره اى غير منقسم بينه وبين غيره من الناس
بل هو مستكمل فيه اقسامه وقد قدمنا انه صلى الله عليه وسلم اعطى الحسن بتمامه الذى اعطى يوسف شطره
وفرق على الناس الباقى واثبات الجوهر للحسن من باب الاستعارة والمراد الجوهر الفرد الذى لايقبل القسمة
عندهم لا حسا ولا فرضا ولا وهما وهو النقطة عند المتكلمين فاثبته المتكلمون ونفاه الحكما ومحل الكلام
عليه فى علمه وفى البيت المقابلة بين شريك وغير منقسم وجناس الاشتقاق بين محاسنه والحسن

دَعْ مَا ادَّعَتْهُ النَّصَارَى فِى نَبِيِّهِمْ ۞ وَاحْكُمْ بِمَا شِئْتَ مَدْحًا فِيهِ وَاحْتَكِمِ

دع فعل امر معتل الفا من يدع معناه اترك قال فى الصحاح قولهم دع اى اترك واصله ودع يدع وقد
اميت ماضيه لايقال ودعه وانما يقال تركه ولا وادع وانما يقال تارك وربما جاء فى ضرورة الشعر

ودع فهو مودوع قال الشاعر هو ابو الاسود الديلي

ليت شعري عن خليلي ما الذي ۝ غاله في الحب حتى ودعه ۝ وقال الخفاف بن الندبه

اذا ما استحمت ارضه من سمايه ۝ جرى وهو مودوع وواد مصدق ۝

وحكم دع حكم ذر في جميع ما ذكروا ما اسم موصول منصوب المحل على المفعولية وادعته صلة الموصول وعايده اى قالته من عند انفسها كذبا ومينا النصارى امة عيسى عليه السلام جمع نصران و نصرانة كندامى جمع ندمان وندمانة واليا فى نصرانى للمبالغة كما فى احمرى للدلالة على انه منسوب الى ذلك غريق فيه لا لمجرد الوصف بالحمرة سموا بذلك قيل لانهم نصروا المسيح او لانهم كانوا معه فى قرية كان المسيح فيها كما ذكره الراغب يقال لها نصران او ناصرة من قرى الشام فسموا باسمها ثم جمعه العرب على نصارى كسكران على سكارى او باسم مأخوذ من اسمها حيث جعلوا منسوبين اليها ثم جمع كمهرى على مهارى كما قال الخليلى اى اترك فى مدح نبينا صلى الله عليه وسلم ما ادعته النصارى فى نبيهم عيسى بن مريم عليه السلام من قولهم كما قال الله عنهم وقالت النصارى المسيح ابن الله تعجبا منه حيث وجد بلا اب وليس باعجب من آدم وادعوا له الالوهية مع الله تعالى الله عن ان يتخذ ولدا او يكون له شريك فى ملكه بقولهم اخزاهم الله ان اقنوما من الاقانيم الثلاثة اللاهوتية حل بناسوت للمسيح واتحد به على اختلاف بينهم فى ذلك الحلول وهو اقنوم الكلمة والكلمة عندهم عبارة عن العلم ولذلك كان المسيح فى زعمهم يعلم الغيب ويخبر بما فى غد وقد رد الله عليهم ابلغ رد فى القران فى غير ما آية ورد عليهم المسيح ذلك حيث قال انى عبد الله اتانى الكتاب وجعلنى نبيا الى غير ذلك من الايات الوارده الصريحة والى ذلك الاشارة بقوله عليه السلام لا تطرونى كما اطرت النصارى عيسى بن مريم والاطرا الافراط فى المدح والمراد به المدح الباطل المغلو فيه قال الزجاج لما قالت النصارى المسيح ابن الله وقالت اليهود عزير ابن الله كادت السموات والارض ان تزولا وتتغد ما فامسكها الله تعالى وهو صريح قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جيتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغى للرحمن ان يتخذ ولدا ان كل من فى السموات والارض الا اتى الرحمن عبدا وقال بعضهم كانت الاشجار التى على وجه الارض لا شوك لها وكانت كلها تثمر ثمرة طيبة وكانت مياه الارض عذبة فلما قالت النصارى ذلك منع اكثر الاشجار الثمر وجعل فيها الشوك وجعل بعض ثمارها لا ينتفع به وملح اكثر ماء الارض

واحكم بما شئت بعدما تدع ما ادعته النصارى مدحا منصوب اما بنزع الخافض اى من مدح او على التميز او على الحالية من الفاعل اى بما شئت مادحا والمعنى اى مدح شيته بانواعه واقسامه قامت الادلة والشواهد على استحقاقه وتنوينه للتعظيم نوعا وعددا والمدح الثنا الحسن وقد مدحه وامتدحه بمعنى وكذلك المدحه والمديح والامدوحه فيه متعلق بمدحا او باحكم او بشئت والضمير للنبى صلى الله عليه وسلم اى مدحا فى النبى واحتكم فى مدحك فلا تغل فيه الى ما هو ممتنع كما غلت

النصارى

النصارى فى نبيها بل بالغ بما شيت الى ما لا يودى الى الغلو المذكور والاحتكام افتعال من الحكم يقتضى المبالغة والزيادة فى المعنى وتفويض الامر الى الحاكم بأى حكم يشتهيه من انواعه البلغية فان قيل هل ادعى احد فى نبينا عليه السلام ما ادعى فى عيسى اجيب بانهم كادوا ان يفعلوا نحو ذلك حتى قال معاذ رايت رجالا باليمن يسجد بعضهم لبعض افلا نسجد لك فقال لو كنت امرا بشرا ان يسجد لبشر لامرت المراة ان تسجد لزوجها فنهاهم عما عساه يبلغ بهم من العبادة ثم ليس من شرط النهى ان يكون المنهى عنه فعل وانما هو منع من امر يمكن ان يقع وجا فى صفته عليه السلام فى حديث ابى هالة انه كان لا يقبل الثنا الا من مكاف اى مقارب فى مدحه غير مفرط فيه وقال ابن قتيبه معناه الا ان يكون ممن له عليه منة فيكافيه الاخر وغلط ابن الانبارى وقال اذ لا ينفك احد من انعام رسول الله صلى الله عليه وسلم لان الله عز وجل بعثه رحمة للعالمين فالثنا عليه فرض عليهم لا يتم الاسلام الا به قال وانما المعنى لا يقبل الثنا الا من رجل يعرف حقيقة اسلامه وفى البيت من البديع الجناس الطرف بين دع ما ادعته والمشتق فى احكم واحتكم والمقابلة بين دع واحكم

وَانْسُبْ اِلَى ذَاتِهِ مَا شِئْتَ مِنْ شَرَفٍ ۝ وَانْسُبْ اِلَى قَدْرِهِ مَا شِئْتَ مِنْ عِظَمِ

الواو للعطف وانسب جملة معطوفة على واحكم مفسرة لها من نسبت الرجل انسبه بالضم نسبة ونسبا اذا ذكرت نسبه ونسب الشاعر ينسب بالكسر نسيبا اذا شبب فى شعره الى ذاته بالذال المعجمة متعلق بانسب والذات كناية عن الحقيقة والنفس واطلقوها فى حق الله تعالى خلافا لبعضهم ونسبوا اليها من غير تغير فقالوا الصفات الذاتيه وما اسم موصول فى موضع نصب على المفعولية بانسب وشئت صلة والعايد محذوف اى شئته ومن شرف بيان لما والشرف العلو يقال شرف من باب ظرف فهو شريف وجمعه اشراف كيتيم وايتام وحبيب واحباب ويجمع على شرفا ايضا كثيرا وانسب الى قدره قدر الشئ بسكون الدال وفتحها مبلغه وهو فى الاصل مصدر قال تعالى وما قدروا الله حق قدره قال المفسرون ما عظموه حق تعظيمه ما شئت من عظم بوزن عنب من عظم الشئ بالضم يعظم كبر فهو عظيم وعظام بالضم والتعظيم التبجيل والتفخيم واستعمال الشرف مع الذات والعظم مع القدر امر لا يخفى والتنوين فيها للتعظيم واعراب الشطر الثانى موازن للاول

فَاِنَّ فَضْلَ رَسُولِ اللهِ لَيْسَ لَهُ ۝ حَدٌّ فَيُعْرِبَ عَنْهُ نَاطِقٌ بِفَمِ

الفا تشعر بعلية ما بعدها لما قبلها اى انما امرتك بان تنسب الى ذاته والى قدره ما شئت لان فضله لا حد له والفضل والفضيلة ضد النقص والنقيصة وهو الزيادة فى الخير واستعملوا الفضول فى الزيادة فى الشر يقال فاضله ففضله من باب نصر اى غلبه فى الفضل والفضل والفضالة ما فضل من الشئ وفضل من شئ من باب نصر وفيه لغة ثانية من باب فهم وفيه لغة ثالثة مركبة منهما فضل بالكسر يفضل بالضم وهو شاذ لا نظير له واقامة الظاهر مقام المضمر للاشعار بعلية العلة مع التلذذ بالنطق برسول الله وجملة ليس له حد فى محل رفع خبر ان وحد الشئ طرفه وغايته وفضله عليه السلام

لايتناهى ومقامه ايدرك ولا يضاهى فيعرب من الاعراب وهو البيان منصوب بان مضمرة فى جواب النفى
نفى للحد والاعراب مطلقا اى لاحد له فى الواقع فلوا افصاح عنه متعلق بيعرب ناطق قيل صفة محذوف
اى انسان ناطق واختياره على متكلم لانه لايطلق على الله تعالى وقوله بفم تاكيد ناطق واتى به للاشارة الى
انه لايمكنه التعبير ولو كان مستعينا بجميع فمه المحيط بلسانه الناطق به والفم اصله فوه بدليل قولهم فى الجمع
افواه وفى التصغير فويه فحذفت منه الهاء ثم اذا لم يضف تعوض من واوه ميم لانهما من مخرجها واقوى
منها على الحركة فيقال هذا فم ورايت فما ونظرت الى فم واذا اضيف جاز فيه التعويض وتركه وهو الاكثر و
اذا لم يعوض يلزم الاتباع فيقال هذا فوك ورايت فاك ونظرت الى فيك والاصل فوك وفوك وفوك
فنفعل به ما فعل بذلك والناظم روح الله روحه واعرب فى رياض الرحمة غبوقه وصبوحه بعد ان امر
بالمبالغة فى مدحه وفوض للمادح ان ينسب له ما شاء من انواع المدايح اللايقة بمقامه العظيم وقد جمع
بين الدليل على استحقاقه للمدح احسن بيان وبرهن على ذلك بان الموكد اكمل برهان باسطا بدلالة
الالتزام عذر المداح عن قصورهم فى مدح سيد الانام فان البلغا وان اجتمعوا وتكاثروا وتساجلوا
وتسابقوا واعملوا افكارهم الرايقة واستعملوا بلاغتهم الفايقة لايمكنهم ان ياتوا من اوصاف مدايحه الا بالقليل
وماذا عسى يتصل مدايحهم الى منزله بعد ان نزل بمدحه التنزيل ماذا عسى الشعرا اليوم تمدحه
من بعد ما مدحت حم تنزيل عن الحلوم المقرر والظاهر الذى لاينكر انه لو بالغ كل احد من الانام فى مدحه
عليه الصلوة والسلام على مد الشهور والاعوام لعجز عن استقصاء ما خصه الله تعالى من المواهب السنية
ولتاخر من التقدم الى استيفاء ما فضله به من المناقب البهية هيهات هيهات هل تعد امواج البحار
وهل يحسب قطر الامطار وعلى تفنن واصفيه بوصفه يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف ولقد صدق من قال

فما بلغت كف امرء من تناول ۝ بها المجد الاحيث ما نلت اطول
ولا بلغ المهدون نحوك مدحة ۝ ولو صدقوا الا الذى فيك افضل

ولله در ابن خطيب الاندلس حيث يقول

مدحتك ايات الكتاب فما عسى ۝ يثنى على علياك نظم مديحى
واذا كتاب الله اثنى مفصحا ۝ كان القصور قصار كل فصيحا

وقد روى العارف ابن الفارض فى النوم فقيل له لم لا مدحت النبى صلى الله عليه وسلم اى بالتصريح والا
فنظمه فى الحقيقة اما فى الحضرة الالهية او فيه صلى الله عليه وسلم فقال رضى الله عنه

ارى كل مدح فى النبى مقصرا ۝ وان بالغ المثنى عليه فاكثرا
اذا الله اثنى بالذى هو اهله ۝ عليه فما مقدار ما تمدح الورى

قال البدر الزركشى وغيره ولهذا لم يتعاط فحول الشعرا من المتقدمين كابى تمام والبحترى وابن الرومى
مدحه صلى الله عليه وسلم وكان مدحه عندهم من اصعب ما يحاولونه فان المعانى وان جلت دون مرتبته
والاوصاف وان كملت دون وصفه وكل غلو فى حقه تقصير فيضيق على البليغ النطاق فلا يبلغ الا

قليلا من كثير ومما لهذا العبد الحقير من قصيد فى مدح ذلك السراج المنير

حليت در كلامى بالمديح وقد ۝ نظمت عقدا حوى من مدحه دررا
لكننى عاجز عن نعته فلذا ۝ رجوت عطفا بتوليد اذا غفرا
وهل يحيط بليغ شاعر فطن ۝ مدحا لمن مدحه قد كمل الشعرا
فكم له قصص فى الانبياء وكم ۝ قد انزل الله فى افضاله سورا
سحت عليه صلاة والسلام كذا ۝ تحية بعبير نشره عطرا
واله الغر والصحب الكرام ومن ۝ قد تابع الحق او للشرع قد نشرا
ما سار ركب يخب الرمل سايقه ۝ ونار بدر بافق للورى ظهرا

وذلك لان قصارى كل مادح ان يمدحه عليه السلام بما يظهر له من استعداده فى معرفة مدايحه ومناقبه
العظام وهى وان كانت كالشمس ظهورا وكالبدر اضاءة ونورا الا انهم لم يصلوا من معرفتها الا
الى القليل ويستظهر لهم فى الاخرة عند المولى الجليل وفى البيت مراعات النظير بين الاعراب والنطق والفم

لو ناسبت قدره اياته عظما ۝ احى اسمه حين يدعى دارس الرمم

المناسبة المشاكلة والايات جمع اية وهى العلامة ويقال للمصنوعات من حيث انها تدل على وجود
الصانع وعلمه وقدرته ولكل طايفة من كلمات القران المتميزة عن غيرها بفصل والمراد بها هنا العلامات
الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم وهى المعجزات وما الحق بها واشتقاقها من اى لانها تبين ايا من اى
او من اوى اليه وفى وزنها اقوال قيل وزنها فعلة بفتح العين قلبت اليا او الوا والفا لتحركها وانفتاح
ما قبلها وهو قول سيبويه وقيل ايه على وزن فاعلة حذفت اليا الاولى لئلا يلزم من الادغام
التقاء الساكنين وهو قول الكساى وقيل اصلها ايية فعلة بسكون العين ثم ابدلت الفا تخفيفا
وهو قول الفرا وقيل وزنها ايية فعلة بكسر العين ابدلت الفا للثقل وقدره مفعول مقدم واياته فاعل
مؤخر وعظما تمييز محول عن الفاعل اى لو ناسب عظم المعجزات مقداره احى اسمه بحذف اللام من جواب
لو ونظيره قوله تعالى لو نشاء جعلناه اجاجا واسمه فاعل احى اسند اليه على المجاز اى احى الله باسمه والاحيا
احداث الحيات وهى صفة تقتضى الحس والحركة الارادية والاسم ما ابناء عن المسمى والمراد به هنا اما
مرادف العلم او بمعنى التسمية اى احى اسمه حين يدعى به دارس الرمم اى العظام البالية جمع رمة بالكسر
من اضافة الصفة الى موصوفها ودروسها زيادتها فى البلى وهو بالنصب مفعول احى اى احى اسمه
ذلك حين يدعى به لاحيايه كان يقال بالله بمحمد النبى احى هذا فيحيى فيكون الاحياء المذكور من اياته او
بالرفع نايب فاعل يدعى على معنى احى اسمه الدارس حين يدعى الدارس مذكورا عليه الاسم بان يقال
يا دارس عش بجاه محمد فيحيى والمعنى لو ناسبت قدره فى العظم ايات له كان منها الاحيا المذكور لانه
اعظم اية وبه تكون الايات مناسبة لقدره الذى هو اعظم قدر لكن الله تعالى لم يجعل الاحيا المذكور
من اياته فليست كقدره فى العظم وان كان منها القران المتلو المعجز ببلاغته وحسن تركيبه فلا يرد ما استشكل به

على الناظم من ان الايات جمع مضاف فيعم والقران من جملتها وهو من صفات الله تعالى لان القران الذى هو وصف له تعالى هو الكلام النفسى وهو المعنى القايم بذاته والذى وقع معجزة له هو الكلام المركب من الحروف والاصوات وهو المراد هنا واجيب ايضا بانه وان كان عاما الا ان العقل خصصه بما عدا القران وقصره على المعجزات الجارية على يديه الى غير ذلك من الاجوبة وقد ظهر لى فى عدم الكناية وجه وهو ان قدره العظيم باعتبار مقامه عند ربه واياته باعتبار ما نفهمه من تحداهم بها بما يقتضيه فهمهم ويناسب عقولهم ولذلك اختلفت معجزات الانبيا باختلاف افهام اممهم وفرق عظيم بين الرتبتين فليتامل وقد جعل الله معجزاته دون قدره حكمة اذ لو دعى احد وتوسل باسمه فى احياء ميت لبادر كل ذى محبة كالام والاب مثلا الى طلب حياة ميته والى دفع الموت عنه بتاخير اجله والى اهلاك الظلمة عاجلا ويلزم من ذلك اختلال نظام العالم الذى اجراه الله تعالى على مقتضى حكمته قيل والحكمة فى خفاء اياته فى الدنيا انه مر بها مجتازا فما اقام بها الا قليلا بخلاف اقامة غيره من الانبيا فعوضه الله تعالى بالفضل فى المحشر والحوض والشفاعة وغير ذلك من الكرامات الخاصة به وكانت له صلى الله عليه وسلم المعجزات الظاهرة والخفيه لكن الخفيه اغلب وقد احى الله تعالى الموتى حين دعاهم فى قصة قتلى بدر لما القوا فى القليب ودعاهم فاحياهم الله له ليسمعهم قوله توبيخا لهم وتحسيرا واذا كان عليه السلام قد احى موات القلوب من فناء الجهالة والضلالة اما يحى باسمه دارس الرحم من فناء الاجساد بلى هو اكرم من ذلك على الله صلى الله وسلم عليه وفى البيت المقابلة بين احى ودارس والمجاز فى احى اسمه

لم يمتحنا بما تعى العقول به   حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم

لم يمتحنا من الامتحان وهو الاختبا والابتلا بما تعى مضارع عى اى يتعب ولم تهتد لوجهه العقول متعلق بتعى الذى هو صلة الموصول والعايد المجرور والعقول جمع عقل وقد اختلفوا فى ماهيته وتقسيمه اختلافا يطول ذكره قال بعضهم هو الاصابة بالظنون والتلمح فيما قد كان ما يكون ومراده بالثانى التجربة وقيل هو ادراك الاشيا على ما هى عليه من حقيقة معانيها وصحة مبانيها وقال بعضهم هو جوهر شريف لطيف يفصل به بين حقايق الامور المعلومات وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال العقل نور فى القلب يفرق به بين الحق والباطل فلذلك قال بعضهم هو نور وضعه الله طبعا وغريزة فى القلب كالنور فى العين وهو البصر فالعقل نور فى القلب والبصر نور فى العين وهو ينقص ويزيد ويذهب ويعود وقال بعض الحكما العقل غريزة لا يقدر احد ان يضعها فى نفسه ولا فى غيره ولا يعرف الا بالاقوال والافعال الدالة عليه ولا سبيل ان يوصف بجسم ولا لون ولا طول ولا عرض والحق انه روحانى به تدرك النفس العلوم الضرورية وابتداء وجوده عند اختتان الولد ثم لا يزال ينمو الى ان يكمل عند البلوغ وقال عمرو بن العاص يثغر الغلام لسبع ويحتلم لاربع عشر وينتهى طوله لاحدى وعشرين ويتم عقله لثمان وعشرين ويبلغ اشده لخمس وثلاثين ثم قسموا العلم بالمدركات الضرورية الى نوعين احدهما ما وقع عن درك الحواس

والثانى

والثانى ما كان مبتدا فى النفوس والاول ظاهر والثانى كالعلم بان الشئ لا يخلو من وجود او عدم وان الوجود لا يخلو من حدوث او قدم وان من المحال اجتماع الضدين وان الواحد اقل من الاثنين وهذا النوع من العلم لا يجوز ان ينتفى عن العاقل مع سلامة حاله وكمال عقله ولذا صار عالما بالمدركات الضرورية من هذين النوعين فهو كامل العقل سمى بذلك تشبيها بعقل الناقة لان العقل يمنع الانسان من الاقدام على الشهوات اذا قبحت كما يمنع العقال الناقة من الشرود اذا نزت ثم قسموا العقل الى نوعين ايضا عقل غريزى وعقل كسبى يستفيده المرء باديه وهو نتيجة الاول وفرعه فاذا اجتمعا قوى كل واحد منهما صاحبه تقوية النار فى الظلمة البصر وليس لهذا الثانى حد يقف عنده لانه يزيد بالاستعمال وينقص بالاهمال وزيادته بالاستعمال اذا لم يعارضه مانع من هوى او شهوة فانهما يغالطان العقل كثيرا فيريانه الحسن قبيحا وبالعكس ويحصل ذلك بممارسة الامور وكثرة التجارب وتتبع احوال العقلاء فى افعالهم واقوالهم قال بعضهم ولذلك حمدت العرب اراء الشيوخ حتى قالوا المشايخ اشجار الوقار ومنابع الاخبار لا يطيش لهم سهم ولا يسقط لهم وهم ان راوك فى قبيح صدوك وان ابصروك على جميل امدوك وفى منثور الحكم من طال عمره نقصت قوة بدنه وزادة قوة عقله

وانشدوا

اذا طال عمر المرء فى غير آفة   افادة له الايام فى كرها عقلا

لئن فقدوا الشباب فرب عقل   افادوه على مر الليالى

خبت نار الزكاء فاجر نعا   باراء احد من العوالى

وقد عدل قوم عن هذه المهيع ونزعوا غير هذا المنزع فجعلوا للشباب اكثر الاقسام من مزيد الفطنة واوفر السهام من نشاطة النفس وقوة المنة فربما قصرت عن مقاومتهم الكهول وحجاتهم فى كثير من الفروع والاصول لحدة غريزة العقل فيهم وحدة الخاطر التى ترشدهم الى الصواب وتهديهم فكانت الحكما تقول عليكم باراء الاحداث ومشورة الشبان فان لهم اذهانا تفل الفحول وتحطم الذوابل وذلك لفرط الذكا وجودة الفطنة وحسن الحدس فاذا امتزج بالعقل الغريزى نتج منهما ثمر العقل المكتسب

قال بعضهم

رايت العقل لم يكن انتهابا   ولم يقسم على عدد السنينا

ولو ان السنين تقاسمته   حوى الاباء انصبة البنينا

حكى الاصمعى قال قلت لغلام حدث من اولاد العرب كان يجادلنى فامتعنى بفصاحته وملوحته ايسرك ان يكون لك ماة الف درهم وانك احمق قال لا والله قلت ولم قال اخاف ان يجنى على حمقى جناية تذهب مالى ويبقى على حمقى فانظر الى هذا الصبى كيف استخرج بفطنته ذكايه واستنبط بجوده قريحته ما لعله يدق على من هو اكبر سنا منه واكثر تجربة ثم اختلفوا فى محل العقل هل هو القلب وشعاعه واصل الى الدماغ او فى الراس والدماغ قولان ثم اعلم ان فضيلة العقل لا تخفى وثمرة

حسبى الله وحده
من الكتب التى وقفها الفقير
الى الله ربه ذى المواهب
محمد المدعو بن الصدر ...
١٢٧٥ وكفى ...

نتيجته كالصبح لانغط ولانطفى اذ هو اس الفضايل وينبوع الفواضل وكمال الادب وجمال الحسب جعله الله للدين اصلا و للدنيا عمادا روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان لكل شئ دعامة و دعامة عمل المرء عقله فبقدر عقله تكون عبادة لربه اما سمعتم قول الفاجر لو كنا نسمع او نعقل ما كنا فى اصحاب السعير وقال عليه السلام ما اكتسب المرء مثل عقل يهدى صاحبه الى هدى او يرده عن ردى وقال عمر اصل الرجل عقله وحسبه دينه ومروته خلقه

قال شاعر

ماوهب الله لامرء هبة ۝ اجمل من عقله ومن ادبه ۝

هما جمال الفتى فان فقدا ۝ ففقده للحياة اجمل به ۝

قال انوشروان لبزرجمهر اى الاشياء خير للمرء قال عقل يعيش به قال فان لم يكن قال فاخوان يسترون عيبه قال فان لم يكن قال مال يتحبب به الى الناس قال فان لم يكن قال فموت جارف وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعاقل عشر خصال يعرف بها يحلم عن ظلمه ويتواضع لمن دونه ويسارع الى بر من هو فوقه وينتهز الفرصة اذا امكنته لايفارقه الخوف ولايصحبه العنف يتدبر ثم يتكلم فاذا تكلم غنم واذا سكت سلم واذا اعترضته له فتنة اعتصم بالله وقال بعض الحكما اربعة تدل على صحة العقل حب العلم وحسن الحلم وصحة الجواب وكثرة الصواب حرصا مفعول لاجله عليناً متعلق بحرصا اى كى لا افضل والحرص شدة الرغبة فى الشى وقوة العناية به من حرص على الشئ يحرص بالكسر فهو حريص قال تعالى حريص عليكم اى من ان يزل احدكم او يميل عن طريق الحق وصراط الاسلام مخافة النار ولهذا جعل الله معجزته التى هى القران العظيم المتضمن لمعرفة الاحكام من الحلال والحرام بلغة قومه كى ينهموه وكان يتخولهم بالموعظة مخافة السامة وكان اذا فعل احدهم ذنبا لايواجهه بالتعنيف عليه بل يقول ما بال قوم يفعلون كذا فجاء صلى الله عليه وسلم بالملة الحنيفية السمحة البيضا فلم نرتب اى لم نشك فيما اتانا به من الارتياب وهو الشك يقال رابنى الشئ اذا رايت منه ماتكره وهذيل يقول ارابنى واراب الرجل صار ذا ريبة فهو مريب والاسم الريبة بالكسر وهى التهمة والشك وقيل رابنى فى تحقق الريبة وارابنى فى توهمها ولم نهم مضارع وهم يهم واصله نوهم حذفت الواو حملا على يهم فى وقوعها بين يا وكسرة من باب وعد اذا ذهب وهمه اليه وهو يريد غيره وتوهم اى ظن ولما وهم بالحساب اذا غلط فيه فهو من باب فهم فمضارعه يوهم باثبات الواو وفتح الها لعدم مقتضى الحذف وقيل مضارع هام اذا تحير والمعنى لم نرتب ولم نتحير بل كنا متيقنين لانه عليه السلام جاء بالملة الواضحة والحجة القاطعة الناصحة وكان يضرب الامثال بالمحسوسات لينضح ما يخفى على بعض الناس ادراكه حرصا على هدايتهم وقيل المعنى لم يكلفنا ما تعجز العقلا عن الاتيان به اى لم يحملهم ما لا طاقة لهم به ووضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت على غيرهم وما جعل عليهم فى الدين من حرج وهذا من وفور شفقته وقد كانت سيرته مع اصحابه بالرفق والرافة ولم يواخذ على ذنب يتعلق به فكان عليه السلام حسن الدعوة الى الاسلام واضح الهداية فى بيان الاحكام كما هو معلوم من اخلاق العظام

اَعْيَى الوَرَى فَهْمُ مَعْنَاهُ فَلَيْسَ يُرَى ۝ فِى القُرْبِ وَالبُعْدِ فِيهِ غَيْرُ مُنْفَحِمِ

اعى اعجز الورى الخلق مفعول اعى فهم باسكان الها ويجوز تحريكها فاعل اعى على المجاز العقل يقال فهم الشئ بالكسر فهما وفهامة اذا علمه اى معرفة معناه مفرد مضاف الى الضمير فيعم اى كل معنى له خصه الله به وفضله به على ساير الخلق اى مع وضوح ملته وما جاء به عجزوا عن ادراك كنه كماله وحاروا فى فهم عظمته وجلاله فليس يرى ليس اذا دخلت على فعل يكون اسمها ضمير الشان والفعل بجملته خبرها مفسر الضمير الشان ويرى بالبنا للمفعول وفى القرب والبعد متعلق بيرى والقرب ضد البعد من قرب اى دنا يقرب بالضم فيهما قربا وهو لازم كما هو قاعدة هذا الباب وفيه متعلق بيرى والها لمعناه وغير بالرفع نايب فاعل يرى ومنفحم اى عاجز عن ادراكه منقطع تقول افحمه اذا اسكته فى خصومة او غيرها عجزا فالحاصل انه يستوى القريب المشاهد له والبعيد زمنا او مسافة المنقول اليه صفاته واحواله فى الانقطاع عن فهم معناه والتحير فى ادراك حقيقته وكنهه لعدم احاطته بذلك وهو كقوله فان فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفم فهو مع وضوحه لكل احد لايدرك حقيقة معناه كل احد

كَالشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلْعَيْنَيْنِ مِنْ بُعُدٍ ۝ صَغِيرَةً وَتُكِلُّ الطَّرْفَ مِنْ اَمَمِ

اى هو او معانيه كالشمس اشراقا وظهورا واضاءة ونورا يقال للقرص وللضو المنتشر منه وهو ضوء ذاتى له بخلاف القمر فانه مستفاد من ضوئها ولذلك سمى نور الاضوا والشمس لفظ كلى يصدق على كثيرين بحسب الامكان ولم يوجد منه فى الخارج الا هذا الفرد الواحد وهو الكوكب النهارى الذى هو اعظم الكواكب قال الجغمينى والشمس جرم كرى مصمت مركوز فى جرم الفلك الخارج المركز مغرق فيه بحيث يساوى قطرها ثخن الفلك ويماس سطحها سطحيه انتهى فقوله مصمت اى غير مجوف ليس له الا سطح واحد وقوله مركوز اى عند منتصف ما بين قطبيه وقوله بحيث يساوى قطرها هو الخط المستقيم المار بمركزها المنتهى طرفاه الى محيطها وقوله ويماس سطحها سطحيه اى على نقطتين مشتركتين ومحل بسط الكلام على ذلك علم الهيئة والشمس مونثة ويجمع على شموس اما باعتبار ما تحتها من الافراد الممكنة او لانهم نزلوا كل ناحية منها منزلة شمس وتصغيرها شميسة ويقال شمس يومنا من باب نصر اذا كان ذا شمس واشمس ايضا ولها اسما اخر مرجعها اللغة وجملة تظهر تفسيرية لا محل لها من الاعراب والعينين تثنية عين حاسة البصر وهى مونثة وجمعها اعين وعيون واعيان على ما ذكره الجوهرى والبعد بضم العين لغة فى البعد بسكونها وتقدم فى عقم ومن لابتداء الغاية متعلق بتظهر صغيرة حال من فاعل تظهر المستتر فيه العايد الى الشمس واعربها الزركشى مفعولا لتظهر ووصفها فى مراى العين بمقدار مرآة او ترس والذنب للعين لا فى نفسها فانها كما ورد قدر كرة الارض مائة مرة وبضعة وستين مرة فلذلك قال وتكل الطرف بضم التا اى توقعه كلا اى اعيا عن رويتها من امم بفتح الهمزة والميم اى قرب منها او رتبة وسطى بين القرب والبعد اى ان فرض قربه منها والا فلا قرب لانها لكبرها جدا تكاد تخطف البصر وتعميه فالناظر من القرب ايضا لا يعرف حقيقتها لكلال البصر وعجزه عن دركه كما هى والتعبير بالطرف

دون العين للتلوين فى الخطاب قالوا واختلاف اللفظين مشبه اختلافهما بالظهور والاضمار ثم لا
تخفى تثنية العينين مع الظهور وافراد الطرف مع الكلال وحاصل التشبيه انه شبه النبى صلى الله
عليه وسلم او معانيه فى الظهور بالشمس فكما ان كل احد يشاهده ويدرك منه الاضاءة ولا يحيط بكنهها
قربا وبعدا غير انه يراها من بعد صغيرة كذلك النبى صلى الله عليه وسلم كل احد يشاهده ويدرك منه
الاضاءة النورانية فى هدايته الى سبيل الاسلام ويتحير فى معناه قربا وبعدا فتظهر صورته لاهل الظاهر
شخصا مصورا وجسما مقدرا لا يعرفون حقيقته لبعد المرتبة وتحير العقول فى وصفه من القريب
والبعيد ولا يلزم التشبيه من كل وجه والا فنوره عليه السلام لا يقاربه شمس ولا قمر وقد وصف الله
تعالى الشمس فى قوله وجعلنا سراجا وهاجا ووصف نبينا بقوله سراجا مبينا لانه شمس الوجود
فكما ان الابصار تستمد من اشعة الشمس كذلك تستمد العقول والبصاير من المصطفى الذى هو
شمس الوجود وسراجه المنير ثم اعلم ان هذه التشبيهات الوارده فى حقه عليه السلام انما هى على سبيل
التقريب والافذاته اعلى من كل مماثل على التحقيق لان الشعراء وان بالغوا فى الاوصاف وتفننوا فى اساليبها
على ابلغ قوانين البلاغة واكمل طرق الفصاحة فانما يدركون لوايح منها ويشمون فوايح روايحها
وهم عاجزون عن ادراك شئ من حقايقها وهذا نظير قوله فى الهمزية انما مثلوا صفاتك للناس
كما مثل النجوم الماء وقد اشار ابو نواس الى خطا التشبيه على الاطلاق حيث يقول

يتيه الشمس والقمر المنير ٭ اذا قلنا كانهما الامير
لان الشمس تغرب حين تمسى ٭ وان البدر ينقصه المسير

وما احلا ابن الحلاوى حيث يقول

يقولون يحكى البدر فى الحسن وجهه ٭ وبدر الدجا عن ذلك الحسن ينحط
كما شبهوا غصن النقا بقوامه ٭ لقد بالغوا بالمدح للغصن واشتطوا

على انه لا شئ فى هذه المحدثات يعادل صفات النبى عليه السلام الخلقية وانما جاءت فى تشبيهها على
عادتهم فعن ابى هريرة رضى الله عنه ما رايت شيئا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الشمس
تجرى فى وجهه رواه الترمذى والبيهقى واحمد وابن حبان قال الطيبى شبه جريان الشمس فى
فلكها بجريان الحسن فى وجهه صلى الله عليه وسلم قال ويحتمل ان يكون من تناهى التشبيه جعل
وجهه مقرا ومكانا للشمس ولله در القائل

لم لا يضى بك الوجود وليله ٭ فيه صباح من جمالك مسفر
فبشمس حسنك كل يوم مشرق ٭ وببدر وجهك كل ليل مقمر

والتشبيه ضروب متعددة وافانين متشعبة واقسام متقسمة وهو باب بليغ فى ابواب البلاغة
يخرج الاغمض الى الاوضح ويقرب البعيد الى الفهم الشريد ولهم فيه تعاريف عديدة مذكورة فى
محلها ولا يخفى ما فى هذا البيت من التلميح الى بيت المعرى حيث يقول

والنجم

والنجم تستصغر الابصار رؤيته ٭ والذنب للطرف لا للنجم فى الصغر ٭

وفى البيت التشبيه الذى هو اظهر من الشمس كما تقدم والمقابلة بين بعد وام ومراعاة النظير بين
العين والطرف **وكيف يدرك فى الدنيا حقيقته ٭ قوم نيام تسلوا عنه بالحلم**
كيف ظرف للفعل بعدها وهى للاستفهام الانكارى والاستبعاد والادراك الروية الخاصة بالمعرفة
وفى الدنيا ظرف ليدرك متعلق به وتخصيصها بالذكر لانه لا يدرك فيها الا الاحاد واما فى الاخرة فيظهر
لكل احد قدره ومنزلته اذ يحصل فيها الانتباه وتنفتح عيون البصاير والابصار فتشاهد تلك
الحقايق وتدرك تلك الاسرار اذ الانسان ما دام فى هذه الدنيا يكون محجوبا بحجاب الغفلة والمنام
ممنوعا عن الادراك بما خالطه من الذنوب والاثام ولذلك امتنعت روية الله تعالى فى الدنيا دون الاخرى
كما هو مقرر فى علم الكلام **وحقيقته** مفعول يدرك والضمير راجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
اى معناه الخاص به عليه السلام من نهاية منزلته فى القرب والقبول لا ماهيته لانها معلومة لكل احد
من ذوى العقول **وقوم** فاعل يدرك والقوم اسم جمع لا واحد له من لفظه كرهط ونفر واسما الجموع
التى لا واحد لها من لفظها اذا كانت للادميين تذكر وتونث وهو بالاتفاق للرجال دون النساء
قال الله تعالى لا يسخر قوم من قوم ثم قال ولا نساء من نساء وقال زهير

وما ادرى ولست اخال ادرى ٭ اقوم آل حصن ام نساء ٭

ولكنه يدخل فيه النسا بطريق التغليب لان قوم كل نبى رجال امته ونساؤهم وجمع القوم اقوام وجمع الجمع
اقاوم واقايم **ونيام** صفة قوم جمع نايم واصله نوام بالواو من النوم قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها
وجمع النايم نوم على الاصل ونيم على اللفظ ويقال يا نومان لكثير النوم ولا تقل رجل نومان لانه يختص
بالندا ويقال رجل نوم بفتح الواو اى كثير النوم والمراد بالنايم هنا الغافل عبر به عنه للمبالغة فى الغفلة
اى غافلون محجوبون عن ذلك وجملة **تسلوا** اما صفة اخرى لقوم او حال او استيناف اى تكلفوا
السلو وقنعوا به والصفتان تعليل لعدم ادراكهم حقيقته **وعنه وبالحلم** متعلقان بتسلوا والحلم
بالضم لغة فى الحلم بالسكون ما يراه النايم يقال فيه حلم يحلم بالضم وجمعه على احلام والمراد المعنى اللغوى
والبيت اشارة الى قوله عليه السلام الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فلذلك حملنا النوم على الغفلة ثم ليس
المراد بالحلم حقيقته بل اراد ان الذى ادركوه من فضله وصفته معناه كالخيال الذى يراه النايم لا يمكنه
الاحاطة بمن راى خياله لان النايم انما يرى الخيال والمثال دون شخص المرى وقيل المراد بالنوم حقيقته
المعروفة وبالحلم رويته صلى الله عليه وسلم فى المنام فمن صحت له اكتفى بها عن معرفة حقيقته فلذلك لا يعرف
حقيقته فى الدنيا **وقد عدوا** من خصوصياته عليه السلام عدم قدرة تمثل الشيطان به فمن راه فى المنام
فقد راه حقا لما رواه مسلم من رانى فى المنام فسيرانى فى اليقظة لا يتمثل الشيطان بى **قال** الحافظ ابن
حجر ووقع عند الاسماعيلى [illegible] رانى وكذا عند ابن ماجه وصححه الترمذى
من حديث ابن مسعود **وفى رواية** عند مسلم ايضا من رانى فقد رانى [illegible] من حديث جابر

من رأني في المنام فقد رانى فانه لاينبغي للشيطان ان يتشبه بى وفى حديث ابى سعيد عند البخارى فان
الشيطان لايتكوننى وفى حديث ابى ماده عند البخارى فان الشيطان لايترأى بى ومعناه لايستطيع
ان يتمثل بى يعنى ان الله تعالى وان مكنه من التصور فى كل صورة اراد فانه لم يمكنه من التصور فى صورة
النبى صلى الله عليه وسلم ثم اختلف العلماء رحمهم الله تعالى فى هذه الرؤية فقيل محل ذلك اذا رأه الرأى على
صورته التى كان عليها اى فى دار الدنيا فى وقت من الاوقات من حين خلقه الى حين موته وبعضهم قصر الحكم
على رؤيته على الصورة التى قبض عليها حتى اعتبر عدد الشعرات البيض التى لم تبلغ عشرين من شعره وقال
القاضى ابوبكر بن العربى رؤيته صلى الله عليه وسلم بصفته المعلومة ادراك على الحقيقة ورؤيته على غير
صفته ادراك للمثال فان الصواب ان الانبيا لا تغيرهم الارض قال القاضى عياض يحتمل ان يكون المراد
بقوله فقد رانى او قد رأى الحق ان من رأه على صورته المعروفة فى حياته كانت رؤياه حقا ومن رأه على غير صورته
كانت رؤياه تاويل انتهى وتعقيبه النووى فقال هذا ضعيف بل الصحيح انه يراه حقيقة سواء كانت
على حقيقته المعروفة اوغيرها انتهى وتعقيبه الحافظ بن حجر فقال لم يظهر من كلام القاضى عياض ماينافى
ذلك بل ظاهر قوله انه يراه حقيقة فى الحالين لكن فى الاولى تكون الرويا مما لاتحتاج الى تعبير والثانية مما يحتاج
الى تعبير وقال بعضهم معناه ان من راه على صورته التى كان عليها ويلزم من قول من قال انه لايكون رويته
الا على صورته المعلومة ان رأه على غير صفته ان تكون رؤيته من اضغاث الاحلام ومن المعلوم انه يرى فى النوم
على حالة بخلاف حالته فى الدنيا من الاحوال اللايقة ولو تمكن الشيطان من التمثل بشئ مما كان عليه او ينسب
اليه يعارض عموم قوله فان الشيطان لايتمثل بى فالاولى ان ننزه رؤياه وكذا رؤيا شئ منه او مما ينسب
اليه عن ذلك فانه ابلغ فى الحرمة واليق بالعصمة كما عصم عن الشيطان فى يقظته فالصحيح فى تأويل هذا
الحديث ان مقصوده ان رؤيته فى كل حال ليست باطلة ولا اضغاثا بل هى حق فى نفسها ولو روى على غير
صورته فتصور تلك الصورة ليس من الشيطان بل هو من قبل الله وهذا هو قول القاضى ابى بكر وغيره
ثم اختلفوا فى معنى قوله عليه السلام فسيرانى فى اليقظة قال ابن بطال يريد تصديق تلك الرويا فى اليقظة
وصحتها وخروجها على الحق وليس المراد انه يراه فى الاخرة لانه سيراه يوم القيامة فى اليقظة جميع امته من رأه
فى النوم ومن لم يراه وقال المازرى ان كان المحفوظ فسيرانى فى اليقظة احتمل ان يكون اراد اهل عصره
ممن لم يهاجر اليه فانه اذا راه فى المنام جعل ذلك علامة على ان يراه بعد ذلك فى اليقظة واوحى الله اليه بذلك
وقال القاضى عياض المراد رؤيته فى الاخرة فقط برؤية خاصة من مزيد القرب والشفاعة بعلو الدرجة
ونحو ذلك من الخصوصيات قال ولايبعد ان يعاقب الله بعض المذنبين فى القيمة بمنع روية نبيه صلى الله
عليه وسلم مدة وقال الغزالى ليس معنى قوله فقد رأنى انه رأى جسمى وبدنى وانما المراد انه رأى مثالا صار
ذلك المثال آلة يتادى بها المعنى الذى فى نفسى اليه وكذلك قوله فسيرانى فى اليقظة ليس المراد انه يرى
جسمى وبدنى قال والرؤية تارة تكون حقيقة وتارة تكون خيالا والنفس غير المثال المتخيل فما رأه من
الشكل ليس هو روح المصطفى ولاشخصه بل هو مثال له على التحقيق قال ومثل ذلك من يرى الله تعالى

فى النوم فان ذاته تعالى تنزه عن الشكل والصورة ولكن تنتهى تعريفاته الى العبد بواسطة مثال
محسوس من نور اوغيره ويكون ذلك المثال آلة حقا فى كونه واسطة فى التعريف فيقول الرأى
رايت الله فى المنام لايعنى انى رأيت ذات الله تعالى كما يقول فى حق غيره قال الطيبى المعنى من رأنى فى
المنام باى صفة كنت فليبشر وليعلم انه قد رأى الرويا الحق اى رؤية الحق لا الباطل وكذا قوله فقد رانى
فالشرط والجزا اذا اتحداد لاعلى الغاية فى الكمال اى فقد رانى رويا ليس بعدها شئ قال المعبرون وسبب
اختلاف حال المرئى هو اختلاف حال الرائى قال بعضهم من رأه شيخا فهو غاية سلم ومن رأه شابا فهو
غاية حرب وقال ابو سعيد احمد بن محمد بن نصر من راى نبينا على حاله وهيئته فذلك دليل على
صلاح الرائى وكمال جاهه وظفره بمن عاداه ومن رأه متغير الحال عابسا مثلا فذلك دال على سوء حال
الرائى وقال العارف ابن ابى جمرة من رأه فى صورة حسنة فذلك حسن فى دين الرائى وان كان فى جارحة
من جوارحه شين او نقص فذلك خلل فى الرائى من جهة الدين قال وهذا هو الحق وقد جرب ذلك فوجد
على هذا الاسلوب وبه تحصل الفايدة الكبرى فى رؤياه حتى يتبين الرآئى هل بجسده خلل اولا لانه عليه السلام
نورانى مثل المراة الصقيلى ماكان فى الناظر اليها من حسن اوغيره تصور فيها وفى ذاتها على احسن حال
لانقص فيها وكذلك يقال فى كلامه عليه السلام فى النوم انه يعرض على سنته فما وافقها فهو حق وما خالفها
فالخلل فى سمع الرأى فرؤيا الذات الكريمة حق والخلل انما هو سمع الراى او بصره وقال هذا احسن ما سمعه فى
ذلك انتهى قال البدر الزركشى وقد اجيب عن سؤال من قال قد يراه جماعة من الناس فى ليلة واحدة
فى اقطار متباعدة مع ان رؤيته حق بانه صلى الله عليه وسلم سراج ونور الشمس فى هذا العالم مثال نوره فى
العوالم كلها وكما ان الشمس يراها كل من فى المشرق والمغرب فى ساعة واحدة وبصفات مختلفة فكذلك
النبى صلى الله عليه وسلم ولله القائل

كالبدر من اى النواحى جيته ٥ يهدى الى عينيك نورا ثاقبا

واما رويته عليه السلام يقظة بعين البصر بعد موته فقد كثر كلامهم فيها ما بين منكر ومصدق والتسليم
اسلم وفى البيت حسن التعليل ومراعات النظير بين نيام والحلم والمقابلة بين يدرك ونيام والاحتراس
فى الدنيا والتلميح الى الحديث والاستعارة فى قوله نيام حيث استعار للغافلين الجاهلين وترشيحها
بقوله بالحلم فمبلغ العلم فيه انه بشر وانه خير خلق الله كلهم
الفاء عاطفة وما بعدها كالنتيجة لما قبلها ومبلغ اسم مكان مرفوع بالابتدا وجملة انه بشر مع ما عطف
عليه خبره من البلوغ وهو الوصول الى الغاية وهذه المادة دايرة مع الوصول الى الشئ والعلم اما
مصدر او بمعنى المعلوم واللام عوض عن المضاف اليه اى غاية بلوغ علم الخلق ذلك مبلغهم من العلم
فيه متعلق بمبلغ مجرور المحل على انه صفة العلم ويجوز نصبه على الحال منه لعمل المضاف فيه والضمير
راجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اى فى معرفته انه بشر اى انسان بل هو الانسان الكامل
والبشر يطلق على الواحد والاثنين والجمع مذكرا ومؤنثا بلفظ واحد وقد يثنى كما فى قوله تعالى انؤمن

لبشرين مثلنا سمى الانسان بذلك لظهور بشرته وهو ظاهر جلده ثم اعاد التاكيد بالعطف فى قوله
وانه خير كما لا يخفى وخير اسم تفضيل مخفف من اخير لا يثنى ولا يجمع واما قول الشاعر الابكر الناعى
بخيرى بنى اسد فانما ثناه لانه اراد خيرى بالتشديد مخفف كما ميت وخلق الله بمعنى مخلوقاته
من الانس والملائكة والجن وغيرهم داخل بالاولوية وكلهم توكيد متمم لما قبله قال الزركشى وهذا
البيت من احسن ابيات القصيد وهو منتزع من حديث انا سيد ولد ادم ولا فخر وهو الاحق بقول
القائل حيث يقول وان اشعر بيت انت قايله ٭ بيت يقال اذا انشدته صدقا انتهى
ثم اعلم ان الادلة الظاهرة والايات الباهرة على كونه عليه الصلوة والسلام خير الخلق كلهم وافضل الانام
بأسرهم اكثر من ان يحصى واشهر من ان يستقصى لانه خيار من خيار لانه افضل الرسل الذين هم افضل
الانبيا الذين هم افضل البشر الذين هم افضل من الملائكة الذين هم افضل من الجن وغيرهم مما عداهم من المخلوقات
داخل بطريق التبع فلا مجد يساوى مجده الرفيع ولا مقام يضاهى قدره المنيع ومن تأمل القران العظيم وجده
طافحا بتعظيم الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله
قال المفسرون يعنى موسى كلمه الله بلا واسطة وليس فى اختصاص موسى بالكلام فقد ثبت انه تعالى كلم
نبينا كما سنبينه فى البيتين بعده ورفع بعضهم درجات قال المفسرون يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم رفعه الله
تعالى من ثلاثة اوجه بالذات فى المعراج والسيادة على جميع البشر وبالمعجزات لانه عليه الصلوة والسلام اوتى
من المعجزات مالم يوته نبى قبله قال الزمخشرى وفى هذا الابهام من تفخيم فضله واعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من
الشهادة على انه العلم الذى لا يشتبه والتمييز الذى لا يلتبس انتهى واستفيد من الآية مع قوله تعالى ولقد فضلنا
بعض النبيين على بعض ان مراتب الرسل والانبيا متفاوتة خلافا للمعتزلة القايلين بتساويهم فى الفضيلة
والآيتان رادتان عليهم وعلى القايل بالوقف وقد حكى القاضى عياض عن بعض اهل العلم ان التفضيل
المراد به هنا فى الدنيا بثلاثة احوال ان تكون آياته ومعجزاته اظهر واشهر او تكون امته ازكى واكثر او يكون
فى ذاته افضل واطهر وفضله فى ذاته راجع الى ما خصه الله تعالى به من كرامته واختصاصه من كلام او خلة
او رؤية او ما شاء الله من الطافه وتحفة ولايته واختصاصه انتهى ولا مرية ان ايات نبينا صلى الله عليه
وسلم ومعجزاته اظهر وابهر واكثر وابقى واقوى ومنصبه اعلى وامته اعلم واوفر وذاته افضل واطهر و
خصوصياته على جميع الانبيا اشهر من ان تذكر فدرجته ارفع من درجات جميع المرسلين وذاته ازكى و
افضل من ساير المخلوقين وتأمل حديث الشفاعة فى المحشر وانتهايها اليه وانفراده هناك بالسوءده
كما قال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم واول من تنشق عنه الارض يوم القيمة رواه ابن ماجه واستدل
السعد التفتازانى لمطلق افضليته عليه السلام بقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس قال انه لا شك ان
خيرية الامة بحسب كمالهم فى الدين وذلك تابع لكمال نبيهم الذى يتبعونه واستدل له الفخر الرازى فى المعالم
بانه تعالى وصف الانبيا بالاوصاف الحميدة ثم قال لمحمد صلى الله عليه وسلم اولئك الذين هدى الله فبهداهم
اقتده فامره ان يقتدى باثرهم فيكون اتيانه به واجبا والا فيكون تاركا للامر واذا اتى بجميع ما اتوا به

من الخصال الحميدة فقد اجتمع فيه ما كان متفرقا فيهم فيكون افضل منهم وبان دعوته عليه السلام فى
التوحيد والعبادة وصلت الى اكثر بلاد العالم بخلاف ساير الانبيا فظهر ان انتفاع اهل الدنيا
بدعوته اكمل من انتفاع ساير الامم بدعوة ساير الانبيا فوجب ان يكون افضل من ساير الانبياء
انتهى وقد روى الترمذى عن ابى سعيد الخدرى قال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيمة
ولا فخر وبيدى لواء الحمد ولا فخر وما من بنى آدم فمن سواه الا تحت لوائى وفى حديث ابى هريرة
مرفوعا عند البخارى انا سيد الناس يوم القيمة وهذا يدل على انه افضل من آدم عليه السلام ومن
كل اولاده قال القسطلانى فى المواهب ولم يقل صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس عجبا وافتخارا
على من دونه حاشاه الله عن ذلك وانما قاله عليه السلام اظهارا لنعمة الله تعالى عليه واعلاما للامة
بقدر امامهم ومتبوعهم عند الله تعالى وعلو منزلته عند ربه لتعرف نعمة الله عليهم وعليه وكذلك
المتعرف اذا لاحظ ما هو فيه من فيض المدد وشهده من عين المنة ومحض الجود وشهد مع ذلك
فقره الى ربه فى كل لحظة وعدم استغنايه عنه طرفة عين فساق ذلك فى قلبه سحايب السرور فاذا
انبسطت هذه السحايب فى سماء قلبه وامتلاء افقه بها امطرت عليه وابل الطرب بما هو فيه من لذيذ
السرور فان لم يصبه وابل فطل وح يجرى على لسانه الافتخار من غير عجب ولا فخر بل فرح بفضل الله
ورحمته فبذلك فليفرحوا فالافتخار على ظاهره والافتقار والانكسار فى باطنه ولا ينافى احدهما
الآخر فان قيل ما الجمع بين هاتين الايتين وبين قوله تعالى قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل
الى ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى وما اوتى النبيون
من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون والحديث الثابت فى الصحيحين عن ابى هريرة رض
قال استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود فقال اليهود فى قسمه لا والذى اصطفى موسى على العالمين
فرفع المسلم يده فلطم اليهودى وقال اى خبيث وعلى محمد فجاء اليهودى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
واشتكى على المسلم فقال صلى الله عليه وسلم لا تفضلونى على الانبيا وفى رواية لا تفضلوا بين الانبياء
وحديث ابى سعيد الخدرى عند البخارى ومسلم انه صلى الله عليه وسلم قال لا تخيروا بين الانبيا وحديث
ابن عباس عند البخارى ومسلم مرفوعا ما ينبغى لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى وحديث
ابو هريرة عند الشيخين ومن قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب اجاب العلماء بان قوله عز وجل
لا نفرق بين احد منهم يعنى فى الايمان بما انزل اليهم والتصديق بهم والايمان بانهم رسل الله وانبياؤه
والتسوية بينهم فى هذا لا تمنع ان يكون بعضهم افضل من بعض واجابوا عن الاحاديث باجوبة
فقال بعضهم انا نعتقد ان الله فضل بعضهم على بعض على الجملة ونكف عن الخوض فى تفصيل التفضيل
بارائنا قال ابن ظفر فان اراد هذا القائل انا نكف عن الخوض فى تفصيل التفضيل بارائنا فصحيح وان
اراد انا لا نذكر فى ذلك ما فهمناه من كتاب الله تعالى وروى لنا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسقيم وقال آخر نفضل من رفع الله درجته بخصايص الحظوة والزلفى ولا نخوض فى تفضيل بعضهم

على بعض في سياسة المنذرين والصبر على الدين والنهضة في اداء الرسالة والحرص على الهدى من الضلالة
فان كلا منهم قد بذل في ذلك وسعه الذي لا يكلفه الله تعالى اكثر منه وقال بعضهم ان نهيه عليه السلام عن
التفضيل كان قبل ان يعلم انه سيد ولد ادم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف فان من فضل بلا
علم فقد كذب ونظر فيه الحافظ ابن كثير ولعل وجه النظر معرفة المتقدم تاريخا من ذلك وقال بعضهم
انما قاله صلى الله عليه وسلم على طريق التواضع ونفي التكبر والعجب قال القاضي عياض وهذا لا يسلم
من اعتراض وقيل لا تفضل بينهم تفضيلا يودي الى تنقيص بعضهم او البعض منه وقيل منع التفضيل
في حق النبوة والرسالة فان الانبيا عليهم السلام فيهما على حد واحد لا يتفاضل بعضهم على بعض
وانما التفاضل في زيادة الاحوال والخصوص والكرامات والرتب واما النبوة فلا تفاضل فيها
وانما التفاضل بأمر آخر زايد عليها وكذلك منهم رسل اولو عزم واجاب ابن ابي جمرة بان النبي صلى الله
عليه وسلم وان اسري به الى ما فوق السبع الطباق واخترق الحجب ويونس بن متى وان نزل به الى
قعر البحر فهما بالنسبة الى القرب والبعد من الله سبحانه وتعالى على حد واحد انتهى وهو مروي عن
امام دار الهجرة مالك بن انس وعزي نحوه لامام الحرمين واما التفضيل بين الملائكة بعضهم بعضا
فمحل الكلام على ذلك في علمه قال صاحب المواهب عقيب كلام طويل وبالجملة فقد نص الكتاب
العزيز من التصريح بجليل رتبته وتعظيم قدره وعلو منصبه ورفعة ذكره ما يقضي بانه استولى على
اقصى درجات التكريم ويكفي اخباره تعالى بالعفو عنه ملاطفة قبل ذكر العتاب في قوله عفا الله عنك
لم اذنت لهم وتقديم ذكره على الانبيا تعظيما له مع تأخره عنهم في الزمان في قوله تعالى ومنك ومن نوح وابراهيم
وموسى وعيسى بن مريم واخباره بتمني اهل النار طاعته في قوله تعالى يوم تقلب وجوههم في النار يقولون
يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول وهذا بحر لا ينفذ وقطر لا يعد انتهى

وكل اى اتى الرسل الكرام بها ... فانما اتصلت من نوره بهم

وكل مبتدا اضيف الى اى جمع آية لاستغراق افراده اتى بمعنى جاء وقيل بينهما فرق من حيث ان الاتيان
قطع مسافة الاتى فيها والمجي بلوغ بعد قطع المسافة الرسل فاعل اتى بسكون السين لغة تميم لاجل الوزن
والافصح ضمها جمع رسول بمعنى مرسل ولم يات فعول في اللغة بمعنى مفعل الا نادرا من الارسال وهو
امر الله تعالى له بتبليغ الرسالة الى من ارسل اليهم واشتقاقه من التتابع ومنه قولهم جاء الناس ارسالا
اذا تبع بعضهم بعضا فكانه الزم تكرير التبليغ والزمت الامة اتباعه والفرق بين النبي والرسول
مع القول باتحادهما مشهور وجاء في الحديث عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم الانبياء مائة الف
واربعة وعشرون الف نبي والرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر اولهم آدم وآخرهم محمد صلى الله عليه
وسلم والاولى الايمان بهم على الاجمال دون البحث عن التفصيل في غير ما اشتهر وجاء به النص كما هو مقرر
في محله والجملة في محل جر صفة اى الكرام جمع كريم من الكرم بمعنى الرفعة والفضل او بضد اللوم او
بمعنى الجود والسخا والكل صالح صفة الرسل موضحة لموصوفها والبا في بها اما التعدية او للمصاحبة

حال

حال من الرسل اى مصاحبين بها والفا في فانما لتضمن المبتدا معنى الشرط وانما من ادوات الحصر ومن
شان الخبر المحصور بها ان لا يجهله المخاطب ولا ينكره حتى ان انكاره يزول بادنى تنبيه لعدم اصراره
عليه كما هو هنا وعبر بقوله اتصلت للاشارة الى بقاء نوره عليه السلام بكماله وعدم نقصانه بخلاف
ما لو قال فانما هي من نوره او ما شاكل ذلك لما يوهم انه وزع عليهم اما مع بقاء شي منه او مع عدم البقاء
اى فانما اتصلت بهم اى بكل واحد منهم من نوره اخره عن نوره لاجل الوزن والقافية اذ المقصور عليه
هو من نوره ويجب كونه موخرا كما هو الشرط في انما ولا يجوز تقديمه خوفا من الالتباس كما هو مقرر
في محله والنور قال في الصحاح الضيا والجمع انوار يقال انار الشيء واستنار بمعنى انتهى وفرق
بعضهم بينهما بان النور ما كان مستفادا من غيره والضيا ما كان من نفسه لقوله تعالى هو الذي
جعل الشمس ضياء والقمر نورا والمعنى ان كل الايات الصادرة من المرسلين من معجزة وغيرها
انما اتصلت بهم عليهم السلام من نوره صلى الله عليه وسلم وان تأخر وجوده عن جميع الرسل
والانبياء لان نور نبوته مقدم عليهم بل وعن جميع المخلوقات ويشهد له حديث عبد الرزاق
بسنده عن جابر بن عبد الله الانصاري رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله بابي انت وامي اخبرني
عن شيء خلقه الله تعالى قبل الاشيا قال يا جابر ان الله تعالى خلق قبل الاشيا نور نبيك من نوره فجعل
ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار
ولا ملك ولا سماء ولا ارض ولا شمس ولا قمر ولا جن ولا انس فلما اراد الله تعالى ان يخلق الخلق قسم
ذلك النور اربعة اجزا فخلق من الجزء الاول القلم ومن الثاني اللوح ومن الثالث العرش ثم قسم الجزء
الرابع اربعة اجزا فخلق من الجزء الاول حملة العرش ومن الثاني الكرسي ومن الثالث باقي الملائكة
ثم قسم الجزء الرابع اربعة اجزا فخلق من الاول السموات ومن الثاني الارضين ومن الثالث الجنة والنار
ثم قسم الجزء الرابع اربعة اجزا فخلق من الاول نور ابصار المؤمنين ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة
بالله تعالى ومن الثالث نور السنتهم وهو التوحيد لا اله الا الله محمد رسول الله الحديث واولية
خلق نور نبينا صلى الله عليه وسلم حقيقية فلا يعارضها حديث اول ما خلق الله القلم وحديث
ان الماء لم يخلق شيء قبله ان اوليتها نسبية بالاضافة الى جنسه اى اول ما خلق الله من المياه و
اول ما خلق الله من الاقلام وكل منهما بالاضافة الى ما عدا النور المحمدي وفي احكام ابن القطان
عن علي بن الحسين عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت نورا بين يدي ربي قبل
خلق آدم باربعة عشر الف عام وفي الخبر لما خلق الله تعالى ادم جعل ذلك النور في ظهره فكان يلمع في
جبينه فيغلب على ساير نوره ثم رفعه الله تعالى على سرير ملكه وحمله على اكتاف ملائكته وامرهم فطافوا
به في السموات ليرى عجايب ملكوته وقيل ان الله تعالى لما خلق نور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم امره
ان ينظر الى انوار الانبيا عليهم السلام فغشيهم من نوره ما انطقهم الله به وقالوا يا ربنا من غشينا
نوره فقال الله تعالى هذا نور محمد بن عبد الله ان امنتم به جعلتكم انبيا قالوا امنا به وبنبوته فقال الله

تعالى اشهد عليكم قالوا نعم وذلك قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه الى قوله وانا معكم من الشاهدين قال الشيخ تقي الدين السبكي في هذه الاية الشريفة من التنويه بالنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيم قدره العلي ما لا يخفى وفيه مع ذلك انه على تقدير مجيئه في زمانهم يكون مرسلا اليهم فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من زمن آدم الى يوم القيمة وتكون الانبيا واممهم كلهم من امته ويكون قوله وبعثت الى الناس كافة لا يختص به الناس من زمانه الى يوم القيامة بل يتناول من قبلهم ايضا ويتبين بهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد ثم قال فاذا عرف هذا فالنبي صلى الله عليه وسلم نبي الانبيا ولهذا ظهر ذلك في الاخرة جمع الانبيا تحت لوائه وفي الدنيا كذلك ليلة الاسرا صلى بهم ولو اتفق مجيئه في زمن آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم وجب عليهم وعلى اممهم الايمان به ونصرته وبذلك اخذ الله الميثاق عليهم انتهى وروى عن علي بن ابي طالب انه قال لم يبعث الله تعالى نبيا من آدم فمن بعده الا اخذ عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه وروى ذلك عن ابن عباس ايضا واما ما قيل ان النبوة وصف لا بد ان يكون الموصوف به موجودا وانما يكون بعد اربعين سنة فكيف يوصف به قبل وجوده وارساله وقوله عليه السلام كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد وقوله عليه السلام انا اول الانبياء خلقا وآخرهم بعثا فاجاب الغزالي عنه بان المراد بالخلق هنا التقدير دون الايجاد فانه قبل ان ولدته امه لم يكن موجودا مخلوقا ولكن الغايات والكمالات سابقة في التقدير لاحقة في الوجود وتعقبه التقي السبكي بانه قد جاء ان الله خلق الارواح قبل الاجساد فقد تكون الاشارة بقوله كنت نبيا الى روحه المشرفة او الى حقيقة من الحقايق والحقايق تقصر عقولنا عن معرفتها وانما يعلمها خالقها ومن ايده الله بنور الاهي ثم ان تلك الحقايق يوتي الله تعالى كلا منها ما يشاء في الوقت الذي يشاء فحقيقة النبي صلى الله عليه وسلم قد تكون من خلق آدم اتاها الله ذلك الوصف بان يكون خلقها متهيئة لذلك وافاضه عليها من ذلك الوقت فصار نبيا وكتب اسمه على العرش واخبر عنه بالرسالة ليعلم ملايكته وغيرهم كرامته عنده فحقيقته موجوده من ذلك الوقت وان تاخر جسده الشريف المتصف بها واتصاف حقيقته بالاوصاف الشريفة المفاضة عليه من الحضرة الالهية وانما يتاخر البعث والتبليغ وكل ما له من جهة الله تعالى ومن جهة تاهل ذاته الشريفة وحقيقته معجل لا تاخر فيه وكذلك استنباؤه وايتاؤه الحكمة والكتاب والنبوة وانما المتاخر تكونه وتنقله الى ان ظهر صلى الله عليه وسلم وقد علم من هذا ان من فسره بعلم الله بانه سيصير نبيا لم يصل الى هذا المعنى لان علم الله تعالى محيط بساير الانبياء ووصف النبي صلى الله عليه وسلم بالنبوة في ذلك الوقت ينبغي ان يفهم منه انه امر ثابت له في ذلك الوقت ولو كان المراد بذلك مجرد العلم بما سيصير في المستقبل لم يكن له خصوصية بانه نبي وآدم بين الروح والجسد لان جميع الانبيا يعلم الله تعالى نبوتهم في ذلك الوقت وقبله فلا بد من خصوصية للنبي صلى الله عليه وسلم لاجلها اخبر بهذا الخبر اعلاما لامته ليعرفوا قدره عند الله تعالى ثم خلق الله حوى ليسكن اليها آدم فولدت

له

له عشرين بطنا ووضعت شيثا وحده ولما توفي آدم كان شيث وصيا على ولده ثم اوصى شيث ولده بوصية آدم ان لا يضع هذا النور الا في المطهرات من النسا ولم تزل هذه الوصية جارية تنتقل من قرن الى قرن الى ان ادى الله النور الى عبد المطلب وولده عبد الله وطهر الله هذا النسب الشريف من سفاح الجاهلية ثم ان الناظم رحمه الله اشار الى وجه الاتصال على وجه التاكيد فقال

فَانَّهُ شَمْسُ فَضْلٍ هُمْ كَوَاكِبُهَا ... يُظْهِرْنَ اَنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي الظُّلَمِ

الفا للسببية والتفريع اي بسبب الاتصال انه شمس فضل لاشراق انواره الظاهرة وظهور معجزاته الباهرة وافاضتها على العالم على وجه الكمال حتى محا فجرها ظلمات الكفر والضلال واشتهرت ملته في ساير الاقطار اشتهار الشمس في رابعة النهار فاقتبس من مشكات مصباحها انوار العلوم والحكم وظهر من مرآت صباحها انواع المعارف التي اشرق بعضها على من تقدم من الامم فكل نبي من الانبيا عليهم السلام اظهر معجزة او جاء بشريعة حكم من الاحكام انما كان مقتبسا من انواره مامورا قبل ظهور نبينا باظهاره فلا يخفى ما في البيت من الاستعارة مبنى ومعنى ولا يخفى اختيار الفضل على غيره في اضافة الشمس اليه وهم اي الانبيا كواكبها جملة من مبتدا وخبر والكواكب جمع كوكب بوزن فوعل وهو النجم يقال كوكب وكوكبة والضمير للشمس والاضافة للتخصيص ووجه الشبه من حيثية استمداد انوارهم عليهم السلام من نوره صلى الله عليه وسلم وعدم بلوغهم الى رتبته في النور والمعارف كما ان النجوم مستمدة النور من الشمس غير مضية بنفسها كما هو احد القولين وغير مساويها في الاضاة ثم لا يخفى الاختلاف بينهم في كون الكواكب مضية بنفسها او بالاستفادة من الشمس كما هو في القمر وادلة كل مذكورة في محله لكن قال العلامة قطب الدين الشيرازي في كتابه التحفة الاشبه ان انوار ساير الكواكب ذاتية اذ لو كانت من الشمس لظهرت فيها التشكلات البدرية والهلالية باختلاف وصفها فيها كما في القمر انتهى وتعقبه شيخنا الملا بهاء الدين القزويني فقال لعل القايل بان نورها من الشمس يقول بنفوذ نور الشمس في اعماقها لا ان المنير وجهها المقابل للشمس كما في القمر فلا يرد هذا الكلام عليه تامل وهو كلام مقبول ثم قال صاحب التحفة فان قيل انما يلزم هذا في السفليين لا في العلويات لان وجهها المقابل لنا هو المقابل للشمس بخلاف القمر لا يقال لو كانت كذلك لانخسفت في المقابلات اذا كانت على نفس المنطقة لان ظل الارض لا يصل اليها قلنا العلوية اذا كانت على سمت الراس غير مقابلة لها ولا مقارنة لم يكن وجهها المقابل لنا هو المقابل لها بل بعضه ولزم ما قلنا فان قيل انما لا يرى هلالها لخفاء طرفه لصغر حجم الكوكب في النظر وظهوره من البعد المتقارب مستديرا قلنا لو كان كذلك لرؤيت الكواكب في قرب الشمس اصغر منه في بعدها انتهى كلام القطب في تحفته ويظهرن جملة تفسيرية والضمير للكواكب اي يظهرن انوارها اي انوار الشمس او انوار الكواكب المستفاده من الشمس للناس للشاهدين لها بعقولهم وذكرهم لانهم هم المعتبرون العارفون وغيرهم بطريق التبع والناس اصله اناس لقولهم انسان وانس واناسي فحذفت الهمزة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما وقوله ان المنايا يطلعن على الاناس الامنينا شاذ وهو اسم جمع كرجال اذ لم يثبت فعال في ابنية الجمع ماخوذ من انس لانهم

يستأنسون بامثالهم قال ٥ وماسمى الانسان الا لانسه ٥ ولا القلب الا انه يتقلب ٥
وهو حقيقة فى الادميين ويطلق على الجن مجازا فى الظلم جمع ظلمة متعلق بيظهرن اى يظهرن انوارها
فى الظلم عند غيبتها عن العيون فاذا ظهرت اختفت انوار الكواكب اذ لا اضاءة لها مع وجودها
كذلك الانبيا صلوات الله عليهم قبل وجوده صلى الله عليه وسلم كانوا يظهرون فضله فلما ظهر صلى الله
عليه وسلم نسخت شريعته شرايع من قبله اذ كل مالهم من المعجزات وجميع ما صدر منهم من باهر الايات منسوب
اليه ومستفاض منه اذ هو نبى الانبياء كما تقدم وكل معجزة احدهم مرجعها اليه كما ان كل كرامة لولى معجزة لنبيه
اولتنقله فى اصلابهم ولذلك قال الفخر الرازى فى تفسيره ان الملائكة امروا بالسجود لادم لاجل ان نور محمد
صلى الله عليه وسلم كان فى جبهته وعلى الحقيقة فنبينا صلى الله عليه وسلم جمعت فيه جميع ما تفرق فيهم من
المعجزات وزاد عليهم بايات اخريات اظهار الفضله وتنويها على شرفه ومزيته قال الاشعرى كل اية اوتيها
نبى من الانبيا فقد اوتيها نبينا صلى الله عليه وسلم وخص من بينهم بفضل الرؤية وجاء ذلك عن الشافعى
رضى الله عنه وانه قيل له فاحياء الموتى قال حنين الجذع ابلغ منه لان اجراء الحيات فيما عهد منه دون
اجرايها فيما لم يعهد ولنذكر هنا نبذة من معجزاته التى شاركه فيها الانبيا واستمدوا من نوره فيها وما صنع
ذلك اول ما ظهر ذلك فى ادم عليه السلام حيث جعله الله تعالى خليفة وامده بالاسما كلها من مقام جوامع
الكلم التى لمحمد صلى الله عليه وسلم فظهر بعلم الاسما كلها على الملائكة ثم توالت الخلايف فى الارض الى
ان وصل الى زمان وجود صورة جسم نبينا صلى الله عليه وسلم الشريف لاظهار كمال منزلته فلما كان
كالشمس اندرج فى نوره كل نور وانطوى تحت منشور اياته كل اية لغيره من الانبيا ودخلت الرسالة
كلها فى صلب نبوته والنبوات كلها تحت لواء رسالته فلم يعط احد منهم كرامة او فضيلة الا وقد اعطى
صلى الله عليه وسلم مثلها فادم عليه السلام اعطا ان الله تعالى خلقه بيده واعطى نبينا صلى الله عليه وسلم
ان شرح صدره بنفسه وخلق فيه الايمان والحكمة وهو الخلق النبوى وهو اعظم من الخلق الوجودى فى
آدم مع ان المقصود بخلق آدم خلق نبينا فى صلبه كما دلت عليه الاحاديث فنبينا صلى الله عليه وسلم
هو المقصود وآدم الوسيلة والمقصود سابق اصلى واما سجود الملائكة لادم فهو لاجل نور محمد كما تقدم
وعن الامام سهل ابن محمد انه قال هذا التشريف الذى شرف الله تعالى به محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله
ان الله وملائكته يصلون على النبى اتم واجمع من تشريف آدم عليه السلام بامر الملائكة بالسجود له لان التشريف
الصادر من الله وملائكته اتم من التشريف الصادر من الملائكة قال بعضهم واما تعليم آدم اسماء كل شىء
فاخرج الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابى رافع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلت لى امتى
فى الماء والطين وعلمت الاسماء كلها كما علم آدم الاسما كلها فكما ان آدم علم اسماء العلوم كلها فكذلك
نبينا صلى الله عليه وسلم وزاد عليه بمعرفة المسميات مع معرفة الاسما اذ المسميات هى المقصودة بالذات
والى هذا اشارته فى الهمزية بقوله ٥ لك ذات العلوم من عالم الغيب ٥ ومنها لادم الاسماء ٥ فالحاصل
لنبينا صلى الله عليه وسلم هو العلم بحقايقها ومسمياتها ولاريب ان العلم بهذا اعلى واجل من العلم

بمجرد

بمجرد اسمائها ولم فرق بينهما وادريس عليه السلام رفعه الله مكانا عليا واعطى نبينا صلى الله
عليه وسلم المعراج ورفع مكانا لم يرفع اليه غيره كما هو فى حديث المعراج ونوح عليه السلام نجاه
الله ومن امن معه من الغرق والخسف واعطى لنبينا صلى الله عليه وسلم انه لن تهلك امته بعذاب
من السما قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وذكر الفخر الرازى فى تفسيره اكرم الله تعالى نوحا
بان امسك سفينته على الماء وفعل لمحمد صلى الله عليه وسلم اعظم منه روى انه صلى الله عليه وسلم كان
على شط ماء وقعد عكرمة بن ابى جهل فقال ان كنت صادقا فادع ذلك الحجر الذى فى الجانب الاخر فليسبح
ولا يغرق فاشار اليه عليه السلام فانقلع الحجر من مكانه وسبح حتى صار بين يدى الرسول صلى الله
عليه وسلم وشهد له بالرسالة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم يكفيك هذا فقال حتى يرجع الى مكانه
واما ابراهيم الخليل عليه السلام فكانت عليه نار نمرود بردا وسلاما فاعطى نبينا صلى الله عليه وسلم نظير
ذلك اطفاء نار الحرب عنه عليه السلام وناهيك بنار حطبها السيوف ووهجها الحتوف وموقدها
الحسد ومطلبها الروح والجسد قال الله تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله فكم ارادوا ان يطفوا
النور بالنار فابى الجبار الا ان يتم نوره وان يخمد شرورهم ويكمل لمحمد عليه السلام سروره وظهوره و
يذكر انه عليه السلام مر ليلة المعراج على بحر الماء وعلى بحر النار اللذين هما دون سماء الدنيا مع سلامته
منهما ويشهد لذلك قول القايل بالعناصر الاربع كما هو مقرر عندهم وروى النسائى ان محمد بن حاطب
قال كنت طفلا فانصبت القدر على واحرق جلدى كله فحملنى ابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفل
عليه السلام فى جلدى ومسح يده على المحترق وقال اذهب الباس رب الناس فصرت صحيحا لا باس
بى واما ما اعطيه ابراهيم عليه السلام من مقام الخلة فقد اعطيه نبينا صلى الله عليه وسلم وزاد بمقام
المحبة وقد روى فى حديث الشفاعة ان الخليل ابراهيم عليه السلام اذا قيل له اتخذك الله خليلا فاشفع
لنا قال انما كنت خليلا من وراء وراء اذهبوا الى غيرى الى ان تنتهى الشفاعة الى النبى صلى الله عليه وسلم
فيقول انا لها انا لها وهذا يدل على ان نبينا عليه السلام كان خليلا مع رفع الحجاب وكشف الغطا
ولو كان خليلا من وراء وراء لاعتذر كما اعتذر ابراهيم وفيه تنبيه ظاهر على انه عليه السلام فاز برؤية الحق
سبحانه وكشف له الغطا حتى راى الحق بعينى راسه فتلخص انه صلى الله عليه وسلم نال درجة الخلة التى
اشتهر بها ابراهيم الخليل عليه السلام على وجه نطق ابراهيم بان نصيب نبينا منه الاعلى لمفهوم قوله عن نفسه
انما كنت خليلا من وراء وراء واما ما اعطيه ابراهيم عليه السلام من انفراده فى اهل الارض بعبادة الله تعالى
وتوحيده والانتصاب للاصنام بالكسر فاعطى نبينا صلى الله عليه وسلم ذلك وكسرها باسرها بمحض
من اولى نصرها بتقضيب ليس مما يكسر الا بقوة ربانية حيث اشار جهرا غير سر بتقضيب فى قوله وقل جاء الحق
وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا واما ما اعطيه الخليل عليه السلام من بناء البيت فلا خفا ان
البيت جسد وروحه الحجر الاسود بل هو سويدا القلب بل جاء انه يمين الرب كناية عن استلامه كما يستلم
الايمان عند عقد العهود والايمان فاعطى نبينا صلى الله عليه وسلم ان قريشا لما بنت البيت بعد هدمه

ولم يبق الا وضع الحجر تنافسوا فى من يضعه رونا للفخر العظيم والمجد العميم ثم اتفقوا على اول داخل فاتفق
دخول نبينا صلى الله عليه وسلم فقالوا هذا الحكوم فى ذلك فامر ببسط ثوب ووضع الحجر عليه ثم قال ليرفع
كل بطن بطرف فرفعوه جميعا ثم اخذه نبينا صلى الله عليه وسلم فوضعه فى موضعه فادخر الله تعالى
ذلك المقام ليكون منقبة له على مدا الدوام واما ما اعطيه موسى عليه السلام من قلب العصا حية غير
ناطقة فاعطى نبينا صلى الله عليه وسلم حنين الجذع وذكر الامام الرازى وغيره ان ابا جهل لما اراد
ان يرميه بالحجر راى على كتفه ثعبانين فانصرف مرعوبا واما ما اعطيه عليه السلام من اليد البيضا وكان
بياضها يغشى البصر فاعطى نبينا صلى الله عليه وسلم انه لم يزل نوره ينتقل من اصلاب الابا وبطون
الامهات من لدن آدم الى عبد الله ابيه واعطى صلى الله عليه وسلم قتادة بن النعمان وكان قد صلى معه
العشا فى ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال انطلق به فانه سيضى لك من بين يديك عشرا ومن خلفك
عشرا فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق فاضاء له العرجون
حتى دخل بيته ووجد السواد وضربه حتى خرج رواه ابو نعيم واخرج البيهقى وصححه الحاكم عن انس قال
كان عبادة بن بشر واسيد بن حضير عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حاجة حتى ذهب من الليل ساعة
وهى ليلة شديدة الظلمة ثم خرجا وبيد كل واحد منهما عصاه فاضاءت لهما عصا احدهما فمشيا فى ضوءها
حتى اذا افترقت لهما الطريق اضاءت للاخر عصاه فمشى كل واحد منهما فى ضوء عصاه حتى بلغ بيته
ورواه البخارى بنحوه فى الصحيح واخرج البخارى فى تاريخه والبيهقى وابو نعيم عن حمزة الاسلمى قال كنا مع النبى صلى الله عليه
وسلم فى سفر فتفرقنا فى ليلة ظلما فاضاءت اصابعى حتى جمعوا عليها ظهرهم وما هلك منهم وان اصابعى
لتنير ومما اعطيه موسى عليه السلام انفلاق البحر له فاعطى نبينا صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر فموسى
تصرف فى عالم الارض ونبينا تصرف فى عالم السما والفرق مثل السماء والارض وايضا ما ذكروه من كرة
الماء بين السماء والارض وقد انفلقت له ليلة المعراج ويقال ان بين السماء والارض بحرا يقال له المكفوف
يكون بحر الارض بالنسبة اليه كقطرة من بحر فانفلاقه اعظم من انفلاق البحر لموسى عليه السلام ومما اعطيه
موسى عليه السلام تفجر الما من الحجارة فاعطى نبينا صلى الله عليه وسلم تفجر الماء من بين اصابعه وهو ابلغ
لان الحجر من جنس الارض وتفجر الماء من الحجر معهود دون الاصابع اذ لم يعهد تفجر الماء من بين اللحم والعظم
واعطى موسى عليه السلام الكلام واعطى نبينا صلى الله عليه وسلم مثله ليلة الاسرا وزيادة الدنو وكان
مقام المناجات فى حق نبينا صلى الله عليه وسلم فوق السموات العلى وسدرة المنتهى والمستوى وحجب النور
والرفرف ومقام المناجات لموسى طور سينا واما ما اعطيه هارون عليه السلام من فصاحة اللسان فقد
كان نبينا صلى الله عليه وسلم من الفصاحة والبلاغة بالمحل الاسمى والرتبة العليا وفصاحة هارون
بالعبرانية وفصاحة نبينا بالعربية والفرق مثل الصبح ظاهر قال ابن المنير الظاهر ان فصاحة هارون لم
تكن معجزة ولكن فضيلة ولم يتحد نبى من الانبيا بالفصاحة الا نبينا صلى الله عليه وسلم فى جوامع الكلم واما
ما اعطيه يوسف عليه السلام من شطر الحسن فاعطى نبينا صلى الله عليه وسلم الحسن كله كما تقدم ومما اعطيه

يوسف عليه السلام تعبير الرؤيا فكان لنبينا صلى الله عليه وسلم من ذلك ما لا يدخل تحت الحد واما ما
اعطيه داود عليه السلام من تليين الحديد فاعطى نبينا صلى الله عليه وسلم ان العود اليابس اخضر
بين يديه واورق ومسح صلى الله عليه وسلم على شاة ام معبد الجربا فدرت واما ما اعطيه سليمان عليه
السلام من كلام الطير وتسخير الشياطين والريح والملك الذى لم يعطه احد من بعده اعطى نبينا صلى الله
عليه وسلم مثل ذلك وزيادة اما كلام الطير والوحش فنبينا صلى الله عليه وسلم كلمه الحجر وسبح فى كفه
الحصا وهما جمادات وكلمه ذراع الشاة المسموم وكلمه الظبى وشكى اليه البعير وروى ان طيرا فجع بولده
فجعل يرفرف على راس النبى صلى الله عليه وسلم ويتكلم فقال ايكم فجع هذا بولده فقال رجل انا فقال اردد
ولده ذكره الرازى ورواه ابو داود واما الريح التى كانت غدوها شهر ورواحها شهر فقد اعطى نبينا
صلى الله عليه وسلم البراق الذى هو اسرع من الريح بل اسرع من البرق الخاطف فحمله من الفرش الى العرش فى
ساعة زمانية واقل مسافة فى ذلك سبعة الاف سنه وتلك مسافة السموات واما الى المستوى والى
الرفرف فلا يعلم به الا الله تعالى وايضا فالريح سخرت لسليمان عليه السلام لتحمله الى نواحى الارض ونبينا
صلى الله عليه وسلم زويت له الارض وسلم فرق بينهما واما ما اعطيه من تسخير الشياطين فاعطى نبينا
ان امكنه من ذلك الشيطان الذى اعترضه حتى ربطه فى سارية من سوارى المسجد وايضا فسليمان عليه
السلام استخدمهم ونبينا صلى الله عليه وسلم استسلمهم فآمنوا به واما عد الجن من جنوده ففخر من ذلك
عد الملائكة من جنود نبينا عليه السلام واما عد الطير من جملة جنوده فاعجب منه حمامة الغار وتوكرها
فى الساعة الواحدة وحمايتها له من عدوه والغرض من استكثار الجند هو الحماية وقد حصلت من اعظم عدو
بايسر طير واما ما اعطيه من الملك فقد خير نبينا صلى الله عليه وسلم بين ان يكون ملكا او عبدا فاختار
ان يكون صلى الله عليه وسلم نبيا عبدا ولله القائل ٭ يا خير عبد على كل الملوك ولى ٭ واما ما اعطيه عيسى
عليه السلام من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى فاعطى نبينا صلى الله عليه وسلم انه رد العين الى مكانها
بعدما سقطت فعادت احسن ما كانت وروى ان امراة معاذ بن عفرا وكانت برصا شكت ذلك الى النبى
صلى الله عليه وسلم فمسح عليها بعصا فاذهب الله البرص منها ذكره الرازى وفى دلايل النبوة للبيهقى قصة
الرجل الذى قال للنبى صلى الله عليه وسلم لا اومن لك حتى تحى لى ابنتى وفيه انه صلى الله عليه وسلم اتى قبرها
فقال يا فلانه قالت لبيك وسعديك يا رسول الله الحديث وايضا فقد سبح الحصا فى كفه وسلم عليه الحجر
وحن لفراقه الجذع وذلك ابلغ من تكليم الموتى لان هذا من جنس ما لا يتكلم واما ما اعطى من انه كان يعرف
ما تخفيه الناس فى بيوتهم فقد اعطى نبينا صلى الله عليه وسلم من ذلك ما لا يحصى واما ما اعطيه من
رفعه الى السماء فقد اعطى نبينا صلى الله عليه وسلم ذلك ليلة المعراج وزاد فى الترقى بمزيد الدرجات
وسماع المناجات والحظوة فى الحضرة القدسية بالمشاهدات فثبت انه صلى الله عليه وسلم اعطى ما
اعطوا وفوق ذلك بزيادة خصوصيات كثيرة لم يعطوها عليهم السلام ٭ وذلك يدل على افضليته
صلى الله عليه وسلم عليهم ٭ فان معجزاته لا تكاد تحد ٭ واياته تخرج عن العد فمن ضبطها بعد فانما ضبط بحسب

ماوصل اليه علمه اودل عليه فهمه والا فكيف تعد اياته التى تحاكى قطر السماء عدا وانت لو تاملت فى المعجزة الواحدة التى هى القرآن العظيم وما احتوى عليه من المعجزات والايات على اختلاف انواعها لاستغرقت الزمان فى بعض ذلك ولم تستوف البقية زاده الله شرفا وكرما وتعظيما وفى البيت مراعات النظير بين الشمس والكواكب والانوار والمقابلة بين الانوار والظلم وبين الظلم والشمس وبين الظلم والاظهار وبين صغرة وتكل الطرف فانه فى معنى كبيرة والبيت ماخوذ من قول النابغة

الم تر ان الله اعطاك سورة ۝ ترى كل ملك حولها يتذبذب

فانك شمس والملوك كواكب ۝ اذا ظهرت لم يبق منهن كوكب

اَكْرِمْ بِخَلْقِ نَبِىٍّ زَانَهُ خُلُقٌ ۝ بِالْحُسْنِ مُشْتَمِلٌ بِالْبِشْرِ مُتَّسِمِ

اكرم احد صيغتى التعجب المشهورتين والثانية ما اكرمه لفظه عند سيبويه لفظ الامر ومعناه الخبر لانه فى معنى الماضى من افعل بمعنى صار ذا فعل كالحم اى صار ذا لحم فالهمزة للصيرورة وهو مسند الى المجرور بعده على الفاعلية عند سيبويه والباء زايدة مثلها فى نحو وكفى بالله شهيدا لازمة وللزومها جرت بها الاسم مع كونه فاعلا وقد تحذف اذا كان التعجب فيه ان مع صلتها نحو احسن ان تقول اى بان تقول على ما هو القياس فلا ضمير عند سيبويه فى افعل لان الفاعل واحد ليس الا وضعف قول سيبويه بان الامر بمعنى الماضى مما لم يعهد بل جاء الماضى بمعنى الامر نحو اتقى امرؤ ربه وبان صار ذا كذا قليل ولو كان منه لجاز الحم بزيد واشحم بزيد وبان زيادة البا فى الفاعل قليلة والمطرد زيادتها فى المفعول وقال الفرا وتبعه الزمخشرى وابن خروف ان احسن امر لكل احد بان يجعل زيدا وانما جعله كذلك بان يصفه بالحسن فكانه قيل صفه بالحسن كيف شئت فان فيه منه كل ما يمكن ان يكون فى شخص كما قيل ۝ وقد وجدت مكان القول ذا سعة ۝ فان وجدت لسانا قايلا فقل ۝ وهذا معنى مناسب للتعجب بخلاف تقدير سيبويه وايضا همزة الجعل اكثر من همزة الصيرورة وان لم يكن شئ منها قياسا مطردا وانما لم يصرف على هذا القول افعل بان خوطب به مثنى او مجموع او مؤنث فلم يقل احسنا احسنوا احسنى لما ذكروه من ان فعل التعجب انما يتصرف لشبهه بالانشا للحروف ولان كل لفظ من صيغته صار علما لمعنى من المعانى وان كان جملة فالقياس ان لا يتصرف وسهل ذلك انمحا معنى الامر منه كما انمحى فى ما افعل معنى الجعل وصار معنى افعل به كمعنى ما افعله وهو محض انشاء التعجب ولم يبق فيه معنى الخطاب فهمزة افعل به على هذا الجعل كهمزة ما احسن والبا مزيدة فى المفعول وهو كثير كما هو فى حروف الجر واجاز الزجاج ان تكون الهمزة للصيرورة ثم ان الزجاج اعتذر فى ابقاء احسن فى الاحوال على صورة واحدة بكون الخطاب لمصدر الفعل اى يا حسن احسن بزيد وفيه تكلف وسماجة وايضا نحن نقول احسن بزيد يا عمرو والمخاطب شيان فى حالة الا ان نقول معنى خطاب الحسن قد انمحى وبقية الكلام على فعل التعجب فى محله اى اكرم **بخلق نبى** نحو عند الله والتنكير للتعظيم **زانه** فى موضع جر صفة نبى او خلق المضاف اليه **وبالحسن** متعلق **بمشتمل** المجرور صفة نبى او خلق ومثله **بالبشر متسم** على التقديم والتاخير لا بالرفع على الابتدا والخبر لما يلزم عليه من الاقوا المعاب فى الشعر مع عدم

ضرورة تلجى اليه والاشتمال بالحسن التزين به فى ساير الجسد يقال اشتمل بالثوب اذا اداره على جسده واتسامه بالبشر اتصافه ببشاشة الوجه والسرور فيه لا عبوسة ترى فيه يقال اتسم الرجل اذا جعل له سمة اى علامة يعرف بها والتا بدل من واو لانه من وسم يسم من باب وعد يعد واصل متسم موتسم قلبت الواو تاء وادغمت فى التا بعدها وهما من باب الاستعارة بالكناية كما لا يخفى والبيت من باب الوصف بالجملة قبل الوصف بالمفرد الجاير عندهم خلافا لابن عصفور وحج بقوله تعالى يحبهم ويحبونه اذلة قال الزركشى وانما ابرز صفة خلقه مبرز التعجب لانه لا يقدر على حقيقتها كيف وقد قال تعالى انك لعلى خلق عظيم ثم قال الزركشى وقد يقال ما وجه وصف الناظم الخلق بالكرم وانما الذى يوصف به الخلق لان الكرم ضد اللوم وهو من صفات السجايا والطباع لا الاعضا ويجاب بان تناسب الخلق عنوان الخلق وفى البيت الجناس المحرف والاستعارة ومراعات النظير والتقسيم

كَالزَّهْرِ فِى تَرَفٍ وَالْبَدْرِ فِى شَرَفٍ ۝ وَالْبَحْرِ فِى كَرَمٍ وَالدَّهْرِ فِى هِمَمِ

الزهر نور النبات من اى لون كان واحده زهرة بسكون الها وفتحها كالزهر وقال السهيلى الابيض خاصة ورد عليه وقال ابن قتيبه يقال للابيض نور وللاصفر زهر وحكى عن ابن الاعرابى والصحيح التعميم والجار والمجرور الاول خبر مبتدا محذوف اى ذلك الممدوح المتعجب منه كالزهر او صفة نبى والجار والمجرور الثانى وهو **فى ترف** فى موضع نصب على الحال وكذا حكم بقية البيت والترف هنا بمعنى النعومة فهو تشبيه مفرد بمفرد وطرفاه حسيان وهو اشارة الى وجه الشبه فى جسده عليه الصلاة والسلام ففى مسلم عن انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ازهر اللون كان عرقه اللؤلؤ اذا مشى تكفا وما مسست ديباجة ولا حريرة الين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم **والبدر** اى وكالبدر وهو القمر ليلة كماله وهى الرابعة عشر ويقال له ابن اسبوعين فهو هلال الى ثلاث ومنها قمر الى الرابعة عشر فبدر وهو انتهاء كماله سمى بدرا لمبادرته الشمس بالطلوع فى ليلة كانه يعجلها المغيب فهو مصدر فى معنى الفاعل وقيل سمى به لتمامه وامتلائه وهذا التشبيه راجع لمعناه صلى الله عليه وسلم لما فيه من العلو والهداية العامة ولهذا قال **فى شرف** لان الشرف العلو والمكان العالى وهو احد منازل القمر من تشبيه مفرد بمفرد وطرفاه مختلفان فان المشبه عقلى والمشبه به حسى ووجه الشبه ان نوره عليه السلام يظهر الاشياء المعنوية كنور البصاير ونور البدر يظهر الاشياء المحسوسة كنور البصر ولا ريب ان المحسوس اظهر من المعقول من حيث هو معقول فلذا شبه نوره صلى الله عليه وسلم لكونه معقولا بنور البدر لكونه محسوسا فلا ينافى ذلك ان البدر دونه بل لا تقارب بينهما ويمكن ان يكون هذا من التشبيه المقلوب وما سلكه هنا من التشبيه بالبدر دون الشمس هو ما عليه البلغا وذلك لان القمر علا بنوره الارض ويونس كل من يشاهده ويجمع النور من غير اذى ويتمكن الناس من مشاهدته بخلاف الشمس فانها تغشى البصر وتمنع من تمكن الرؤية وايضا فالبدر يكون ليلا وقت الظلمة فيزيلها ووقت الخلوة واجتماع الفكر دون الشمس ويدل على ما قلناه ما فى حديث ابن ابى هالة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتلالو

نورا تلألؤ القمر ليلة البدر واما تشبيه الناظم له بالشمس فى قوله كالشمس تظهر للعينين من بعد فقد قدمنا وجه الشبه هناك فهى اظهر من البدر فيما ذكرناه واما تشبيهه له فى الهمزية بالشمس فى قوله

۝ ومحيا كالشمس منك مضى ۝ اسفرت عنه ليلة غراء ۝

فالمقصود منه الاشراق والاستدارة لا مطلق التشبيه وكانه اشارة الى ما رواه مسلم من حديث جابر ابن سمرة وقال له رجل كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا وانما قال مستديرا للتنبيه على انه جمع الصفتين لان قوله مثل السيف يحتمل ان يريد به الطول ويحتمل ان يريد به اللمعان فرد المسئول ردا بليغا ولما جرى التعارف ان التشبيه بالشمس انما يراد به غالبا الاشراق وبالقمر انما يراد به الملاحة دون غيرها فقوله وكان مستديرا اشارة الى انه اراد به التشبيه بالصفتين معا الحسن والاستدارة قالوا ولم يكن وجهه صلى الله عليه وسلم فى غاية التدوير بل هو الى التدوير اقرب لما ورد انه صلى الله عليه وسلم كان اسيل الخدين قال ابن الاثير الاسالة فى الخد الاستطالة وان لا يكون مرتفع الوجنة قال شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر ولعل هذا هو الحامل لمن سأل اكان وجهه مثل السيف وفى البخارى سئل البراء اكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف قال لا بل مثل القمر اى فى التدوير ويحتمل ان يكون اراد مثل السيف فى اللمعان والصقال قال بل فوق ذلك وعدل الى القمر لجمعه الصفتين من التدوير واللمعان وقال الحافظ النسابة ابو الخطاب ابن دحية فى كتابه التنوير فى مولد البشير النذير صلى الله عليه وسلم عند ايراد حديث البراء المذكور ما لفظه فى هذا الحديث من العلم ان التشبيه ممن لا يحسنه لا يصلح الاقرار عليه لان السايل شبه وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف ولو شبهه بالشمس لكان اولى فرد عليه البراء قوله وقال بل مثل القمر فابدع فى تشبيهه لان القمر يملأ الارض بنوره ويونس كل من شاهده ونوره من غير حر يفزع ولا كليل يزعج والناظر الى القمر متمكن من النظر بخلاف الشمس التى تغشى البصر وتجلب للناظر الضرر انتهى وعن ابى هريرة ما رأيت شيئا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الشمس تجرى فى وجهه رواه الترمذى والبيهقى واحمد وابن حبان قال الطيبى شبه جريان الشمس فى فلكها بجريان الحسن فى وجهه صلى الله عليه وسلم قال ويحتمل ان يكون من تناهى التشبيه جعل وجهه مقرا ومكانا للشمس ولله القائل

۝ لم لا يضيئ بك الوجود وليله ۝ فيه صباح من جمالك مسفر ۝

۝ فبشمس حسنك كل يوم مشرق ۝ وببدر وجهك كل ليل مقمر ۝

والتشبيه بالبدر ابلغ فى العرف من التشبيه بالقمر لانه وقت كماله كما كان الفاروق رضى الله عنه يقول حين يراه كلما يراه

۝ لو كنت من شيئ سوى بشر ۝ كنت المنور ليلة البدر ۝

والتشبيه بالبدر اكمل من التشبيه بالقمر كما عليه الادباء لكمال التشبيه بكمال البدر وقد صادف هذا التشبيه تحقيقا من اسمائه صلى الله عليه وسلم البدر ولهذا انشدوا لما قدم المدينة صلى الله عليه وسلم

۝ اقبل البدر علينا ۝ من ثنيات الوداع ۝

۝ وجب الشكر علينا ۝ ما دعا لله داعى ۝

والبحر ضد البر قيل سمى به لعمقه واتساعه والجمع ابحر وبحار وبحور وقال ابن الانبارى مشتق من تبحرت الناقة اذا شققت اذنها فكانه لما شق الارض سمى بحرا وقد تقدم ان المادة تدل على الاتساع بساير تراكيبها وهو من تشبيه مفرد بمفرد راجع لمعناه عليه السلام لما فيه من الاتساع لكل قاصد والارواء لكل وارد واحياء النفوس واشار الى وجه الشبه بقوله فى كرم اى عطاء بلا عوض عطاء كبيرا كثيرا وكان عليه الصلوة والسلام اجود الناس بالخير ينقص البحر عند كرمه وقد تقدم طرف من كرمه وجوده عليه السلام ثم اشار الى التشبيه الرابع فقال والدهر وهو راجع لمعناه عليه السلام ايضا لما فيه من القهر والباس والشدة والدهر الزمان وجمعه دهور والدُهرى بالضم المسن وبالفتح الملحد قال ثعلب كلاهما منسوب الى الدهر وهم غيروا فى النسب كما قالوا سهلى فى المنسوب الى الارض السهلة وحكى عن ابى زيد وابى عبيدة ويونس ان الدهر والزمان والحين يقع على محدود وغير محدود وعلى عمر الدنيا من اوله الى آخره وقال الخليل الدهر الابد كما قاله فى شرح الحماسة وغيره ثم اشار الى وجه الشبه بقوله فى همم جمع همة وهى ما يهم الشخص فعله يقال فلان بعيد الهمة بكسر الهاء وفتحها والهمام الملك العظيم الهمة وهذا التشبيه مأخوذ من قول حسان فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم كما نقله غير واحد وان لم يوجد فى مجموع شعره بل هو فى الواقع محصور عليه عليه السلام له همم لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى اجل من الدهر ومن همه عليه الصلوة والسلام اجتهاده وجهاده فى مشركى العرب حتى اسلموا طوعا وقهرا ودخلوا فى دينه اختيارا واسرا الى ان صفت عقايدهم بحسن اخلاقه ولطف سجاياه صلى الله عليه وسلم قال على رضى الله عنه كنا اذا احمى الباس ولقى القوم القوم بعتنا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون احد اقرب الى العدو منه يريد باحماء الباس اشتداد الحرب ومن ذلك ركضه بغلته لما ولى المسلمون فى حنين قبل الكفار الى ان انهزموا بحصيات رماهم بها رواه مسلم وهذا البيت فى التشابيه الاربعة قد جمع امهات الاخلاق وطيب الاعراق وقد جرت هذه التشابيه على عادة الشعراء من العرب وغيرهم والا فقد تقدم ان صفاته اعلا وقدره اغلا على ان الشعراء فرقوا فى هذه التشابيه بين التشبيه والمشبه به بوجوه عديدة ولا شك انه هنا من التشبيه القريب المبتذل وفى البيت التشبيه والتشطير والمزاوجه ومراعات النظير

كانه وهو فرد من جلالته ۝ فى عسكر حين تلقاه وفى حشم

كان من اخوات ان للتشبيه المؤكد والهاء اسمها وفى عسكر خبرها وجملة وهو فرد فى محل الحال من مفعول تلقاه والفرد الوتر والجمع افراد وفرادى بالضم على غير قياس كانه جمع فردان وفسره الراغب بالذى لا يختلط به غيره قال وهو اعم من الوتر واخفى من الواحد ومن فى قوله من جلالته للتعليل علة للتشبيه المستفاد من كان وهو فى المعنى وجه الشبه والجلالة العظمة والقصد تشبيهه مفردا بنفسه مصحوبا بعسكر وذلك فى المشبه به اعدا وليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم فى واحد والعسكر الجيش

وعسكر الرجل فهو معسكر بكسر الكاف اى هيأ العسكر وموضع العسكر معسكر بفتح الكاف وحشم
الرجل خدمه ومن يغضب له سموا بذلك لانهم يغضبون له والخطاب في حين تلقاه لكل من يصلح منه
اللقى والبيت كالتقرير للتشبيه الآخر في البيت السابق وهو اخبار عن شجاعته عليه الصلوة والسلام
وقد قدمنا بعضا من ذلك في البيت السابق وعن انس انه قال كان صلى الله عليه وسلم احسن الناس
واجود الناس واشجع الناس لقد فزع اهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى الصوت واستبر الخبر على فرس لابي طلحة عري والسيف
في عنقه وهو يقول لن تراعوا وورد من طرق عديدة اخرجه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي ففي
الحديث بيان شجاعته صلى الله عليه وسلم من شدة عجلته في الخروج الى العدو قبل الناس كلهم بحيث
كشف الحال ورجع قبل وصول الناس وقال ابن عمر ما رايت اشجع ولا انجب من رسول الله صلى الله
عليه وسلم وذكر ابن اسحاق وغيره انه كان بمكة رجل شديد القوة يحسن الصراع وكان الناس ياتونه
من البلاد للمصارعة فيصرعهم فبينما هو ذات يوم في شعب من شعاب مكة اذ لقيه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال له يا ركانة الا تتقي الله وتقبل ما ادعوك اليه او كما قال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال له ركانة يا محمد هل من شاهد يدل على صدقك قال ارأيت ان صرعتك اتؤمن بالله
وبرسوله قال نعم يا محمد فقال له تهيأ للمصارعة قلت تهيأت فدنا منه رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاخذه ثم صرعه قال فتعجب ركانة من ذلك ثم ساله الاقالة والعودة ففعل به ذلك ثانيا وثالثا
فوقف ركانة متعجبا وقال ان شانك لعجيب واورده الحاكم في مستدركه عن ابن ركانة المصارع
ورواه ابو داود والترمذي وكذا البيهقي من رواية سعيد بن جبير وقد صارع صلى الله عليه وسلم
غير ركانة منهم ابو الاسد الجمحي كما قاله السهيلي ورواه البيهقي وفي حديث البرا بن عازب وساله رجل
من قريش افررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا عمارة يوم حنين قال لا والله ما ولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولكن ولى سرعان الناس وتلقتهم هوازن بالنبل ورسول الله صلى الله عليه وسلم
على بغلته وابو سفيان بن الحارث اخذ بلجامها ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انا النبي لا كذب
انا ابن عبد المطلب • وفي هذا غاية ما يكون من الشجاعة التامة لانه في مثل هذا اليوم في حومة الوغا
وقد انكشف عنه جيشه وهو مع هذا على بغلة ليست بسريعة الجري لا تصلح لكر ولا فر ولا هرب
وهو مع ذلك يركضها الى وجوههم وينوه باسمه ليعرفه من ليس يعرفه صلى الله عليه وسلم وفي قول
البرا اى لم نفر باجمعنا بل فر بعضنا وبقي بعضنا ثم اكد بقاء البعض بقوله والله ما ولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويلزم من بقائه بقاء طايفة معه لما جبلوا عليه من ايثار نفسه الكريمة على نفوسهم وهذا
من بديع ادب البرا رضي الله عنه وبلاغته اذ نفى فرارهم وان وقع ذلك التوهم في تعبير السائل بقوله عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وزاده في التادب فنفى التولي دون الفرار نزاهة لمقامه الرفيع عن
ان يستعمل فيه لفظ الفرار في النفي فضلا عن الاثبات لانه اشنع من لفظ التولي اذ هو يكون لتحيز

او

او تحرف بخلاف الفرار فانه لا يكون الا للخوف او الجبن غالبا والا ففرار الصحابة رضي الله عنهم هنا لم يتمحض
لذلك قطعا ومن هنالك قال الطبري الانهزام المنهي عنه هو ما وقع على غير نية العود واما الاستطراد
للكرة فهو كالتحيز الى فئة ويحتمل ان البرا اشار الى قيام الحجة الواضحة والبينة الظاهرة على عدم فرار اكابر
الصحابة بان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لم يقع منه تولي فهم كذلك لمثابرتهم على بذلهم نفوسهم دونه
وعلمهم بان الله تعالى لا يخذله وانه يعصمه من الناس هذا وقد قالت الصحابة كلهم ما انهزم ولم يقل احد قط انه انهزم
في موطن من المواطن ومن ثم اجمع المسلمون على انه لا يجوز عليه الانهزام فمن زعم انه انهزم في مواطن الحرب
ادب ادبا عظيما لانه تعظيم جريمته الا ان يقول على جهة التنقيص فانه يكفر ويقتل ما لم يتب على الاصح عندنا
ومطلقا عند مالك وجماعة من اصحابنا وبالغ بعضهم فنقل عليه الاجماع بل لو اطلق ذلك قتل عندهم على
ما اشار اليه بعض محققيهم وفي البيت التشبيه والمقابلة بين الفرد والعسكر ومراعاة النظير بين العسكر والحشم وحسن
التعليل

كَأَنَّمَا اللُّؤْلُؤُ المَكْنُونُ فِي صَدَفٍ   مِنْ مَعْدِنَيْ مَنْطِقٍ مِنْهُ وَمُبْتَسَمِ

ما في كأنما اما زايدة فاللؤلؤ منصوب على انه اسم كان او كافة فمرفوع على الابتدا واللؤلؤ من الابنية الغريبة
وهو صغار الجوهر والدر كباره كما نص عليه التيفاشي وقيل اللؤلؤ اسم لما ثقب منه خاصة لكنه لا يناسبه
كلام الناظم والمكنون بالنصب او الرفع على الوجهين السابقين صفة اللؤلؤ للمصون من اكننته اذا
سترته ومنه الكن والاكنان وفي صدف في موضع الحال اى حال كونه موقى في الصدف من الافات من معدني
كلامه صلى الله عليه وسلم واللؤلؤ المكنون في صدف احسن منه في غيره لكونه معدنه مصانا من الغبار والحر والبرد لا
تناله الايدي كما قيل في قوله تعالى كانهم لؤلؤ مكنون وصدف الدر غشاؤها الواحدة صدفة قال التيفاشي
في كتابه جواهر الاحجار حيوان الجوهر الذي يتكون فيه كبيره وصغيره يسمى باليونانية اسطوروس يعلو
لحم ذلك الحيوان صدفتان ملتزقتان بجسمه والذي يلي الصدفتين من لحمه اسود ولهذا الحيوان فم و
اذنان وشحم يلي الفم من داخلها الى عامة الصدفتين والباقي رغوة وزبد وذكر ارسطوطاليس في كتابه
في الحيوان غير الناطق ان السرطان يشتهي اكل لحم هذه الدابة فلما حال دونه ودون شهوته شيء بمنزلة السور
الحاجز بينه وبين ذلك اللحم الرخص الذي في الصدف احتال عليه فلم يزل السرطان راصدا له حتى يراه قد فتح
جلد الصدفي فياخذ حجرا صغيرا فيرمي به في جوف الصدفة فلا تنطبق عند ذلك على انضمامها كما كانت
فيدخل السرطان قرنيه الى ذلك اللحم الرخص فيستخرجه وياكله لالتذاذه باكله ويذكر من اكله من الغواصين
انه شبيه الطعم بطعم قوانص الطير وذكر ارسطوطاليس في كتابه في الاحجار ان البحر المحيط بالعالم الذي
هو في ظلمات مقيمة يلحق آخره اول البحر المسلوك وان الرياح تصفق هذا البحر المحيط المسمى اوقيانوس
في اوقات فصل الشتا فيهيج هيجانا شديدا فيطلبه الصدف الذي يكون فيه الدر في وقت ريح الشمال
فاذا هاجت الرياح والامواج من ذلك البحر المحيط كان لامواجه رشاش فيلتقمه الصدف الكاين في البحر
الذي تسلكه الناس كما يلتقم الرحم النطفة من مني الذكر فتصير تلك النطفة من ذلك الماء في اللحم المركب في الصدف
فلا يزال الصدف يعمد الى الموضع الساكن من ماء البحر فيفتح فمه ويستقبل بذلك الماء الذي مثل النطفة رياح

الهوا وحر الشمس عند طلوعها وغروبها ولايعرض لها فى وسط النهار لشدة حر الشمس وهيجان البخارات
التى تهيج من العالم والغبار التى تهيجه الرياح فاذا انعقدت الدرة وصلبت وصارت جسدا مستويا
حبط الصدف الى قعر البحر فانغرس هناك فى ارض البحر ويضرب بعروق فتتشعب منه مثل الشجر ويصير
نباتيا بعد ان كان حيوانيا ذا نفس وروح وفعل متحرك فيقطع مثل الثمرة النضيجة اذا قطعت
من الشجرة وذكر ارسطاليس ان الدرة ان تركت حتى يطول بها المكث تغيرت وضمرت وفسدت كالثمرة
اذا بقيت فى الشجرة لم تقطف فى وقتها ذهبت نضارتها وطيب طعمها ثم ذكر كيفية استخراجه والغوص
عليه وذكر المسعودى انه اذا كان شهر نيسان نزل على البحر الذى فيه صدف الدر مطر غزير فيصعد
ذلك الصدف ويفتح فاه لقطر المطر فاذا التقمه غاص به على الوجه المذكور قيل واما معدن الدر
بتكونه فيه فيوجد فى مواضع كثيرة الا ان الجيد منه الفاخر النفيس بسرنديب ثم كيش وعمان والبحرين
وجزيرة حرك بين كيش والبحرين من ارض فارس وجوهرها الفخر الفخر اصناف الجواهر ومايوجد منه
بغير هذه المواضع فلا اعتبار به وكذلك مايوجد منه ببحر القلزم والحجاز واليمن فردى ولو كانت
الدرة منه فى نهاية الكبر فانها لايكون لها طايل ثمن والخبر قوله **من معدنى منطق منه ومبتسم** تثنية
معدن بكسر الدال من عدنت البلد توطنته وعدنت الابل بمكان كذا لزمته فلم تبرح به ومنه جنات عدن
ومركز كل شئ معدنه والمنطق الكلام من نطق ينطق بالكسر نطقا والمنطق البليغ واصل استعمال النطق
حقيقة فى الانسان ويستعمل فى غيره مجازا ومنه علمنا منطق الطير وقولهم ماله صامت ولا ناطق
فالناطق الحيوان والصامت ماعداه قال القاضى البيضاوى والنطق والمنطق كل لفظ يعبر به
عما فى الضمير مفردا كان او مركبا وقد يطلق لكل مايصوت له على التشبيه او التبع كقولهم نطقت الحمامة
ومنه الناطق والصامت للحيوان والجماد فان الاصوات الحيوانية من حيث انها تابعة للتخيلات
منزلة منزلة العبارات سيما وفيها مايتفاوت باختلاف الاغراض بحيث يفهمها مامن جنسه ولعل
سليمان عليه السلام مهما سمع صوت حيوان علم بقوته القدسية التخيل الذى صوته والغرض
الذى توخاه به الخ وحاصله ان الناظم شبه اللؤلؤ المكنون فى الصدف من معدنى منطق منه اى
محل نطق اى كلام ومبتسم اى محل ابتسام منه وهو الثغر وهو ماتقدم من الاسنان والاضافة
للبيان اى من كلامه وثغره لحسنها وهذه التشبيه عكس ماجرت به العادة من تشبيه الكلام والثغر
المليحين باللؤلؤ للمبالغة فى المدح كما هو مقرر فى قاعدة التشبيه وكان ضحكه عليه السلام التبسم
قال اهل اللغة التبسم مبادى الضحك والضحك انبساط الوجه حتى يظهر الاسنان من السرور
فان كان بصوت وكان بحيث يسمع من بعيد فهو القهقهة والا فالضحك وان كان بلا صوت
فهو التبسم وفى حديث الترمذى فى الشمايل جل ضحكه التبسم يفتر عن مثل حب الغمام وحب الغمام هو
البرد الذى على هيئة اللؤلؤ شبه اسنانه صلى الله عليه وسلم فى بياضه وصفائه به وقيل حب الغمام
اللؤلؤ نفسه لانه يحصل من الغمامة كالبرد ورد بانه مخالف للغة وفى حديث ام معبد فى وصفه صلى الله

عليه

عليه وسلم حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كان منطقه خرزات نظمن والبيت كانه دفع لما يتوهم فى البيت
قبله من المهابة والشجاعة منه عليه السلام من تحامى الناس عن مجلسه والخوف والمهابة من سؤاله
فهو يكون فى كل شئ بحسبه فعلى الاعدا بالهيبة والوقار ومع الاصدقا باللطف والاستبشار
كما قال تعالى فى وصف امته المؤمنين اشداء على الكفار رحماء بينهم وفى البيت حسن التشبيه ومراعاة النظير
والاستعارة **لَاطِيبَ يَعْدِلُ تُرْبًا ضَمَّ اَعْظُمَهُ طُوبَى لِمُنْتَشِقٍ مِنْهُ وَمُلْتَثِمِ**
لا نافية للجنس **طيب** منصوب بها والطيب مايتطيب به **ويعدل** اى يساوى من عدلت بين الشيئين
اذا سويت بينهما وبابه ضرب **وتربا** بضم اوله واسكان ثانيه احد لغات التراب ويقال فيه ايضا توراب وتورب
وتيرب وترب وتربا وجمع التراب اتربة وتربات والترب الارض نفسها وتنوينه للتعظيم والجملة فى موضع نصب
على الحال اى عادلا والخبر محذوف اى فى الوجود ويجوز ان يكون الخبر وجملة **ضم اعظم** فى موضع نصب صفة
تربا وضم من باب رد الشئ الى الشئ بلطف ورفق واسناد الضم الى التراب للاشارة الى ان التراب من شدة
شوقه يضم تلك الاعضا ضم المشتاق الى المشوق وضم الام الحنونة لولدها قصد الشرف والشوق والاعظم
جمع عظم والمراد ساير جسده من باب ذكر البعض وارادة الكل اى من رايحتها الطيبة التى لا غاية لها حتى
اثرت فى الترب المضمومة عليها قال انس ماشممت عنبرا ولامسكا ولا شيئا اطيب من ريح رسول الله صلى الله
عليه وسلم متفق عليه وعن جابر لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم يمر فى طريق فيتبعه احد الا عرف انه سلكه من
طيبه **وذكروا** ان تلك رايحته صلى الله عليه وسلم وان لم يمس طيبا وفى رواية البخارى ولا شممت مسكة ولا
عنبرة اطيب من رايحة النبى صلى الله عليه وسلم وفى رواية الترمذى ولا شممت مسكا قط ولا عطرا كان
اطيب من عرق النبى صلى الله عليه وسلم وقوله شممت بكسر الميم الاولى وسكون الثانية وعن ام عاصم امرأة
عتبة ابن ورقة السلمى قالت كنا عند عتبة اربع نسوة فما منا امرأة الا وهى تجتهد فى الطيب لتكون اطيب
من صاحبتها وما يمس عتبة الطيب الا ان يمس دهنا يمس لحيته وهو اطيب ريحا منا وكان اذا خرج الى
الناس قالوا ماشممنا ريحا اطيب من ريح عتبة فقلت له يوما انا لنجتهد فى التطيب ولانت اطيب
ريحا منا فمم ذلك فقال اخذنى الشرى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيته فشكوت ذلك اليه
فامرنى ان اتجرد فتجردت وقعدت بين يديه والقيت ثوبى على فرجى فنفث فى يده ثم مسح ظهرى وبطنى
بيده فعبق لى هذا الطيب من يومئذ رواه الطبرانى فى معجمه الصغير وروى ابو يعلى والطبرانى فى قصة الذى
استعان بالنبى صلى الله عليه وسلم على تجهيز ابنته فلم يكن عنده شئ فاستدعى بقارورة فسلت له فيها
عرقه وقال مرها فلتطيب به فكانت اذا تطيبت به شم اهل المدينة ذلك الطيب فسموا بيت المطيبين وعن
عايشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها وانورهم لونا لم يصفه
واصف قط الا شبه وجهه بالقمر ليلة البدر وكان عرقه فى وجهه مثل اللؤلؤ اطيب من المسك الاذفر رواه ابو نعيم
وعن انس قال دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عندنا فعرق وجاءت امى بقارورة وجعلت
تسلت العرق فيها فاستيقظ صلى الله عليه وسلم فقال ياام سلم ماهذا الذى تصنعين فقالت هذا عرقك

بجعله لطيبنا وهو اطيب الطيب رواه مسلم واما ما روى ان الورد خلق من عرقه صلى الله عليه وسلم او
من عرق البراق فقال الحافظ ابن حجر انه موضوع وعن جابر بن سمرة انه صلى الله عليه وسلم مسح خده
قال فوجدت ليده بردا وريحا كانما اخرجها من جونة عطار قال غيره مسها الطيب اولم يمسها يصافح
المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويوضع يده على رأس الصبى فيعرف من بين الصبيان بريحها والبيت
ماخوذ من قول فاطمة رضى الله عنها ترثى اباها اشرف الخلايق على الاطلاق سيدنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وذلك حين دفن صلى الله عليه وسلم جات فاطمة رضى الله عنها فقالت كيف
طابت انفسكم ان تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب واخذت من تراب القبر الشريف
فوضعته على عينها وانشات تقول

ماذا على من شم تربة احمد ... ان لا يشم مدا الزمان غواليا
صبت على مصايب لو انها ... صبت على الايام عدن لياليا

طوبى لمنتشق منه وملتثم طوبى فعلى من الطيب قلبوا اليا واوا للضمة قبلها ويقال طوبى لك
وطوباك بالاضافة قال يعقوب ولا تقل طوبيك باليا وانكر الانبارى الاضافة وعدها من لحن
العوام وقيل طوبى اسم الجنة وقيل لشجرة فيها اصلها ثابت فى دار النبى صلى الله عليه وسلم وفى دار
كل واحد من امته غصن فالالف فيها للتانيث كاليسرى والعسرى فهى غير منصرفة وليست
تأنيث الاطيب والا للزمتها اللام لان فعلى اذا كانت تانيث الافعل لا تستعمل الا بالالف واللام
او بالاضافة ولذلك انكروا على العروضيين قولهم صغرى وكبرى وما استشهد به من قوله كان
صغرى وكبرى من فواقعها لا شاهد فيه كما هو مذكور فى محله وهى مرتفعة على الابتدا والمجرور بعدها
الخبر اما على القول بالعلمية فظاهر واما على من يقول بتنكيرها فلتضمنها التعجب او الدعا للمنتشق
والملتثم من قبره عليه السلام وعلى القول بالاخذ من الطيب فهو اخبار عن حصول الطيب لهما
وهذا مبنى على ان المراد ان تربته افضل انواع الطيب باعتبار الحقيقة الحسية وذلك اما لانه كذلك
فى نفس الامر ادركه من ادركه ام لا واما باعتبار اعتقاد المؤمن فى ذلك فان المؤمن لا يعدل بشم رايحة
تربته عليه السلام شيا من الطيب فان قيل لو كان المراد الحقيقة الحسية لادرك ذلك كل احد
اجيب بانه لا يلزم من قيام المعنى بمحل ادراكه لكل احد بل حتى توجد الشروط وتنتفى الموانع
وعدم الادراك لا يدل على عدم المدرك وانتفاء الدليل لا يدل على انتفاء المدلول فان المزكوم
لا يدرك رايحة المسك مع ان الرايحة قايمة بالمسك لم تنتف او ان احوال القبر من الامور الاخروية
لا جرم لا يدركها من الاحيا الا من كشف له الغطا من الاولياء المقربين لان متاع الاخرة باق ومتاع الدنيا
فان لكن فيها والفانى لا يتمتع بالباقى ولا ريب عند من له ادنى تعلق بشريعة الاسلام ان قبره الشريف
روضة من رياض الجنة بل افضلها واذا كان القبر كما ذكرناه وقد حوى جسمه الشريف عليه السلام
الذى هو اطيب الطيب فلا مرية انه لا طيب يعدل تراب قبره المقدس صلى الله عليه وسلم بل اقول

بطيب

بطيب نشره طابت طيبة الشريفة وعرفت بعرفه تلك البقاع المنيفة وقد جاء فى الحديث المدينة
ينصع طيبها وجاء ايضا ان المؤمن يقبر فى التربة التى خلق منها فكانت تربة المدينة بهذا افضل
الترب كما انه عليه الصلوة والسلام افضل البشر فلهذا والله اعلم يتضاعف ريح الطيب منها
على ساير البلدان وحكى القاضى ابو الطيب وغيره عن العتبى قال كنت جالسا قبر النبى صلى الله عليه
وسلم عنده فجاء اعرابى فقال السلام عليك يا رسول الله سمعت الله تعالى يقول ولو انهم اذ ظلموا انفسهم
جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقد جيتك مستغفرا من
ذنبى مستشفعا بك الى ربى ثم قال

يا خير من دفنت فى القاع اعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والاكم
نفسى الفداء لقبر انت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم

قال ثم انصرف الاعرابى فحملتنى عيناى فرايت النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا عتبى الحق الاعرابى فبشره
ان الله قد غفر له قال العلامة زين الدين ابن الحسين المراغى وينبغى لكل مسلم اعتقاد كون زيارته صلى الله
قربة للاحاديث الواردة فى ذلك ولقوله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر
لهم الرسول الايه لان تعظيمه صلى الله عليه وسلم لا ينقطع بموته فلا يقال ان استغفار الرسول لهم
انما هو فى حال حياته وليست الزيارة كذلك لما اجاب به بعض الايمة المحققين ان الايه دلت على
تعليق وجدان الله توابا رحيما بثلاثة اوجه المجى واستغفارهم واستغفار الرسول لهم وقد حصل
استغفار الرسول لجميع المؤمنين لانه صلى الله عليه وسلم قد استغفر للجميع قال الله تعالى واستغفر لذنبك
وللمؤمنين والمؤمنات فاذا وجد مجيهم واستغفارهم كملت الامور الثلاثة الموجبة لتوبة الله تعالى
ورحمته ووقف اعرابى على قبره الشريف وقال اللهم انك امرت بعتق العبيد وهذا حبيبك وانا عبدك
فاعتقنى من النار على قبر حبيبك فهتف به هاتف يا هذا تسال العتق لك وحدك هلا سالت لجميع
الخلق اذهب فقد اعتقناك من النار لبعضهم

ان الملوك اذا شابت عبيدهم ... فى رقهم عتقوهم عتق احرار
وانت يا سيدى اولى بذا كرما ... قد شبت فى الرق فاعتقنى من النار

وعن الحسن البصرى قال وقف حاتم الاصم على قبره صلى الله عليه وسلم فقال يا رب انا زرنا قبر نبيك فلا
تردنا خايبين فنودى يا هذا ما اذنا لك فى زيارة قبر حبيبنا الا وقد قبلناك فارجع انت ومن معك
من الزوار مغفورا لك وكل هذا ببركته صلى الله عليه وسلم ثم لما كان استعمال الطيب على نوعين اما
بالشم واما بالتضمخ اشار الى الاول بقوله طوبى لمنتشق اسم فاعل من انتشق بمعنى شم ومجرده نشق
بالكسر واما بالتضمخ واليه الاشارة بقوله وملتثم من الالتثام وهو كناية عن التضمخ والتعفير وشدة
التواضع والتبرك بتلك التربة الشريفة ومن ذلك تعفير جبهته وانفه بتربته حال السجود فى مسجده
عليه السلام وليس المراد حقيقة التقبيل لقبره الشريف فانه مكروه لان الوارد فى ادب الزيارة اذا اراد زيارة

القبر المقدس ان يقف قبالة وجهه الشريف مستدبر القبلة مستقبل جدار الحجرة الشريفة على محاذات المنبر
على نحو اربعة اذرع من السارية التى عند رأس القبر المقدس الملتصق بالجدار الغربى قريبا من زاوية القبلة
وفى اصل هذه السارية الصندوق المتصل بالجدار ويجعل القنديل الكبير على رأسه ثم ينظر الى اساس مايستقبله
من الجدار غاض الطرف فى مقام الهيبة والتعظيم والاجلال عالما بعلمه صلى الله عليه وسلم بحضوره وقيامه
وسلامه ويمثل صورته الكريمة فى خياله موضعا فى لحده بازائه ويحضر فى قلبه جلالة رتبته وعلو منزلته
وعظيم حضرته ويقول بحضور قلب وغض صوت وسكون جوارح السلام عليك يا رسول الله
ورحمة الله وبركاته ويقتصر على هذا عند بعض العلماء المحققين لانه اكثر ادبا وقال قوم يزيد على
ذلك السلام عليك يا نبى الله السلام عليك يا حبيب الله السلام عليك يا خيرة الله السلام
عليك يا صفوة الله السلام عليك يا سيد المرسلين السلام عليك يا خاتم النبيين السلام عليك
يا رسول رب العالمين السلام عليك وعلى اهل بيتك الطيبين الطاهرين السلام عليك وعلى اصحابك
اجمعين السلام عليك وعلى ساير الانبياء والمرسلين وساير عباد الله الصالحين ويكره ان يتمسح
بالقبر الشريف او يلصق بطنه ويجتنب ما ابتدعه جهلة العوام من التقرب باكل التمر الصيحانى فى الروضة
وعند المنبر لما فى ذلك من المفاسد لجمع الذباب وتقيم المسجد بالنوى وغيره وابتذاله بذلك و
كذلك قطع الستور ورميها فى القنديل الكبير والطواف بالحجرة كل ذلك من البدع التى ينبغى التحرز
عنها واما بقية اداب الزيارة وفضيلتها وادلتها ومايتعلق بذلك فقد تكلم عليه اهل
المناسك والافاضل ممن صنف فى الفضايل فليراجع **خاتمة** انعقد الاجماع على ان افضل البقاع
موضع ضم اعضاء النبى صلى الله عليه وسلم **قال** القاضى عياض فى شرح مسلم افضل الاماكن موضع
قبر فيه النبى صلى الله عليه وسلم وفى الاتحاف لابن عساكر انه افضل من موضع الكعبة بل نقل التاج
السبكى كما ذكره السيد السمهودى فى فضا المدينة عن ابن عقيل الحنبلى انها افضل من العرش وصرح
الفاكهانى بتفضيلها على السموات ولفظه واقول انا وافضل من بقاع السموات ايضا قال ولم ار
من تعرض لذلك والذى اعتقده لو ان ذلك عرض على علماء الامة لم يختلفوا فيه وقد جاء ان السموات
تشرفت بمواطى قدميه بل لو قال قايل ان جميع بقاع الارض افضل من جميع بقاع السما لشرفها لكونه
صلى الله عليه وسلم حالا فيها لم يبعد بل هو عند الظاهر المتقين انتهى وحكاه بعضهم عن الاكثرين لخلق
الانبيا منها ودفنهم فيها قال الشيخ تقى الدين السبكى بعد كلام كثير تعقب به ابن عبد السلام ومن فهم
هذا الشرح صدره لما قاله القاضى من تفضيل ما ضم اعضاءه الشريفة صلى الله عليه وسلم باعتبارين احدهما
ما قيل ان كل احد يدفن فى الموضع الذى خلق منه والثانى تنزل الرحمة والبركات عليه واقبال الله تعالى
ولانسلم ان الفضل للمكان لذاته ولكن لاجل من حل فيه صلى الله عليه وسلم انتهى وقد روى ابو يعلى عن
ابى بكر انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لايقبض النبى الا فى احب الامكنة اليه ولاشك
ان احبها اليه احبها الى ربه تعالى وفى البيت مراعات النظير بين الطيب والاشتقاق والالتئام وجناس

الاشتقاق بين طوبى وطيب والاستعارة فى ضم اعظم

ابان مولده عن طيب عنصره　　يا طيب مبتداء منه ومختتم

ابان اى اوضح **مولده** بكسر اللام زمن الولادة وبفتحها مكانها وكل منها مستقيم من وجه اما زمن الولادة
فلان الزمن يسفر عن طيب العنصر باعتبار ما حصل فيه من الخير والبركة وظهر منه من الانوار والفضايل
واما المكان فان حمل على الحقيقة فهو مكة المشرفة على ساير البلاد فيكون مناسبا لشرفه عليه السلام
وان حمل على المجاز وهو ان يكون المراد بمكان ولادة بنى هاشم مجازا فهو اوضح واظهر ويجوز
ان يكون المولد مصدرا ميميا اى اوضحت الولادة بما اقترن بها من الفضايل والفواضل **عن طيب
عنصره** اى خلوص اصوله عن كل ما لا ينبغى او يشين فى النسب اذ هو المختار من الخيار والمصطفى
من النخبة الابرار لحديث مسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى
من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم والعنصر بضم العين وفتحها الاصل وهو اسم جامع
للاصول الاربعة المركب منها الانسان وغيره وهى الماء والتراب والنار والهوا والاولان كثيفان
والاخريان لطيفان والدليل على ان الاصل فى المركبات ينحصر فى هذه الاربع من وجوه منها انك
اذا وضعت المركب من العناصر فى النار للتحليل يظهر منه البخار الذى هو الهوا والرطوبة وهى الماء
والكثافة وهى الارض وعلم بالبداهة انه لابد ان يكون منه جزء نارى لان النضج لايكون الا من الحرارة لكن
زاد ابو البركات البغدادى جزءا خامسا وهو الدسومة نقول كما نظهر هذه الامور بعد التحليل تحصل
الدسومة ايضا فيكون جزءا اخر وقيل دليل الانحصار فى الاربعة انه اما ان يكون حارا او باردا وعلى
التقديرين اما ان يكون يابسا او رطبا والحار اليابس النار والحار الرطب الهوا والبارد اليابس
الارض والبارد الرطب الماء وقيل فى وجوه الانحصار ان العنصر اما ان يتحرك عن المركز والى المركز
والاول اما ان يطلب مقعر فلك القمر اولا والاول هو النار والثانى هو الهوا والثانى اى الذى
يتحرك الى المركز اما ان يطلب المركز اولا والاول هو الارض والثانى هو الماء واما الدليل على ان
المركبات مخلوقة من امتزاج هذه الاربعة وان هذه الاربعة كل منها اصل برأسه او بعضها اصل للباقى
فهو مذكور فى محله ولسنا بصدده وعن طيب عنصره متعلق بمحذوف اى ابان ذلك ناشئا صادرا
عن طيب اصله او يا بائن ويا حرف ندا والمنادى محذوف وطيب منصوب بفعل محذوف اى يا
قومى انظروا طيب او يا لنداء التلهف وطيب منادى اى يا طيب احضر وخص الندا بالطيب
للاشعار الى ان طيبه قد عم جميع الموجودات فهو لايرى غيره يناديه فكل منادى يوجد فيه الطيب
ومنه صفة مبتدا والضمير للنبى عليه السلام وصفة مختتم حذفت اى منه دل عليها المذكور والمعنى يا طيب
محله فى الابتدا وهو الاصلاب الطاهرة والارحام الزكية ومحله فى الاختتام وهو طيب نفسه عليه السلام
حيث انتهى اليه **ويظهر** لهذا العبد الفقير من انوار هذا البيت المنير ان المراد بطيب العنصر هو النبوة
الشريفة التى افتتحت به فى اول الخلق وآدم منجدل فى طينته ووصل نوره الى آدم وانتقل منه الى ان ختمت

النبوة بمولده عليه الصلاة والسلام فلهذا قال يا طيب مبتداء منه ومختتم وتبين من مولده طيب ذلك
العنصر الكريم حيث عمت بركاته الوجود زمانا ومكانا واهلهما اما في الزمان ففي عام ولادته بعد ان
كانت قريش في جدب شديد وضيق فاخصبوا في ذلك العام الذي حملت به امه صلى الله عليه وسلم
وحملت لهم الاشجار واتاهم الرفد من كل مكان فاخصب اهل مكة خصبا عظيما وكانوا يسمون ذلك
العام عام الانتاج والفتح وخرج ابو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان دلالة حمل امنة
برسول الله صلى الله عليه وسلم ان كل دابة كانت لقريش نطقت تلك الليلة وقالت حمل برسول الله
صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة وهو امام الدنيا وسراج اهلها ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا
الا اصبح منكوسا ومرت وحوش المشرق الى وحوش المغرب بالبشارات وكذلك اهل البحار يبشر
بعضهم بعضا وله في كل شهر من شهور حمله نداء في الارض ونداء في السماء ان ابشروا فقد آن ان
يظهر ابو القاسم صلى الله عليه وسلم ميمونا مباركا الحديث وعن غيره لم يبق في تلك الليلة دار الا
اشرقت ولا مكان الا دخله النور ولا دابة الا نطقت وعن ابي نعيم ان الله تعالى كان قد اذن تلك
السنة لنساء الدنيا يحملن ذكورا كرامة لمحمد صلى الله عليه وسلم وقد اختلف في ذلك العام الذي
ولد فيه صلى الله عليه وسلم فالاكثرون على انه عام الفيل وبه قال ابن عباس ومن العلما من حكى
الاتفاق عليه وقال كل قول يخالفه وهم والمشهور انه ولد بعد الفيل بخمسين يوما قال السهيلي وهو
الاكثر والاشهر وقيل بعده بخمس وخمسين يوما حكاه الدمياطي وقيل بشهر وقيل باربعين يوما
وقيل بعد الفيل بعشر سنين وقيل قبل الفيل بخمس عشرة سنة والمشهور انه بعد الفيل لان قصة الفيل
كانت توطية لنبوته وتقدمة لظهوره وبعثته واما شهر ولادته فقد اختلف فيه فالمشهور انه ولد
في شهر ربيع الاول الانور وهو قول جمهور العلما ونقل ابن الجوزي الاتفاق عليه ووجهه كثرة القائلين
به وقيل في صفر وقيل في ربيع الاخر وقيل في رجب وقيل في شهر رمضان ويوافقه قول من قال ان
امه حملت به في ايام التشريق واغرب من قال ولد في عاشورا والاصح الاول وهو ربيع الاول
ولفظ الربيع ينبي عن معناه لانه شباب الزمان واعتدال الاوان ولله القايل

يقول لسان شرح الحال منه ۞ وقول الحق يعذب للسميع ۞
فوجهي والزمان وشهر وضعي ۞ ربيع في ربيع في ربيع ۞

ولذلك قال اهل الحساب ان مولده وافق من الشهور الشمسية نيسان فكان لعشرين مضت
منه وولد بالغفر من المنازل وهو مولد النبيين ولذلك قيل خير منزلين في الابدين الزبانا والاسد
لان الغفر تلوه من العقرب زباناها ولا ضرر في الزبانا انما يضرب العقرب بذنبها ويليه من الاسد
اليته وهو السماك والاسد لا يضر باليته انما يضر بمخلبه كما قاله السهيلي في روض الانف ثم اختلفوا
في اي يوم من الشهر فقيل انه غير معين انما ولد في يوم الاثنين من ربيع الاول من غير تعيين والجمهور
على انه يوم معين فقيل لليلتين خلتا منه وقيل لثمان خلت منه قال الشيخ قطب الدين القسطلاني

وهو

وهو اختيار اكثر اهل الحديث ونقل عن ابن عباس وجبير بن مطعم وهو اختيار اكثر من له معرفة بهذا الشان
بل اجمع عليه اهل التاريخ واختاره الحميدي وشيخه ابن حزم وحكى القضاعي في عيون المعارف اجماع
علماء الزيج عليه ورواه الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم وكان عارفا بالنسب وايام العرب اخذ
ذلك عن ابيه جبير وقيل لعشر وقيل لاثنتي عشرة وعليه عمل اهل مكة في زيارتهم موضع
مولده في هذا الوقت وهذا الذي هو المشهور وعليه العمل الان وقيل لسبع عشرة وقيل لثمان عشرة
وقيل لثمان بقين منه وانما كان مولده كما هو الصحيح في شهر ربيع الاول ولم يكن في المحرم ولا في رجب
ولا في رمضان ولا في غيرها من الاشهر ذوات الشرف وكان في يوم الاثنين ولم يكن في يوم الجمعة
لانه صلى الله عليه وسلم لا يتشرف بالزمان وانما الزمان يتشرف به كالاماكن فلو ولد في شهر من الشهور
المذكورة لتوهم انه تشرف بها فجعل الله مولده في غيرها ليظهر عنايته به وكرامته عليه ولم يجعل الله في
يوم مولده من التكليف بالعبادة ما جعل في يوم الجمعة التي خلق فيه ادم من وجوب الجمعة والخطبة
وغير ذلك اكراما للنبي صلى الله عليه وسلم بالتخفيف عن امته لاظهار الوجود وجوده عليهم قال تعالى وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين واختصاص يوم الجمعة بالساعة التي يستجاب فيها الدعا اعظم منها ساعة
ولادته صلى الله عليه وسلم ونظير ذلك ما قالوه ان ليلة مولده صلى الله عليه وسلم افضل من ليلة القدر
من وجوه ثلاثة احدها ان ليلة المولد ليلة ظهوره عليه السلام وليلة القدر معطاة له وما شرف
بظهور ذات المشرف من اجله اشرف بسبب ما اعطيه ولا نزاع في ذلك فكانت ليلة المولد بهذا
الاعتبار افضل الثاني ان ليلة القدر شرفت بنزول الملائكة فيها وليلة المولد شرفت بظهوره صلى
الله عليه وسلم فيها وممن شرفت به ليلة المولد افضل الثالث ان ليلة القدر وقع التفضيل فيها على
امة محمد صلى الله عليه وسلم وليلة المولد الشريف وقع التفضيل فيها على ساير الموجودات فهو الذي
بعثه الله رحمة للعالمين فعمت به النعمة على ساير الخلايق فكانت ليلة المولد اعم نفعا واضحت غرة في
وجه الدهر ونورا في وجه الزمن وهذه الوجوه الثلاثة وجيهة في بابها وان قال ابن حجر المكي انها مدخولة
فلا يليق بالمقام ان لا يكون له دخول الى ردها والى كونه ولد ليلا ذهب جماعة واستدلوا بما رواه
ابن عساكر من حديث عمرو بن العاص عن امه فاطمة بنت عبد الله الثقفية انها شهدت ولادة النبي
صلى الله عليه وسلم ليلا قالت فما شيء انظر اليه من البيت الا نور واني لانظر الى النجوم تدنو حتى
اني لاقول ليقعن على الارض ورواه البيهقي ولم يذكر فيه الا النور وتدلي النجوم وبتصريح عايشة ايضا
بذلك كما رواه الحاكم عنها انها قالت كان بمكة يهودي يتجر فيها فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود قالوا لا نعلم قال ولد الليلة نبي هذه الامة
الاخيرة بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كانهن عرف فرس فخرجوا باليهودي حتى ادخلوه على امه
فقالوا اخرجي لنا ابنك فاخرجته وكشفوا عن ظهره فراى تلك الشامة فوقع اليهودي مغشيا عليه
فلما افاق قالوا ما لك ويلك قال ذهبت والله النبوة من بني اسرائيل والمشهور الذي عليه الجمهور

انه ولد نهارا فعن قتادة الانصاري انه صلى الله عليه وسلم سيل عن صيام يوم الاثنين قال ذلك يوم ولدت
فيه وانزلت علي فيه النبوة رواه مسلم فهذا يدل على انه ولد نهارا وفي المسند عن ابن عباس قال ولد صلى الله
عليه وسلم يوم الاثنين وهذا القول هو مراد الناظم رحمه الله بدليل قوله في البيت الاتي يوم نعرس فيه
الفرس وقوله في الهمزية يوم نالت بوضعه ابنت وهب • من فخار مالم تنله النساء •

وهذا لاينافي قوله في الهمزية

• ومحيا كالشمس منك مضيئ • اسفرت عنه ليلة غراء •
• ليلة المولد الذي كان للدين • سرور بيومه وازدهاء •

لان الليلة تابعة لليوم في الفضيلة هنا او على المجاورة او انه اراد بالليل ما قبل الشمس على المذهب الفلكي
واللغوي واليه الاشارة بقوله اسفرت عنه ليلة غراء حيث عبر بالاسفار اذ روي انه ولد صلى الله عليه
وسلم عند طلوع الفجر فمن اطلق انه ولد ليلا اراد بالليل ذلك لما ذكرنا ومن اطلق انه ولد نهارا اراد النهار
الشرعي وهو بعد طلوع الفجر ولاينافي ذلك ايضا ما روي عن ام عثمان الثقفية من تدلي النجوم عند و
لادته صلى الله عليه وسلم لان ذلك الوقت وهو ما بعد الفجر صالح لتدلي النجوم بل لو قلنا بذلك بعد طلوع
الفجر خرقا للعادة مبالغة في كرامته صلى الله عليه وسلم لكان ذلك من بعض معجزاته صلى الله عليه وسلم قال

• وتدلت زهر النجوم اليه • فاضاءت بضوئها الارجاء •

ومما يؤيد انه صلى الله عليه وسلم ولد نهارا بعد الفجر ما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال كان بمر الظهران
راهب يسمى عيصا من اهل الشام وكان يقول يوشك ان يولد فيكم يا اهل مكة مولود تدين له العرب ويملك
العجم هذا زمانه وكان لا يولد بمكة مولود الا سال عنه فلما كان صبيحة اليوم الذي ولد فيه رسول الله صلى الله
عليه وسلم خرج عبد المطلب حتى اتى عيصا فناداه فاشرف عليه فقال له عيص كن اباه فقد ولد ذلك
المولود الذي كنت احدثكم عنه يوم الاثنين ويبعث يوم الاثنين ويموت يوم الاثنين قال ولد لي الليلة
مع الصبح مولود قال فاسميته قال محمدا قال والله لقد كنت اشتهي ان يكون هذا المولود فيكم اهل هذا
البيت بثلاث خصال نعرفه فقد اتى عليهن منها انه طلع نجمه البارحة وانه ولد اليوم وان اسمه محمد رواه ابو
جعفر وابن ابي شيبة وخرجه ابو نعيم في الدلايل بسند فيه ضعف ولا يضرنا ضعفه لان الضعيف في الفضايل والمناقب
حجة اتفاقا واما مكان ولادته صلى الله عليه وسلم فالقول الصحيح المشهور انه ولد بمكة المشرفة والمشهور انه
بالمسجد المشهور الان بالمولد النبوي بسوق الليل بقرب البركة المردومة ذكره الازرقي وقد كان استولى عليه
عقيل بن ابي طالب لما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة ولم يزل بيده وبيد ولده حتى ابتاعه من بعضهم محمد بن
يوسف اخي الحجاج بن يوسف فادخله في داره التي يقال لها الدار البيضا ولم يزل فيها الى ان اخرجته منها الخيزران
ام الخليفتين موسى الهادي وهارون الرشيد لما حجت وجعلته مسجدا يصلى فيه وشرعته الى الزقاق الذي
في اصل تلك الدار وقال السهيلي في الروض الانف ولد بالشعب وقيل بالدار التي عند الصفا وكانت بعد لمحمد بن
يوسف اخي الحجاج ثم بنتها زبيدة حين حجت انتهى وقيل مولده بالردم وقيل بعسفان ذكرها مغلطاي في

سيرة قال تقي الدين الفاسي والمراد بالردم ردم بني جمح لا الردم الذي باعلى مكة فانه لم يكن الا في خلافة
عمر رضي الله عنه وقد صرح بعض ايمتنا ان اول واجب على الاوليا ان يعلموا صبيانهم ان نبينا محمدا
صلى الله عليه وسلم ولد بمكة ودفن بالمدينة بل وقيل انكار ذلك كفر لاستلزامه انكار وجود النبي صلى الله
عليه وسلم واختلف ايضا في مدة الحمل به فقيل تسعة اشهر وقيل عشرة وقيل ثمانية وقيل سبعة وقيل ستة
ثم المناسب لنا ان نذكر والدته صلى الله عليه وسلم وحملها به وشيا من احوال ولادته وما يتعلق بذلك
من رضاعه صلى الله عليه وسلم اما والدته فهي امنة ابنت وهب بن عبد مناف من زهرة بن كلاب بن
مرة فهي تلتقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة ابايه في كلاب وكان وهب سيد بني زهرة نسبا
وشرفا وكانت افضل امراة في قريش وامها برة ابنة عبد العزى بن قصي بن كلاب ولما خرج عبد المطلب
بابنه عبد الله ليزوجه للرويا التي راها واخبر بتعبيرها بعد انصرافه من نحر الابل مر على امراة من بني اسيد
بن عبد العزى وهي عند الكعبة واسمها قتيلة بضم القاف وفتح المثناة الفوقية ويقال رقية بنت نوفل
فقالت له حين نظرت الى وجهه وكان احسن رجل روي في قريش لك مثل الابل التي نحرت عنك وقع علي
الان لما رات في وجهه من نور النبوة ورجت ان تحمل بهذا النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها اما الحرام فالممات
دونه والحل لا حل فاستبينه • فكيف بالامر الذي تبغينه • يحمي الكريم عرضه ودينه • وعن ابي نعيم والخرايطي وابن
عساكر من طريق عطا عن ابن عباس لما خرج عبد المطلب بابنه عبد الله ليزوجه مر به على كاهنة من تبالة
مشهورة قد قرات الكتب يقال لها فاطمة بنت مر الخثعمية فرات نور النبوة في وجه عبد الله فقالت له
وذكر نحوه وذكروا ان عبد الله لما تزوج بامنة دخل عليها بموضعه ووقع عليها يوم الاثنين ايام منى
في شعب ابي طالب عند الجمرة فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج من عندها فاتى المراة التي عرضت
عليه ما عرضت فقال لها ما لك ما تعرضين علي اليوم ما عرضت بالامس فقالت فارقك النور الذي
كان منك بالامس فليس لي بك اليوم حاجة انما اردت ان يكون النور في فابى الله الا ان يجعله حيث
شاء ولما حملت امنة برسول الله صلى الله عليه وسلم ظهر لحمله عجايب • ووجد لايجاده غرايب •
فذكروا انه لما استقرت نطفته الزكية ودرته المحمدية في صدفة امنة القرشية نودي في الملكوت
ومعالم الجبروت ان عطروا جوامع القدس الاسنى وبخروا جهات الشرف الاعلى وافرشوا سجادات العبادات
في صفف الصفا لصفوة العباد المقربين اهل الصدق والوفا فقد انتقل النور المكنون الى بطن امنة
ذات العقل الباهر والفخر المصون وقد خصها الله القريب المجيب بهذا السيد المصطفى الحبيب لانها
افضل قومها حسبا وانجب وازكاهم اصلا وفرعا واطيب وقال سعد بن عبد الله التستري
فيما رواه الخطيب البغدادي لما اراد الله تعالى خلق محمد صلى الله عليه وسلم في بطن امه امنة ليلة رجب و
كانت ليلة جمعة امر الله تعالى في تلك الليلة رضوان خازن الجنان ان يفتح الفردوس ونادى مناد في السموات
والارض الا ان النور المخزون المكنون الذي يكون منه النبي الهادي في هذه الليلة يستقر في بطن امه الذي يتم
فيه خلقه ويخرج الى الناس بشيرا ونذيرا وفي رواية كعب الاحبار انه نودي تلك الليلة في السماء وصفاحها

والارض بقاعها ان النور المكنون الذى منه رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقر الليلة فى بطن امنة فيا طوبى لها
ثم طوبى وفى حديث ابن اسحاق ان امنة كانت تحدث انها اتيت حين حملت به صلى الله عليه وسلم فقيل لها انك
حملت بسيد هذه الامة وقالت ما شعرت بانى حملت به ولا وجدت له ثقلا ولا وحما كما تجد النسا الا انكرت رفع
حيضتى واتانى آت وانا بين النايمة واليقظانة فقال هل شعرت بانك حملت بسيد الانام ثم امهلنى حتى
دنت ولادتى فقال قولى اعيذه بالواحد من شر كل حاسد ثم سميه محمدا وبعد هذا البيت ابيات اخر مشهورة
قال العراقى لا اصل لها وفى رواية شداد بن اوس ان امنة وجدت الثقل وجمع الحافظ ابو نعيم بين الحديثين بان
الثقل كان ابتداء علوقها به والخفة عند استمرار الحمل بها فتكون على الحالين خارجا عن المعتاد المعروف وعن
زكريا بن يحيى بن عابد بقى صلى الله عليه وسلم فى بطن امه تسعة اشهر لا تشكو وجعا ولا مغصا ولا ريحا ولا ما يعرض
لذوات الحمل من النساء وكانت تقول والله ما رايت من حمل هو اخف ولا اعظم بركة منه ثم لا تم لها من حملها شهران
توفى عبد الله وقيل توفى وهو فى المهد ذكره الدولابى وغيره وقيل شهرين ذكره ابن ابى خيثمة وقيل ابن سبعة
اشهر وقيل وهو ابن ثمانية وعشرين شهرا وانشدوا رجز لعبد المطلب يقول لابنه ابى طالب
اوصيك يا عبد مناف بعدى ◦ بموتم بعد ابيه فرد ◦ فارقه وهو ضجيع المهد ◦
وكان موت عبد الله بالمدينة لما تخلف عند اخواله بنى النجار ودفن بدار النابغة كما قيل والصحيح انه دفن
بالابواء ويذكر عن ابن عباس انه لما توفى عبد الله قالت الملايكة الهنا وسيدنا بقى نبيك يتيما فقال الله تعالى انا له
حافظ ونصير وقيل لجعفر الصادق لم يتم النبى صلى الله عليه وسلم من ابويه فقيل لئلا يكون عليه حق لمخلوق
وروى ابو نعيم عن عمرو بن عتيبة قال سمعت ابى وكان من اوعية العلم قال لما حضرت ولادة امنة قال الله
تعالى للملايكة افتحوا ابواب السما كلها وابواب الجنان والبست الشمس يوميذ نورا عظيما وذكر ابو سعيد
النيسابورى عن كعب فى حديثه الطويل ورواه ابو نعيم من حديث ابن عباس قال كانت امنة تحدث وتقول
اتانى آت حين مر بى من حملى ستة اشهر فى المنام فقال لى يا امنة انك حملت بخير العالمين فاذا ولدتيه فسميه
محمدا واكتمى شانك قالت ثم لما اخذنى ما ياخذ النسا ولم يعلم بى احد لا ذكر ولا انثى وانى لوحيدة فى المنزل
وعبد المطلب فى طوافه فسمعت وجبة عظيمة وامرا عظيما هالنى ثم رايت كان جناح طير ابيض قد مسح
على فوادى فذهب عنى الرعب وكل وجع اجده ثم التفت واذا انا بشربة بيضا فتناولتها فاصابنى
نور عال ثم رايت نسوة كالنخل طوالا كانهن من بنات عبد مناف يحدقن بى فبينما انا اتعجب وانا اقول وا
غوثاه من اين علمن بى وفى غير هذه الرواية فقلن لى نحن اسية امراة فرعون ومريم ابنة عمران وهولاء من
الحور العين واشتد بى الامر وانا اسمع الوجبة فى كل ساعة اعظم واهول مما تقدم فبينما انا كذلك اذا
بديباج ابيض قد مد بين السماء والارض واذا قايل يقول خذوها عن اعين الناس قالت ورايت رجالا
قد وقفوا فى الهوا بايديهم اباريق من فضة ثم نظرت فاذا انا بقطعة من الطير قد اقبلت حتى غطت حجرتى
مناقيرها من الزمرد واجنحتها من الياقوت فكشف الله عن بصرى فرايت مشارق الارض ومغاربها و
رايت ثلاث اعلام منصوبات علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة فاخذنى المخاض فوضعت

محمدا صلى الله عليه وسلم فنظرت اليه فاذا هو ساجد قد رفع اصبعيه الى السماء كالمتضرع المبتهل ثم
رايت سحابة بيضا قد اقبلت من السماء حتى غشيته فغيبته عنى فسمعت مناديا ينادى طوفوا به
مشارق الارض ومغاربها وادخلوه البحار ليعرفوه باسمه ولقبه وصورته ويعلمون انه سمى فيها الماحى لا
يبقى شىء من الكفر الا محى فى زمنه ثم تجلت عنه فى اسرع وقت الحديث وروى الخطيب البغدادى
بسنده انها قالت لما وضعته عليه السلام رايت سحابة عظيمة لها نور اسمع فيه صهيل الخيل وخفقان
الاجنحة وكلام الرجال حتى غشيته وغيب عنى فسمعت مناديا ينادى طوفوا بمحمد جميع الارض
واعرضوه على كل روحانى من الجن والانس والملايكة والطيور والوحوش واعطوه خلق ادم ومعرفة
شيث وشجاعة نوح وخلة ابرهيم ولسان اسمعيل ورضى اسحاق وفصاحة صالح وحكمة لوط
وبشرى يعقوب وشدة موسى وصبر ايوب وطاعة يونس وجهاد يوشع وصوت داود وحب
دانيال ووقار الياس وعصمة يحيى وزهد عيسى واغمسوه فى اخلاق النبيين قالت ثم انجلت
عنى فاذا به قد قبض على حريرة خضرا مطوية طيا شديدا ينبع من تلك الحريرة ماء واذا قائل يقول
بخ بخ قبض محمد صلى الله عليه وسلم على الدنيا كلها لم يبق خلق من اهلها الا دخل طايعا فى قبضته ◦
قالت ثم نظرت اليه واذا به كالقمر ليلة البدر وريحه يسطع كالمسك الاذفر واذا بثلاثة نفر فى يد احدهم
ابريق من الفضة وفى يد الثانى طست من زمرد وفى يد الثالث حريرة بيضا فنشرها فاخرج منها خاتما
تحار ابصار الناظرين دونه فغسله من ذلك الابريق سبع مرات ثم ختم بين كتفيه بالخاتم ولفه بالحريرة
ثم احتمله فادخله بين اجنحته ساعة ثم رده الى وروى الحافظ ابو بكر بن عايذ فى كتابه المولد عن ابن
عباس لما ولد صلى الله عليه وسلم قال فى اذنه رضوان خازن الجنان ابشر يا محمد فما بقى لنبى علم الا وقد
اعطيته فانت اكثرهم علما واشجعهم قلبا وروى محمد بن سعيد من حديث جماعة منهم عطا وابن
عباس ان امنة بنت وهب قالت لما فصل عنى تعنى النبى صلى الله عليه وسلم خرج معه نور اضاء له
ما بين المشرق والمغرب ثم وقع الى الارض معتمدا على يديه ثم اخذ قبضة من التراب فقبضها ورفع راسه
الى السماء وروى الطبرانى انه لما وقع الى الارض وقع مقبوضة اصابع يده مشيرا بالسبابة كالمسبح
بها وروى السهيلى عن تفسير بقى بن مخلد ان ابليس لعنه الله رن اربع رنات رنة حين لعن ورنة
حين اهبط ورنة حين ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورنة حين انزلت فاتحة الكتاب وذكروا ان
المطلب دخل به الكعبة وعوده ودعا له وفى غير رواية ابن هشام ان عبد المطلب قال وهو يعوذه ◦
الحمد لله الذى اعطانى ◦ هذا الغلام الطيب الاردان ◦ قد ساد فى المهد على الغلمان ◦
اعيذه بالبيت ذى الاركان ◦ حتى يكون بلغة الفتيان ◦ حتى اراه نافع البيان ◦
اعيذه من كل ذى شنان ◦ من حاسد مضطرب العيان ◦ ذى همة ليس له عينان ◦
حتى اراه رافع اللسان ◦ انت الذى سميت بالقران ◦ فى كتب ثابتة المثان ◦
احمد مكتوب على اللسان ◦ وولد صلى الله عليه وسلم معذورا اى مختونا مسرورا اى مقطوع السر

كما روى من حديث ابى هريرة رضى الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم عند ابن عساكر وروى الطبرانى فى الاوسط و
ابو نعيم والخطيب وابن عساكر من طرق عن انس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من كرامتى على ربى انى ولدت
مختونا ولم ير احد سوأتى وصححه الضياء فى المختار وعن ابن عمر قال ولد النبى صلى الله عليه وسلم مسرورا مختونا
رواه ابن عساكر قال الحاكم فى المستدرك تواترت الاخبار انه ولد صلى الله عليه وسلم مختونا انتهى فقال
ما اعلم صحة ذلك فكيف يكون متواترا واجيب باحتمال ان يكون اراد بتواتر الاخبار اشتهارها وكثرتها
فى السير لا من طريق السند المصطلح عليه عند ائمة الحديث ولكن قد حكى الحافظ زين الدين العراقى ان الكمال
ابن العديم ضعف احاديث كونه ولد مختونا وقال انه لا يثبت فى هذا شيء من ذلك واقره عليه وبه صرح ابن
القيم ثم قال ليس هذا من خصايصه فان كثيرا من الناس ولد مختونا وذكر الحافظ ابن حجر ان العرب تزعم ان
الغلام اذا ولد فى القمر فسخت قلفته اى اتسعت فيصير كالمختون وفى الوشاح لابن دريد قال الكلبى
بلغنا ان ادم خلق مختونا واثنى عشر نبيا من بعده خلقوا مختونين اخرهم محمد صلى الله عليه وسلم شيث
وادريس ونوح وسام ولوط ويوسف وموسى وسليمان وشعيب ويحيى وهو صلوات الله وسلامه
عليهم اجمعين قال صاحب المواهب وفى هذه العبارة تجوز لان الختان هو القطع وهو غير ظاهر لان الله
تعالى يوجد ذلك على هذه الهيئة من غير قطع فيحمل الكلام باعتبار انه على صفة المقطوع وقد حصل من الخلاف
فى ختانه ثلاثة اقوال احدها انه ولد مختونا كما تقدم الثانى انه ختنه جده عبد المطلب يوم سابعه
وصنع له مأدبة وسماه محمدا رواه الوليد بن مسلم بسنده الى ابن عباس وحكاه ابن عبد البر فى التمهيد
الثالث انه ختن عند حليمة كما ذكره ابن القيم والدمياطى ومغلطاى وقالا ان جبريل عليه السلام ختنه حين
طهر قلبه وكذا اخرجه الطبرانى فى الاوسط وابو نعيم من حديث ابى بكرة قال الذهبى وهذا منكر وارضعته عند
ولادته صلى الله عليه وسلم ثويبة عتيقة ابى لهب اعتقها حين بشرته بولادته عليه السلام وقد روى ابو لهب
بعد موته فى النوم فقيل له ما حالك فقال فى النار الا انه خفف عنى كل ليلة اثنين وامص من بين اصبعى
هاتين ماء واشار باصبعيه وان ذلك باعتاقى لثويبة عندما بشرتنى بولادة النبى صلى الله عليه وسلم
وبارضاعها له وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف ذلك لثويبة ويصلها من المدينة فلما افتتح مكة
سأل عنها وعن ابنها مسروح فاخبر انهما ماتا وسأل عن قرابتها فلم يجد احدا منهم حيا قال ابن الجوزى
فاذا كان هذا ابو لهب الكافر الذى نزل القرآن بذمه جوزى فى النار بفرحه ليلة مولد النبى صلى الله عليه وسلم
فما حال المسلم الموحد من امته صلى الله عليه وسلم يسر بمولده ويبذل ما يصل اليه قدرته فى محبته صلى الله
عليه وسلم لعمرى انما يكون جزاؤه من الله الكريم ان يدخله بفضله العميم جنات النعيم ولا زال اهل الاسلام
يحتفلون بشهر مولده عليه السلام ويعملون الولايم ويتصدقون فى لياليه بانواع الصدقات ويظهرون
السرور ويزيدون فى المبرات ويعتنون بقراءة مولده الكريم ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم ومما جرب
من خواصه انه امان فى ذلك العام وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام فرحم الله من اتخذ ليالى شهر مولده المبارك
كالاعياد ليكون اشد على كل من فى قلبه مرض او عناد ولكن المطلوب اجتناب ما ينكر مما احدثه بعض العوام

من البدع عند قراءة المولد من الالات المحرمة كما قاله ابن الحاج فى المدخل وقد ذكروا انه لما ولد صلى الله
عليه وسلم قيل من يكفل هذه الدرة اليتيمة التى لا يوجد لمثلها قيمة قالت الطيور نحن نكفله ونغتنم خدمته
العظيمة وقالت الوحوش نحن اولى بذلك ننال شرفه وتعظيمه فنادى لسان القدرة ان يا جميع المخلوقات
ان الله قد كتب فى سابق حكمته القديمة ان نبيه الكريم يكون رضيعا لحليمة الحليم قالت حليمة فيما رواه
ابن اسحاق وابن راهويه وابو يعلى والطبرانى والبيهقى وابو نعيم قدمت مكة فى نسوة من بنى سعد بن
بكر نلتمس الرضعاء فى سنة شهباء فقدمت على اتان لى ومعى صبى لنا وشارف لنا والله ما يبض بقطرة
ما ننام ليلنا اجمع مع صبينا ولا اجد فى ثديى ما يغنيه ولا فى شارفنا ما يغذيه فقدمنا مكة فوالله
ما علمت منا امرأة الا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه اذا قيل يتيم فوالله
ما بقى من صواحبى امرأة الا اخذت رضيعا غيرى فلما لم اجد غيره قلت لزوجى انى لاكره ان ارجع
من بين صواحبى ليس معى رضيع لانطلقن الى ذلك اليتيم فلآخذنه فذهبت فاذا به مدرج فى ثوب صوف
ابيض من اللبن يفوح منه المسك وتحته حريرة خضراء راقد على قفاه يغط فاشفقت ان اوقظه من نومه
لحسنه وجماله فدنوت منه رويدا فوضعت يدى على صدره فتبسم ضاحكا ففتح عينيه ينظر الى فخرج
من عينيه نور حتى دخل السماء وانا انظر فقبلته بين عينيه واعطيته ثدى الايمن فاقبل عليه بما شاء
من لبن فحولته الى الايسر فابى وكانت تلك حاله بعد اذ قال اهل العلم اعلمه تعالى ان له شريكا فالهمه العدل قالت
فروى وروى اخوه ثم اخذته فما هو الا ان جئت به رحلى فقام صاحبى تعنى زوجها الى شارفنا تلك
فاذا انها لحافل فحلب ما شرب وشربت حتى روينا وبتنا بخير ليلة فقال صاحبى يا حليمة والله
انى لاراك قد اخذت نسمة مباركة الم ترى ما بتنا به الليلة من الخير والبركة حين اخذناه فلم يزل الله
يزيدنا خيرا قالت فى رواية ذكرها ابن ظفر فى النطق المفهوم فلما نظر صاحبى الى هذا قال لى اسكنى
واكتمى امرك فمن ليلة ولد هذا الغلام اصبحت الاحبار قياما على اقدامها لا يهنأوها عيش النهار ولا
نوم الليل قالت حليمة فودعت الناس بعضهم بعضا وودعت انا ام النبى ثم ركبت اتانى واخذت محمد
بين يدى قالت فنظرت الى الاتان وقد سجدت نحو الكعبة ثلاث سجدات ورفعت رأسها الى السماء
ثم مشت حتى سبقت دواب الناس الذين كانوا معى وصار الناس يتعجبون منى ويقلن النساء لى
وهن وراى يا بنت ابى ذويب اهذه اتانك التى كنت عليها وانت جائية معنا تخفضك طورا و
ترفعك اخرى فاقول تالله انها هى فيتعجبن منها ويقلن ان لها لشأنا عظيما قالت فكنت اسمع اتانى
تنطق وتقول والله ان لى لشأنا ثم شأنا بعثنى الله بعد موتى ورد لى سمنى بعد هزلى ويحكى يا نساء
بنى سعد انكم لفى غفلة وهل تدرين من على ظهرى على ظهرى خيار النبيين وسيد المرسلين وحبيب رب
العالمين قالت حليمة فيما ذكره ابن اسحاق وغيره ثم قدمنا منازل بنى سعد ولا اعلم ارضا من ارض الله
اجدب منها وكانت غنمى تروح على حين قدمنا به شباعا لبنا فنحلب ونشرب وما يحلب انسان قطرة
لبن ولا يجدها فى ضرع حتى كان الحاضر من قومنا يقولون لرعيانهم اسرحوا حيث يسرح راعى غنم بنت ابى ذويب

فتروح اغنامهم جياعا ما تنض بقطرة لبن وتروح اغنامها شباعا تشخب لبنا ولم تزل حليمة تتعرف الخير والسعادة وتفوز منه بالحسنى وزيادة والى هذا اشارة الناظم فى الهمزية حيث **يقول**

ارضعته لبانها فسقتها ∘ وبنيها البانهن الشاء ∘
اصبحت شولا عجافا وامست ∘ ما بها شايل ولا عجفاء ∘
احصب العيش عندها بعد محل ∘ اذ غدا للنبى منها غذاء ∘
يا لها منة لقد ضوعف الاجر ∘ عنها من جنسها والجزاء ∘

ولله القائل
لقد بلغت بالهاشمى حليمة ∘ مقاما علا فى ذروة العز والمجد ∘
وزادت مواشيها واخصب ربعها ∘ وقد عم هذا السعد كل بنى سعد ∘

والى هذا اشارة الناظم فى الهمزية **بقوله**

واذا سخر الاله اناسا ∘ لسعيد فانهم سعداء ∘

هذا بعض ما جوزيت به فى الدنيا ومنه ايضا انها جاءت اليه بعد تزوجه خديجة تشكو اليه السنة فان قومها قد اسنوا فكلم لها خديجة فاعطتها عشرين راسا من الغنم وبكرات ويوم حنين عند ما رد عليهم سبى هوازن لكونهم قومها واعتق بنتها السما فى جملة من اعتق من سبيهم اكراما لها واما فى الاخرة فانه ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلمت هى وزوجها وبنوها ورفع الله مقامها وسترى فى الاخرة ذلك المقام العظيم فى جوار النبى الكريم عليه افضل الصلاة والتسليم ومما نقل من شعر حليمه حين كانت ترقصه صلى الله عليه وسلم يا رب ان اعطيته فابقه ∘ واعله الى العلا وارقه ∘ وادحض اباطيل العدا بحقه ∘ وكانت الشيماء اخته من الرضاعة تحضنه وترقصه وتقول

هذا اخ لم تلده امى ∘ وليس من نسل ابى وعمى ∘
فديته من مخول بعمى ∘ فانمه اللهم فيما تنمى ∘

واخرج البيهقى وابن عساكر عن ابن عباس قال كانت حليمة تحدث انها اول ما فطمت رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم فقال الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا قالت حليمه فلما فصلته قدمنا به على امه ونحن احرص شىء على مكثه فينا لما نرى من بركته فكلمنا امه وقلنا لو تركتيه عندنا حتى يغلظ فانا نخشى عليه وباء مكة ولم نزل بها حتى ردته معنا فرجعنا به ثم ان حليمة رجعته الى امه عند خوفها عليه لما شق بطنه وسيأتى الكلام على ذلك ان شاء الله تعالى **قال** السهيلى وكان رد حليمة اياه وهو ابن خمس سنين وشهر وفى البيت من البديع التكرير فى طيب وطيب والمقابلة فى مبتداء ومختتم

يَوْمَ تَفَرَّسَ فِيهِ الفُرْسُ أَنَّهُمُ ∘ قَدْ أُنْذِرُوا بِحُلُولِ البُؤْسِ وَالنِّقَمِ

يوم خبر مبتدا محذوف اى هو راجع الى مولده يعنى زمان ولادته ويجوز ان يكون بدلا من مولده واليوم لغة من طلوع الشمس الى غروبها **قال** رؤبة

والشمس تطلع كل آخر ليلة ∘ حمراء تبصر لونها يتلمع ∘

وهو

وهو النهار الفلكى ايضا ويطلق اليوم على حصة من زمان ليلا كان او نهارا وهو المراد هنا ويوم لفيف مقرون معتل الفا والعين **وتفرس** فعل ماض واجيز كونه مضارعا على حذف احد اليائين مأخوذ من التفرس وهو التفهم للتكرير والتعرف والاسم الفراسة بالكسر واما الفراسة بالفتح فمن الشجاعة فى ركوب الخيل **فيه** متعلق بتفرس والضمير راجع لليوم **والفرس** بالضم اهل مملكة فارس ويقال فارس ايضا وهم امة عظيمة مسكنهم فى شمال العراق مأخوذ من الفراسة وهى الشجاعة لشجاعتهم وقيل انهم من ولد يوسف عليه السلام وقيل فارس بن افريدك بن اسحاق عليه السلام وقيل فارس بن سام ابن نوح عليه السلام وكان فى العرب من يفتخر فى شعره بفارس قحطان والفرس تقول فارس بن كيومرت وكيومرت عندهم آدم عليه السلام وانه اول من ملك الفرس وكان منفردا عن العالم وليس فى زمانه ظلم ولا فساد فنشا البغى والظلم فاجتمع حكماء زمانه وقالوا ان صلاح هذا العالم فى اقامة ملك يورد الامور ويصدرها كما ان صلاح الجسد بالقلب وان العالم الصغير من جنس العالم الكبير ولا تستقيم اموره الا برئيس يدبره على ما تقتضيه قضايا العقول فصاروا الى فارس بن كيومرت فقالوا انت افضلنا وبقية ابينا آدم ولا بد من تقديمك علينا وتفويض امورنا اليك فاخذ عليهم المواثيق والعهود على السمع والطاعة ووضع التاج رأسه تميزا له وهو اول من لبسه ثم خطب بالسريانية وهو لسان آدم عليه السلام ثم اقام مدة طويلة يدبر الملك وتوفى وملك بعده اوسهنج وملوك الفرس تنتسب اليه ثم ان الفرس دانوا بدين المجوسية وعبدوا النار تقربا بها الى الله عز وجل وجملة تفرس فيه الفرس فى رفع صفة يوم وجملة انهم قد انذروا فى موضع نصب على المفعول لاجله على حذف اللام اى لانهم تفرسوا او على انها مفعول ثان لتفرس بمعنى علم والانذار الاعلام بتخويف وقيل بشرط مدة تسع التحفظ من المخوف والافاعلام واخبار والاسم النذر بضمتين والهمزة للتعدية لتضمينه معنى خوف يتعدى لمفعولين الاول نايب الفاعل وهو الواو ودخلت اليا على المفعول الثانى فى قوله بحلول كذا قال الزركشى وقال المحلى انذروا اى اعلموا فيتعدى لمفعولين والثانى **بحلول** والحلول مصدر حل بالمكان من باب رد وحلا ايضا بفتح الحا اى النزول **البؤس** اى الشدة فى الحرب تقول منه بؤس الرجل بالضم فهو بئيس كفعيل واما بئس الرجل بالكسر فمعناه اشتدت حاجته فهو بايس **والنقم** العقوبات جمع نقمة ويجمع على نقمات ككلمات وكلمة وفى البيت الجناس اللاحق فى تفرس الفرس ومراعات النظير بين قد انذروا بحلول البؤس والنقم

وَبَاتَ إِيوَانُ كِسْرَى وَهُوَ مُنْصَدِعٌ ∘ كَشَمْلِ أَصْحَابِ كِسْرَى غَيْرَ مُلْتَئِمِ

الواو للعطف **وبات** من اخوات كان لوقوع الفعل ليلا اى ليلة اليوم الذى ولد فى طلوع فجره للمصطفى صلى الله عليه وسلم وبات يبات بمعنى صار واسمها **ايوان** بكسر الهمزة ويقال فيه اوان ككتاب كلمة فارسية فسره الجوهرى بانه الصفة العظيمة كالازج وفسره صاحب الاقتباس بانه بيت مؤزج اى مبنى طولا غير مسدود الوجه اى فهو صفة طويلة واسعة باولها عقد واسع بابه وكل سناد

لشيء فهو اوان له وقيل هو البيت العالي وقيل بيت كبير مستطيل ذو شرفات وقيل بيت الملك المعد
لجلوسه مع ارباب مملكته لتدبير ملكه وجمعه ايوانات واواوين كديوان ودواوين وكسرى معرب
خسرو اى مجدد الملك بفتح الكاف وكسرها وانكار الزجاج الكسر منكر لرواية الثقات له فقد حكاه منهم
الفرا وابن السكيت وجمع جمعين على غير قياس الاكاسرة والكسور وذلك ان حق الافاعلة ان تكون جمعا
لافعال مثل اسكاف واساكفة واما الكسور فانه جمع بتقدير حذف الالف مثل جذع وجذوع قال
الاعشى انه كاين ابا للكسور وكسرى لقب لكل من ملك الفرس كقيصر لملك الروم وتبع لملك اليمن والنعمان
لملك العرب من قبل العجم والنجاشي لملك الحبشة وفرعون لملك القبط والعزيز لملك مصر وقيل فرعون
لمن ملك مصر والشام فان اضيف اليهما اسكندرية سمي العزيز ويقال المقوقس وجالوت لملك البربر
وخاقان لملك الترك ويقال لمن ملك اليونان بطليموس والعطيون لمن ملك اليهود ومالخ والنمرود
لمن ملك الصابية والاخشيد لمن ملك فرغانة ودهمز لمن ملك الهند وغانة لمن ملك الزنج وجرجير لمن
ملك افريقية وشهرمان لمن ملك جلاط وفور لمن ملك السند والاصغر لمن ملك علوى ورتبيل لمن
ملك الخزر وكامل لمن ملك النوبة وماجد لمن ملك الصقالبة ونقل السهيلي قولا ان مارب اسم لكل من ملك
سبا والمراد بكسرى هنا هو انوشروان صاحب الايوان ابن قباد ابن فيروز اشهر ملوك الفرس واحسنهم
سيرة واخبارا كان ملكا جليلا محبا للرعايا تام التدبير فتح الامصار العظيمة في الشرق واطاعته الملوك
وتزوج ابنة خاقان ملك الترك وقتل مزدك واصحابه في قصة ذكرها الاخباريون ولما قتله عظم
في اعين الفرس واحبوه وسلك سيرة ازدشير وتوطدت مملكته وبنى المباني المشهورة منها السور العظيم
على جبل الفتح عند باب الابواب واقام الحرس وحسم المادة من فساد من خلفه ومنها الايوان المذكور الباقي
الذكر المعدود من عجايب الدنيا حتى كان انصداعه من المعجزات النبوية مع ما هو عليه من العظم والاحكام
الذي لا يظن به انه يهدمه الا نفخة الصور فصدعه وسقوط اربعة عشر شرفة منه ليس الا محض اية دالة
على نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم والى ما ذكرناه قوله في الهمزية

مقول

ه وتداعى ايوان كسرى ولولا ه اية منك ما تداعى البناء ه

قال الثعالبي يضرب به المثل للبناء الرفيع العجيب الصفة المتناهي في اثار الملوك وهو بالمداين من
بغداد على مرحلة بناه كسرى في نيف وعشرين سنة وتأنى في تاسيسه وتشييده وتحسينه طوله
ماة ذراع في عرض خمسين ذراعا في سمك ماة ذراع ولما بنى المنصور مدينة السلام اراد هدمه ليبني به
فاستشار خالد بن برمك فنهاه عنه وقيل الرشيد اراد هدمه واستشار يحيى بن خالد البرمكي
فنهاه عنه وقال يا امير المؤمنين ان في بقايه معجزة باقية وهو اية الاسلام واذا راه الناس علموا
ان من هذا بناؤه لا يزيل امره الا الانبيا وفيه مع هذا مصلى علي بن ابي طالب كرم الله وجهه والمؤنة
في هدمه اكثر من الارتفاق به فقال له ابيت الا ميلا الى العجم او الى ابايك يعني الفرس وامر بهدمه فصرف
على هدم شرافة منه مالا كثيرا فكف عنه وقال قد صرنا الى رايك فيه فقال اما الان اشير بهدمه قال

وكيف

وكيف قال لئلا يتحدث الناس بانك عجزت عن هدم ما بناه غيرك فتغافل عن قوله وتركه
حكي عن بعض رسل الملوك انه دخل الايوان فرأى فيه اعوجاجا فسال عنه فقيل انه مكان بيت لعجوز
فقيرة سألها الملك بيعه فامتنعت فارغبها في مال كثير فلم تفعل فتركها وبنى الايوان على ما هو
عليه فقال الرسول هذا الاعوجاج احسن من الاستواء ويروى ان العجوز بعد بناء الايوان
نزلت للملك عن البيت وقالت انما اردت بامتناعي اولا ان يتحدث الناس بعدلك ثم صنع
كسرى في الايوان سلسلة عظيمة ذات اجراس وجعل لها طرفا خارج القبة وامر مناديه من كان
مظلوما فليحرك السلسلة ليعلم الملك فيزيل ظلامته وهذا نهاية في طلب العدل ولذلك قال
عليه السلام ولدت في زمن الملك العادل يعني كسرى وله سيرة تشتمل على حكايات حسنة منها
ان عاملا له على ناحية كتب اليه يعلمه بجودة الريع ويستاذنه في الزيادة على الرسوم فامسك
عن اجابته فعاوده العامل في ذلك فكتب اليه قد كان في ترك اجابتك ما حسبتك تنزجر به
عن تكلف ما لم تؤمر به فاذ قد ابيت الا تماديا في سوء الادب فاقطع احدى اذنيك واكفف
عما ليس من شانك فقطع العامل اذنه وسكت عن ذلك الامر وقوله وهو منصدع الضمير للايوان
والصدع الشق في الشيء الصلب شقا واضحا متبينا ظاهرا كما اقتضاه لفظ منصدع وهو ابلغ
من منكسر فلا يرد ان الناظم لو قال وهو منكسر لكان فيه جناس الاشتقاق لان مراعات المعاني
اولى من مراعات الالفاظ في الانواع البديعية وغيرها كما هو مسطور في محله يشير بذلك الى
ما ذكره اهل الاخبار ورواه الرواة الاخبار من انه ليلة ولد صلى الله عليه وسلم ارتجس ايوان
كسرى وسقط منه اربع عشرة شرفة وخمدت نار فارس وغاضت بحيرة ساوه ورأى الموبذان
وهو بلغتهم القاضي او المفتي عالمهم ابلا صعابا تقود خيلا عرابا وقد قطعت الدجلة وانتشرت
في بلادهم وسيأتي بقية الخبر ان شاء الله تعا وفي اعراب البيت وجوه الاول ان خربات قوله غير
ملتيم وكشمل اصحاب كسرى متعلق بغير ملتيم وجملة وهو منصدع في محل نصب على الحال من ايوان
كسرى واجيز ان يكون كشمل اصحاب كسرى خبر بات وغير ملتيم حالا من شمل اصحاب كسرى
واجيز ان يكون وهو منصدع خبر بات والواو زايدة وكشمل اصحاب كسرى نعت لمصدر محذوف
اى انصداعا مثل انصداع اصحاب كسرى واجيز في غير ملتيم ان يكون منصوبا على الحال او البدل
من شمل وان يكون مرفوعا خبر مبتدا محذوف اى هو غير ملتيم وان يكون مخفوضا على البدل
من كشمل والشمل المتفرق المشتت من امر اصحاب كسرى اعادته ظاهرا لا مضمرا ليس للوزن فقط
والمجرد موافقة اسمه للغرض المساق له الكلام كما ذكره الزركشي وغيره بل لازالة اللبس حيث
يوهم الضمير انه الاول وليس هو كما قاله ابن الخشاب في قوله تعا قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك
من تشاء فانه لو قال تؤتيه لاوهم انه الاول وكسرى الثاني هنا غير الاول لان الاول هو انوشروان
وكسرى الثاني هو ابرويز بن هرمز ومعنى ابرويز بالعربية المظفر وهو الذي غلب الروم حين انزل الله

تعا

الى غلبت الروم وهو الذى عرض فى المنام على الله عز وجل فقال له سلم ما فى يدك لصاحب
الهراوة فلم يزل مذعورا من ذلك حتى كتب اليه النعمان ابن المنذر بظهور النبى صلى الله عليه وسلم
بتهامه فعلم ان الامر سيصير اليه حتى كان من امره ما كان وهذا هو الذى سئل عنه رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما حجة الله على كسرى فقال ان الله ارسل اليه ملكا فسلك بيده فى جدار مجلسه
حتى اخرجها اليه وهى تتلألاء نورا فارتاع كسرى فقال له الملك لم ترع يا كسرى ان الله قد بعث
رسوله فاسلم تسلم فقال سانظر وهو الذى كتب اليه النبى صلى الله عليه وسلم فمزق الكتاب
فقال عليه السلام مزق الله ملكه وصورة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وامن بالله ورسوله وشهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله ادعوك بدعاية الله عز وجل فانى
رسول الله الى الناس كلهم لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين اسلم تسلم فان توليت
فعليك اثم المجوس فلما قرئ عليه الكتاب مزقه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
مزق ملكه وفى البخارى من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بكتابه الى كسرى مع
عبد الله بن حذافة السهمى فامره ان يدفعه الى عظيم البحرين ودفعه عظيم البحرين الى كسرى فلما قراه مزقه
فحسبت ان ابن المسيب قال فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يمزقوا كل ممزق وفى كتاب
الانوار لابى عبيد من مرسل عمر بن اسحاق قال كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كسرى وقيصر فاما
كسرى فلما قراء الكتاب مزقه واما قيصر فلما قراء الكتاب طواه ثم رفعه فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اما هولاء فيمزقون واما هولاء فتكون لهم بقية وروى انه لما جاه جواب كسرى قال مزق
ملكه ولما جاء جواب هرقل قال ثبت ملكه وذكر الحافظ ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى عن سيف الدين
فلج المنصورى احد امراء الدولة القلاوونية انه قدم على ملك الغرب بهدية من الملك المنصور قلاوون
فارسله ملك الغرب الى ملك الفرنج فى شفاعة وانه قبله واكرمه وقال له لاتحفنك بتحفة سنية فاخرج
له صندوقا مصفحا بذهب فاخرج منه مقلمة من ذهب فاخرج منها كتابا قد زالت اكثر حروفه وقد
الصقت عليه خرقة حرير فقال هذا كتاب نبيكم لجدى قيصر ما زلنا نتوارثه الى الآن واوصانا اباؤنا
عن ابايهم الى قيصر انه ما دام هذا عندنا لا يزال الملك فينا فنحن نحفظه ونعظمه ونكتمه عن النصارى
ليدوم الملك فينا انتهى وقتل كسرى قتله بنوه ليلة الثلاثاء لعشر من جمادى الاولى سنة سبع من
الهجرة وملك بعده سابور ابن ابرويز اخو شيرويه ملك نحو من شهرين فى مدة النبى صلى الله عليه وسلم
وهلك وملك اخوه شيرويه نحو ستة اشهر ثم ملكت بوران اختها فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه
وسلم فقال لا يفلح قوم تملكهم امرأة فملكت سنة ثم هلكت وتشتت امورهم كل الشتات ثم اجتمعوا
بعد ذلك على يزدجرد بن شهريار حفيد ابرويز وهو اخر ملوك الفرس وكانت المسلمون قد غلبوا
على اطراف ارضهم ثم كانت حروب القادسية معهم الى ان قهرهم الاسلام وفتحت بلادهم وسلب ملكه وهدم

سلطانه

سلطانه على يدى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ثم انه قتل فى اول خلافة عثمان وجد مستخفيا فى
رحى فقتل وطرح فى قناة الرحا وذلك بمرو من ارض فارس وصح انه عليه السلام اخبر بانه اذا هلك
كسرى فلا كسرى بعده وان امواله وكنوزه تنفق فى سبيل الله وقد انقطع ملكه وزال من جميع الارض
وتمزق اصحابه كل ممزق بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه لتمزيق كتابه وقد بشر صلى الله
عليه وسلم امته فى حفر الخندق بملك بلاده وقال لسراقة كيف بك اذا لبست سوارى كسرى فلما
اتى بهما عمر البسهما اياه اظهارا للمعجزة وذلك عند مبيح وقال الحمد لله الذى سلبها كسرى والبسهما
سراقة وهذا من اعظم الايات الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم حيث مزق كسرى واصحابه كل ممزق
وتمزق شملهم كل ممزق فلم ينتظم لهم امر من ذلك اليوم فهو غير ملتئم اى مشتت غير مجتمع من ذلك اليوم
والى يوم القيمة وغير ملتئم هو وجه الشبه بلا اشتباه وفيه كمال الاتعاظ والانتباه وفى البيت
التكرير فى كسرى وكسرى والتشبيه فى كشمل ومراعات النظير بين منصدع وغير ملتئم والتمليح والتحرفى ملتئم

والنار خامدة الانفاس من اسف ٥ عليه والنهر ساهى العين من سدم

الواو للعطف والنار هى جوهر مضى حار محرق وهى مؤنثه من ذوات الواو لان تصغيرها نويرة
وجمعها نور وانور ونيران انقلبت الواو يا لكسرة ما قبلها واشتقاقها من نار ينور لحركتها
واضطرابها ولم تقع فى القران مجموعة بخلاف الجنة للاشارة الى ان لطف الله وكرمه اكثر من غضبه
وانتقامه واللام فيها للعهد اى نار فارس التى كانوا يعبدونها وكلام الماتن فى الهمزية يقتضى
تعددها حيث قال ٥ وغدا كل بيت نار وفيه ٥ كربة من خمودها وبلاء ٥
وذلك يقتضى ان لكل فرقة منهم نارا غير النار الكبيرة الموقدة التى اعتنى بها اكسراهم فيكون
الخمود لكل بيت نار من تلك النيران والنار مبتداء وخامدة الانفاس خبره وخامدة اسم فاعل
من خمدت النار تخمد خمودا سكن لهبها ولم يطفا جمرها وهمدت بالهاء اذا طفى جمرها قاله فى الصحاح
والانفاس جمع نفس بفتحتين يوصف به كل حيوان ذى رية فخرجت دواب الماء اذ لا ريات
فيها واللام فيها عوض من الضمير اى خامدة انفاسها واثبات الانفاس لها استعارة بالكناية
وذكر الخمود ترشيح ويعجبنى من استعارات النفس قول
٥ ولرب ليل تاه نجم سمايه ٥ فقطعته سهرا فطال وعسعسا ٥
٥ وسالته عن صبحه فاجابنى ٥ لوكان فى قيد الحيات تنفسا ٥
ومن تعليليه اسف اى شدة وحزن من اسف يأسف من باب طرب وعليه متعلق باسف
والضمير راجع لانصداع ايوان كسرى الذى هو علامة مولد نبينا صلى الله عليه وسلم المخمد لنارهم
المشتت لشملهم وذكره اولا يدل على حرفه ثانيا والنهر باسكان الهاء هنا مع جواز الفتح واحد
الانهار وقوله تعالى فى جنات ونهر اى انهار قد يعبر بالواحد عن الجمع كما قال تعالى ويولون الدبر
ماخوذ من نهر الماء الارض حفرها من باب قطع والمراد به نهرهم الذى به قيامهم وهو مبتداء وساهى العين

خبره اى ساكن العين عن الجريان تلك الليلة غافلها من سهاء يسهو على الاستعارة ايضا اما الغيضة تلك الليلة
فى الارض او لوقوفه من سدم بفتحتين اى حزن وهم عليه وبابه طرب يقال رجل سدمان ندمان وسادم نادم
وهو هنا على الاستعارة المرشحة يشير الناظم الى ما وقع تلك الليلة من الايات الدالة على مولد نبينا صلى الله
عليه وسلم من انصداع الايوان وسقط الشرفات عظم ذلك على كسرى واهل مملكة فارس فكتب اليه الموكل
بايقاد النيران وكان لها خدمة يوقدونها ليلا ونهارا فى بيوت اتخذوها معابدهم ليكون عذابهم فى الاخرة
من جنس عملهم فى الدنيا ان النار قد خمدت تلك الليلة ولم توقد مع بقاء جمرها واجتهادهم على ايقادها ولم
يظهر لها لهب وكانت لم تخمد من الف سنة قبل تلك الليلة فكان ذلك سببا يقضى منه العجب اقتضى عرض
ذلك على كسرى ليستبصر ويتفحص عن ذلك وكتب اليه صاحب طبريه ان الماء لم يجر ولم يوجد تلك الليلة
ببحيرتها مع شدة اتساعها وكتب اليه صاحب الشام يخبره ان وادى السماوة انقطعت جريته تلك الليلة
وكتب اليه صاحب الرى ان بحيرة ساوه غاضت تلك الليلة اليس ذلك سببا للاعتبار وباعثا على الاستخبار
فلذلك استخبر كسرى عن موجب هذه الامور قال بعضهم خمود نار فارس تلك الليلة يحتمل امرين احدهما
ان الله تعالى انساهم ايقادها على ما جرت به عادتهم وثانيهما انهم القوا الحطب على عادتهم فخمدت ولم تتوقد فان
كان الاول فالمعنى ان الله سبحانه كف قدرتهم عن ذلك مع شدة حرصهم كما كف سبحانه طبع الماء عن ان يجرى
تلك الليلة وكان كف قدرة ذوى القدرة عن التصرف فى مرادهم وكف ذوات الطباع عن طباعها ابهر
معجزة واظهر دلالة وان كان الثانى فالمعنى ان الله تعالى كف طباعها عن الوقود فيما التى فيها كما كف طبع الماء
سوا انتهى واقول ايضا فى ابقائها خامدة دون ان تكون هامدة اعظم دلالة على ذلك حيث كانت باقية
صالحة للوقود ولم تتقد بخلاف ما لو خمدت بالكلية فيكون فيه عذر ما عن عدم الوقود فسبحان القادر على كل
شئ فان الله تعالى اراد اطفاء نارهم واغام نور الذى ملاء مشارق الارض ومغاربها وفى البيت المقابلة للملحة
بالطباق بين النار والنهر والاستعارة فى خامدة الانفاس وساهرة العين والمرشحة فى من اسف ومن سدم و
مراعات النظير بين خامدة الانفاس وساهرة العين وبين الاسف والسدم والتكميل فى من اسف ومن سدم

وسآء ساوة ان غاضت بحيرتها ورد واردها بالغيظ حين ظمى

ساء احزن ضد سر من باب قال والاسم السوء بالضم وساوة بالفتح مفعول ساء والفاعل ما بعده من ان
المصدرية ومعمولها واعربها الزركشى فاعل ساء وان غاضت للمفعول قال واسناد الفعل اليها اما بالاستعارة
او بتقدير مضاف اى اهلها على القولين فى قوله تعالى واسئل القرية واعربه ينافيه تفسيره ساء باحزن وعدم صلاحيته
للمعنى لما لا يخفى اذ ساوه لا يحزن غيض بحيرتها بل الغيض احزنها وساوه مدينة بين الرى وهمدان من مدنهم
والبحيرة بقربها منسوبة اليها وكان على شاطى البحيرة المذكورة ديور وقرى معمورة معمورة بالكفر فخربت لغيض
البحيرة وان مصدرية وغاضت مسبوكة معها بالمصدر والتاء للتانيث بحيرتها تصغير بحرة تانيث بحر
للماء المستبحر المجتمع بكثرة فالتصغير للتعظيم فغيضها اى غورها فيها من الماء فى تلك الليلة من الاحارات
التى سوء ساوه يقال غاض الماء قل ونضب وبابه باع وضده فاض ورد واردها بالبناء للمفعول عطف

على

على غاضت او على ساء ووجد فى نسخة المص فتح الواو من رد على انه مصدر صريح معطوف على المصدر المنسبك
واجاز الزركشى كونه فعلا ماضيا مبنيا للفاعل وهو ضمير يعود على المصدر اى وواردها على ذلك مفعوله
والتقدير ورد الغيض واردها بالغيظ والوارد المتقدم لطلب الماء ضد الصادر عن الماء والغيظ بالظاء
المشالة غضب كامن للعاجز تقول غاظه من باب باع فهو مغيظ ولا يقال اغاظه ولا يخفى مناسبة استعماله
هنا وحين ظرف لما قبله وظمى بالظاء المشالة من الظما وهو شدة العطش واصله الهمزة سهل للضرورة كسراب
بقيعة يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده وفى البيت الجناس اللاحق والمذيل
فى ساء ساوه والمشتق بين رد واردها واللفظى بين غاضت والغيظ ويجوز جعله من اللاحق والمجاز
فى غاضت بحيرتها ومراعات النظير بين غاضت بحيرتها ورد واردها حين ظمى.

كأن بالنار ما بالماء من بلل حزنا وبالماء ما بالنار من ضرم

كأن للتشبيه وبالنار خبر مقدم وما اسم موصول بمعنى الذى اسمها بالماء والماء جوهر لطيف سيال مروى
والهمزة فيه مبدلة من الهاء فى موضع اللام واصله موه لتصغيره على مويه وجمعه مياه وامواه وينسب اليه باعتبار
اصله ولفظه فيقال ماوى ومائى من بلل من للبيان والبلل الندى والبلة بالكسر واحده او يسيره وحزنا مفعول
له او حال وكأن بالماء ما بالنار من ضرم اى التهاب من ضرمت النار من باب طرب التهب واضرمها غيرها وضرمها
شدد للمبالغة اى حزنا حذف من الثانى لدلالة الاول عليه واللام فى الماء والنار للعهد واعراب الجملة الثانية على
وزان الاولى والمعنى لما خمدت النار وبردت عن طبعها وغاض الماء فالتهب لغيظه فى تخوم الارض كان كل واحد
منهما استعار من الاخر شيئا فصار بلل الماء وبرودته فى النار وحرارة النار وتضرمها فى الماء مع ما بينهما من شدة
التنافى والتضاد فدل ذلك على امر عظيم يظهر للعباد لا ينكره الا اهل الزيغ والعناد وفى البيت المقابلة
بين الماء والنار والتشبيه والتذييل والمجاز

والجن تهتف والانوار ساطعة والحق يظهر من معنى ومن كلم

والجن مبتدا ضد الانس الواحد جنى قيل سميت بذلك لانها تتقى ولا ترى وهذه المادة تنبى غالبا عن الستر قال
القاضى البيضاوى والجن اجسام عاقلة خفية تغلب عليهم النارية او الهوائية وقيل نوع من الارواح المجردة
وقيل نفوس بشرية مفارقة عن ابدانها وقوله تغلب عليهم النارية يشير بذلك الى انهم ليسوا من النار الصرف كما
ان الانسان ليس من التراب الخالص كما قاله فى سورة الصافات واجاب فى سورة البقرة عما روت عايشة رضى الله عنها
انه عليه السلام قال خلقت الملائكة من نور وخلق الجن من مارج من نار بانه كالتمثيل لما ذكرت فان المراد بالنور
الجوهر المضى والنار كذلك غير ان ضوءها مكدر مغمور بالدخان محذور عنه بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة والاحراق
فاذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور ومتى نكصت عادت الحالة الاولى ولا تزال تتزايد حتى ينطفى
نورها ويبقى الدخان الصرف وهذا اشبه بالصواب واوفق للجمع بين النصوص والعلم عند الله تعالى انتهى تهتف
بالكسر هنا فابكسر الهاء من باب نصر اى تصيح ومنه الهاتف وهو الصارخ يطلق ويراد به الذى يسمع صوته ولا يرى
شخصه والجملة الفعلية فى موضع رفع على الخبرية والاتيان بها لقصد التجدد والتنويع والاسمية فى موضع نصب

على الحالية اى جرت تلك الاشيا فى مولده والحال ان الجن تهتف وكذا حكم الجمل بعدها وذلك بسبب مولده صلى الله عليه وسلم وقد توالت الهواتف بالاعلام بنبوته قبل مولده وعنده وبعده وتواترت بها الاخبار من الاخيار و امتلأت بذلك بحور الاشعار من ذلك ما تواتر عند الاخباريين انه لما ولد صلى الله عليه وسلم هتف هاتف من الجن على جبل الحجون **يقول**

فاقسم ما انثى من الناس انجبت ٭ ولا ولدت انثى من الناس واحده
كما ولدت زهرية ذات مفخر ٭ مجنبة لوم القبايل ما جده

وهتف آخر على ابى قبيس **فقال**

يا ساكنى البطحاء لا تغلطوا ٭ وميزوا الامر بعقل مضى
اخت بنى زهرة من سركم ٭ فى غابر الامر وعند البدى
واحدة منكم فهاتوا لنا ٭ فيما مضى فى الناس او ما بقى
واحدة من غيركم مثلها ٭ جنينها مثل بالشئ النقى

والاخبار فى ذلك كثيرة والاثار مذكورة شهيرة **ومن ذلك** قصة سواد بن قارب وذلك ما رواه اهل السير من حديث محمد بن كعب القرضى **قال** بينما عمر بن الخطاب رضى الله عنه جالسا اذ مر به رجل فقيل يا امير المؤمنين هذا سواد بن قارب الذى اتاه رييه بظهور النبى صلى الله عليه وسلم فقال له عمر انت سواد بن قارب قال نعم قال انت على ما كنت عليه من الكهانة فغضب فقال عمر سبحان الله ما كنا عليه من الشرك اعظم مما كنت عليه فاخبرنى باتيانك رييك بظهور النبى صلى الله عليه وسلم قال بينما انا ذات ليلة بين النايم واليقظان اذ اتانى فضربنى برجله وقال قم يا سواد بن قارب واسمع مقالتى واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول من لوى بن غالب يدعو الى الله والى عبادته ثم انشاء **يقول**

عجبت للجن وطلابها ٭ وشدها العيس باقتابها
تهوى الى مكة تبغى الهدى ٭ ما صادق الجن ككذابها
فارحل الى الصفوة من هاشم ٭ ليس قداماها كاذنابها

قلت دعنى انام فانى امسيت ناعسا فلما كانت الليلة الثانية اتانى فضربنى برجله وقال قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتى واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول من لوى ابن غالب يدعو الى الله والى عبادته ثم انشاء **يقول**

عجبت للجن وتخبارها ٭ وشدها العيس باكوارها
تهوى الى مكة تبغى الهدى ٭ ما مؤمن الجن ككفارها
فارحل الى الصفوة من هاشم ٭ بين روابيها واحجارها

قلت دعنى انام فانى امسيت ناعسا فلما كانت الليلة الثالثة اتانى فضربنى برجله وقال قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتى واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول من لوى بن غالب يدعو الى الله والى عبادته ثم انشاء **يقول**

عجبت للجن وتجساسها ٭ وشدها العيس باحلاسها

تهوى

تهوى الى مكة تبغى الهدى ٭ ما خير الجن كانجاسها
فارحل الى الصفوة من هاشم ٭ واسم بعينك الى راسها

قال فرحلت ناقتى واتيت المدينة واذا برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حوله فانشات اقول

اتانى نجيى بين هدو ورقدة ٭ ولم اك فيما قد تلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة ٭ اتاك رسول من لوى بن غالب
فشمرت عن ذيلى الازار ووسطت ٭ بى الذعلب الوجنا بين السباسب
فاشهد ان الله لا رب غيره ٭ وانك مامون على كل غايب
وكن لى شفيعا يوم لا ذو شفاعة ٭ بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

وفى رواية غيره بعد قوله وانك مامون على كل غايب

وانك ادنى المرسلين وسيلة ٭ من الله يا ابن الاكرمين الاطايب
فمرنا بما يأتيك من وحى ربنا ٭ وان كان فيما جيت شيب الذوايب

قال ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بمقالتى قال فوثب عمر بن الخطاب والتزمه وقال كنت اشتهى ان اسمع هذا الحديث منك فهل يأتيك اليوم قال اما منذ قرات القران فلا الذعلب بمعجمة مكسورة فمهملة ساكنة فلام مكسورة نحو جدع الناقة السريعة والوجنا الناقة الشديدة شبهت بالوجين وهو العارض من الارض مرتفعا قليلا وهو غليظ اصلابها وغلظها وقال قوم هى العريضة الوجنتين والسباسب بمهملتين نحو حديتى المفازه والفتيل ما يكون مثل الخيط فى شق النواه منصوب على المفعولية المطلقة **تتمة** اهل السنة على وجود الجن وانكار المعتزلة وجودهم فيه مخالفة الكتاب والسنة والاجماع بل الزموا به كفر المنكر لمخالفته وتكذيبه النصوص القطعية ولذلك قال بعض المالكية الصواب كفر من انكر وجودهم لانه جحد نص القران والسنن المتواتره والاجماع الضرورى وهم مكلفون قطعا ومن ثم وعدوا بمغفرة الذنوب والاجاره من عذاب اليم فى الاية التى فى الستوكل وتوعدوا بالعقاب ولا ينذر الا المكلف **واختلفوا** اهل هم اولاد ابليس او اولاد جان وفى ان ابليس هل هو من الجن او الملائكة وفى ان المطيع منهم هل يدخل الجنة او ينجى من النار وبعضهم ذكر الخلاف على غير هذا الوجه فقال من قال هم من ولد ابليس فله فى دخول الجنة قولان وجه الاول طاعتهم ووجه الثانى تبعتهم لابيهم ومن قال انهم من اولاد الجان فالمطيع منهم يدخل الجنة من غير خلاف بين اصحاب هذا المذهب وظواهر الآى يقتضى دخولهم واستدل له ابو حنيفة ايضا بقوله تعالى لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فلولا انهم يدخلون الجنة لما نفى طمثهم كالانس الابكار وايضا فقد اتفقنا على تكليفهم فيكون الواجب عليهم كالواجب علينا وهو ما فيه ثواب ولا ثواب فى الاخرة الا الجنة وقيل بالوقف وهو بعيد اذ لا موجب له مع شهادة النصوص بدخولهم الجنة ومن انكر هذا لا يكفر لانه لم يقم بخصوصه قاطع وقد اطنب العلماء الكلام على احوال الجن من جهة مناكحتهم واكلهم وما يتعلق بهم من الاحكام ولسنا بصددهم فليطلب الكلام من محله **والانوار** فى تلك الليلة **ساطعة**

اى ظاهرة مرتفعة من سطع الصبح اذا ارتفع وهو اشارة الى الاحاديث الواردة فى ذلك منها ما اخرجه احمد
والبزار والطبرانى والحاكم والبيهقى عن العرباض بن سارية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى عبد الله
وخاتم النبيين وان آدم منجدل فى طينته وساخبركم عن ذلك دعوة ابرهيم وبشارة عيسى ورؤيا امى التى
رأت وكذلك امهات الانبيا يرين وان ام رسول الله صلى الله عليه وسلم رأت حين وضعته نورا اضاءت له قصور
الشام قال الحافظ ابن حجر صححه ابن حبان والحاكم واخرج ابو نعيم عن عطاء بن يسار عن ام سلمة عن امنة قالت كان
جمع من فرجى شهاب اضاءت الارض حتى رايت قصور الشام وعن همام بن يحيى عن اسحاق بن عبد الله ان ام
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لما ولدته خرج من فرجى نور اضاء له قصور الشام فولدته نظيفا مابه قذر
رواه ابن سعد والى هذا اشار العباس بن عبد المطلب فى شعره حيث قال

• وانت لما ولدت اشرقت الا • رض وضأت بنورك الافق •
• فنحن فى ذلك الضياء وفى ا • لنور وسبل الرشاد نخترق •

واخرج ابو نعيم عن عبد الرحمن بن عوف عن امه الشفا قالت لما ولدت امنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع
على يدى فاستهل فسمعت قائلا يقول رحمك الله قالت الشفا واضاء لى ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت
الى بعض قصور الروم قال فى اللطايف وخروج هذا النور عند وضعه اشارة الى ما يجى به من النور الذى
اهتدى به اهل الارض وزال به ظلمة الشرك كما قال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله
من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه الايه واما اضاءت قصور بصرى
بالنور الذى خرج منه فهو اشارة الى ما خص الشام من نور نبوته فانها دار ملكه كما ذكر كعب ان فى الكتب السابقة
محمد رسول الله مولده بمكة ومهاجره يثرب وملكه بالشام فمن مكة بدت نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم والى
الشام انتهى ملكه باعتبار سبقه اليها دون غيرها ولهذا اسرى به صلى الله عليه وسلم الى الشام كما هاجر قبله
ابراهيم الى الشام وبها ينزل عيسى بن مريم وهى ارض المحشر والمنشر وخرج احمد وابو داود وابن حبان والحاكم
فى صحيحها عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال عليكم بالشام فانها خيرة الله من ارضه يجتبى اليها خيرته من
عباده انتهى ملخصا ولا تنافى بين رواية امنة النور الذى رأته عند ولادته والنور الذى رأته عند حمله لتعدد الواقعة
واختلاف زمانها **والحق** وهو امر النبى صلى الله عليه وسلم من مولده وبعثته وسماه حقا لظهور حقيته ولذلك
جاء به معرفا باللام **يظهر من معنى** قارن ولادته من الايات الظاهرة والدلالات الباهرة **ومن كلم** اخبر به قبل
تقدم وقيل المراد بالمعنى ولادته وبالكلم رسالته فظهر الحق الذى دل على ذلك من ولادته اولا ظهور الدلالات الدالة
على ذلك عند ولادته وثانيا عند رسالته بظهور المعجزات الذى من اعظمها القران العظيم وفى البيت المقابلة بين
الجن والانوار ومراعات النظير بين الجن وتهتف والانوار وساطعة وبين المعنى والكلم وبين ساطعة ويظهر

عموا وصموا فاعلان البشاير لم • تسمع وبارقة الانذار لم تشم

عموا بتخفيف الميم واصله عميوا من باب صدى استثقلت الضمة على اليا فنقلت الى ما قبلها وحذفت اليا
لالتقاء الساكنين والعمى عدم البصر عما من شأنه ان يبصر وقد يقال لعدم البصيرة وقولهم ما اعماه اغا يراد به

ماعى

ما اعمى قلبه ولا يقال فى عمى العيون ما اعماه **وصموا** من الصمم واصله الصلو به من اكتناز الاجزا ومنه قيل حجر اصم
وقناة صما وصمام القارورة سمى به فقدان حاسة السمع لان سببه ان يكون باطن السماخ مكتنزا لا تجويف
فيه فيشتمل على هواء يسمع الصوت بتموجه والضمير للكفار الدال عليهم المقام من سياق الكلام وسباقه واطلاق العمى
والصمم عليهم على سبيل التمثيل فانهم لما سدوا اسماعهم عن الاصاخة الى الحق وابوا ان يتبصروا الايات بابصارهم
جعلوا كانما انفت مشاعرهم وانتفت قواهم كقول قعنب

• ان يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا • منى وما سمعوا من صالح دفنوا •
• صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به • وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا •

والمعنى عموا عن مشاهدة تلك المعانى وصموا عن سماع تلك الكلمات فانكروا نبوة النبى المصطفى الامين وجحدوا
بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ذكرت هنا ما كنت كتبت به سنة
الف من الهجرة للامام الكبير والعالم الشهير مفيد الاحكام مفتى الانام اكمل المتاخرين ابى عبد الله شمس الدين محمد
ابن عبد الله التمرتاشى مفتى غزة رحمة الله تعالى ما صورته

• وجه الزمان بضوء شمسك ينور • وبنور علمك اهله تتنور •
• وبفضلك السامى وفضلك صرت فى • اوج العلاء ولكل فضل مظهر •
• وعلى كمالك اهله قد عولوا • والى مراك السابقون تاخروا •
• ولقطرنا شرف وانت حللته • يا شمس فضل فضله لا ينكر •
• دم رحله حطت ببابك ذو النهى • من بعد ما ضربوا البطون وضمروا •
• وترى القوافل بالقوافى فى السرى • تحدو المطى بعد حكم وتسير •
• اشكو زمانا حط رحل مطيتى • عن بابكم لكنها تستغفر •
• وجعلت مدحى فيك قصد اصغرتها • تأتى لبابك بالمفاخر تفخر •
• ورجوت منك كتابة قد طرزت • ببديع لفظ بالفضايل تزهر •
• يا عالما تاتى المسايل نحوه • تلقى اليه عنانها تستخبر •
• فيمد يد الفكر نحو غويصها • يستخرج الاشكال ثم يقرر •
• اوضح بحقك مشكلا فى قوله • سبحانه وهو العلى الاكبر •
• فاصمهم ربى واعمى منهم • ابصارهم ابدا فلم يستبصروا •
• لم ذا اتى فى الجملتين مخالفا • من غير اذان فغضلوا حرروا •
• اوكانت الابصار خرت جرتى • فيقال اعماهم فغنى ذا اضروا •
• لا زلت كشاف المعاضل مفردا • وعدا مصنفه لشانيك يقصر •
• فى الدهر ما هلت سحايب فكرة • والفضل من راحاتكم يستمطر •

فارسل رحمه الله الجواب بما صورته

حمد لمن انعامه لا يحصر * فهو العليم مهيمن ومصور
اهلا بما اهدى اللبيب النير * من للمعارف والعوارف يحصر
اهلا بها بلغت الى اعلا العلا * لو سامها قس غدا يتحير
او شاهدت عين الخليل عروضها * امسى بحسن ضروبها يتحير
ودرى واتقن ان ناظم درها * من ابلغ البلغاء فيما يسطر
او لو رآها صاحب المفتاح لم * يفتح عليه من البلاغة منور
قد انبأت عن فضلكم وعلومكم * في كل فن لم تزل تتبحر
لا غرو وبما قد حويت من العلا * اذ انت من قوم سراة تفخر
ولانت اشرف مخرج من فتية * طابت شمايلهم وطاب العنصر
ولقد جمعت الحفظ مع حسن الذكا * فذكا بنور ذكايكم يتنور
ولانت مصباح المعاني مفردا * ولذا مصنف لصنعتك يشكر
ولقد سالت وانت احسن سايل * للمشكلات محرر ومقرر
عن قول مولانا العلي الاكبر * في محكم التنزيل نعم المخبر
فاصمهم ربي واعمى منهم * ابصارهم ابدا فلم يستبصروا
لم ذا اتى في الجملتين مخالفا * من غير اذان فضلا حرروا
او كانت الابصار من تحجرت * فيقال اعماهم فمن ذا خبروا
هاك الجواب محررا ومنقحا * ولسؤالك العالي العلي يقرر
قالوا بان العين لو قلعت فلا * يبقى اثر بعواتها هو مبصر
بخلاف اذن يا وحيد زمانه * لا زلت تحوي المشكلات وتدخر
وبه تجلى السر في كليتها * وبذلك الفرق الدقيق النير
ولقد اجاد الفخر في تفسيره * وابان هذا الشان فيما يزبر
فارجع اليه تجد جواهر لفظه * في علم التفسير حقا ينشر
ومحمد الغزي ناظم عقدها * في ارض غزة عاجز ومقصر

والفاء في قوله **فاعلان البشاير** للدلالة على ان اتصافهم بالحالتين السابقتين سبب لعدم ما بعدهما من السمع والشم والاعلان مصدر اعلن الامر اي اظهره وهو ضد السر يجرده علن من باب دخل وطرب والبشاير جمع بشارة بمعنى مبشرة ما يستبشر به والبشارة الخبر السار فانه يظهر اثر السرور في البشرة ولذلك قال الفقها البشارة هو الخبر الاول حتى لو قال الرجل لعبيده من بشرني بقدوم ولدي فهو حر فاخبروه فرادى عتق اولهم ولو قال من اخبرني عتقوا جميعهم واما قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم فعلى التهكم او على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع واعلان مبتدا وجملة **لم تسمع** في محل رفع على الخبرية وكذا **وبارقة الانذار لم تشم** وتانيث الخبر لتانيث

المضاف

المضاف اليه اولا والمضاف ثانيا والبارقة تأنيث البارق سحاب ذو برق والانذار مصدر انذر بالمعجمة اي الابلاغ ولا يكون الا في التخويف ولم تشم بضم اوله والشين المعجمة اي لم تنظر لعدم التفاتهم اليها كما ان اعلان البشاير لم تسمع لعدم قبولهم لها يعني انهم لعنادهم وفرط استكبارهم عمن لم يوت فيهم البشاير ترغيبا فلم يسمعوها ولا الانذار ترهيبا فلم يلتفتوا اليه سواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم واضافة الاعلان الى البشاير من اضافة الصفة الى الموصوف اي البشاير المعلنة واظهارها تنبيها على عمومها واتضاحها لكل احد حتى لم يختص بها فرد دون آخر ولم تخف على احد فيكون له عذر ما واضافة بارقة الى الانذار تنبيها على شدة الانذار واشارة الى قوله تعالى او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يكاد البرق يخطف ابصارهم الايات لان الله تعالى جعل لهم السمع والابصار ليتوصلوا بهما الى الهدى والفلاح ثم انهم صرفوهما الى الحظوظ العاجلة وسدوهما عن الفوايد الاجلة ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التي يجعلونها فانه على كل شيء قدير ولكنه ابقاها لهم اقامة للحجة عليهم وقطعا لاعذارهم الواهية والبشاير اشارة الى الانوار وما شاكلها والانذار الى الانصداع وما شاكله وفي البيت الطباق بين البشاير والانذار وبين عموا صموا وتسمع وتشم مع مراعات النظير بينها وبين الاعلان والبشاير والبارقة والانذار

مِنْ بَعْدِ مَا أَخْبَرَ الأَقْوَامَ كَاهِنُهُمْ * بِأَنَّ دِينَهُمُ المُعْوَجَّ لَمْ يَقُمِ

من بعد متعلق بقوله عموا وصموا **وما** مصدرية **واخبر** من الافعال المتعدية الى مفعولين احدهما بنفسه والآخر بحرف الجر وهو الكثير الشايع كما استعمله الناظم هنا وقد يتعدى الى المفعولين بنفسه **والاقوام** مفعوله الاول قدم وجوبا على فاعله وهو **كاهنهم** لاشتماله على ضمير المفعول وهو مفرد مضاف فيعم اي كل كاهن لهم من باب ركب القوم دوابهم والكاهن واحد الكهنة والكهان فسره الجوهري بالعراف وفرق ابن الاثير بينهما بان الكاهن من يتعاطى الاخبار عن الكاين في المستقبل ويدعي معرفة الاسرار والعراف من يتعاطى الاخبار عن الماضي وعن الشيء المسروق وعن مكان الضالة ونحو ذلك وعكس الراغب التعريف في كتاب المفردات وقال الخطابي الكهنة قوم لهم اذهان حادة ونفوس شريرة الفتهم الشياطين لما بينهم من المناسبة والعرافة نوع منها واشترط البغوي في الكهانة شيطانا يكون للكاهن وقد كانت قبل الاسلام في العرب كهنة تلقي اليهم الشياطين ما يسترقونه من السمع فيخبرون الناس به ويزيدون على ذلك من انفسهم ما يصادف بعضه ويختل بعضه فلما بعث صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين من الاستراق فبطلت الكهانة وقوله **بان دينهم** اي الذي اتخذوه من عند انفسهم ولذلك وصفه بقوله **المعوج** لانهم انحرفوا عن الدين المستقيم وسلكوا طريق الاعوجاج بدين احدثوه من جملته عبادة الاصنام عدلوا به عن طريق الهدى ودين الاسلام والمعوج اسم فاعل من اعوج الشي اعوجاجا قال في الصحاح يقال عصا معوجة ولا تقل معوجة بكسر الميم قال ابن السكيت كل ما كان منتصبا كالحايط والعود قيل فيه عوج بالفتح والعوج بالكسر ما كان في ارض او دين او معاش يقال في دينه عوج **ولم يقم** اما بفتح اليا وضم القاف اي لا قيام له او بضم اليا وفتح القاف من الاستقامة ضد الاعوجاج وهو مناسب لما قبله والبيت كالتاكيد لما ثبت قبله من عماهم وصممهم وذلك ان عادتهم وطبعهم فيما سلف اذا حدث امر من الحوادث ان يبادروا

الى كهانتهم للاستعلام عن ذلك فاذا اخبرهم بأمر عقدوا عليه الخناصر وشدوا به نطاق الاستمساك ولم يزايلهم
فى ذلك ريب الريبة فلما آن اوان مولده عليه الصلوة والسلام وظهرت تباشير ولادته واتضحت ادلة نبوته
ورسالته تواترت الاخبار من الرهبان والاحبار وتوالت العلامات على الكهان فى ساير الاقطار والبلدات
فطفقوا يخبرون بذلك ويوضحون الامور للسائل والسالك قال ابن اسحاق كانت الاحبار من اليهود و
الرهبان من النصارى والكهنة من العرب قد تحدثوا بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه لما تقارب
زمانه اما الاحبار والرهبان فلما عندهم فى كتبهم من صفته واما الكهنة فلان الشياطين كانت تسترق السمع وتاتيهم
بالاخبار فلما حضر مولده منعوا من ذلك وكانوا سمعوا بذلك وعرفوه فاخبروا به ومن ذلك ما تقدمت الاشارة
اليه من قصة كسرى وانه لما ارتجس الايوان وخمدت النيران وسقطت الشرفات وغارت المياه بعد ان كانت
جاريات ورأى الموبذان حيث قال رأيت رؤيا هالتنى قال وما هى قال رأيت ابلا صعابا تقود خيلا عرابا
حتى اقتحمت دجلة وانتشرت فى بلادنا قال فما عندك فى تاويلها قال ما عندى شئ ولكن ارسل الى عاملك
بالحيرة يعنى النعمان وكان عاملا عليها من جهة كسرى وواليا على العرب يوجه من علمائهم فانهم اصحاب
علم بالحدثان فارسل اليه فوجه له عبد المسيح بن عمرو بن حيان الغسانى فسأله عن ذلك كله وفى رواية قال انى
رأيت رؤيا فان اخبرتنى بها فعند علمها فقال له ما عندى فى هذا شئ ولكن جهزنى الى خال لى بالشام يقال
له سطيح وكان سطيح من اخوال عبد المسيح ولذلك ارسله كسرى فيما ذكر الطبرى الى سطيح يستخبره علم ذلك و
يستعبره رؤيا الموبذان فقدم عليه وقد اشفى على الموت فسلم عليه فلم يحر عليه سطيح جوابا فانشأ عبد المسيح يقول

اصم ام يسمع غطريف اليمن ٭ ام فاد فازلم به شأو العنن ٭ يا فاصل الخطة اعيت من ومن ٭
اتاك شيخ الحى من آل سنن ٭ وامه من آل ذئب بن حجن ٭ ابيض فضفاض الرداء والبدن ٭
رسول قيل العجم يسرى للوسن ٭ لا يرهب الرعد ولا ريب الزمن ٭ تجوب بى الارض علنداة شزن ٭
يرفعنى وجن ويهوى بى وجن ٭ حتى اتى عارى الجآجئ والقطن ٭ تلفه فى الريح بوغاء الدمن ٭
كانما حثحث من حضنى ثكن

ثكن اسم جبل فلما سمع سطيح شعره رفع رأسه فقال عبد المسيح على جمل يسيح جاء الى
سطيح حين اوفى على الضريح بعثك ملك بنى ساسان لارتجاس الايوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى
ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها عبد المسيح اذا كثرت التلاوة وظهر صاحب
الهراوة وخمدت نار فارس وغارت بحيرة ساوة وفاض وادى السماوة فليست الشام لسطيح شاما يملك منهم
ملوك وملكات على عدد الشرفات وكل ما هو آت آت ثم قضى سطيح مكانه قول عبد المسيح فى ابياته فاد معناه
مات تقول منه فاد يفود وازلم به معناه قبض وقوله شاو العنن يريد به الموت وما عن منه قاله الخطابى ومراد
سطيح بصاحب الهراوة هو نبينا صلى الله عليه وسلم وسمى صلى الله عليه وسلم بذلك لانه كان يمسك القضيب
كثيرا وكان يمشى بين يديه بالعصا ليصل اليها قال القاضى واراها العصا المذكورة فى حديث الحوض اذود الناس
عنه بعصاى لاهل اليمن اى لاجلهم ليتقدموا وقيل القضيب هو السيف كما فى الانجيل فهو صلى الله عليه وسلم يحمى بها
الاخيار والسيف يبيد به الاشرار وسر الاربع عشر شرافة الاشارة الى انه لم يبق من ملوكهم الا اربع عشر ملكا ووك

انه

انه لما فسر ذلك لكسرى قال الى ان يبيد اربع عشر ملكا تتحمل مددا مستطيلة فباد منهم عشرة فى اربع سنين
والباقى كان آخرهم فى زمن عثمان رضى الله عنه كما قررنا ذلك وسطيح هذا قد عمر دهرا طويلا كما ذكره ابن اسحق
حتى جاء به ربيعة بن النضر فى حديثه ورؤياه وادرك مولد النبى صلى الله عليه وسلم كما ذكرناه وكان سطيح
جسدا ملقى لا جوارح له فيما يذكرون ولا يقدر على الجلوس الا اذا غضب انتفخ فجلس وكان يعاصر فى الكهانة
شق وكان شق شق انسان فيما يذكرون انما له يد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة ويذكر عن وهب
ابن منبه انه قيل لسطيح انى لك هذا العلم فقال لى صاحب من الجن استمع اخبار السما من طور سينا حين كلم
الله موسى نبيه فهو يودى الى من ذلك ما يؤديه وولد سطيح وشق فى اليوم الذى ماتت فيه طريفة الكاهنة
امراة عمرو بن عامر وهى بنت الخر الحميرية ودعت بسطيح قبل ان تموت فاتيت به فتفلت فى فيه واخبرت انه
سيخلفها فى علمها وكهانتها وكان وجهه فى صدره ولم يكن له رأس ولا عنق ودعت بشق ففعلت
به مثل ما فعلت بسطيح ثم ماتت وقبرها بالجحفة ومن ذلك حديث الغيطلة الكاهنة وهى من بنى مرة من عبد
مناف من كنانة اخى مدلج وهى ام الغياطل ومن ذلك لما انكرت ثقيف المرمى بالنجوم وما قاله عمرو بن امية
وانهم اجتمعوا الى كاهن يقال له خطر فبين لهم الخبر وما حدث من امر النبوة كما ذكره اهل السير وروى ابو جعفر
العقيلى فى كتاب الصحابة عن رجل من بنى لهب يقال له لهيب قال لهيب حضرت مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فذكرت عنده الكهانة فقلت بابى انت وامى نحن اول من عرف حراسة السماء وزجر الشياطين
ومنعهم من استراق السمع عند قذف النجوم وذلك انا اجتمعنا الى كاهن لنا يقال له خطر بن مالك وكان
شيخا كبيرا قد اتت عليه مائتان سنة وثمانون سنة وكان من اعلم كهاننا فقلنا يا خطر هل عندك علم من
هذه النجوم التى يرمى بها فانا قد فزعنا لها وخشينا سوء عاقبتها فقال عودوا الى السحر ايتونى بسحر اخبركم
الخبر الخير ام ضرر او لامن او حذر قال فانصرفنا عنه يومنا فلما كان من غد فى وجه السحر اتيناه فاذا هو قايم
على قدميه شاخص فى السما بعينيه ناديناه يا خطر يا خطر فاومى الينا ان امسكوا فانقض نجم عظيم من السماء
وصرخ الكاهن رافعا صوته اصابه اصابه خامره عقابه عاجله عذابه احرقه شهابه زايله جوابه يا ويله ما حاله
بلبله بلباله عاوده خباله تقطعت حباله وغيرت احواله ثم امسك طويلا وهو يقول يا معشر بنى قحطان
اخبركم بالحق والبيان اقسمت بالكعبة والاركان والبلد المؤتمن السدان قد منع السمع عتاة الجان
بثاقب بكف ذى سلطان من اجل مبعوث عظيم الشان يبعث بالتنزيل والقرآن وبالهدى وفاصل الفرقان
تبطل به عبادة الاوثان قال فقلنا ويحك يا خطر انك لتذكر امرا عظيما فماذا ترى لقومك فقال

ارى لقومى ما ارى لنفسى ٭ ان يتبعوا خير بنى الانس ٭
برهانه مثل شعاع الشمس ٭ يبعث فى مكة دار الحمس ٭

بحكم التنزيل غير اللبس فقلنا له يا خطر ومن هو فقال والحياة والعيش انه لمن قريش ما فى حكمه طيش
ولا فى خلقه هيش يكون فى جيش واى جيش من آل قحطان وآل ايش فقلنا له بين لنا من اى قريش
فقال والبيت ذى الدعائم والركن والاحائم انه لمن نجل هاشم من معشر اكارم يبعث بالملاحم وقتل كل ظالم

وقال هذا هو البيان اخبرني به رئيس الجان ثم قال الله اكبر جاء الحق وظهر وانقطع عن الجن الخبر ثم سكت
واغمي عليه فما افاق الا بعد ثالثة فقال لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد نطق عن مثل نبوة و
انه ليبعث يوم القيمة امة وحده وقوله اصابه اصابه الاولى فعل ماض واصابه بكسر الهمزة فاعل وقيل الهمزة
بدل من واو مكسورة كما في اشاح بدل من وشاح والمعنى اصابه وصابه جمع وصب مثل جمل وجمال واراد
بال قحطان الانصار لانهم من قحطان واما آل ابش المعطوفون عليهم فقيل هم قبيلة من الجن المؤمنين
منسوبون الى ايش وقيل ان ايش كناية عن التعظيم في معنى اي شي على الحذف لكثرة الاستعمال والاحايم في قوله
والركن والاحايم اصله الاحاوم قلبت ياء لانكسارها والاحاوم جمع احوام والاحوام جمع حوم وهو الماء
في البئر فكانه اراد ماء زمزم او ورادها جمع حوم وهو الابل الكثيرة التي ترد الماء فعنى بها واراد وارد ها
ويجوز ان يريد بها حمام مكة التي تحوم على الماء فيكون بمعنى الحوايم وقلب اللفظ فصار بعد فواعل فاعل والله اعلم
والايات والعلامات في ذلك اكثر من ان تذكر واشهر من ان تنشر **تتمه** في الحديث الذي رواه ابن اسحق
ما يقتضي انقطاع الكهانة فانه قال وقد انقطعت بالكهانة اليوم فلا كهانة قال السهيلي يدل قوله اليوم
على تخصيص ذلك الزمان كما قدمناه والذي انقطع اليوم والى يوم القيمة ان تدرك الشياطين ما كانت
تدركه في الجاهلية الجهلا وعند تمكنها من سماع اخبار السما وما وجد اليوم من كلام الجن على السنة
المجانين انما هو خبر منهم عما يرونه في الارض مما لا نراه نحن كسرقة سارق وخبية في مكان خفي
ونحو ذلك وان اخبروا بما سيكون كان تحدثا وتظننا فيصيبون قليلا ويخطئون كثيرا وذلك
القليل الذي يصيبون فيه هو مما تتكلم به الملائكة في العنان كما في حديث البخاري فيطردون بالنجوم
فيضيفون الى الكلمة الواحدة اكثر من مائة كذبة كما قال عليه السلام في الحديث الذي قدمناه
والحديث الذي قدمه انه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكهانة فقال ليسوا بشيء فقالوا انهم
يتكلمون بالكلمة فتكون كما قالوا فقال تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه قر
الزجاجة فيخالطها اكثر من مائة كذبة وقال السهيلي قبل هذا الحديث وان وجد اليوم كاهن
فلا يدفع ذلك بما اخبر الله من طرد الشياطين عن استراق السمع فان ذلك التغليظ والتشديد
كان زمن النبوة ثم ثبت اعني استراق السمع بقية ما يبين بدليل وجودهم على الندور في بعض
الازمنة وفي البيت الطباق بين المعوج ويقم والجناس اللاحق بين الاقوام ويقم

وبعد ما عاينوا في الافق من شهب منقضة وفق ما في الارض من صنم

وبعد معطوفة على بعد قبلها متعلق بما تعلقت به فيكون محلها اما النصب على محل بعد او الجر على لفظها
وما اما موصولة والعائد محذوف ومصدرية وعاينوا من المعاينة والعيان وهو الرؤية
بالعين وفي الافق متعلق بعاينوا ويجوز ان يكون متعلقا بمنقضة ومن شهب متعلق بعاينوا
ومن للبيان ومنقضة نعت شهب ووفق بالجر صفة شهب وبالنصب اما على الحال من شهب
لوصفها بمنقضة واما على نزع الخافض وما في ما في الارض اما موصولة او موصوفة ومن صنم

بيانه

بيان لما في الارض والافق بضم الهمزة وسكون الفا هنا ويجوز ضمها كما تقدم نظيره ذلك غير مرة واحد
الافاق وهي النواحي ورجل افقي بفتح الهمزة والفا اذا كانت من افاق الارض وبعضهم يقول افقي بضمها
وهو القياس والمراد بالافق جانب السما المتصل بالارض في راي العين والمراد به هنا في البيت ناحية
السما مطلقا والشهب جمع شهاب وهو شعلة نار ساطعة وقال الاخفش يجمع على شهبان كحساب
وحسبان والمراد به هنا ما يرسله الله تعالى على الشياطين لاحراقهم عند استراقهم السمع من الملائكة
عند ما ينطقون بما يحدث الله في العالم كما سنقرره ومنقضة اسم مفعول من الانقضاض يقال
انقض الكوكب اذا هوى والوفق من الموافقة بين الشيئين كالالتحام يقال حلوبته وفق عياله اي لها لبن
قدر كفايتهم لا فضل فيه والصنم واحد الاصنام قيل معرب شمن وهو الوثن وقيل الصنم ما كان مصورا
من صفر او نحوه والوثن ما كان من غير صورة وقال السهيلي في الروض الانف يقال لكل صنم من حجر او غيره
صنم ولا يقال وثن الا لما كان من صخرة كالنحاس ونحوه وقد اشتمل البيت على خبرين متوافقين
انقضاض الجن من رمي الشهب وانتكاس الاصنام من مجيء الاسلام عند مولد وبعث النبي عليه السلام
روي في ماثور الاخبار ان ابليس كان يخترق السموات قبل عيسى فلما بعث عيسى او ولد حجب عن ثلاث سموات
فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم حجب عن السموات كلها وقذفت الشياطين بالنجوم وقالت قريش حين كثر
القذف بالنجوم قامت الساعة فقال عتبة بن ربيعة انظروا الى العيوق فان كان رمي به فقد آن قيام
الساعة والا فلا وكذا ذكر صاحب الكشاف ان الشياطين كانوا لا يحجبون عن السماء الى ان ولد عيسى
فحجبوا عن ثلاث سموات ولما ولد نبينا صلى الله عليه وسلم حجبوا عن بقية السموات وقذفوا بالنجوم
واختلف العلما هل كان قبل البعث والمولد او بعدهما فذهب كثيرون الى الاول واستدلوا على ذلك
بالايات كما في قوله وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع فاتبعه شهاب
مبين وقوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد
لا يسمعون الى الملا الاعلى ويقذفون من كل جانب دحورا وكقوله تعالى انا لمسنا السماء فوجدناها
ملئت حرسا شديدا وشهبا وحديث مسلم عن ابن عباس قال بينما رسول الله صلى الله عليه
وسلم جالس في نفر من اصحابه اذ رمي بنجم فاستنار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنتم
تقولون بمثل هذا في الجاهلية اذا رايتموه قالوا كنا نقول يموت عظيم او يولد فقال
عليه السلام انه لا يرمى به لموت احد ولا لحياته ولكن ربنا تعالى اذا قضى امرا سبح حملة العرش ثم سبح
اهل السماء الذين يلونهم ثم الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح الى هذه السماء ثم سال اهل السماء
السادسة اهل السماء السابعة ماذا قال ربكم قال فيخبرونهم ثم يستخبر اهل كل سماء حتى يبلغ الخبر
اهل السماء الدنيا وتختطف الشياطين السمع فيرمون فيقذفونه الى اوليائهم فما جاءوا به على وجهه
فهو حق ولكنهم يحرفون ويكذبون ويزيدون ويدل على ذلك ايضا وجودها في اشعار الجاهلية
القدماء كعوف بن الخزع واوس بن حجر وبشر بن ابي حازم فانهم وصفوا الرمي بالنجوم ولكنه

ثم اختلفوا هل الرجم يحرق الشيطان ام يخبله على قولين والخبل يصير غولا في البراري وعلى الاحراق فطايفه وكل مسخ او بعضهم قولان

لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم غلظ وشدد كما ذكره معمر عن الزهري انه سئل عن هذا الرمي بالنجوم اكان في الجاهلية قال نعم ولكن اذ جاء الاسلام غلظ وشدد قال قيل افرايت قوله تعالى وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع قال غلظت وشدد امرها واستدل ايضا بقوله تعالى فوجدناها ملئت حرسا شديدا ولم يقل حرست فهو دليل على انه قد كان منه شيء فلما بعث صلى الله عليه وسلم ملئت حرسا شديدا وشهبا وقيل بالثاني وان النجوم لم يكن يرمى بها قبل ذلك واستدل هذا القائل بما رواه الترمذي عن ابن عباس قال كان الجن يقعدون الى السماء ويسمعون الوحي فاذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعا فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم منعوا مقاعدهم فذكروا ذلك لابليس ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك فقال ابليس ما هذا الامر قد حدث في الارض فبعث جنوده فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلي بين جبلين اراه قال بمكة فاتوه فاخبروه فقال هذا الخبر الذي حدث في الارض قال الترمذي حسن صحيح ويوافق هذا ما رواه اهل السير انه لما حيل بينهم وبين خبر السماء قالوا ان ذلك لامر حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها وانظروا ما حال بينكم وبين السماء فخرجت طائفة منهم من جن نصيبين قبل تهامة فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم بنخلة قريبة على ليلة من مكة مع اصحابه يصلي الصبح وهو يقرأ فاستمعوا له ثم قالوا هذا الذي حال بينكم وبين السماء فاسلموا وولوا الى قومهم منذرين وفي ذلك نزل قوله تعالى قل اوحي الي وقوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن وحكى النووي قولين اخرين احدهما انها كانت موجودة قبل النبوة ولكن انما كانت تقع عند حدوث امر عظيم ينزل باهل الارض كارسال رسول اليهم وعليه تأولوا قوله تعالى وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا والثاني انها كانت بينة قبل ومعلومة لكن رجم الشياطين واحراقهم لم يكن الا بعد النبوة المحمدية انتهى وقال القاضي البيضاوي في تفسير سورة والصافات والشهاب ما يرى كان كوكبا قد انقض وما قيل انه بخار يصعد الى الاثير فيشتعل فتخمين ان صح لم يناف ذلك اذ ليس فيه ما يدل على انه ينقض من الفلك ولا في قوله انا زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فان كل نير يحصل في الجو العالي فهو مصباح لاهل الارض وزينة لاهل السماء من حيث انه يرى كانه على سطحه ولا يبعد ان يصير الحادث بما ذكر في بعض الاوقات رجما للشياطين بتصعد الى قرب الفلك للسمع وما روي ان ذلك حدث بميلاد النبي صلى الله عليه وسلم ان صح فلعل المراد كثرة وقوعه او مصيره دحورا والمختلف في ان المرجوم يتاذى به فيرجع او يحترق ولكن قد يصيب الصاعد مرة وقد لا يصيب كالموج لراكب السفينة ولذلك لا يرتدعون عنه راسا ولا يقال ان الشيطان من النار فلا يحترق لانه ليس من النار الصرف كما ان الانسان ليس من التراب الخالص مع ان النار القوية اذا استولت على الضعيفة استهلكتها انتهى وهو كلام جامع موجز واما انتكاس الاصنام فكان ذلك عند مولده عليه السلام فابعده

اما الذي عند مولده كما ذكره صاحب كتاب الاعلام وغيره وهو ما روي عن عبد الله بن العلا عن يحيى بن عروة عن ابيه ان نفرا من قريش سماهم اجتمعوا ليلة مولده صلى الله عليه وسلم عند صنم لهم كانوا يعبدونه وكان ذلك اليوم اتخذوه عيدا في السنة ينحرون عنده ويأكلون ويشربون فلما دخلوا عليه وجدوه مكبوبا على وجهه فانكروا ذلك فردوه على حاله فلم يلبث ان انقلب انقلابا عنيفا فردوه على حاله فانقلب الثالثة فاغتموا لذلك وعظموه فهتف بهم هاتف يقول

تردى لمولود انارت بنوره • جميع فجاج الارض بالشرق والغرب
وخرت له الاوثان طرا وارعدت • قلوب ملوك الارض طرا من الرعب
ونار جميع الفرس باخت واظلمت • وقد بات شاه الفرس في اعظم الكرب
فيا لقصي ارجعوا عن ضلالكم • وهبوا الى الاسلام والمنزل الرحب

فلما سمعوه رجعوا الى عقولهم ورجعوا عن عبادته وخرجوا يضربون في الارض ويسالون عن دين الحنيفية دين ابراهيم واما ما بعد ذلك فمن جملته يوم الفتح كما نقله وغيرهم انه صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة دخل الكعبة وفيها ثلثمائة وستون صنما فجعل يشير اليها بقضيب في يده فتسقط ولم يمس منها شيئا وقد كانوا في الجاهلية يعبدون الاصنام والجاهلية جاهليتان الجاهلية الاولى بين ادم ونوح والجاهلية الثانية ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام وسبب اتخاذ الاصنام في الجاهلية الاولى انه كان فيهم ولاد رجال صالحون فلما ماتوا صوروا صورهم ليتذكروا بها عبادتهم واحوالهم ووضعوها في معابدهم ثم لما تطاول عليهم الامر عبدوها من دون الله تعالى والى ذلك الاشارة بقوله تعالى وقالوا لا تذرن الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا اي لا تذرن هذه خصوصا تنبيها على شدة اعتنائهم بها وتمسكهم عليها وقد انتقلت الى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وكان بدو ذلك الاتخاذ في عهد مهيائيل بن قينان فيما ذكروا وقد ذكر البخاري عن ابن عباس قال صارت الاوثان التي في قوم نوح بعد وهي اسماء قوم صالحين من قبل نوح فلما هلكوا اوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا في مجالسهم التي كانوا يجلسون بها انصابا وسموها باسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى هلك اولئك ثم عبدت وذكر الطبري هذا المعنى وزاد ان سواعا كان ابن شيث وان يغوث كان ابن سواع وكذلك يعوق ونسر كلما هلك الاول صورت صورته واعتقدوا وضعه من الدين ثم لما خلفهم الخلوف قالوا ما عظم هؤلاء اباؤنا الا انها ترزق وتنفع وتضر فاتخذوها الهة وهذه اسماء سريانية وقعت الى الهند فسموا بها اصنامهم التي زعموا انها صور الدراري السبعة وربما كلمتهم الشياطين منجوفها ففتنتهم ثم ادخلها الى العرب عمرو بن لحي كما ذكروا واطلقوا عليها تلك الاسماء والقاها الشيطان في افواههم موافقة للجاهلية الاولى وذكر ابن اسحق ان كليب بن وبرة من قضاعة من الذين اتخذوا ودا في دومة الجندل ودومة هذه بضم الدال سميت بدومي

ابن سمعيل كان ينزلها واما الاصنام التى فى الجاهلية الثانية فهى اسماء سموها ما انزل بها من سلطان
والمشهور ذلك الاشان بقوله تعالى افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى فاللات كانت لثقيف
بالطائف وقيل لقريش بنخلة قيل بالتخفيف سميت بذلك لانهم كانوا يلوون عليها اى يطوفون وقيل
بالتشديد اسم رجل كان يلت السمن والسويق ويطعم الحاج قيل هو عمرو بن لحى حين غلب خزاعة على البيت
ونفى جرهم عن مكة جعلته ربا لا يبتدع بدعة الا اتخذوها شرعة لانه كان يطعم الناس ويكسو فى الموسم
فربما نحر فى الموسم عشرة الاف بدنة وكسى عشرة الاف حلة حتى انه اللات الذى يلت السويق للحجيج على
صخرة معروفة تسمى صخرة اللات ويقال انه الذى كان يلت كان من ثقيف فلما مات قال لهم عمرو انه
لم يمت ولكنه دخل فى الصخرة ثم امرهم بعبادتها وان يبنوا عليها بيتا يسمى اللات ويقال دام امره وامر
ولده على هذا بمكة ثلثمائة سنة فلما هلك سميت تلك الصخرة اللات مخففة واتخذت صنما بعد
وذكر ابن اسحق انه اول من ادخل الاصنام الحرم وحمل الناس على عبادتها واما العزى فشجرة لغطفان
كانوا يعبدونها فبعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها واصلها تانيث الاعز واما
مناة فصخرة كانت لهذيل وخزاعة ولثقيف وهى فعلة من مناه اذا قطعه فانهم كانوا يذبحون عندها
القرابين وقيل وزنها مفعل لقراءة ابن كثير من النوء لانهم كانوا يستمطرون عندها الانواء تبركا بها
ومن ذلك اساف ونايلة وهما رجل وامراة من جرهم وقع اساف على نايلة فى الكعبة فمسخا وذكر ابن رزين
فى فضائل الكعبة عن بعض السلف قال ما امهلهما الله تعالى الى ان يفجر بها ولكنه قبلها فمسخا حجرين فاخرجا
الى الصفا والمروة فنصبا عليهما ليكونا عبرة وموعظة فلما كان عمرو بن لحى نقلهما الى الكعبة فنصبهما
على زمزم وطاف الناس بالكعبة وبهما حتى عبدا من دون الله وذكر الواقدى ان نايلة حين كسرها النبى صلعم
عام الفتح خرج منها سوداء شمطاء تخمش وجهها وتنادى بالويل والثبور واما هبل فان عمرو بن
لحى جاء به من هيت وهى من ارض الجزيرة حتى وضعه فى الكعبة ولذلك قال زيد بن عمرو وهو احد الاربعة
الذين فارقوا قومهم وخالفوهم فى عبادة الاصنام طالبين الحنيفية دين ابراهيم عليه السلام

اربا واحدا ام الف رب ادين اذا انقسمت الامور
عزلت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الجلد الصبور
فلا عزى ادين ولا ابنتيها ولا صنمى بنى عمرو ازور
ولا غنما ادين وكان ربا لنا فى الدهر اذ حلمى يسير
ولكن اعبد الرحمن ربى ليغفر ذنبى الرب الغفور
فتقوى الله ربكم احفظوها متى تحفظوها لا تبوروا
ترى الابرار دارهم جنان وللكفار حامية سعير
وخزى فى الحيوة وان يموتوا يلاقوا ما تضيق به الصدور

وفى البيت الجناس المحرف بين الافق وفق والمقابلة بين الافق والارض ومراعاة النظير بين الافق

والشهب ومنقضة

حتى غدا عن طريق الوحى منهزم من الشياطين يقفو اثر منهزم

حتى حرف غاية قيل ابتدائية وقيل عاطفة وغدا بالغين المعجمة بمعنى ذهب وبالمهملة بمعنى سار
بسرعة وعن طريق الوحى متعلق بغدا او بيقفو لتضمنه معنى يهرب وطريق السماء وابوابها التى تنزل
منها الملائكة بالوحى منهزم فاعل غدا من الانهزام ومن الشياطين متعلق بكائن فى محل رفع نعت
منهزم ويقفو مضارع قفوت بمعنى تبعت وفاعله مستتر يرجع الى منهزم والجملة فى محل رفع
نعت لمنهزم او حال اى قافيا اثر بكسر الهمزة وسكون المثلثة لغة فى اثر متعلق بيقفو منهزم
مضاف اليه اى منهزم منهم وهلم لتتابع الشهب المنقضة عليهم الا من استرق السمع فاتبعه شهاب
مبين ولذلك انقطعت الكهانة لمنع الشياطين من السماء وعلة ذلك كما ذكره الناظم حتى لا تلتبس النبوة
بشىء من الكهانة على ان الفرق مثل الصبح ظاهر والى ذلك اشار فى الهمزية
فمحت اية الكهانة ايات من الوحى ما لهن امحاء وفى البيت التكرير بين منهزم ومنهزم

كانهم هربا ابطال ابرهة او عسكر بالحصى من راحتيه رمى

كان فى كانهم للتشبيه والضمير للشياطين المنهزمين وهربا اما حال اى هاربين او ظرف اى وقت
هربهم والعامل فيه معنى التشبيه والهرب الفرار قال ابن السكيت هرب الرجل اذا جد فى الذهاب مذعورا
وابطال الخبر جمع بطل وهو الشجاع الجسور يقال منه بطل من باب سهل وظرف اى صار شجاعا والمراة
بطلة وجمعها بطلات واما مذكره فقال سيبويه لا يكسر على غير افعال وابرهة مضاف اليه صرف لضرورة
الشعر وهذا التشبيه يشير الى قصة اصحاب الفيل وهى من الارهاصات الواقعة للنبى صلى الله عليه وسلم وفيها
دلالة سنية على شرفه صلى الله عليه وسلم ومعجزته لكونه سبحانه وتعالى صد الفيل واصحابه عن بلده ليظهر فيه
فى عام ولد فيه اذ فيه اشارة لاعلاء كلمة الاسلام ونصرة اهل ذلك البيت وتطهيره ببركة ذلك النبى المرسل
الذى ولد فى ذلك العام كما تقدم ولذلك خضعت لهم العرب ودانت وكملت لشرفهم وانقادت
لعلمهم ان الله حماهم من ابرهة الذى لا قبل للعرب به ولكونها عام ولادته قال الله تعالى الم تر لانه شاهد
اثارها وسمع اخبارها فالرؤية علمية علما ضروريا مساويا للمشاهدة فى العيان فان جده عبد
المطلب هو الذى اجتمع بابرهة وتراسل معه وتحاور كما سنذكر ذلك وروى عن ابن عباس
انه راى من الحجارة التى اهلك الله بها قوم ابرهة عند ام هانى نحو قفيز مخططة بخطوط كالجزع
الظفارى وعن عائشة رضى الله عنها رايت قائد الفيل وسايقه اعميين مقعدين يستطعمان
الناس وقد ذكر هذه القصة المفسرون وارباب السير وغيرهم وروى ابن اسحق والواقدى
وغيرهم عن ابن عباس ان النجاشى ملك الحبشة كان قد بعث ارياطا الى ارض اليمن فغلب عليها فقام رجل
من الحبشة يقال له ابرهة بن الصباح ابو يكسوم فساخط ارياطا فى امر الحبشة حتى انهم انصدعوا
صدعين فكانت طائفة مع ارياط وطائفة مع ابرهة فتزاحفا فقتل ابرهة ارياطا واجتمعت

الحبشة لابرهة وغلب على اليمن واقره النجاشي على عمله ثم ان ابرهة راى الناس يتجهزون ايام الموسم الى مكة لحج البيت
فبنى كنيسة لم يبن لملك مثلها وكتب الى النجاشي اني قد بنيت لك بصنعا كنيسة لم يبن لملك مثلها حتى اصرف
اليها حج العرب فسمع به رجل من بني مالك من كنانة فخرج اليها فدخلها ليلاً فقعد فيها ولطخ بالعذرة قبلتها
فبلغ ذلك ابرهة فقال من اجترى على هذا فقيل صنع ذلك رجل من العرب من اهل ذلك البيت سمع
بالذي قلت فحلف ابرهة عند ذلك ليسيرن الى الكعبة حتى يهدمها فكتب الى النجاشي يخبره بذلك
وساله ان يبعث اليه بفيله وكان له فيل يقال له محمود وكان فيلاً لم ير مثله عظماً وجسماً وقوة فبعث به اليه
فخرج ابرهة في الحبشة سائراً الى مكة وخرج معه الفيل فسمعت العرب بذلك فاعظموه وراوا جهاده
حقاً عليهم فخرج ملك من ملوك اليمن يقال له ذو نفر بمن اطاعه من قومه فقاتله فهزمه ابرهة واخذ
ذو نفر فقال له ايها الملك استبقني خير لك من قتلي فاستحياه واوثقه وكان ابرهة رجلاً حليماً ثم سار
حتى اذا دنا من بلاد خثعم خرج نفيل بن حبيب بخثعم ومن اجتمع اليه من قبائل اليمن فقاتلوه فهزمهم واخذ
نفيلاً فقال نفيل ايها الملك اني دليل بارض العرب وهاتان يداي على قومي بالسمع والطاعة فاستبقاه
وخرج معه يدله حتى اذا مر بالطايف خرج اليه مسعود بن معتب في رجال من ثقيف فقال ايها الملك نحن
عبيدك ليس لك عندنا خلاف انما تريد البيت الذي بمكة ونحن نبعث معك من يدلك عليه فبعثوا
ابا رغال مولى لهم فخرج حتى اذا كان بالمغمس مات ابو رغال وهو الذي يرجم قبره وبعث ابرهة من
المغمس رجلاً من الحبشة يقال له الاسود بن مسعود على مقدم خيله وامره بالغارة على نعم الناس فجمع الاسود
اليه اموال الحرم واصاب لعبد المطلب مائتي بعير ثم ان ابرهة بعث حناطة الحميري الى اهل مكة يسال
عن شريفها وقال ابلغه ما ارسلك به اليه اخبره اني لم ات لقتال انما جئت لاهدم هذا البيت
ثم الانصراف عنكم فقال عبد المطلب ما له عندنا قتال ولا لنا يدان به سنخلي بينه وبين ما جاء له فان
هذا بيت الله الحرام وبيت خليله ابراهيم عليه السلام فان يمنعه فهو بيته وحرمه وان تخل بينه وبين
ذلك فوالله ما لنا به قوة قال فانطلق معي الى الملك فزعم بعض العلماء انه اردفه على بغلة كان
عليها وركب معه بعض بنيه حتى قدم العسكر وكان ذو نفر صديقاً لعبد المطلب فاتاه
فقال يا ذا نفر هل عندك من غنا فيما نزل بنا فقال ما غنا رجل اسير لا يامن ان يقتل بكرة او عشياً ولكن
سابعث لك الى سائس الفيل فانه صديق لي فاساله ان يصنع لك عند الملك ما استطاع من خير ويعظم خطرك
ومنزلتك عنده قال فارسل الى انيس فاتاه فقال له ان هذا سيد قريش وصاحب عير مكة يطعم
الناس في السهل والوحوش في رؤوس الجبال وقد اصاب له الملك مائتي بعير فان استطعت ان تنفعه
عنده فانفعه فانه صديق لي احب ما وصل اليه من الخير فدخل انيس على ابرهة فقال ايها الملك هذا سيد
قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤوس الجبال يستاذن عليك وانا
احب ان تاذن له فيكلمك فقد جاء غير ناصب لك ولا مخالف عليك فاذن له وكان عبد المطلب رجلاً
جسيماً فلما راه ابرهة اعظمه واكرمه وكره ان يجلس معه على السرير وان يجلس تحته فهبط الى البساط فجلس

عليه ثم دعاه فاجلسه معه ثم قال لترجمانه قل ما حاجتك الى الملك فقال له الترجمان ذلك فقال عبد المطلب
حاجتي الى الملك ان يرد لي مائتي بعير اصابها لي فقال ابرهة لترجمانه قل له قد كنت اعجبتني حين رايتك
ولقد زهدت فيك قال لم قال لاني جئت الى بيت هو دينك ودين ابائك وهو شرفكم وعظمتكم لم
تكلمني فيه وتكلمني في مائتي بعير اصبتها قال عبد المطلب انا رب هذه الابل ولهذا البيت رب سيمنعه
قال ما كان ليمنعه مني قال فانت وذاك قال فامر بابله فردت عليه فلما ردت الابل على عبد المطلب
خرج فاخبر قريش الخبر وامرهم ان يتفرقوا في الشعاب ويتحرزوا في رؤوس الجبال خوفاً عليهم من معرة الجيش
ففعلوا واتى عبد المطلب الكعبة فاخذ بحلقة الباب وجعل يقول

يا رب لا ارجو لهم سواكا • يا رب فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت من عاداكا • امنعهم ان يخربوا قراكا

وقال ايضاً

لاهم ان المرء يمنع رحله • وحلاله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم • عدواً محالك
عمدوا حماك بكيدهم • جهلاً وما رقبوا جلالك
جروا جموع بلادهم • في الفيل كي يسبوا عيالك
ان كنت تاركهم وكعبتنا • فامر ما بدا لك

ثم ترك عبد المطلب الحلقة وتوجه في بعض تلك الوجوه مع قومه واصبح ابرهة بالمغمس قد تهيا
للدخول وعبا جيشه وهيا فيله وكان فيلاً لم ير مثله في العظم والقوة ويقال كانت معه اثنا عشر فيلاً
فاقبل نفيل الى الفيل الاعظم ثم اخذ باذنه وقال ابرك محمود وارجع راشداً من حيث جئت لانك
في بلد الله الحرام فبرك الفيل فبعثوه فابى فضربوه بالمعول في راسه فابى فادخلوا محاجنهم تحت مراقه
ومرافقه فنزعوه ليقوم فابى فوجهوه راجعاً الى اليمن فقام يهرول ووجهوه الى الشام ففعل
مثل ذلك ووجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك فصرفوه الى الحرم فبرك وابى ان يقوم وخرج نفيل
يشتد حتى صعد في الجبل فارسل الله عز وجل طيراً من البحر امثال الخطاطيف مع كل طائر منها ثلاثة احجار
حجران في رجليه وحجر في منقاره امثال الحمص والعدس فلما غشوا القوم ارسلوها عليهم فلم تصب
تلك الحجارة احداً الا هلك وليس كل القوم اصابت فخرجوا هاربين القوم لا يهتدون الى الطريق الذي
منه جاءوا يتساءلون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق الى اليمن ونفيل ينظر اليهم من بعض
تلك الجبال وصرخ القوم وماج بعضهم في بعض يتساقطون بكل طريق ويهلكون على كل منهل
وبعث الله على ابرهة داء في جسده فجعل تساقط انامله كلما سقطت انملة اتبعتها مدة من قيح ودم
فانتهى الى صنعا وهو مثل فرخ الطير فيمن بقي من اصحابه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه ثم
هلك قال الواقدي واما محمود فيل النجاشي فربض ولم يشجع على الحرم فنجا والفيل الاخر شجع فحصب
وزعم مقاتل بن سليمان ان السبب الذي جر اصحاب الفيل ان فتية من قريش خرجوا تجاراً الى ارض النجاشي

فدنوا من ساحل البحر وثم بيعة للنصارى تسميها قريش الهيكل فنزلوا فاججوا نارا واشتووا فلما ارتحلوا
تركوا النار كما هي في يوم عاصف فنفخت الريح فاضطرم الهيكل نارا فانطلق الصريخ الى النجاشي
فاسف غيظا للبيعة فبعث ابرهة لهدم الكعبة وقال فيه انه كان بمكة يومئذ ابو مسعود الثقفي وكان
مكفوف البصر يصيف بالطائف ويشتو بمكة وكان رجلا نبيها تستقيم الامور برأيه وكان
خليلا لعبد المطلب فقال له عبد المطلب ماذا عندك هذا يوم لا نستغني فيه عن رأيك
فقال ابو مسعود لعبد المطلب اعمد الى مائة من الابل فاجعلها لله فقلدها نعلا ثم بثها في الحرم
لعل بعض هذه السودان يعقر منها فيغضب رب هذا البيت فياخذهم ففعل ذلك عبد المطلب وجلس
يدعو فقال ابو مسعود ان لهذا البيت لربا يمنعه فقد نزل تبع ملك اليمن صحن هذا البيت واراد هدمه
فمنعه الله وابتلاه واظلم عليه ثلاثة ايام فلما راى تبع ذلك كساه القباطي البيض وعظمه ونحر له جزورا
فانظر نحو البحر فنظر عبد المطلب فقال ارى طيرا ابيضا نشأت من جانب البحر فقال ارمقها ببصرك
اين قرارها قال اراها قد دارت على رؤسنا قال هل تعرفها قال والله ما اعرفها ما هي بنجدية ولا تهامية
ولا غربية ولا شامية قال ما قدرها قال اشباه اليعاسيب في منقارها حصى كانها حصى الخذف قد اقبلت
كالليل يكسع بعضها بعضا امام كل رفقة طير يقودها احمر المنقار اسود الراس طويل العنق فجاءت حتى
حاذت عسكر القوم وركدت فوق رؤسهم فلما توافت الرجال كلها هالت الطير ما في مناقيرها على من تحتها
مكتوب على كل حجر اسم صاحبه ثم انها انصاعت راجعة من حيث جاءت فلما اصبحا انحطا من ذروة
الجبل فمشيا ربوة فلم يونسا احدا ثم دنوا ربوة فلم يسمعا حسا فقالا بات القوم ساهرين ثم اصبحوا
نياما فلما دنوا من عسكر القوم فاذا هم خامدون وكان يقع الحجر على بيضة احدهم فيخرقها حتى
يقع في دماغه ويخرق الفيل والدابة ويغيب الحجر في الارض من شدة وقعه فعمد عبد المطلب واخذ فاسا
من فؤسهم فحفر حتى اعمق في الارض فملاه من الذهب الاحمر والجوهر وحفر لصاحبه فملاه ثم قال
لابي مسعود اختر لي على نفسك فقال عبد المطلب اني لم اكن اجعل اجود المتاع الا في حفرتي فهو لك
وجلس كل واحد منهما على حفرته ونادى عبد المطلب بذلك قريشا واعطته المقادة فلم يزل عبد
المطلب وابو مسعود في اهلهما في غناء من ذلك المال ودفع الله عن كعبته انتهى • واما ما يتعلق
بايضاح القصة وبيان ما فيها فلنتكلم على شيء من ذلك فنقول اما ابرهة فهو ابرهة بن الصباح
ومعنى ابرهة بالحبشية الابيض الوجه ثم اختلفوا فقيل هو الحميري وعليه كثيرون وقيل ابو يكسوم الحبشي
وانما لقب بالاشرم لان ارياطا علاه في الحرب بضربة شرم بها انفه وشفته وسبب منازعة ابرهة لارياط
ما قيل ان ابرهة بعد ان ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بعد هلاك ذي نواس وذي جدن بلغ النجاشي انه
استبد بنفسه ولم يرسل اليه شيئا من جباية اليمن فوجه ارياطا الى قلعه فعند ذلك دعاه ابرهة الى المبارزة
ثم اغتوده غلام ابرهة احتكم علي قال احتكم ان لا تزف امرأة الى بعلها حتى اكون انا الذي ابدأ بها قبله
ففعل ذلك ابرهة فقال ان لكم يا اهل اليمن ان تفعلوا فعل الاحرار وان تغضبوا لحرمكم ولو علمت ان هذا

العبد يسالني ذلك ما حكمته ولكن والله لا يؤخذ منكم دية ولا ثار • واما تسمية البيعة التي بناها بصنعاء القليس
فذلك لارتفاع بنائها وعلوها ومنه القلانس لانها في اعلى الرؤس يقال تقلنس الرجل وتقلنس اذا لبس القلنسوة وكان
ابرهة قد استذل اهل اليمن في بنيانها وكان ينقل اليها الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب من قصر بلقيس
صاحبة سليمان وكان على فراسخ من موضع هذه الكنيسة وكان فيه بقايا من آثار ملكها فاستعان بذلك على ما اراده من
بناء هذه الكنيسة وبهجتها ونصب عليها صلبانا من الذهب والفضة ومنابر من العاج والابنوس وكان اراد ان
يرفع بناءها حتى يشرف منها على عدن وكان مهتما بالبناء وحكمه في العامل اذا طلعت الشمس قبل ان ياخذ في عمله ان
يقطع يده فنام رجل منهم حتى طلعت الشمس فجاءت معه امه وهي عجوز فتضرعت اليه تستشفع لابنها فابى الا ان
تقطع يده فقالت اضرب بمعولك اليوم لك وغدا لغيرك فقال ويحك ما قلت قالت نعم كما صار الملك من
غيرك اليك فكذلك يصير منك الى غيرك فاخذته موعظتها وعفا عنه من العمل فيها بعد فلما هلك مزقت
الحبشة كل ممزق واقفر ما حول هذه الكنيسة ولم يعمرها احد وكثرت حولها السباع والحيات وكان كل من
اراد ان ياخذ منها شيئا اصابته الجن فبقيت من ذلك العهد بما فيها من العدد والخشب المرصع بالذهب
والآلات المفضضة التي تساوي قناطير من المال لا يستطيعون احد ان ياخذ منها شيئا وكان الذي يصيبهم
من الجن ينسبونه الى كعيب وامراته صنمين بنيت الكنيسة عليهما فلما كسر كعيب وامراته اصيب الذي كسرهما
بالجذام فافتتن بذلك رعاع اليمن وطغامهم وقالوا اصابه كعيب واستمرت الى زمن ابي العباس السفاح فذكر له
امرها وما يرهب من جنها وحياتها فلم يروعه ذلك وبعث اليها ابا العباس بن الربيع بن معه من اهل الحزم والجلادة
فخربها وحصلوا منها مالا عظيما وبيع ما امكن بيعه من رخامها وآلاتها فعفا بعد ذلك رسمها وانقطع خبرها
ودرست آثارها وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين • وقوله في القصة فخرج رجل من كنانة
فقعد فيها اي احدث وكان ذلك سببا لبعثه على قصد الكعبة وقيل سبب ذلك تجار قريش لما اججوا نارا فاخذها
الريح حتى احرق هيكلها كما ذكرنا سابقا واما سبب بنائها فلصد الناس عن الكعبة التي هي حج العرب وقصد
صرفهم الى كنيسته ويابى الله الا ان يتم نوره • وفي القصة بعثوا معه ابا رغال وهو الذي يرجم قبره ولعله غير ابي
رغال الثمودي فانه لما هلكت ثمود وكان منهم ابو رغال كان بالحرم عند هلاك قومه فلما خرج من الحرم اصابه من
الهلاك ما اصاب قومه فدفن هناك ودفن معه غصنان من ذهب وذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
مر بالقبر وامر باستخراج الغصنين فاستخرجها • ووقع في شعر جرير اذا مات الفرزدق فارجموه
كرجمكم لقبر ابي رغال • وفيها فخرج حتى اذا كان بالمغمس مات ابو رغال يروى المغمس بفتح الميم الاخيرة
وعن ابن دريد وغيره بكسرها قيل وهو الاصح فعلى رواية الكسر مفعل من الغميس وهو الغمر
والنبات الاخضر الذي ينبت في الخريف تحت اليابس يقال غمس المكان وغمر اذا نبت فيه ذلك
واما على رواية الفتح فقيل مشتق من غمست الشيء اذا غطيته وذلك لانه بمكان مستور بهضاب
ولما كان صلى الله عليه وسلم بمكة وكان اذا اراد ان يقضي حاجة خرج الى المغمس وهو على ثلث فرسخ
منه ولم يكن ياتي اليه الا لانه مستور منخفض • وقول عبد المطلب في الابيات لاهم بحذف الالف

واللام واصله اللهم فاكتفى بما بقى لانه كثر لكثرة دوره على الالسنة يقال لاه ابوك يعنون لله ابوك وقوله وحلال الكرى
الحلال القوم الحلول في المكان وقيل هو مركب من مراكب النسا وقيل هو متاع البيت استعير هنا وقوله وجه
فيل قوي اى لم ير في زمانه اقوى منه اسمه محمود كان وجهه اليه النجاشي وصاحب الفيل الاسود بن منصود بن الحارث
وفيلة اخرى معه قيل كانت اثنى عشر فيلا فكان من جملة الفيلة ثلاثة عشر فيلا كلها هلكت الا الفيل الكبير
الذي هو محمود ولم يهلك فلما نهى للدخول وعبى جيشه يقال عبيت الجيش بغير همز وعباءت المتاع بالهمز
وحكى عبات الجيش بالهمز وهو قليل ونفيل الذى اقبل على الفيل واخذ باذنه وقال له ابرك فانك في بلد الله
الحرام هو نفيل بن عبد الله بن خثعم وقيل نفيل بن خبيب تصغير نفل وهو نبت منبطح على الارض قاله
النقاش قوله وقدم الفيل اى الكبير وكان كلما وجهه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى
جهة اخرى هرول عن ابن اسحق ان الفيل ربض فجعلوا يقسمون بالله انهم رادوه الى اليمن فيحرك لهم اذنيه
كانه ياخذ عليهم بذلك عهدا فاذا اقسموا له قام يهرول فيردوه الى مكة فيربض فيحلفون له فيحرك اذنيه كالموكد
عليهم القسم ففعلوا ذلك مرارا وروى ان عبد المطلب لما ذهب الى ابرهة احضر فيله الابيض العظيم فلما
راى عبد المطلب خر ساجدا وقال السلام على النور الذى في ظهرك يا عبد المطلب قال

كم راينا ما ليس يعقل قد • الهم ما تلهم العقلاء •

اذ ابى الفيل ما اتى صاحب • الفيل ولم ينفع الحجا والذكاء •

ويروى ان ابرهة لما قرب من المغمس عند عرفه وبلغ ذلك عبد المطلب فقال يا معشر قريش لا يصل
لهدم البيت ان له ربا يحميه ثم ان عبد المطلب ركب في قريش حتى بلغ جبل بتير فاستدارة دارة غرة رسول
الله صلى الله عليه وسلم على جبينه كالهلال واشتد شعاعها على الكعبة مثل السراج فقال ارجعوا فقد
كفيتم انه ما استدار هذا النور منى الا ان يكون الظفر لنا فرجعوا وروى ان جيش ابرهة نظروا تلك النجوم كالحداهم
كانها تكاد تكلمهم من اقترابها منهم ففزعوا من ذلك وقوله فبرك الفيل قال السهيلي فيه نظر لان الفيل لا يبرك
فيحتمل ان يكون بروكه سقوطه الى الارض لما جاءه من امر الله تعالى ويحتمل ان يكون فعل فعل البارك يلزم موضعه
ولا يبرح فعبر بالبروك عن ذلك قال وقد سمعت ان الفيلة صنف منها يبرك بروك الجمل فان صح ذلك
والا فتاويله ما قدمناه وروى انه لما حضر عبد المطلب عند ابرهة امر سايس فيله الابيض العظيم
الذى كان لا يسجد للملك ابرهة كما تسجد سائر الفيلة ان يحضره بين يديه فلما نظر الفيل الى وجه عبد المطلب
برك كما يبرك البعير وخر ساجدا وانطق الله تعالى الفيل وقال السلام على النور الذى في ظهرك يا عبد
المطلب كذا في النطق المفهوم فان قلت ان الحجاج فتحه لتضرب الكعبة ولم يحدث شى من ذلك اجيب بان
ما وقع لابرهة كان ارهاصا لنبوة نبينا صلى الله عليه وسلم والارهاص انما يحتاج اليه قبل قدومه فلما
ظهر عليه السلام وتاكدت نبوته بالدلائل القطعية فلا حاجة الى شى من ذلك والله اعلم او عسكر اعطف
على ابطال لابرهة مشارك له في وجه الشبه واجيز كونه عطفا على ابرهة بالحصى متعلق برمى والحصى
دقاق الاحجار وواحد الحصا وجمعها حصيات كبقرة وبقرات وارض محصاة ذات حصا في راحتيه

الضمير

الضمير للنبي صلى الله عليه وسلم وراحتيه تثنية راحة حذفت النون للاضافة وهى الكف وجمعها راح في
محل نصب حال من الحصى رمى بالبنا للمفعول يشير الناظم رحمه الله الى ما وقع للنبي صلى الله عليه وسلم
وذلك مرتين في غزوة بدر وفي غزوة حنين روى الاول البخاري والثانى مسلم اما غزوة بدر
فانه لما التقى الجيشان تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من الحصى فرمى به في وجوههم
وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا دخل في عينيه ومنخريه منها شئ فانهزموا وقتل الله من قتل من
صناديد قريش واسر من اسر من اشرافهم وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم في قوله تعالى وما رميت اذ
رميت ولكن الله رمى قال هذا يوم بدر اخذ صلى الله عليه وسلم ثلاث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة القوم
وبحصاة في ميسرة القوم وبحصاة بين اظهرهم وقال شاهت الوجوه فانهزموا وقد روى عن غير
واحد ان هذه الاية نزلت في رميه عليه الصلاة والسلام يوم بدر وان كان قد فعل ذلك يوم حنين
ايضا كما سنذكره ان شاء الله تعالى وقد اعتقد جماعة ان المراد بالاية سلب فعل الرسول عنه واضافته
الى الرب تعالى وجعلوا ذلك اصلا في الجبر وابطال نسبة الافعال الى العباد وتحقيق نسبتها الى الرب وحده وهذا
غلط منهم في فهم القران ولو صح ذلك لوجب طرده فيقال ما صليت اذ صليت وما صمت اذ صمت ولا فعلت
كل ذلك اذ فعلت ولكن الله فعل ذلك فان طردوا ذلك لزمهم في افعال العباد وطاعاتهم ومعاصيهم اذ
لا فرق وان خصوه بالرسول وحده وافعاله جميعا او رميه واحده مما قصدوا فهولاء لم يوافقوا ما اريد
بالاية ومعلوم ان تلك الرمية من البشر لا تبلغ هذا المبلغ فكان منه صلى الله عليه وسلم مبداء الرمى وهو
الحذف ومن الرب تعالى اصابته وهو الايصال فاضاف اليه رمى الحذف الذى هو مبداه ونفى منه رمى
الايصال الذى هو نهايته ونظير هذا في الاية نفسها قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ثم قال وما رميت
اذ رميت ولكن الله رمى فاخبر انه تعالى وحده هو الذى تفرد بايصال الحصا الى اعينهم ولم يكن لرسوله
ولكن وجه الاشارة بالاية انه سبحانه اقام اسبابا يظهر للناس فكان ما حصل من الهزيمة والقتل والنصرة
مضافا الى الله وهو خير الناصرين ولما قررناه قال الناظم رمى بالبنا للمفعول واما يوم حنين
فانه ركب صلى الله عليه وسلم بغلته البيضا ولبس درعين والمغفر والبيضة فاستقبلهم من هوازن ما لم
يروا مثله قط من السواد والكثرة وذلك في غبش الصبح وخرجت الكتايب من مضيق الوادى فحملوا عليه
حملة واحدة وانكشفت خيل بنى سليم مولية وتبعهم اهل مكة ولم يثبت معه صلى الله عليه وسلم يومئذ الا العباس
بن عبد المطلب وعلى بن ابى طالب والفضل ابن العباس وابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وابو بكر وعمر
واسامة بن زيد في اناس من اهل بيته واصحابه قال العباس وانا اخذ بلجام بغلته اكفها مخافة ان يصل
الى العدو لانه صلى الله عليه وسلم كان يتقدم في نحو العدو وابو سفيان بن الحرث اخذ بركابه وجعل عليه السلام يقول
للعباس ناد يا معشر الانصار يا اصحاب الشجرة يعنى الشجرة بيعة الرضوان التى بايعوه تحتها ان لا يفروا عنه فجعل
ينادى يا اصحاب الشجرة واخرى يا اصحاب سورة البقرة وكان العباس رجلا صيتا فلما سمع المسلمون نداء العباس
اقبلوا كانهم الابل اذا حنت على اولادها وفى رواية لمسلم قال العباس فوالله كان عطفتهم حين سمعوا صوتى

عطفة البقر على اولادها يقولون يا لبيك يا لبيك فرجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ان الرجل منهم
اذا لم يطا وعر بعيره على الرجوع اخذ درعه وارسله ورجع بنفسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرهم عليه
السلام ان يصدقوا الحملة فاقتلوا مع الكفار فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الآن حمي الوطيس
وهو التنور يختبز فيه يضرب به مثلا لشدة الحرب الذي يشبه حرها حره وهذا من فصيح الكلام الذي
لم يسمع من احد قبل النبي صلى الله عليه وسلم وتناول صلى الله عليه وسلم حصيات من الارض ثم قال شاهت
الوجوه اي قبحت ورمى بها في وجوه المشركين فما خلق الله منهم انسانا الا ملأ عينه من تلك القبضة
وفي رواية لمسلم قبضة من تراب من الارض فيحتمل انه رمى بذا مرة وبالاخرى اخرى ويحتمل ان يكون
اخذ قبضة واحدة مخلوطة من حصى وتراب ولاحمد وابي داود والدارمي من حديث ابي عبد
الرحمن الفهري في قصة حنين قال فولى المسلمون مدبرين كما قال الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انا عبد الله ورسوله ثم اقتحم عن فرسه واخذ كفا من تراب قال فاخبرني الذي كان ادنى اليه
مني انه ضرب وجوههم فهزمهم الله تعالى قال يعلى بن عطا رواية عن ابي همام عن ابي عبد الرحمن الفهري
فحدثني ابناؤهم عن ابائهم انهم قالوا لم يبق منا احد الا امتلأت عيناه وفمه ترابا وسمعنا صلصلة
من السماء كامرار الحديد على الطشت الجديد ولاحمد والحاكم من حديث ابي مسعود فحادت به بغلته
صلى الله عليه وسلم فمال السرج فقلت ارتفع رفعك الله فقال ناولني كفا من تراب فضرب وجوههم
وامتلأت اعينهم ترابا وجاء المهاجرون والانصار سيوفهم بايمانهم كانها الشهب فولى المشركون
الادبار ثم لا يخفى ان هذه المعجزة في ذاتها ابهر من القاء عصا موسى اذ القاء موسى العصا حاكى
القاء السحرة لعصيهم وحبالهم ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم لم يحاكها شيء لان وصول تلك
الحصيات القليلة الى جميع الجيش الذين هم الوف مؤلفة حتى هزمهم وشتت شملهم ابهر من
العصا ثعبانا وابتلاعها لتلك الحبال مع ان اهلها لم ينهزموا ولى ذلك اشارته في الهمزية

ورمى بالحصا فاقصد جيشا ٥ ما العصا عنده وما الالقاء ٥

ثم لا يخفى على احد وجه الشبه وهو موجود في المرمي المنهزم والمرمي به وذلك ان انهزام الشياطين من خوف
الرجم كانهزام ابطال ابرهة او العسكر ولا يخفى عليك ان المشبه به اقوى من المشبه في وجه الشبه واما المرمي بها
وهي النجوم في رمي الشياطين والخزف في رمي الابطال والحصا في رمي العسكر فهي متقاربة الصورة في رأي العين
متشابهة المقدار ثم لا يخفى ايضا كمال القدرة والمناسبة في تاثير المرمي به للمرمي وذلك لان المرمي به الشياطين من جنس
النار وهو الشهاب والشياطين من النار فاهلكت النار القليلة وهي الشهاب النار الكثيرة وهي الشيطان والخزف
والحصا من جنس التراب والابطال والعسكر من التراب وهي قليلة صغيرة فاثرت في اجسامهم الكثيرة فتعالى
القادر القاهر فاخذ كل جنس بجنسه واما موافقة الاصنام للشياطين ارضا وسماء فهو شدة الهوى والانتكاس
والاهلاك وابطال الضرر الناشي من كل منهما والمناسبة في الاضلال في كل منهما اذ الصنم شيطان اما باعتبار الامر اتخاذه
او بالساكن فيه او بفتنة الناس ولا يخفى وجه تقديم ذكر ابطال ابرهة على العسكر وهو التقديم الزماني وكونه ارهاصا

وان كان

وان كان رمي العسكر معجزة واقوى فهو من باب الترقي ولانه تعاطاه عليه السلام بنفسه فلا تخفى قوة ذلك
ولذا وصل الى جميع العسكر مع قلته ثم ان المرمي به الشياطين هو نار الشهب والمرمي به الاصنام هو نور الاسلام
فالاول امر حسي والثاني امر معنوي وفي هذا البيت من البديع مراعاة النظير والتشبيه والتلميح والاحتراس

نَبْذًا بِهِ بَعْدَ تَسْبِيحٍ بِبَطْنِهِمَا ... نَبْذَ الْمُسَبِّحِ مِنْ اَحْشَاءِ مُلْتَقِمِ

نبذا مفعول مطلق لفعل دل عليه رحى وبه بدل من قوله بالحصا والضمير فيه للحصا والنبذ الالقاء واكثر استعماله
فيما يلقى وينسى وبعد ظرف زمان اي بعد آية اخرى اي بعد تسبيح اي تسبيح الحصى فالتنوين عوض من المضاف
اليه والتسبيح التنزيه من السوء على جهة التعظيم قال ابو هلال العسكري فلا يجوز ان يسبح غير الله تعالى لانه صار
علما في الدين على اعلى مراتب التعظيم وذلك لا يستحقه الا الله تعالى وببطنهما الباء بمعنى في اي في راحتي الكفين
نبذ المسبح نصب على الصفة لنبذ الاول اي نبذا مثل نبذ المسبح او مفعول مطلق والمسبح اسم فاعل واللام فيه للعهد
وهو يونس عليه السلام من احشاء متعلق بنبذ في موضع نصب على الحال وفي نسخة في احشاء وهو متعلق
بالمسبح والاحشاء جمع حشى وهو الجوف وملتقم مضاف اليه صفة لموصوف محذوف اي احشاء حوت ملتقم وهو
الحوت الذي التقم يونس عليه السلام وستذكر قصته والقصد تشبيه نبذ النبي صلى الله عليه وسلم بالحصا المسبح العسكر
فهرب منكسرا بنبذ الله يونس المسبح من بطن الحوت حيا في ان كلا منهما خارق للعادة ثم تسبيح الحصى المرمي به في وجوه
الكفار ان ثبت كما اقتضاه كلام الناظم ولعله وقف عليه فذاك والا فقد ثبت تسبيح الحصى في كفه صلى الله عليه وسلم
فالمقصود في كلام الناظم تسبيح جنس الحصى فقد روي انه صلى الله عليه وسلم كان عنده ابو بكر وعمر وعثمان فقبض
صلى الله عليه وسلم حصيات قيل سبع وقيل تسع وقيل نحو ذلك فسبحن في يده حتى سمع لهن حنين كحنين النحل
في كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ناولهن ابا بكر فسبحن في كف ابي بكر ثم اخذهن منه فوضعهن في الارض فخرسن
وصرن حصى ثم ناولهن عمر فسبحن في كفه كما سبحن في كف ابي بكر ثم اخذهن فوضعهن في الارض فخرسن ثم ناولهن
عثمان فسبحن في كفه كنحو ما سبحن في كف ابي بكر وعمر ثم اخذهن فوضعهن في الارض فخرسن وفي رواية ثم اخذهن
الحاضرون فلم يسبحن مع احد منهم وقد ورد ذلك بمعناه في الشفا وقال الحافظ ابن حجر قد اشتهر على الالسنة تسبيح
الحصا ففي حديث قال تناول النبي صلى الله عليه وسلم سبع حصيات فسبحن في يده حتى سمعت لهن حنينا ثم
وضعهن في يد ابي بكر فسبحن ثم وضعهن في يد عمر فسبحن ثم وضعهن في يد عثمان فسبحن اخرجه البزار والطبراني
في الاوسط وفي رواية الطبراني فسمع تسبيحهن في الحلقة ثم دفعهن الينا فلم يسبحن مع احد منا قال البيهقي
في الدلائل كذا رواه صالح بن الاخضر ولم يكن بالحافظ عن الزهري عن سويد بن يزيد السلمي عن ابي ذر والمحفوظ
ما رواه شعيب بن ابي حمزة عن الزهري قال وذكر الوليد بن سويد ان رجلا من بني سليم كان كبير السن انتهى
وليس لحديث تسبيح الحصا الا هذه الطريق الواحدة مع ضعفها لكنه مشهور عند الناس قال ابن حجر العسقلاني
واخرج البخاري من حديث ابن مسعود كنا ناكل مع النبي صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام وعن
جعفر بن محمد عن ابيه مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاه جبريل بطبق رمان وعنب فاكل منه النبي صلى الله
عليه وسلم فسبح رواه القاضي عياض في الشفا ونقله عنه ابن حجر في فتح الباري وهذا التسبيح من الحصا والطعام

مجازا باعتبار ان الله تعالى خلق فيه اللفظ الدال على التنزيه حقيقة خرقا للعادة والا فاللفظ انما يضاف حقيقة
لمن قام به اللفظ عن شأنه التلفظ وفى قوله ونحن نسمع تسبيحه تصريح بكرامة الصحابة بسماع هذا التسبيح وفهمه
وذلك ببركته صلى الله عليه وسلم **واما** يونس عليه السلام والتقام الحوت له فقال تعالى فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا
انه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون فنبذناه بالعراء وهو سقيم وقال تعالى فنادى فى الظلمات ان لا
اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين وهو يونس بن متى عليه السلام وقصته انه ارسل الى اهل نينوى
من ارض الموصل فكذبوه واجترؤا عليه فوعدهم بالعذاب الى ثلاث وقيل الى اربعين فلما دنا الموعد اغامت
السماء غيما اسود ذا دخان شديد فهبط حتى غشى مدينتهم فهابوا فطلبوا يونس فلم يجدوه فايقنوا صدقه
فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم وفرقوا بين كل والدة وولدها فحن بعضها
الى بعض وعلت الاصوات والضجيج واخلصوا التوبة والايمان وتضرعوا الى الله فرحمهم وكشف عنهم العذاب وكان
يوم عاشورا يوم الجمعة ولما لم يعلم يونس بايمان قومه وكان وعدهم العذاب فتاخر عنهم وبرم يونس عليه السلام
منهم لطول دعوتهم وشدة شكيمتهم فخرج مهاجرا عنهم قبل ان يؤمر فقصد البحر فركب السفينة فاحتبست السفينة
فقال الملاحون ههنا عبد ابق من سيده فاقترعوا فوقعت القرعة على يونس عليه السلام فقال يونس انا الابق
وزج نفسه فى الماء فذلك قوله تعالى فساهم فكان من المدحضين اى فقارع فكان من المقروعين والمساهمة القاء
السهام على جهة القرعة فالتقمه الحوت اى ابتلعه وهو مليم داخل فى الملام او اتٍ بما يلام عليه وقيل جاء حوت اكبر من
الاول فابتلع هذا الحوت واوحى الله الى الحوت ان لا تؤذ منه شعرة فانى جعلت بطنك سجنه ولم اجعله طعاما
لك فلولا انه كان من المسبحين الذاكرين الله تعالى فى بقية عمره او فى بطن الحوت وهو قوله لا اله الا انت سبحانك
انى كنت من الظالمين وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له للبث فى بطنه
الى يوم يبعثون حيا وقيل ميتا فنبذناه بالعراء اى طرحناه بان حملنا الحوت على لفظه بالمكان الخالى عما يغطيه من
شجر او نبت روى ان الحوت سار مع السفينة رافعا رأسه يتنفس منه يونس ويسبح حتى انتهوا الى البر فلفظه
واختلف فى مدة لبثه فقيل بعض يوم وقيل ثلاثة ايام وقيل سبعة ايام وقيل عشرون وقيل اربعون وانبت الله
عليه شجرة اليقطين وهو القرع لتظله باوراقها وتقيه حر الشمس والذباب لا يسقط عليها وكان عليه السلام يستظل
بها وكانت وعلة تختلف عليه فيشرب من لبنها حتى اشتد لحمه ونبت شعره وقوى فنام نومة واستيقظ وقد
يبست الشجرة فحزن حزنا شديدا واصابه اذى الشمس فجعل يبكى فبعث الله تعالى اليه جبريل وقال اتحزن على شجرة ولا
تحزن على مائة الف من امتك قد اسلموا وتابوا ثم خرج يونس فاذا هو بغلام يرعى فقال من انت يا غلام
قال انا من قوم يونس قال اذا رجعت اليهم فاخبرهم انى لقيت يونس فقال الغلام قد تعلم انه لم يكن لى بينة
قال تشهد لك هذه البقعة وهذه الشجرة فقال له الغلام مرهما فقال يونس اذا جاءكما هذا الغلام فاشهدا له
قالتا نعم فرجع الغلام فقال للملك انى لقيت يونس فامر الملك بقتله فقال ان لى بينة فارسلوا معى فاتى البقعة
والشجرة فقال انشدكما بالله هل اشهدكما يونس قالتا نعم فرجع القوم مذعورين وقالوا للملك تشهد له الشجرة
والارض فاخذ الملك بيد الغلام فاجلسه فى مجلسه وقال انت احق بهذا المكان منى فاقام لهم امرهم ذلك

مرة اربعين سنة وقبره عليه السلام فيما اشتهر بقرية حلحول بالقرب من مدينة سيدنا الخليل عليه السلام وهو
مكان مانوس مشرف بالانوار وبالقرب منه قبر والده متى ولاهل ديارنا فيه اعتقاد كبير حتى ان عوام الناحية من
سائر القرى اذا ارادوا تغليظ اليمين على احد توجهوا به الى قبره فلا يتجاسر على الحلف ولو على القتل لما عهد مرارا
من اصابة البلاء لمن يحلف هناك كاذبا نفعنا الله ببركاتهما امين وانت عليم ان هذا البيت للمنير سالم من التضمين
المعاب فى صناعة الشعراء لا تعلق له بما بعده ولا بما قبله تعلق به كما زعمه الزركشى وكل منهما بافادة للمعنى وان
تشاركا فى مشاكلة التشبيه وفيه من البديع التكرير فى نبذ ونبذ المسبح وجناس الاشتقاق فى تسبيح والمسبح
ومراعاة النظير بين بطنها واحشاء ملتقم ومجاز الحذف فى ملتقم كما قررناه والمجاز فى تسبيح الحصى والتلميح بقصة يونس عليه السلام

جاءت لدعوته الاشجار ساجدة ... تمشى اليه على ساق بلا قدم

جاء تقدم فى جملة الافعال المتعدية بنفسها تارة وبحرف الجر اخرى تقول جئته وجئت اليه والتاء للتانيث
واللام فى **لدعوته** للتعليل والدعوة من الدعاء بمعنى النداء مصدر دعاه وهى بالفتح فى الطعام وبالكسر فى النسب
وتستعمل بمعنى المرة والاضافة للتخصيص وشرف المضاف بالمضاف اليه **والاشجار** جمع شجرة ماله ساق
من النبات واما ما ليس له ساق فنجم وقد يطلق عليه ايضا الشجر كما فى قوله تعالى وانبتنا عليه شجرة من يقطين
وقد تنازعاه جاءت على ان يكون فاعلا له ودعوته على ان تكون مفعوله والمختار مذهب البصريين **وساجدة**
حال من الاشجار لغة الخضوع والتذلل وشرعا وضع الجبهة على الارض قال الزركشى وهما محتملان هنا واستدل
له بحديث اورده حاملا له على حقيقته وهو فى هذه الحقيقة مستلزم للمجاز لما لا يخفى **وتمشى** جملة فعلية اتى
فى السجود بالاسم وفى المشى بالفعل لان الخضوع وصف لازم لها والمشى حادث يتجدد شيئا فشيئا وفاعلها
ضمير مستتر فيها عائد على الاشجار او من فاعل ساجدة فهى على الاول مترادفة وعلى الثانى متداخلة ولاختلاف
الحالين لاختلاف الحاليين **واليه** متعلق بتمشى والضمير للنبى صلى الله عليه وسلم وكذا **على ساق** الساق ساق
القدم والجمع سوق مثل اسد واسد وتجمع على سيقان واسوق وساق الشجرة جذعها والمراد هنا
اصلها المتفرع عليه اغصانها سميت الساق بذلك لان الماشى ينساق عليها وقوله **بلا قدم** فى محل جر
نعت لساق وهو قدم الرجل واحدة الاقدام وهى مؤنثة معنوى سماعى باعتبار معناه الجنسى ولهذا
اذا سمى به رجل صرف لزوال تانيثه الاصلى بجعله علما للمذكر من غير قيام شىء مقامه والبيت يشير
به الى معجزة مجئ الاشجار خاضعة للنبى صلى الله عليه وسلم وقد ورد ذلك فى احاديث عديدة منها ما رواه
مسلم عن جابر بن عبد الله فى حديثه الطويل قال سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلنا واديا افيح
فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى حاجته فاتبعته فلم يجد شيئا يستتر به واذا شجرتان بشاطئ الوادى
فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احداهما فاخذ بغصن من اغصانها وقال انقادى على باذن الله
تعالى فانقادت معه كالبعير المخشوش الذى يصانع قائده حتى اتى الشجرة الاخرى فاخذ بغصن من
اغصانها وقال انقادى على باذن الله فانقادت معه كذلك حتى اذا كان بالمنصف بينهما لام بينهما
فقال التئما على باذن الله فالتأمتا ثم بعد انقضاء حاجته افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق

الحديث وللمصنف بفتح الميم والصاد نصف المسافة والبعير المحشوش هو الذي جعل في انفه الخشاش
وهو عويد يجعل في انفه ليكون اسرع لانقياده وفي رواية للبيهقي في دلايله فاذا شجرتان بينهما اذرع
فقال يا جابر انطلق فقل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقي بصاحبتك حتى اجلس
خلفكما فلحقت بصاحبتها فجلس خلفهما فقضى حاجته قال الزركشي ويجمع بين الحديثين بحملهما
على واقعتين واخرج الامام احمد عن ابي سفيان طلحة بن نافع قال جاء جبريل الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذات يوم وهو جالس حزين قد خضب بالدماء ضربه بعض اهل مكة فقال ما لك فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فعل بي هولاء وفعلوا فقال له جبريل اتحب ان اريك آية قال نعم قال فنظر الى شجرة من
وراء الوادي فقال ادع تلك الشجرة فدعاها قال فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه فقال مرها فلترجع
الى مكانها فامرها فرجعت الى مكانها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبي حسبي ورواه ابن ماجه
والدارمي عن انس وروى البيهقي مثله عن عمرو بن الحسن مرسلا وخرج الحاكم في مستدركه باسناد جيد عن
ابن عمر قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فاقبل اعرابي فلما دنا منه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
اين تريد قال الى اهلي قال هل لك الى خير قال وما هو قال تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا
عبده ورسوله قال هل لك من شاهد فيما تقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الشجرة فدعاها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي على شاطي الوادي فاقبلت تخد الارض خدا فقامت بين يديه فاستشهدها
ثلاثا فشهدت ثم رجعت الى منبتها الحديث ورواه الدارمي ايضا بنحوه واستشهد الزركشي للسجود بما
رواه البيهقي عن ابن عباس جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له هل اريتك آية قال نعم قال فدعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عرقا من شجرة فاقبل يخد الارض ويسجد ويرفع رأسه حتى وقف بين
يديه ثم امره فرجع قال وله طرق كثيرة ولذلك حمل السجود على حقيقته وعن ابن عباس رضي الله عنه
قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بم اعرف انك نبي الله قال ان دعوت هذا العذق
من هذه النخلة يشهد اني رسول الله فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل ينزل من النخلة حتى سقط
الى النبي صلى الله عليه وسلم قال ارجع فعاد فاسلم الاعرابي رواه الترمذي وصححه وجاء ايضا سجود
الاحجار والاشجار له من غير دعوة في حديث بحيرا الراهب وقال لهم بحيرا انه حين بدا من العقبة لم يبق
شجر ولا حجر الا خر ساجدا له ولا يسجدان الا لنبي رواه الترمذي ونقل الزركشي عن صاحب الفصول
انه عليه السلام في غزاة الطايف مر بموضع فيه طلح كثير فاعترض سدرة فانفرجت له نصفين فمر بين
نصفيها قال وبقيت السدرة منفرجة على ساقين الى زماننا هذا وهي معروفة بذلك البلد معظم شانها
وتسمى سدرة النبي صلى الله عليه وسلم وجاء ايضا سلام الاحجار عليه فقد اخرج البزار وابو نعيم من حديث
عايشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اوحى الي جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال
السلام عليك يا رسول الله وعن علي رضي الله عنه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في
بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله رواه الترمذي وقال

حديث حسن غريب وفي البيت مراعاة النظير بين المجي والمشي والساق والقدم والاحتراس في قوله
بلا قدم وهو من المعجزات فلذلك كان معجزة ضمن معجزة

كَأَنَّمَا سَطَرَتْ سَطْرًا لِمَا كَتَبَتْ
فُرُوعُهَا مِنْ بَدِيعِ الْخَطِّ بِاللَّقَمِ

كان حرف تشبيه مكفوف بما وسطرت بالتخفيف والتشديد للمبالغة اي كتبت سطرا بسكون الطا
الصف من الكتابة كالسطر بتحريكها وهو في الاصل مصدر وبابه نصر ويجمع الساكن على اسطر وسطور
كفلس وافلس وفلوس والمتحرك على اسطار كسبب واسباب وجمع اسطار على اساطير قاله
يعقوب وقال الراغب السطر والسطر الصف من الكتابة ومن الشجر المغروس ومن القوم الوقوف
اي كانما سطرت تلك الاشجار عند مشيها سطرا لما كتبت اللام للتعليل وما مصدرية او موصولة
اي لاجل كتابة او لاجل الذي كتبته فروعها اي خططته من الاثار في الارض المحاكية للحروف والكتابة الجمع
للحروف من التكتب والفروع جمع فرع اعلى الشجرة من الاغصان من الشجر الساجدة في الارض ومن
بيان لما كتبت اي ما كتبته من بديع فعيل بمعنى مبدع اسم مفعول او اسم فاعل اي عجيب الخط من اضافة
الصفة الى الموصوف كمجرد قطيفة في اللقم بفتح اللام والقاف وسط الطريق وفي بعض النسخ
باللقم بالبا وهي بمعنى في وقد اشتمل البيت على تشابيه عديدة بليغة بديعة شبه الشجرة بالكاتب و
مشيها المستقيم بالسطر وفروعها بالاقلام والارض باللوح والورق واثار فروعها في الارض المغيث
للمعتبر بالخط الدال على اللفظ المفيد للمعاني للمتدبر ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب من اولي الابصار
والبيت يشير الى ما روي ان اعرابيا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فقال له قل لتلك الشجرة
رسول الله يدعوك فمالت عن يمينها وشمالها وبين يديها فتقلعت عروقها ثم جاءت تجر عروقها في الارض
حتى وقفت بين يديه فقالت السلام عليك يا رسول الله قال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها فامرها
فرجعت ودلت عروقها في منبتها فاستوت فيه فقال الاعرابي ايذن لي اسجد لك قال صلى الله عليه
وسلم لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها رواه في الشفا وذكره غيره ايضا فاذا
كانت الاشجار امره صلى الله عليه وسلم حتى تخر ساجدة بين يديه هذا شجر فكيف حال البشر فاذن نحو
اولي بالمبادرة لامتثال ما دعا اليه زاده الله شرفا وتعظيما وتامل قول الاعرابي ان اسجد لك لما رأى
من سجود الشجرة ورأى انه احرى بذلك حتى اعلمه صلى الله عليه وسلم ان ذلك لا يكون الا لله وفي البيت
جناس الاشتقاق بين سطرت وسطرا ومراعاة النظير بين سطرت سطرا وكتبت والخط والتشبيه
واحاكون عديدة كما بينا على انه يمكن ادعاء الاستعارة في بعضها

مِثْلَ الْغَمَامَةِ أَنَّى سَارَ سَائِرَةً
تَقِيهِ حَرَّ وَطِيسٍ لِلْهَجِيرِ حَمِي

مثل بالرفع خبر مبتدا محذوف تقديره مثل الاشجار في ذلك مثل الغمامة وبالنصب صفة مصدر
محذوف اي مجيا مثل مجي الغمامة او حال من فاعل تمشي والغمامة واحدة الغمام كالسحابة واحدة
السحاب الغيم الابيض ثم اشار الى وجه الشبه بقوله انى سار وذلك ان الغمامة تسير كما ان الاشجار

كذلك فتطابق ما في العلوي والسفلي في الانقياد اليه والتعظيم له والقيام بوظايف خدمته واذا
بمعنى حيث ظرف زمان فيها معنى الشرط وهي ظرف لقوله سايرة بالنصب حال من الغمامة وبالرفع
خبر بعد خبر وجملة تقيه خبر بعد خبر او استيناف او حال من الغمامة من الوقاية اي هي تقيه او واقية
له بتظليلها له حر وطيس اصله التنور الحمي بشدة النار للخبز فيه وجمعه اوطاس والمراد به هنا شدة
الحر المهجير هو والهاجرة والهجير نصف النهار عند اشتداد الحر قيل سمي بذلك لان الناس يصلون في
بيوتهم فكانهم تهاجروا اشتعل بقوله حر في محل جر صفة وطيس وفاعله ضمير راجع اليه وقد تقدم ان
اول من قاله صلى الله عليه وسلم عند اشتداد الحرب فسار حتى صار مثلا والمعنى تقيه هذه الغمامة حر الشمس
في المهجير بتظليلها له وقد شوهد هذا مرات عديدة وان لم يدرك في كل زمن لكل احد فلا ينافي وجوده
في نفسه فمن ذلك ما وقع له عليه السلام في سفر عمه ابي طالب به في ركب الشام في حديث بحيرا لما اقبل النبي
صلى الله عليه وسلم وعليه غمامة تظله وانه لما دنا من القوم وجدهم قد سبقوا الى في الشجرة عليه
عليه الصلوة والسلام ○ ○ ○ وفيه يقول ابو طالب

الم ترني من بعد هم هممته ○ لفرقة حو الوالدين كرام
باحمد لما ان شددت مطيتي ○ لترحل عنه اذنت بسلام
بكى حزنا والعيس قد فصلت بنا ○ وامسكت بالكفين فضل زمام
ذكرت اباه ثم رقرقت عبرة ○ تجود من العينين ذات سجام
فقلت تروح راشدا في عمومة ○ مواسين في الباساء غير لئام
فرحنا مع العير التي راح اهلها ○ شام الهوى والاصل غير شام
ولما هبطنا ارض بصرى تشرفوا ○ لنا فوق دور ينظرون حسام
فجاء بحيرا عند ذلك حاشدا ○ لنا بشراب طيب وطعام
فقال اجمعوا اصحابكم لطعامنا ○ فقيل جمعنا القوم غير غلام
فلما راوه مقبلا فوق راسه ○ توقيه حر الشمس ظل غمام
حتى ظهره شبه الجواد وضمه ○ الى نحره والصدر اي ضمام

روى الترمذي في مصنفه قال حدثنا الفضل بن سهل ابو العباس الاعرج البغدادي حدثنا عبد الرحمن
بن غزوان ابو نوح اخبرنا يونس بن ابي اسحق عن ابي بكر بن ابي موسى عن ابيه قال خرج ابو طالب الى الشام
وخرج معه النبي صلى الله عليه وسلم في اشياخ من قريش فلما اشرفوا على الراهب هبطوا وحلوا رحالهم
فخرج اليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج اليهم ولا يلتفت قال وهم يحلون رحالهم
فجعل يتخللهم الراهب حتى جاء واخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين
هذا رسول رب العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له اشياخ قريش وما علمك فقال انكم حين
اشرفتم من العقبة لم يبق حجر ولا شجر الا خر ساجدا ولا يسجدان الا لنبي واني لاعرفه بخاتم النبوة اسفل من

غضروف

غضروف كتفه ثم رجع فصنع لهم طعاما فلما اتاهم به وكان هو في رعية الابل فارسلوا اليه فاقبل وعليه
غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه الى في الشجرة فلما جلس مالت الشجرة عليه فقال
انظروا الى في الشجرة مال عليه قال فبينما هو قايم عليهم وهو يناشدهم ان لا يذهبوا به الى الروم فان
الروم ان راوه عرفوه بالصفة فيقتلونه فالتفت فاذا بسبعة من الروم قد اقبلوا فاستقبلهم فقال
ما جاء بكم فقالوا جيئنا ان هذا النبي خارج في هذا الشهر فلم يبق طريق الا بعثنا اليه ناسا وانا قد
اخبرنا خبره بعثنا الى طريقك هذا فقال هل خلفكم احد هو خير منكم فقالوا انما اخبرنا خبره بطريقك
هذا قال افرايتم امرا اراد الله ان يقضيه هل يستطيع احد من الناس رده قالوا لا قال فبايعوه واقيموا
معه ثم قال انشدكم الله ايكم وليه قالوا ابو طالب فلم يزل يناشده حتى رده ابو طالب وبعث معه
ابو بكر بلالا وزوده الراهب من الكعك والزبيب قال وهذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه
قال البيهقي هذه القصة مشهورة عند اهل المغازي وضعف الذهبي الحديث بقوله في اخره وبعث معه ابو بكر
بلالا وقال الحافظ بن حجر في الاصابة الحديث رجاله ثقات وليس فيه منكر سوى هذه اللفظة فيحمل على انها
مدرجة فيه مقتطعة من حديث آخر وابو موسى الاشعري راوي الحديث لا يخلو اما ان يكون تلقاه عنه
صلى الله عليه وسلم فيكون ابلغ او من بعض كبار الصحابة او كان مشهورا اخذه بطريق الاستفاضة وفي حديث
عند البيهقي وابي نعيم ان بحيرا راه وهو في صومعته في الركب حين اقبلوا حتى نزلوا بظل شجرة قريبا منه فنظر الى
الغمامة حين اظلت الشجرة وتهصرت اغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها الحديث
وفيه ان بحيرا قام فاحتضنه وانه جعل يسائله عن اشياء من حاله من نومه وهيئته وامره ويخبره رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته وراى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده وروى
ابن ابي شيبة وفيه انه صلى الله عليه وسلم اقبل وعليه غمامة تظله الحديث وكان سنه عند خروج عمه به اثنتي عشرة سنة
وكذلك وقع التظليل له لما كان عند حليمة كما شاهدته هي واخته الشيما من الرضاع فقد روى ابو سعد وابو نعيم
وابن عساكر عن ابن عباس قال كانت حليمة لا تدعه مكانا بعيدا فغفلت عنه فخرج مع اخته الشيما في الظهيرة
الى البهم فخرجت حليمة تطلبه حتى تجده مع اخته فقالت في هذا الحر فقالت اخته يا امه ما وجد اخي حرا رايت
غمامة تظل عليه اذا وقف وقفت واذا سار سارت حتى انتهى الى هذا الموضع الحديث وكذلك وقع التظليل
له في حديث ميسرة غلام خديجة حين خرج معه تاجرا الى الشام ونزل تحت ظل شجرة فاظلته فقال راهب
ما نزل تحتها الا نبي وسال ميسرة افي عينيه حمرة قال نعم لا تفارقه فقال الراهب هو آخر الانبياء ليت اني ادركته
اذ يؤمر بالخروج وقال له من خالفه في بيع وهو بسوق بصرى احلف باللات والعزى فقال ما حلفت بهما قط فقال
خصم لميسرة هذا نبي والذي نفسي بيده انه هو الذي تجده احبارنا منعوتا في كتبهم فوعى ذلك ميسرة وكان ميسرة
يرى ملكين يظلانه في الهاجرة ورات خديجة ذلك لما اقبل صلى الله عليه وسلم وهي في علية لها فارته نساء عندها
فعجبن من ذلك فلما جاء ميسرة اخبرته بما رات فاخبرها بجميع ما راه منه وبقول الراهب السابق وبقوله ما حلفت
بهما قط وذلك حين كان له من العمر خمسة وعشرون سنة وفي هذه السنة تزوج بخديجة وكانت تسمى الطاهرة وكا

عمرها اربعين سنة وكان خرج صلى الله عليه وسلم مرة اخرى هو وابو بكر للتجارة وكان سنه صلى الله عليه وسلم ثمانية
عشر سنة لكن اشار بعضهم الى ان تظليل الغمام له صلى الله عليه وسلم انما كان قبل النبوة ارهاصا وتاسيسا للنبوة
قيل ومما يدل على انقطاع ذلك ان الصديق رضى الله عنه ظلله صلى الله عليه وسلم حين قدما المدينة فى الهجرة لما
اصابته الشمس فظلل عليه بردائه وصح انه صلى الله عليه وسلم ظلل عليه بثوب وهو يرمى الجمرة وظلل به مرة اخرى
وهو بالجعرانة وانهم كانوا فى اسفارهم اذا اتوا على شجرة ظليلة تركوها له صلى الله عليه وسلم **تنبيه** ورد انه صلى الله
عليه وسلم كان اذا مشى فى الشمس لا يظهر له ظل لطهارة ذاته عن كل نقص وكان بدنه فى غاية الاضاءة التى لا تحجب ما
يقابلها فيمحى نوره كل ظل فان قيل كيف يمحو نوره الظل والغمامة اظلته فلم يمح نوره ظل الغمامة ولها احتاج اليه
مع ان الضياء له اعظم من ضياء الشمس ولا مؤثر فيه اجاب الناظم فى الهمزية بقوله

فكان الغمامة استودعته ● من اظلت من ظله الرفقاء ●

وحاصل الجواب كما قاله ابن حجر المكى فى شرحه ان ذلك التظليل الذى كان قبل النبوة كان لحكمتين احداهما الارهاص
كما تقرر وثانيهما اعلامه صلى الله عليه وسلم بما سيؤول اليه امره من ان الله تعالى سيجعل لامته اكثر الامم وانهم قرون متفاوتون
وان كل قرن مستمد من القرن الذى قبلهم وان الكل مستمدون ويمدون من ظله ومن فلا ينافى بين محو نوره الظل وبقاء
الظل مع نوره عند تظليل الغمامة له لان المحو هو الاصل المستمر والبقاء انما كان على خلاف الاصل للحكمتين المذكورتين
احداهما الارهاص والثانية الاعلام له بعموم ظله المعنوى على الامة من اولهم الى اخرهم فتامل لذلك فانه مهم انتهى
ثم قال فان قلت ظاهر كلام الناظم فى البردة انه احتاج لتظليل الغمامة لتقيه حر الشمس فينافى ما مر ان تظليلها للحكمتين
السابقتين **قلت** ما افهمه كلامه ثم يعارضه ان تظليلها لم يكن الا قبل النبوة ارهاصا كما مر ولو كان كما ذكر لكان بعد
النبوة ايضا **فان** قلت قد ظلل عليه صلى الله عليه وسلم عند الجمرة بثوب وهو يشعر بالاحتياج **قلت** هذا امر ضرورة
الجبلة البشرية وما نحن فيه من حيث الحقيقة والامور الاصلية فتامله وايضا فهو صلى الله عليه وسلم برز للشمس
من عرفة ولم يظلل اشارة الى ان السنة للمحرم ان يبرز للشمس هنا كذا ذكروه وعليه فلا اشكال اصلا انتهى ونقل
البدر الزركشى عن بعض اهل المعرفة انه صلى الله عليه وسلم كان معتدل الحرارة والبرودة فلا يحس بالحر ولا بالبرد وكان
فى ظل غمامة من اعتداله وبعد القائل ● ان كان يوما ظللته غمامة ● هى فى الحقيقة تحت ظل القائل ●
وفى البيت التشبيه وجناس الاشتقاق بين سار وسايرة ومراعاة النظير فى الاخير ●

اَقْسَمْتُ بِالْقَمَرِ الْمُنْشَقِّ اِنَّ لَهُ ● مِنْ قَلْبِهِ نِسْبَةً مَبْرُورَةَ الْقَسَمِ

اقسمت من الاقسام وهو الحلف قال الراغب اصله من القسامة وهى ايمان تقسم على اولياء المقتول ثم صار اسما
لكل حلف وقيل سمى الحلف قسما لان الناس ينقسمون عنده بين مصدق ومكذب والباء فى **بالقمر** بالقسم دخلت
على مقسم به محذوف اى برب القمر او خالقه اذ الحلف بغير الله لغير الله لا يجوز من كان حالفا فليحلف بالله او ليصمت
لما يلزم على ذلك من التعظيم الذى لا ينبغى الا لله اما هو سبحانه وتعالى فليحلف ببعض مخلوقاته لانها اثر من اثار
فالحلف بها حلف بنفسه كقوله تعالى والطور والنجم وما شاكل ذلك وجملة القسم بذكر لتوكيد الجملة المقسم عليه لازالة
انكار المخاطب او تردده قسما بمعظم فى اعتقاد المخاطب والكلام فى كونها خبرية او خبرية وانشائية مسطور

فى محله والقمر من الرابعة الى آخر الشهر والرابعة عشر بدر وهلال فى الثلاث الاول وسمى قمرا لبياضه فعلى ما قررناه
يكون الباء متعلقة باقسمت وقال الزركشى يحتمل ان يكون متعلقة بنسبة والتقدير اقسمت اقساما مبرورة
القسم انه له بالقمر المنشق نسبة من قلبه ويخلص بهذا من انكار من انكر عليه الحلف بغير الله **والمنشق** بالجر
صفة القمر اى المنشق آية له صلى الله عليه وسلم من الانشقاق وهو المشار اليه فى قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق
القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر فالاية صريحة فى وقوع انشقاقه اذ عبر بالفعل ماضيا ويؤيده
قراءة وقد انشق القمر وإنه فى قوله فى الاية وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر تدل على وقوعه اذ الكفار لا يقولون
ذلك فى القيامة عند انشقاقه وحينئذ فاذا تبين ان ذلك القول انما هو فى الدنيا تبين وقوع الانشقاق
وانه المراد بالاية التى زعموا انها سحر وقد اجمع المفسرون واهل السنة على وقوع الانشقاق معجزة لنبينا صلى الله عليه
وسلم وهو من امهات معجزاته المخصوصة به التى لم تقع لغيره من الانبياء فان كفار قريش لما كذبوه ولم يصدقوه
طلبوا منه آية دالة على صدقه فى دعواه فاعطاه الله تعالى هذه الاية العظيمة التى لا قدرة لبشر على ايجادها دالة
على صدقه عليه السلام فى دعواه الوحدانية لله تعالى وانه متفرد بالربوبية وان هذه الالهة التى يعبدونها باطلة
لا تنفع ولا تضر وان العبادة انما تكون لله وحده لا شريك له قال الخطابى انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها
شئ من آيات الانبياء وذلك انه ظهر فى ملكوت السموات خارجا عن جملة طباع ما فى هذا العالم المركب من الطبائع
فليس مما يطمع فى الوصول اليه بحيلة فلذلك صار البرهان به اظهر انتهى قال ابن عبد البر هذا الحديث يعنى
حديث انشقاق القمر روى عن جماعة كثيرة من الصحابة وروى ذلك عنهم امثالهم من التابعين ثم نقله عنهم
الجم الغفير الى ان انتهى الينا وتأيد بالاية الكريمة انتهى وقال العلامة ابن السبكى فى شرحه لمختصر ابن الحاجب
والصحيح عندى ان انشقاق القمر متواتر منصوص عليه فى القرآن مروى فى الصحيحين وغيرهما من طرق
من حديث شعبة عن سليمان عن ابراهيم عن ابى معمر عن ابن مسعود ثم قال وله طرق آخر شتى بحيث لا يمترى
فى تواتره انتهى وقال الشيخ جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزى فى تفسيره المسمى بزاد المسير فى علم التفسير ان
حديث الانشقاق رواه جماعة منهم عبد الرحمن بن عمر وعبد الله بن عمرو وحذيفة وجبير بن مطعم وابن عباس
وانس بن مالك رضى الله عنهم وعلى هذا جميع المفسرين الا ان قوما شذوا بقولهم سينشق القمر يوم القيمة
وقد روى عثمان بن عطاء عن ابيه نحو ذلك وهذا القول الشاذ لا يقاوم الاجماع لان قوله وانشق لفظ ماض
وحمل اللفظ الماضى على المستقبل يفتقر الى قرينة تنقله ودليل وليس ذلك موجودا وفى قوله تعالى اقتربت
الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر دليل على انه قد كان ذلك وقال ابن زيد لما
انشق القمر كان يرى نصفه على قيقعان والنصف الآخر على ابى قبيس وقال ابن مسعود لما انشق القمر
قالت قريش سحركم ابن عبد الله فسألوا السفار عن ذلك فقالوا نعم رأيناه فانزل الله عز وجل وان يروا
آية اى تدلهم على صدق الرسول والمراد بالاية هاهنا انشقاق القمر يعرضوا عن التصديق ويقولوا سحر مستمر
اى ذاهب من قولهم مر الشئ واستمر اى ذهب قاله مجاهد والسحر يذهب ولا يذهب فانزل الله سبحانه وكذبوا
واتبعوا اهواءهم وكل امر مستقر اى كذبوا النبى صلى الله عليه وسلم وما عاينوا من قدرة الله عز وجل

واتبعوا اهواءهم اى ما زين لهم الشيطان وكل امر مستقر اى الخير مستقر باهل الخير والشر مستقر باهل الشر قال قتادة وقال
مقاتل ان اقرار تكذيبهم مستقر وامر تصديق المصدقين مستقر حتى يعلموا حقيقته بالثواب والعقاب انتهى
وفى الصحيحين من حديث انس رضى الله عنه ان اهل مكة سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريهم اية فاراهم
انشقاق القمر شقتين حتى راوا حراء بينهما وقوله شقتين بكسر الشين المعجمة اى نصفين وفى حديث ابن مسعود
قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اشهدوا وفى الترمذى من حديث ابن عمر فى قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر قال قد كان ذلك على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم انشق فلقتين فلقة دون الجبل وفلقة خلف الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اشهدوا وعند الامام احمد من حديث جبير بن مطعم قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار
فرقتين فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل فقالوا سحرنا محمد فقالوا ان كان سحرنا فانه لا يستطيع ان يسحر الناس
وعن عبد الله بن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كفار قريش هذا سحر ابن ابى
كبشة قال فقالوا انظروا ما ياتيكم به السفار فان محمدا لا يستطيع ان يسحر الناس كلهم قال فجاء السفار فاخبروهم
بذلك رواه ابو داود والطيالسى ورواه البيهقى بلفظ انشق القمر بمكة قالوا سحركم ابن ابى كبشة فاسالوا السفار
فان كانوا راوا ما رايتم فقد صدق وان لم يكونوا راوا ما رايتم فهو سحر فسالوا السفار وقد قدموا من كل وجه فقالوا
رايناه وعند ابى نعيم فى الدلائل من وجه ضعيف عن ابن عباس قال لما اجتمع المشركون الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم منهم الوليد بن المغيرة وابو جهل بن هشام والعاصى بن وايل والاسود بن المطلب والنضر بن الحارث ونظراوهم
فقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين فسأل ربه فانشق وعند البخارى مختصرا من
حديث ابن عباس بلفظ ان القمر انشق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عباس وان لم يشاهد القصة
ففى بعض طرقه انه حمل الحديث عن ابن مسعود **تنبيه** ان قيل هل الانشقاق وقع مرة او تعدد فقد وقع فى الاحاديث
ما يدل على الوجهين فعند مسلم من حديث شعبة عن قتادة بلفظ فاراهم انشقاق القمر مرتين وكذا فى مصنف
عبد الرزاق عن معمر بلفظ مرتين ايضا واتفق الشيخان عليه من رواية شعبة عن قتادة بلفظ فرقتين كما فى حديث
جبير عند احمد وفى حديث ابن مسعود فلقتين باللام وفى لفظ فى حديث جبير فانشق اثنتين وفى رواية عن ابن
عباس عند ابى نعيم فى الدلائل فصار قمرين وفى السيرة النبوية لشيخ الاسلام الحافظ العراقى المسماة بنظم الدرر
السنية فى السيرة الزكية التصريح بوقوعه مرتين فانه قال عند ذكر المعجزات فى انشقاق القمر

واذ بغت منه قريش ان يرى • آيا اراهم انشقاق القمر •
فصار فرقتين فرقة علت • وفرقة للطود منه نزلت •
وذاك مرتين بالاجماع • والنص والتواتر السماع •
زاد الذين امنوا ايمانا • ولابى جهل به طغيانا •
وقال ذا سحر فجاء السفر • كل به مصدق مقر •

والجواب عن ذلك ان الانشقاق انما وقع مرة واحدة فرقتين فقط وما يوهم من وقوعه مرتين فمحمول على فرقتين

قال

قال ابن قيم الجوزية فى كتابه اغاثة اللهفان ما لفظ المرات يراد بها الافعال تارة والاعيان تارة واكثر ما تستعمل
فى الافعال واما فى الاعيان فكقوله فى الحديث انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين اى شقتين
وفلقتين ولما خفى هذا على من لم يحط به علما زعم ان الانشقاق وقع مرة بعد مرة فى زمانين وهذا مما يعلم عند
اهل الحديث ومن له خبرة باحوال الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته انه غلط وانه لم يقع الانشقاق الا مرة واحدة
قاله فى مسئلة الطلاق انتهى واما ما ذكره الزركشى هنا ان البخارى رحمه الله اخرج انشقاقه بمكة وبمنى قال
وهو يدل على تكرر الانشقاق له فلا دلالة فيه ولا معارضة لانه لم يصرح بانه عليه السلام كان ليلتئذ بمكة بل
المراد ان الانشقاق كان وهم بمكة قبل ان يهاجروا الى المدينة وقال الحافظ ابن حجر وهذا بحسب تعدد الرائى
لانه تعدد وقوعه مرتين بمكة وبمنى انتهى واما ما وقع فى سيرة العراقى فى قوله وذاك مرتين بالاجماع فقوله بالاجماع
متعلق بالشق لا بمرتين كما قاله الحافظ ابن حجر وقال فانى لا اعلم من جزم من علماء الحديث بتعدد الانشقاق فى زمنه
صلى الله عليه وسلم ولعل قائل مرتين اراد فرقتين وهذا الذى لا يتجه غيره جمعا بين الروايات وزاد ان فى وصف الناظم
لذلك بالاجماع نظر بالاجماع قال ثم راجعت نظم شيخنا المذكور فرايته لا يحتمل التاويل المذكور بل هو صريح فى
التعدد لانه جمع بين قوله فرقتين وبين قوله وذاك مرتين انتهى وقال الحافظ برهان الدين الحلبى كتبت الى شيخنا
زين الدين ابى الفضل العراقى الناظم من حلب الى القاهرة لما وقفت على هذه المنظومة فى ذلك فلم يرد جوابا انتهى
وقد انكر هذه المعجزة جماعة من المبتدعة كجمهور الفلاسفة متمسكين بان الاجرام العلوية لا يتهيا فيها الانخراق
والالتيام وكذا قالوا فى فتح ابواب السما ليلة الاسرا الى غير ذلك قال فى المواهب وجواب هؤلاء ان كانوا كفارا
ان يناظروا اولا على ثبوت دين الاسلام فاذا عمت اشتركوا مع غيرهم ممن انكر ذلك من المسلمين ومتى سلم المسلم
بعض ذلك دون بعض لزمه التناقض وايضا فلا سبيل الى انكار ما ثبت فى القرآن من الانخراق والالتيام فى
القيامة واذا ثبت هذا استلزم الجواز ووقوعه معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم وقد اجاب القدما عن ذلك فقال
ابو اسحاق الزجاج فى معانى القرآن انكر بعض المبتدعة الموافقين لمخالفى الملة انشقاق القمر ولا انكار للعقل فيه
لان القمر مخلوق لله يفعل فيه ما يشاء كما يكوره يوم القيامة ويفنيه واما قول بعض الملاحدة لو وقع هذا لنقل
متواترا واشترك اهل الارض كلهم فى معرفته ولم يختص به اهل مكة لانه امر صدر عن حس ومشاهدة فالناس فيه
شركا والدواعى متوفرة على رواية كل غريب ونقل ما لم يعهد ولو كان لذلك اصل لخلد فى كتب التسيير والتنجيم اذ لا يجوز
اطباقهم على تركه واغفاله مع جلالة شانه ووضوح امره فاجاب عنه الخطابى وغيره بان هذه القصة خرجت
على الامور التى ذكروها لانه شئ طلبه خاص من الناس فوقع ليلا لان القمر لا سلطان له بالنهار ومن شان الليل
ان يكون الناس فيه نياما ومستكنين فى الابنية والبارز منهم بالصحرا اذا كان يقظانا يحتمل ان يتفق انه كان فى
الوقت مشغولا بما يلهيه من سمر وغيره ومن البعيد ان يقصدوا الى مراكز القمر ناظرين اليه لا يغفلون عنه
فقد يجوز انه وقع ولم يشعر به اكثر الناس وانما راه من تصدى لرؤيته ممن اقترح وقوعه ولعل ذلك انما كان فى قدر
اللحظة التى هى مدرك البصر وقد يكون القمر حينئذ فى بعض المنازل التى تظهر لبعض اهل الافاق دون بعض كما يكون
ظاهرا لقوم غايبا عن قوم كما يجد الكسوف اهل بلد دون بلد اخرى انتهى ونقل الزركشى عن بعض المصنفين

انهم راو صلاة الشق ببلاد الترك وهم الآن يورخون به حكاه الطوفى فى مختصر الترمذى وابد الخطابى حكمة بالغة فى
المعجزات للتحدى بها التى لم يبلغ شيء منها مبلغ التواتر الذى لا نزاع فيه كالقرآن بما حاصله ان معجزة كل نبى كانت اذا
وقعت عامة اعقبت هلاك من كذب بها من قومه والنبى صلى الله عليه وسلم بعث رحمة للعالمين فكانت معجزاته التى
يتحدى بها عقلية فاختص بها القوم الذين بعث منهم لما اوتوا من فضل المعقول وزيادة الافهام ولو كان ادركها
عاما لعوجل من كذب به كما عوجل من قبلهم انتهى وكذا اجاب ابن عبد البر بنحوه **تنبيه** نقل البدر الزركشى عن
شيخه عماد الدين بن كثير قال ومما يذكره بعض القصاص ان القمر دخل فى جيب النبى صلى الله عليه وسلم وخرج من
كمه فليس له اصل **ثم اختلفوا** فى اى ليلة انشق والاكثر على انه ليلة ابداره والاكثر على ان الجبل هو حرا وقيل ابو قبيس
وكان ذلك قبل الهجرة بنحو خمس سنين **ان** بكسر الهمزة جواب القسم وجعلها الزركشى بفتحها على حذف لام
التعليل وهى وما بعدها جملة اعتراضية بين القسم وجوابه وهو قوله ما سامنى الدهر **وله** خبر ان مقدم والضمير
للقمر المنشق والضمير فى **من قلبه** للنبى صلى الله عليه وسلم متعلق بقوله **نسبة** بكسر النون وسكون السين المهملة
وفتح الباء الموحدة اسم ان موخر اى شبها فى ان قلبه صلى الله عليه وسلم انشق ولذلك اخترنا ان يكون جواب
القسم للمناسبة التامة بينهما وهذا من محسنات القسم والمقسم عليه كقوله وثناياك انها اغريض وقوله **مبرورة
القسم** صفة يمينا دل عليها اقسمت اى اقسمت يمينا مبرورة القسم برب القمر المنشق ان قلبه انشق وكل منهما
امر خارق للعادة معجزة دالة على صدقه صلى الله عليه وسلم وقد وقع له صلى الله عليه وسلم شق قلبه اربع مرات
او خمس مرات **فاولها** لما كان عند حليمة وكان سنه اذ ذاك اربع سنوات او خمس قالت حليمة بعد ان رددته امه
معنا فوالله لبعد مقدمنا بشهرين او ثلاثة مع اخيه من الرضاع لفى بهم لنا خلف بيوتنا جاء اخوه يشتد
فقال ذاك اخى القرشى قد جاءه رجلان عليهما ثياب فاضجعاه وشقا بطنه فخرجت انا وابوه نشتد نحوه
فنجده قائما منتقعا لونه فاعتنقه ابوه وقال اى بنى ما شانك قال جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض
فاضطجعانى وشقا بطنى ثم استخرجا منه شيئا فطرحاه ثم رداه كما كان فرجعنا به معنا فقال ابوه يا حليمة لقد
خشيت ان يكون ابنى قد اصيب فانطلقى نرده الى اهله قبل ان يظهر به ما نتخوف قالت حليمة فاحتملناه حتى قدمنا
به الى امه فقالت ما ردكما به لقد كنتما حريصين عليه قلنا نخشى عليه الاتلاف والاحداث فقالت ما ذاك
بكما فاصدقانى شانكما فلم تدعنا حتى اخبرناها خبره قالت اخشيتما عليه الشيطان كلا والله ما للشيطان
عليه سبيل وانه لكائن لابنى هذا شان فدعاه عنكما **وفى** حديث شداد بن اوس عن رجل من بنى عامر عند ابى
يعلى وابى نعيم وابن عساكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت مسترضعا فى بنى ليث ابن بكر فبينما انا ذات
يوم فى بطن وادٍ مع اتراب لى من الصبيان اذا انا برهط ثلاثة معهم طست من ذهب ملئ ثلجا فاخذونى من بين
اصحابى وانطلق الصبيان هرابا مسرعين الى الحى فعمد احدهم فاضجعنى على الارض اضجاعا لطيفا ثم شق ما بين
مفرق صدرى الى منتهى عانتى وانا انظر اليه لم اجد لذلك مسا ثم اخرج احشاء بطنى ثم غسلها بذلك الثلج فانعم
غسلها ثم اعادها مكانها ثم قام الثانى فقال لصاحبه تنح ثم ادخل يده فى جوفى واخرج قلبى وانا انظر اليه فصدعه
ثم اخرج منه مضغة سوداء فرمى بها ثم قال بيده يمنة ويسرة كانه يتناول شيئا فاذا بخاتم فى يده من نور تحار الناظر

فيه

فيه فختم به قلبى فامتلاء نورا وذلك نور النبوة والحكمة ثم اعاده مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم فى قلبى دهرا
ثم قال الثالث لصاحبه تنح فامر يده بين مفرق صدرى الى منتهى عانتى فالتام ذلك الشق باذن الله تعالى
ثم اخذنى بيدى فانهضنى من مكانى انهاضا لطيفا ثم قال للاول زنه بعشرة من امته فوزنونى بهم فرجحتهم
ثم قال زنه بمائة من امته فرجحتهم ثم قال زنه بالف فرجحتهم فقال دعوه فلو وزنتموه بامته كلها لرجحهم ثم
ضمونى الى صدورهم وقبلوا راسى وما بين عينى ثم قالوا يا حبيب الله لا تُرع انك لو تدرى ما يراد بك من
الخير لقرت عيناك الحديث **وفى رواية** ابن عباس عند البيهقى قالت حليمة اذا انا بابنى حمزة يعدو فزعا
وجبينه يرشح باكيا ينادى يا ابه يا اماه الحقا اخى محمدا فما تلحقانه الا ميتا اتاه رجل فاختطفه من اوساطنا
وعلا به ذروة الجبل حتى شق صدره الى عانته وفيه انه عليه السلام **قال** اتانى رهط ثلاثة بيد احدهم
ابريق من فضة وفى يد الثانى طست من زمردة خضر الحديث **وعن انس** ان جبريل اتاه صلى الله عليه
وسلم وهو يلعب مع الغلمان فاخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان
منك ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم ثم لامه ثم اعاده فى مكانه قال انس كنت ارى اثر المخيط فى صدره
وقد وقع شق صدره الشريف مرة اخرى لما كان بحراء وجاء جبريل ومعه قابيل وقال له اقرا **ومرة اخرى**
لما كان ببطحاء مكة روى عن ابن ابى الدنيا وغيره باسناد يرفعه الى ابى ذر اتانى ملكان وانا ببطحاء مكة
فوقع احدهما بالارض وكان الآخر بين السماء والارض فقال احدهما لصاحبه اهو هو قال هو هو
قال فزنه برجل فوزننى برجل فرجحته ثم قال زنه بعشرة فوزننى فرجحتهم ثم قال زنه بمائة فوزننى بمائة
فرجحتهم ثم قال زنه بالف فوزننى فرجحتهم حتى جعلوا يتساقطون على كفة الميزان فقال احدهما لصاحبه
شق بطنه فشق بطنى فاخرج منه مغمز الشيطان وعلق الدم فطرحها فقال احدهما لصاحبه خط بطنه
فخاط بطنى وجعل الخاتم بين كتفى كما هو الآن ووليا عنى فكانى اعاين الامر معاينة الحديث **وروى
ابو نعيم** فى الدلائل وعبد الله بن احمد فى زوائد مسند ابيه بلفظ قال ابو هريرة يا رسول الله ما اول ما ابتديت
به من امر النبوة قال انى لفى صحراء واسعة امشى ابن عشر حجج اذا انا برجلين فوق راسى يقول احدهما لصاحبه
اهو هو قال نعم فاخذانى فاضجعانى لحلاوة القفا ثم شقا بطنى وكان احدهما يختلف بالماء فى
طست من ذهب والآخر يغسل جوفى فقال احدهما لصاحبه افلق صدره فاذا صدرى فيما ارى مفلوقا
لا اجد له وجعا ثم قال اشقق قلبه فشق قلبى فقال اخرج الغل والحسد منه فاخرج شبه العلقة فنبذ
به ثم قال ادخل الرحمة والرافة قلبه فادخل شيئا كهيئة الفضة ثم اخرج ذرورا كان معه فذره عليه ثم نقر ابهامى
ثم قال اغد فرجعت بما لم اغد به من رحمتى للصغير ورافتى للكبير **واما شق صدره** الشريف ليلة الاسرا
فروى من طرق كثيرة روى البخارى عن قتادة عن انس بن مالك عن مالك بن صعصعة ان نبى الله صلى الله
عليه وسلم حدثهم عن ليلة اسرى به بينما انا نائم فى الحطيم وربما قال فى الحجر مضطجعا اذا اتانى آت فقد
قال فسمعته يقول فشق ما بين هذه الى هذه فقلت للجارود وهو الى جنبى ما يعنى به قال من ثغرة نحره
الى شعرته فاستخرج قلبى ثم اتيت بطست من ذهب مملوءة ايمانا فغسل قلبى ثم حشى ثم اعيد الحديث

وفي رواية له فشرح صدري ثم اطبقه بماء زمزم ثم جاء بطشت من ذهب ممتلي حكمة وايمانا فافرغه في صدري
ثم اطبقه وفي رواية شريك تحشي في صدري ولغاديده وهي بلام مفتوحة وغين معجمة اي عروق حلقه وفي النهاية
جمع لغدود وهي لحمة عند اللهوات واللثة **وقد انكر القاضي عياض** في الشفا وقوع شق صدره الشريف
ليلة الاسرا وقال انما كان وهو صبي وقبل الوحي في بني سعد ولا انكار في ذلك كما قال الحافظ بن حجر العسقلاني
فقد تواترت الروايات به وايضا ففي كل رواية زيادة عن الاخرى تقتضي التعدد ولا مانع من التعدد ومن حفظ
حجة على من لا يحفظ **ثم يتعلق** باحاديث الشق مسائل عديدة وحكم مفيدة لا بد من التعرض لها والتنبيه
عليها اما شق صدره الشريف زمن الطفولية واستخراج العلقة منه كما هو عند مسلم من حديث انس فاخرج
علقة فقال هذا حظ الشيطان منك فلتطهيره عن حالة الصبا حتى يتصف في سن الصبا باوصاف الرجولية ولذلك
نشا على اكمل الاحوال من العصمة من الشيطان ولعل هذا الشق كان سببا في اسلام قرينه المروي عند البزار ويحتمل
ان يكون اشارة الى حظ الشيطان المباين كالعفريت الذي اراد ان يقطع عليه صلاته وامكنه الله منه وقال السهيلي في
الحكمة في حال الطفولية لينقى قلبه من مغمز الشيطان وليتقدس من كل خلق ذميم حتى لا يتلبس بشيء مما يعاب على الرجال
وحتى لا يكون في قلبه شيء الا التوحيد ولذلك قال فوليا عني يعني الملكين وكاني اعاين الامر معاينة واما شق الصدر
عند البعث فلزيادة الكرامة وليتلقى ما يوحى اليه بقلب قوي على اكمل الاحوال من التطهير واما شقه عند ارادة العروج الى
السماء فليتهيا الى الترقي الى الملا الاعلى والثبوت في المقام الاسنى والتقوى لاستجلاء الاسماء الحسنى ولهذا لما لم
يتفق لموسى عليه السلام مثل هذا التهيؤ لم يتفق له الروية وقال السهيلي الثانية في حال الاكتمال وبعد ما نبي وبعد ما اراد
الله ان يرفعه الى الحضرة المقدسة التي لا يصعد اليها الا مقدس وعرج به ليفرض عليه الصلاة وليصلي بملائكة السموات
ومن شان الصلاة الطهور فقدس ظاهرا وباطنا وغسل بماء زمزم قال في المواهب ويحتمل ان تكون الحكمة في هذا الغسل
لتقع المبالغة في الاسباغ بحصول المرة الثالثة كما تقرر في شرعه عليه السلام انتهى وابدى السهيلي في حكمة غسل قلبه
الشريف في المرة الاولى بالثلج وفي الثانية بماء زمزم اما الاولى فلما يشعر به الثلج من ثلج اليقين ابرد على الفواد وكذلك
هناك حصل له اليقين بالامر الذي يراد به فيوحد به واما في الثانية فقد كان موقنا مبينا وانما طهر لمعنى آخر وهو
ما ذكرناه من دخول حضرة القدس والصلاة فيها ولقاء الملك القدوس فغسله روح القدس بماء زمزم الذي هو همزة
روح القدس وهمزة ابيه اسمعيل عليه السلام وجيء بطشت ممتلي حكمة وايمانا فافرغ في قلبه وقد كان مومنا ولكن الله
تعالى قال وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وقال السهيلي ومما يسال عنه هل خص هو عليه السلام بغسل قلبه في الطشت ام فعل
ذلك لغيره من الانبيا قبله ففي خبر التابوت والسكينة انه كان فيه الطشت التي غسلت فيه قلوب الانبيا ذكره الطبري
وتبعه صاحب المواهب على ذلك وزاد وعزاه العماد ابن كثير في تفسيره لرواية السدي عن ابي مالك عن ابن عباس قال
السهيلي فان قيل وكيف يكون الايمان والحكمة في طشت من ذهب والايمان عرض والاعراض لا يوصف بها الا محلها
الذي تقوم به ولا يجوز فيها الانتقال لان الانتقال من صفة الاجسام لا من صفة الاعراض قلنا انما عبر عما كان
في الطشت بالحكمة والايمان كما عبر باللبن الذي شربه واعطى فضله عمر بالعلم فكان تاويل ما افرغ في قلبه حكمة وايمانا
ولعل الذي كان في الطشت ثلجا وبردا كما ذكر في الحديث الاول فعبر عنه في المرة الثانية بما يؤول اليه وعبر عنه في المرة الاولى

بصورته

بصورته التي راها لانه كان في المرة الاولى كان طفلا فلما راى الثلج في الطشت الذهب واعتقده ثلجا حتى
عرف تاويله بعد وفي المرة الثانية كان نبيا فلما راى طشت الذهب مملوة ثلجا علم التاويل لحينه واعتقده في ذلك
المقام حكمة وايمانا فكان لفظه في الحديثين على حسب اعتقاده وكان الذهب في الحالين مناسبا للمعنى الذي
قصد به فان نظرت الى لفظ الذهب فمطابق للاذهاب فان الله عز وجل اراد ان يذهب عنه الرجس ويطهره
تطهيرا وان نظرت الى معنى الذهب واوصافه وجدته انقى شيء واصفاه يقال في المثل انقى من الذهب وقالت
بريرة في عايشة ما اعلم عليها الا ما يعلم الصايغ على الذهب الاحمر وقال حذيفة في صلة ابن اشيم انما قلبه من ذهب وقال
جرير بن حازم في الخليل بن احمد انه لرجل من ذهب يريدون النقاء من العيوب فقد طابق طشت الذهب ما اريد
بالنبي صلى الله عليه وسلم من نقا قلبه ومن اوصاف الذهب ايضا المطابقة لهذا المقام ثقله ورسوبه فانه يجعل
في الزيبق الذي هو اثقل الاشيا فيرسب والله تعالى يقول انا سنلقي عليك قولا ثقيلا وقال عمر بن الخطاب انما
ثقلت موازين المحقين في القيامة لاتباعهم الحق وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحق ان يكون ثقيلا وقال في اهل
الباطل بعكس هذا وقد روي انه نزل عليه الوحي وهو على ناقته فثقل عليها حتى ساخت قوايمها في الارض فقد
تطابقت الصفة المعقولة والصفة المحسوسة ومن اوصاف الذهب ايضا انه لا تاكله النار وكذلك النار لا تاكل يوم
القيامة قلبا وعاه ولا بدنا عمل به قال عليه السلام لو كان القران في اهاب ثم طرح في النار لما احترق ومن اوصاف
الذهب المناسبة للقران والوحي ان الارض لا تبليه وان الثرى لا يدريه وكذلك القران لا يخلق على كثرة الرد
ولا يستطاع تغييره ولا تبديله ومن اوصافه ايضا نفاسته وعزته على الناس وكذلك الحق والقران عزيز قال الله عز
وجل وانه لكتاب عزيز هذا اذا نظرت الى اوصافه ولفظه فان نظرت الى ذاته وظاهره فانه زخرف الدنيا وزينتها
وقد فتح بالقران والوحي على محمد صلى الله عليه وسلم وامته خزاين الملوك وتصير الى ايديهم ذهبها وفضتها وجميع
زخرفها وزينتها ثم وعد على اتباع القران والوحي قصور الذهب والفضة في الجنة قال عليه السلام جنتان
من ذهب انيتها وما فيها من ذهب وفي التنزيل يطاف عليهم بصحاف من ذهب ويحلون فيها اساور من ذهب
وكان ذلك الذهب يشعر بالمذهب الذي يصير اليه من اتبع الحق والقران واوصافه تشعر باوصاف الحق والقران
ولفظه يشعر باذهاب الرجس كما تقدم فهذه حكم بالغة لمن تامل واعتبار صحيح لمن تدبر ولله الحمد **وفي الطشت**
ايضا وحروف اسمه حكمة تنظر الى قوله عز وجل طس تلك ايات القران وكتاب مبين وقال السهيلي في قوله
فاخرج منه مغمز الشيطان وعلق الدم فبين ان الذي التمس فيه هو الذي يغمزه الشيطان من كل مولود الا عيسى بن
مريم وامه لقول امها واني اعيذها بك وذريتها فلم يصل اليه لذلك ولانه لم يخلق من مني الرجال فاعيذ من
مغمزه وانما خلق من نفخة روح القدس ولا يدل هذا على فضل عيسى عليه السلام على نبينا صلى الله عليه وسلم لان
نبينا صلى الله عليه وسلم قد نزع منه ذلك المغمز وملي قلبه حكمة وايمانا بعد ان غسله روح القدس بالثلج والبرد وانما
كان ذلك المغمز فيه لموضع الشهوة للمني والشهوات يحضرها الشيطان لا سيما شهوة من ليس بمومن فكان
ذلك المغمز منه راجعا الى الاب لا الى الابن المطهر صلى الله عليه وسلم انتهى **ثم ان** جميع ما ورد من شق الصدر واستخراج
القلب وغير ذلك من الامور الخارقة للعادة مما يجب التسليم له دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحية القدرة

له فلا يشكل شيء من ذلك **قال ابن ابي جمرة** فيه دليل على ان قدرة الله عز وجل لا يعجزها ممكن ولا تتوقف لعدم شيء ولا لوجوده وليست مربوطة بالعادات الى حيث شاءت القدرة لانه على ما يعهد ويعرف ان البشر مهما شق بطنه كله وانجرح القلب مات ولم يعش وهذا النبي صلى الله عليه وسلم قد شق بطنه الشريف حتى اخرج القلب فغسل وقد شق بطنه كذلك ايضا وهو صغير وشق قلبه واخرجت منه نزغة الشيطان ومعلوم ان القلب مهما وصل اليه الجرح مات صاحبه وهذا النبي صلى الله عليه وسلم شق بطنه في هاتين المرتين فلم يتالم بذلك ولم يمت لما ان اراد الله تعالى ان لا يؤثر ما اجرى به العادة ان يؤثر بها مرة صاحبها فابطل تلك العادة وقد رمي ابراهيم عليه السلام في النار فلم تحرقه وكانت عليه بردا وسلاما انتهى **ثم ان ما وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم** من الشق من جنس ما وقع لابيه اسمعيل الذبيح بتحقيق صبره وقد مدح الله تعالى بصبره على مقدمات الذبح من الشد والتل للجبين والمراد المدية على النحر والوفا بالعهد ولا شك ان صبر نبينا صلى الله عليه وسلم على شق الصدر اشد واجل لان تلك مقدمات وهذه نتيجة وتلك معاريض وهذه حقيقة والنحر مقتل وما اصابه من اسمعيل الا صورة القتل لا فعله وشق صدر نبينا عليه السلام واستخراج قلبه ثم شقه ثم كذا مقاتل عديدة ووقعت كلها وكيف انخرقت العادة ببقاء الحيوة فهذا الابتلاء اعظم من ابتلاء الذبيح بما ذكر **فان قيل** انما يتحقق الصبر ان لو كان هناك مشقة فلعل العادة لما انخرقت في ابقاء الحيات انخرقت في دفع المشاق وحمل الالام **اجيب بانه** ورد في حديث شق صدره فاقبل وهو منتقع اللون او ممتقع بالميم بدل النون وهو يدل على ان الصبر على مشقة المعالجة المذكورة محقق **قال القاضي عياض** واصل منتقع صار كلون النقع والنقع الغبار وهو شبيه بلون الاموات وهذا يدل على غاية المشقة واما قول ابن الجوزي فشقه وما شق عليه فيحمل على انه صبر صبر من لم يشق عليه انتهى **ومما يزيد به في هذه الابتلاء** ايضا من حيث السن فان ذلك وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم بعد ما فطم وايضا فانه كان منفردا عن امه ويتيما من ابيه واختطف من بين الاطفال وفعل به ما فعل من الافعال تسهيلا لما يلقاه في المآل وتعظيما لما يناله على الصبر من الثواب الجزيل والثناء الجميل ولهذا لما شج وجهه وكسرت رباعيته قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون **ثم قوله في الحديث** ثم اتيت بطشت من ذهب انما اتى بالطشت لانه اشهر آلات الغسل عرفا **فان قيل** ان استعمال الذهب حرام في شرعه عليه السلام فكيف استعمل الطشت الذهب هنا **اجاب العلامة ابن ابي جمرة** بان تحريم الذهب لاجل الاستمتاع في هذه الدار واما في الاخرة فهو للمؤمنين خالصا بقوله عليه السلام هو لهم في الدنيا وهو لنا في الاخرة قال ثم ان الاستمتاع بهذا الطشت لم يحصل منه عليه السلام وانما كان غيره هو السايق له والمتناول لما كان فيه حتى وضع في القلب المبارك فسوق ان الطشت المبارك من هناك وكونه كان من ذهب دال على ترفيع المقام فانتفى التعارض بدليل ما قررناه انتهى **وتعقبه الحافظ ابن حجر** بانه لا يكفي ان يقال ان المستعمل له ممن لم يحرم عليه ذلك من الملائكة لانه لو كان قد حرم عليه استعماله لنزه ان يستعمله غيره في امر يتعلق ببدنه المكرم ويمكن ان يقال بان تحريم استعماله مخصوص باحوال الدنيا وما وقع في تلك الليلة كان الغالب انه من احوال الغيب فيلحق باحكام الاخرة ولعل ذلك قبل ان يحرم استعمال الذهب في هذه الشريعة الى آخر ما ذكر من المناسبات وقد قدمنا بسطها عن السهيلي وقدمنا عنه الجواب عن كونه

الايمان من قبيل الاعراض وهو لا يتجسم على ان تجسيم المعاني جائز كما في مجي سورة البقرة يوم القيامة كانها ظلة وكما في ذبح الموت بعد تجسيمه في صورة كبش على انهم قالوا ان هذه الاعراض الدنيوية تتجسم يوم القيامة في صورة ذاتية خيرا كانت او شرا وقد حقق الكلام على ذلك المفسرون في وزن الاعمال في سورة الاعراف وغيرها قال العارف ابن ابي جمرة فيه دليل على ان الايمان والحكمة جواهر محسوسات لا معاني لانه عليه السلام قال عن الطشت انه اتي به مملوا ايمانا وحكمة لا يقع الخطاب الا على ما يفهم ويعرف والمعاني ليس لها اجسام حتى تملا وانما يمتلي الاناء بالاجسام والجواهر وهذا نص من الشارع عليه السلام بضد ما ذهب اليه المتكلمون في قولهم ان الايمان والحكمة اعراض والجمع بين الحديث وما ذهبوا اليه هو ان حقيقة اعيان المخلوقات التي ليس للحواس اليها ادراك ولا من النبوة اخبار عن حقيقتها غير محققة وانما هم عليه ظن لان العقل بالاجماع من اهل العقل المؤيدين بالتوفيق حدا يقف عنده ولا يتسلط فيما عدا ذلك ولا يقدر ان يصل اليه فهذا وما اشبهه من هؤلاء تكلموا على ظهر لهم من الاعراض الصادرة عن هذه الجواهر التي ذكرها الشارع عليه السلام في الحديث فيكون الجمع بينهما ان يقال ما قاله المتكلمون حق لانه الصادر عن الجواهر وهو الذي يدرك بالعقل والحقيقة ما ذكره عليه السلام في الحديث ولهذا نظاير كثيرة بين المتكلمين واثار النبوة ويقع الجمع بينهما على الاسلوب الذي قررناه او ما يشبهه ثم مثل لمجي الموت في هيئة كبش املح ثم بالاذكار والتلاوة ثم قال لان ما ظهر منها هنا معان ويوجد يوم القيامة جواهر محسوسات لانها توزن ولا يوزن في الميزان الا الجواهر قال وفي ذلك دليل لاهل الصوفية واصحاب المعاملات والتحقيق القايلين بانهم يرون قلوبهم وقلوب اخوانهم وايمانهم وايمان اخوانهم باعين بصايرهم في جواهر محسوسات فمنهم من يعاين ايمانه مثل المصباح ومنهم من يعاينه مثل الشمعة ومنهم من يعاينه مثل المشعل وهو اقواها ويقولون بانه لا يكون المحقق محققا حتى يعاين قلبه بعين بصيرته كما يعاين كفه بعين بصره فيعرف الزيادة من النقصان **فان قيل** ما الحكمة في شق صدره الشريف ثم ملئه ايمانا وحكمة ولم لم يوجد الله تعالى ذلك فيه من غير ان يفعل به ما يفعل **اجاب العارف ابن ابي جمرة** بانه عليه السلام لما اعطى كثرة الايمان وقوة التصديق اذ ذاك اعطى برؤية شق البطن والقلب عدم الخوف من جميع العادات الجارية بالهلاك فحصلت له عليه السلام قوة الايمان من ثلاثة اوجه بقوة التصديق والمشاهدة وعدم الخوف من العادات المهلكات فكمل له عليه السلام بذلك ما اريد منه من قوة الايمان بالله عز وجل وعدم الخوف مما سواه ولاجل ما اعطيه مما اشرنا اليه كان عليه السلام في العالمين اشجعهم واثبتهم واعلاهم مقاما ومقالا ففي العلو كان كما اخبر عليه السلام ان جبريل لما وصل معه الى مقامه قال ها انت وربك هذا مقامي لا اتعداه فزج في النور زجة ولم يتوار ولم يلتفت فكان هناك في الحضرة كما اخبر عنه ربه عز وجل بقوله ما زاغ البصر وما طغى واما حاله عليه السلام في هذا العالم فكان اذا حمي الوطيس في الحرب ركض بغلته في نحر العدو شاكي في سلاحه ويقول انا ابن عبد المطلب انا النبي لا كذب ثم ان في العناية بتطهير قلبه المقدس وافراغ الايمان والحكمة فيه اشارة الى مذهب اهل السنة في ان محل العقل ونحوه من اسباب الادراكات كالنظر والفكر انما هو القلب لا الدماغ خلافا للمعتزلة والفلاسفة واما الحكمة في غسل قلبه المقدس بماء زمزم فقيل لان ماء زمزم يقوي القلب ويسكن الروع

قال الحافظ الزين العراقي و لذلك غسل به قلبه عليه السلام ليلة الاسرا ليقوى على روية الملكوت واستدل شيخ
الاسلام البلقيني بغسل قلبه الشريف به انه افضل من ماء الكوثر قال لانه لم يكن يغسل قلبه المكرم الا بافضل المياه
واليه يومي قول العارف ابن ابي جمرة في كتابه بهجة النفوس واما قوله عليه السلام فغسل صدري فالظاهر ان
المراد به القلب كما في الرواية الاخرى وقد يحتمل ان تحمل كل رواية على ظاهرها ويقع الجمع بان يقال اخبر عليه
السلام مرة بغسل صدره الشريف ولم يتعرض لذكر قلبه واخبر مرة بغسل قلبه ولم يتعرض لذكر صدره فيكون
الغسل قد حصل فيهما معا مبالغة في تنظيف المحل المقدس ولا شك ان المحل الشريف كان طاهرا مطهرا
وقابلا لجميع ما يلقى اليه من الخير وقد غسل اولا وهو عليه السلام طفل واخرجت من قلبه نزغة الشيطان
وانما كان ذلك اعظاما وتاهبا لما يلقى هناك وقد جرت الحكمة في ذلك في غير ما موضع مثل الوضوء للصلوة
لمن كان متنظفا لان الوضوء في حقه انما هو اعظام وتاهب للوقوف بين يدي الله تعالى ومناجاته
فلذلك غسل جوفه الشريف هنا وقد قال الله تعالى ومن يعظم شعاير الله فانها من تقوى القلوب فكان
الغسل عليه السلام من تعظيم شعاير الله واشارة لامته بالفعل بتعظيم شعاير الله كما نص لهم عليه السلام
بالقول صلى الله وسلم عليه وفي البيت رد العجز على الصدر مع جناس الاشتقاق في اقسمت والقسم
ومراعات النظير بين مبرورة القسم وبين المقسم به والمقسم عليه

وما حوى الغار من خير ومن كرم ... وكل طرف من الكفار عنه عمي

الواو عاطفة على اقسمت بالقمر المنشق تدل على مشاركة المعطوف للمعطوف عليه في الحكم والتقدير والمراد
بما حوى الغار النبي صلى الله عليه وسلم اى بربه وقيل ما موصول اسم مبتدا وقيل خبر مبتدا محذوف والعايد
محذوف اى حواه وقيل مفعول لفعل محذوف اى اذكر ما حوى اى جمع الغار الكهف في الجبل ومثله المغار
والمغارة وجمع الغار غيران وتصغيره غوير والجملة صلة الموصول واللام في الغار للعهد والمراد به الغار
الذي دخله النبي صلى الله عليه وسلم هو وابو بكر الصديق رضي الله عنه باعلى جبل ثور اذ هما في الغار وهو عن مكة
المشرفة الى الجهة اليمانية على ثلاثة اميال ذكره ابن الحاج ومن فضايله ما يروى انه نطق للنبي صلى الله عليه وسلم
وقال الي يا محمد فقد اويت قبلك سبعين نبيا والغار باعلاه لا يطلع اليه الا بجهد وعسر وهو الغار الذي
ذكره الله تعالى في القران العظيم في قوله ثاني اثنين اذ هما في الغار وهو مشهور عند الناس ويقصدونه بالزيادة
للتبرك وله بابان احدهما متسع والاخر مضيق وبعض الناس يتجنب دخوله من الباب الضيق لما فيه من المشقة
ولما يقوله العوام من ان من لم يدخل منه ليس لابيه قال صاحب القاموس وجبل ثور يعرف بثور اطحل واسم الجبل
اطحل نزله ثور بن عبد مناف فنسب اليه وفيه فيما قيل قتل قابيل هابيل وهذا يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما
ذكره الكمال الدميري في تعاليقه وبالقرب من باب الغار قبة جبريل عليه السلام وهو عود منقطع من الجبال قد قام
شبه الذراع للرتفع مقدار نصف القامة وانبسط في علاه شبه الكف كانه قبة مبسوطة يستظل تحتها نحو
العشرين رجلا انتهى ومن خير ومن كرم بيان لما بمعنى المحوي المقسم به والخير بفتح الخا خلاف الشر لان كل
انسان يختاره وبكسر الخا الكرم وهما جايزان هنا وعلى الثاني فعطف من كرم عليه من عطف احد المتماثلين

على

على الاخر وهو جايز او لتنزيلهما منزلة المتغايرين كقوله فالفى قولها كذبا ومينا وقوله اقوى واقفر بعد ام الهيثم
والكرم بمعنى الفضل والرفعة ومنه يقال فرس كريم يعنون به العتيق من جياد الخيل اطلق الخير والكرم على النبي صلى
الله عليه وسلم وعلى صاحبه الصديق رضي الله عنه وصفا لهما بما هو من شانهما كانهما نفس الخير والكرم من
باب قولهم رجل عدل ولا نقول هنا مبالغة اذ ذاك بعض مقامهما وقصة جمعهما في الغار حين المهاجرة وقد
قدمنا في بيت دعايه الى الله هجرة اصحابنا وان ابا بكر رضي الله عنه كان اذا اراد ان يهاجر واستاذنه في المهاجرة يقول
له لا تعجل ان الله يجعل لك صاحبا فيطمع ابو بكر ان يكون هو صلى الله عليه وسلم الصاحب ولما بلغ قريشا انه
بويع وامر من معه ان يلحق بالمدينة وانه ظهر امره بها اشتوروا بدار الندوة وهي دار قصي بن كلاب وكان من عادتهم
الاجتماع بها لكل مشورة تهمهم ثم اجمعوا ان يحبسوه او يخرجوه او يقتلوه وفي هذا نزل قوله تعالى واذ يمكر بك
الذين كفروا الاية فاعترضهم ابليس في صورة رجل نجدي فان قيل لم تمثل الشيطان في صورة نجدي اجيب
لانهم قالوا كما ذكره اهل السير لا يدخلن معكم في المشاورة احد من اهل تهامه لان هواهم مع محمد فلذلك تمثل في
صورة نجدي واظهر لهم انه يريد نصحهم وامرهم ان يعرضوا عليه اراءهم ليختار انفعها لهم فقيل نحبسه فقال قد
يتنزع منكم فقيل نخرجه فقال ياتيكم بما لا طاقة لكم به فقال ابو جهل لعنه الله ارى ان تاخذوا من كل قبيلة غلاما
قويا ثم تعطوهم شفارا فيضربونه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبايل فلم يقدر اهله على حرب قومهم فياخذوا ديته
فقال ابليس لعنه الله لله درك هذا هو الراي ثم اتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تبيت هذه الليلة
على فراشك الذي كنت تبيت عليه فلما كان الليل اجتمعوا على داره يرصدونه حتى ينام فيثبوا عليه صلى الله عليه
وسلم فامر عليا فنام مكانه وغطى برداء اخضر فكان اول من شرى نفسه وفي ذلك يقول

وقيت بنفسي خير من وطئ الثرى ... ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول اله خاف ان يمكروا به ... فنجاه ذو الطول الاله من المكر

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اخذ الله على ابصارهم فلم يره احد منهم ونثر على رؤسهم كلهم ترابا
كان في يده وهو يتلو قوله تعالى يس الى قوله تعالى فاغشيناهم فهم لا يبصرون ثم انصرف صلى الله عليه وسلم
حيث اراد فاتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال ما تنتظرون قالوا محمدا قال قد خيبكم الله قد والله خرج محمد عليه
السلام عليكم ثم ما ترك منكم رجلا الا وضع على راسه ترابا وانطلق لحاجته فما ترون بكم فوضع كل رجل يده
على راسه فاذا عليه تراب وفي رواية ابي حاتم كما صححه الحاكم من حديث ابن عباس فما اصاب رجلا منهم
حصاة الا قتل يوم بدر كافرا ثم اذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في الهجرة قال ابن عباس بقوله تعالى وقل رب ادخلني
مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا اخرجه الترمذي وصححه الحاكم وذكر
الحاكم ان خروجه صلى الله عليه وسلم كان بعد بيعة العقبة بثلاثة اشهر او قريبا منها وجزم ابن اسحاق بانه خرج
اول ربيع الاول فعلى هذا يكون بعد البيعة بشهرين وبضعة عشر يوما وكذا جزم الاموي في المغازي عن ابن اسحاق
فقال كان مخرجه من مكة بعد العقبة بشهرين وليال قال وخرج لهلال ربيع الاول وقدم المدينة لاثنتي عشرة
خلت من ربيع قال في فتح الباري وعلى هذا خرج يوم الخميس وقال الحاكم تواترت الاخبار ان خروجه يوم الاثنين

ودخوله المدينة كان يوم الاثنين الا ان محمد بن موسى الخوارزمي قال انه خرج من مكة يوم الخميس ويجمع بينهما بان خروجه من مكة كان يوم الخميس وخروجه من الغار كان ليلة الاثنين لانه اقام فيه ثلاث ليال ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الاحد وخرج اثناء ليلة الاثنين وكانت مدة اقامته بمكة من حين النبوة الى ذلك الوقت بضع عشر سنة ويدل عليه قول نوى في قريش بضع عشرة حجة يذكر لو يلقى صديقا مواتيا وقيل غير ذلك وامر جبرائيل ان يستصحب ابا بكر واخبر عليه السلام علينا بخروجه وامره ان يتخلف بعده حتى يودي عنه الودايع التي كانت عنده للناس فانه صلى الله عليه وسلم لما اشتهرت امانته وصيانته كانت قريش وغيرها يودعون عنده الودايع قال ابن شهاب قال عروة قالت عايشة فبينما نحن جلوس يوما في بيت ابي بكر في نحر الظهيرة قال قايل لابي بكر هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقتنعا في ساعة لم يكن ياتينا فيها قال ابو بكر فدى له ابي وامي والله ما جاء به في هذه الساعة الا امر قالت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستاذن فاذن له فدخل فقال صلى الله عليه وسلم لابي بكر اخرج من عندك فقال ابو بكر انما هم اهلك بابي انت وامي يا رسول الله وكذلك وقع في جامع البخاري قال السهيلي وذلك ان عايشة قد كان ابوها انكحها منه قبل ذلك وكذلك روي عن امها ام رومان بنت عامر بن عويمر ويقال في اسمها ام رومان بفتح الواو وذكر في حديث ابن اسحاق بعد ان هاجر ابو بكر وارسل احضر بناته الى المدينة وفيه فقال ابو بكر الا ايتني باهلك يا رسول الله الحديث فقال صلى الله عليه وسلم انه قد اذن لي في الخروج فقال ابو بكر الصحبة بابي انت وامي يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم نعم وفي حديث ابن اسحاق ان ابا بكر كان قد اعد راحلتين فقدم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدة وهي افضلهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لا اركب بعيرا ليس لي فقال ابو بكر هي لك يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثمن فقال ابو بكر بالثمن يا رسول الله فركبا قال السهيلي سيل بعض اهل العلم لم لم يقبلها الا بالثمن وقد انفق عليه ابو بكر من ماله ما هو اكثر من هذا فقبله وقد قال عليه السلام ليس من احد امن علي في اهل ومال من ابي بكر وقد دفع اليه حين بنى بعايشة ثنتي عشرة اوقية ونشا فلم يأب من ذلك فقال المسئول انما ذلك لتكون هجرته الى الله بنفسه وماله رغبة منه عليه السلام في استكمال فضل الهجرة الى الله وان تكون الهجرة والجهاد على اتم احوالهما وهو قول حسن حدثني بهذا بعض اهل العلم عن الفقيه الزاهد ابي الحسن بن الفراث رحمه الله تعالى انتهى وذكر ابن اسحاق في غير رواية ابن هشام ان الناقة التي ابتاعها رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابي بكر يومئذ هي ناقته التي تسمى بالجدعاء وهي غير العضباء وذكر ابن اسحاق قول عايشة رضي الله عنها ما كنت ارى احدا يبكي من الفرح حتى رأيت ابا بكر يومئذ يبكي من الفرح قال السهيلي قالت ذلك لصغر سنها وانها لم تكن علمت بذلك قبل وقد تطرقت الشعرا وتطوقت لهذا المعنى فاخذته استطرافا قال الطائي يصف السحاب اذا وكفت في روضة طفقت عيون ازهارها تبكي من الفرح وقال ابو الطيب وزاد على هذا المعنى

فلا تنكرن لها صرعة ● فمن فرح النفس ما يقتل

وقال بعض المحدثين

ورد الكتاب من الحبيب بانه ● سيزورني فاستعبرت اجفاني

غلب السرور علي حتى انه ● من فرط ما قد سرني ابكاني

يا عيني

ياعيني صار الدمع عندك عادة ● تبكين من فرح وفي احزان

قالت عايشة فجهزناهما اخف الجهاز وصنعنا لهما سفرة من جراب فقطعت اسما بنت ابي بكر قطعة من نطاقها فربطت بها على فم الجراب فبذلك سميت بذات النطاقين وكان من قوله صلى الله عليه وسلم حين خرج من مكة لما وقف على الحزورة ونظر الى البيت فقال والله لأنك احب ارض الله الي وانك لأحب ارض الله الى الله ولولا ان اهلك اخرجوني منك ما خرجت وهذا من أصح ما يحتج به في تفضيل مكة على المدينة ولم يعلم بخروجه صلى الله عليه وسلم الا علي وآل ابي بكر وروي انهما خرجا من خوخة لابي بكر في ظهر بيته ليلا الى الغار ولما فقدت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبوه بمكة اعلاها واسفلها وبعثوا القافة اثره في كل وجه فوجد الذي ذهب قبل ثور اثره هناك فلم يزل يتبعه حتى انقطع لما انتهى الى ثور وشق خروجه وجزعوا لذلك وجعلوا ماية ناقة لمن رده والى ذلك اشارة الناظم في الهمزية

ويح قوم جفوا نبيا بارض ● الفته ضبابها والضباء

وسلوه وحن جذع اليه ● وقلوه ووده الغرباء

اخرجوه منها وآواه غار ● وحمته حمامة ورقاء

وكفته بنسجها عنكبوت ● ما كفته الحمامة الحصداء

روي ان ابا بكر تقدم الى دخوله ودخله قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقيه بنفسه ورأى فيه جحرا فالقمه عقبه لئلا يخرج منه ما يوذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلت الحيات والافاعي تلسعه وتضربه وجعلت دموعه تتحدر وفي رواية فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع رأسه في حجر ابي بكر ونام فلدغ ابو بكر في رجله من الجحر ولم يتحرك فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما لك يا ابا بكر فقال لدغت فداك ابي وامي فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده وذكر قاسم ابن ثابت في الدلايل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخله وابو بكر معه انبت الله على بابه الراة قال قاسم هي شجرة معروفة فحجبت عن الغار اعين الكفار وقال ابو حنيفة الراة من اغلاف الشجر وتكون مثل قامة الانسان ولها خيطا وزهر ابيض تحشى منه المخاد فيكون كالريش لخفته ولينه كانه القطن وانشد

ترى ودك الشيوبق على لحاهم ● كمثل الراة لبده الصقيع

وفي مسند البزار ان الله امر العنكبوت فنسجت على وجه الغار وارسل حمامتين وحشيتين فوقعتا على وجه الغار وان ذلك مما صد المشركين عنه وان حمام الحرم من نسل تينك الحمامتين ثم اقبل فتيان قريش من كل بطن بعصيهم وهراويهم وسيوفهم فجعل بعضهم ينظر في الغار فلم ير الا حمامتين وحشيتين بفم الغار فرجع الى اصحابه فقالوا له ما لك قال رايت حمامتين وحشيتين فعرفت انه ليس فيه احد وقال آخر ادخلوا الغار فقال امية بن خلف وما اربكم الى الغار ان فيه لعنكبوتا اقدم من ميلاد محمد وقد روي ان الحمامتين باضتا في اسفل النقب ونسج العنكبوت فقالوا لو دخله لتكسر البيض وتفسخ نسج العنكبوت وهذا ابلغ في الاعجاز من مقاومة القوم بالجنود واشار بقوله وكل طرف من الكفار عنه عمي الى ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال

اللهم اعم ابصارهم فعميت عن دخوله وجعلوا يضربون يمينا وشمالا حول الغار اى عواعما فيه مع خلق الله
ذلك فيهم وعن انس قال ابو بكر يا رسول الله لو ان احدا نظر الى قدميه لرأنا فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وروى ايضا ان ابا بكر لما رأى العافا اشتد حزنه على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال ان قتلت فانما انا رجل واحد وان قتلت انت هلكت الامة فعندها قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا يعني بالمعونة والنصر فانزل الله
سكينته وهي امنة تسكن عندها القلوب على ابى بكر لانه كان منزعجا وايده يعني النبي صلى الله
عليه وسلم بجنود لم تروها يعني الملائكة ليحرسوه في الغار وليصرفوا وجوه الكفار وابصارهم عن رؤيته
وذلك وان كان يحصل بدون انزال الملائكة الا ان في انزالهم تعظيما له صلى الله
عليه وسلم واذا تأمل المتامل في قول نبينا صلى الله عليه وسلم ان الله
معنا وقول موسى عليه السلام لبني اسرائيل ان معي ربي وجد الفرق بين المقالتين بلاغة وابلغية وصدق
يقين وحسن ظن من وجوه عديدة لان نبينا صلى الله عليه وسلم عم المعية بينه وبين ابى بكر في
قوله معنا فامد ابا بكر بنوره حتى شهد معه سر المعية ومن ثم سرى سر السكينة عليه والا لما اطاق تحمل
هذا التجلي والشهود وموسى عليه السلام قصر المعية على نفسه ولم يتجاوزها الى اتباعه قال العارف
الشمس ابن اللبان وابن معية الربوبية في قصة موسى عليه السلام من معية الالهية في قصة نبينا
صلى الله عليه وسلم انتهى واقول ومن المبالغة في مقالة نبينا صلى الله عليه وسلم تقديم لفظة الجلالة
على المعية وتقديم المعية على ربي في مقالة موسى عليه السلام ثم اشار الناظم الى تحقق عماهم عمن في الغار
مع تحقق رؤيتهم الغار وهو من اكبر المعجزات بقوله

فالصدق في الغار والصديق لم يرما ... وهم يقولون ما بالغار من ارم

الفاء في فالصدق للسببية كما لا يخفى واطلق الصدق على صاحبه مبالغة في شدة اتصافه به ولزومه
له كما في قولهم رجل عدل والمراد به النبي صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى او لمجيئه بالقران
الموصوف بالصدق والذي جاء بالصدق وصدق به والصدق بفتح الصاد الكامل من كل شيء وهما
صادقان هنا وهو مبتدا وفي الغار متعلق بمحذوف خبر المبتدا واللام فيه للعهد والصديق
مبتدا معطوف على ما قبله عطف الجملة على الجملة وخبره محذوف خوف العبث او العدول الى اقوى الدليلين
اى كذلك في الغار ووجد في نسخة بخط الناص والتصديق مصدر صدقه وصف به لما اتصف به لانه
كان كثير التصديق للنبي صلى الله عليه وسلم وهو ابو بكر الصديق وليطابق المصدر الذي قبله في اطلاق
كل من المصدرين على صاحبه مبالغة ولا يخفى اختيار التصديق في جانبه الصديق وجملة لم يرما خبر
بعد خبر او هي خبر المبتدا وفي الغار حال ويرما بكسر الراء وصله بيا بعد الراء هي عين الفعل حذفت تبعا لحذفها في
المجزوم لالتقاء الساكنين اولا ان فتحة ما قبل الالف عارضة فلا اعتداد بها والمعروف في الاستعمال اثبات
اليا اى لم يبرحا مقيمين فيه قال الاعشى حاكيا قول ابنته فيا ابتا لا تزل عندنا ... فانا بخير اذا لم ترم

اى لم

اى لم تبرح عندنا وقد اغرب شارح وتبعه آخر حيث جعلاه مضارع ورم بمعنى انتفخ
وبينهما على التحقيق بون ... كما بين الالف اهوى وبيني ... وفي نسخة لم يريا بالياء وعليها فمع
تخميس بعضهم وبها يفوت الجناس وهم مبتدا اى الكفار يقولون جملة القول بمقولها خبره
والجملة الاسمية الكبرى في محل الحال وجملة القول بعدها زمانية مقدرة باذ اى قائلين ما بالغار من ارم
من زائدة لتاكيد النفي وارم بفتح الهمزة وكسر الراء اى احد وحكى ابو زيد اريم على وزن فعيل وحكى ابن
الاعرابي ما بها ارم على فاعل وحكى يونس في نوادره كسر الهمزة وفتح الراء اى عموا عمن في الغار فقالوا ما فيه
من احد مع ان النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه فيه وفي البيت جناس الاشتقاق بين الصدق
والصديق ويرما وارم والتكرير في الغار وبالغار ثم اشار الى عماهم الناشئ منه عماهم حتى قالوا ما قالوا بتقله

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على ... خير البرية لم تنسج ولم تحم

ظنوا لعمى ابصارهم عن النظر في المقدمات اليقينية وانطماس بصايرهم عن التفكر في المعجزات السابقة
الحمام هي عند العرب ذوات الاطواق نحو الفواخت والقماري وساق حر والقطا والوراشين
واشباه ذلك الواحدة حمامة يقع على الذكر والانثى والهاء للافراد لا للتانيث وعند العامة انها
الدواجن فقط وجمع الحمامة حمام وحمامات وحمايم وربما قالوا حمام للواحد واليمام الحمام الوحشي
وهو ضرب من طير الصحرا هذا قول الاصمعي وقال الكسائي الحمام هو البري واليمام هو الذي يالف
البيوت كذا قال صاحب الصحاح وقال الشافعي رضي الله عنه الحمام كل ما عب للماء غبا وهدر قال ابو حاتم
والفرق بين الحمام الذي عندنا واليمام ان اسفل ذنب الحمام مما يلي ظهرها بياض واسفل ذنب اليمام لا بياض
فيه وانواعه كثيرة معروفة وظنوا العنكبوت هي الدابة الناسجة ويقال لها العنكباه ايضا قال الشاعر
كان ما يسقط من لغامها ... بيت عنكباة على زمامها
والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والتاء فيه كتاء طاغوت ويجمع على عناكيب وعناكب
وعكاب وعكبة واعكب على خير البرية اى الخلق متعلق بلم تنسج بضم السين وكسرها من باب نصر
وضرب ونسجها معلوم لكل احد على انه نسج تحير فيه العقول ولم تحم اى على خير البرية حذف لدلالة
الاول عليه من حام يحوم حول الشيء دار به ومصدره حوما وحومانا بفتح الواو والجملتان في محل نصب
على المفعول الثاني لظنوا على اللف والنشر غير المرتب والمراد بخير البرية النبي صلى الله عليه وسلم وخصه
بالذكر اما لانه المقصود وصاحبه تبع له او بتقدير عطف صاحبه عليه كقوله سرابيل تقيكم الحر اى والبرد والبيت
يشير الى ما رواه البزار بسنده عن ابى مصعب المكي قال ادركت زيد بن ارقم والمغيرة بن شعبة وانس بن
مالك يحدثون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان ليلة بات في الغار امر الله شجرة نبتت في وسط
الغار فسترت وجه النبي صلى الله عليه وسلم وامر العنكبوت فنسجت على وجه الغار وامر حمامتين وحشيتين
فوقعتا بفم الغار واتى المشركون من كل قطر حتى اذا كانوا من النبي صلى الله عليه وسلم قدر اربعين ذراعا تقدم
رجل منهم فنظر فرأى الحمامتين فرجع وقال لاصحابه ليس في الغار شيء رايت حمامتين على فم الغار فعرفت

ان ليس فيه احد فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله فعرف ان الله قد دراء عنه اى ظنوا ان الحمام لا
تحوم حوله صلى الله عليه وسلم وان العنكبوت لا تنسج عليه لما جرت العادة ان هذين الحيوانين متوحشان
لا يالفان معمورا فهما احسا بالانسان فرامنه وما علموا ان الله تعالى يسخر ما شاء من خلقه لمن شاءه من عباده
وروى ان ابا بكر رضى الله عنه قال نظرت الى قدمى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار وقد تقطرتا
فاستبكت وعلمت انه صلى الله عليه وسلم لم يكن تعود الحفا والجفوة وروى ان ابا بكر رضى الله عنه حزن
عند ما راى بعض الكفار يبول عند باب الغار فاشفق ان يكونوا قد راوهما فقال له النبى صلى الله عليه
وسلم لا تحزن فانهم لو راونا لم يستقبلونا بفروجهم عند البول ولا تشاغلوا بشئ عن اخذنا هذا ولقد
كسيت العنكبوت حلل الكمال وحلى الجمال وفازت بالشرف الرفيع وفاقت ببيانها على كل قصر منيع حيث
نسجت فى اقل زمن هذا النسج الوحيد الحسن ولقد احسن ابن النقيب حيث قال

ودود القز ان نسجت حريرا ۞ يجمل لبسه فى كل شئ
فان العنكبوت اجل منها ۞ بما نسجت على راس النبى

واخرج ابو نعيم فى الحلية عن عطا بن ميسرة قال نسجت العنكبوت مرتين مرة على داود حين كان جالوت
يطلبه ومرة على النبى صلى الله عليه وسلم فى الغار وكذا نسجت على الغار الذى دخله عبد الله بن انيس لما
بعثه صلى الله عليه وسلم لقتل خالد بن نبيح الهذلى بالعرنة فقتله ثم حمل راسه ودخل فى غار فنسجت عليه
العنكبوت وجاء الطلب فلم يجدوا شيئا فانصرفوا راجعين وفى تاريخ ابن عساكر ان العنكبوت نسجت
على عورة زيد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب لما صلب عريانا سنة احدى وعشرين ومائة والبيت
باسره كالذى بعده استيناف بيانى فى محل نصب على الحال وفيه من البديع التكرير فى ظنوا وظنوا واللف
والنشر المشوش وجناس الاشتقاق مع رد العجز على الصدر فى الحمام وتحم

وقاية الله اغنت عن مضاعفة ۞ من الدروع وعن عال من الاطم

وقاية الله مبتدا مصدر وقاه يقيه اذا حفظه وهو فى مقام التعجب اى وقاية الله له بهذا الضعيف
جلا من عدو المتجا وزحدا الكثير عددا وعدا الكبير مددا ومددا اغنت خبر المبتدا من الاغنا عن مضاعفة
من الدروع اى عن الدروع المضاعفة وهى المنسوجة حلقتين حلقتين تلبس للحفظ من مثل هذا العدو
وقيل الدروع المضاعفة ان يلبس درع فوق درع والدروع جمع درع جمع كثرة وجمع القلة ادرع وادراع
وعن عال اى واغنت عن عال من الاطم بضم الهمزة والطا اى الحصون التى يتحصن فيها من مثل هذا
العدو واصله اطوم بالواو حذفت تخفيفا جمع اطم يخفف ويثقل ليوافق الدروع ومعنى البيت ان
الحماية باضعف الاشيا وهو حوم الحمام ونسج العنكبوت وان اوهن البيوت وقعت مغنية عن
اقوى الاشياء وهو مضاعفة الدروع والاطوم العوالى فسبحان المتصرف فى خلقه بما يشا ويريد الذى
قهر باضعف الاشيا كل جبار عنيد قال تعالى فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار
اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها قال

ابن

ابن اسحاق واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار ثلاثا معه ابو بكر الصديق وجعلت قريش
حين فقدوه مائة ناقة لمن رده عليهم وكان عبد الله بن ابى بكر يكون فى قريش ومعهم يسمع ما يمرون
به وما يقولون فى شان رسول الله صلى الله عليه وسلم وابى بكر ثم ياتيهما اذا امسى فيخبرهما الخبر وكان عامر
ابن فهيرة مولى ابى بكر يرعى فى رعايا اهل مكة فاذا امسى اراح عليهما غنم ابى بكر فاحتلبا وذبحا فاذا غدا
عبد الله بن ابى بكر من عندهما الى مكة اتبع عامر بن فهيرة اثره بالغنم يعفى عليه حتى اذا مضت الثلاث وسكن
عنهما الناس اتاهما صاحبهما الذى استاجراه ببعيريهما وبعير له واتتهما اسما بنت ابى بكر بسفرتهما
ونسيت ان تجعل لها عصاما فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفرة فاذا ليس فيها عصام فحلت نطاقها
وجعلته عصاما ثم علقتها به فكان يقال لها ذات النطاقين لذلك والذى استاجراه هو عبد الله
ابن الاريقط وكان على دين قريش ولم يعرف له اسلام وانطلق بهما دليلا بعد ثلاث ومعهما عامر
بن فهيرة مولى ابى بكر رديفا خلفه فمر بهم على طريق السواحل وكان هاديا خريتا والخريت الماهر بالطرق
الذى يهتدى بمثل خرت الابرة ويقال له الخوتع ايضا قال الشاعر يضل فيها الخوتع المشهر ومروا بقديد على
ام معبد واسمها عاتكة بنت خالد الخزاعية وقد روى حديثها بالفاظ مختلفة متقاربة المعانى وقد
رواه ابن قتيبة فى غريب الحديث ويقتضى شرح الفاظه وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لام معبد
وكان القوم مرملين مسنتين فطلبوا لبنا ولحما يشترونه فلم يجدوا عندها شيئا فنظر الى شاة فى كسر الخيمة
خلفها الجهد عن الغنم فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم هل بها من لبن فقالت بابى انت وامى هى اجهد من
ذلك فقال اتاذنين لى ان احلبها فقالت نعم بابى انت وامى ان رايت بها حلبا فاحلبها فدعى بالشاة فاعتقلها
ومسح ضرعها وسمى الله فتفاجت ودرت واجترت ودعا باناء يربض الرهط اى يشبع الجماعة حتى يربضوا
فحلب فيه ثجا حتى علاه البها وسقى القوم حتى رووا ثم شرب اخرهم ثم حلب فيه مرة اخرى علا بعد نهل
ثم غادره عندها وذهبوا فجاء زوجها ابو معبد قال السهيلى لا يعرف اسمه وقال العسكرى اكثم بن ابى
الجون ويقال ابن الجون يسوق اعنزا عجافا وكن هزلا فلما راى اللبن عجب وقال ما هذا يا ام معبد انى
لك هذا والشاء عازب حيالى ولا حلوب بالبيت فقالت لا والله الا انه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا
وكذا فقال صفيه يا ام معبد فوصفته بما ذكره القتيبى وغيره فى الحديث فقال هذا والله صاحب قريش
لو رايته لاتبعته وفى حديث آخر ان آل ابى معبد كانوا يورخون بذلك اليوم ويسمونه يوم الرجل المبارك
يقولون فعلنا كيت وكيت قبل ان ياتينا الرجل المبارك وبعد ما جاءنا الرجل المبارك ثم انها اتت المدينة
بعد ذلك بما شاء الله ومعها ابن لها صغير قد بلغ السعى فمر فى المدينة على مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يكلم الناس على المنبر فانطلق الى امه يشتد فقال لها يا امتاه انى رايت اليوم الرجل المبارك فقالت
له يا بنى ويحك هو رسول الله صلى الله عليه وسلم قال السهيلى ومما يسال عنه فى هذا الحديث ان يقال
هل استمرت تلك البركة فى شاة ام معبد بعد ذلك اليوم ام عادت الى حالها ففى الخبر عن هشام بن
حبيش الكعبى قال انا رايت تلك الشاة وانها لتادم ام معبد وجميع صرمها اى اهل ذلك الماء انتهى

وذكر غيره انها استمرت الى زمن عمر رضي الله عنه وانها بركتها ولبنها كما هو مع ما كان فيه الزمن القحط ولبزح
ابن سعد وابو نعيم من طريق الواقدي حدثني حزام بن هشام عن ابيه عن ام معبد قالت بقيت الشاة
التي لمس عليها السلام ضرعها عندنا حتى كان زمان الرمادة زمان عمر بن الخطاب وكنا نحلبها
صبوحا وغبوقا وما في الارض قليل ولا كثير قالت اسما بنت ابي بكر ولما خفي علينا امر رسول الله صلى الله عليه
وسلم اتانا نفر من قريش منهم ابو جهل فخرجت اليهم فقال اين ابوك فقلت والله لا ادري اين ابي قالت
فرفع ابو جهل يده وكان فاحشا خبيثا فلطم خدي لطمة خرج منها قرطي ثم انصرفوا ولما لم يدروا اين توجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى رجل من الجن يسمعون صوته ولا يرونه فمر على مكة والناس يتبعونه

وهو ينشد هذه الابيات

جزى الله رب الناس خير جزايه * رفيقين حلا خيمتي ام معبد
هما نزلا بالبر ثم ترحلا * فافلح من امسى رفيق محمد
فيا لقصي ما زوى الله عنكم * به من فعال لا تجارى وسودد
ليهن بني كعب مكان فتاتهم * ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا اختكم عن شاتها وانايها * فانكم ان تسالوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حايل فتحلبت * له بصريح ضرة الشاة مزبد
فغادرها رهنا لديها لحالب * يرددها في مصدر ثم مورد

فلما سمعنا قوله عرفنا اين توجه صلى الله عليه وسلم وزاد يونس في رواية ان قريشا لما سمعت الهاتف
من الجن ارسلوا الى ام معبد وهي بخيمتها فقالوا هل مر بك محمد الذي من حليته كذا وكذا فقالت لا ادري
ما تقولون وانما ضافني حالب الشاة الحايل ويروى ان حسان بن ثابت لما بلغه شعر الجني وما قد قال

بمكة قال يجيبه

لقد خاب قوم غاب عنهم نبيهم * وقدس من يسري اليه ويغتدي
ترحل عن قوم فضلت عقولهم * وحل على قوم بنور مجدد
هداهم به بعد الضلالة ربهم * وارشدهم من يتبع الحق يرشد
وهل يستوي ضلال قوم تسفهوا * عما بهم هاد به كل مهتد
لقد نزلت منه على اهل يثرب * ركاب هدى حلت عليهم باسعد
نبي يرى ما لا يرى الناس حوله * ويتلو كتاب الله في كل مشهد
وان قال في يوم مقالة غايب * فتصديقه في اليوم او في ضحى الغد
ليهن ابا بكر سعادة جده * بتصديقه من يسعد الله يسعد

وحدث عن اسما رضي الله عنها قالت لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج ابو بكر معه احتمل ابو
بكر الصديق ماله كله معه خمسة الاف درهم او ستة آلاف فانطلق بها معه قالت فدخل علينا جدي

ابو قحافة وقد ذهب بصره فقال والله اني لاراه قد فجعكم بماله ونفسه قالت قلت كلا يا ابت انه
قد ترك لنا خيرا كثيرا قالت فاخذت احجارا فوضعتها في كوة في البيت كان ابي يضع فيها ماله ثم
وضعت عليها ثوبا ثم اخذت بيده فقلت يا ابت ضع يدك على هذا المال قالت فوضع يده عليه
فقال لا بأس ان كان قد ترك لكم هذا فقد احسن وفي هذا بلاغ لكم ولا والله ما ترك لنا شيئا
ولكني اردت ان يسكن الشيخ بذلك وذكر ابن اسحق حديث سراقة بن مالك الكناني ثم المدلجي وذلك
ان قريشا جعلت مائة ناقة لمن يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه استقسم بالازلام فخرج السهم
الذي كان يكره وهو الذي كان فيه مكتوبا لا تضره وان فرسه عثرت به مرارا فلم يرتدع وتعرض لهما
بقديد فبكى ابو بكر وقال يا رسول الله اتينا قال كلا ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوات فساخت
قوايم فرسه في الارض وتبعها عثان اي دخان فطلب الامان وقال اعلم انكما قد دعوتما علي فادعوا لي
ولكما ان ارد الناس عنكما ولا اضركما قال فدعوا فخلى فركبت فرسي حتى جئتهما قال فوقع في نفسي حين لقيت
ما لقيت ان سيظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرتهما اخبار ما يريد بهما الناس وعرضت
عليهما الزاد والمتاع فلم يرزاني وذكر غير ابن اسحاق ان ابا جهل لامه حين رجع بلا شيء فقال وكان شاعرا

ابا حكم والله لو كنت شاهدا * لامر جوادي اذ تسوخ قوايمه
علمت ولم تشكك بان محمدا * رسول ببرهان فمن ذا يقاومه
عليك بكف القوم عنه فانني * ارى امره يوما ستبدو معالمه
بامر يود الناس فيه باسرهم * بان جميع الناس طرا تسالمه

وسراقة هذا هو الذي بشره رسول الله صلى الله عليه وسلم بانه يلبس سواري كسرى وقد البسهما اياه عمر رضي الله
عنه حين فتحت خزاين كسرى تحقيقا للوعد لما وقع في قلبه من استبعاد ذلك وفي السير في رواية يونس شعر
لابي بكر في قصة الغار وفي مسيرهما حيث ساروا وفي طلب سراقة اياهم وهو

قال النبي ولم يجزع يوقرني * ونحن في سدف من ظلمة الغار
لا تخش شيئا فان الله ثالثنا * وقد توكل لي منه باظهار
وانما كيد من تخشى بوادره * كيد الشياطين كادته لكفار
والله مهلكهم طرا بما كسبوا * وجاعل المنتهى منهم الى النار
وانت مرتحل عنهم وتاركهم * اما غدوا واما مدلج ساري
وهاجر ارضهم حتى يكون لنا * قوم عليهم ذوو عز وانصار
حتى اذا الليل وارتنا جوانبه * وسد من دون من تخشى باستار
سار الاريقط يهدينا واسعه * سعي بالقوم معا تحت اكوار
يعسفن عرض الثنايا بعد اطولها * وكل سهل رقاق الغور مرار
حتى اذا قلت قد انجدن عارضها * من نجد فارس في منصب قار

فقال كروا فقلنا ان كرتنا • من دونها لك نصر الخالق البارى •
ان تخسف الارض بالاحوى وفارسه • فانظر الى اربع فى الارض غوار •
فهيل لما راى اذ ساخ مقدمه • فقد سخن فى الارض لم تحفر بعنقار •
فقال هل لكم ان تطلقوا فرسى • وتاخذوا موثقى فى نصح اسرار •
واصرف الحى عنكم ان لقيتهم • وان اعور منهم عين عوار •
فادعوا الذى هو عنكم كف عورتنا • يطلق جوادى وانتم خير ابرار •
فقال قولا رسول الله مبتهلا • يارب ان كان منه غير اخفار •
فنجه سالما من شر دعوتنا • ومهره مطلقا من كل اسار •
فاظهر الله اذ يدعو حوافره • وفاز فارسه من هول اخطار •

واجتاز صلى الله عليه وسلم بعبد يرعى الغنم واستسقاه اللبن فقال ما عندى شاة تحلب غير ان ههنا عناقا حملت اول وما بقى لها لبن فقال ادع بها فاعتقلها صلى الله عليه وسلم ومسح ضرعها ودعا حتى نزلت وجاء ابو بكر بمجن فحلب فسقى ابا بكر ثم حلب فسقى الراعى ثم حلب فشرب فقال الراعى بالله من انت فوالله ما رايت مثلك فقال اتراك تكتم على حتى اخبرك قال نعم قال فانى محمد رسول الله فقال انت الذى تزعم قريش انه صابى قال انهم ليقولون ذلك قال فاشهد انك نبى وان ما جيت به حق وانه لا يفعل ما فعلت الا نبى وانا متبعك فقال انك لن تستطيع ذلك يومك فاذا بلغك انى قد ظهرت فاتنا ولما سمع المسلمون بالمدينة خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة كانوا يغدون كل غداة الى الحى ينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوما بعد ما طالوا انتظارهم فلما اووا الى بيوتهم اوفى رجل من اليهود على اطم من اطامهم لامر ينتظر اليه فبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه تزول بهم السراب فلم يملك اليهودى نفسه فنادى باعلى صوته يا بنى قيلة هذا حدكم اى حظكم ومطلوبكم قد اقبل فخرجوا اليه بنو قيلة وهم الاوس والخزرج سراعا بسلاحهم فتلقوه فنزل بقبا على بنى عمرو بن عوف الحديث رواه البخارى وفى يوم دخوله المدينة اختلاف والذى جزم به النووى انه دخلها حين اشتد الضحى يوم الاثنين لاثنى عشرة ليلة من ربيع الاول صلى الله عليه وسلم وبالهجرة ورخت الامة

مَا ضَامَنِى الدَّهْرُ يَوْمًا وَاسْتَجَرْتُ بِهِ ... اِلَّا وَنِلْتُ جِوَارًا مِنْهُ لَمْ يُضَمِ

ما ضامنى الدهر اى ظلمنى من ضامه يضيمه من باب باع فهو مضيم واستضامه فهو مستضام ومصدره الضيم واسناده الى الدهر وان كان الفاعل حقيقة هو رب الدهر لان عادتهم جرت فى اسناد مثل ذلك الى الدهر وفى الحديث لا تسبوا الدهر فان الدهر هو الله لانهم كانوا يضيفون النوازل اليه فقيل لهم لا تسبوا فاعل ذلك بكم فان فاعل ذلك هو الله تعالى والكلام على اسناد امثال هذه الافعال الى الدهر مسطور مشهور بين اهل الادب وظلمه لبنيه من كل فاضل نبيه معروف لا ينكر ويوما نصب على الظرف والمراد به هنا مطلق الزمن وفى نسخة ما سامنى الدهر ضيما من سامه الامر كلفه اياه واكثر ما يستعمل فى مثل العذاب والظلم والشر قال

تعالى

تعالى يسومونكم سوء العذاب قال ابن ظفر السوم تكليف ما يشق قال الزمخشرى سامه خسفا اذا اولاه ظلما قال عمرو بن كلثوم • اذا ما الملك سام الناس خسفا • ابينا ان نقر الخسف فينا •

والبيت جعله الزركشى جواب القسم فى قوله اقسمت بالقمر المنشق مع ما عطف عليه وقوله واستجرت به اى طلبت الاجارة التى هى مرتبة على المجاورة اى طلبت منه ان يدخلنى فى جواره فيحمينى بذلك اذ حماية الجار امر مندوب اليه وهو مما افتخرت به العرب جارهم لا يضام ولا يروع اذا نام ومن وقف على اخبارهم ومهر فى معرفة اشعارهم علم صدق ذلك والجملة فى محل نصب على الحال والا حرف ايجاب بعد النفى مقتضية للتاكيد ونلت فى محل النصب على الحال اى والا كان حالى انى نايل جوارا بكسر الجيم وضمها والكسر افصح ومنه اى من خير البرية ولم يضم فى محل نصب صفة جوارا اى بل يعظم ويحترم وقد راى ذلك عيانا فى امراد عديدة عن مشاهدة منها لما حصل له الفالج الذى اصابه وهذا المعنى ليس مخصوصا به بل هو فى غالب المسلمين من امته فما توسل به احد قايلا يا رسول الله الا ونال مطلوبه ودفع ببركته مكروبه ومرهوبه كيف لا وهو سيد المرسلين وخاتم النبيين وافضل الخلايق اجمعين وله الشفاعة العظمى والمقام الاسمى اللهم انا نسالك بفضيلته عندك وبمقامه لديك وبه صلى الله عليه وسلم ان تتوفنا مسلمين موحدين وان تهون علينا سكرات الموت وان تدفع عنا مكروهات الدنيا والاخرة يا رب العالمين نستجير به فى ذلك ونعول عليه فى هذه المسالك وصل يارب وسلم عليه وعلى اله وصحبه وسلم وفى البيت جناس الاشتقاق مع رد العجز على الصدر فى ضامنى ويضم واستجرت وجوارا

وَلَا الْتَمَسْتُ غِنَى الدَّارَيْنِ مِنْ يَدِهِ ... اِلَّا اسْتَلَمْتُ النَّدَى مِنْ خَيْرِ مُسْتَلَمِ

ولا التمست اى طلبت عطف على ما قبله غنا الدارين الدنيا والاخرة بالكفاية فى الاولى والسلامة فى الاخرى من يده اى نعمته سميت بذلك لصدورها عن اليد غالبا وتجمع على ايادى وتجمع الجارحة على ايدى والحسن فى قول ابن نباته • زادت اصابع نيلنا • وطمت فاكمدت الاعادى • وانت بكل مسرة مادى اصابع دى ايادى خلافا لمن زعم ذلك لان ابن نباتة قصد ايهام التورية فى هذا المقام ومراده هنا النعم فلذلك اختار الايادى على الايدى وان رشحها بذكر الاصابع كما لا يخفى على اهل الادب على انه استعمل كل منهما فى الاخرى الا ايجاب بعد النفى استلمت من الاستلام وهو الاخذ باليد الندا بالقصر الجود والعطا من خير مستلم منه اسم مفعول اى حصل لى ما اومله وارجوه منه فانه صلى الله عليه وسلم ما سيل شيا قط فقال لا كما هو فى الصحيحين عن جابر والجملة فى محل نصب على الحال وفى البيت جناس القلب بين التمست واستلمت والاشتقاق بين استلمت ومستلم

لَا تُنْكِرُوا الْوَحْيَ مِنْ رُؤْيَاهُ اِنَّ لَهُ ... قَلْبًا اِذَا نَامَتِ الْعَيْنَانِ لَمْ يَنَمِ

لا تنكروا الوحى بالمثناة الفوقية ونصب الوحى على النهى او بالمثناة التحتية ورفع الوحى على النفى والوحى مصدر وحى لغة فى اوحى والثانى افصح وبه ورد التنزيل لغة الاعلام بسرعة وقيل بخفاء واصطلاحا اعلام الله تعالى انبياءه الشىء اما بكتاب او برسالة ملك او منام والهام وهو من حيث هو على صور

عليه الاولى المنامى كما هو مسئلة البيت وسنوضحه الثانية ان يأتى مثل صلصلة الجرس كما فى حديث
البخارى الثالثة ان يتمثل الملك رجلا الرابعة ان يجى جبرئيل فى صورته التى خلقه الله عليها الخامسه ان يكلم
الله من وراء حجاب اما فى اليقظة كما فى ليلة الاسرا او فى المنام كما روى عنه عليه السلام انه قال اتانى ربى فى
احسن صورة فقال فيم يختصم الملأ الاعلى الحديث والسادسة وحى اسرافيل عليه السلام كما جاء عن
الشعبى انه عليه السلام نزلت عليه النبوة وهو ابن اربعين سنة فقرن بنبوته اسرافيل ثلاث سنين فكان
يعلمه الكلمة والشئ ولم ينزل عليه القران فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبرئيل عليه السلام فنزل
القران على لسانه عشرين سنة عشرا بمكة وعشرا بالمدينة وزاد بعضهم صورا اخر واقساما منها اجتهاده
عليه السلام فانه صواب لانه قريب من النفث فى الروع الا ان هذا مسبب عن النظر والاجتهاد ومنها نزوله
فى صورة رجل كان شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لايرى عليه اثر السفر ولا يعرفه احد من الصحابة
وهذه غير صورة دحية لان دحية كان معروفا عندهم ومنها الوحى على لسان خزنة السموات من الملائكة
قالوا له ليلة الاسرى ولنعم المجئ جاء وهذه بشارة منهم لاتكون الا باذن الله لهم فى تبليغها اياه عليه السلام
ومنها الوحى على لسان ملك الجبال حيث قال يا محمد ان الله تعالى امرنى ان اطيعك فى قولك وبلغه عن الله
تعالى هذه الرسالة وهو الوحى بعينه وعلى كل من هذه الاقسام المزاده مناقشة محلها كتب الحديث ثم
مسئلة البيت من الوحى الاول وهو المنامى والى ذلك اشار بقوله **من رؤياه** الرؤيا مصدر كالرجعى
وتختص برؤيا المنام كما اختص الراى بالقلب والرؤية بالعين وهى ان يخلق الله فى قلب النايم الادراك
على نحو ما كان يدرك فى حال اليقظة فيكون فى اليقظة عين ما روى فى المنام او يكون علامة على امور اخرى
كالغيم علامة للمطر وقال الكرمانى هى ان يخلق الله تعالى فى حواسه ورد عليه الكورانى بان الحواس لا ادراك
لها فى حالة النوم الا ترى الى قوله عليه السلام تنام عيناى ولا ينام قلبى وهذا النوع من الوحى هو
اول ما بدئ به صلى الله عليه وسلم كما فى حديث البخارى عن عايشة رضى الله عنها انها قالت اول ما بدئ
به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم وكان لايرى رؤيا الا جاءت مثل فلق
الصبح **قالوا** وانما ابتدئ عليه السلام بالرؤيا اولا دون مجئ الملك كرامة من الله تعالى فبدئ باوايل خصال
النبوة وتباشير الكرامة من صدق الرؤيا مع سماع الصوت وسلام الحجر والشجر عليه بالنبوة ورؤية الضوء
ليحصل له الانس بالوحى حتى اذا جاء الملك لا يحمله على الشيطان فان تلك المقدمات لا تلايم الشيطان وقيل
انه لو جاءه الملك بصريح النبوة بغتة لا يحتملها القوى البشرية واعترضه الكورانى بان هذا فاسد لان الملك
لم يجئ بالوحى الا فى صورة البشر وانما راه فى صورة الملك مرتين ولم يكن فيهما اتيا بالوحى وايضا ما ذا اكتسب
القوى البشرية من الرؤيا حتى تقوى بعد ذلك على ملاقات الملك وتعقبه المولى حسين الكفوى فى شرح
البخارى فقال وفيه بحث اذ لا نسلم ان الملك لم يجئ بالوحى فى صورته ولو سلم فالمراد ان القوة البشرية من
حيث هى لا تفى بتحمل اعباء النبوة سيما عند المفاجاة بها بغتة سواء كان مجئ الملك فى صورته او فى صورة
البشر والحاصل ان المراد بقوله لا يتحملها القوى البشرية عدم تحملها للوحى والنبوة لا لمجرد رؤية الملك والا يكون

مروفا
صح

ذكر

ذكر قوله بصريح النبوة لغوا فنقول اذا اعتاد بمبادى النبوة واستانس بتباشير الكرامة قبل ورود
الوحى نزول عنه تلك الوحشة التى جبلت الطبيعة البشرية عليها وتحصل له القوة الملكية القدسية
التى بها يتحمل ذلك فعند نزول الوحى ومجئ الملك بعده على اى صورة كان يتلقاها بنوع من الانس ولم
يستوحش عنه بالكلية فظهر بذلك ما ذا اكتسب القوى البشرية من الرؤيا حتى تقوى بعد ذلك على
ملاقاة الملك وقد خفى ذلك على المعترض حتى استفهم عنه وليت هذا التحقيق بلغه انتهى ثم اشار
الناظم الى اثبات الوحى المستفاد من النهى عن انكاره مؤكدا بان لدفع توهم من يتوهم او يظن
خلاف ذلك مقدما الخبر الدال بتقديمه على نفى مساواة لغيره حيث تنام عينه ولا ينام قلبه فقال
ان له اى للنبى صلى الله عليه وسلم **قلبا اذا نامت العينان لم ينم** فالجملة تعليل وتاكيد ودليل لما
قبلها وهو يشير به الى ما فى الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم توضأ فنام حتى نفخ ثم صلى فقيل له
فقال انه تنام عيناى ولا ينام قلبى ولا يرد نومه صلى الله عليه وسلم مع اصحابه فى الوادى عن صلوة الصبح
حتى طلعت الشمس لان مشاهدة طلوع الشمس من وظايف العين ونظر القلب انما هو فى عالم الملكوت
وهو عالم الغيب فهو فى عالم الشهادة كالغريب عن وطنه **وفى الحديث** رؤيا المؤمن جزء من اربعين
جزءا من النبوة وفى رواية من ستة واربعين جزءا من النبوة وفى اخرى من خمس واربعين جزءا قال
ابن الاثير وفسر هذا الحديث انه صلى الله عليه وسلم عاش ثلاثا وستين سنة فمدة نبوته ثلاث وعشرين
سنة لانه بنى على راس الاربعين وكان نصف سنة يرى الوحى فى المنام ثم جاءه الملك فى اليقظة ونسبة
نصف السنة التى راى الوحى فيها فى المنام الى المدة التى راه فيها فى اليقظة كانت نصف جزء من ثلاثة
وعشرين سنة وذلك جزء من ستة واربعين جزءا ومن روى خمسة واربعين فعلى انه لم يكمل سنة ثلاثا
وستين ومن روى واربعين فعلى ان عمره كان ستين سنة ونهيه عن انكار اثبات الوحى مناما يستلزم
نهيه عن انكاره يقظة بالاولوية والنوم حال يعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من
رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس راسا وفى البيت مراعاة
النظير بين الرؤيا والنوم والعينين والسلب والايجاب بين نامت ولم تنم

وَذَاكَ حِينَ بُلُوغٍ مِنْ نُبُوَّتِهِ   فَلَيْسَ يُنْكَرُ فِيهِ حَالُ مُحْتَلِمِ

الاشارة الى الوحى فى النوم **وذاك** اسم اشارة للبعيد او الوسط وكاف الخطاب لا موضع لها من الاعراب
حين بلوغ من نبوته اى وصول اليها من بلغ المكان اذا وصل اليه والنبوة فعولة من النبأ يهمز ولا يهمز
وذلك عند بلوغه الاربعين سنة من عمره وهى حد مبدأ النبوة فانه لما بلغ صلى الله عليه وسلم اربعين سنة
وقيل واربعين يوما وقيل وعشرة ايام وقيل وشهرين يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من رمضان وقيل
لسبع وقيل لاربع وعشرين ليلة وقال ابن عبد البر يوم الاثنين لثمان من ربيع الاول سنة احدى واربعين
من الفيل وقيل فى اول ربيع بعثه الله رحمة للعالمين ورسولا الى كافة الثقلين اجمعين **فليس ينكر فيه** اى فى حين
بلوغ نبوته **حال محتلم** اسم فاعل من احتلم واسم فاعل المجرد حالم وبهما روى الحديث غسل الجمعة واجب على

كل محتلم او حالم قيل هما بمعنى واحد وقيل بينهما فرق قيل كل حيوان يحلم ولا يحتلم الا الانسان فانه يحلم
ويحتلم والاحتلام عند البلوغ غير منكر لانه جاء في حينه وما جاء في حينه لا ينكر واذا كان صلى الله عليه
وسلم تنام عيناه ولا ينام قلبه وهو في زمن النبوة فليس ينكر حلمه اى رؤياه فهو وحى حق وفي البيت
مراعات النظير بين البلوغ ومحتلم

تبارك الله ما وحى بمكتسب ولا نبى على غيب بمتهم

تبارك الله تعالى تنزه من البركة وهى كثرة الخير او تزايد عن كل شئ وتعالى منه في صفاته وافعاله فان البركة
تتضمن معنى الزيادة وترتيبه على ما بعده لما في اعتقاده فيمن فيه كثرة الخير او لدلالته على تعاليه وقيل دام من
بروك الطير على الماء ومنه البركة لدوام الماء فيها وهو لا ينصرف فيه ولا يستعمل الا لله تعالى ولذلك لم يستعمل
له مستقبل لان الازمنة بالنسبة اليه تعالى واحدة وما عاملة عمل ليس ووحى اسمها وبمكتسب الخبر دخلت
فيه الباء كما في قوله تعالى وما ربك بغافل عبر بالوحى عن لازمه وهو النبوة واشار بذلك الى الرد على الفلاسفة
القائلين بان النبوة مكتسبة وانه قد يبلغها الانسان بالرياضات وتصفية الخاطر وهم كاذبون في هذا
الزعم كافرون به فان مذهب اهل الاسلام اجمع ان النبوات ليست بمكتسبة بل هى موهبة من الله تعالى يصطفى
من الملائكة رسلا ومن الناس ولا نبى على غيب مصدر غاب مبالغة في الغائب بمتهم من التهمة واعرابه
على وزان ما قبله واشار به الى قوله تعالى وما هو على الغيب بظنين على قراءة من قرا بالظاء المشالة وتنكير نبى
للاشارة الى ان نبينا صلى الله عليه وسلم الذى هو افضل الانبياء بالاولوية في ذلك وتنكير وحى للاشارة
الى تعليله كما لا يخفى

كم ابرأت وصبا باللمس راحته واطلقت اربا من ربقة اللمم

كم خبرية دالة على الكثرة اى كم مرة ابرأت من ابرأه الله عافاه من المرض وصبا بكسر الصاد اى مريضا
من الوصب وهو المرض الملازم يجوز مرادفه هنا ومنه عذاب واصب يقال وصب الرجل يوصب من
باب علم يعلم فهو وصب واوصبه الله فهو موصب والموصب بالتشديد الكثير الاوجاع والباء في باللمس
للسببية وراحته فاعل ابرأت والضمير المضاف اليه للنبى صلى الله عليه وسلم اى بطن كفه المبارك واطلقت
معطوف على ابرأت وفاعله ضمير يعود على الراحة اربا ضبطه المحلى بكسر الراء جمع اربه كسدرة وعقدة وزنا
ومعنى ومن ربقة متعلق باطلقت ومن لابتداء الغاية والربقة بكسر الراء وسكون الموحدة حبل فيه عدة
عرى تشد به الغنم في اعناقها وما في الحديث من قوله عليه السلام فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه على التمثيل
واللمم طرف من الجنون اى عروة الجنون على الاستعارة روى ان امرأة اتت النبى صلى الله عليه وسلم بابن لها به
جنون فمسح بيده المباركة صدره فثع ثعة فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود رواه الدارمى وقوله ثع بالمثلثة
والمهملة اى قاء واصيبت يوم احد عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته فاتى به الى رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله ان لى امرأة احبها واخشى ان رأتنى تقذرنى فاخذها رسول الله
صلى الله عليه وسلم بيده وردها الى موضعها وقال اللهم اكسه جمالا فكانت احسن عينيه واحدهما نظرا

وكانت

وكانت لا ترمد اذا رمدت الاخرى وقد وفد على عمر بن عبد العزيز رجل من ذريته فساله عمر من
انت فقال

انا ابن الذى سالت على الخد عينه • فردت بكف المصطفى احسن الرد •
فعادت كما كانت لاحسن حالها • فيا حسن ما عين ويا طيب ما خد •

فقال بمثل هذا فليتوسل الينا المتوسلون ثم قال تلك المكارم وصله واحسن جائزته قال
السهيلى ورواه محمد بن ابى عثمان عن مالك بن انس عن محمد بن عبد الله بن ابى صعصعة عن ابيه عن ابى
سعيد عن اخيه قتادة بن النعمان قال اصيبت عيناى يوم احد فسقطتا على وجنتى فاتيت بهما النبى
صلى الله عليه وسلم فاعادهما مكانهما وبصق فيهما فعادتا تبرقان قال الدارقطنى هذا حديث غريب
عن مالك تفرد به عمار بن نصر وهو ثقة رواه الدارقطنى عن ابراهيم الجوهرى عن عمار بن نصر واخرج الطبرانى
وابو نعيم عن قتادة قال كنت يوم احد اتقى السهام بوجهى دون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان
اخرها سهما ندرت منه حدقتى فاخذتها بيدى وسعيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآها في كفى
دمعت عيناه فقال اللهم ق قتادة كما وقى نبيك بوجهه فاجعلها احسن عينيه واحدهما نظرا
وفي البخارى في غزوة خيبر انه صلى الله عليه وسلم قال اين على بن ابى طالب فقالوا يا رسول الله
يشتكى عينيه قال فارسلوا اليه فاتى به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له فبرئ حتى
كان لم يكن به وجع وعند الطبرانى من حديث على فما رمدت ولا صدعت منذ دفع الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم راية خيبر وفي رواية مسلم من طريق اياس بن سلمة عن ابيه قال فارسلنى النبى صلى الله عليه وسلم
الى على فجئت به اقوده ارمد فبصق في عينه فبرئ وعند الحاكم من حديث على قال فوضع صلى الله
عليه وسلم رأسى في حجره ثم بزق في راحتيه فدلك بهما عينى وعند الطبرانى فما اشتكيتهما حتى الساعة
قال ودعا لى صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اذهب عنه الحر والقر قال فما اشتكيتهما حتى توفى هذا واصيب
سلمة يوم خيبر بضربة في ساقه فنفث فيها صلى الله عليه وسلم ثلاث نفثات فما اشتكاها قط رواه
البخارى ونفث في عينى فديك وكانتا مبيضتان لا يبصر بهما شيئا وكان وقع على بيض حية
فكان يدخل الخيط في الابرة وانه لابن ثمانين سنة وان عينيه لمبيضتان رواه ابن ابى شيبة والبغوى
والبيهقى والطبرانى وابو نعيم وروى البخارى عن عبد الله بن عتيك لما قتل ابا رافع اليهودى في قصره
وفتح الابواب فوضع رجليه وهو يرى انه انتهى الى الارض فانكسرت ساقه فعصبها بعمامته وانطلق
الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ابسط رجلك قال فبسطت رجلى فمسحها فبرأ من ساعته وكانه لم يشكها
قط وروى الطبرانى عن رفاعة بن رافع قال رميت بسهم يوم بدر ففقئت عينى فبصق فيها رسول الله
صلى الله عليه وسلم ودعا لى فما اذانى فيها شئ وروى البيهقى في دلائله انه عليه السلام مسح يد محمد بن
حاطب وقد احترقت يده بالنار فبرئ من ساعته وكان في كف شرحبيل الجعفى سلعة تمنعه من
القبض على السيف وعلى الدابة فطحنها النبى صلى الله عليه وسلم بيده المباركة فذهبت ولم يبق لها
اثر وروى الطبرانى في معجمه عن عكرمة عن طاوس مولى السائب بن يزيد قال رأيت مولاى السائب

لحيته بيضا ورأسه اسود فسألته فقال لا يبيض رأسي ابدا وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مضى
وانا غلام العب مع الصبيان فسلم على الغلمان وانا فيهم فرددت عليه السلام من بينهم فدعاني
وقال ما اسمك قلت السايب فوضع يده على رأسي وقال بارك الله فيك فلا يبيض موضع يد رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابدا وفي الترمذي عن عمرو بن اخطب قال مسح رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على
وجهي ودعا لي فعاش مائة وعشرين سنة وليس في رأسه الا شعرات بيض **وروي ان ابن ملاعب**
الاسنة اصابه استسقا فبعث الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخذ بيده حثوة من الارض فتفل عليها ثم
اعطاها رسوله فاخذها متعجبا يرى قد هزئ به فاتاه بها وهو على شفا فشربها فشفاه الله **ورمي**
كلثوم بن الحصين يوم احد في نحره فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فبرا **وتفل على شجة عبد الله**
ابن انيس فلم تمد وقطع ابو جهل يوم بدر يد معوذ بن عفرا فجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله
صلى الله عليه وسلم والصقها فلصقت رواه ابن وهب ومثل هذه الوقايع عنه صلى الله عليه وسلم
اكثر من ان تحصى

وَأَحْيَتِ السَّنَةَ الشَّهْبَاءَ دَعْوَتُهُ	**حَتَّى حَكَتْ غُرَّةً فِي الأَعْصُرِ الدُّهُمِ**
بِعَارِضٍ جَادَ أَوْ خِلْتَ الْبِطَاحَ بِهَا	**سَيْبٌ مِنَ الْيَمِّ أَوْ سَيْلٌ مِنَ الْعَرِمِ**

السنة الشهبا كناية عن السنة القليلة المطر لغلبة بياض الارض فيها بعدم النبات على
سوادها بالنبات واسناد الاحيا الى الدعوة والسنة على المجاز فيهما كما لا يخفى واختيار السنة على
العام لما فرق بينهما من استعمالها في الجدب غالبا والعام في الخصب وتقديمها على الفاعل للغرابة
احيائها والاهتمام به اذ الدعوة كانت سبب السقيا المنبت بالسبب لنباتها **حتى حكت** اي شابهت
تلك السنة **غرة** اي بياضا والغرة بياض في جبهة الفرس واستعير هنا لخصب تلك السنة التي كانت
شهبا وبياضها حسنها ونضارة زرعها وخصبها الذي لا يوجد مثله في بقية السنين حتى كانت
كالغرة في وجه **الاعصر** جمع عصر وهو الزمن وجمع باعتبار اجزايه فكان كل قطعة منه عصر **الدهم** صفة الاعصر
جمع ادهم اي السود لشدة خضرة الزرع فيها حتى يرى انه اسود من اخصابها وتلك السنة اخصب منها
حتى كانها غرة فيها فهي احسن السنين كالغرة **بعارض** متعلق بحكت او باحيت والعارض السحاب العظيم
الذي يعترض الافق **جاد** صفة سحاب من الجود وهو المطر الكثير **او** التي هي بمعنى الى ينصب المضارع بان
بعدها اي الى ان **خلت** اي ظننت **البطاح** جمع بطحا او ابطح والقياس الاباطح وهو الوادي المتسع المشتمل
على دقاق الحصى **بها سيب** لا يخفى وجه تقديم الخبر والسيب بفتح السين العطا ومصدر ساب الماء يسيب
اذا جرى وبالكسر اسم لمجرى الماء **من اليم** نعت لسيب والجملة في محل المفعول الثاني لخلت واليم البحر وجمعه يموم
هذا عطا البحر وحرث عن البحر **او سيل** او تخيير والسيل واحد السيول من سال الماء من باب باع عطف
على سيب **ومن العرم** نعت له والعرم قال في التهذيب السيل الذي لا يطاق من العرامة وهي الشراب
او سيل المطر العرم ووقعة سيل العرم لاهل سبا مشهورة مذكورة في التفاسير وغيرها والبيت يحتمل

الكناية كني بالسيل والسيب عن علمه عليه السلام وشريعته التي احيت الخاص والعام وما جاء به من دين
الاسلام الذي به كمال النظام ويحتمل الحقيقة وهو اشارة الى ما ذكروه في الاستسقا **فقد روى الشيخان** عن
انس ان رجلا دخل المسجد يوم جمعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قايم يخطب قال يا رسول الله هلكت
الاموال وانقطعت السبل فادع الله يغثنا فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فقال اللهم اغثنا
ثلاثا وما نرى في السما من سحاب ولا قزعة فطلعت سحابة ثم امطرت والله ما راينا الشمس سبتا ثم دخل
رجل من الجمعة المقبلة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قايم يخطب فقال يا رسول الله هلكت الاموال وانقطعت
السبل فادع الله يمسكها عنا فرفع يديه ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا الى اخره واقلعت وخرجنا نمشي
في الشمس **وسيل انس** اهو الرجل الاول قال لا ادري قيل الظاهر انه غير الاول لان النكرة اذا اعيدت كانت
غير الاولى لكن هذه اغلبية لا كلية ففي رواية ابن اسحق قام ذلك الرجل او غيره وقوله سبتا بموحدة بين
السين والتا اي قطعة من الزمان وفي رواية للبخاري فما زلنا نمطر الى الجمعة القابلة والقزعة بفتح القاف
والزاء اي قطعة سحاب وقوله هلكت الاموال اي المواشي وفي البخاري هلكت الماشية هلك العيال هلك
الناس وهو من ذكر العام بعد الخاص والمراد بهلاكهم عدم وجود ما يعيشون به من الاقوات المفقودة بحبس
المطر وانقطعت السبل لان الابل ضعفت لقلة القوت عن السفر ولكونها لا تجد في طريقها من الكلا ما يقيم
اودها واستدل بهذا الحديث على عظم معجزة عليه السلام وهو ان سخرت السحاب له كلما اشار اليها امتثلت
بالاشارة دون كلام لان كلامه عليه السلام مناجاة الحق تعالى واما السحاب فبالاشارة فلولا الامر لها
بالطاعة له عليه السلام لما كان ذلك لانها ايضا كما جاء مأمورة حيث تسير وقدر ما تقيم واين تقيم ولقد

احسن **السقراطي اذ يقول**

دعوت للحق عام المحل مبتهلا	افديك بالخلق من داع ومبتهل
صعدت كفيك اذ كف الغمام فما	صوبت الا بصوب الواكف الهطل
دامت على الارض سبعا غير مقلعة	لولا دعاوك بالاقلاع لم تزل

واستدل بهذا الحديث على جواز الاستسقا بغير صلوة مخصوصة وعلى ان الاستسقا ليس فيه صلوة فالاول
ذهب اليه الشافعي والثاني ذهب اليه ابو حنيفة وتعقب بانه مجرد دعا فلا ينافي مشروعية الصلاة وقد ثبتت
في واقعة اخرى وفي البيت الاول المجاز والمقابلة الملحقة بالطباق بين الشهبا والدهم ومراعاة النظير بين
السنة والاعصر والتشبيه في حتى حكت وفي البيت الثاني مراعات النظير بين العارض والسحاب والسيل
والسيب واليم والعرم والجناس اللاحق بين السيل والسيب

دَعْنِي وَوَصْفِي آيَاتٍ لَهُ ظَهَرَتْ	**ظُهُورَ نَارِ الْقِرَى لَيْلًا عَلَى عَلَمِ**

دعني اي اتركني **ووصفي** منصوب مفعول معه مصدر مضاف الى فاعله اي مع وصفي بالنظم **ايات** منصوب
بالكسرة على انه مفعول به لوصفي **له** نعت ايات **ظهرت ظهور** نصب على المفعول المطلق **نار القرى** اي الضيافة
بكسر القاف والقصر من قريت الضيف ونار القرى هي التي توقد **ليلا على علم** اي جبل متعلق بظهور وايقادها

كذلك كان عادة العرب لجلب الضيفان وقد اشارت الخنسا الى ذلك فى قولها فى اخيها

وان صخرا لتاتم الهداة به • كانه علم فى رأسه نار

يشير الناظم بذلك الى ان معجزاته صلى الله عليه وسلم قد ظهرت وتواترت واشتهرت اشتهار نار على علم بحيث لا تحتاج الى اظهار لشدة ظهورها فكانه لما قيل له اذا كانت كذلك فما يزيدك نظمك لها فقال

فالدر يزداد حسنا وهو منتظم • وليس ينقص قدرا غير منتظم

الدر كبار اللؤلؤ كما ان المرجان صغاره ويسمى الحبب ايضا سمى الدر درا لصفايه واضطرابه لشدة اضاءته ومنه الكوكب الدرى وهو مبتدا وجملة يزداد الخبر من الازدياد للمبالغة فى الزيادة وفى نسخة يزدان من الزينة للمبالغة ايضا وحسنا مفعول يزداد والحسن يظهر فى شيئين رونق بيت من الشعر او بيت من الشعر وهو غير خفى فلا يحتاج الى تعريف عند اهل الذوق السليم والطبع المستقيم وجملة وهو منتظم فى موضع نصب على الحال من فاعل يزداد ونظم الدر ضم كل جوهرة مع ما يناسبها فى سلك الانتظام وليس يدرك ذلك كل احد لا ضم بعضه الى بعض كيف ما اتفق وليس ينقص قدرا مفعول ينقص وجعل شارح ينقص مبنيا للمفعول واعرب حسنا وقدرا تمييز ين وجملة غير منتظم حال من فاعل ينقص والمقصود تشبيه ايات النبى صلى الله عليه وسلم بالدر فكما ان الدر مع ظهوره واضاءته وعلو مقداره اذا نظم خرزه كما ينبغى وتناسق فى سلك عقده وتناسب تناسبا ظاهرا ازداد حسنه وتكامل رصفه ووصفه وليس ينقص قدره وهو منثور غير منتظم بل هو بقدره كذلك ايات النبى صلى الله عليه وسلم التى ظهرت ظهور نار القرى ليلا على علم فى الاشتهار وهى مشرقة كالشمس فى رابعة النهار فهى مع ذلك وان كانت لا تحتاج الى مظهر ولا تفتقر الى موضح ومبين الا انها تزداد حسنا بنظمها على هذا الاسلوب الظريف والرونق المنيف فلذلك امر المخاطب بتركه ووصفها ونظمها ورصفها فان الكامل يقبل الكمال ولا سيما نظم درر اللآل وفى البيت الطباق بين يزداد وينقص والسلب والايجاب بين منتظم وغير منتظم

فما تطاول آمال المديح الى • ما فيه من كرم الاخلاق والشيم

ما استفهامية بمعنى النفى فى محل رفع على الابتدا وتطاول بضم الواو واللام خبره وتطاول تفاعل للمبالغة فى الطول ولذلك كان فيه معنى التكلف وامال جمع امل مضاف اليه تطاول والاضافة للمصدر الى فاعله والامل الرجا وفرق الماوردى بين الامال والامانى بان الامال ما تقيدت باسباب والامانى ما تجردت عنها المديح مجرور مضاف اليه امال وفى نسخة شرح عليها المحلى امالى بيا المتكلم المديح منصوب بنزع الخافض واعترض بان النصب بنزع الخافض موقوف على السماع وقيل نصب بامالى واعترض بان المصدر لا يعمل بكسر او المديح فعيل من المدح الى متعلق بتطاول وما موصول اسمى وفيه صلة ما والضمير عايد الى النبى صلى الله عليه وسلم من لبيان الجنس وكرم الاخلاق اى الاخلاق الكريمة التى كل منها خلق اى طبيعة وسجية كريمة وعطف والشيم عليها عطف مرادف وهو شايع سايغ فى مقام المدح والمعنى استبعاد وصول الامال وان تطاولت وتبالغت واطنبت فهى موجزة مقصرة فان كل غلو فى مدحه تقصير وكل اطناب ايجاز ذلا تحد محاسنه ولا تعد

مآثره

مآثره ولا تحصر مناقبه ولا تحصى مواهبه ولذلك تقهقرت فحول الشعر المتقدمين عن تعاطى مدحه صلى الله عليه وسلم لما يظن بهم من وصولهم الى الرتبة التى تليق به ولما حاولوا ذلك راوا عجزهم فتأخرت بهم بلاغتهم عن ذلك فلذلك اكتفى بذكر بعض اياته الظاهرة واقتصر على شئ من سنى مناقبه الفاخرة صلى الله عليه وسلم وفى البيت الاستعارة فى تطاول امال المديح ومراعات النظير بين كرم الاخلاق والشيم

آيات حق من الرحمن محدثة • قديمة صفة الموصوف بالقدم

ايات بالرفع خبر مبتداء محذوف اى من معجزات نبينا ايات حق وبالنصب بالكسرة بدلا من قوله دعنى ووصفى ايات فيكون المراد بايات فيما تقدم ايات القران العظيم وبالجر بدلا من ما فى قوله الى ما فيه من كرم الاخلاق والشيم لما قدمناه من الحديث الشريف كان خلقه القران يرضى لرضاه ويغضب لغضبه والمراد بايات الحق القران العظيم والمراد بالحق اما ضد الباطل والحق هو الله تعالى ذلك بان الله هو الحق من الرحمن اى كاينة منه والرحمن صفة فى الاصل بمعنى كثير الرحمة جدا ثم غلب على من بلغ فيها النهاية ولذلك لم يسم به غيره تعالى واما تسمية اهل اليمامة مسلمة حيث قال شاعرهم فيه وانت غيث الورى لا زلت رحمانا فمن تعنتهم فى كفرهم كما قال صاحب الكشاف وتبعوه واعترضه التاج السبكى بان التعنت لا يفيد مع وقوع اطلاقهم وغايته بيان ذكر السبب الحامل لهم على الاطلاق ثم اجاب بان المعرف هو المختص ونظر فيه بان سهيل ابن عمرو فى قصة صلح الحديبية لما امر النبى صلى الله عليه وسلم عليا رضى الله بكتابة بسم الله الرحمن الرحيم قال لا نعرف الرحمن الا صاحب اليمامة وهذا صريح فى انهم كانوا يطلقونه على معرف ومنكر ووجه كلام الكشاف بان قرينة اختراعهم هذا الاسم يدل على انهم لم ينطقوا به لكونه من لغتهم بل لزيادة التعنت فى الكفر فلم يكن فيه حجة لاستعماله ولو منكرا فى غيره تعالى واجاب ابن مالك وولده بانه اريد برحمانا ذو رحمة وبحاصل ما ذكر علم ان منع التسمية فى الرحمن لغوى وشرعى كهو فى الله تعالى وهو عربى بحاء مهملة مغرب بمعجمة وقيل عربى علم غير مشتق وعلى القول باشتقاقه من الرحمة فالمراد غايتها وهو التفضل والاحسان محدثة اى باعتبار لفظها وكونها اصواتا وحروفا تقرأ قال تعالى وما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين قديمة اى معنى اذ هى كلام الله القايم بنفسه وهو تعالى وتقدس كلامه كوصفه القديم فلذلك قال صفة الموصوف بالقدم وهو الله تعالى ولذلك منعوا من اطلاق المحدث عليه خوفا من افهام معنى الحدوث فى معناه وتحقيق المقام ان للشئ وجودا فى الاعيان ووجودا فى الاذهان ووجودا فى العبارة ووجودا فى الكتابة فالكتابة تدل على العبارة وهى على ما فى الاذهان وهو على ما فى الاعيان فحيث يوصف القران بما هو من لوازم القديم كما فى قولك القران غير مخلوق فالمراد حقيقته الموجودة فى الخارج وحيث يوصف بما هو من لوازم المخلوقات والمحدثات يراد به الالفاظ المنطوقة المسموعة كما فى قولنا قرأت نصف القران والمخيلة كما فى قولنا حفظت القرآن والاشكال المنقوشة كما فى قولنا يحرم على المحدث مس القران والكلام على القرآن محله الاصول والكلام وفى البيت الطباق بين محدثة

وقديمة وجناس الاشتقاق بين صفة الموصوف وقديمة والقدم

لم تقترن بزمان وهي تخبرنا عن المعاد وعن عاد وعن ارم

لم تقترن صفة الايات كالتي قبلها والتي بعدها من الابيات الى قوله في البيت الثاني عشر
وكالصراط وكالميزان معدلة فيعطى من الاعراب المقدم الوجوه بزمان متعلق بتقترن والزمان
والزمن الدهر او بعضه والجمع ازمان وازمنة ونفي اقترانها بالزمان من حيث معناها لانها
كلام الله وهو صفة القايمة به ومن هذه الحيثية لم يوصف بزمان اذ الزمان في حقه تعالى لا يوصف
بمضي ولا حال ولا استقبال والزمان حادث وصفاته تعالى قديمة فالجملة تفسيرية لقوله قديمة
لا محل لها من الاعراب وجملة وهي تخبرنا حال من فاعل تقترن عن المعاد متعلق بتخبرنا والمعاد عود
الخلق بعد عدمهم قال تعالى وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده كما بدأنا اول خلق نعيده والايات
القرانية شاهدة بذلك ناطقة به في غير ما آية وذلك بان يبعث الله تعالى الموتى من القبور بان
يجمع اجزاءهم الاصلية ويعيد الارواح اليها فالفلاسفة المنكرون لذلك كفار بانكاره لانهم منعوا
اعادة المعدوم بعينه وهو مع انهم لا دليل لهم عليه يعتد به غير مضر بالمقصود لان مراد الله تعالى بجمع الاجزاء
الاصلية للانسان ويعيد روحه اليه سواء سمي ذلك اعادة المعدوم بعينه او لم يسم ومحل الكلام على
ذلك في كتبه وعن عاد هم قوم هود عليه السلام ويوصف بالاولى اما لانها في اول الدهر واول الامم
او لانها بالنسبة الى عاد الاخيرة وهي قبيلة متاخرة وانما قدم المعاد على عاد لانه ابلغ في الاخبار عن المغيبات
اذ هو مستقبل ومن امور الاخرة واعاد عن في قوله وعن ارم اما ليدل على مغايرته لعاد كما قيل او لضرورة
الوزن وارم قيل هي عاد الاخرى سموا باسم جدهم فانه عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل ارم
اسم مدينتهم قيل باليمن وقيل دمشق وقيل الاسكندرية قال تعالى الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات
العماد وقد ذكر المفسرون عادا وارما والكلام عليهما في كتب التفاسير وفي البيت الاحتراس في قوله
لم تقترن بزمان والجناس المطرف في المعاد وعاد ومراعات النظير بين عاد وارم

دامت لدينا ففاقت كل معجزة من النبيين اذ جاءت ولم تدم

دامت لدينا على مد الدوام بينا ملها جيل بعد جيل من الانام لاخذ الشرايع والاحكام وبيان الحلال من
الحرام وظهور بلوغتها التي هي الطرف الاعلى في النظام ويستدل بها على كونها معجزة لنبينا عليه الصلوة
والسلام اذ لم تزل تزل اقدام كل اهل عصر عن معارضتها ولو في بعض الكلام مع انه صلى الله عليه وسلم
كان في اهل عصر انقادت اليهم الفصاحة بزمامها والقت عصاها واستقرت لديهم باحكامها وطلب
منهم ان يعارضوا اقصر سورة فعجزوا وان ياتوا بسورة من مثله فلو والله ما طنبوا ولا اوجزوا واختاروا
قتل انفسهم وسبي دراريهم اسيرا اسيرا قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون
بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ففاقت الفا للسببية والنتيجة وفاقت بمعنى علت وغلبت كل معجزة
من النبيين صفة للمضاف او المضاف اليه اذ فيها معنى التعليل لفاقت جاءت كل معجزة من النبيين

ولم تدم

ولم تدم جملة حالية من فاعل جاءت اذ كل معجزة لهم انقضت اما بوقتها واما بموت ذلك النبي
واما معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم وهي القران العظيم فانها باقية ابد الدوام الى يوم القيام وذلك
لبقاء شريعته عليه الصلوة والسلام لم تتغير ولم تتبدل مع تكرر الدهور والاعصار واختلاف
الملل وليح لها في ساير الاقطار والقران العظيم الباهرة اياته الظاهرة معجزاته على ما كان عليه
من منذ جاء به الرسول عليه الصلوة والسلام والى يومنا هذا وهو سنة ستة عشر بعد الالف كاول
نزوله والى يوم القيامة حجته ظاهرة ومعارضته ممتنعة والاعصار كلها طافحة باهل البيان وفصحاء
اللسان وايمة البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة البراعة والملحد فيهم كثير والمعادي للشرع عنيد
فما منهم من اتى بشيء يؤثر في معارضته ولا الف بين كلمتين في مناقضته ولا قدر على مطعن صحيح
بل الالة تور في ذلك عن كل من رامه القاوح في العجز والنكوص على عقبه الى غير ذلك اليس ذلك من اعظم
الشواهد على حقيقته وايضا معجزات بني اسرائيل ومن قبلهم كانت مما يشاهد بالابصار لقلة
فطانتهم ومعجزة نبينا التي هي القران مما يشاهد بالبصيرة لتوقد افهام امته وشدة افكارهم الرايعة
ولذلك استنبطوا من القران العظيم الانواع العلوم والمعارف واستخرجوا جواهر المعاني واسرار
اللطايف مما هو مدون مسطور ومقرر مشهور وفي البيت التصدير وهو رد العجز على الصدر والايجاب
والسلب في دامت ولم تدم

محكمات فما يبقين من شبه لذي شقاق ولا يبغين من حكم

محكمات ذات احكام او منسوبات اليه قال تعالى كتاب احكمت اياته واصل الحكمة الاتقان فما
يبقين اي يتركن من شبه جمع شبهة وهي مما يعترض به على الحق مما يشتبه اولا على سامعه اشارة
الى نهاية من شدة اتقانها واحكامها وانها في غاية الظهور لا يمكن ان يورد عليه شبهة حالا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد لذي بمعنى صاحب شقاق وهو المشاقق
الذي نصب نفسه في شق غير شق صاحبه كانه اعد نفسه للمخالفة فهو ابدا يتفحص على شبهة يوردها
فاذا لم يكن عنده مع مخالفته شبهة فالموافق من باب اولى وان قرئ لذي بمعنى عند شقاق فالمعنى
عليه ايضا ولا يبغين اي يطلبن من حكم بفتحتين اي حاكم على مخالف الحق لظهور براهينها عليه
وبكسر الحا وفتحها جمع حكمة وبضمها كرسل والمعنى لا تطلب حاكما يحكم بينها وبين من يعارضها
لانها في نفسها حاكمة واضحة البراهين فهي لا تحتاج الى حاكم وهذا من دليل اعجازه كما هو مقرر
في اوجه اعجازه وفي البيت جناس الاشتقاق مع رد العجز على الصدر بين محكمات وحكم والمقابلة
بين محكمات وشبه والجناس اللاحق بين يبقين ويبغين

ما حوربت قط الا عاد من حرب اعدى الاعادي اليها ملقي السلم

ما حوربت بالبنا للمفعول ونايب الفاعل ضمير عايد على الايات من المحاربة مفاعلة للمبالغة في الحرب
وهو العداوة بقوله انا حرب لمن حاربني والحرب تؤنث وتذكر يقال وقعت بينهم حرب واستشهد المبرد

على التذكير

وهواذا الحرب عفا عقابه • من جم حرب تلتقي حرابه

قط بفتح القاف وتشديد الطاء مضمومة وهي افصح لغاتها ظرف لاستغراق ما مضى من الزمان ويختص بالنفي كما هنا واشتقاقه من قططته بمعنى قطعته فمعنى ما فعلته قط ما فعلته فيما انقطع من عمري لان الماضي منقطع عن الحال والاستقبال وبنيت لتضمنها معنى مذ والى وعلى الحركة هربا من التقاء الساكنين وكانت الضمة تشبيها لها بالغايات وقد تدخل عليها الفاء لقصد التزيين فيقال فيها فقط والمراد بمحاربتها هنا دعوى الاتيان بمثلها الاعادى رجع من حرب بفتحتين مصدر حربه كطلبه سلبه ماله ومنه الحربة وهي المال الذي يعيش فيه سمي حربا لما فيه من الشدة اعدى الاعادى الاعادى جمع اعدا جمع عدو واعدى فاعل عاد اى رجع عن محاربتها اليها ملقى السلم بفتحتين اى الاستسلام والانقياد اى رجع مستسلما منقادا للعجز عن معارضتها وان لم يؤمن بمن جاء بها عنادا منه قال الله تعالى والقوا اليكم السلم وقد وقع ذلك لكثير من المتقدمين ممن رام معارضتها كما حكى عن يحيى بن حكيم الغزال بتخفيف الزاء وكان من بلغاء الاندلس في زمانه انه رام شيأ من هذا فنظر في سورة الاخلاص ليحذو على مثالها وينسج بزعمه على منوالها فاعترته من ذلك خشية ودهشة حملته على التوبة والانابة وحكى عن ابن المقفع وكان افصح اهل وقته انه طلب ذلك ورامه فاجتاز بصبي في مكتب يقرأ وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر الاية فرجع ومحا ما عمل وقال اشهد ان هذا لا يعارض ابدا وما هو من كلام البشر وكانوا يعرفون بلاغته بمقتضى سليقتهم ويذعنون لها كما حكى ابو عبيد ان اعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين فسجد وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام وسمع اخر رجلا يقرأ فلما استيئسوا منه خلصوا نجيا فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام وحكى الاصمعي انه رأى جارية خماسية او سداسية وهي تقول استغفر الله من ذنوبي كلها قال فقلت لها مم تستغفرين ولم يجر عليك قلم فقالت استغفر الله لذنبي كله قتلت انسانا لغير حله مثل غزال ناعم في دله انتصف الليل ولم اصله فقلت لها قاتلك الله ما افصحك قالت او تعد هذا فصاحة بعد قوله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فجمع في اية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين واما المفضوحون ممن راموا ان يعارضوه كمسيلمة الكذاب واضرابه فاني استحي ان اضع ما وضعه مما عارض به في هذا الكتاب وهو سائر فيما بين اهل الاداب وقد ذكرت معارضة المعري له في شرح الرسالة العلمية العقلية وفي البيت جناس الاشتقاق بين حوربت وحرب وعاد اعدى الاعادى والمقابلة بين الحرب والسلم والاستعارة في حوربت

ردت بلاغتها دعوى معارضها • رد الغيور يد الجاني عن الحرم

ردت بلاغتها الضمير للايات وبلاغتها بلوغها الى رتبة لا يصل اليها طوق البشر وهو حد

الاعجاز والبلاغة مذكورة في علمها بحدها قالوا لا يستحق الكلام اسم البلاغة حتى يكون معناه الى قلبك اسبق من لفظه الى سمعك وقالوا البلاغة الاجادة وبلوغ الارادة وقال عبد الحميد بن يحيى البلاغة ما رضيه الخاصة وفهمه العامة وقال علي بن عيسى الرماني ابلغ الكلام ما حسن ايجازه وقل مجازه وكثر اعجازه وتساوت صدوره واعجازه وما احسن قول القائل البليغ فرس جواد يستبق وان كان مجريه وما معليه وان كثر مستقيه دعوى معارضها اى من يدعي معارضتها في الاتيان بمثلها مفعول ردت رد الغيور كل من المضاف والمضاف اليه صفة موصوف محذوف فرد نعت لمصدر محذوف اى ردا مثل رد الرجل الغيور يد الجاني مفعول رد والجاني من يقصد الجناية عن الحرم متعلق برد الغيور اى الحرم المنسوبة الى الغيور كامراته واخته جمع حرمة ولا ابلغ من رد الغيور عن حرمه يد الجاني اذ ذلك طبيعة لا علة معها الغيور عقله ابدا فهي ابلغ رد كذلك كان رد البلاغة للمعارض وهو يشير الى مسيلمة واضرابه قاتله الله اما له عقل يتعقل به ما يقول حتى صار عجبا يسخر منه في سائر الازمان ولذلك انكر المتنبي ما كان وضعه في زمن تنبيه وذلك ما حكاه القاضي التنوخي قال حدثني ابي ثنا ابو علي بن ابي حامد قال سمعنا خلقا بحلب يحكون والمتنبي بها اذ ذاك انه تنبى في بادية السماوة قال فخرج اليه لؤلؤ امير حمص من قبل الاخشيدية فكسر بعد ان قاتل المتنبي ومن معه وهرب من كان اجتمع عليه من كليب وجبة دهرا فاعتقل وكاد ان يتلف ثم استتيب بمكتوب وكان قد القى على البوادي كلاما ذكر انه قران انزل عليه شخصت منه سورة فضاعت وبقي اولها في حفظي وهو والنجم السيار والفلك الدوار والليل والنهار ان الكافر لفي اخطار امض على سنتك واقف اثر من كان قبلك من المرسلين فان الله قامع بك زيغ من الحد في الدين فضل عن السبيل قال وهي طويلة قال فكان المتنبي اذا سوعب في مجلس سيف الدولة ابن حمدان ونحن اذ ذاك بحلب بذكر له هذا الكلام الذي تقدم فينكره ويجحده هذا بالنسبة الى كلام مسيلمة في رتبة عليه مع انه لم يدع المعارضة واما مسيلمة الكذاب فانه ادعى المعارضة وقد ظهر قبح كلامه واختلال نظامه فعليه ما عليه وفي البيت جناس الاشتقاق بين ردت ورد وحسن التشبيه في رد الغيور

لها معان كموج البحر في مدد • وفوق جوهره في الحسن والقيم

لها خبر مقدم وجوبا والضمير عايد الى الايات معان مبتدا اخر لتنكره والتنوين للتكثير كموج البحر هو حركة مائه واضطراب بعضه ببعض وامواجه لا يمكن عدها فلذلك قال في مدد اى زيادة متصلة فان غالب معاني المدد ترجع للزيادة شبه معاني الايات القرانية بامواج البحر في الزيادة والكثرة وهذا احد وجوه اعجازه المعروفة وهو كونه جامعا لعلوم كثيرة لم يتعاط العرب الكلام فيها ولا يحيط بها من علماء الامم واحد ولا يشتمل عليها كتاب وانت خبير بان العلماء من عهد نزول القران العظيم والى الان لم يزالوا في كل اوان ومكان يستخرجون من معانيه المعاني الغريبة ومن الفاظه الاساليب البليغة ومنه العلوم العديدة حتى تعددت العلوم وانتشرت وتنوعت

وتكثرت وانما تأخذ الافهام منه على قدر القرايح والعقول والا فتحت كل حرف معانى لا يحيط بها الا الله
سبحانه وتعالى ولكل حرف ظهر وبطن وحد ومطلع الى غير ذلك وهولاء المفسرون رحمهم الله تعالى لم يزالوا
يستخرجوا من بحره جواهر المعانى مسبوكة فى قوالب المبانى ويزيد بعضهم على بعض بنكت بيانية ومعانى
قرانية واحكام شرعية وقواعد عربية ومع ذلك كله فقد جمع علم الاولين والآخرين وحكم المختلفين
وثواب المطيعين وعقاب العاصين واخبر عن احوال الآخرة والدنيا وما بينهما قل لو كان البحر مدادا
لكلمات ربى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا **وفوق جوهر** فوق معطوف
على كوج صفة معان المرفوع ونصبه لازم على الظرفية وان كانت مجازية ونحوه قوله تعالى وفوق كل
ذى علم عليم **فى الحسن والقيم** اى الاضاءة والانتفاع لأنه المقصود من كل شئ هو الانتفاع ولفظ فوق
يقتضى الزيادة فى العلو الى غير النهاية والا فلا نسبة اذ الآيات القرآنية حسنها لا يمكن وصفه
وقيمتها لا يمكن معرفتها اذ هى الدالة على الطريق المستقيم والهادية الى النهج القويم والمنقذة من العذاب
الاليم فاين واين وهيهات هيهات بين الجوهرين وفى البيت حسن التشبيه والجمع مع التفريق فى
وفوق جوهره ،

فلا تعد ولا تحصى عجايبها ولا تسام على الاكثار بالسائم

فلا تعد ولا تحصى مستفاد ومتفرع مما قبله وعطف ولا تحصى المماثل لما قبله مع تكرير لا لزيادة
المبالغة فى ذلك وقد يأتى الاحصا بمعنى الحفظ والوسع والفهم وهذه المعانى سايغة هنا ايضا
وهما قد تنازعا **عجايبها** جمع عجيبة وهى الشئ العديم النظير او القليل ومعانى ايات القرآن كذلك
ولا تسام اى لا توصف **على الاكثار** على هنا بمعنى مع اى مع الاكثار لها الذى لا غاية له بالسام لها
اى الملالة لحسنها وهذا المعنى هو معدود فى احد وجوه الاعجاز اعجاز القرآن العظيم فانهم قالوا
من وجوه اعجازه ان قاريه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الاكثار على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب
له محبة وطلاوة ولا يزال غضا طريا وغيره من الكلام لو بلغ فى الحسن والبلاغة ما بلغ يمل من الترديد
ويعادى اذا اعيد **لله القائل**

اذا تحدثت فى قوم لتتحفهم • بكل ما هو من ماض ومن آت •
فلا تعد فى حديث ان طبعهم • موكل بمعادات المعادات •

والقرآن العظيم انيس يستلذ به فى الخلوات • وجليس يستأنس به فى كل الحالات •
ولله در الشاطبى حيث يقول وخير جليس لا يمل حديثه • وترداده يزداد فيه تجملا •
وما سواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك ولو كانت من قبيل المجنون او اوردها موردها بالتوقيعات
واللحون وقصدهم بذلك تنشيط السامع على الاستماع والتكرار والفرق من وجوه عديدة
منها ان كلام البشر يصل الفهم الى جميع معانيه ولو فى الثالثة من عادته ويستخرج جميع ما
انطوى عليه من بلاغته ودقايقه واما القرآن العظيم فكلما تأمله وامعن فيه ظهر له ما كان

مخفيا

مخفيا عليه من بعض معانيه وكلما كرر النظر ازداد معانى ونكتا لم تكن ظهرت له سابقا ولو
كان من كان من بلغاء الزمان يزيدك وجهه حسنا اذا ما زدته نظرا والى هذا اشارة الحديث الذى
رواه البيهقى عن ابن مسعود مرفوعا او موقوفا ان هذا القرآن حبل الله لا تنقضى عجايبه ولا يخلق
على كثرة الرد اى لا يحدث له البلى مع كثرة تكراره وترداده بمرور الازمان وتعاقب الحدثان فلا تنقضى
عبره ولا تفنى عجايبه هو الفصل ليس بالهزل ولا تشبع منه العلماء ولا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسن
هو الذى لم تنته الجن حين سمعته ان قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد ذكره القاضى عياض
رحمه الله القاضى عياض فانه شفى القلوب فى الشفا ببيان وجوه الاعجاز وقررها احسن
تقرير وفى البيت مراعات النظير بين تعد وتحصى وجناس الاشتقاق فى تسام بالسائم

قرت بها عين قاريها فقلت له لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم

قرت بها اى بالايات **عين قاريها** اى طمانت وبلغت كل ما ترجوه وامنت من كل مكروه يقال
اقر الله عينه اى اعطاه حتى يقر ولا يطمح الى ما فوقه وقيل حتى تبرد فلا تسخن من قرت عينه ضد
سخنت من قربه عينا بقر كضرب يضرب وعلم يعلم قرة وقرورا بضم القاف فيهما ورجل قرير العين
وقرت عينه تقر بكسر القاف وفتحها واصله ماخوذ من القر وهو البرد لان الفرح يحدث عنه دموع
باردة وتسهيل همز قاريها لضرورة الوزن **فقلت له** على سبيل التبشير **لقد ظفرت** اللام جواب
قسم محذوف اى والله لقد فزت **بحبل الله** اى بما يوصلك الى دار كرمته واصل الحبل لغة السبب
الموصل سمى به القرآن لانه وصلة بين الله تعالى وبين عبده وفى الترمذى عن على القرآن حبل الله
المتين فهو استعارة فى التمسك به وباوامره ونواهيه وقد تقدم اطلاق الحبل ايضا على الرسول
صلى الله عليه وسلم **فاعتصم** للاشارة الى قوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا اذ
فسر بالقرآن وفى البيت الجناس فى قرت وقاريها والاستعارة فى بحبل الله مع المجاز والاقتباس

ان تتلها خيفة من حر نار لظى اطفات نار لظى من وردها الشبم

ان تتلها من التلاوة وهى اتباع الشئ بعضه بعضا سميت القراءة تلاوة لاتباع بعضها
بعضا ويجوز ان يكون من الاتباع فى الشئ اى العمل به اى اتباع احكامها من حلال وحرام وغير
ذلك **خيفة** اى خوفا نصب على انه مفعول لاجله **من حر نار لظى** لظى من اسماء جهنم خوف الوقوع
فيها لما اقترف من الذنوب والمعاصى **اطفات** الهمزة للتعدية من طفيت النار بالكسر ومطفى الجمر
يوم من ايام العجوز **نار لظى** مفعول اطفات واطفاؤها كناية عن عدم دخولها او عن عدم
وصول ضررها اليه **من وردها** اى موردها **الشبم** بفتح الشين وكسر الباء الموحدة اى البارد كنى بها
بالماء لانه من عادته اطفاء النار وحرها واثبت لها موردا مبالغة واكده بالشبم للمبالغة فى
الاطفا ولا شك ان قراءتها والعمل بها مما يكون مطفيا عنه حرها منجيا له عن الوقوع فيها
ان شاء الله تعالى **لما ورد** فى الحديث الصحيح اقرأوا القرآن فانه يجى يوم القيامة شافعا لاصحابه

والاخبار والاثار الوارده فی قرأة القرآن اکثر من ان تحصر واشهر من ان تذکر والبیت یشیر الی
انها کما تقر عینه بها بحصول المبردات کذلک تقر عینه بدفع المهلکات فالاول للاول والثانی
للثانی فان کمال قر العین انما یکون بدفع الافات لان الانسان وان حصل له مناه وما یوجوه
الا انه لا یأمن من وقوع المکروه فاذا امنه قرت عینه وفی البیت اشارة بلیغة حیث جعل تلاوتها
لقصد رفع حر نار لظی فاثبت لها اطفاء النار نفسها ویلزم من ذلک اطفاء حرها بالاولویة وفی
تکریر لظی حیث لم یقل اطفاءت نارها او حرها للمبالغة فی التهویل ودفعه وفی البیت من البدیع
المطابقة بین الحر والشبم والتکریر فی نار لظی والمقابلة بین الاطفا والنار وبین النار والورد و
والکنایة والمجاز والاستعارة

کَأَنَّهَا الحَوْضُ تَبْیَضُّ الوُجُوهُ بِهِ ۝ مِنَ العُصَاةِ وَقَدْ جَاؤُوهُ کَالحُمَمِ

کان للتشبیه والضمیر اسمها راجع للایات والحوض خبرها واحد الاحواض والحیاض واصله
المکان المنخفض فی الارض المتخذ له جوانب لاجتماع الماء به اطلق وارید به الماء الحال فیه مجازا
واللام فی الحوض للعهد واجیز ان یکون للغلبة کالعقبة وعلی کل منهما فالمراد به حوض النبی صلی
الله علیه وسلم وسنتکلم علیه وجملة تبیض الوجوه به استیناف بیانی مفسرة لبیان وجه
الشبه والوجوه فاعل تبیض ومن العصاة جار ومجرور فی محل النصب علی الحال ومن للتبعیض
ان حملنا الوجوه علی حقیقتها وللبیان ان اردنا بها الذوات مجازا وهو ابلغ من الاول وجملة
وقد جاؤوه فی محل نصب حال من الوجوه او من العصاة کالحمم حال من فاعل جاؤوه فهی من
الاحوال المتداخلة والحمم جمع حممة الفحم وکل ما احترق بالنار وقد اعترض الزرکشی الماتن فقال
لا وجه للتشبیه فانهم یصیرون حمما کما صرح به الحدیث واقول للتشبیه وجه وجیه مشرق اشراق
البدر فی حالک الظلام اذ لا ینسلک عنهم وصف الانسانیة واسمها بالکلیه ویصیرون
الی حقیقة الفحم بل یصیرون لشدة احتراقهم کالفحم کما لا یخفی وما فی الحدیث من صیرورتهم حمما
فعلی المبالغة واعترضه ابن العماد بان فی نسبة المجی الیهم تجوزا لانهم یخرجون من النار وقد صاروا
کالفحم فیوتی بهم فیرش علیهم الماء فینبتون کما تنبت الحبة فی حمیل السیل کما جاء فی الحدیث
واقول لا مانع من حمله علی الحقیقة بان یعید الله سبحانه وتعالی الیهم ارواحهم بعد صیرورتهم بصورة
الفحم لیشاهدوا اثار العذاب الذی حل بهم زیادة فی تبکیتهم فیقصدون لذلک ازالة ذلک السواد
عنهم بعد عفو الله عنهم بازالة العذاب لیشاهدوا کمال نعمة الله تعالی وتنالهم برکة النبی
صلی الله علیه وسلم حیث یزول عنهم ذلک السواد بورود حوضه الشریف فاذا وردوه ابیضت
وجوههم وابدانهم شیاء فشیاء کابیضاض الحبة فی جانب السیل ویؤید هذا وقوع کالحمم
حالا ویجوز ابقاؤه علی تجوزه ای جیء بهم الیه کالحمم فلما وردوه ابیضت وجوههم وعرفوا
نعمة الله اذ ذاک لکن لا تخفی ابلغیة الاول واعترضه ایضا بان امة محمد لا تسود وجوههم

وان النار

وان النار لا تأکل مواضع السجود واقول قوله لا تسود وجوههم ای ابدا دائما بلا زوال
او لا تسود وجوههم مع بقائها علی صورها لما ورد انهم تتغیر هیاتهم حتی لا یعذبوا علی الصورة
المحمدیة والا فقد ورد ان ممن یخرج من النار من یکون بسواد الوجه فیسمون الجهنمیین ثم بعد
ذلک ینعم الله علیهم بان یأمرهم بالاغتسال وعلیه حدیث الصحیحین فیخرجون منها فیلقون
فی نهر الحیات وفی روایة فیصب علیهم ماء الحیات ای فیذهب السواد عنهم ویظهر البیاض
واما قوله ان النار لا تأکل مواضع السجود ای لا تذهبه بالکلیة کالکفرة حیث تأکل النار لحومهم
وجلودهم ثم یبدلون غیرها تنکیلا وتشدیدا علیهم فی العذاب هذا ووجه الشبه بین الحوض
والایات کما یحصل بیاض الوجوه بورود الحوض کذلک یحصل بقرأة الایات والعمل بها کما
ان بترکها وترک العمل بها یحصل السواد والبیاض اما علی حقیقته واما الاشراق والانارة المقتضیان
للبیاض کما ان الظلام والمعاصی مقتضیان للسواد ونظیره قوله تعالی یوم تبیض وجوه وتسود
وجوه ومن هذا القبیل یقال لمن اجتهد فیما امره واطاع جاء بوجه ابیض وضده بضده وذکر
الضمیر فی به لانه للمشبه به واللام فی العصاة للجنس فلا یرد علی الماتن ان بعضهم یطرد فی
عن الحوض کما استقر والبیت ماخوذ من حدیث ابی امامة عند احمد وابن حبان من شرب
منه ای من الحوض شربة لم یظمأ ابدا ولم یسود وجهه ابدا وفی حدیث ثوبان عند الترمذی وصححه
الحاکم اکثر الناس علیه ورودا فقراء المهاجرین قال القرطبی فی التذکرة اختلف العلماء رضی الله
عنهم فی حوض النبی صلی الله علیه وسلم هل هو قبل الصراط والمیزان او بعدهما فذهب صاحب قوت
القلوب الی انه یکون بعد الصراط قال الشیخ والصحیح ان للنبی صلی الله علیه وسلم حوضین وکلاه
یسمی کوثرا والکوثر هو الخیر الکثیر وهو قبل الصراط والمیزان وبه قال الغزالی وتعقبه الشیخ ابن حجر بان
الکوثر نهر داخل الجنة وماؤه یصب فی الحوض ویطلق علی الحوض کوثر لکونه یمد منه فغایة ما یؤخذ
من کلام القرطبی ان الحوض یکون قبل الصراط لان الناس یردون من الموقف عطاشا فیرد المؤمنون
الحوض وتتساقط الکفار فی النار بعد ان یقولوا ربنا عطشنا فترفع لهم جهنم کانها سراب
فیقال الا تردون فیظنونها ماء فیتساقطون فیها وفی حدیث ابی داود عما رواه مسلم ان الحوض
یشخب فیه میزابان من الجنة قیل وهو حجة علی القرطبی لا له لان الصراط جسر جهنم وهو بین
الموقف والجنة والمؤمنون یمرون علیه لدخول الجنة فلو کان الحوض دونه لحالت النار بین
الماء الذی یصب من الکوثر فی الحوض وظاهر الحدیث ان الحوض بجانب الجنة لیصب فیه الماء من
النهر الذی داخلها انتهی واقول کون الصراط جسر جهنم وهو بین الموقف والجنة لا یمنع من
ایصال الماء الی الموقف اذ عجیب القدرة تزید علی ذلک ولا یقاس امر الاخرة علی امر الدنیا والاحتیاج
الیه والمنة منه هناک اکثر وظاهر الاحادیث یؤید ما مشی علیه القرطبی من کونه قبل الصراط فقد
قال ابن عباس رضی الله عنهما سئل النبی صلی الله علیه وسلم عن الموقف بین یدی رب العالمین

هل فيه ماء قال اى والذى نفسى بيده ان فيه لماء وان اولياء الله ليردون حياض الانبياء وعن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا انا قايم على الحوض اذا زمرة حتى اذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم فقال هلم فقلت الى اين فقال الى النار والله قلت ما شانهم قال انهم قد ارتدوا على ادبارهم القهقرى ثم اذا زمرة اخرى حتى اذا عرفتهم خرج من بينى وبينهم رجل فقال لهم هلم فقلت الى اين قال الى النار والله قلت ما شانهم قال انهم ارتدوا على ادبارهم فلا اراه يخلص منهم الا مثل همل النعم رواه البخارى قال القرطبى فى التذكرة هذا الحديث يدل على ان الحوض يكون فى الموقف والهمل من النعم الضال ومعنى الحديث ان الناجى منهم قليل ثم وردت الاحاديث بطول الحوض وتحديده فقد بين فى حديث عمرو بن العاص عند البخارى ان الحوض مسيرة شهر وزاد وفى رواية مسلم من هذا الوجه وزواياه سواء وفى حديث ابى سعيد عند ابن ماجه يرفعه ان لى حوضا ما بين الكعبة وبيت المقدس ابيض من اللبن انيته عدد النجوم وانى لاكثر الانبيا تبعا يوم القيمة وفى حديث ابى بردة عند الطبرانى وابن حبان فى صحيحه ما بين ناحيتى حوضى كما بين ايلة وحنين مسيرة شهر عرضه كطوله وفى حديث انس عند الشيخين ما بين صنعا والمدينة وفى حديث عقبة بن عبد السلمى عند ابن حبان فى صحيحه ما بين صنعا الى بصرى وفى حديث ابى امامة عند الطبرانى ما بين عدن وعمان عرضه قال ابن الاثير فى النهاية فى حديث الحوض عرضه من مقامى الى عمان هى بفتح العين وتشديد الميم مدينة قديمة بالشام من ارض البلقا فاما بالضم والتخفيف فهو موضع عند البحرين انتهى وهذه المسافات كلها متقاربة وظن بعضهم انه وقع اضطراب فى ذلك وليس كذلك واجاب النووى عن ذلك بانه ليس فى ذكر المسافة القليلة ما يدفع المسافة الكثيرة فالاكثر ثابت الحديث فلا معارضة وحاصله يشير الى انه اخبر اولا بالمسافة اليسيرة ثم اعلم بالمسافة الطويلة فاخبر بها كان الله تفضل عليه من المساحة شيا بعد شى فيكون الاعتماد على ما يدل على اطولها مسافة انتهى ولعل اختلاف التحديدات باختلاف السائلين فبين صلى الله عليه وسلم لكل طايفة بحسب ما يعرفون كما قاله القرطبى فى التذكرة فيقول لاهل الشام ما بين اذرح وجربا ولاهل اليمن من صنعا الى عدن الى غير ذلك ثم هل الحوض واحد مختص بنبينا صلى الله عليه وسلم او لكل نبى حوض فى عرصة القيامة روى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبى حوضا وانهم يتباهون ايهم اكثر وارده وانى ارجو ان اكون اكثرهم وارده رواه الترمذى وقال حسن غريب وقال البكرى المعروف الواسطى ولكل نبى حوض الا صالحا فان حوضه ضرع ناقته لكن المختص بنبينا صلى الله عليه وسلم هو الحوض الكبير الذى وردت بصفته الاحاديث ويصب فيه من ماء الكوثر الذى هو مختص به صلى الله عليه وسلم فانه لم ينقل نظيره لغيره ووقع الامتنان به فى سورة انا اعطيناك الكوثر قال القرطبى مما يجب على كل مكلف ان يعلمه ويصدق به ان الله تعالى قد خص نبينا صلى الله عليه وسلم بالحوض المصرح باسمه وصفته وشرابه فى الاحاديث الصحيحة الشهيرة التى يحصل بمجموعها

العلم

العلم القطعى اذ روى ذلك عنه صلى الله عليه وسلم من الصحابة ما ينيف عن الثلاثين منهم فى الصحيحين ما ينيف على العشرين وفى غيرهما بقية ذلك كما صح نقله واشتهرت روايته ثم رواه عن الصحابة المذكورين من التابعين امثالهم ومن بعدهم اضعاف واضعافهم وهلم جرا واجتمع على اثباته السلف واهل الزمن الخلف انتهى وفى حديث انس انه صلى الله عليه وسلم قال لحوضى اربعة اركان الاول بيد ابى بكر الصديق والثانى بيد عمر الفاروق والثالث بيد عثمان ذى النورين والرابع بيد على بن ابى طالب فمن كان محبا لابى بكر مبغضا لعمر لا يسقيه ابو بكر ومن كان محبا لعلى مبغضا لعثمان لا يسقيه على رواه ابو سعيد وعن زيد بن ارقم قال قال النبى صلى الله عليه وسلم ما انتم بجزء من ماة الف وسبعين الف جزء ممن يرد على الحوض وكانوا يومئذ ثمانمائة او تسعمائة قال القرطبى واول الناس ورودا على هذا الحوض الشريف فقراء المهاجرين عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان حوضى ما بين عدن الى ايلة اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل اباريقه عدد النجوم من شرب شربة لم يظما بعدها ابدا واول من يرد على الحوض فقراء المهاجرين الدنس ثيابا الشعث رؤسا الذين لا ينكحون المتنعمات ولا يفتح لهم ابواب السدد يعنى ابواب الدور قال فبكى عمر حتى اخضل لحيته فقال لكنى نكحت المتنعمات وفتحت لى ابواب السدد لا جرم انى لا اغسل ثوبى الذى على جسدى حتى يتسخ ولا ادهن راسى حتى يتشعث عمر اطلقه القرطبى فى التذكرة ووقع الاختلاف انه العمرين هو ففى كلام الغزالى فى الاحيا انه عمر ابن عبد العزيز وفى كلام ابن الجوزى فى التبصرة ما يفيد انه عمر بن الخطاب والله اعلم ونعم العمرين وقال انس اول من يرد الحوض على رسول الله صلى الله عليه وسلم الذابلون الناحلون السايحون الذين اذا جنهم الليل استقبلوه بالحزن واما من يطرد عن هذا الحوض الشريف فروى البخارى عن انس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ليردن على ناس من اصحابى الحوض حتى اذا عرفتهم اختلجوا دونى فاقول اصحابى فيقول لا تدرى ما احدثوا بعدك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرد على الحوض رهط من اصحابى فيحلجون عن الحوض فاقول يا رب اصحابى فيقول انك لا علم لك بما احدثوا بعدك انهم ارتدوا على ادبارهم القهقرى وقال صلى الله عليه وسلم انى على الحوض حتى انظر من يرد على منكم وسيوخذ ناس دونى فاقول يا رب اصحابى ومن امتى فيقول اما شعرت ما عملوا بعدك والله ما برحوا بعدك يرجعون على اعقابهم رواه مسلم قال العلماء فكل من ارتد او احدث فى الدين ما ليس منه فهو من المطرودين واشدهم طردا من خالف الجماعة كالخوارج والروافض وارباب البدع وكذلك الظلمة المسرفين فى الجور الكارهين الحق واهله المجاهرين بالمعاصى ثم هم مختلفون فى الطرد على قدر جرايمهم ممن مات من غير توبة ثم البعد يكون فى حال انتقاما منهم ثم يقربون بعد المغفرة ان كان تبديلهم فى الاعمال دون العقايد وعلى هذا يعرفون بما معهم من نور الوضوء ثم يقال

لهم سحقا ان كانوا من الكافرين وان كانوا من المنافقين رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيكون قد اخذهم بالظاهر فلما كشف له الغطا عن مقامهم قال بعدا لهم وسحقا ويحتمل ان
من انفذ الله وعيده فيه من اهل الكباير قد يرد الحوض ولكن اذا دخل النار لا يعذب بعطش
وعن كعب بن عجرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعيذك بالله يا كعب بن عجرة من امراء
يكونوا من بعدي فمن غشي ابوابهم فصدقهم في كذبهم فليس مني ولست منه ولا يرد الحوض
وقال صلى الله عليه وسلم في الحوض وسيأتيه قوم ذابلة شفاههم لا يطعمون منه قطرة واحدة
من كذب به اليوم لم يصيب منه الشرب يومئذ وقال صلى الله عليه وسلم يا عثمان ابن مظعون
لا ترغب عن سنتي فمن رغب عن سنتي فمات قبل ان يتوب صرفت الملائكة وجهه عن حوضي
يوم القيمة انتهى كلام القرطبي وقد ذكرنا شيئا مما يتعلق بالحوض والكوثر وهل هو هوا ويمتد
منه وكذلك حياض الانبيا ممتدة من الكوثر فيما كتبناه على تفسير القاضي البيضاوي
عند الكلام على سورة الكوثر والله اعلم وفي البيت التشبيه في موضعين والمقابلة بين
تبيض والحمم والمجاز في تبيض الوجوه

وَكَالصِّرَاطِ وَكَالْمِيزَانِ مَعْدِلَةً ۞ فَالْقِسْطُ مِنْ غَيْرِهَا فِي النَّاسِ لَمْ يَقُمِ

وكالصراط معطوف على جملة التشبيه عطف صفة على صفة اي آيات حق كالصراط اي الطريق
في الوصول به الى المقصود واصله بالسين من سرط الطعام اذا ابتلعه فكانه يسترط السابله
ولذلك سمي لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا ليطابق الطا في الاطباق وقد تشم
الصاد صوت الزاي ليكون اقرب الى المبدل عنه وجمعه سرط ككتب وهو كالطريق في التذكير
والتانيث وقد قرئ بالوجوه الثلاثة لكن الجمهور على قراته بالصاد كما في المتن وهي لغة قريش
والمراد به هنا الطريق الذي ينصبه الله تعا جسرا على جهنم وورد في بعض الاحاديث انه ادق من الشعر
واحد من السيف فقد روى مسلم قال ابو سعيد بلغني ان الصراط احد من السيف وادق من الشعر ولابن
المبارك من مرسل عبيد بن عمران الصراط مثل السيف وبجنبيه كلاليب انه ليؤخذ بالكلوب الواحد
اكثر من ربيعة ومضر وعن سعيد بن ابي هلال بلغنا ان الصراط ادق من الشعر على بعض الناس
ولبعض الناس مثل الوادي الواسع اخرجه ابن المبارك وهو مرسل او معضل والله اعلم قال القرطبي
في التذكرة فايدة قال بعض العلما وصف الصراط بانه ادق من الشعر واحد من السيف راجع الى معنى
عسر العبور عليه ويسره على قدر الطاعات والمعاصي ولا يعلم حدود مقاديرها الا الله تعا لخفايها
وغموضها وقد جرت العادة بتسمية الغامض الخفي دقيقا وضرب المثل له بدقة الشعر فهذا والله اعلم
من هذا الباب ومعنى قوله واحد من السيف ان الامر الدقيق الذي يخرج من عند الله تعا الى الملائكة
في اجازة الناس على الصراط يكون نافذا ماضيا كنفاذ السيف فيما يضرب به اسراعا منهم الى امتثال
امر الله تعالى اي لا يكون له مرد كما ان السيف اذا نفذ بحدة وقوة ضاربه في شيء لا يكون له بعد

ذلك

ذلك مرد واما ان يقال ان الصراط نفسه احد من السيف وادق من الشعرة فمدفوع بما وصف من
ان الملائكة يقومون بجنبيه وان فيه كلاليب وحسكا وان من يمر عليه يقع على بطنه ويحبو
ومنهم من له نور بقدر موضع قدميه وفي ذلك اشارة الى ان للمارين عليه مواضع الاقدام ومعلوم
ان دقة الشعرة لا تسع ذلك قال بعض الحفاظ ان هذه اللفظة ليست بثابتة قال الشيخ هذا
القول مردود بالاحاديث الصحيحة والايمان بالصراط على ما وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم
واجب والقادر على امساك الطير في الهوا قادر على تثبيت المؤمنين عليه وليست امور الآخرة مقاسة
على امور الدنيا ولا نعدل عن الحقيقة الى المجاز الا عند الاستحالة في ذلك والله اعلم وعن يحيى بن
اليماني قال رايت رجلا شابا اسود شعر الراس واللحية نام ذات ليلة فاصبح وقد شاب راسه
ولحيته فسئل فقال رايت في منامي كان الناس قد حشروا واذا نهر من نار وعليه جسر يمر الناس
عليه قال فدعيت للدخول عليه فاذا هو كحد السيف يمور بالناس يمينا وشمالا فاصبحت شايبا
من ذلك انتهى وذكر القرطبي في التذكرة عن بعض اهل العلم انه قال لن يجوز احدكم الصراط حتى
يسال في سبع قناطر فاما القنطرة الاولى فيسال عن الايمان بالله تعا وهو شهادة ان لا اله الا الله
فان جاء بها مخلصا جازها ثم يسال على القنطرة الثانية عن الصلوة فان جاء بها تامة جاز ويسال
على القنطرة الثالثة عن صوم شهر رمضان وفي الرابعة عن الزكوة وفي الخامسة عن الحج والعمرة وفي
السادسة عن الغسل والوضوء ثم يسال في السابعة وليس في القناطر اصعب منها عن ظلامات
الناس وفي حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم فاكون
انا وامتي اول من يجوز ولا يتكلم يومئذ الا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم
كلاليب مثل شوك السعدان غير انه لا يعلم قدر عظمها الا الله تعا فتخطف الناس باعمالهم فمنهم
من يوبق بعمله ومنهم من تخردل ثم ينجو الحديث رواه البخاري وفي حديث حذيفة وابي هريرة عند مسلم
ونبيكم قايم على الصراط يقول رب سلم حتى تعجز اعمال العباد حتى ياتي الرجل فلا يستطيع السير
الا زحفا قال وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مامورة باخذ من امرت به فمخدوش ناج ومكردس
في النار وهذه الكلاليب هي الشهوات المشار اليها في الحديث حفت النار بالشهوات فالشهوات
موضوعة على جوانبها فمن اقتحم الشهوة سقط في النار قال ابن العربي قال في المواهب ويؤخذ من
قوله فمخدوش الخ ان المارين على الصراط ثلاثة اصناف ناج بلا خدش وهالك من اول وهلة
ومتوسط بينهما يصاب ثم ينجو وفي حديث المغيرة عند الترمذي شعار المؤمنين على الصراط
رب سلم رب سلم ولا يلزم من كون هذا الكلام شعار المؤمنين ان ينطقوا به بل تنطق به الرسل
يدعون للمؤمنين بالسلامة فسمي ذلك شعارا لهم قاله القسطلاني وفي حديث ابن مسعود
فيعطيهم نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين ايديهم الحديث وفيه
فيمرون على قدر نورهم منهم من يمر كطرف ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم

من يمر كانقضاض الكوكب ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كشد الفرس ومنهم من يمر كشد الرجل حتى يمر الذي يعطى نوره على ظهر قدمه يحثو على وجهه ويديه ورجليه تجر يد وتعلق يد وتجر رجل وتعلق رجل وتصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص فاذا خلص وقف عليها وقال الحمد لله الذي اعطانى ما لم يعط احدا اذ نجانى منها بعد ان رايتها الحديث رواه ابن ابى الدنيا والطبرانى وقال صلى الله عليه وسلم الزالون على الصراط كثير واكثر من يزل عنه النسا وعنه صلى الله عليه وسلم اذا صار الناس على طرف الصراط نادى ملك من تحت العرش يا فطرة الملك الجبار جوزوا على الصراط وليقف كل عاص منكم وظالم فيا لها من ساعة ما اعظم خوفها يتقدم فيها من كان فى الدنيا ضعيفا مهينا ويتأخر من كان عظيما مكينا ثم يوذن لجميعهم بعد ذلك بالجواز على الصراط على قدر اعمالهم فاذا عصف الصراط بامتى نادوه واحمداه فابادر من شدة اشفاقى عليهم فانادى رافعا صوتى رب امتى امتى لا اسالك اليوم نفسى ولا فاطمة ابنتى والملائكة قيام عن يمين الصراط وشماله ينادون رب سلم وقد عظمت الاهوال واشتدت الاوجال والعصاة يتساقطون عن الصراط وشماله يناذون رب سلم وقد عظمت الاهوال واشتدت عن اليمين والشمال والزبانية يتلقونهم بالسلاسل والاغلال فتذكر حالك حال مشيك على الصراط وانت ثقيل الظهر بالاوزار المانعة لك من المشى على بساط الارض فضلا عن حدة الصراط وقد ذكره ابن الجوزى فى كتاب روضة المشتاق قال الغزالى فى الاحياء ثم تفكر بعد هذه الاحوال فى قول الله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا وفى قوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسئولون فالناس بعد هذه الاحوال يساقون الى الصراط وهو جسر جهنم ممدود على متن النار احد من السيف وادق من الشعر فمن استقام فى هذا العالم على الصراط المستقيم خف على صراط الاخرة ونجا ومن عدل عن الاستقامة فى الدنيا واثقل ظهره بالاوزار وعصى تعثر فى اول قدم من الصراط وتردى فتفكر الآن فيما يحل من الفزع بفوادك اذا رأيت الصراط ودقته ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته ثم قرع سمعك شهيق النار وتغيظها وقد كلفت ان تمشى على الصراط مع ضعف حالك واضطراب قلبك وتزلزل قدمك وثقل ظهرك بالاوزار المانعة لك عن المشى على بساط الارض فضلا عن حدة الصراط فكيف بك اذا وضعت احدى رجليك فاحسست بحدته واضطررت الى ان ترفع القدم الثانى والخلايق بين يديك يزلون ويتعثرون وتتناولهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب وانت تنظر اليهم كيف ينتكسون فتتسفل الى جهة النار رءوسهم وتعلوا ارجلهم فيا له من منظر ما افظعه ومرتقى ما اصعبه ومجاز ما اضيقه فانظر الى حالك وانت ترجف عليه وتصعد اليه وانت مثقل الظهر باوزارك تلتفت يمينا وشمالا الى الخلق وهم يتهافتون فى النار والرسول

عليه

عليه السلام يقول يارب سلم سلم والزعقات بالويل والثبور قد ارتفعت اليك من قعر جهنم لكثرة من زل عن الصراط من الخلايق فكيف بك لو زلت قدمك ولم ينفعك ندمك فناديت بالويل وقلت هذا ما كنت اخافه فيا ليتنى قدمت لحياتى يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتى ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا يا ليتنى كنت ترابا يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا يا ليت امى لم تلدنى وعند ذلك تختطفك النيران والعياذ بالله وينادى المنادى اخسئوا فيها ولا تكلمون فلا يبقى سبيل الى الصياح والانين والتنفس والاستغاثة فكيف ترى الآن عقلك وهذه الاخطار بين يديك فان كنت غير مومن بذلك فما اطول مقامك مع الكفار فى دركات جهنم وان كنت به مومنا وعنه غافلا وبالاستعداد له متهاونا فما اعظم خسرانك وطغيانك وماذا ينفعك ايمانك اذا لم يبعثك على السعى فى طلب رضاء الله بطاعاته وترك معاصيه فلو لم يكن بين يديك الا هول الصراط وارتياع قلبك من خطرك فى الجواز وان سلمت فناهيك به هولا وفزعا ورعبا ثم اورد الاحاديث الواردة فى ذلك الى ان قال فالزالون والزالات يومئذ كثير فهذه اهوال الصراط وعظائمه وطول فيه فكرك فان اسلم الناس عن اهوال القيامة من طال فيها فكره فى الدنيا فان الله لا يجمع على عبد بين خوفين فمن خاف هذه الاهوال فى الدنيا امنها فى الاخرة ولست اعنى بالخوف رقة كرقة النسا تدمع عينك ويرق قلبك حال السماع ثم تنساه على القريب وتعود الى لهوك ولعبك فما ذلك من الخوف فى شئ بل من خاف شيئا هرب منه ومن رجا شيئا طلبه فلا ينجيك الا خوف يمنعك عن معاصى الله ويحثك على طاعته وابعد من رقة النسا خوف الحمقى اذا سمعوا الاهوال سبق الى السنتهم الاستعاذة فقال احدهم استعنت بالله نعوذ بالله سلم سلم وهم مع ذلك مصرون على المعاصى التى هى سبب هلاكهم فالشيطان يضحك من استعاذتهم كما يضحك على من يقصده سبع ضارى فى صحراء ووراءه حصن فاذا رأى انياب السبع وصولته من بعد قال بلسانه اعوذ بهذا الحصن الحصين واستعيذ بشدة بنيانه واحكام اركانه فيقول ذلك بلسانه وهو قاعد فى مكانه فانى يغنى ذلك عنه من السبع وكذلك اهوال الاخرة ليس لها حصن الا قول لا اله الا الله صادقا ومعنى صدقه انه لا يكون لك مقصود سوى الله تعالى ولا معبود غيره ومن اتخذ الهه هواه فهو بعيد عن الصدق فى توحيده وامره مخطر فى نفسه فان عجزت عن ذلك كله فكن محبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حريصا على تعظيم سنته ومتشوقا الى مراعاة قلوب الصالحين من امته ومتبركا بادعيتهم فعساك تنال من شفاعته او شفاعتهم فتنجو بالشفاعة ان كنت قليل البضاعة انتهى وقد جاء فى حديث ابى هريرة عنه صلى الله عليه وسلم قال من احسن الصدقة فى الدنيا جاز على الصراط رواه ابو نعيم وفى الحديث من يكون المسجد بيته ضمن الله له بالروح والرحمة والجواز على الصراط الى الجنة وروى عن ابن المبارك عن عبد الله بن سلام اذا كان يوم القيمة

جمع الله الانبيا نبيا نبيًا وامة امة ويضرب الجسر على جهنم وينادى اين احمد وامته فيقوم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتتبعه امته برها وفاجرها حتى اذا كان على الصراط طمس الله
ابصار اعدايه فيتهافتون فى النار يمينا وشمالاً ويمضى النبى صلى الله عليه وسلم والصالحون
معه فتتلقاهم الملايكة فيدلوهم على الطريق على يمينك على شمالك حتى ينتهى الى ربه فيوضع له كرسى
عن يمين العرش ثم يتبعه عيسى عليه السلام على مثل سبيله وتتبعه امته برها وفاجرها حتى اذا
كانوا على الصراط طمس الله ابصار اعدايهم فيتهافتون فى النار يمينا وشمالا الحديث هذا الصراط
الاول وهو الصراط الاكبر الذى يدخله المؤمنون والكافرون فينجى الله المؤمنين ويهلك
الكافرين فاذا خلص المؤمنون منه ولا يخلص منه احد سواهم حبسوا على الصراط الثانى المختص
بهم روى البخارى من حديث ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلص المؤمنون
من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا
حتى اذا هذبوا ونقوا اذن الله لهم فى دخول الجنة فوالذى نفس محمد بيده لاحدهم اهدى
فى الجنة بمنزله منه بمنزله الذى كان فى الدنيا قال القرطبى هذا الصراط الثانى لا يحبس عليه الا من
لم يدخل النار من المؤمنين فاما من قدر الله دخوله النار منهم بذنوبه فانهم اذا خرجوا برحمة الله
وبالشفاعة فانهم لا يحبسون على هذه القنطرة بل اذا خرجوا بثوا على انهار الجنة كما ياتى وقال
صلى الله عليه وسلم اصحاب الجنة يحبسون بين الجنة والنار يسألون عن فضول اموال كانت
بايديهم وجاء فى التفسير ان اهل الجنة اذا دخلوا الجنة يقال لهم تفرقوا الى منازلكم فهم اعرف بمنازلهم
من اهل الجمعة اذا انصرفوا الى منازلهم وهو معنى قوله تعالى ويدخلهم الجنة عرفها لهم والله اعلم
وكالميزان عطف على كالصراط مشارك له فى وجه الشبه والوزن يومئذ الحق فالوزن حق
كالصراط بحسب الايمان به قد ورد به النصوص القاطعة والادلة الساطعة والميزان عبارة عما يعرف
به مقادير الاعمال والعقل قاصر عن ادراك كيفيته وجمهور المسلمين على انه على ظاهره ولا التفات الى
انكار المعتزلة لذلك وقولهم ان الاعمال اعراض ان امكن اعادتها لم يمكن وزنها وانها معلومة لله تعالى
فوزنها عبث مدفوع بما ورد فى الحديث الشريف ان كتب الاعمال هى التى توزن وانها تجسم الاعمال
الصالحة بصور حسنة وضدها بضدها كما قال ابن عباس ومشى عليه المحققون من المفسرين وغيرهم
وعلى تقدير كون افعال الله معللة بالاغراض لعل فى الوزن حكمة لا يطلع عليها وعدم اطلاعنا
على الحكمة لا يوجب العبث على ان الوزن قد يكون لاظهار مقادير الاعمال ليكون الجزاء بحسبها كما ان
الحساب لتقريرها وبذلك علم ان الوزن بعد الحساب وقد تكررت الايات القرانية وتكثرت الاحاديث
النبوية بذكر الميزان والوزن لكن ذكر الموازين فى الكتاب بلفظ الجمع وجاءت السنة بالافراد تارة
وبالجمع اخرى فقيل ان صورة الافراد محمولة على ان المراد الجنس جمعا بين الكلامين وقال بعضهم يحتمل ان
يكون تعددها بتعدد الاعمال فيكون هناك موازين للعامل الواحد يوزن بكل ميزان منها صنف

من اعماله وذهبت طايفة الى انها ميزان واحد يوزن بها الجميع وانما ورد فى الاية بصيغة الجمع للتفخيم
وليس المراد حقيقة التعدد وهو نظير قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين والمراد رسول واحد
وهذا هو المعتمد وعليه الاكثرون **وهو** ميزان له كفتان ولسان كما ورد فى الحديث الشريف
كفة الحسنات من نور وكفة السيئات من ظلمة وان كل كفة منه لو وضعت فيها السموات لوسعتها
واختلف فى كيفية وضع الميزان والذى جاء فى اكثر الاخبار ان الجنة توضع عن يمين العرش
والنار عن يسار العرش ثم يوتى بالميزان فينصب بين يدى الله تعالى فتوضع كفة الحسنات مقابل
الجنة وكفة السيئات مقابل النار ذكره الترمذى الحكيم فى نوادر الاصول **ثم الناس** فى القيامة
على ثلاثة اصناف صنف يؤخذون الى النار اخذة رابية وصنف يدخلون الجنة بغير حساب
وآخرون خلطوا عملا صالحا واخر سيئا كما قاله فى الاحيا وقال القرطبى فى التذكرة وقد تكررت
الايات فى القران الدالة على وزن اعمال الكافرين والمؤمنين لانهم يحاسبون على ما اخلوا به فى معتقداتهم
مما كانوا يعبدونه حلولا او حراما واتوا به على خلاف اعتقادهم اذ ليس المراد من وزن اعمالهم اظهار
حسناتهم فان الكافر لا ثواب له فى الاخرة بل هو يجزى بحسناته فى الدنيا **وفى البخارى** انه صلى الله
عليه وسلم قال يوتى يوم القيمة بالرجل العظيم السمين لا يزن عند الله جناح بعوضة واقرأوا ان
شئتم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا اى لا ثواب لهم **فان قيل** الميزان يظهر اثره فى حق المؤمنين
لان لهم حسنات وسيأت واما الكافر فلا حسنة له فباى شئ تقابل سيأته وكفره **فالجواب**
ان ميزان الكافر على وجهين احدهما ان يوضع كفره وسيأته فى كفة ويقال له هل لك من حسنة
او طاعة فلا يجد له شيا فيرفع الميزان فتخف الكفة الفارغة وتطيش وتثقل الاخرى وهذا
معنى قوله ومن خفت موازينه الاية الوجه الاخر ان الكافر قد تكون منه فى الدنيا صلة لرحم وعتق
لمملوكه ومواساة لجيرانه ونحو ذلك مما لو كانت من المسلم لكانت قربا وطاعات فمن كان له
مثل هذه الخيرات فانها تجمع وتوضع فى كفة الميزان وفى الكفة الاخرى كفره وذنوبه فاذا رفع
الميزان خفت تلك الكفة ايضا لان كفره لا يقابله شئ ولكن يظهر لتلك الخيور وزن ما فيخفف
عنه من العذاب بقدر ذلك فهذا هو ثوابه من تلك الخيرات والدليل على ذلك انه قيل يا رسول الله
ان ابا طالب كان يحوطك وينصرك فهل ينفعه ذلك فقال صلى الله عليه وسلم نعم انى وجدته
فى غمرات من النار فاخرجته الى ضحضاح ولولا انا لكان فى الدرك الاسفل من النار وروى ان
ملكا موكل بالميزان فاذا وزن العمل ورجحت الحسنات نادى بصوت يسمعه الخلايق كلها سعد
فلان سعادة لا يشقى بعدها ابدا وان رجحت السيأت نادى شقى فلان شقاء لا يسعد بعده ابدا
وقيل ان صاحب الميزان يوم القيمة هو جبريل عليه السلام والمذكور فى القران العظيم ممن توزن
اعمالهم صنفان من ثقلت موازينه ومن خفت موازينه فمن ثقلت موازينه بان كانت الحسنات
اثقل دخل الجنة بفضل الله ومن خفت موازينه بان كانت السيئات اثقل دخل النار الا ان يغفر الله

له وان تساوتا كان من اصحاب الاعراف هذا ان كانت فيما بينه وبين الله فان كان عليه مظالم العباد
فانه ينقص من ثواب حسناته بقدر ما عليه من حقوق العباد فان لم تف حسناته بما عليه وضع عليه
من سيئات المظلوم وطرح في النار واما الكافر فيوضع كفره ويوزن على ما تقدم قال سفيان الثوري
لان تلقى الله عز وجل بسبعين ذنبا فيما بينك وبينه اهون عليك من ان تلقاه بذنب واحد
فيما بينك وبين العباد وقال وهب بن منبه انما يوزن من الاعمال خواتيمها واذا اراد الله بعبد
خيرا ختم له بخير عمله واذا اراد الله بعبد شرا ختم له بشر عمله وقال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال
بالخواتيم وروى الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصاح برجل من امتي على رؤس الخلايق يوم القيمة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل
منها مد البصر ثم يقول اتنكر من هذا شيئا اظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب فيقول افلك
عذر فيقول لا يا رب فيقول بلى ان لك عندنا حسنة والله لا ظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها
اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول يا رب ما هذه
البطاقة مع هذه السجلات فيقول انك لا تظلم قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت
السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء فان قيل ان شان الميزان يوضع في كفة شيء وفي
الاخرى ضده فتوضع الحسنات في كفة والسيئات في كفة والذي يقابل شهادة التوحيد الكفر ويستحيل
ان ياتي عبد واحد بالايمان والكفر معا حتى يوضع الايمان في كفة والكفر في اخرى اجاب الحكيم الترمذي
بانه ليس المراد وضع شهادة التوحيد في كفة الميزان وانما المراد وضع الحسنة المرتبة على النطق
بهذه الكلمة مع ساير الحسنات ويدل لما قاله قوله عليه السلام بلى ان لك عندنا حسنة ولم يقل
لك عندنا ايمانا وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن لا اله الا الله امن الحسنات هي فقال هي من اعظم
الحسنات اخرجه البيهقي وغيره ويجوز كما قاله القرطبي في التذكرة ان تكون هذه الكلمة هي اخر كلامه
في الدنيا كما في حديث معاذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل
الجنة وقد قدمنا الامور بخواتيمها وفي الخبر اذا خفت حسنات المؤمن اخرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم بطاقة كالانملة فيلقيها في كفة الميزان التي فيها الحسنات فترجح الحسنات فيقول ذلك
العبد المؤمن للنبي صلى الله عليه وسلم بابي انت وامي ما احسن وجهك وما احسن خلقك فمن انت
فيقول انا نبيك محمد وهذه صلواتك التي كنت تصليها علي وقد وفيتك اياها احوج ما كنت
اليها وقال صلى الله عليه وسلم من قضى لاخيه حاجة كنت واقفا عند ميزانه فان رجح والا شفعت
له وقال صلى الله عليه وسلم ما من شيء يوضع في الميزان اثقل من خلق حسن وقال صلى الله عليه
وسلم رايت رجلا من امتي قد خف ميزانه فجاء افراطه فثقل ميزانه وقيل لبعضهم في المنام ما
فعل الله بك فقال وزنت حسناتي فرجحت السيئات فجاءت صرة من السماء فسقطت في كفة
الحسنات فرجحت فحللت الصرة فاذا فيها تراب القيته في قبر مسلم وقيل يجاء بعمل الرجل فيوضع

في كفة ميزانه فيخف فيجاء بشيء امثال الغمام فيوضع في الميزان فيرجح فيقال اتدري ما هذا فيقول
لا فيقال هذا فضل العلم الذي كنت تعلم الناس وقال صلى الله عليه وسلم تنصب الميزان يوم القيمة
فيؤتى باهل الصلوة فيوفون اجورهم بالموازين ويؤتى باهل الصيام فيوفون اجورهم بالموازين
واهل الحج يوفون اجورهم بالموازين ويؤتى باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان
ويصب عليهم الاجر صبا بغير حساب وقال صلى الله عليه وسلم يؤتى بالشهداء يوم القيمة فينصب
الحساب ويؤتى بالمتصدق فينصب للحساب ثم يؤتى باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا
ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر صبا حتى ان اهل العافية ليتمنون في الموقف ان اجسامهم
قد قرضت بالمقاريض من حسن ثواب الله تعالى لهم عن الحسين بن علي رضي الله عنهما قال قال
جدي صلى الله عليه وسلم يا بني عليك بالقناعة تكن اغنى الناس واد الفرايض تكن من
اعبد الناس يا بني ان في الجنة شجرة يقال لها شجرة البلوى يؤتى باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان
ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر صبا وقرا صلى الله عليه وسلم انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب واختلف في كيفية الرجحان والنقص فقال بعضهم ان الراجح من الموزون
يصعد على العكس من موازين الدنيا بدليل قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه
ورد بظواهر قوله تعالى فاما من ثقلت موازينه وقوله عليه السلام فطاشت السجلات وثقلت
البطاقة واختلفوا في الجن هل ينصب لهم ميزان كالانس كاختلافهم في تنعمهم في الجنة وقال كعب
الاحبار ان الرجلين اذا كانا صديقين في الدنيا فيمر احدهما بصاحبه وهو يجر الى النار فيقول
له اخوه والله ما بقي لي الا حسنة واحدة انجو بها خذها انت يا اخي فتنجو بها مما ارى وابقى انا
واياك من اصحاب الاعراف قال فيامر الله بهما جميعا فيدخلون الجنة وقال ابو حامد الغزالي
يؤتى برجل يوم القيمة فما يجد حسنة يرجح بها ميزانه وقد اعتدل ميزانه بالسوية فيقول الله
تعالى رحمة منه اذهب في الناس فالتمس من يعطيك حسنة ادخلك بها الجنة فيجوس خلال
العالمين فما يجد احدا كلمه في ذلك الامر الا يقول خفت ان تخفف ميزاني فانا احوج منك اليها
فييأس فيقول له رجل ما الذي تطلب فيقول حسنة واحدة فقد حضرت لقوم لهم منها الاف
فبخلوا علي فيقول له الرجل لقد لقيت الله تعالى فما وجدت في صحيفتي الا حسنة واحدة وما اظنها
تغني عني شيئا خذها هبة مني اليك فينطلق بها فرحا مسرورا فيقول له الرب سبحانه وتعالى
كرمي اوسع من كرمك خذ بيد اخيك وانطلقا الى الجنة وكذا يؤتى برجل توزن اعماله فيستوي
ميزانه فياتي للملك بصحيفة فيضعها في كفة السيئات فترجح على الحسنات يكون في الصحيفة
اف كلمة عقوق قالها في الدنيا لابيه فيامر به الى النار قال فيطلب الرجل ان يرده الله تعالى فيقول
ردوه فيقول له ايها العبد العاق لاي شيء طلبت الرد الي فيقول الهي رايت ابي سايرا الى النار
ولا بد لي منها وكنت عاقا لابي وهو ساير الى النار ايضا فضعف على عذابي وانقذه قال

فيضحك الله تعالى ويقول عتقته في الدنيا وبررته في الاخرة خذ بيد ابيك وانطلقا الى الجنة وقوله
معدلة مصدر ميمي اي عدلا منصوب على التمييز او حال بتاويل عادلة او على انه مفعول مطلق
لفعل محذوف مبين لوجه الشبه فيما قبله وقيل بتقدير لام او لما يناسبه فالقسط اي العدل والفا
فصيحة من غيرها اي الايات وفي نسخة في غيرها ولا يخفى تقديم المجرور في الناس اما من ناس
اذا تحرك فيعم الانس والجن او مخصوص بالانس لانهم الاصل وغيرهم يتبع لهم لم يقم مبني للفاعل
من قامت السوق وللمفعول من اقمت العود ضد الاعوجاج والحصر على حقيقته والعدل الماخوذ
من السنة راجع الى الايات وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ووجه الشبه بين
الايات وبين الصراط والميزان ظاهر من وجوه لا تخفى على اهل البيان وفي البيت مراعاة
النظير بين الصراط والميزان وبين العدل والقسط

لا تعجبن لحسود راح ينكرها … تجاهلا وهو عين الحاذق الفهم

لا تعجبن نهي عن الاعجاب موكد بالنون للمبالغة في النهي والاعجاب يتعدى بمن تارة وباللام
اخرى كما هنا لحسود مبالغة في الحسد وهو تمني زوال النعمة عن المحسود ومن اعظم ضرره
وقبحه ان الله تعالى امر بالاستعاذة منه وهو اول ذنب وقع حيث حسد ابليس ادم فحمله بما
جونه وحسد ابن آدم اخاه فكان ما كان وقد ذكرنا ما يتعلق بالحسد في كتابنا شرح الكبائر
والصغائر وفي شرح الرسالة العلمية راح اي ذهب ينكرها تجاهلا بها والتجاهل اظهار الجهل
مع عدم ارادته بخلاف التحالم فانه اظهار الحلم مع ارادته لكن المتجاهل انما يتكلفه لامر اقتضاه وعارض
دعاه من قصيدة المعري المشهور

• ولما رايت الجهل في الناس فاشيا • تجاهلت حتى ظن اني جاهل •
• فوا عجبا كم يدعي الفضل ناقص • ووا أسفاه كم يدعي النقص فاضل •

ولامامنا الشافعي رضي الله عنه

• وانزلني طول النوى دار غربة • اذا شئت لاقيت الذي لا اشاكله •
• فحامقته حتى يقال سجية • ولو كان ذا عقل لكنت اعاقله •

وان كان ما اوردناه مع بيت الناظم في طرفي نقيض الا ان الضد يحمل على الضد والشاهد على
التجاهل فقط وقد اطال الكلام اهل الادب على هذا المحل فليراجع وتجاهلا منصوب على انه
مفعول لاجله وهو مبتدا خبره عين الحاذق بالذال المعجمة اي الماهر بالشيء الفهم بالتحريك
صفة مشبهة اي الشديد الفهم بما يعرفه منها مما اشتملت عليه من انواع الاعجاز الدال على صدق
النبي الجائي بها عن الله تعالى وانكارها المقتضي لتكذيبها ليس الا من باب العناد الداعي اليه
الحسد على نعمة الرسالة والا فانهم يعرفونها كما يعرفون ابناءهم وقد انصف القائل منهم انا
اعرف بنبوة محمد اكثر من معرفتي يا بني لاني لا اشك في نبوة محمد واشك في بنوة ابني وقد

تطابقت الايات القرآنية على معرفته وانكاره قال تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقد قدمنا
شيئا مما يتعلق بذلك وسبب الانكار والعناد انما هو الحسد فان الحسود قد ينكر الموجود
والموجود قد ينكر الامور كما اشار اليه بقوله

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد … وينكر الفم طعم الماء من سقم

قد للتحقيق وجوز كونها للتقليل والبيت اتى به كالدليل على ما قبله وذلك ان الحواس
المدركة قد يعرض لها ما يغير ادراكها الحقايق على ما هي عليه ولذلك انكرت السوفسطائية
حقايق الاشياء كافة الرمد الحاصل للعين المانع من ادراك ضوء الشمس مع بقاء حاسة
الرؤية وهو اصل البصر لولا الرمد فلذلك تنكر العين ضوء الشمس اي تنفي وجوده من رمد بها
ظانة انه غير مانع من الرؤية مع بقاء حاسة الرؤية وقد لا تنكر ذلك لقيام الافة العارضة وتحققها
انها لو زالت لرأت فلا يرد ما اعترض به شارح من قوله كان الاحسن للناظم ان يقول من عماء لانه
من المعلوم ان العمى عدم البصر عما من شانه ان يكون بصيرا فلو وجد العمى تحقق عدم الادراك وكذلك
ينكر الفم طعم الماء من سقم اي مرض يلطفه غير مانع من الاستطعام وقد لا ينكر فكذلك الحاسد كان بعين
بصيرته رمد يمنعه من ادراك ضوء الايات القرآنية وبفمه مرض يمنعه عن ادراك ما بفهم منها مع معرفة
حقيقتها فلشدة حسده المغطي على بصيرته نزل المحقق منزلة المعدوم وهو كقوله

• ومن يك ذا فم مر مريض • يجد مرا به الماء الزلالا •

قال الزركشي قد يقال ليس هذا مطابقا للاستشهاد لان العين اذا رمدت انكرت بالضرورة ضوء
الشمس وكذا الفم اذا مرض صاحبه فالانكار فيهما للخلل في الالة اما ههنا فالحسود انما انكر تجاهلا
مع علمه وقدرته انتهى واقول لا يخفى وجه تطابق الاستشهاد لان العين لا يمكن ان تنكر حقيقة
ضوء الشمس حالة الرمد وكذا الفم وانما المنكر نفس الرؤية ونفس الطعم كما ان الحاسد ينكر كون الايات
من عند الله ظاهرا مع علمه بكل على حقيقتها فليتامل وفي البيت مراعاة النظير في كل
من الشطرين والتكرير في تنكر

يا خير من يمم العافون ساحته … سعيا وفوق متون الاينق الرسم

شروع في الاسوا وما يتعلق به والندا على الوجه المذكور والاسلوب الاجمل للمربوب اثر فراغه من
صفاته الحميدة واخره فالجملة السابقة بعثا للمنادى على الاقبال عليه وتنشيطا له في مقاصده
على التوجه اليه اعلاما باهتمام المنادى بطلبه واعتنائه بقضاء اربه كما هو عادة من ينادي الكريم
للسؤال الراجي منه الاجابة الى بذل ذلك السؤال لا لاستبعاده فيما رجاه بل يزيد مدحه ويطيل ثناه
اذا المحل يقتضيه والمقام يأباه لان الممدوح المنادى هنا اكرم الرسل على الاطلاق ومن لاجله خلقت
الدنيا بالاتفاق بل الجميع مغترفون من بحره البسيط المديد ومعترفون بفضله الذي ما عليه
لطالب من مزيد فقال يا خير من يمم العافون ساحته لا يخفى ان التفضيل هنا جار على حقيقته

وسنته وطريقته والعدول عن اسمه الشريف للايذان بكمال رتبته العليا فى هذه الاوصاف البالغة المقام الاسنى وخير هنا منادى مضاف ومن موصول قال الزركشى بمعنى الذين جمعا والاصح تقديرها بمعنى الذى مفردا الا ان التفضيل لايكون الا فى جماعة يمم اى قصد واصله التوخى ومثله امّه من باب رد واتمه تايمما اى قصده قال الزركشى يقال اممته بالتشديد والتخفيف اذا كان امامك فقصدته دون غيره فان لم يكن امامك قلت يممته باليا مكان الهمزة والجملة صلة للموصول العافون جمع عاف ويجمع على عفاه طلاب المعروف ساحته مفعول يمم والساحة حريم الدار الواسع الذى لابنا فيه ولاسقف وجمعها ساحات وسوح وساح وهى فى عادتهم ما يجتمع فيها الوافدون والعفاه وبها تظهر مكارمهم وتبسط معارفهم وعوارفهم وافراد الضمير على لفظ من سعيا السعى للمشى بسرعة وهو فوق العدو نصب على المفعولية اى سعوا سعيا او على الحالية اى ساعين وراكبين فوق متون اى ظهور جمع متن من المتانة وفوق من اسماء الجهات المبنية فاذا اضيف اعرب الاينق جمع ناقة واصله انوق استثقلوا الضمة على الواو فقدموها وقالوا اونوق ثم عوضوا من الواو ياء فقالوا اينق وجمعوه على ايانق وتجمع الناقة على نوق ونياق بالكسر فوزنه على هذا اعفل ماخوذ من التنوق فى المشى وهو تانيقه وتحسينه لانها عندهم من احاسن اموالهم وتخصيصها بالذكر لانها اقوى الحيوانات على الحمل والترحال واصبرها على المشقات والاوجال وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ولذلك وصفها بالرسم جمع رسوم وهى الناقة التى تؤثر فى الارض من شدة الوطى وهو تلميح بانه باب الله الذى يتوسل به الى المطالب ويستشفع به فى نجاح المآرب فيا تونه سعيا وفوق متون الاينق كما ياتون بيت الله وحرمه رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق ثم لا يخفى تقديم الساعين على الراكبين من سرعة المبادرة وعدم التوقف على شىء يجب او يعوقه من آلة وغيرها اذ هى لا تكون الا مع العجز عن السعى وان العافين منهم من يممه بالفعل ومنهم من يمم بالقصد والتوجه متوسلا ببعض فضله على قصد اليتيم بالفعل ايضا فلا قصور فى كلام الناظم

ومن هو الاية الكبرى لمعتبر ومن هو النعمة العظمى لمغتنم

ومن معطوف على المنادى قبله الذى هو خير وتكرار الندا لاظهار كمال الرغبة فى الاقبال الذى هو شان هذا المنادى مع تحقق اتصافه بهذه الاوصاف الواقعة بعد الندا والاشعار بانه حرى بها والآية العلامة اطلقت عليه لانه علم به ما لم يعلم بغيره اذ هو اصل الوجود فى التحقيق ولذلك وصفت بالكبرى اسم تفضيل تقتضى الزيادة فى الكبرى واللام للكمال نحو انت الرجل كل الرجل لمعتبر اسم فاعل من الاعتبار وهو معرفة الغايب بالشاهد وذلك ان من تامل جميل اثاره عليه السلام وحميد سيره وكمال علمه ورجاح حلمه وعقله لم يمتر فى معرفة نبوته وتحقق شريعته الدالة على وحدانية الله تعالى الفارقة بين الحق والباطل قال تعالى وانك لتهدى الى صراط مستقيم

ومن هو

ومن هو معطوف على من فى اول البيت النعمة بمعنى المنعم به العظمى اسم تفضيل يقتضى الزيادة فى العظم وهذه الزيادة فى حقه عليه الصلوة والسلام من الفضل والتعظيم لا انتهاء لها ولا احد يحصرها فانه النعمة العظمى واى نعمة اعظم منه من الدليل لها على الاجمال قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين لمغتنم اسم فاعل من الغنم واصله اصابة المغنم والظفر به ثم استعمل فى كل مظفور به من العرب وغيرهم ولا يخفى ما فى تنكير معتبر ومغتنم ثم لا يخفى ما فى البيتين من الاوصاف المناسبة للاسرا الذى هو خبر الندا وما فى البيت من التشطير والترصيع والاستعارة والترشيح

سَرَيتَ مِن حَرَمٍ لَيلًا اِلى حَرَمٍ كَمَا سَرَى البَدرُ فى دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ

شروع فى قصة الاسرا وما يتعلق به من العروج ومشاهدته عجايب الملكوت وصلاته بالانبياء عليهم السلام الى غير ذلك من تلك الامور العجيبة الخارقة للعادة الدالة على صدق نبوته عليه السلام الشاهد بذلك كله الايات القرانية والاحاديث النبوية الشاهد بها قوله تعالى وما ينطق عن الهوى وقد اكثر العلماء الكلام على ذلك ايجازا واطنابا وافرد بعضهم بل الكثير منهم ذلك بالتصنيف استقلالا وبينوا ما يتعلق بذلك وجمعوا بين الاحاديث المختلفة الروايات بالزيادة والنقص شكر مسعاهم وغير ذلك ورفع قدرهم وعلاهم ولنورد هنا رشحة من زلال عبابهم الصافى وانى لهذا الرجل العاجز ان يدرك شاو سراهم وكيف يتاتى لهذا المنخفض فى ثرى التراب ان يرقى فى مراقى علاهم فعذر العاجز مقبول وخطا المقصر محمول والله المسئول الدعا بالقبول قال الناظم المرحوم سريت قال اهل اللغة سرى واسرى بمعنى واحد قيل واسرى لازم كسرى فيحتاج الى التعدية والهمزة فى الاية ليست للتعدية خلافا لابن عطيه وانما المعدى البا فى بعبده ولم يرض السهيلى ذلك ونسب اهل اللغة الى عدم التحقيق قال وذلك ان القرآن لم يختلفوا فى التلاوة من قوله سبحانه وتعالى سبحان الذى اسرى بعبده ولم يقل سرى فدل على ان السرى من سريت اذا سرت ليلا والاسرا متعد فى المعنى لكن حذف مفعوله كثيرا حتى ظن اهل اللغة انهما بمعنى واحد لما راوهما غير متعديين الى مفعول فى اللفظ وانما اسرى بعبده اى جعل البراق يسرى به كما تقول امضيته اى جعلته يمضى لكن اكثر حذف المفعول لقوة الدلالة عليه والاستغناء عن ذكره اذا المقصود بالخبر ذكر محمد صلى الله عليه وسلم لا ذكر الدابة التى سارت به وفرق بين هذه الآية وبين قوله تعالى فاسر باهلك بقطع من الليل الى اخر ما ذكر ثم استعمالهم سرى ليلا وسار نهارا فرقا بينهما ولله بن نباتة الملك حيث اشار الى ذلك فى قوله ما زاد الا فى صباح جبينه فاقول سار ولا اقول له سرى من حرم هو حرم مكة المشرفة زادها الله شرفا وحرمة الحرم الذى حرم فيه ما يجوز فى غيره من البلاد كما هو معلوم فى محله ويشمل الكعبة الشريفة وبيت ام هانى على اختلاف الرواية فى ذلك ومن لابتداء الغاية والتنوين للتعظيم ليلا ظرف للسرى واستشكل كونه ظرفا بان السرى سير الليل فاذا اطلق فهم انه واقع فيه فهو نظير الصبوح فى شرب الصباح فلا تقول شربت الصبوح صباحا واجيب بانه جار على اسلوب العرب فى تاكيد كلامهم قيل وفايدته دفع توهم المجاز اذ قد يطلق على سير النهار مجازا وقال الزمخشرى وتبعه القاضى البيضاوى اراد بقوله ليلا

بلفظ التنكير تقليل مدة الاسرا وانه قد وقع السرى به في بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة اربعين ليلة
وذلك التنكير فيه قد دل على معنى البعضية قال ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة من الليل اى بعض الليل
قال غيره وكان المعنى سبحان الذى اسرى بعبده فى ليل واحد من كذا الى كذا وهو موضع التعجب
وانما عدل عن ليلة الى ليل لانهم اذا قالوا اسرى ليلى كان ذلك فى الغالب لاستيعاب الليلى بالسرى فقيل
ليلا اى فى الليل واعترض بان التقليل فى الافراد دون الاجزا واجيب بان لكل جزء من اجزاء الليل يسمى
ليلا غيران اطلاق بعض الليل على قولنا ليلا ليس بظاهر فان كل بعض فيه ليل فلا تبعيض الا ان يقال
سمى ليلا باعتبار نفسه وبعض ليل باعتبار الثانى منه كما ذكره السبكى فى عروس الافراح فان قيل ما الحكمة
فى كونه تعالى جعل الاسرا ليلا اجيب لفوايد عديدة منها التخصيص بمقام المحبة لانه تعالى اتخذه عليه السلام
حبيبا وخليلا فالليل اخص زمان للمحبين لجمعهم فيه والخلوة بالحبيب متحققة فيه وانه وقت الصلاة
التى كانت مفروضة عليه فى قوله قم الليل وليزداد الذين امنوا ايمانا بالغيب وليفتتن الذين كفروا زيادة على
فتنتهم اذ الليل اخفى حالا من النهار كما قال ابن المنير وقال بعض اهل الاشارات لما محى الله تعالى اية الليل وجعل
اية النهار مبصرة انكسر الليل فجبر بان اسرى فيه بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل افتخر النهار على الليل بالشمس
فقيل له لا تفتخر ان كانت الشمس تشرق فيك فيعرج شمس الوجود الى السماء وقيل لانه عليه السلام سراج
والسراج يوقد ليلا قال ابن وهب اكرم الله نبينا صلى الله عليه وسلم ليلا بامور منها انشقاق القمر وايمان
الجن به ورؤية اصحابه نيرانهم كما فى صحيح مسلم وخرج الى الغار ليلا والليل اصل ولهذا كان اول الشهور وسواده
يجمع ضوء البصر ويحد كليل النظر ويستلذ فيه بالسمر وكان صلى الله عليه وسلم اكثر اسفاره ليلا وقال
عليه السلام عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل والليل وقت الاجتهاد والعبادة وكان صلى الله عليه
وسلم يقوم حتى تورمت قدماه وكان قيام الليل فى حقه واجبا فلما كانت عبادته ليلا اكرمه الله بالاسرا
فيه ليكون اجر المصدق به اكثر ليدخل فيمن امن بالغيب دون من عاينه نهارا وقدم الحق تبارك وتعالى الليل فى
كتابه على ذكر النهار فقال عز وجل وجعلنا الليل والنهار ايتين وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد
ان يذكر او اراد شكورا الى غير ذلك من الايات وصح انه صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة
الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل فيقول من يدعونى فاستجيب له ومن يسالنى فاعطيه ومن يستغفرنى
فاغفر له الحديث وهذه الخصوصية لم تجعل للنهار نبه بها صلى الله عليه وسلم لما فى ذلك الوقت من الليل من سعة
الرحمة ومضاعفة الاجر وتعجيل الاجابة ولابطال كلام الفلاسفة ان الظلمة من شانها الاهانة والشر ولان الله
تعالى اكرم اقواما فى الليل بانواع الكرامات كقوله فى قصة ابراهيم عليه السلام فلما جن عليه الليل وفى لوط بقوله
فاسر باهلك بقطع من الليل وفى موسى وواعدنا موسى ثلثين ليلة وناجاه ليلا وامره باخراج قومه ليلا
انتهى ومن هنا اختلف فى التفضيل بين الليل والنهار وصنف بعضهم كتبا فرجح الليل بوجوه منها ما تقدم
ورجح النهار بوجوه منها قوله عليه السلام خير يوم طلعت فيه الشمس يوم عرفة ويوم الجمعة لكن يرد بان
هذا بالنسبة للايام لا الليالى وبان ليلة القدر خير من الف شهر وقد دخل فى هذه الليل اربعة الاف جمعة وفضل

الشيخ

والليل صح

الشيخ ابو امامه بن النقاش فى التفضيل بين ليلة الاسرا وليلة القدر فقال ليلة الاسرا افضل فى
حق النبى صلى الله عليه وسلم وليلة القدر افضل فى حق الامة لانها لهم خير من عمل اكثر من ثمانين سنة لمن قبلهم
واما ليلة الاسرا فلم يات فى ارجحية العمل فيها حديث صحيح ولا ضعيف ولذلك لم يعينها النبى صلى الله عليه
وسلم ولا عينها احد من الصحابة باسناد صحيح ولا صح الى الان ولا الى ان تقوم الساعة فيها شىء ومن
قال فيها شيئا فانما قاله من كيسه بمرجح استانس به ولهذا انصادمت الاقوال فيها وتباينت ولم يثبت
الامر فيها على شىء ولو تعلق بها نفع للامة ولو بذرة لبينه لهم نبيهم صلى الله عليه وسلم انتهى والى تفضيل
ليلة الاسرا على ليلة القدر اشار البلقينى فى قصيدته التى امتدح بها النبى صلى الله عليه وسلم قال بعضهم
ولعل الحكمة فى ذلك كما قال فى المصطفى اشتمالها على رؤيته التى هى افضل كل شىء ولذا لم يجعلها ثوابا عن
عمل من الاعمال مطلقا بل من بها على عباده المؤمنين الى يوم القيمة تفضيلا منه انتهى قال الشيخ نجم الدين
الغيطى المصرى لكن يبقى النظر فى تحرير محل الخلاف وقد حرره بعضهم كما وجد بخط الحافظ ابن حجر
نقلا عن الهدى فقال ان كان المراد ليلة الاسرى ونظايرها من كل عام افضل من ليلة القدر بحيث يكون
قيامها والدعاء فيها افضل من ليلة القدر فهذا باطل لم يقله احد من المسلمين وهو معلوم الفساد بالاضطرار
وان اراد الليلة المعينة التى اسرى فيها بالنبى صلى الله عليه وسلم وحصل له فيها ما لم يحصل فى غيرها من غير
ان شرع تخصيصها بقيام ولا عبادة فهذا صحيح ان قام دليل على ان انعام الله تعالى على نبيه ليلة الاسرى
كان اعظم من انعامه عليه بانزال القران ليلة القدر وهذا لا يعلم الا بوحى ولا يجوز لاحد ان يتكلم فيه
بلا علم ولا يعرف عن احد من الصحابة انه خص ليلة الاسرا بامر من الامور ولهذا لا يعرف اى ليلة كانت
وان كان الاسرا فى نفسه اعظم من فضايله كما انه صلى الله عليه وسلم لم يفضل غار حرا الذى انزل عليه
فيه الوحى بشىء انتهى وظاهر الكلام ان الخلاف بين الليلة المعينة التى اسرى فيها بالنبى صلى الله عليه
وسلم وبين ليلة القدر التى انزل فيها القران كما يدل عليه قوله ان قام دليل على ان انعام الله على نبيه ليلة
الاسرا كان اعظم من انعامه عليه بانزال القران ليلة القدر واما الليلة المعينة التى اسرى به صلى الله
عليه وسلم فيها وليلة القدر فى كل عام فينبغى ان يكون فيها قول ابى امامة بن النقاش المقدم واما نظائر
الليلة المعينة فى كل عام فلا شك فى ان ليلة القدر من كل عام افضل منها لما لا يخفى انتهى كلام الغيطى
رحمه الله الى حرم هو المسجد الاقصى مسجد بيت المقدس الشريف مسجدنا الاقصى الاسمى ومعبدنا
الاسنى الاعلى مجمع الفضايل وموضع الفواضل بقاعه المشرقة الانوار ورباعه الزاهية المنار بلدته
الطيبة المقدسة المطهرة التى هى على التقوى مؤسسه قال

بلاد بها حل الشباب تميمتى • واول ارض مس جلدى ترابها •

فلله مسجد انفقت فيه نفايس الاوقات • ومعبد جمعت به اشتات الطاعات • اذ عد من اكبر من الله
ونعمه • واعظم فضله واوسع كرمه • الانعام على هذا العبد الفقير المعروف بكمال العجز والتقصير • ان جعلنى
من اهل القدس الشريف • واحلنى فى سكنى مجاورا لذلك المسجد المنيف • ووفقنى للاشتغال بالعلم به

والاشغال ومنحني الاقامة به انا النهار واطراف الليال بل انعم علي باجل نعمة واعظم منة اذ جعل
منزلي بالمسجد الاقصى قبالة باب الجنة فله سبحانه الحمد الذي على ذلك الفضل الجسيم والشكر له على
هذا المن العظيم اذ ما زال يتنافس في المجاورة به المتنافسون وما برح يغبطنا على الاقامة به من
ساير الاقطار الواردون فكم تعلقت بصخرته المعلقة القلوب والافكار وتانقت العقول في مشاهدة
صحنها الزاهي الانوار لاسيما في الليالي الغر واوقات الصباح والمساء الغر وكم من سايح قد قال
هذا المقصد الاقصى وكم من قاطن شاهد فيه من الفضايل ما لا يحد ولا يحصى هذا ولله الحمد
مع صفاء البال وحصول الامال وخلو الافكار من غش الاكدار ومصاحبة الافاضل ومجالسة
الكوامل ومخالطة الواردين ومصادقة الوافدين وزيارة مراقد الانبياء الكرام ومشاهدة مشاهد
الاولياء الفخام وافادة العلوم واستفادتها مدا الايام والقاء الدروس التفسيرية وغيرها بالصخرة
الشريفة وذلك المقام اقول ذلك تحدثا بنعم الله العظيمة وشكر المنة الجسيمة اللهم اوزعنا شكر هذه النعمة
واتمها واسبغها بفضلك علينا وادمها يا ذا المن والطول كيف لا اتحدث بذلك وفيه يقول

وما سكنته فهو بيت مقدس • بقرة عيني فيه احشاي قرت
ومسجده الاقصى مساحب بردها • وطيبي ثرى ارض عليها تمشت
مواطن افراحي ومربى مآربي • واطوار اوطاري ومامن خيفتي
مغان بها لم يدخل الدهر بيننا • ولا كادنا صرف الزمان بفرقة
ولا سعت الايام في شت شملنا • ولا حكمت فينا الليالي بجفوة
ولا صبحتنا النايبات بنبوة • ولا حدثتنا الحادثات بنكبة
ولا شنع الواشي بصد وجفوة • ولا ارجف اللاحي ببين وسلوة
ولا استيقظت عين الرقيب ولم تزل • علي بها في الحب عيني رقيبتي
وما اختص وقت دون وقت بطيبة • بها كل اوقاتي مواسم لذة
وموضعها في عالم الملكوت ما • خصصت من الاسرا به دون اسرتي
مدارس تنزيل محاريب خلوة • مغارس تاويل فوارس منعة

وهو محل الاسرا والتقديس وموضع التقوى والتانيس وارض المحشر والمنشر لم تزل تقطنها اهل الملك
في ساير الاعصار ويجتمع به الواردون من اشتات الاقطار وهو ثالث المساجد التي لا تشد الرحال
شرعا الا اليها اي لا تقصد بالزيارة والتعظيم من جهة امر الشارع الا هي وما زال مكرما محترما مبجلا معظما
وهو الذي بناه سليمان بن داود عليهما السلام واجتهد في عمارته الليالي والايام واستخدم الجن في
عمله وقطع صخوره كما هو مقرر في كتب التفاسير والتواريخ وقد بناه سليمان على اساس ابيه داود بامر الله
تعالى واسسه قبل داود يعقوب وقيل سام بن نوح وقيل الملايكة على اختلاف في ذلك وبما قررناه زال
الاشكال المورود عما وقع في الصحيحين عن ابي ذر رضي الله عنه قال سالت رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم عن اول مسجد وضع على الارض قال المسجد الحرام قلت ثم اي قال المسجد الاقصى قلت وكم
بينهما قال اربعون عاما الحديث من ان المشهور ان الذي بنى الكعبة ابراهيم الخليل والذي بنى المسجد
الاقصى سليمان بن داود عليهما السلام والمدة بينهما تزيد على الف عام فكيف يكون بينهما اربعون
عاما وجوابه ان سليمان جدده ولم يوسسه وذكر بعضهم ان اول من بنى البيت ادم وان غيره من
ولده وضع بيت المقدس بعده باربعين عاما حكاه ابن الجوزي وغيره وذكر ابن هشام في التيجان
ان ادم عليه السلام لما بنى البيت امره جبريل بالمسير الى بيت المقدس وان يبنيه فبناه ونسك
فيه وقد روى النساي وابن ماجه وغيرهما ان سليمان لما بنى بيت المقدس سال الله ثلاثا سأله ملكا
لا ينبغي لاحد من بعده فاعطاه اياه وساله حكما يواطي حكمه فاعطاه اياه وساله من اتى بيت المقدس
لا يريد الا الصلاة فيه ان يخرجه من ذنوبه كيوم ولدته امه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ارجو
ان يكون قد اعطاه الثالثة وروى ابو داود وابن ماجه عن ميمونة قلت يا رسول الله افتنا في بيت
المقدس قال ارض المحشر والمنشر ايتوه فصلوا فيه فان صلاة فيه كالف صلاة في غيره قلت ارايت
ان لم استطع اصل فيه قال فهدي له زيتا يسرج فيه فمن فعل ذلك فهو كمن اتاه ومعدن الانبيا من لدن
الخليل عليه السلام ولذا اجتمعوا هناك كلهم وامهم كما ستقرره وقد اطنب اصحاب الفضايل ولا خول
في ذكر فضايله كصاحب مثير الغرام واتحاف الاخصا والروض المونس والانس الجليل وغيرهم واعظم
الادلة على فضايله وهو شاهد مسلتنا قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام
الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله واطلق لما اتى عليه حرما من الاستر لم كان الاول من الحرمة اولا مشاكلة
قال المحلي وكل من المسجدين يسمى حرما وعلى ما ذكرنا اطلاق عوام القدس على ذلك المسجد حرما قال
الامام ابن ابي جمرة والحكمة في اسرايه صلى الله عليه وسلم اولا الى بيت المقدس اظهار الحق على من عاند لانه
لو عرج به من مكة الى السما لم يجد لمعاندة الاعدا سبيلا الى البيان والايضاح فلما ذكر انه اسري به الى
بيت المقدس سالوه عن اشيا من بيت المقدس كانوا راوها وعلموا انه لم يكن راها قبل ذلك فلما
اخبرهم بها حصل التحقيق بصدقه فيما ذكر من الاسرا به الى بيت المقدس في ليلة واذا صح خبره في
ذلك لزم تصديقه في بقية ما ذكره انتهى وقيل الحكمة في ذلك ليحصل له العروج مستويا من غير تعويج
لما روي عن كعب الاحبار ان باب السما الذي يقال له مصعد الملايكة يقابل بيت المقدس الى السما
بثمانية عشر ميلا قلت ويذكر الاستوا الذي هو ما قيل ان الخط المستقيم اقصر من المنحني فليتامل وقيل
الحكمة في ذلك ان الله تعالى اراد ان يريه القبلة التي يصلي اليها مدة كما عرف الكعبة التي صلى اليها وقيل لانه
مجمع ارواح الانبيا عليهم السلام فاراد الله تعالى ان يشرفهم بزيارته صلى الله عليه وسلم وقيل لانه
هجرة غالب الانبيا فحصل له الرحيل اليه في الجملة ليجمع بين اشتات الفضايل وقال ابن دحية يحتمل
ان الحق سبحانه وتعالى اراد ان لا تخلو تربة فاضلة من مشهده ووطء اقدامه فتم تقديس بيت المقدس
بصلاة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فلما تم تقديسه اخبر صلى الله عليه وسلم انه لا تشد الرحال الا

الى ثلاث مساجد المسجد الحرام لانه مولده ومسقط رأسه وموضع نبوته ومسجد المدينة لانه موضع
هجرته وارض تربته والمسجد الاقصى لانه موضع معراجه صلى الله عليه وسلم انتهى فان قلت هل وقع الاسرا
لغيره صلى الله عليه وسلم من الانبيا اجاب العارف عبد العزيز الدباغ بان مرتبة الاسرا بالجسم الى
تلك الحضرات العلية لم تكن لاحد من الانبيا الا لنبينا صلى الله عليه وسلم **كما سرى البدر** الكاف للتشبيه
وما مصدرية اى سرى مثل سرى البدر ليلة كماله **فى داج من الظلم** اى فى ليل مظلم يقال دجا الليل اى اظلم فهو
داج ووجه الشبه سرعة السير وكمال الانارة وارتفاع الكدورات واستجماع الكمالات وحصول المرام
وزوال الظلام الذى اقتضاه الليل ولو من اوله عند طلوع البدر فلا وجه لمناقشة ابن العماد وتكلفه
الكلف فى هذا البدر للشرق على ان الشعرا لم يزالوا يستعملون اشراق البدر فى داجى الظلام ولا اولوية
لقوله تغير الكلام الناظم كما نفى لبدر عنا حندس الظلم اذ لا وجه وجيه لهذا التشبيه لانتفاء النفى اولا
وابن حسن وجه الشبه فى قوله كما سرى البدر بعد قوله سريت وابن قوله نفى حندس الظلم المقتضى لازالته
واذا زال لم يبق وجوده فيظهر بنفيه اى نوره بخلاف وجود داج الظلام حال بقايه وسرى البدر
فيه يحصل الاشراق وغلبة النور على الظلام وابن البدر الكامل من نجمه الذى اختاره فى المناقشة
الثانية مستدلا بان السرى انما يكون آخر الليل مع قولهم ان السرى سير الليل والنجم وان حصل
به الهداية والنور فهما فى البدر موجودان مع زيادة الانارة والظهور وكون النجم رجوما للشياطين
لا يقتضى تفضيله على البدر هنا ويحسن بنا ان ننشد

بدا رق محاسنا • والرق مثل الصبح ظاهر •
ليس يصير البدر فى سناه • ان البصير قط لا يراه •

والبيت يشير الى قصة الاسرا به صلى الله عليه وسلم وهى من اشهر المعجزات واوضح البينات واصدق
البراهين الواضحات واقوى الحجج المحكمات قد ورد بها القرآن العظيم كما نطقت به سورة الاسرا قال
تعالى العليم الخبير **سبحان** الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا
حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير وسورة النجم وقد وردت الاحاديث الصحيحة
وتواترت عن جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين منهم انس وابى ابن كعب وجابر بن عبد الله
وبريدة وسمرة بن جندب وابن عباس وابن عمر وابن مسعود وحذيفة بن اليمان وشداد بن اوس
وصهيب وعلى بن ابى طالب وعمر بن الخطاب ومالك بن صعصعة وابى امامة وابى ايوب وابى
ذر وابى سعيد الخدرى وابى سفيان بن حرب وابى هريرة وعايشة واسما بنت ابى بكر وام هانى
وام سلمة وغيرهم وقد اجمع عليه المسلمون ولم ينكره الا الزنادقة الملحدون يريدون ليطفوا نور الله
بافواههم والله متم نوره ولو كره المشركون لكن اوردوه على روايات عديدة مختلفة وذهبوا فيه
مذاهب متعدده هل كان بالروح فقط مناما او بالروح والجسد او بهما الى بيت المقدس وبالروح
الى السما واستدل كل بادلة من الروايات وقد ذهب الجمهور من المفسرين والمحدثين والفقها

والمتكلمين

والمتكلمين الى ان الاسرا والمعراج وقعا فى ليلة واحدة بالروح والجسد معًا فى اليقظة لا فى المنام
من مكة الى بيت المقدس الى السموات العلى الى سدرة المنتهى الى حيث شاء العلى الاعلى **قال** القاضى
عياض والصحيح ان شاء الله انه اسرا بالجسد والروح فى القصة كلها وعليه تدل الآية نصا وصحيح
الاخبار ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة الى التأويل الا عند الاستحالة وليس فى الاسرا بجسده وحال
يقظة استحالة اذ لو كان مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده والعبد حقيقة هو الروح
والجسد وقوله ما زاغ البصر وما طغى ولو كان مناما لما كانت فيه آية ولا معجزة ولما استبعده الكفار
ولا كذبوه فيه ولا ارتد فيه ضعفاء من اسلم وافتتنوا به اذ مثل هذا من المنامات لا ينكر بل لم يكن ذلك
منهم الا وقد علموا انما كان عن جسمه وحال يقظته واستدلوا ايضا بشربه للماء الذى فى الاناء
للغطى وبارشاده الذين ند بعيرهم حين انفرهم حس الدابة وهى البراق حتى دلهم عليه واخبار
اهل مكة بالغراير وبيوم قدومهم الى غير ذلك وجمعوا بين الروايات المختلفة بتكرير وقوع ذلك
مناما ويقظة فى ليلة واحدة او ليلتين وذهب اليه جماعة منهم الامام ابو شامه **قال** الحافظ ابن
حجر ولا بعد فى وقوع مثل ذلك فى المنام وانما المستغرب وقوع التعدد فى قصة المعراج التى
وقع فيها السؤال عن كل شئ وسؤال اهل كل سما هل بعث اليه وفرض الصلوات الخمس
وغير ذلك فان تعدد مثل ذلك فى اليقظة لا يتجه فيتعين رد بعض الروايات المختلفة الى بعض
والترجيح الا انه لا بعد فى وقوع جميع ذلك فى المنام ثم وقوعه فى اليقظة على وفقه انتهى وذهب
جماعة منهم البغوى وجزم به النووى فى فتاويه الى ان الاسرا وقع مرتين مرة فى النوم
ومرة فى اليقظة قالوا وكانت مرة النوم توطية له وتيسيرا عليه كما كان بدو نبوته الرويا الصالحة
واما احاديث الاسرا الوارده فقد ذكرها المحدثون والمفسرون واهل السير ونقلة الاخبار
فى كتبهم كالشفا والمواهب وغيرهما وهى شهيرة واطنبوا الكلام عليها فليراجع وقد اختلفوا
فيه زمانا ومكانا والذى عليه العلماء من المحققين انه كان بعد البعثة واما ما وقع فى
بعض الروايات انه جاءه ثلاثة نفر قبل ان يوحى اليه فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى
اتوه مرة اخرى فيحمل على ان المعنى الثانى كان بعد ان اوحى اليه وحينئذ وقع الاسرا والمعراج
قال ابن كثير وهذا الحمل هو الاظهر وبه يرتفع الاشكال كما قاله الحافظ ابن حجر ويحتمل
ان يكون المعنى قبل ان يوحى اليه فى بيان الاسرا والمعراج كما قاله بعضهم **واختلفوا**
فى اى سنة كان فجزم جمع بانه كان قبل الهجرة بسنة وجرى عليه النووى وبالغ ابن
حزم فنقل فيه الاجماع وقيل قبل الهجرة بثلاث سنين حكاه ابن الاثير وقال القاضى
عياض بخمس سنين وقيل كان بعد البعثة بخمس سنين وقيل بخمسة عشر شهرا وقيل
بعام ونصف **واختلفوا** فى اى الشهور كان فجزم ابن الاثير وجمع منهم النووى
انه فى رجب ليلة سبع وعشرين وقيل كان فى ربيع الاخر وقيل فى رمضان وقيل

في شوال وعين بعضهم اليوم الذي اسفرت عنه تلك الليلة بانه يوم الاثنين موافقة للمولد
والهجرة والوفاة واما مكانا فالمشهور انه من مكة ومن قال من المدينة فمحمول على التعدد
وللنامي وفي تعيين المكان اقوال قيل من عند البيت وفي اخرى من الحطيم وفي اخرى
من الحجر وهو المراد بالحطيم كما قاله ابن حجر وفي رواية فرجع سقف بيتي وانا بمكة وفي رواية
انه اسرى به من شعب ابي طالب وفي رواية من بيت ام هاني ولا تنافي بين هذه الروايات
جميعها فان بيت ام هاني هو بيته باعتبار السكنى عند شعب ابي طالب وفي البيت
الجناس التام في حرم وحرم والتشبيه والجناس المشتق في سريت كما سرى ومراعات
النظير بين ليل وداج من الظلم والمقابلة بين البدر وداج الظلم والاستطراد

وَبِتَّ تَرْقَى إِلَى أَنْ نِلْتَ مَنْزِلَةً ... مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تُدْرَكْ وَلَمْ تُرَمِ

وبت معطوف على سريت وهو مناسب له اذ كل منهما لا يكون الا ليلا وبات من اخوات كان المقتضية
لاتصاف المخبر عنه بالخبر في الليل وجملة ترقى الخبر اي تصعد من رقى بالكسر ومنه المرقاة والمراقي والترقي
هنا حسي يتضمن المعنوي اذ هما حاصلان له في تلك الليلة الشريفة الى لانتهاء الغاية ان نلت
اي اعطيت اخذا بيدك منزلة اي رتبة تنزلها وتحل فيها متمكنا منها من قاب قوسين من بيانية
وهي مع مجرورها في محل نصب صفة لمنزلة وكذا الجملتان المتعينتان قال الزركشي وقوله من
قاب قوسين مشكل اذ لا يحسن دخول من عليه لانه ليس بمكان وانما المقصود الى ان نلت
منزلة من الله فكنت فيه كقاب قوسين واقول لا اشكال مع الحمل على المجاز الذي هو هنا اولى
كما لا يخفى فليتأمل والقاب القدر تقول بينهما قاب قوس وقيب قوس وقاد قوس وقيد
قدره والقاب ما بين المقبض والسية وهي الفرض التي يوضع فيه الوتر ولكل قوس قابان
ولذلك قال بعضهم في قوله تعالى فكان قاب قوسين انه على القلب واراد قابي قوس والقوس
التي يرمى بها وقال مجاهد القاب حيث الوتر من القوس وقيل القاب الذراع يقاس
بها الشيء والقوس الذراع وعلى الاول فهو جار على استعمال العرب وعادتهم فان الاميرين
منهم او الكبيرين اذا اصطلحا وتعاقدا اخرجا بقوسيهما وجعل كل واحد منهما قوسه بطرف
قوس صاحبه ومن دونهما عند الصلح يكون كفه بكف صاحبه فيمدان باعهما لذلك فتسمى
مبايعة والمقام اقتضى الاول دون الثاني وليس ذلك على سبيل الجزم في التحديد بل اقتصر
على احد الشيئين واراد او ادنى وابدى السهيلي فيما املاه على حديث سبحان الله وبحمده هنا
بطريق الاستطراد وقياس الصلوة على الاسرا في كونها معراجا معنويا كما ان الاسرا معراجا
حسيا وجها ظاهرا وهذا المحل فقال اختار القوسين ولم يقل رمحين ولا سوطين
ولا غير ذلك لان في لفظ القوس من التقويس وهو الانحناء في الصلوة في معراج المعنوي
وهو استخراج ظاهر حسن لم تدرك تلك المنزلة بان لم يصلها احد قبلك ممن تقدمك

ولم ترم

ولم ترم ولم يطلبها احد ممن بعدك لقطعهم مطامع امالهم عن الوصول اليها وحسمهم
مراد طمعهم عن بلوغها بل كانت تلك المنزلة الرفيعة مخصوصة بك معدة لك مقصورة
عليك وهي القرب من الله تعالى اكمالا لشرفه صلى الله عليه وسلم وتعظيما له وللمنزلة
وهو قرب المنزلة والتعظيم لا القرب المكاني اذ الله سبحانه وتعالى منزه عن ان يحده او
يحصره مكان او يكون في جهة وهذا الدنو ورد في احاديث المعراج وهو غير الدنو في اية النجم
لان الجمهور على ان الضمير في سورة النجم راجع لجبريل على انه قد ورد عن ابن عباس هو محمد
صلى الله عليه وسلم دنا فتدلى من ربه وقيل معنى دنا قرب وتدلى زاد في القرب وحكى مكي والماوردي
عن ابن عباس هو الرب تعالى دنا من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى اليه اي امره وحكمه
وحكى النقاش عن الحسن قال دنا من عبده محمد صلى الله عليه وسلم قرب منه فاراه ما
شاء ان يريه من قدرته وعظمته ولذلك ورد فارقني جبريل وانقطعت عني الاصوات
وسمعت كلام ربي وعن انس في الصحيحين عرج بي جبريل الى سدرة المنتهى ودنا الجبار
رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه ربه ما اوحى قال جعفر بن
محمد والدنو من الله تعالى لا حد له ومن العباد بالحدود قال ايضا انقطعت الكيفية عن الدنو
الا ترى كيف حجب جبريل عن دنوه ودنا محمد الى ما اودع قلبه من المعرفة والايمان فتدلى
بسكون قلبه الى ما ادناه وزال الشك عن قلبه والارتياب قال في الشفا اعلم ان ما وقع
من اضافة الدنو والقرب هنا من الله او الى الله فليس بدنو مكان ولا قرب مدى بل كما ذكرناه
عن جعفر بن محمد الصادق ليس بدنو حد وانما دنو النبي صلى الله عليه وسلم من ربه وقربه
منه ابانة عظيم منزلته وتشريف رتبته واشراق انوار معرفته ومشاهدة اسرار غيبه وقدرته
ومن الله مبرة وبسط وتأنيس واكرام ويتاول فيه ما يتاول في قوله ينزل ربنا الى السماء
الدنيا على احد الوجوه نزول اجمال وافضال وقبول واحسان وقوله قاب قوسين او ادنى
فمن جعل الضمير عائدا الى الله لا الى جبريل على هذا كان عبارة عن نهاية القرب ولطف
المحل وايضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة من محمد صلى الله عليه وسلم وعبارة عن اجابة
الرغبة وقضاء المطالب واظهار التحفي وانافة المنزلة والمرتبة من الله تعالى ويتاول
فيه ما يتاول في قوله من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن اتاني يمشي اتيته هرولة
اي قرب بالاجابة والقبول واتيان بالاحسان وتعجيل المامول انتهى وللمعارج ليلة الاسرا
عشرة سبع الى السموات السبع والثامن الى سدرة المنتهى والتاسع الى المستوى الذي سمع
فيه صريف الاقلام في تصاريف الاقدار والعاشر الى العرش والرفرف والرؤية وسماع الخطاب
بالمكافحة والكشف الحقيقي والى ما شاء الله تعالى وفي المواهب نقلا عن الحسن بن غالب
فيما تكلم فيه على احاديث الحجب السبعين والسبعمائة والسبعين الف وعن ابي الربيع

ابن سبع فى شفاء الصدور من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
بعد ان ذكر مبداء حديث الاسرا كما ورد فى الامهات اتانى جبريل وكان السفر بى الى ان انتهى
الى مقام ثم وقف عند ذلك فقلت يا جبريل فى مثل هذا المقام يترك الخل خليله فقال ان
جاوزته احترقت بالنور فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا جبريل هل لك من حاجة الى ربك
قال يا محمد سل الله ان يبسط جناحى على الصراط لامتك حتى يجوزوا عليه قال النبى صلى الله
عليه وسلم ثم زج بى فى النور زجا فخرق بى سبعين الف حجاب ليس فيها حجاب يشبه حجابا
وانقطع عنى حس كل ملك وانسى فلحقنى عند ذلك استيحاش فعند ذلك نادانى
منادى بلغة ابى بكر قف ان ربك يصلى فبينا انا اتفكر فى ذلك فاقول هل سبقنى ابو بكر
فاذا النداء من العلى الاعلى ادن يا خير البرية ادن يا احمد ادن يا محمد ليدنو الحبيب فادنانى
ربى حتى كنت كما قال ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى قال وسالنى ربى فلم استطع
ان اجيبه فوضع يده بين كتفى بلا تكييف ولا تحديد فوجدت بردها فاورثنى علم الاولين
والاخرين وعلمنى علوما شتى فعلم اخذ على كتمانه اذ علم انه لا يقدر على حمله احد غيرى وعلم
خيرنى فيه وعلمنى القران فكان جبريل عليه السلام يذكرنى به وعلم امرنى بتبليغه الى العام
والخاص من امتى ولقد عجلت جبريل عليه السلام فى آية نزل بها فعاتبنى ربى وانزل على
ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدنى علما ثم **قلت** اللهم انه لما لحقنى
استيحاش قبل قدومى عليك سمعت مناديا ينادى بلغة تشبه لغة ابى بكر فقال لى قف
فان ربك يصلى فعجبت من هاتين هل سبقنى ابو بكر الى هذا المقام وان ربى لغنى ان يصلى
فقال تعالى انا الغنى عن ان اصلى لاحد وانما اقول سبحانى سبقت رحمتى غضبى
اقرا يا محمد هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمومنين
رحيما فصلوتى رحمة لك ولامتك واما امر صاحبك يا محمد فان اخاك موسى كان انسه
بالعصا فلما اردنا كلامه قلنا وما تلك بيمينك يا موسى قال هى عصاى واشتغل بذكر العصا
عن عظيم الهيبة وكذلك انت يا محمد لما كان انسك بصاحبك ابى بكر فانك خلقت وهو
من طينة واحدة وهو انيسك فى الدنيا والاخرة خلقنا ملكا على صورته يناديك بلغته ليزيل
عنك الاستيحاش لئلا يلحقك من عظيم الهيبة ما يقطعك عن فهم ما يراد منك ثم قال الله تعالى
واين حاجة جبريل فقلت اللهم انك اعلم فقال يا محمد قد اجبته فيما سال ولكنى فيمن احبك
وصحبك **وفى رواية** فتقدمت وجبريل على اثرى حتى انتهى بى الحجاب فراش الذهب فحرك
الحجاب فقيل من هذا قال جبريل ومعى محمد صلى الله عليه وسلم قال الملك الله اكبر فاخرج يده
من تحت الحجاب فاحتملنى فوضعنى بين يديه فى اسرع من طرفة عين وغلظ الحجاب مسيرة
خمسمائة عام فقال لى تقدم يا محمد فمضيت فانطلق بى الملك فى اسرع من طرفة عين الى الحجاب

اللؤلؤ

اللؤلؤ فحرك الحجاب فقال الملك من وراء الحجاب من هذا قال انا فلان صاحب حجاب
الذهب وهذا محمد صلى الله عليه وسلم رسول رب العزة معى فقال الله اكبر فاخرج من تحت
الحجاب فاحتملنى حتى وضعنى بين يديه فلم ازل كذلك من حجاب الى حجاب حتى جاوزت سبعين
الف حجاب غلظ كل حجاب خمسمائة عام ثم دلى رفرف اخضر يغلب ضوءه ضوء
الشمس فالتمع بصرى ووضعت على ذلك الرفرف ثم احتملنى حتى وصلت الى العرش وابصرت
امرا عظيما لا تناله الالسن ثم تدلى لى قطرة من العرش فوقعت على لسانى فما ذاق الذائقون
شيئا قط احلى منها فانبانى الله منها بنبا الاولين والآخرين ونور قلبى وغشى نور عرشه
بصرى فلم ار شيئا فجعلت ارى بقلبى لا ارى بعينى ورأيت من خلفى ومن بين كتفى كما رأيت
امامى الحديث **رواه** والذى قبله فى كتاب شفاء الصدور كما ذكره ابن غالب والمهدع
عليه ولم يزل صلى الله عليه وسلم فى حضارة كمال ادبه مع الله سبحانه وتعالى وتكميل مرتبة
عبوديته له حتى خرق حجب السموات وجاوز السبع الطباق وجاوز سدرة المنتهى
ووصل محل من القرب سبق به الاولين والاخرين فانصب له هناك اقسام القرب انصبابا
وانشق سحاب الحجب ظاهرا وباطنا حجابا حجابا واقيم مقاما غبطه به الانبياء والمرسلون
وقصر عن الوصول اليه الاولون والاخرون فلم يدرك صلى الله عليه وسلم ولم يرم

وَقَدَّمَتْكَ جَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ بِهَا ۝ وَالرُّسْلِ تَقْدِيمُ مَخْدُومٍ عَلَى خَدَمِ

وقدمتك من عجو نبتك الرفيعة المقتضية للتقديم والاجلال والتعظيم والافضال ومنه
تقديمك فى الصلاة بهم **جميع الانبياء** جمع من صيغ التوكيد ككل فى الاحاطة والشمول لكن على
وجه الاجتماع لا الانفراد **بها** قيل الضمير راجع الى السموات اى بالسموات وقيل الى الليلة اى ليلة
الاسرا وقيل الى المرتبة والباء للسببية **والرسل** بالجر عطف على الانبيا من عطف الخاص
على العام ولا تخفى نكتته وجوز فيه الرفع عطفا على جميع والنصب على المفعول معه **تقديم**
منصوب على المصدر بقدمتك **مخدوم** من الخدمة اسم مفعول **على خدم** جمع خادم من
خدم يخدم بالضم والبيت يشير الى تقديمه عليهم فى الصلوة وامامته بهم لما ثبت ذلك فى الاحاديث
منها ما رواه مسلم فى حديث الاسرا فحانت الصلوة فاممتهم وفى حديث ابى هريرة عند البزار
والحاكم انه صلى ببيت المقدس مع الملائكة وانه اتى هناك بارواح الانبيا فاثنوا على الله
وفيه قول ابراهيم لقد فضلكم محمد وفى رواية عبد الرحمن بن هشام عن انس ثم بعث له آدم
فمن دونه فامهم تلك الليلة وفى حديث ام هانى عند ابى يعلى ونشر لى رهط من الانبياء منهم
ابراهيم وموسى وعيسى وفى حديث ابى امامة عند الطبرانى فى الاوسط ثم اقيمت الصلوة
فتدافعوا حتى قدموا محمدا صلى الله عليه وسلم الاقصى قام يصلى فاذا النبيون اجمعون
يصلون معه وفى رواية ابن ابى حاتم فى تفسيره عن انس فى حديث الاسرا قال بعد ما جمع

انصرفت فلم البث الا يسيرا حتى اجتمع ناس كثير ثم اذن مؤذن واقيمت الصلوة قال فقمنا صفوفا
ننتظر من يؤمنا فاخذ بيدى جبريل عليه السلام فقدمنى فصليت بهم فلما انصرفت قال لى
جبريل اتدرى من صلى خلفك قلت لا قال صلى خلفك كل نبى بعثه الله قال القاضى عياض
يحتمل ان يكون صلى الله عليه وسلم صلى بالانبيا جميعا فى بيت المقدس ثم صعد منهم الى السماء
من ذكر انه عليه السلام راه ويحتمل ان يكون صلى بهم بعد ان هبط من السماء فهبطوا ايضا
والاظهر ان صلوته بهم فى بيت المقدس كان قبل العروج انتهى وقال ابن كثير صلى بهم ببيت
المقدس قبل العروج وبعده فان فى الحديث ما يدل على ذلك ولا مانع منه انتهى وقد اختلف
فى هذه الصلوة هل هى فرض او نفل واذا قلنا انها فرض فأى صلوة هى قال بعضهم الاقرب
انها الصبح ويحتمل ان تكون العشا وانما تتاتى على قول من قال انه صلى بهم قبل عروجه الى السماء
واما على قول من قال انه صلى بهم بعد العروج فتكون الصبح قال ابن كثير ومن الناس من يزعم
انه امهم فى السماء والذى تظاهرت به الروايات انه ببيت المقدس والظاهر انه بعد رجوعه
اليه لانه لما مر بهم فى منازلهم جعل يسال جبريل عنهم واحدا وهو يخبره بهم وهذا هو اللائق
لانه اولا كان مطلوبا الى الجناب العلوى ليفرض الله عليه وعلى امته ما يشاء ثم لما فرغ عما اريد به
اجتمع هو واخوانه من النبيين ثم اظهر شرفه عليهم بتقديمه فى الامامة واسناد التقديم الى
الانبياء والرسل مع ان التقديم من الله تعالى لرضاهم به وقبولهم له واذعانهم وانكار حذيفة
ابن اليمانى صلوته بالانبياء تلك الليلة ببيت المقدس مردود بما ذكر من الاحاديث لان
المثبت مقدم على النافى فان قيل كيف تصلى الانبياء وهم اموات وليسوا فى دار عمل اجيب
بانهم كالشهدا بل افضل منهم احياء فى قبورهم فيصلون ويحجون كما ورد فى الحديث الاخر
والبرزخ له حكم الدنيا وفى البيت مراعاة النظير بين الانبياء والرسل وجناس
الاشتقاق بين قدمتك وتقديم ومخدوم وخلم

وانت تخترق السبع الطباق بهم ❊ فى موكب كنت فيه صاحب العلم

لا يخفى افادة تقديم المسند اليه التخصيص هنا وانه اقوى وابلغ من مخترق وتخترق انت
كما هو مذكور فى محله وتخترق تفتعل من الخرق واختياره على غيره للدلالة على منع الخرق والالتئام
فى السموات والكلام على ذلك مذكور فى علمه والجملة من المبتداء والخبر فى محل نصب على الحال من قدمتك
والسبع مفعول به من اسماء العدد وهى اذا اضيفت الى شيء كانت هى بعينه اى السموات السبع
الطباق قال تعالى سبع سموات طباقا سميت بذلك لمطابقة بعضها الى بعض وقيل جمع طبقة
كرحبة ورحاب او طبق كجمل وجمال جار ابهم الضمير للانبيا الذين اجتمع بهم وقد وردت الاحاديث
فى حديث الاسرا باوصافهم وتعيينهم مع بعض الاختلاف لكن الذى فى مسلم انه مر فى السماء
الدنيا بادم وفى الثانية بعيسى ويحيى وفى الثالثة بيوسف وفى الرابعة بادريس وفى الخامسة

بهارون وفى السادسة بموسى وفى السابعة بابراهيم صلى الله وسلم عليهم فى موكب بكسر الكاف
اى جمع عظيم بهيئة عظيمة اذ كان معه جبريل بل ملائكة كل سماء كانت تستقبله وتشيعه الى
السماء الاخرى كما هو مقتضى التعظيم اذ كان يستفتح جبريل فيقال ومن معك فيقول
محمد وذلك موكب واى موكب كنت فيه صاحب العلم اى المشار اليه والعلم الرمح فى راسه راية
من عادته يجعل على راس الامير المشار اليه الذى هو افضل اهل الموكب وما اوردناه من الحديث
برواية ثابت عن انس وافقه فيه قتادة وقد وافقهما يزيد بن ابى مالك عن انس الا انه خالف
فى ادريس وهارون فقال هارون فى الرابعة وادريس فى الخامسة ووافقهم ابو سعيد الا ان
فى روايته يوسف فى الثانية وعيسى ويحيى فى الثالثة والمشهور فى الروايات ان الذى فى السابعة
هو ابراهيم وكذلك فى حديث مالك بن صعصعة بانه كان مسند ظهره الى البيت المعمور فمع
التعدد لا اشكال ومع الاتحاد فقد جمع بان موسى كان حالة العروج فى السادسة وابراهيم
فى السابعة على ظاهر حديث مالك بن صعصعة وعند الهبوط كان موسى فى السابعة لانه
لم يذكر فى القصة ان ابراهيم كلمه فى شيء مما يتعلق بما فرض على امته من الصلوة كما كلمه موسى عليه
السلام والسماء السابعة هو اول شيء انتهى اليه حالة الهبوط فناسب ان يكون موسى
بها لانه هو الذى خاطبه فى ذلك كما ثبت فى جميع الروايات ويحتمل ان يكون لقى موسى فى السادسة
فاصعد معه الى السابعة تفضيلا له على غيره من اجل كلام الله تعالى وظهرت فائدة ذلك فى كلامه
مع نبينا مما يتعلق بامر امته فى الصلوة قاله فى فتح البارى وقال ان النووى اشار الى شيء من ذلك
فان قيل ما كان هؤلاء الانبياء عليهم السلام فى السموات دون غيرهم من انبيا وما وجه اختصاص
كل واحد منهم بسماء مختصة ولم كان فى السماء الثانية بخصوصها اثنان قال السهيلى قد تكلم
ابو الحسن بن بطال فى شرح البخارى فى هذا السؤال فلم يصنع شيئا ومعنى كلامه الذى اشار
اليه ان الانبياء لما علموا بقدومه عليه السلام عليهم ابتدروا الى لقايه ابتدار لقاء اهل الغائب
للغايب القادم فمنهم من اسرع ومنهم من ابطى الى هذا المعنى اشار ولم يرد عليه ثم اجاب
السهيلى بجواب لا بأس بايراده وان كان فيه طول فقال والذى اقول فى هذا ان ماخذ فهمه
من علم التعبير فانه من علم النبوة واهل التعبير يقولون من راى نبيا بعينه فى المنام فان رؤياه
تؤذن بما يشبه فى حال ذلك النبى من شدة او رخا او غير ذلك من الامور التى اخبر بها عن
الانبياء فى القران والحديث وحديث الاسرا كان بمكة ومكة حرم الله وامنه وقطانها جيران
الله لان فيها بيته فاول ما راى النبى صلى الله عليه وسلم من الانبيا ادم الذى كان فى امن الله وجواره
فاخرجه ابليس منها وهذه القصة تشبهها الحالة الاولى من احوال النبى صلى الله عليه وسلم حين اخرجه
اعداؤه من حرم الله وجوار بيته فكربه ذلك وغمه فاشبهت قصته فى هذه قصة ادم مع ان ادم
تعرض عليه ارواح ذرية البر والفاجر منهم فكان فى السماء الدنيا بحيث يرى الفريقين لان ارواح

اهل الشقا لا تلج في السماء ولا تفتح لهم ابوابها كما قال الله تعالى ثم رأى في الثانية عيسى ويحيى
وهما الممتحنان باليهود اما عيسى فكذبته اليهود واذته وهموا بقتله فرفعه الله واما يحيى فقتلوه
ورسول الله صلى الله عليه وسلم بعد انتقاله الى المدينة صار الى حالة ثانية من الامتحان وكانت محنته
فيها باليهود اذوه وظاهروا عليه وهموا بقتله بالقاء الصخرة عليه ليقتلوه فنجاه الله كما نجى عيسى
منهم ثم سموه بالشاة فلم تزل تلك الاكلة تعتاده حتى قطعت ابهره كما قال عند الموت وهكذا
فعلوا بابني الخالة عيسى ويحيى لان ام يحيى اشاع بنت عمران اخت مريم امهما حنه واما
لقاوه في السماء الثالثة ليوسف فانه يوذن بحالة ثالثة تشبه حال يوسف وذلك ان يوسف
ظفر باخوته بعدما اخرجوه من بين ظهرانيهم فصفح عنهم وقال لا تثريب عليكم اليوم الاية وكذلك
محمد صلى الله عليه وسلم اسر يوم بدر جملة من اقاربه الذين اخرجوه منهم عمه العباس وابن
عمه عقيل فمنهم من اطلق ومنهم من فداه ثم ظهر عليهم بعد ذلك عام الفتح فجمعهم فقال
لهم اقول ما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم ثم لقاوه لادريس في السماء الرابعة والمكان
سماه الله مكانا عليا وادريس واول من اتاه الله الخط بالقلم فكان ذلك موذنا بحالة
رابعة وهي علو شانه صلى الله عليه وسلم حتى خاف الملوك وكتب اليهم يدعوهم الى طاعته
حتى قال ابو سفيان وهو عند ملك الروم حين جاء كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ورأى
ما رأى من خوف هرقل لقد امر امر ابن ابي كبشة حتى اصبح يخافه ملك بني الاصفر وكتب عنه
بالقلم الى جميع ملوك الارض فمنهم اتبعه على دينه كالنجاشي وملك عمان ومنهم من هادنه
واهدى اليه واتحفه كهرقل والمقوقس ومنهم من تعصى عليه فاظهره الله به فهو اعلى مقام على وخط
بالقلم كنحو ما اوتي ادريس ولقاوه في السماء الخامسة لهرون المحبب لقومه يوذن بحب قريش
وجميع العرب له بعد بغضهم فيه ولقاوه في السماء السادسة لموسى يوذن بحالة تشبه لحالة موسى
حين امر بغزو الشام فظهر على الجبابرة الذين كانوا فيها وادخل بني اسرائيل البلد الذي
خرجوا منه بعد اهلاك عدوهم وكذلك غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك من ارض الشام
وظهر على صاحب دومة حتى صالحه على الجزية بعد ان اتي به اسيرا وافتتح مكة ودخل اصحابه
البلد الذي خرجوا منه ثم لقاوه في السماء السابعة ابراهيم عليه السلام وعلى جميع النبيين
لحكمتين احدهما انه رآه عند البيت المعمور مسندا ظهره اليه والبيت المعمور حيال الكعبة واليه تحج
الملائكة كما ان ابراهيم هو الذي بنى الكعبة واذن في الناس بالحج اليها والحكمة الثانية ان اخر
احوال النبي صلى الله عليه وسلم حجه الى البيت الحرام وحج معه ذلك العام نحو سبعين الفا من
المسلمين وروية ابراهيم عند اهل التاويل تودن بالحج لانه الداعي اليه والرافع لقواعد الكعبة
المحجوجة فقد انتظم في هذا الكلام الجواب عن السوالين المتقدمين احدهما السوال عن
تخصيص هولاء بالذكر والاخر السوال عن تخصيصهم بهذه الاماكن من السماء الدنيا الى السابعة

وكان

وكان الحزم ترك التكليف لتأويل لم يرد فيه نص من السلف ولكن عارض هذا الغرض ما يجب من
التفكر في حكمة الله والتدبر لايات الله وقول الله عز وجل ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون وقد
روى ان تفكر ساعة خير من عبادة سنة ما لم يكن التفكر والنظر مجردا عن ملاحظة اشارات
الكتاب والسنة ومقتضى كلام العرب بعد ذلك يكون القول في الكتاب والسنة بغير علم
عصمنا الله من ذلك وجعلنا من الممتثلين لامر حيث يقول فاعتبروا يا اولي الابصار
وليدبروا اياته وليتذكر اولو الالباب ولولا اسراع الناس الى انكار ما جهلوه وغلظ الطباع
عن فهم كثير من الحكمة لابدينا من سر هذا السوال وكشفنا عن الحكمة في لقاء هولاء الانبياء
المسميين في هذه المراتب اكثر مما كشفنا انتهى كلام السهيلي في الروض الانف واجاب العارف
ابن ابي جمرة عن وجه اختصاص كل واحد منهم بسماوات الحكمة في كون ادم في السماء الدنيا
لانه اول الانبياء واول الاباء وهو الاصل ولاجل تانيس النبوة بالابوة واما عيسى فانما كان
في السماء الثانية لانه اقرب الانبياء الى النبي صلى الله عليه وسلم ولا نسخت شريعة عيسى عليه
السلام الا بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم او لانه ينزل في اخر الزمان لانه محمد صلى الله عليه
وسلم على شريعته ويحكم بها ولهذا قال عليه السلام انا اولى الناس بعيسى فكان في الثانية
لاجل هذا المعنى وانما كان يحيى عليه السلام معه هناك لانه ابن خالته وهما كالشي الواحد
فلاجل التزام احدهما بالاخر كانا هناك وانما كان يوسف عليه السلام في السماء الثالثة لان
على حسنه تدخل امة محمد صلى الله عليه وسلم الجنة فاري له هنا لكي يكون ذلك بشارة له
عليه السلام فيبشر بذلك وانما كان ادريس عليه السلام في السماء الرابعة لانه هناك
توفي ولم تكن له تربة في الارض على ما ذكر وانما كان هارون عليه السلام في السماء الخامسة
لانه ملازم لموسى عليه السلام لاجل انه اخوه وخليفته في قومه فكان هناك لاجل هذا المعنى
وانما لم يكن مع موسى عليه السلام في السماء السادسة لان لموسى مزية وحرمة وهي كونه
كليما واختص باشيا لم تكن لهارون فلاجل هذا المعنى لم يكن معه في السادسة وانما كان
موسى عليه السلام في السادسة لاجل ما اختص به من الفضائل ولانه الكليم واكثر الانبياء
اتباعا بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وانما كان ابراهيم عليه السلام في السماء السابعة
لانه الخليل والامر الاخر فناسب ان يتجدد للنبي صلى الله عليه وسلم بلقيه انس لتوجهه بعده
الى عالم آخر وهو اختراق الحجب وايضا لانه الخليل ولا احد افضل من الخليل الا الحبيب والحبيب
مقامه فوق الكل لاجل ما اختص به مما زاد به عليهم قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على
بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات فحصل لهم الكمال والدرجة الرفيعة وهي درجة
الرسالة والنبوة ورفعة بعضهم فوق بعض بمقتضى الحكمة ترفيعا للمرفوع دون تنقيص بالنزول
انتهى ثم اختلفوا في روية نبينا صلى الله عليه وسلم لهولاء الانبياء عليهم السلام فحمله بعضهم

على رواية ارواحهم الا عيسى لما ثبت انه رفع بجسده وقد قيل فى ادريس ذلك واما الذين صلوا معه
فى بيت المقدس فيحتمل الارواح خاصة ويحتمل الاجساد بارواحها وقيل يحتمل ان يكون عليه السلام
عاين كل واحد منهم فى قبره فى الارض على الصورة التى اخبر بها من الموضع الذى ذكر انه عاينه فيه فيكون
الله عز وجل قد اعطاه من القوة فى البصر والبصيرة ما ادرك به ذلك ويشهد له رؤيته عليه السلام
الجنة والنار فى عرض الحايط وهو محتمل لان يكون عليه السلام رآهما فى ذلك الموضع او مثل له صورتها
فى عرض الحايط والقدرة صالحة لكلاهما وقيل يحتمل ان يكون الله سبحانه وتعالى لما اراد باسراء نبينا
صلى الله عليه وسلم رفعهم من قبورهم لتلك المواضع اكراما لنبيه عليه السلام وتعظيما حتى يحصل
له من قبلهم ما اشرنا اليه من الانس والبشارة وغير ذلك مما لم يشر اليه ولا نعلمه نحن وكل الوجوه
محتملة ولا ترجيح لاحدها على الآخر اذ القدرة صالحة لكل شئ وبما قررناه انه رآهم فى بيت المقدس
على حالة غير الحالة التى رآهم عليها فى السماء زال الاشكال عن سؤاله جبريل عنهم عليهم السلام فى
السموات عند رؤية كل واحد وعلى القول باتحاد الحالتين فالسؤال عنهم استثباتا وتحقيقا
لعجيب قدرة الله تعالى حيث رفعه ورفعهم فى ساعة واحدة الى السموات العلى وانما لم يرتك الليلة نبينا
نوحا عليه السلام مع انه من اولى العزم لانها ليلة رحمة فناسب ان لا يرى فيها من استوصل قومه

حتى اذا لم تدع شاوا لمستبق ... من الدنو ولا مرقى لمستنم

حتى غاية للاختراق واذا ظرفية مجازية ولم تدع اى تترك شاوا اى غاية واحدا مفعول تدع
لمستبق اى طالب سبق بجد واجتهاد من الدنو اى القرب لوصولك الى اعلى مقامات القرب وهو
المعبر عنه بقاب قوسين او ادنى ومن بيانية متعلق بمستبق ولا مرقى بالفتح اى موضع رقى اى
درجة ومن كسر شبهها بالآلة لمستنم اى طالب رفعة والسنام ما ارتفع من الشئ ومنه سنام البعير
وقد تقدم انقطاع جبريل عنه ووصوله صلى الله عليه وسلم الى مقام لم يدرك ولم يرم وبيان الاحاديث
فى ذلك اللهم فصل عليه وزده شرفا وتعظيما

خفضت كل مقام بالاضافة اذ ... نوديت بالرفع مثل المفرد العلم

خفضت من الخفض ضد الرفع والجملة بدل من لم تدع فلا تضمين فى البيت قبله خلافا لمن ظنه
كل مقام بالفتح موضع الاقامة سمى مقاما للقيام فيه وللصوفية فرق بين المقام والحال ولاهل
الادب فرق بين المقامات والمجالس حيث يطلق المجالس على مجالس الوعظ والمقامات
على مقامات الادب اى خفضت كل مقام من المقامات المطلوبة المسلوكة التى سلكتها وتجاوزت
عنها فى مراقى المعارج ومراتب المدارج اذ لم يكن مطمح نظرك الى مقام منها ولا مطمع فكرك الى مرام
سوى عبودية العلى العلام فخفضت كل مقام بالاضافة اى بسبب الاضافة الى عبوديتك
اذ وصفك بالعبودية المضاف الى الله تعالى اشرف المقامات واعلاها واكملها واسماها
قال الاستاد ابو على الدقاق ليس للمؤمن صفة اتم ولا اشرف من العبودية ولهذا اطلقها

الله تعالى على نبيه فى اشرف المواطن كقوله سبحان الذى اسرى بعبده الحمد لله الذى انزل على عبده
الكتاب فاوحى الى عبده ما اوحى قال البرهان النسفى قيل لما وصل النبى صلى الله عليه وسلم
الى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة فى المعراج اوحى الله اليه يا محمد بم اشرفك قال يارب بان
تنسبنى الى نفسك بالعبودية فانزل الله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده ولذلك قيل لا تدعنى
الا بيا عبدها فانه اشرف اسمائى • ومن اظرف ذلك قول القاضى عياض •

ومما زادنى عجبا وتيها • وكدت باخمصى اطاء الثريا •
دخولى تحت قولك يا عبادى • وان صيرت احمد لى نبيا •

وبما قررناه زال الاشكال فى تسمية مقام غيره من الانبياء خفضا كما قيل اذ لم تكن مقصودة للمص
بحسب ما شرحناه كلامه فليتأمل واذ ظرف مبهم فى الزمان الماضى يكون للتعليل تارة ويجرد
عنه اخرى نوديت حرف فاعله للعلم به فى هذا المقام وحصره اذ لا يكون المنادى هنا الا الله تعالى
وذلك لما ذكر النقاش عن ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم فارقنى جبريل وانقطعت الاصوات
حتى سمعت كلام ربى وهو يقول ليهدأ روعك يا محمد ادن ادن وتقدم لنا فى حديث الحجب
الذى نقلناه عن شفاء ادن يا خير البرية ادن يا احمد ادن يا محمد بالرفع بما يدل على رفعة مقامك
الذى لا مطمح فيه ولا مقام بعده فى ذلك المقام الادنى من قاب قوسين الذى لم يصله غيرك مثل
المفرد العلم الذى فرد من بين بقية افراد منبعه بصيغة اختص بها فلذلك كان هو المشار اليه
على الاطلاق وللتقدم على غيره بالاستحقاق والمفرد العلم لا ينادى الا بالرفع واطلاقه على الضم
لمجانسته له وان تضاد محلهما اعرابا وبناء على ان ذلك انما يعتبر فى المسائل النحوية وليست مقصودة
هنا وان وردت بها واقتبس منها والمفرد فى باب النداء ما ليس مضافا ولا شبيها واحكام المنادى
الخمسة مسطورة مشهورة فى بابه واتضح ان المراد بالعلم غير العلم المتقدم فلا ايطاء فالملى وجه
فيه وفى البيت الاقتباس النحوى ومراعاة النظير بين الخفض والاضافة وبين الاضافة
والنداء والمفرد العلم والمقابلة بين الاضافة والمفرد والطباق بين الخفض والرفع وحسن التعليل
والتشبيه وتمكين القافيه

كيما تفوز بوصل اى مستتر ... عن العيون وسر اى مكتتم

كيما تفوز علة غائية لقوله سريت وما بعده من الرقى المنتهى الى قاب قوسين وتفوز منصوب بأن
مقدرة بعد كى بمعنى اللام او بكى بمعنى ان واللام مقدرة قبلها وما زائدة على الوجهين والفوز
الظفر بالمطلوب بوصل اى مستتر بالجر صفة لوصل من الاستتار وهو الاختفا عن العيون
متعلق بمستتر وسر معطوف على بوصل بحذف حرف الجر اى وبسر وهو كقوله تعالى واتقوا
الله الذى تساءلون به والارحام بالجر اى مكتتم من الاكتتام وهو الاختفا واى بالجر صفة لسر كما
تقدم ويجوز ان يكون اى فيهما صفة لمحذوف اى بوصل مستتر اى مستتر وسر مكتتم اى مكتتم

وهو يدل على المبالغة والكمال فيما سبق له نحو زيد رجل اىُّ رجل والظاهر ان اصله الاستفهام اى
ان سالت عنه فانى سوهو آ يمكن وصفه لعظمه والبيت يشير الى الحديث الذى اورده بعض الشراح
علمنى ربى ليلة الاسرا علوما شتى فعلم اخذ على كتمانه الحديث وهو مأخوذ ايضا من الآية الشريفة
فاوحى الى عبده ما اوحى قيل اوحى اليه ان احدا من الانبيا لا يدخل الجنة قبلك ولا تدخل امة قبل امتك
وقال ابو الحسن النورى حين سئل عن هذه الاية فقال اوحى اليه سرا بشئ من سرٍّ وفى ذلك يقول القائل

بين المحبين سر ليس يفشيه ۔ قول ولا قلم للخلق يحكيه
سر عارضه انس يقابله ۔ نور تحير فى بحر من التيه

وقال جعفر الصادق لما قرب الحبيب من الحبيب غاية القرب نالته غاية الهيبة فلاطفه الحق
تعالى بغاية اللطف وذلك قوله جل جلاله فاوحى الى عبده ما اوحى اى كان ما كان وجرى وقال
الحبيب للحبيب ما يقول الحبيب للحبيب والطف به الطاف الحبيب للحبيب فخفى السر ولم يطلع
عليه احد ولم يعلم احد ما اوحى الا الذى اوحى وقال غيره فى قوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى ابهم
لعظمه فان الابهام قد يقع للتعظيم فهو مبهم لا يطلع عليه بل نتعبد بالايمان به وقيل بل هو مفسر
بالاخبار الوارده قال سعيد بن جبير اوحى تعالى اليه الم اجدك يتيما فاويتك الم اجدك ضالاً
فهديتك الم اجدك عايلًا فاغنيتك الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذى
انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك وقيل اوحى اليه خصصتك بحوض الكوثر فكل اهل الجنة
اضيافك بالماء ولهم الخمر واللبن والعسل ذكره القشيرى وفى رواية ابى سعيد الخدرى عند البيهقى
ان الله تعالى قال له سل فقال انك اتخذت ابراهيم خليلا واعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى
تكليما واعطيت داود ملكا عظيما والنت له الحديد وسخرت له الجبال واعطيت سليمان ملكا عظيما
وسخرت له الانس والشياطين وسخرت له الرياح واعطيته ملكا لا ينبغى لاحد من بعده وعلمت
عيسى التورية والانجيل وجعلته يبرى الاكمه والابرص ويحيى الموتى باذنك واعذته وامه من الشيطان
الرجيم فلم يكن له عليها سبيل فقال الله تعالى قد اتخذتك حبيبا فهو مكتوب فى التورية حبيب
الرحمن وارسلتك الى الناس كافة بشيرا ونذيرا وشرحت لك صدرك ووضعت عنك
وزرك ورفعت لك ذكرك فلا اذكر الا ذكرت معى وجعلت امتك امة وسطا وجعلت
امتك هم الاولون والاخرون وجعلت امتك لا يجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدى
ورسولى وجعلت من امتك اقواما اناجيلهم وجعلتك اول النبيين خلقا واخرهم بعثا واولهم
يقضى له واعطيتك سبعا من المثانى ولم يعطها نبى قبلك واعطيتك خواتيم سورة البقرة
من كنز تحت العرش لم اعطها نبيا قبلك واعطيتك ثمانية اسهم الاسلام والهجرة والجهاد
والصلوة والصدقة وصوم رمضان والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وجعلتك فاتحا
وخاتما ولبعض اهل الاشارات كلام فى هذا المحل ساقه صاحب المواهب ولما اراد صلى الله

عليه وسلم الانصراف قال يا رب لكل قادم من سفر تحفة فما تحفة امتى قال الله تعالى انا لهم ما عاشوا
وانا لهم اذا ماتوا وانا لهم فى القبور وانا لهم فى النشور اللهم انا امنا به ونحن من امته فارحمنا برحمتك
وكن لنا فى حياتنا وكن لنا فى القبور وفى النشور بسر من عندك يا ارحم الراحمين

فَحُزْتَ كُلَّ فَخَارٍ غَيْرَ مُشْتَرَكٍ ۔ وَجُزْتَ كُلَّ مَقَامٍ غَيْرَ مُزْدَحَمِ

فحزت بالحاء المهملة اى جمعت والفا قيل عاطفة على خفضت والظاهر انها تفريع على كيما تفوز
كل فخار مفعول حزت اى ما يفتخر به من الفضايل مرجعه الى العظمة غير بالنصب او الجر نعت
للمضاف والمضاف اليه مشترك اى فيه اذ لم تصل اليه رتبة غيرك ليشاركك فيه بل انفردت
به ارتفاعا وجزت بالجيم اى عبرت كل مقام غير مزدحم فيه فحذف منهما توسعا لتفرّدك كل
احد عن وصوله وفى البيت الجناس المصحف بين جزت وحزت لا اللاحق كما توهم والمحرف بلغ

وَجَلَّ مِقْدَارُ مَا وُلِّيتَ مِنْ رُتَبٍ ۔ وَعَزَّ اِدْرَاكُ مَا اُولِيتَ مِنْ نِعَمِ

وجل اى عظم معطوف على فحزت مقدار اى قدر ما موصول اسمى بمعنى الذى وليت صلته
وحذف فاعله للعلم بانه لا يكون الا الله والعايد محذوف مأخوذ من التولية اى صار لك عليه
ولاية من رتب جمع رتبة وهى المنزلة اى مناصب شريفة فلا يحاط به والجملة تعجب كالتى بعدها
وعز اى امتنع وصعب قال ابن الاثير فى كتاب النهاية فى غريب الحديث العزيز فى اسماء
الله تعالى هو الغالب القوى الذى لا يغلب يقال عز يعز بالكسر اذا صار عزيزا وعز يعز
بالفتح اذا اشتد وشوح وذكر الراغب مثله فى مفردات القران وذكر الهروى فى الغريبين نحوه
وقال النووى فى تهذيب الاسما واللغات قال الفرا يقال عز الشئ يعز بالكسر عزة اذا قل
وعز الرجل يعز عزا وعزة اذا قوى بعد ذلة ويقال عز يعز بالفتح اذا اشتد ويقال عز
فلان فلانا يعزه بالضم اذا غلبه قال تعالى وعزنى فى الخطاب وقد ضبط العلامة السيوطى
ابوابه فى ابيات فى رسالته التى سماها الثبوت فى ضبط القنوت فقال

يا قاريا كتب الاداب كن يقظا ۔ وحرر الفرق فى الافعال تحريرا
عز المضاعف ياتى فى مضارعه ۔ تثليث عين لفرق جاء مشهورا
فما كقل وضد الذل مع عدم ۔ كذا كرمت علينا جاء مكسورا
وما كعز علينا الحال اى صعبت ۔ فافتح مضارعه ان كنت نحريرا
وهذه الخمسة الافعال لازمة ۔ واضمم مضارع فعل ليس مقصورا
عززت زيدا بمعنى قد غلبت كذا ۔ اعنته فكلا ذا جاء ما ثورا
وقل اذا كنت فى ذكر القنوت ولا ۔ يعز يا رب من عاديت مكسورا
واشكر لاهل علوم الشرع اذ شرعوا ۔ لك الصواب وابدوا فيه تذكيرا

قال الزركشى والمعانى الثلاث صالحة فى البيت ادراك من ادركته اذا الحقته حاكما اوليت

اى اعطيت من نعم من لبيان الجنس نعم جمع نعمة بمعنى منعم به اى امتنع وصعب ادراكه لكماله
فيك وعدم بلوغ غيرك له واستجماعه فيه اذ ما ترق من الرتب الرفيعة والمناقب المنيفة مجموعة
فيك فانت الكامل على الاطلاق والبيتان يشيران الى خصايصه عليه الصلوة والسلام التى
اختص بها وانفرد بجمعها وليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم فى واحد وخصايصه التى
اختص بها صلى الله عليه وسلم من الفضايل والفواضل كثيرة جدا على انواع عديدة ذكرها
العلما وافرادها بعضهم بالتصنيف وقد ذكر السيوطى فى انموذج اللبيب فى خصايص الحبيب
جملة من ذلك فلتراجع قال منها فى الفصل الاول من الباب الاول فيما اختص به فى ذاته فى
الدنيا عن جميع الانبيا ولم يوتها نبى قبله وبالاسرا وما تضمنه من اختراق السموات السبع
والعلو الى قاب قوسين ووطيه مكانا ما وطيه نبى مرسل ولا ملك مقرب واجتماع الانبيا له
وصلاته اماما بهم وبالملايكة واطلاعه على الجنة والنار عده من البيهقى ورؤيته من ايات
ربه الكبرى وحفظه حتى ما زاغ البصر وما طغى ورؤية البارى تعالى مرتين الى اخر ما ذكر والاقتصار
على ما نقلنا بحسب المقام اللهم فزده من الشرف والاكرام والتعظيم والاحترام وادم عليه
اصناف الصلوة والسلام وفى البيت مراعاة النظير بين جل وعز والجناس المطرف
بين وليت واوليت لا الناقص كما قال شارح

بشرى لنا معشر الاسلام ان لنا من العناية ركنا غير منهدم

بشرى مصدر بشره كذا وبكذا من البشارة وهى الخبر الاول السار سمى بذلك لتغير بشرة
الوجه به ويستعمل فى السرور حقيقة وقد يطلق على الانذار مجازا وهو مبتدا وساغ مع كونه
نكرة اما لتضمنه الدعا واما بتقدير وصف محذوف كما فى شر اهر ذا ناب اى بشرى عظيمة
لنا خبره معشر الاسلام اى جميع المسلمين اهل الاسلام بالنصب على الاختصاص كما فى
قوله انا معاشر الانبيا لا نورث وهو احد الثلاثة الاقسام القايمة مقام اى فى قولهم انا افعل
كذا ايها الرجل والثانى المعرف بلام نحو نحن العرب اقرى الناس والثالث العلم نحو بنا
تميم ينكشف الضباب قال ابن الحاجب للعرف ليس منقولا عن النداء لان المنادى لا يكون
ذا لام ونحو ايها الرجل منقول قطعا وللمضاف يحتمل ان النقل فيكون منصوبا بيا مقدرة
وكونه مثل المعرف فيكون منصوبا بتقدير اعنى او اخص قال الامام المرزوقى وانا بنى نهشل
لا ندعى لاب الفرق بين ان ينصب بنى نهشل على الاختصاص وبين ان يرفع على الخبرية
هو انه لو جعله خبرا لكان قصده الى تعريف نفسه عند المخاطب وكان فعله لذلك لا يخلو
عن جهل منهم وجهل من المخاطب بشانهم واذا نصب ابن من ذلك فقال مفتخرا انا اذكر
من لا شانه لا نفعل كذا وكذا انتهى واصل المعشر الجماعة من الناس الذى يشملهم وصف
واحد ثم بين البشرى على وجه التعليل بقوله ان لنا بفتح ان بتقدير اللام اى لان وكسرها

على انها

على انها تعليل مستانف من العناية بناء فى الازل المقتضية لسعادة الابد والعناية
بالشئ كالاعتناء به القصد له والحرص عليه فى محل نصب حال من الضمير فى لنا ركنا هو
نبينا صلى الله عليه وسلم الذى جانا بشريعة لم تنسخ وبالقران العظيم المحفوظ الباقى
الذكر اطلق عليه السلام ركنا لانه المعتمد عليه فى ساير الاحوال والازمان غير منهدم
صفة ركنا من الانهدام وهو التغير والزوال لعدم تغير شريعته وزوالها وقد اشتمل
البيت على انواع من المحاسن حيث افتتحه بالبشرى وقال لنا ولم يخص نفسه بل عمم ثم
خص البشرى باهل الاسلام جميعا علل بالاسلام المقتضى للبشارة واتى بان المؤكدة
وقدم الخبر فى لنا واتى بالعناية المقتضية للاهتمام والاعتنا وركنا المقتضى للاعتماد
عليه واحترس بقوله غير منهدم لان الركن قد ينهدم مع فى ذلك من الاستعارة اللطيفة

لما دعا الله داعينا لطاعته باكرم الرسل كنا اكرم الامم

لما حرف وجود لوجود على قول سيبويه وظرف بمعنى حين عند الفارسى وعند ابن
مالك لوقوع الماضى بعدها دعا بمعنى سمى الله فاعل داعينا مفعوله الاول وتسكينه
للضرورة كقوله اعط القوس باريها اسم فاعل من دعاه لكذا قال تعالى وداعيا الى الله باذنه لطاعته
متعلق بدعا والضمير لله تعالى وكذا قوله باكرم الرسل مفعوله الثانى قال الزركشى وكان
بعضهم يجعل داعينا فاعل دعا لا على ان دعا بمعنى سمى بل بمعنى تضرع اى لما دعا الله الداعى
لنا حال كونه مصاحبا لهذا الوصف واعرب المحلى الله بالرفع فاعل دعا وداعينا بدل من الفاعل
وكونه اكرم الرسل لانه الواسطة بيننا وبين الله تعالى وخاتم الرسل كنا اكرم الامم عند الله تعالى
لان شرف الامة بشرف نبيها قال تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس واورد الزركشى ما رواه
الثعلبى فى تفسيره باسناده عن ابن عباس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال موسى عليه السلام يا رب هل خلقت امة اكرم عليك من امتى قال الله يا موسى
ان فضل امة محمد على ساير الخلق كفضلى على جميع خلقى قال يا رب ليتنى رايتهم قال يا موسى
انك لن تراهم ولو اردت ان تسمع كلامهم سمعت قال فانى اريد ان اسمع كلامهم قال الله
يا امة محمد فاجبناه من اصلاب ابائنا وارحام امهاتنا لبيك اللهم لبيك ان الحمد والنعمة
لك لا شريك لك قال الله تعالى يا امة محمد ان رحمتى سبقت غضبى وعفوى عقابى وقد
اعطيتكم قبل ان تسالونى وقد غفرت لكم قبل ان تعصونى من جانى يوم القيامة يشهد
ان لا اله الا الله وان محمدا رسولى وعبدى جعلت الجنة ماواه وان كانت ذنوبه اكثر من زبد
البحر وقد جعل اكثر معجزات بنى اسرائيل حسية لبلادتهم وقلة تصرفهم واكثر معجزات
هذه الامة عقلية لفرط ذكايهم وكمال ادواتهم انتهى ورواه ابن ظفر فى النطق المفهوم وزاد فيه
قال صلى الله عليه وسلم فاراد الله ان يمن على بذلك فقال وما كنت بجانب الطور اذ نادينا

اى امتك حتى اسمعنا موسى كلامهم ورواه قتاده وزاد فقال موسى يارب ما احسن اصوات امة محمد اسمعنى مرة اخرى فالحمد لله الذى خصنا بهذه الرحمة واسبغ علينا هذه النعم ومن علينا بما عنابه من الفضايل الجمه ونوه بنا فى كتابه العزيز بقوله كنتم خير امة قيل قوله تعالى كنتم اى فى اللوح المحفوظ وقيل كنتم فى علم الله وقيل كنتم اى انتم خير امة وقال مجاهد كنتم خير امة اخرجت للناس اذ كنتم على الشرايط المذكورة اى تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وقد خص الله تعالى وله الحمد هذه الامة الشريفة بخصايص لم تؤتها امة قبلهم اباح بها فضلهم وقد وردت الاخبار والاثار بذلك خرج ابو نعيم عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى لما نزلت عليه التوراة وقراها فوجد فيها ذكر هذه الامة فقال يارب انى اجد فى الالواح امة اناجيلهم فى صدورهم يقرأونها ظاهرا فاجعلها امتى قال تلك امة احمد قال يارب انى اجد فى الالواح امة ياكلون الغنيمة فاجعلها امتى قال تلك امة احمد قال يارب انى اجد فى الالواح امة يجعلون الصدقة فى بطونهم يوجرون عليها فاجعلها امتى قال تلك امة احمد قال يارب انى اجد فى الالواح امة اذا هم احدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة واذا عملها كتبت له عشر حسنات فاجعلها امتى قال تلك امة احمد قال يارب انى اجد فى الالواح امة اذا هم احدهم بسيئة فلم يعملها لم تكتب وان عملها كتبت سيئة واحدة فاجعلها امتى قال تلك امة احمد قال يارب انى اجد فى الالواح امة يؤتون العلم الاول والعلم الاخر ليقتلون المسيح الدجال فاجعلها امتى قال تلك امة احمد قال يارب فاجعلنى من امة احمد فاعطى عند ذلك خصلتين فقال ياموسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما اتيتك وكن من الشاكرين قال قد رضيت يارب وفى الحلية لابى نعيم عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوحى الله الى موسى نبى اسرايل انه من لقينى وهو جاحد باحمد ادخلته النار قال يارب من احمد قال ما خلقت خلقا اكرم على منه كتبت اسمه مع اسمى فى العرش قبل ان اخلق السموات والارض ان الجنة محرمة على جميع خلقى حتى يدخلها هو وامته قال ومن امته قال الحمادون يحمدون صعودا وهبوطا على كل حال يشدون ثيابهم ويطهرون اطرافهم صايمون بالنهار ورهبان بالليل اقبل منهم اليسير وادخلهم الجنة بشهادة ان لا اله الا الله قال اجعلنى نبى تلك الامة قال نبيها منها قال اجعلنى من امة ذلك النبى قال استقدمت واستاخر ولكن ساجمع بينك وبينه فى دار الجلال وعن وهب ابن منبه قال اوحى الله تعالى الى شعيب انى باعث نبيا اميا افتح به اذانا صما وقلوبا غلفا واعينا عميا مولده بمكة ومهاجرته طيبه وملكه بالشام عبدى المتوكل المصطفى المرفوع الحبيب المتحبب المختار لا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ويغفر رحيما بالمؤمنين يبكى للبهيم المثقلة ويبكى لليتيم فى حجر الارملة ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا لو يمر الى جنب السراج لم يطفه

صعن

ومن سكينته فلو يمشى على القصب الرعراع لم يسمع من تحت قدميه ابعثه مبشرا ونذيرا الى ان قال واجعل امته خير امة اخرجت للناس امرا بالمعروف ونهيا عن المنكر وتوحيدا لى وايمانا بى واخلاصا لى وتصديقا لما جاءت به رسلى وهم رعاة الشمس والقمر طوبى لتلك القلوب والوجوه والارواح التى اخلصت لى الهمهم التسبيح والتكبير والتحميد والتوحيد فى مجالسهم ومساجدهم ومضاجعهم ومنقلبهم ومثواهم ويصفون فى مساجدهم كما تصف الملائكة حول عرشى هم اوليائى وانصارى انتقم بهم من اعدائى عبدة الاوثان يصلون لى قياما وقعودا وركوعا وسجودا ويخرجون من ديارهم واموالهم ابتغاء مرضاتى الوفا ويقاتلون فى سبيلى صفوفا اختم بكتابهم الكتب وبشريعتهم الشرايع وبدينهم الاديان فمن ادركهم فلم يؤمن بكتابهم ويدخل فى دينهم وشريعتهم فليس منى وهو منى برى واجعلهم افضل الامم امة وسطا وشهداء على الناس اذا غضبوا هللونى واذا تنازعوا سبحونى يطهرون الوجوه والاطراف ويشدون الثياب الى الانصاف ويهللون على التلال والاشراف قربانهم دماؤهم واناجيلهم فى صدورهم رهبانا بالليل ليوثا بالنهار طوبى لمن كان معهم وعلى دينهم ومناهجهم وشريعتهم وذلك فضل الله اوتيه من اشاء وانا ذو الفضل العظيم رواه ابو نعيم وخصايص هذه الامة كثيرة وفضايلهم شهيرة وشرفنا بشرف نبينا صلى الله عليه وسلم

رَاعَتْ قُلُوبَ العِدَا اَنْبَاءُ بِعْثَتِهِ ... كَنَبْاَةٍ اَجْفَلَتْ غُفْلًا مِنَ البُهُمِ

راعت بالراء والعين المهملة من الروع اى افزعت قلوب مفعول مقدم العدا بكسر العين جمع عدو وهم الكفار هنا انباء بعثته اى اخبارها جمع نبا وهو الخبر الذى له شان والبعثة بالكسر المرة من البعث فاعل راعت كنباة هى الزاردة للاسد اى كما راعت نباة اوكروع نباة اجفلت بالجيم اى افزعت غفلا بضم الغين المعجمة جمع اغفل بمعنى فاعل او جمع غافل كبازل وبزل كذا قال المحلى يقال ناقة غفل لا علامة لها ورجل مغفل لم يجرب الامور من البهم بيان له بينا كمال ضلال اعدائه والتلويح الى انهم كالانعام بل هم اضل سبيلا والمراد بغفل الغنم الذى لم تخالط الناس وتالف اصواتهم فهى عند سماع الزاردة تضطرب وتجفل ولو لم تكن غافلة عنها ما جفلت كذلك الكفار لو كانوا ملتفتين الى بعثة النبى صلى الله عليه وسلم ليؤمنوا به ما فزعوا منها والبيت يشير الى حديث الصحيحين نصرت بالرعب مسيرة شهر وروى الطبرانى نصرت بالرعب شهرين اى من خلفه وامامه جمعا بين الحديثين وحاصل ذلك انه نصر به من كل جهة مسيرة شهر صلى الله عليه وسلم عليه وفى البيت التشبيه وجناس الاشتقاق ومراعاة النظير

مَازَالَ يَلْقَاهُمْ فِى كُلِّ مُعْتَرَكٍ ... حَتَّى حَكَوْا بِالْقَنَا لَحْمًا عَلَى وَضَمِ

مازال من اخوات كان واسمها ضمير يعود الى النبى صلى الله عليه وسلم ويلقاهم جملة فعلية فى موضع نصب على الخبرية فى كل معترك اى مكان اعتراك او زمانه حتى حكوا اى شابهوا بالقنا

جمع قناة وهي الرمح والبا للسببية اي بسبب طعنهم لها لحما مفعول حكوا على وضم بالمعجمة

وهو ما يضع القصاب اللحم عليه معدا لمن يأخذه والجمع اوضام وقيل كاللحم المغروز في القنا يقابل

به النار فيشوى والمعنى انه عليه الصلوة والسلام جاهد الكفار حتى تركهم قتلى معدين لاكل

السباع والطيور لحومهم ويناسب هذا التشبيه اشد مناسبة قوله في البيت الذي بعده

وَدُّوا الفِرَارَ فَكَادُوا يَغْبِطُونَ بِهِ ... أَشْلَاءَ شَالَتْ مَعَ العِقْبَانِ وَالرَّخَمِ

ودوا اي تمنوا على سبيل المحبة الفرار من النبي صلى الله عليه وسلم ليتخلصوا من حربه ومن

متابعته وانى لهم ذلك فكادوا من شدة تمنيهم اي قاربوا يغبطون به الغبطة تمني المثل

ولذلك اختارها على الحسد هنا لكونهم من جنسهم فلم يتمنوا زوال ذلك عنهم بل تمنوا مثله

ولانه لا يتحقق الفرار الا بعد مشاهدته فتمنوا الفرار معهم والضمير في به راجع للفرار اي قاربوا

ان يغبطوا على الفرار اشلاء جمع شلو بكسر الشين وهو العضو مطلقا وقيل بعد البلاء

والتفرق نصب على المفعول شالت اي ارتفعت من شالت الناقة بذنبها رفعته مع العقبان

بكسر العين جمع عقاب بضمها والرخم جمع رخمة وهي الطائر المعروف وتخصيص هذين النوعين

من الطير لانهما يقعان على الميتات يأكلان منها ويحملان لفراخهما ويعلوان في الجو فتمنوا

على سبيل الغبطة الفرار مع الشلو للخلاص من جهاده عليه السلام وهيهات هيهات لهم هذا المرام

تَمْضِي اللَّيَالِي وَلَا يَدْرُونَ عِدَّتَهَا ... مَا لَمْ تَكُنْ مِنْ لَيَالِي الأَشْهُرِ الحُرُمِ

تمضي الليالي بايامها عليهم والتعبير بها دون الايام لان عادة العرب بان يورخوا بها لسبقها

على الايام مع نكتة اقتضاها المقام وهو اسوداد الايام عليهم حتى صارت كالليالي لشدة ما حل

بهم من الاحوال والاوجال فايامهم كلياليهم سود مظلمة واوقاتهم كاحوالهم قترة مدلهمة

وجملة ولا يدرون عدتها في محل نصب على الحال من درى يدري اي عددها من شدة ما حل بهم

من الهموم بجهاد النبي صلى الله عليه وسلم لهم فانبهمت عليهم الايام ما لم تكن من ليالي الاشهر

الحرم فانهم يدرون عدتها لامساك النبي صلى الله عليه وسلم عن القتال فيها لا انها وان خلت

عن القتال الا انهم صارفون افكارهم في تدبير احوالهم فيما بعدها وفي حلول القتال عليهم بعد

انقضائها فالاظلام حاصل كل حال والاشهر الحرم ثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم والرابع

فرد وهو شهر رجب الفرد الاصم كانت العرب تكف فيها عن القتال حتى يجد الرجل قاتل

ابيه فلا يتجاسر عليه ولا يروعه احتراما للاشهر الحرم وجاء الاسلام في صدره بذلك مدة

الى ان نزل قوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم

كَأَنَّمَا الدِّينُ ضَيْفٌ حَلَّ سَاحَتَهُمْ ... بِكُلِّ قَرْمٍ إِلَى لَحْمِ العِدَا قَرِمِ

كانما للتشبيه وما كافة الدين المراد به الاسلام ان الدين عند الله الاسلام ضيف حل ساحتهم

الجملة صفة ضيفا اي نزل بها فيجب اكرامه بكل البا بمعنى مع متعلق بحل اي حل مع كل قرم

بفتح

بفتح القاف اي سيد من الصحابة واصله البعير المكرم الذي لا يركب ولا يحمل عليه ولكن يكون

للضراب الى لحم العدا اي الكفار متعلق به قرم بكسر الراء وهو شديد الشهوة الى اكل اللحم بحيث لا يصبر

عنه ومثل هذا الضيف العزيز اذا حل بهولاء السادة الاشراف المشتهين لحوم العدا كثرت

عليهم شهواتهم فلذلك كانت لحوم العدا في ساحاتهم على الوضم من القنا كما تكون اللحوم

المعدة للاضياف في ساحات العرب ملقات بكثرة لمن يطلبها وفي البيت التشبيه

والجناس المحرف بين قرم وقرم

يَجُرُّ بَحْرَ خَمِيسٍ فَوْقَ سَابِحَةٍ ... يَرْمِي بِمَوْجٍ مِنَ الأَبْطَالِ مُلْتَطِمِ

يجر ذلك السيد صفة له وهو ابلغ من جعله صفة لضيف كما لا يخفى بحر خميس كلجين الماء

اي جيشا كالبحر كثرة وتموجا واهوالا وغير ذلك سمي الجيش خميسا لانه خمس فرق مقدمة

وساقة وجناحان وقلب فوق ظرف مكان سابحة صفة لموصوف محذوف اي خيل جارية

لا تتعب راكبها كانها تسبح في الماء لشدة عدوها والغرابة فيه ان البحر فوق سابحة عكسها

ما هو المتعارف من كون السابحة فوق البحر يرمي بالياء صفة بحر بموج اي صادر من الابطال

جمع بطل وهو الشجاع سمي بذلك لان اقرانه تبطل امورهم عنده ملتطم صفة موج اي بعضه

ببعض لشدة هيجانه والمراد به الافعال الواصلة للكفار بالات القتال من طعن وقتل وغيرها

وفي البيت جناس المصحف بين يجر بحر والتي بحر لقولهم في المبالغة عسكر جرار ومراعاة

النظير بين البحر والسابحة والموج والملتطم وبين الخميس والابطال والاغراق في جعل البحر

فوق السابحة والاستعارة المرشحة كما لا يخفى

مِنْ كُلِّ مُنْتَدِبٍ لِلَّهِ مُحْتَسِبٍ ... يَسْطُو بِمُسْتَأْصِلٍ لِلْكُفْرِ مُصْطَلِمِ

منتدب بفتح الدال وهو بدل من الابطال باعادة الجار ونظيره كثير كقوله تعالى لجعلنا لمن

يكفر بالرحمن لبيوتهم قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم

او بيان لخميس اي الخميس الذي هو كل منتدب والندب ان يدعو القوم الى المحاربة اولامر

اي مدعو لله محتسب مفتعل من الحسبة بالكسر والحسبة الاجر اسم من الاحتساب اي محتسب

بعمله عند الله او مكتف بالله وقالوا حسبنا الله يسطو اي يصول بقهر وبطش بمستأصل

البا متعلقة بيسطو من الاستيصال وهو اخذ الشيء من اصله للكفر متعلق بمستاصل اي لاهله

وذكره دونهم لانه يلزم من استيصاله استيصالهم مصطلم من الاصطلام وهو اهلاك

الشيء من اصله وفي الصحاح الاصطلام الاستيصال فيكون صفة موكدة اي مصطلم لهم من

الات القتال من سيف وغيره حذف لدلالة الاول عليه وفي البيت التشطير وهو ان يقسم

الشاعر بيته شطرين ثم يصرع كل شطر منها لكنه يأتي بكل شطر من بيته مخالفا لقافية

الاول ليتميز كل شطر عن اخيه كقول ابي تمام تدبير معتصم • بالله منتقم • لله مرتغب • في الله مرتقب •

وقد جاهدوا شكر الله مسعاهم فی الله حق جهاده وقطعوا دابر الكافرين واستأصلوا فرق الظالمين

حتى غدت ملة الاسلام وهي بهم   من بعد غربتها موصولة الرحم

حتى متعلق بيسطو غدت بالمعنى المعجمة اى صارت ملة الاسلام كما يعبر الادراك من اضافة الاعم الى الاخص والملة ما شرع الله لعباده من حيث انها تملى تسمى ملة ومن حيث انها تدان تسمى دينا وهي بهم اى مصحوبة بالصحابة الابطال جملة حالية وجمع باعتبار معنى كل من بعد غربتها لما الفه الناس فى الفترة موصولة بالنصب خبر غدت الرحم القرابة على الاستعارة واشار بالغربة الى حديث مسلم بدأ الاسلام غريبا ضبط بدأ بالهمزة اى جاء وظهرت من قوم لا يقومون به فهو مقطوع الرحم ثم قام به الصحابة فوصلوا رحمه ثم صلة الرحم مندوب اليها محثوث عليها وقطعها من الكبائر وقد ورد القرآن العظيم بذلك والاحاديث الشريفة اخرج الشيخان عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال اما ترضين ان اصل من وصلك واقطع من قطعك قالت بلى قال فذلك لك واخرج الشيخان عن عايشة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الرحم معلقة بالعرش يقول من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله واخرج ابو داود والترمذى وصححه وابن حبان عن عبد الرحمن بن عوف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله انا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته واختلفوا فى حد الرحم التى يجب صلتها فقيل المحرم الذى يحرم نكاحه لو فرض ذكرا وانثى وقيل عام فى كل رحم من ذوى الارحام فى الميراث والاصح كما قاله ابن حجر المكى فى فتاويه انه عام فى ساير الاقارب من جهة الاب والام والصلة والقطيعة متفاوتتان بتفاوت الافعال وقد اوضحنا ما يتعلق بذلك واوردنا فيه الايات والاحاديث فى شرحنا على الكبائر والصغاير

مكفولة ابدا منهم بخير اب   وخير بعل فلم تيتم ولم تيم

مكفولة بالنصب خبر ثان لغدت وبالرفع خبر ثان لقوله وهي او لمبتدأ محذوف من الكفالة بمعنى الضمان اى محفوظة ابدا منهم اى من الكفار بخير اب وخير بعل اى زوج من البعال وهو الجماع وقيل البعال مخصوص بما بعد الدخول والتزوج مطلقا فلم تيتم من يتم الولد بكسر الفوقانية ييتم بفتحها اذا مات ابوه وهو صغير هذا فى الناس وفى البهايم موت الام وحكى ابن خالويه وابن قتيبة موتهما فى الطير لانهما يتقاسمان فراخهما معا اى فلم تيتم من جهة الأب ولم تيم من جهة البعل لف على ترتيب النشر من أيمت المراة كما مت اذا خلت من الزوج ومنه وانكحوا الايامى والمعنى ان ملة الاسلام نصرت بالنبى عليه السلام واصحابه الكرام فهم قايمون بها كما يقوم اب بابنه الصغير والبعل بزوجته ومن تبعهم باحسان على مدا الزمان كذلك فقد قال عليه السلام لا تزال طايفة من امتى ظاهرين على الحق حتى ياتى امر الله قال بعض العلماء هم بالشام وقال بعضهم

المراد

المراد بالشام هى بيت المقدس اللهم اجعلها مقر العلماء الاعلام الى يوم القيام

هم الجبال فسل عنهم مصادمهم   ماذا رأى منهم فى كل مصطدم

هم الجبال ثباتا فى الحرب على الاستعارة واهلا كالمن مالوا عليه عند المصادمة فان شككت فى ذلك فسل من السؤال بحذف الهمزة والقاء حركتها على السين تخفيفا ومن اخذها من سال جعلها على الاصل وسل هنا بمعنى الاستكشاف يتعدى الى مفعولين احدهما بنفسه وهو مصادمهم والثانى بعن وهو الضمير فى عنهم لا جملة ماذا رأى كما قاله الزركشى والمصادمة ضرب احد الجسدين بالاخر مع نوع صلابة فيهما   بدل اشتمال من ضمير الحرب فانه يخبرك به ولا يسعه كتمه اما بلسان الحال بعد هلاكه واما بلسان القال بعد فراره فان عادة الفرسان ان يخبروا عن الاقران حيث لا يسعهم الكتمان والفضل ما شهدت به الاعداء ومن وقف على معارك الصحابة رضوان الله عليهم واطلع على مغازيهم علم صدق ثباتهم وشدة شجاعتهم وكمال فروسيتهم فلذلك على ذلك ببعض غزواتهم فقال

وسل حنينا وسل بدرا وسل احدا   فصول حتف لهم ادهى من الوخم

وسل معطوف على فسل عنهم اى وسل عنهم اهل هذه الاماكن على حذف المضاف والقرينة وجوز بعض الشراح حمل اللفظ على حقيقته بلا تقدير وجعل السؤال للمحل والجواب بلسان الحال فالاول من مجاز الحذف والثانى من الاستعارة فى تنزيل ما لا يعقل منزلة من يعقل وهو واقع فى كلامهم ومنه مخاطبة الاطلال والرسوم كما هو مقرر معلوم وحنين بالتصغير واد بين مكة والطايف بالقرب من ذى المجاز على ثلاثة اميال من مكة المشرفة قال السهيلى فى الروض الانف سمى بحنين ابن حاتم بن مهلائيل اظنه كان من العماليق وقد ذكره البكرى فى كتاب معجم ما استعجم وغزوته من الغزوات المشهورة التى باشرها النبى صلى الله عليه وسلم بنفسه واصحابه فى عام الفتح بعد فتح مكة المشرفة وتسمى غزوة هوازن وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما فرغ من فتح مكة وتمهيدها بعد ان اسلم عامتها وسلم اليه مقاليدها مشى اشراف هوازن ولصق بعضهم الى بعض وحشروا وقصدوا المحاربة للمسلمين وكان رئيسهم مالك بن عوف النضرى فخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يوم السبت لست ليال خلت من شوال فى اثنى عشر الفا من المسلمين عشرة الاف ممن شهد معه فتح مكة والفان ممن اسلم من اهل مكة وهم الطلقا ووصل صلى الله عليه وسلم الى حنين ليلة الثلاثاء لعشر ليال خلت من شوال فبعث مالك بن عوف ثلاثة نفر يأتونه بخبر النبى صلى الله عليه وسلم فرجعوا اليه وقد تفرقت اوصالهم من الرعب ووجه صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جارود الاسلمى يرصد عسكرهم فطاف به وجاء بخبرهم وفى حديث سهل بن الحنظلة عند ابى داود باسناد حسن انهم ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطنبوا السير فجاء رجل فقال انى انطلقت من بين ايديكم حتى طلعت جبل

عنهم منهم من الشدة عناد اى فى كل مصطدم المصادمة بمكان اصطدام فى الحرب صح

كذا وكذا فاذا نا انا بهوازن عن بكرة ابيهم بظعنهم ونعمهم وشايهم اجتمعوا الى حنين فتبسم
صلى الله عليه وسلم وقال تلك غنيمة للمسلمين غدًا ان شاء الله تعالى وقوله عن بكرة ابيهم كلمة
للعرب يقولونها يريدون بها الكثرة وتوفر العدد وليس هناك بكرة فى الحقيقة وهى التى يستقى
عليها الماء استعيرت هنا وقوله بظعنهم اى بنسائهم واحدها ظعينة لانها تظعن مع زوجها
حيث ما ظعن ولانها تحمل على الراحلة اذا ظعنت وقيل الظعينة المرأة فى الهودج ثم قيل للمرأة
بلا هودج والهودج بلا امرأة ظعينة انتهى وروى يونس بن بكير فى زيادة المغازى عن الربيع
قال قال رجل يوم حنين لن نغلب اليوم من قلة فشق ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم ثم ركب
صلى الله عليه وسلم بغلته البيضاء دلدل ولبس درعين والمغفر والبيضة فاستقبلهم من هوازن
ما لم يروا مثله قط من السواد والكثرة وذلك فى غبش الصبح وخرجت الكتايب من مضيق
الوادى فحملوا حملة واحدة وانكشف خيل بنى سليم مولية وتبعهم اهل مكة والناس ولم يثبت
معه صلى الله عليه وسلم يومئذ الا العباس بن عبد المطلب وعلى بن ابى طالب والفضل بن عباس
وابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وابو بكر وعمر واسامة بن زيد فى اناس من اهل بيته
واصحابه قال العباس وانا اخذ بلجام بغلته اكفها مخافة ان يصل الى العدو لانه صلى الله عليه وسلم
كان يتقدم فى نحر العدو وابو سفيان بن الحرث اخذ بركابه وجعل عليه السلام يقول للعباس
ناد يا معشر الانصار يا اصحاب السمرة يعنى شجرة بيعة الرضوان التى بايعوه تحتها ان لا يفروا
عنه فجعل ينادى يا اصحاب الشجرة وتارة يا اصحاب سورة البقرة وكان العباس رجلا صيتا
فلما سمع المسلمون نداء العباس اقبلوا كانهم الابل اذا حنت على اولادها وفى رواية لمسلم قال
العباس فوالله كان عطفتهم حين سمعوا صوتى عطفة البقر على اولادها يقولون يا لبيك
يا لبيك يا لبيك فتراجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ان الرجل منهم اذا لم يطاوعه
بعيره على الرجوع انحدر عنه وارسله ورجع بنفسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرهم عليه
السلام ان يصدقوا الحملة فاقتتلوا مع الكفار فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم
ينظر قتالهم فقال الان حمى الوطيس وهو التنور يخبز فيه يضرب به مثلا لشدة الحرب يشبه حرها
بحره وهذا من فصيح الكلام الذى لم يسمع من احد قبل النبى صلى الله عليه وسلم وتناول صلى الله
عليه وسلم حصيات من الارض ثم قال شاهت الوجوه اى قبحت ورمى بها فى وجوه المشركين فما
خلق الله منهم انسانا الا املاء عينه من تلك القبضة وفى رواية لمسلم قبضة من تراب فيحتمل
ان يكون رمى بذا مرة وبالاخرى اخرى ويحتمل ان يكون اخذ قبضة واحدة مخلوطة من حصى
وتراب ولاحمد والحاكم من حديث ابن مسعود فحادت به صلى الله عليه وسلم بغلته فمال السرج
فقلت ارتفع رفعك الله فقال ناولنى كفا من تراب فضرب وجوههم وامتلات اعينهم ترابا
وجاء المهاجرون والانصار سيوفهم بايمانهم كانها الشهب فولى المشركون الادبار وسل بدرا

هو

هو موضع ما بين مكة والمدينة وبه قرية مشهورة نسبة الى بدر بن مخلد بن النضر بن كنانة
كان نزلها وقيل بدر بن الحارث حافر بيرها وقيل بدر اسم البير التى بها سميت به لاستدارتها
او لصفاء مائها ورؤية البدر فيها قال ابن كثير وهو يوم الفرقان الذى اعز الله فيه الاسلام واهله
ودمغ فيه الشرك وحزبه ومحله وهذا مع قلة عدد المسلمين وكثرة العدو مع ما كانوا فيه من
سوابغ الحديد والعدة الكاملة والخيول المسومة والخيلاء الزايد اعز الله رسوله واظهر
وحيه وتنزيله وبيض وجه النبى صلى الله عليه وسلم وقبيله واخزى الشيطان وجيله ولهذا قال
تعالى ممتنا على عباده المؤمنين ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة اى قليل عددكم لتعلموا
ان النصر انما هو من عند الله لا بكثرة العَدد والعِدد انتهى وقد كانت هذه الغزوة من اعظم
غزوات الاسلام اظهر الله فيها المسلمين واعلى اعلامهم واخزى المشركين ونكس مقامهم وكان
خروجهم فى يوم السبت لثنتى عشرة خلت من رمضان على راس تسعة عشر شهرا ويقال لثمان
خلون منه قال ابن هشام واستخلف ابا لبابة الانصارى وخرج معه الانصار ولم تكن قبل
ذلك خرجت معه وكان عدة من خرج معه ثلثمائة وخمسة وثمانية لم يحضروها انما ضرب
لهم بسهمهم واجرهم فكانوا كمن حضرها وقد ذكرهم ابن الجوزى فى كتابه المدهش فى الفصل
الخامس والعشرين مرتبين على حروف المعجم وذكر تلك القصة باختصار حيث قال
لما بلّغ بدر الشريعة بالخروج الى بدر رأى فى اصحابه قلة فارتقى قُلّة وشاورهم فى الامر فقام المقداد
عن قومه قومة لحق متابعة المبايعة فقال لو سرت الى برك الغماد لتابعناك فما برح الرسول
ان صار يطلب بالخطاب الانصار ففطن لسعادته سعد بن معاذ فقال لو خضت البحر
لخضنا فرأى المصطفى فى الاعداء العَدَد والعِدَد والتفت الى المسلمين فوجد اذا ما وجد فاستقبل
قبلة الطلب واقتضى كريما ما مطل فانتدب مدد العون بلا دعون فاقبلت سحابة تسحب
ذيل النصر فسمع المشركون منها حمحمة الخيل فمحوا وانقلبت قلوبهم من نحوها فنزلت الملائكة
مع الغيث جبريل فى الغين وميكائيل فى الغين واسرى اسرافيل فى الف من دونهم فعدلوا
كالغمايم قد سدلوا العمايم وارسلت قريش رايدا فعاد بتباشير سالفى تحدر القوم العزل
سهام العزايم فاتت عتبة عتبه وكاد يشيب خوفا شنيبه واحكم حزام الحزم حكيم بن حزام
وابى الجهل ابو جهل فلزمهم الطراد الى قتال احد سلم صهم فيه الفواد مضوا متسابقى الاعضاء
فيه لاجلهم بارسهم عثار فلما قليبوا الى القليب قام الرسول على راس الروس ينادى
الروساء حين رسوا بلسانه فانتقمنا عن جواب ان تستفتحوا التصديق وبنصرك الله
فى مضمون يا فلان ويا فلان هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ثم ذكر عدد اهل بدر فليراجع
وكان معهم ثلاثة افراس مسرجة لم يكن لهم يومئذ غيرها وكان المشركون الفا ويقال تسعمائة
وخمسون رجلا معهم مائة فرس وسبعمائة بعير وكان قتالهم يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من

رمضان وقيل يوم الاثنين وقيل غير ذلك وكانت من غير قصد من المسلمين اليها ولا
ميعاد كما قال تعا ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله امرًا كان مفعولا وكان
قصده صلى الله عليه وسلم التعرض لعير قريش وذلك ان ابا سفيان كان بالشام في ثلاثين
راكبا منهم عمرو بن العاص واقبلوا في قافلة عظيمة فيها اموال قريش حتى اذا كانوا قريبا من
بدر بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فندب اصحابه اليهم واخبرهم بكثرة المال وقلة العدد وقال
هذه عير لقريش فيها اموال فاخرجوا اليهم لعل الله ان ينفلكموها فلما سمع ابو سفيان
مسيرة عليه السلام استأجر ضمضم بن عمرو الغفاري ان ياتي قريشا بمكة فيستنفرهم ويخبرهم
ان محمدا قد عرض لعيرهم في اصحابه فنهضوا في قريب من الف مقنع ولم يتخلف احد من
اشراف قريش الا ابو لهب وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة وخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم في اصحابه حتى بلغ الروحا فاتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عن عيرهم
فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم الناس في طلب العير وحرب النفير وقال ان الله وعدكم
احد الطايفتين اما العير واما قريش وكانت العير احب اليهم فقام ابو بكر رضي الله عنه فقال
فاحسن ثم قام عمر فقال فاحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله امض
لما امرك الله فنحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنوا اسرائيل لموسى اذهب انت وربك
فقاتلا انا ها هنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فو الذي
بعثك بالحق لو سرت بنا برك الغماد يعني مدينة الحبشة لجادلنا معك من دونه حتى نبلغه
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له بخير ثم قال عليه السلام ايها الناس واغا يريد
الانصار لانهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يا رسول الله انا براء من ذمامك حتى تصل الينا دارنا
فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك بما نمنع منه انفسنا وابناءنا ونساءنا وكان
صلى الله عليه وسلم يتخوف ان لا تكون الانصار ترى عليهم نصرته الا من دهمه بالمدينة من عدوهم
وان ليس عليهم ان يسير بهم الى عدو من بلادهم فلما قال ذلك عليه الصلوة والسلام قال
له سعد بن معاذ والله لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد امنا بك وصدقناك
وشهدنا ان ما جيت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة
فامض يا رسول الله لما اردت فو الذي بعثك بالحق لو استعرضتنا هذا البحر فخضته لخضناه
معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان نلقى عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقا
ولعل الله يريك منا ما تقربه عينك فسر بنا على بركة الله تعا فسر عليه السلام بقول سعد
وبسطه ذلك ثم قال سيروا على بركة الله تعا وابشروا فان الله وعدني احد الطايفتين والله
لكاني انظر الان الى مصارع القوم قال ثابت عن انس قال عليه السلام هذا مصرع فلان
ويضع يده على الارض ههنا وههنا قال فما ماط احدهم اي ما تنحى عن موضع يده عليه الصلوة

والسلام

والسلام ثم ارتحل عليه الصلوة والسلام قريبا من بدر ونزل قريش بالعدوة القصوى
من الوادي ونزل المسلمون على كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام وحوافر الدواب وسبقهم المشركون
الى ماء بدر فاحرزوه وحفروا القلب لانفسهم واصبح المسلمون بعضهم محدث وبعضهم
جنب واصابهم الظما وهم لا يصلون الى الماء ووسوس الشيطان لبعضهم قال تزعمون
انكم على الحق وفيكم نبي الله وانتم اولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء وانتم عطاش
وتصلون محدثين مجنبين وما ينتظر اعداكم الا ان يقطع العطش رقابكم وتذهب قواكم
فيتحكموا فيكم كيف شاؤا فارسل الله عليهم مطرا سال منه الوادي فشرب المسلمون واغتسلوا
وتوضوا وسقوا الركاب وملوا الاسقيه واطفا الغبار ولبد الارض حتى ثبتت عليها
الاقدام وزالت عنهم وسوسة الشيطان وطابت انفسهم فذلك قوله تعا وينزل عليكم
من السماء ماء ليطهركم به اي من الاحداث والجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان اي وسوسته
وليربط على قلوبكم بالصبر ويثبت به الاقدام حتى لا تسوخ في الرمل بتلبيد الارض وبني
لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريش فكان فيه ثم خرج عتبة بن ربيعة بين اخيه شيبة
ابن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة ودعا الى المبارزة فخرج اليه فتية من الانصار وهما عوف
ومعاذ ابناء الحارث وعبد الله بن رواحة فقالوا من انتم فقالوا رهط من الانصار فقالوا
ما لنا بكم من حاجة ثم نادى مناديهم يا محمد اخرج الينا اكفاءنا من قومنا فقال صلى الله عليه
وسلم قم يا عبيدة بن الحارث قم يا حمزة قم يا علي فلما قاموا ودنوا منهم قالوا من انتم فتسموا
لهم قالوا نعم اكفاء كرام فبارز عبيدة وكان اسن القوم عتبة بن ربيعة وبارز حمزة شيبة
بن ربيعة وبارز علي الوليد بن عتبة كذا ذكره ابن اسحاق وفي فتح الباري بارز حمزة لعتبة
وعبيدة لشيبة وعلي للوليد ثم اتفقا فقتل علي الوليد وقتل حمزة الذي بارزه واختلف عبيدة
ومن بارزه بضربتين فوقعت الضربة في ركبة عبيدة ومال حمزة وعلي على الذي بارز عبيدة
فاعاناه على قتله قال ابن اسحاق ثم تزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض ورسول الله
صلى الله عليه وسلم في العريش ومعه ابو بكر ليس معه غيره وهو عليه السلام يناشد ربه
ما وعده من النصر ويقول اللهم ان تهلك هذه العصابة من اهل الايمان اليوم فلا تعبد
في الارض ابدا وابو بكر يقول يا رسول الله خل بعض مناشدتك ربك فان الله منجز
لك ما وعدك وفي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوم بدر في العريش
مع الصديق اخذت رسول الله سنة من النوم ثم استيقظ متبسما فقال ابشر يا ابا بكر
هذا جبريل على ثناياه النقع ثم خرج من باب العريش وهو يتلو سيهزم الجمع ويولون
الدبر وللسهيلي كلام في امر ابي بكر له بالكف عن الاجتهاد في الدعا محصله ان ابا بكر
رضي الله عنه بنى امره على الرجا والنبي صلى الله عليه وسلم بنى امره على الخوف وفي صحيح مسلم

عن ابن عباس قال عمر بن الخطاب لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى المشركين وهم الف واصحابه ثلثمائة وبضع عشر رجلا ودخل العريش فاستقبل القبلة
ومد يديه وجعل يهتف بربه اللهم انجز لى ما وعدتنى فما زال يهتف بربه مادا يديه حتى سقط
رداؤه عن منكبيه فاخذ ابو بكر رداءه فالقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يا رسول الله
كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فانزل الله تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب
لكم انى ممدكم بالف من الملائكة مردفين عن ابن عباس جاء ابليس يوم بدر فى جند من
الشياطين معه راية فى صورة سراقة بن مالك فقال الشيطان للمشركين لا غالب لكم اليوم من
الناس وانى جار لكم فلما اقبل جبرئيل والملائكة كانت يده فى يد رجل من المشركين فانتزع
يده ثم نكص على عقبيه فقال الرجل يا سراقة اتزعم انك لنا جار فقال انى ارى ما لا ترون
انى اخاف الله والله شديد العقاب روى ان جبرئيل نزل فى خمسمائة وميكائيل فى خمسمائة
فى صورة الرجال على خيل بلق عليهم ثياب بيض وعلى رؤسهم عمائم بيض قد ارخوا اطرافها
بين اكتافهم قال ابن عباس كانت سيماء الملائكة يوم بدر عمائم خضر قالوا ولم تقاتل
الملائكة سوى يوم بدر ورده النووى بان الملائكة قاتلت يوم حنين ايضا قال وهذا
هو الصواب خلافا لمن زعم اختصاصه ولما التقى الجمعان تناول رسول الله صلى الله عليه
وسلم كفا من الحصى فرمى به فى وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا دخل
فى عينيه ومنخريه منها شيئ فانهزموا وقتل الله من قتل من صناديد قريش واسر من اسر
من اشرافهم قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم فى قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى
قال هذا يوم بدر اخذ صلى الله عليه وسلم ثلاث حصيات فرمى بحصاة فى ميمنة القوم وبحصاة
فى ميسرة القوم وبحصاة بين اظهرهم وقال شاهت الوجوه فانهزموا وعن عروة بن الزبير
عن عائشة امر صلى الله عليه وسلم بالقتلى ان يطرحوا الى القليب فطرحوا فيه الا ما كان من
امية بن خلف فانه انتفخ فى درعه فملاها فالقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة والقوا
فى القليب ولم يدفنوا لانه صلى الله عليه وسلم كره ان يشق على اصحابه لكثرة جيف الكفار ان يامرهم
بدفنهم فكان جرهم الى القليب ايسر عليهم وقال الطبرانى عن انس بن مالك قال انشا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحدثنا عن اهل بدر يقول هذا مصرع فلان غدا ان شاء الله تعالى قال عمر
فوالذى بعثه بالحق ما اخطاء الحدود التى حدها صلى الله عليه وسلم حتى انتهى اليهم فقال
يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله
حقا فانى وجدت الله حقا وفى رواية فنادى يا عتبة بن ربيعة ويا شيبة بن ربيعة ويا امية بن
خلف ويا ابا جهل بن هشام وامية كان قريبا من القليب فاعطى حكم من فيه من المناداه
وقال ابن اسحاق حدثنى بعض اهل العلم انه عليه الصلوة والسلام قال يا اهل القليب بئس العشيرة

كنتم كذبتمونى وصدقنى الناس فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه يا رسول الله كيف
تكلم اجسادا لا ارواح فيها قال ما انتم باسمع لما اقول منهم غير انهم لا يستطيعون
ان يردوا شيئا وقتل من المشركين يومئذ سبعون واسر سبعون وكان من افضلهم
العباس بن عبد المطلب وعقيل بن ابى طالب ونوفل بن الحارث بن المطلب وكان اسلم
وشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وثاق الاسرى ولما شد وثاق العباس جعل يان
فسمعه النبى صلى الله عليه وسلم فلم ياخذه النوم فبلغ الانصار فاطلقوا العباس وكانهم
فهموا رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بفك وثاقه وسالوه ان يتركوا له الفدا طلبا لتمام
رضاه فلم يجبهم وعند الامام احمد فى حديث انس استشار عليه الصلوة والسلام الناس
فى الاسارى يوم بدر فقال ان الله قد امكنكم منهم فقام عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله
اضرب اعناقهم فاعرض عنه عليه الصلوة والسلام ثم عاد صلى الله عليه وسلم فقال
يا ايها الناس ان الله قد امكنكم منهم فقال عمر يا رسول الله نضرب اعناقهم فاعرض عنه
عليه السلام فعل ذلك ثلاثا فقام ابو بكر فقال يا رسول الله ان تعفو عنهم وان
تقبل منهم الفدا فذهب من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان من الغم فعفا
وقبل منهم الفدا وانزل الله تعالى لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم
فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا الاية واخرج ابن اسحاق من حديث ابن عباس انه صلى الله
عليه وسلم قال يا عباس افد نفسك وابنى اخيك عقيل بن ابى طالب ونوفل بن الحارث
وحليفك عتبة بن عمرو قال انى كنت مسلما ولكن القوم استكرهونى قال الله اعلم بما
تقول لئن يك ما تقول حقا فان الله يجزيك ولكن ظاهر امرك انك كنت علينا وكان
العباس فيما قاله اهل العلم بالتاريخ قد اسلم قديما وكان يكتم اسلامه وخرج مع
المشركين يوم بدر فقال النبى صلى الله عليه وسلم من لقى العباس فلا يقتله فانه
خرج مستكرها ففادى نفسه ورجع الى مكة وقيل انه اسلم يوم بدر فاستقبل النبى صلى الله
عليه وسلم يوم الفتح بالابوا وكان معه حين فتح مكة وقيل اسلم يوم فتح خيبر وقيل
كان يكتم اسلامه واظهره يوم فتح مكة وكان اسلامه قبل بدر وكان يكتب باخبار
المشركين الى النبى صلى الله عليه وسلم وكان يحب القدوم على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فكتب اليه عليه الصلوة والسلام ان مقامك بمكة خير لك وقيل سبب اسلامه
انه خرج لبدر بعشرين اوقية من ذهب ليطعم بها المشركين فاخذت منه فى الحرب
فكلم النبى صلى الله عليه وسلم ان يحسب العشرين اوقية من فدايه فابى وقال اما شيئ
خرجت تستعين به علينا فلا نتركه لك فقال العباس تركتنى اتكفف قريشا فقال
له عليه الصلوة والسلام فاين الذهب الذى دفعته الى ام الفضل وقت خروجك

من مكة فقال العباس وما يدريك فقال اخبرني ربي فقال اشهد انك صادق فان هذا لم يطلع
عليه الا الله وانا اشهد ان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله وذكر موسى بن عقبة ان فداهم كان
اربعين اوقية ذهبا وعند ابي نعيم في الدلايل باسناد حسن من حديث ابن عباس انه جعل على
العباس مائة اوقية وعلى عقيل ثمانين فقال له العباس للقرابة صنعت هذا فانزل الله تعالى يا ايها
النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى ان يعلم الله الآية فقال العباس وددت لو كنت اخذ مني اضعافها
لقوله تعالى يؤتكم خيرا مما اخذ منكم وقد استقر الحكم في الاسارى عند الجمهور من العلماء ان الامام
مخير فيهم ان شاء قتل كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ببني قريظة وان شاء فادى كما فعل باسارى
بدر وان شاء استرق فواسى هذا مذهب الشافعي فطايفة من العلماء وفي المسئلة خلاف
مقرر في كتب الفقه وكان قد استشهد يوم بدر من المسلمين اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين
وثمانية من الانصار ستة من الخزرج واثنان من الاوس ولا يقدح ذلك في وعد الله تعالى نبيه
بالنصر فقد انجز الله وعده وغلب المسلمون على المشركين كما قررناه ورفع الله تعالى مقام من
استشهد ومن شهد بدرا ولا حرج عليهم فيما فعلوه بعد ذلك وقبله

• ليهن ركبا سروا ليلا وانت بهم • فسيرهم في صباح منك بتلج •
• فليصنع الركب ما شاؤا لانفسهم • هم اهل بدر فلا يخشون من حرج •

ولما قدم ابو سفيان بن الحارث من بدر لمكة سأله ابو لهب عن خبر قريش فقال ما هو الا
ان لقينا القوم منحناهم اكتافنا يقتلوننا كيف شاؤا ويأسروننا كيف شاؤا وايم الله
مع ذلك ما لمت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض والله لا يقوم لها
شيء قال ابو رافع مولى رسول الله وكان غلاما للعباس بن عبد المطلب قال وكان
الاسلام قد دخلنا فقلت له والله تلك الملائكة فرفع ابو لهب يده فضربني في وجهي
ضربة فقامت ام الفضل الى عود فضربت به رأس ابي لهب وقالت استضعفته ان غاب
عنه سيده قال فوالله ما عاش الا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة وهي قرحة كانت العرب
تتشاءم بها وقيل انها تعدي اشد العدوى فتباعد عنه بنوه حتى قتله الله وبقي بعد موته ثلاثا
لا تقرب جنازته ولا يحاول دفنه فلما خافوا السبة في تركه حفروا له ثم دفعوه بعود في
حفرته وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه وقال ابن عقبة اقام النوح على قتلى قريش
شهرا وسل احدا احد الجبل المعروف بالمدينة على اقل من فرسخ منها سمي بهذا الاسم لتوحده
وانقطاعه عن جبال اخر هناك ويقال له ذو عينين بكسر العين وفتحها مثنى كما قاله
في القاموس وهو الجبل الذي قال فيه عليه الصلوة والسلام احد جبل يحبنا ونحبه وللعلماء
في معنى هذا الحديث اقوال قيل اراد اهله وهم الانصار وقيل اراد انه كان يبشره اذا رآه
عند القدوم من اسفاره بالقرب من اهله ولقائهم وذلك فعل المحب وقيل بل حبه حقيقة

وضع

وضع الحب فيه كما وضع التسبيح في الجبال المسبحة مع داود وكما وضعت الخشية في
الحجارة التي قال الله فيها لما يهبط من خشية الله وفي الآثار المسندة ان احدا يوم القيمة عند
باب الجنة من داخلها وفي بعضها انه ركن من اركان الجنة ذكره ابن سلام في تفسيره وفي
المسند من طريق ابن عيسى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال احد يحبنا ونحبه وهو
على باب الجنة قال وعير يبغضنا ونبغضه وهو على باب من ابواب النار ويقويه قوله عليه
السلام المرء مع من احب مع قوله يحبنا ونحبه فتناسبت هذه الآثار وشد بعضها بعضا
قال السهيلي وقد كان عليه السلام يحب الاسم الحسن ولا احسن من اسم مشتق من
الاحدية وقد سمى الله تعالى هذا الجبل بهذا الاسم تقدمة لما اراده الله تعالى من مشاكلة اسمه
لمعناه واهله وهم الانصار نصروا التوحيد والمبعوث بدين التوحيد عنده استقر حيا
وميتا وكان من عادته عليه السلام ومقاصده في اسماء البقاع واسماء الناس وذلك
لا يحصى كثرة واسم هذا الجبل من اوفق الاسماء له ومع انه مشتق من الاحدية فحركات حروفه
الرفع وذلك يشعر بارتفاع دين الاحد وعلوه فتعلق الحب من النبي عليه السلام به اسما
ومسمى فخص من بين الجبال بان يكون معه في الجنة اذا بست الجبال بسا فكانت هباء منبثا
وفي احد قبر هرون اخي موسى عليهما السلام وكانا قد مرا باحد حاجين او معتمرين وكانت
عنده الوقعة المشهورة في شوال سنة ثلاث بالاتفاق يوم السبت لاحدى عشرة ليلة
خلت منه وقيل لسبع ليال خلون منه وقيل في نصفه وعن مالك بعد بدر بسنة وعنه
ايضا كانت على احد وثلاثين شهرا من الهجرة وكان سببها كما ذكره ابن اسحاق عن
شيوخه وموسى بن عقبة عن ابن شهاب وابو الاسود عن عروة وابو سعد قالوا
او من قال منهم ما حاصله ان قريشا لما رجعوا من بدر الى مكة وقد اصيب اصحاب
القليب ورجع ابو سفيان بعيره قال عبد الله بن ابي ربيعة وعكرمة بن ابي جهل
في جماعة ممن اصيب اباؤهم واخوانهم وابناؤهم يوم بدر يا معشر قريش ان محمدا قد
وتركم وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال على حربه يعنون عير ابي سفيان ومن
كانت له في تلك العير تجارة لعلنا ان ندرك منه ثارا فاجابوا لذلك فباعوها وكانت
الف بعير والمال خمسين الف دينار وفيهم كما قال ابن اسحاق وغيره انزل الله تعالى ان
الذين ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون
واجتمعت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بجنودهم وسار بهم ابو سفيان
حتى نزل ببطن الوادي من قبل احد مقابل المدينة وكان رجال من المسلمين اسفوا
على ما فاتهم من مشهد بدر واري رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجمعة رؤيا فلما
اصبح قال اني والله قد رايت خيرا رايت بقرا تذبح ورايت في ذباب سيفي ثلما ورايت

انى ادخلت يدى فى درع حصينة فأمّا البقر فناس من اصحابى واما الثلم الذى اريت فى سيفى
فهو رجل من اهل بيتى يقتل وقال ابن عقبه ويقول رجال كان الذى بسيفه ما قد اصاب وجهه
الشريف صلى الله عليه وسلم يومئذ وكسروا رباعيته وجرحوا شفته وفى رواية وقال عليه السلام
واوّلت الدرع الحصينة المدينة فامكثوا فان دخل القوم الازقة قاتلناهم ورموا من فوق
البيوت فقال اولئك القوم يا رسول الله كنا نتمنى هذا اليوم اخرج بنا الى اعدائنا لا يرون
انا جبنا عنهم فصلى صلى الله عليه وسلم الجمعة ثم وعظهم وأمرهم بالجد والاجتهاد واخبرهم
ان لهم النصر ما صبروا وأمرهم بالتهيؤ لعدوهم ففرح الناس لذلك ثم صلى بالناس العصر وقد
حشروا وحضر اهل العوالى ثم دخل عليه الصلوة والسلام بيته ومعه صاحباه ابو بكر وعمر رضى الله
عنهما فعمماه والبساه وصف الناس ينتظرون خروجه صلى الله عليه وسلم فقال لهم سعد بن
معاذ واسيد بن حضير استكرهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخروج فردوا الامر اليه
فخرج صلى الله عليه وسلم وقد لبس لامته وهى بالهمزة وقد تترك تخفيفا الدرع وتقلد سيفه
فندموا جميعا على ما صنعوا فقالوا ما كان لنا ان نخالفك فاصنع ما شئت فقال ما
ينبغى لنبى اذا لبس لامته ان يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه وعقد عليه الصلوة
والسلام ثلاثة الوية لواء بيد اسيد بن الحضير ولواء المهاجرين بيد على بن ابى طالب وقيل
بيد مصعب بن عمير ولواء الخزرج بيد الحباب بن المنذر وقيل بيد سعد بن عباده وفى المسلمين
مائة دارع وخرج السعدان امامه يعدوان سعد بن معاذ وسعد بن عباده دارعين واستعمل
على المدينة ابن ام مكتوم وعلى الحرس تلك الليلة محمد بن مسلمة وادلج عليه الصلوة والسلام فى السحر
وكان قد رد جماعة من المسلمين لصغرهم منهم اسامه وابن عمر وزيد بن ثابت وابو سعيد
الخدرى والنعمان بن بشير وكان المسلمون الف رجل ويقال تسعمائة وللمشركون ثلاثة الاف
رجل منهم سبعمائة دارع فرس وثلاثة الاف بعير وخمس عشرة امراة ونزل عليه الصلوة والسلام
باحد ورجع عنه عبد الله بن ابىّ فى ثلثمائة ممن تبعه من قومه من اهل النفاق ويقال ان النبى
صلى الله عليه وسلم أمرهم بالانصراف لكفرهم بمكان يقال له الشوط ويقال باحد ثم صف المسلمون
باصل احد وصف المشركون بالسبخة قال ابن عقبه وكان على ميمنة خيل المشركين خالد بن
الوليد وعلى ميسرتها عكرمة بن ابى جهل وجعل صلى الله عليه وسلم على الرماة وهم خمسون
رجلا عبد الله بن جبير وقال ان رايتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى ارسل
اليكم وان رايتمونا هزمنا القوم واوطأناهم فلا تبرحوا حتى ارسل اليكم كذا فى البخارى من حديث
البراء وفى حديث ابن عباس عند احمد والطبرانى والحاكم انه صلى الله عليه وسلم اقامهم فى موضع
ثم قال احموا ظهورنا واذا رايتمونا نقتل فلا تنصرونا وان رايتمونا قد غنمنا فلا تشركونا قال
ابن اسحق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأخذ هذا السيف بحقه فقام اليه رجال

فامسكه

فامسكه عليهم حتى قام اليه ابو دجانه فقال وما حقه يا رسول الله قال ان تضرب به فى وجه
العدو حتى ينحنى قال انا اخذه بحقه يا رسول الله فاعطاه اياه وكان رجلا شجاعا يختال عند
الحرب فلما رآه عليه الصلوة والسلام يتبختر قال ان هذه لمشية يبغضها الله الا فى مثل هذا
الموطن قال الزبير بن العوام فيما قاله ابن هشام فقلت والله لانظرن ما يصنع ابو دجانه
فاتبعته فاخذ عصابة له حمراء فعصب بها رأسه فقالت الانصار اخرج عصابة الموت فخرج وهو يقول

انا الذى عاهدنى خليلى • ونحن بالسفح لدى النخيل •
ان لا اقوم الدهر فى الكيول • اضرب بسيف الله والرسول •

فجعل لا يلقاه احد من المشركين الا قتله وقوله فى الكيول بفتح الكاف وتشديد المثناة التحتية
مؤخر الصفوف وهو فيعول من كال الزند يكيل كيلا اذا خبا ولم يخرج نارا فشبه مؤخر الصفوف
به لان من كان فيه لا يقاتل وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل ارطاة بن شرحبيل بن هاشم
ابن عبد مناف والتقى حنظلة الغسيل وابو سفيان فضربه شداد بن اوس فقتله فقال صلى الله
عليه وسلم ان حنظلة لتغسله الملائكة فسألوا امرأته جميلة اخت عبد الله بن ابى فقالت
خرج وهو جنب فقال عليه الصلوة والسلام لذلك غسلته الملائكة وبذلك تمسك من
قال من العلماء ان الشهيد يغسل اذا كان جنبا وقتل طلحة بن ابى طلحة صاحب لواء المشركين
ثم حمل لواءهم عثمان بن ابى طلحة فحمل عليه حمزة فقطع يده وكتفه ثم انزل الله نصره على المسلمين
فحسوا الكفار بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر وكانت الهزيمة فولى الكفار لا يلوون على
شيء ونساؤهم يدعون بالويل وتبعهم المسلمون حتى اجهضوهم ووقعوا ينتهبون العسكر
ويأخذون ما فيه من الغنائم وفى البخارى قال البراء فقال اصحاب عبد الله بن جبير اى
قوم الغنيمة ظهر اصحابكم فما تنتظرون فقال عبد الله بن جبير انسيتم ما قال لكم رسول الله
صلى الله عليه وسلم قالوا والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة فلما اتوهم صرفت
ابصارهم فاقبلوا منهزمين وفى حديث عايشة عند البخارى ايضا لما كان يوم احد هزم
المشركون هزيمة بينة فصاح ابليس اى عباد الله اخراكم فرجعت اولاهم فاجتلدت مع اخراهم
وعند احمد والحاكم فى حديث ابن عباس انهم لما رجعوا اختلطوا بالمشركين والتبس العسكر
ان فلم يتميزوا فوقع القتل فى المسلمين بعضهم من بعض وفى رواية غيرهما ونظر خالد بن
الوليد الى خلو الجبل وقلة اهله فكر بالخيل وتبعه عكرمة بن ابى جهل فحملوا على من بقى من النفر
الرماة فقتلوهم واميرهم عبد الله بن جبير وفى البخارى انهم لما اصطفوا للقتال خرج سباع
فقال هل من مبارز فخرج اليه حمزة بن عبد المطلب فشد عليه فكان كامس الذاهب وكان
وحشى كامنا تحت صخرة فلما دنا منه رماه بحربة حتى خرجت من بين وركيه فكان آخر
العهد به انتهى وكان مصعب بن عمير قاتل دون رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل وكان

الذى قتله ابن قميه وهو يظنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاح ابن قميه ان محمدا قتل
ويقال كان ذلك القائل ابليس وقال قائل اى عباد الله اخراكم اى احترزوا من جهة اخراكم
فعطف المسلمون يقتل بعضهم بعضا وهم لا يشعرون وانهزمت الطايفة منهم الى جهة المدينة
وتفرق سايرهم ووقع فيهم القتل وقال موسى بن عقبه ولما فقد عليه الصلوة والسلام قال
رجل منهم ان رسول الله قد قتل فارجعوا الى قومكم يؤمنوكم قبل ان ياتوكم فيقتلوكم فانهم داخلوا
البيوت وقال رجال منهم ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل افلا تقاتلون على دينكم
وعلى ما كان عليه نبيكم حتى تلقون الله عز وجل شهيدا منهم انس بن مالك بن النضر شهد له
بها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى انكشفوا وثبت معه من اصحابه اربعة عشر رجلا سبعة من المهاجرين منهم ابو بكر الصديق
وسبعة من الانصار وفى البخارى لم يبق معه صلى الله عليه وسلم الا اثنى عشر رجلا فاصابوا
منا سبعين فقال ابو سفيان افى القوم محمد ثلاث مرات فنهاهم النبى صلى الله عليه وسلم
ان يجيبوه ثم قال افى القوم ابن ابى قحافة ثلاث مرات ثم قال افى القوم ابن الخطاب ثلاث
مرات ثم رجع الى اصحابه فقال اما هؤلاء فقد قتلوا فما ملكت عمر نفسه فقال كذبت يا عدو الله
ان الذى عددت لاحياء كلهم وقد بقى لك ما يسوءك قال يوم بيوم والحرب سجال وتوجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتمس اصحابه فاستقبله المشركون فرموا وجهه فادموه و
كسروا رباعيته والذى جرح وجهه الشريف عبد الله بن قميه وعتبه بن ابى وقاص اخو سعد
هو الذى كسر رباعيته ومن ثم لم يولد من نسله ولد فبلغ الحنث الا وهو ابخر او اهتم اى مكسور الثنايا
من اصلها يعرف ذلك فى عقبه وقال ابن هشام فى حديث ابى سعيد الخدرى ان عقبة بن
ابى وقاص رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم كسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى
وان عبد الله بن هشام الزهرى شجه فى جبهته وان ابن قمية جرح وجنته فدخلت حلقتان
من المغفر فى وجنته ووقع صلى الله عليه وسلم فى حفرة من الحفر التى كان ابو عامر الفاسق يكيد
بها المسلمين وفى رواية وهشموا البيضة على راسه اى كسروا الخوذة ورموه بالحجارة حتى سقط
بشقه فى حفرة من الحفر التى حفرها ابو عامر فاخذ على بيده واحتضنه طلحة بن عبد الله حتى
استوى قائما ونشبت حلقتا من المغفر فى وجهه فانتزعهما ابو عبيدة بن الجراح وعض
عليها حتى سقطت ثنيتاه من شدة غوصها فى وجهه وامتص مالك بن سفيان الدم
من وجنته ثم ازدرده فقال عليه الصلوة والسلام من مس دمى دمه لم تصبه النار وفى الطبرانى
من حديث ابى امامة قال رمى عبد الله بن قمية رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد فشج فى
وجهه وكسر رباعيته فقال خذها وانا ابن قميه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يمسح
الدم عن وجهه اقماك الله فسلط الله عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة

وروى

وروى ابن اسحاق عن حميد الطويل عن انس قال كسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم يوم احد وشج
وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسحه ويقول كيف تفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو
يدعوهم الى ربهم فانزل الله تعالى ليس لك من الامر شئ او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون رواه
احمد والترمذى والنسائى من طرق عن حميد وعن ابن عامر من طريق الاوزاعى بلغنا انه لما جرح
صلى الله عليه وسلم اخذ شيئا فجعل ينشف به دمه وقال لو وقع منه شئ على الارض لنزل عليهم
العذاب من السماء ثم قال اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون وروى عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى
قال ضرب وجه النبى صلى الله عليه وسلم يومئذ بالسيف سبعين ضربة وقاه الله شرها كلها قال فى فتح
البارى وهذا مرسل قوى ويحتمل ان يكون اراد بالسبعين حقيقتها او المبالغة انتهى وقاتلت
ام عماره نسيبه بنت كعب المازنيه يوم احد فيما قاله ابن هشام فخرجت اول النهار حتى انتهت
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت قمت اباشر القتال واذب عنه بالسيف وارمى عن القوس
حتى حصلت الجراحة التى اصابتنى من ابن قميه اقماه الله تعالى لما ولى الناس عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم اقبل يقول دلونى على محمد فلا نجوت ان نجا فاعترضت له فضربنى هذه الضربة ولكن
ضربته ضربات على ذلك ولكن عدو الله عليه درعان قالت ام سعد بنت الربيع فرايت على عاتقها
جرحا اجوف له غور وترس دون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قاله ابن اسحاق ابو دجانة
بنفسه يقع النبل فى ظهره وهو منحنى عليه حتى كثر عليه النبل وهو لا يتحرك ورمى سعد بن ابى
وقاص دون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سعد فلقد رايته يناولنى النبل ويقول ارم فداك
ابى وامى حتى انه ليناولنى السهم ماله نصل فيقول ارم به واصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان
حتى وقعت على وجنته فاتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذها رسول الله صلى الله
عليه وسلم بيده وردها الى موضعها وقال اللهم اكسه جمالا فكانت احسن عينيه واحدهما نظرا
رواه الدارقطنى بنحوه وانقطع سيف عبد الله بن جحش فاعطاه صلى الله عليه وسلم عرجونا
فعاد فى يده سيفا فقاتل به وكان لذلك السيف يسمى العرجون ولم يزل يتوارث حتى بيع من
بغا التركى من امراء المعتصم بالله فى بغداد بمائتى دينار واستقبل المشركون لمقتلى المسلمين يمثلون
بهم يقطعون الاذان والانوف والفروج ويبقرون البطون وهم يظنون انهم اصابوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم واشراف اصحابه وكان اول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن
مالك قال عرفت عينيه تزهران من تحت المغفر فنادى باعلى صوته يا معشر المسلمين هذا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما عرفوه نهضوا ونهض معهم نحو الشعب معه ابو بكر وعمر وعلى ورهط
من المسلمين فلما استند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشعب ادركه ابى بن خلف وهو يقول
اين محمد لا نجوت ان نجا فقالوا يا رسول الله يعطف عليه رجل منا فقال صلى الله عليه وسلم دعوه فلما
دنا تناول صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة فلما اخذها عليه الصلوة والسلام انتفض

بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعر عن البعير اذا انتفض ثم استقبله عليه الصلوة والسلام
فطعنه طعنة وقع بها عن فرسه ولم يخرج له دم فكسر ضلعا من اضلاعه فلما رجع الى قريش
قال قتلني والله محمد اليس قد كان قال لي بمكة انا اقتلك فوالله لو بصق علي لقتلني فمات عدو الله
وهم قافلون الى مكة ولما انتهى صلى الله عليه وسلم الى فم الشعب ملا علي بن ابي طالب درقته من
المهراس وهو صخرة منقورة تسع كثيرا من الماء وقيل هو اسم ماء باحد فجاء به الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وغسل عن وجهه الدم وصبه على راسه وهو يقول اشتد غضب الله على من ادمى
وجه نبيه وصلى النبي صلى الله عليه وسلم الظهر يومئذ قاعدا من الجراح الذي اصابه وصلى المسلمون
خلفه قعودا قال ابن اسحاق وذهبت هند والنسوة اللاتي معها يمثلن بالقتلى من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يجدعن الاذان والانف وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع
ان تسيغها فلفظتها ولما اراد ابو سفيان الانصراف نادى موعدكم بدر القابل فقال عليه الصلوة
والسلام لرجل من اصحابه قل نعم هو بيننا وبينكم موعد وذكر الطبراني انه لما انصرف المشركون خرج
النسا الى الصحابة يعينونهم فكانت فاطمة ممن خرج فلما لقيت النبي صلى الله عليه وسلم اعتنقته
وجعلت تغسل جراحاته بالماء فازداد الدم فلما رات ذلك اخذت شيئا من حصير احرقته
في النار وكمدته به حتى لصق بالجرح فاستمسك الدم ثم ارسل عليه الصلوة والسلام محمد بن سلمة
كما ذكره الواقدي فنادى في القتلى يا سعد بن الربيع مرة بعد اخرى فلم يجبه حتى قال ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ارسلني انظر ما صنعت فاجابه بصوت ضعيف فوجده جريحا في القتلى وبه
رمق فقال ابلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عني السلام وقل له يقول لك جزاك الله عنا
خير ما جزى نبيا عن قومه وابلغ قومك عني السلام وقل لهم لا عذر لكم عند الله ان يخلص
الى نبيكم وفيكم عين تطرف ثم مات وخرج صلى الله عليه وسلم يلتمس حمزة فوجده ببطن الوادي
قد بقر بطنه عن كبده ومثل به فجدع انفه واذناه فنظر عليه السلام الى شي لم ينظر الى شي اوجع
لقلبه منه فقال رحمة الله عليك لقد كنت فعولا للخير وصولا للرحم اما والله لامثلن بسبعين
منهم مكانك قال فنزلت عليه خواتيم سورة النحل فصبر وكفر عن يمينه وامسك عما اراد من مثل
به ولما اشرف صلى الله عليه وسلم على القتلى قال انا شهيد على هؤلاء وما من جريح في الله الا والله
يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه اللون لون الدم والريح ريح المسك وعن ابن عباس قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة
وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل من ذهب في ظل العرش فلما وجدوا طيب ماكلهم ومشربهم
وحسن تقلبهم قالوا يا ليت اخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن
الحرب قال الله تعالى انا ابلغهم عنكم فانزل الله عز وجل على نبيه هذه الايات ولا تحسبن الذين قتلوا
في سبيل الله رواه احمد واستشهد يوم احد من المسلمين سبعون فيما قاله مغلطاي وغيره وروى

ابن

ابن منده من حديث ابي بن كعب قال استشهد من الانصار يوم احد اربعة وسبعون ومن
المهاجرين ستة وصححه ابن حبان من هذا الوجه وقتل من المشركين ثلاثة وعشرون رجلا وقتل
عليه السلام بيده امية بن خلف ولما بكى المسلمون على قتلاهم سر بذلك المنافقون وظهر
غش اليهود وقد ذكروا في قصة احد وما اصيب به المسلمون من الفوائد والحكمة الربانية اشياء
عظيمة منها تعريف المسلمين سوء عاقبة المعصية وشوم ارتكاب النهي لما وقع من ترك الرماة
موقفهم الذي امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يبرحوا منه ومنها عادة الرسل ان تبتلى وتكون
لهم العاقبة والحكمة في ذلك ان لو انتصروا دايما لدخل في المسلمين من ليس منهم ولم يتميز الصادق
من غيره ولو انكسروا دايما لم يحصل المقصود من البعثة فاقتضت الحكمة الجمع بين الامرين ليتميز
الصادق من الكاذب وذلك ان نفاق المنافقين كان مخفيا عن المسلمين فلما جرت هذه القصة
واظهر اهل النفاق ما ظهر من الفعل والقول عاد التلويح تصريحا وعرف المسلمون ان لهم
عدوا في دورهم واستعدوا لهم وتحرزوا منهم ومنها ان الله تعالى هيا لعباده المومنين منازل
في دار كرامته لا تبلغها اعمالهم فقيض لهم اسباب الابتلا والمحن ليصلوا اليها ومنها ان الشهادة من
اعلى مراتب الاوليا فساقهم اليها ومنها انه اراد اهلاك اعدايه فقيض لهم الاسباب التي يستوجبون
بها ذلك من كفرهم وبغيهم وطغيانهم في ايذاء اوليايه فمحص ذنوب المومنين ومحق بذلك الكافرين
والله سبحانه هو المتصرف في عباده الفاعل لما يشا ويختار اخفى حكمته في افعاله سبحانه لا اراد
لما اراد وحاصل ما تقدم ان هذه المشاهد الثلاثة كغيرها من بقية غزواته عليه الصلوة والسلام
وسراياه تدل على شدة شجاعة اصحابه وثباتهم عند ابتلايهم مع قلة عددهم وكثرة عدد الكافرين
وعددهم ومع ذلك كانت العاقبة للمسلمين وكانت للمشركين فصول حتف الفصول جمع فصل
من فصل الشي عن الشي ميزه وابانه عنه وقد جرى الاصطلاح على تسمية الوبا المهلك للناس
فصلا فلذلك ذكره واضافه الى حتف بالحاء المهملة والتا الفوقية اي هلاك وفصول مبتدا خبره
محذوف تقديره فيها اي الامكنة المذكورة فصول حتف لهم اي للكفار ادهى من الوخم اي اشد اصابة
من الوبا انصبت عليهم من قبل الصحابة رضي الله عنهم وفي ادهى اسم التفضيل من الداهية ما لا يخفى
من المبالغة فكما ان الوخم يقتل من اصابه غالبا كذلك فصول الحتف انصبت عليهم فقتلت
غالبهم وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وفي كل من مصراعي البيت مراعاة النظير

المُصْدِرِي البِيضِ حُمْرًا بعدما وَرَدَتْ ... مِنَ العِدَا كُلَّ مُسْوَدٍّ مِنَ اللِّمَمِ

بنصب المضاف على المدح وجاز اضافته مع وجود ال لوجودها في المضاف اليه كالمقيمي الصلوة
ويجوز في البيض الخفض لانه مضاف اليه وحذف النون من المصدري للاضافة والنصب على
المفعولية وحذف النون للتخفيف والمصدري اسم فاعل من الاصدار وهو الانصراف عن
الماء بعدما وردته ودخلت اليه واقبلت عليه طالبة انتهال المنهل وعادتهم تقديم الصادر على الوارد

استعمال فی کل وارد لشیئ وصادر عنه والبیض السیوف المصقولة جمع ابیض سمی به
لبیاضه حمرا حال من البیض وحمرتها الشرب بها من الدما وریها منها حتی اکتسبت لونها بعدما
وردت ای بعد ورودها من العدا متعلق بوردت ای الکفار حال من کل مسود من اللمم صفة
للمضاف او المضاف الیه وقیل من زایدة اذ المعنی علی الاضافة واجیز جعلها بدلا من قوله
من العدا بدل بعض باعادة الجار والعوض من الاضافة ای لممهم جمع لمة وهو الشعر المجاور شحمة
الاذن فان بلغ المنکبین فجمة وتجمع علی لمام ایضا والبیت علی الاستعارة فی وردت وفیه
الطباق فی المصدرین ووردت والتذبیح وهو الجمع بین الالوان فی قوله البیض حمرا مسود
وفی قوله کل مسود اشارة علی حرصهم علی قتل الشباب الذین سود لممهم اذ هم المقاتلون الشجعان
الی منتج

والکاتبین بسمر الخط ما ترکت ۞ اقلامهم حرف جسم غیر منعجم

والکاتبین عطف علی المصدرین ای الطاعنین واصله من الکتب وهو الجمع وبه کیت الکتابة
عبر به هنا لتعدد طعنهم وکثرته حتی ان الجسم الواحد جمع به طعنات عدیدة بسمر الخط
جمع اسمر وهو الرمح اما لسمرة اصله او علوجا والخط شجرها وقیل موضع بالیمامة یجلب
الیه من الهند یقال رماح خطیة بفتح الخا وکسرها ما ترکت اقلامهم ای اسنة رماحهم حرف
جسم من الکفار ای طرفه ویطلق الحرف علی معان منها الناقة ومنه قوله وحرف کنون
تحت راء ولم یکن بدال یوم الرسم غیره النقط غیر منعجم ای بلا نقش بل اثرت فیه بطنها فکان
کل طعنة فی طرف جسم نقطة فصارت کل الحروف منعجمة بالنقط ولیس فیها مهمل مع اهمالها
وفی البیت الاستعارة بالکنایة مع المتخیلة والمرشحة والتوریة للمرشحة مع مراعاة النظیر
قلت والشیئ بالشیئ یذکر قبل شرح هذا البیت بقلیل ورد علی الفقیر من بعض فضلاء
الشام سؤال عن المرجح من هذین البیتین وهما

خلقنا باطراف القنا فی ظهورهم ۞ عیونا لها وقع السیوف حواجب

والاخر

خلقنا لهم فی کل عین وحاجب ۞ بسمر القنا والبیض عینا وحاجبا

فکتبت له فی الجواب الحمد لله اللهم توفیقا للصواب کل من البیتین مفتوح بباب الحماسة عامر
بانواع البلاغة شاهد لقایله بالفراسة اما البیت الاول ففیه الاستعارة التبعیة فی
خلقنا واثبات العیون فی الظهور استعارة بالکنایة وذکر الحواجب استعارة تخییلیة ثم لا
یخفی ما فیه من الحماسة الدالة علی بسالة فاعل خلقنا سواء کان الفاعل معظما نفسه
بتنزیله منزلة کثیرین او مع غیره من ابناء جنسه ومن نوعه الشاهد قوله اولا باطراف القنا
حیث ذکر الاطراف للاشارة الی عدم مبالاتهم بهم وانهم لم یضربوهم الا ضرب من لا یکترث
بخصمه وانهم ولو انهزموا من غیر ثبات بتین لملاقاتهم فی ذلک المیدان ولذلک قال فی ظهورهم
بصیغة الجمع مع جمع العیون المخلوقة باطراف القنا وفی قوله عیونا لها وقع السیوف

حواجب

حواجب من البلاغة ما لا یخفی حیث عبر بالوقع اولا لانه اما من الوقعة وهی صدمة الحرب
او من الواقعة وهی القیامة او من مواقع الغیث ای مساقطه واستعار لتلک العیون
وقع السیوف حواجبا لمشابهتها لها فی الامتداد والتقویس وفیه اشارة الی انهم کانوا
یتبعون طعنة القنا بضربة السیف فعلی کل طعنة ضربة ملازمة لها ملازمة الحاجب للعین
قریبة الملاقوب ما بینهما زمانا ومکانا ثم لا یخفی ما فیه من البلاغة من جهة جمع ضمیر الفاعل
واطراف القنا وظهورهم والعیون والسیوف والحواجب الدال کل ذلک علی الکثرة ولا یخفی
ایضا ان مقابلة الجمع بالجمع یقتضی انقسام الاحاد علی الاحاد وفیه من البلاغة اثبات العیون
للظهور وهو من المبالغة المقبولة الداخلة فی باب الاغراق ومراعات النظیر بین القنا والسیوف
والعیون والحواجب واما البیت الثانی ففیه الاستعارة التبعیة فی خلقنا کما قررنا وفیه
التعمیم لکل عین وحاجب لاقرانهم حیث اتی بکل الدال علی الاحاطة والشمول وفیه دلالة
علی شجاعة اقرانهم وشدة شکیمتهم حیث لم یولوهم الادبار وصبروا علی ملاقات حربهم بوجوههم
وصدورهم وان کان شعلة من نار وانهم معتادون للحرب لا جبن عندهم ولا رعب فی قلوبهم
یلذ لهم الموت فی الحرب وتشتاق نفوسهم للطعان والضرب تسیل علی روس القناة نفوسهم
ولیس علی غیر القناة تسیل المستلزم ذلک لشجاعتهم بالاولویة وانهم لم یجدوا مکانا یتوصلون
منه الی قتلهم الا من عیونهم لتعمیمهم بالسابغات وتعممهم باللامات حیث رموهم فیها بسمر
القنا فتفجرت عیونا واتبعوها بالبیض التی هی السیوف ضربا فوق العیون کالحواجب وفیه
من البدیع مراعاة النظیر بین العین والحاجب والتکریر فیهما وایهام الطباق بین السمر
والبیض هذا ثم لا یخفی ان احد البیتین اما مقدم علی الآخر وقابل الثانی علم الاول واطلع
علیه اولم یطلع علیه بل توارد علی هذا المعنی فیترتب الکلام علی ذلک بحسب ما هو مقرر من
قواعدهم کما لا یخفی ومع ذلک فالنفس تجنح الی ترجیح الاول علی الثانی هذا ما ظهر للفقیر
فی هذا الآن مع اعترافی بانی لست من فرسان هذا المیدان ولا ممن اشتهر بین الاقران
بالطعان ولم ال مجلیا فی مضمار الرهان والله سبحانه یمن باجلاء هذا الحرب واخلاء
البقاع من الطعن والضرب واخماد نار الفتن المغیر بغیرها وجه الزمن لتنجلو الافکار
من صداء الهموم وتصفو الدیار من غمام الغموم بمحمد المختار وآله الابرار آمین

شاکی السلاح لهم سیما تمیزهم ۞ والورد یمتاز بالسیما من السلم

اختلفوا فی شاکی السلاح فمن قال اصله شایک کهار فی هایر حذفت عینه والیا فی آخره یا
الجمع وحذفت النون للاضافة والاضافة بمعنی فی ای تام السلاح ای فیه او حاویه من الشوکة
وهی الحدة فهو اما منصوب بامدح او صفة المصدری لان المراد به الزمن الماضی او قطع النظر
فیه عن الزمانیة وان قلنا بدلالته علی الحال او الاستقبال وجعلنا اضافته لفظیة لم یفد التعریف

بل التحقيق كان التنوين منويا فيه وكان منصوبا على المدح على معنى تام سلاحهم فلما اضيف استتر الضمير فيه ومن قال اصله شايك قلبت العين الى موضع اللام فوزنه فالع من الشوكة وهي القوة بجعل اليا اصلية فالمضاف مفرد والاضافة لعظيه فهو منصوب على المدح ايضا و**السلاح** اسم يجمع آلة الحرب كالسيف والرمح والبيضة والسهام والغالب عليه التذكير **لهم سيما** جملة من مبتدا موخر وخبر مقدم السيما بوزن الفعل العلامة قال تعالى سيماهم في وجوههم من اثر السجود وهي هنا مقصورة وقد تمد وجملة **عنهم** صفة سيما اى عن غيرهم فلا التباس ولا اشتباه وان تشابهوا في الصور والذوات **والورد** الذي يشم واحده ورده واصله لكل نبت له نور واطلاقه على المتعارف قصر له على بعض افراده والورد مبتدا و**عتان** بجملة خبره اى عتاز بحسن الخلقة وبهاء المنظر وطيب الرايحة مع فوايد ذكرها اهل الخواص وتعرض لبعضها السيوطي في رسالة مفاخرة الازهار **عن السلم** بفتحتين الواحدة سلمة شجر ذو شوك من اشجار العضاة يشبه شجر الورد صورة والقصد به التمثيل في التفرقة بينهم وبين غيرهم فان للمشركين وان تشبهوا بهم في كونهم شاكي السلاح ايضا لكن على وجوههم غبرة ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة وللمومنين متميزون عنهم بوجوه يوميذ ناضرة الى ربها ناظرة وجوه بيت

• يفوح شذاها في الغيافي والربا • فينتشقه صب عراه زكام •

فالفرق بين المومن والكافر كالفرق بين النهار والظلام • والفرق مثل الصبح ظاهر كما ان شجر السلم في الصورة يوافق شجر الورد وبينهما على التحقيق فرق هيهات اين الحبيب من الرقيب • ولا يخفى على الناشق شذا الازهار من رياض الاداب • والمتنسم نسيم المزار من ديار الاحباب • ما في تعقيب البيت السابق في مضمار البلاغة والفصاحة بهذا البيت اللاحق اللاحق بالتقديم في وجه الملاحة تهدى اليك

تُهْدِي إِلَيْكَ رِيَاحُ النَّصْرِ نَشْرَهُمُ … فَتَحْسَبُ الزَّهْرَ فِي الأَكْمَامِ كُلَّ كَمِي

تهدى مضارع اهدى الهدية ارسلها **اليك** انتهاء غايتها **رياح النصر** فاعل تهدى ولا يخفى وجه جمعها واضافتها الى النصر على الاستعارة بالكناية وتهدى تخييل و**نشرهم** مفعول تهدى ترشيح والنشر الرايحة الطيبة استعارة للخبر العجيب السار ولذلك فرع عليه قوله **فتحسب** من الافعال المتعدية لمفعولين **الزهر** مفعوله الثاني **في الاكمام** في محل نصب حال من الزهر جمع كم بكسر الكاف وهو غلافه وقيده بهذه الحال لانه فيها احسن منظرا واطيب رايحة منه خارجها **كل كمي** فعيل بمعنى مفعول اى شجاع مستور في سلاحه بدرعه وبيضة وهو مفعول اول لتحسب والكلام على عكس التشبيه للمبالغة فيه وفي البيت الاستعارة والجناس اللاحق في نشر ونصر وجناس الاشتقاق في الاكمام وكمي

كَأَنَّهُمْ فِي ظُهُورِ الخَيْلِ نَبْتُ رُبًا … مِنْ شِدَّةِ الحَزْمِ لَا مِنْ شَدَّةِ الحُزُمِ

كانهم الضمير راجع الى الصحابة الذين هم الجبال **في ظهور الخيل** حال ركوبها في موضع نصب على الحال نبت ربا خبر كان والنبت النبات والربا جمع ربوة مثلث الرا ما ارتفع من الارض خصت بالذكر لان نبتها اثبت من نبت غيرها لطول عروقه حتى تصل الى الماء بخلاف نبت غيرها **من** تعليلية **شدة الحزم** بكسر الشين وفتح الحا اى قوة الثبات في الامر **لا من شدة الحزم** بفتح الشين وضم الحا والزاى جمع حزام وهو ما يشد به السرج او غيره على ظهر الدابة ليثبت راكبها وعكس الزركشي ضبط الشدة هنا فجعل الاولى بفتح الشين والثانية بكسرها وفي البيت تشبيه شئين بشئين ووجه الشبه الاستقرار والثبوت وفيه جناس التحريف بين الشدة والشدة والحزم والحزم

طَارَتْ قُلُوبُ العِدَا مِنْ بَأْسِهِمْ فَرَقًا … فَمَا تُفَرِّقُ بَيْنَ البَهْمِ وَالبُهَمِ

طارت قلوب العدا اى اضطربت ذاهلة ذاهبة فكانها لم تستقر في مكانها فذكر اللازم واراد الملزوم **من باسهم** اى من اجل شدتهم في الحرب ومنه بوس الرجل بالضم يبوس باسا فهو بيس اى شجاع شديد ومن للتعليل **فرقا** كفزع وزنا ومعنى تمييز تقول منه فرقت منك بالكسر ولا تقول فرقتك نصب على التمييز من نسبة الطيران الى القلوب او على المصدر كما قاله الزركشي اى طيران فرق لا فرح ثم فرع على ذلك قوله **فما تفرق** اى من شدة الفرق **بين البهم** بفتح البا وسكون الها وهي السخال جمع بهمة بزيادة الها لا فرق فيها بين الذكر والانثى وتجمع البهم على بهام وقال الجوهري هي ولد الضان ذكرا كان او انثى والسخال اولاد المعز فاذا اجتمعت البهام والسخال قيل لهما جميعا بهام وبهم **والبهم** بضم البا وفتح الها وهم الشجعان جمع بهمة بسكون الها وسموا بذلك استبهام امرهم على من يقصد مكيدتهم في الحرب والمعنى ان الفزع اشتد بقلوب العدا الى ان صارت لا تميز بين المذكورين في الخوف حتى اذا رأت السخال طارت فرقا تظنها الشجعان والمناسب لهذا المعنى قول ابي الطيب

• وضاقت الارض حتى كان هاربهم • اذا راى غير شيء ظنه رجلا •

قيل وهو ماخوذ من قول ابي نواس

• فكل شخص راه خاله قدحا • وكل شيء راه خاله الساقي •

وهذان الشاعران قد نضح كل منهما بما ميله اليه وكل اناء بصبو الى نحو الذي يهوى وغاية الغايات في هذا الماخذ قوله تعالى يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو وقال ابن العماد المراد فما تفرق بين شجاعهم وغيره حالة هربهم وخوفهم انتهى وفيه الاستعارة وحسن التعليل وجناس الاشتقاق بين فرقا وتفرق والتحريف بين البهم والبهم

وَمَنْ يَكُنْ بِرَسُولِ اللهِ نُصْرَتُهُ … إِنْ تَلْقَهُ الأُسْدُ فِي آجَامِهَا تَجِمِ

ومن شرطيه يكن بالتحتية والفوقية برسول الله صلى الله عليه وسلم خبر يكن واسمها نصرته
اى نصرته اذا انتصر به على اعدائه ان تلقه الاسد وهى اعظم الاعداء حال كونها فى اجامها اى
غاباتها جمع اجمة وهى فيها اشد جرأة منها فى غيرها تجم مضارع وجم اى سكتت ولا تحرك
خوفا منه قال الجلال المحلى والشرط الثانى وجوابه جواب الاول وليس هذا من توالى
الشرطين المشهور بان ثالثها حال من الاول وان الجواب له نحو ان جئتنى ان تاديب
اكرمتك اى ان جئتنى متأدبا اكرمتك ولا بد من تقديم التادب على المجى ليتحقق مقارنته
له انتهى وفى توالى الشرطين مذاهب للنحاة مذكورة فى محالها والبيت يشير الى قصة سفينة
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم التى رواها ابو نعيم فى الحلية حين لقيه الاسد فقال
انا سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فطاطا رأسه ودفعه بجنبه كالدال على
الطريق فلما سار فيها همهم كالمودع له قلت ويناسب ذلك ما نقله الحافظ جمال
الدين الزرندى عن الاستاد ابى سعيد عبد الملك بن ابى عثمان الواعظ انه روى فى كتابه
الذى جمعه فى شرف المصطفى بسنده الى على بن يحيى المنجم قال ظهرت زينب الكذابة فزعمت
انها البطن فاطمة وعلى بن ابى طالب رضى الله عنهما فقال المتوكل لجلسائه كيف فيما يعلم
امر هذه المراة عند من نجده فقال الفتح بن خاقان ابعث الى على الرضى بن موسى الكاظم
حتى يحضر ويخبرك حقيقة امرها فبعث اليه فاتاه فرحب به واجلسه معه على سريره وقال
له ان هذه تدعى كذا وكذا فما عندك فى ذلك فقال الامتحان فى هذا اقرب ان الله تعالى
قد حرم لحم جميع ولد فاطمة وعلى من ولد الحسن والحسين على السباع فالقها للسباع فان
كانت صادقة لم تتعرض لها وان كانت كاذبة اكلتها فعرض ذلك عليها فكذبت نفسها
واديرت على جمل فى طرقات سر من راى تنادى على نفسها بانها زينب الكاذبة وليس
بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم ولا من فاطمة ولا من على رضى الله عنهما
وجاذبها على جمل آخر ينادى عليها بذلك وخرجت الى الشام فلما كان بعد ذلك
بايام جرى ذكر الامام على بن موسى وما قال فى زينب حتى ظهر امرها عند المتوكل
فقال له على بن الجهم يا امير المؤمنين لو جربت قوله عليه فعرفت حقيقته فقال افعل
ثم قال المتوكل للفتح ابن خاقان تقدم الى خدم السباع ان يخرجوا منها ثلاثة ويحضروها
هذا القصر فترسل فى صحنه ونقعد نحن فى المنظر ونغلق باب الدرج ونبعث اليه
حتى يحضر ويدخل من باب القصر فاذا صار فى الصحن اغلق الباب وخلى بينه وبينها
فى الصحن قال على بن يحيى وكنت انا وابن حمدون فى الجماعة ففعل ابن خاقان
ما امر به ودعا على بن موسى فلما دخل اغلق الباب والسباع قد اصمت الاسماع
من زئيرها فلما مشى فى الصحن يريد الدرج مشت اليه السباع وقد سكنت فما يسمع

لها

لها حس حتى تمسحت ودارت حوله وهو يمسح رؤسها بكمه ثم ضربت السباع
بصدورها الى الارض وربضت فما همست ولا زارت حتى صعد الدرج وتحدث
عند المتوكل مليا ثم انحدر ففعلت السباع كفعلها الاول ثم ربضت فما سمع لها حس
ولا زئير حتى خرج على الرضى من الباب الذى دخل منه فركب وانصرف الى منزله فاتبعه
المتوكل بمال جزيل صلة له فقال على بن الجهم فقمت وقلت للمتوكل يا امير المؤمنين افعل كما
فعل ابن عمك ومر على السباع فقال يا على تريد ان تلقينى حتى تاكلنى السباع ثم قال
للمتوكل لجلسائه والله لئن بلغتم هذا احدا من الناس لاضربن اعناق هذه العصابة كلهم
قال فوالله ما جسر احد ممن شاهد ذلك ان يتكلم به حتى مات المتوكل انتهى وفى البيت
الجناس المشتق فى اجامها تجم ومراعاة النظير بين الاسد والاجام

وَلَنْ تَرَى مِنْ وَلِيٍّ غَيْرَ مُنْتَصِرٍ ... بِهِ وَلَا مِنْ عَدُوٍّ غَيْرَ مُنْقَصِمِ

ولن ترى الخطاب لكل من تتاتى له الروية من ولى من مزيدة لتاكيد النفى والاستغراق
وولى فعيل اما بمعنى الفاعل او المفعول اى والاه اتباعا او محبة طلب الانتصار به على عدوه
وهو فى محل نصب مفعول ترى غير منتصر بنصب غير صفة على المحل وجره على اللفظ به
عطف على ولى ولا يخفى وجه تلوين النفى اى ولا ترى ولا من عدو له صلى الله عليه وسلم
غير منقصم بالقاف وقد قدمنا انه ابلغ من الفاء اى منكسر منقطع على توالى الازمنة
وترادف الاحوال ولم يزل هذا الدين ولله الحمد دائما وطائفة من امته ظاهرين على الحق
لا يضرهم من خذلهم الى يوم القيامة واعداؤه يبعث عليهم من يسومهم سوء العذاب الى يوم
القيامة ثم منتهاهم فى الدرك الاسفل من النار جزاء بما كانوا يعملون واعراب الشطر الثانى
كالاول وفى البيت الطباق والتقسيم والموازنة وكان يقتضى المقابلة منكسر لكن مع
مراعات القافية فمنقصم ابلغ فى الانخذال والانكسار

اَحَلَّ اُمَّتَهُ فِي حِرْزِ مِلَّتِهِ ... كَاللَّيْثِ حَلَّ مَعَ الْاَشْبَالِ فِي اُجُمِ

احل امته من احللته بالمكان وفيه انزلته فحل به واصله ان المسافر اذا سافر شد اسبابه خوفا
عليها فاذا نزل بمكان اطمأن فيه حلها اى انزلهم فى حرز ملته الحرز هو ما يحترز به
عن كل شئ يخاف منه ولذلك قيل اصله بالسين من الاحتراز والاحتراس ولذلك
يقطع السارق بالاخذ منه دون غيره واضافته الى الملة على الاستعارة لان من دخل فى
ملته ملة الاسلام احتمى عن ساير المكاره وانواع المضار دينا واخرى وحل بها فى الامن
فى الدنيا والجنة فى الاخرى وقد علمت ما كان من شفقته صلى الله عليه وسلم على امته وتوجهه
اليهم بانواع الادعية والرأفة وحرصه على ما يحفظهم لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه
ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم ومن طلب التخفيف عنهم فى العبادات ولذلك

لم يكلفهم سبحانه الى ما يشق عليهم وما جعل عليهم فى الدين من حرج وقد امنوا به
عن الخسف والمسخ والرجف وحلول ما كان يحل على الامم قبلهم كما لا يخفى ولذلك
كان رحمة للمؤمنين وما قدمناه مما جاءت به الاخبار عنه عليه السلام فى حديث الشفاعة
والحوض والصراط وقوله رب امتى امتى لا اسالك نفسى ولا فاطمة اسالك امتى
اللهم فصل وسلم عليه وزده شرفا وتعظيما واجزه عنا يا ربنا افضل ما يجزى نبيا عن
امته برحمتك يا ارحم الراحمين **كالليث** التشبيه على الاستعارة التمثيلية والليث الاسد واخذه
بعضهم من اللوث وهو القوة وليس بقوى **حل مع الاشبال فى اجم** جمع شبل وهى اولاده
ويجمع فى القلة على اشبل ويجمع على شبول ايضا ولا يخفى ما فى قوله حل ولفظ مع من انه انما يكون
تمام حفظ الاسد لهم وحراسته والخوف منه انما يكون اذا كان معهم فى الاجم والنبى
صلى الله عليه وسلم لما احلهم احل بهم الامن بمجرد انتسابهم الى ملته وان كان معهم حكما ولا
شك انه صلى الله عليه وسلم كالاب للمؤمنين فى شفقته عليهم صلى الله عليه وسلم قال تعالى
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وفى البيت التشبيه ومراعاة النظير والاستعارة

كم جدلت كلمات الله من جدل … فيه وكم خصم البرهان من خصم

كم خبرية بمعنى كثيرا منصوبة بالفعل بعدها **جدلت** اى قطعت من المجادلة وهى المخاصمة
الى ان ينقطع احد المتجادلين فيها عن الاخر وقيل ماخوذ من الجدالة وهى الارض كانها القت
الجدل الى الارض فلم حراك به **كلمات الله** وهى القران العظيم الذى لا ياتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه **من جدل** بكسر الدال صفة مشبهة اى شديد الجدال كانه وصف ملازم له
فيه اى فى النبى صلى الله عليه وسلم لكل من عارضه اذ تقوم الحجة القاطعة على نبوته ويقطع شبه
المجادلين **وكم خصم البرهان** اى الدليل القاطع فيه **من خصم** بكسر الصاد صفة مشبهة اى شديد
الخصومة وكم خبرية كالاولى وحذف فيه من الثانى لدلالة الاول عليه وفى البيت جناس
الاشتقاق فى المصراعين

كفاك بالعلم فى الامى معجزة … فى الجاهلية والتاديب فى اليتم

كفاك من الافعال المتعدية لاثنين للاول بنفسه وهو الكاف هنا ومعجزة الثانى والكاف
خطاب لكل سائل عن معجزات النبى صلى الله عليه وسلم يشير الى انها لا تحصى ولا تحصر فيكفيك
بعضها وهو ما ذكره هنا والبا فى **بالعلم** زائدة كما فى كفى بالله شهيدا واللام للكمال **فى الامى**
فى موضع نصب على الحال واللام فيه للعهد والمراد به النبى صلى الله عليه وسلم الامى وهو نبينا
صلى الله عليه وسلم المبعوث للاميين وهم العرب والامى هو من لم يكتب ولا تعلم من معلم نسبة
الى الامة وهى امة العرب لانها لا تحسب ولا تكتب قال صلى الله عليه وسلم انا امة امية لا نحسب
ولا نكتب وقيل منسوب الى الحالة التى ولدته امه عليها او نسبة الى امه باعتبار عدم كتابة النسا

ونسبة

ونسبة صلى الله عليه وسلم الى ما ولدته عليه امه معجزة له صلى الله عليه وسلم وقيل هو نسبة
الى ام القرى وهى مكة قال ابن عطيه وغيره وهذا ضعيف لان الوصف بالاميين على هذا يقف
على قريش والمراد جميع العرب **معجزة** نصب على انه المفعول الثانى وقيل على التمييز والمراد من
المعجزة هنا مجرد الامر الخارق للعادة والا فقد اعتبروا فيها مع ذلك قرنه بالتحدى اى دعوى
الرسالة مع عدم المعارضة من المرسل اليهم **فى الجاهلية** من الجهل عدم العلم وهى زمان لا علم
فيه وخصت بالزمان الواقع قبل الاسلام حيث انخرق فيه الشرع السابق ولم يكن الوحى
اللاحق فاللام للعهد **والتاديب** بالجر على لفظ بالعلم وبالرفع على محله والتاديب مصدر
من المبنى للمفعول ليكون صفة للنبى صلى الله عليه وسلم واللام فيه للكمال و **فى اليتم** متعلق
بالتاديب وهو بضم اليا لغة واصله السكون كما تقدم فى عقم وترك معجزة بعد قوله اليتم
لدلالة ذكرها اولا عليها وقد قدمنا تعريف اليتم ثم هاتان الصفتان مما يشين الاتصاف
بهما فى حق غيره صلى الله عليه وسلم وتزين فى حقه عليه الصلوة والسلام اما الامية فلان
غيره عليه الصلوة والسلام لما كان علمه مكتسبا وكان لا يحفظه ولا يثبت لديه فاحتاج مع
ذلك الى التعلم من المعلم الى الكتابة لضبطه وبقائه مدة ليراجعه عند النسيان ويتفقده عند
الاشتباه بخلاف علمه صلى الله عليه وسلم فانه بفيض الهى ابدا فى زيادة ودايما فى ترق لا
يزول ولا ينقص ولا يطرا عليه اشتباه ولا نسيان فكانت الامية فى حقه عليه السلام مع ذلك
معجزة خارقة للعادة دالة على انه من عند الله وعلمه لا سيما وكان فى زمن جاهلية اتصف اهله
بها وثابروا عليها لا شعور لهم بما فى الكتب المنزلة ولا باستخراج دقايق العلوم فجاء صلى الله
عليه وسلم بعلم الاولين والاخرين ولم تزل الامة من مبعثه عليه السلام والى هذا الان وهو
سنة ستة عشر بعد الالف والى انقضاء الدوران ان شاء الله تعالى يقتبسون انواع العلوم
ويستخرجون المنطوق والمفهوم وهذه الكتب المتداولة بين ايديهم هى من بعض علومه
صلى الله عليه وسلم فهذا من اكبر المعجزات الكافية فى صدق نبوته صلى الله عليه وسلم **واما**
التاديب فى اليتم فان اليتيم غيره لكونه لا اب له يشفق على تاديبه ويجتهد فى تهذيبه
اذا خلى وطبعه يميل مع الهوى ويميس بطبع الصبا الى كل ما يوافق غرضه وهواه ويوافق
طبعه ومشتهاه ويراه حسنا وهو عين الاساءة ولا سيما فى زمن الجاهلية بين اعراب
لم يتادبوا بمحاسن الشرايع والاحكام ولم يتخلقوا باحاسن الاخلاق فى الانتظام ما
تحنكت طبايعهم بانواع الفضايل ولا تمرنت سجاياهم على اساليب الكوامل فجاء باداب
مخالفة لطرايقهم المعهوده وتخلق باخلاق الكمالات المشهودة المحمودة الشاهد ذلك
على انه فيض الهى من عند الله تعالى ولذلك **قال** عليه الصلوة والسلام معترفا بذلك
شاكرا على ما هنالك ان الله ادبنى فاحسن تاديبى رواه ابن السمعانى فى كتاب ادب

الاملاك وهو صلى الله عليه وسلم مات ابوه وهو حمل بشهرين وقال الدولابي مات وهو
في المهد وعن ابي حيثمة وهو ابن شهرين وقيل وهو ابن سبعة وقيل وهو ابن ثمانية
وعشرين شهرا والراجح الاول وتربى في كفالة عمه ابي طالب مؤدبا بتاديب الهي
على خلاف العادة في اليتيم بل على خلاف العادة في الابناء مطلقا وهذا مما يقتضي المدح
عليه فلذلك ساقه الناظم في مقام المدح مع الوصف الاخر الذي انتظم في البيت ولذلك
ذكره الله تعالى في معرض الامتنان فقال الم يجدك يتيما فاوى فلا يكون اليتيم بهذا الاعتبار
دالا على تنقيص او دناءة **وح فلا وجه** لما قاله الزركشي حيث قال وبالجملة فكان ينبغي
اجتناب لفظة اليتيم **وقد حكى** ذلك القاضي عياض في الشفا عن ابي الحسن العابسي انه افتى
فيمن قال في النبي صلى الله عليه وسلم يتيم ابي طالب بالقتل انتهى واقول اطلق الزركشي
العبارة ولم يفصل مع ان سياق كلام الشفا في الباب ذكر فيه ذلك يقتضي ان يكون ذلك
فيما اذا قصد به السب او النسبة للتنقيص وسياق فتوى العابسي ذلك وكذلك فتوى
اهل الاندلس بقتل خاتم المتفقه حيث قال اثناء مناظرته في حقه صلى الله عليه وسلم ووصفه
له باليتيم لانه في مقام التنقيص واما الناظم رحمه الله تعالى فهو في مقام التعظيم والمدح للنبي
صلى الله عليه وسلم ففرق بين المقامين وهذا قياس مع الفارق بل لا جامع بين المقامين
كما لا يخفى على المنصف المتصف بالانصاف على ان الزركشي رحمه الله تعالى وقع فيما انكره على
الناظم حيث قال وجاء بهذا الاديب القويم مع انه نشا يتيما وفطنة الادب من الابوين
واما حمل الزركشي اليتيم على المفرد في صنفه لا اليتيم الحقيقي حيث قال وليس المراد به اي باليتيم
ما يتبادر الذهن اليه من فقد الاب فان اليتيم لفظ مشترك يطلق على هذا ويطلق على
من تصون بصورة الفرد الذي اذا اعتبرت فضيلته قدر ان لا ابا له من جنسه لكونه خارجا
بالفضل عن طبيعة ابايه ومن ذلك قولهم الدرة اليتيمة الخ فهو اخراج له عن المعنى المقتضيه
المقام الذي ترتب عليه المدح التام ودعواه ان اليتيم مشترك غير مسلم بل هو حقيقة ومجاز
وفي البيت الطباق بين اليتم والجاهلية والمقابلة بين التاديب واليتم وبين الامي والعلم

خدمته بمديح استقيل به … ذنوب عمر مضى في الشعر والخدم

خدمته اي مدحته والضمير راجع الى النبي صلى الله عليه وسلم **بمديح** فعيل من المدح والمراد به
هذا المديح الصادق فيه الخالص النية **استقيل** اي اطلب من الله ان يقيلني حال كوني
مستقيلا **به** البا للسببية والضمير اما للمهول او المديح **ذنوب عمر** لا يخفى ما في جمع الذنوب
وتنكير عمر من تكثير المضاف وتحقير المضاف اليه والعمر مدة عمارة البدن بالحيات والاجل
انتهاؤه **مضى** صفة عمر اي ذهب بلا فائدة بل بخسارة الذنوب **في الشعر والخدم** لابناء الدنيا
بمدح وغيره ولم يحصل منهم على طايل والشعر كلام عربي موزون مقفى مقصود ولذلك
لم يكن

لم يكن قوله عليه السلام انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وما شاكله من الشعر والخدم
جمع خدمة وهي ما تسدد به الى غيرك على وجه التعظيم له فان قيل كيف استقال من مشهور الشعر
قلت الشعر اقسام ممدوح ومذموم ومباح فما كان مدحا في حقه صلى الله عليه وسلم فهو
الممدوح وكذلك ما كان باعثا على الخير ومرغبا في الفضايل والفواضل ومرغبا عن الكفر والفسق
والارذال ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يسمع اشعار الصحابة كحسان وغيره لا سيما عند
الحرب ويامرهم بانشاده وسمع قصيدة كعب بن زهير واجازه عليها ببردته واما المذموم فما
كان في مدح ابناء الدنيا لقصد استجلاب اموالهم والتقرب اليهم مع المبالغة في اوصافهم المؤدية
الى الكذب وكذلك التغزل في المرد والنساء المعلومين والمباح ما كان القصد به ترويح
الذهن واستخراج المعاني مع سلامته مما ذكر وهذا المدح الذي مدح الناظم به النبي صلى الله
عليه وسلم مدح عظيم وشعر قويم يغسل عنه الذنوب ويزيل عنه العيوب وعلى ما قررناه
من مدح ابناء الدنيا وكذبه في اوصافهم واتخاذه صنعة حيث احثوا في وجه المداحين التراب
والحديث تاويلات اخر في محلها وفي البيت رد العجز على الصدر مع جناس الاشتقاق
في خدمته والخدم ومراعات النظير في خدمته بمديح وبين المديح والشعر

اذ قلداني ما تخشى عواقبه … كانني بهما هدي من النعم

اذ ظرفية او تعليلية **قلداني** ضمير التثنية راجع للشعر والخدم وقلد بالتضعيف يتعدى
الى اثنين ضمير المتكلم اولاهما والثاني ما تخشى والتقليد الزام الامر وجعله في العنق
ومنه القلادة في العنق وتقليد السلطان القضاة والولاة الرعايا جعل اثامهم واوزارهم
في اعناقهم ان لم يحكموا بينهم بالحق ولم يزيلوا عنهم المظالم والله ما زالت بل زادت
فالحكم لله العلي الكبير وتقليد الهدي جعل شيء ككسرة نعل في عنقه ليعلم انه هدي قال تعالى
والهدي والقلايد **وما** نكرة موصوفة في محل نصب على انها مفعول ثان لقلد صفتها
تخشى المبنية للمفعول **عواقبه** جمع عاقبة وهي مال الشيء واصل استعمالها عند الاطلاق
في العاقبة الحميدة والعاقبة للمتقين فان استعملت في العقوبة قيدت كقوله تعالى ثم كان عاقبة
الذين اساؤا السوء ومنه بيت الناظم في قوله تخشى عواقبه اي من الاثام وانواع العذاب
اي جعلاه في عنقي **كانني بهما** البا للسببية اي بسببهما **هدي** هو مختص عرفا بما يهدى الى البيت
الحرام وهو في الاصل مصدر وصف به فلذلك يطلق على الذكر والانثى قال الله تعالى هديا
بالغ الكعبة والجمهور على اختصاصه بالحيوان **من النعم** الابل والبقر والغنم ومن بيانية
ووجه الشبه الاشارة الى قرب الهلاك وخساسة المقلد به اذ الشعر الممدوح به ابناء الدنيا
اعذبه اكذبه ولا يخلو من مبالغات غير صادقة بل كاذبة مع علم المادح بكذبه ولذلك قيل لبعضهم
ما اشد ما اتى عليك قال مدح من احتاج ان اهجوه ولذلك ترى الشعر آيعد حون الشخص

تارة ويهجونه اخرى واتخاذ ذلك صنعة وحرفة يكتب بالشعر يهجو هذا مرة ويمدح هذا كرة اخرى واما الخدم فالدليل على خستها ما عليها لفظها والناس فى الحالين فرق شتى فمنهم ومنهم والله تعالى لطيف بالعباد وفى البيت التشبيه ومراعاة النظير

اطعت غى الصبا فى الحالتين وما … حصلت الا على الاثام والندم

اطعت اى انقدت مختارا غى الصبا مفعول اطعت والغى ضد الرشد وقد تبين الرشد من الغى والصبا بالكسر جمع الصبوة وهى الميل ولذلك سمى الطفل صبيا فى الحالتين اى حالتى الشعر والخدم لانهما غالبا انما يكونان فى الصبا وما حصلت الا على الاثام من جهتهما والندم عليهما حيث اضعت نفيس عمرى فاطعتهما حتى وقعت فيهما ولعل الندم توبة تمحو ما حصل فيهما من الاثام فلذلك استقال من الذنوب بمديح النبى صلى الله عليه وسلم وفى البيت المقابلة بين الطاعة والغى وبين الاثام والندم ومراعات النظير بين الغى والصبا والاثام

فيا خسارة نفس فى تجارتها … لم تشتر الدين بالدنيا ولم تسم

الفا تفريع مسبب على ما قبلها من اطاعة الغى ونادى الخسارة للتلهف والتحسر كقوله يا حسرتى وهو نداء فى معنى التعجب والخسارة مصدر خسر والخسارة ضد الربح وتنكير نفس للتحقير وعنى بها نفسه فى تجارتها متعلق بخسارتها وهى طلب الربح بالبيع والشراء ثم بين وجه الخسارة وسببها فقال لم تشتر الدين بالدنيا الشرا بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الاعيان ثم اتسع فيه فاستعمل للرغبة عن الشئ والطمع فى غيره اى لم تأخذ الدين بدل الدنيا ولم تسم اى لم تتعرض له ايضا وهى مبالغة فى اعراضها عن طلب الدين بل اختارت العكس حيث اخذت الدنيا وتركت الدين الذى تنجو به فى الاخرة فلذلك كانت خاسرة فيها خسرانا مبينا وادخل البا على المتروك كما هو الاصل وقد تدخل على الماخوذ والمسئلة مقررة فى محلها وجاز الفصل بين الموصوف وهو نفس وصفته وهى جملة لم تشتر بالجار والمجرور وهو فى تجارتها على حد قوله تعالى ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم لانه يغتفر فى الجار والمجرور والظروف ما لا يغتفر فى غيرها وفى البيت الاستعارة المرشحة ومراعاة النظير والمقابلة بين الدين والدنيا

ومن يبع اجلا منه بعاجله … يبن له الغبن فى بيع وفى سلم

ومن اسم شرط مبتدا يبع خبره والاجل بالمد الاتى بعد اجل والمراد به هنا الاخرة والعاجل الواصل على عجل والمراد منه الدنيا وضمير منه وعاجله يعودان على من وادخل البا على الماخوذ عكس الشرا فيما سلف حيث ادخلها على المتروك وهما مستعملان اى من يبع الاخرة المحققة الباقية بشئ ياخذه من الدنيا الفانية يبن اى يظهر له الغبن اى النقص فى بيع وفى سلم التنوين عوض من المضاف اليه وهو الضمير العايد الى من اى فى بيعه وفى سلمه

وعطف على البيع السلم وهو بيع موصوف فى الذمة بتعجيل الثمن دون المثمن وفى النسخة التى شرح عليها المحل مع عبارته ومن يبع عاجلا منه بما يعطيه باجله اى باجل قد يحصل له بين اى يظهر له الغبن فى بيع وفى سلم حيث اعطى معجلا بمؤجل قد لا يحصل له وفى المثل برة عاجله خير من درة اجله وعطف السلم على البيع لان البيع المذكور يسمى سلما وهذا كالنظير لمن ترك الاخرة المحققة الباقية واخذ بدلها الدنيا الذاهبة الفانية انه مغبون فى ذلك وفى البيت الطباق بين الاجل والعاجل ورد العجز على الصدر فى بيع وبيع ومراعات النظير بين البيع والسلم والغبن

ان ات ذنبا فما عهدى بمنتقض … من النبى ولا حبلى بمنصرم

ان حرف شرط وات مجزوم به واختيار المضارع لاحضار صورته اى ان افعل ذنبا اى جرما بعد ما تقدم من توبتى بالندم على الشعر والخدم بان عدت اليهما فما عهدى الفا رابطة للجواب وما نافية وعهدى اسمها وبمنتقض الخبر دخلت فيه البا كالتى بعدها والمراد من العهد عهدى الايمان والعهد الموثق قال الزمخشرى اصله امر شانه ان يراعى من النبى متعلق بمنتقض لان نقض التوبة بارتكاب الذنب لا ينقض عهد الايمان ولا حبلى اى وصلى بالنبى صلى الله عليه وسلم بمنصرم اى منقطع بذلك ايضا وان كان من شان الذنب قطع المودة قال الزركشى واورد بانه كيف ترتب هذا الجواب على الشرط وعدم انتقاض العهد ثابت وجد الشرط ام لا واجيب بان الجواب محذوف اقيم سببه مقامه والتقدير ان ات ذنبا رجوت عفوه لان عهدى ليس بمنقض

فان لى ذمة منه بتسميتى … محمدا وهو اوفى الخلق بالذمم

الفا للسببية اى بسبب عهدى والذمة الجوار والحرمة وجمعها ذمم وهى مما يحافظ عليها ويذب لها منه اى من النبى صلى الله عليه وسلم بتسميتى محمدا البا للسببية اى بسبب تسميتى وهو مصدر مضاف الى مفعوله ومحمدا المفعول الثانى وارتكاب الذنب لا يقطع التسمية وهو مبتدا اى هو صلى الله عليه وسلم اوفى الخلق اسم تفضيل من الوفا خبر المبتدا بالذمم متعلق باوفى فيقوم بحقها ويحامى عنها فيشفع فى اهلها لان اسمه وافق اسمه والبيت يشير الى الاحاديث الواردة فى شفاعته صلى الله عليه وسلم فيمن تسمى باسمه وقد جمع الحافظ ابو عبد الله الحسين بن احمد بن عبد الله بن بكير جزءا فى فضل من اسمه احمد او محمد ونورد مما اورده عنه بسندنا الى الحافظ ابى الفضل احمد بن على بن حجر العسقلانى بسنده الى ابن بكير وقد اورد ابن بكير فيه بسنده الى انس ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوقف عبدان بين يدى الله عز وجل فيامر بهما الى الجنة فيقولان ربنا بم استاهلنا الجنة ولم نعمل عملا يجازينا الجنة فيقول الله عز وجل عبدى ادخلا الجنة فانى اليت

على نفسى ان لا يدخل النار من اسمه احمد ولا محمد واورد عن ابى امامة الباهلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولد له مولود فسماه محمدا تبركا به كان هو ومولوده فى الجنة واورد عن الحسن البصرى قال ان الله عز وجل ليوقف عبدا بين يديه يوم القيامة اسمه احمد او محمد قال فيقول الله عز وجل محمد عبدى ما استحييتنى وانت تعصينى واسمك باسم حبيبى محمد فينكس العبد راسه ثم يقول اللهم انى فعلت فيقول الله عز وجل يا جبريل خذ بيد عبدك فادخله الجنة فانى استحى ان اعذب بالنار من اسمه على اسم حبيبى محمد وما ذكر من الاحاديث ابلغ فى حصول المرام لانه ببركة ذلك الاسم يحصل له العفو والاكرام فكيف مع الشفاعة وهو عليه السلام لا يتركه بضام

ان لم يكن فى معادى آخذا بيدى ... فضلا والا فقل يا زلة القدم

ان لم يكن ان للشرط واسم يكن ضمير عايد الى النبى صلى الله عليه وسلم فى معادى متعلق باخذ الخبر والمعاد العود والمراد به يوم القيامة للجزا بيدى متعلق باخذا والاخذ باليد كناية عن الشفاعة فيه واصله ان يعجز الانسان عن الوصول الى مكان فياخذ غيره بيده ايرفعه اليه فضلا مفعول لاجله اى من النبى صلى الله عليه وسلم والا اى وان لم يكن كذلك فهو بمعنى الشرط الاول تاكيد له وجوابهما واحد وهو قوله فقل فعل امر خطاب لمن جرده من نفسه اى قل لى يا زلة القدم كناية عن سوء المنقلب واصل الزلة ان تزل قدم الانسان عن طريقه بزلق او عثار وقد بعضهم والا وقعت فاقول يا زلة القدم وقدره الشيخ خالد والا فزت اى وان كان اخذا بيدى فزت لان نفى النفى اثبات والجملة مقرونة بواو الاعتراض بين الشرط الاول وجوابه قال وفى جعلها توكيد الشرط الاول نظر من جهة حذف الشرط والعطف بالواو فان الحذف بها فى التوكيد والعطف فى توكيد الجمل خاص بثم والاول قاله ابن مالك والثانى قاله ابو حيان قال ثم انى سمعت بين اليقظة والنام قوله والا زايدة فى الكلام انتهى واغرب شارح بعطف والا على فضلا قال والال القرابة والعهد وهو المراد هنا ومن لم يعرف معنى الال وقع فى حيص بيص انتهى

حاشاه ان يحرم الراجى مكارمه ... او يرجع الجار منه غير محترم

حاشاه اسم مضاف بمعنى التنزيه قال الزركشى فى غريبه وهو المراد هنا من ثلاثة اوجه ذكرها ثم عند اعرابه قال حاشاه فعل وفاعل والظاهر ان اعرابه هذا على تفسير للمعنى والضمير راجع للنبى صلى الله عليه وسلم اى انزهه تنزيها عن ان يحرم بضم اليا من احرم الرباعى وفاعله ضمير راجع الى النبى صلى الله عليه وسلم الراجى مفعول يحرم وتسكين يا ئه لغة او ضرورة اسم فاعل من الرجا وفى العنوان به حالا يخفى اذ لا يرجى الا الكرام ولذلك قال مكارمه ولا يخفى ما فى جمع المكارم جمع مكرمة بمعنى الشفاعة هنا ومكارمه تنازعها الفعل واسم الفاعل فاعمل الثانى وحذف الاول على المذهب البصرى او يرجع عطف على يحرم الجار منه اى الداخل

فى جواره

فى جواره غير محترم نصب على الحال من فاعل يرجع ولا يخفى ما فى الاتيان باو من الاشارة الى انه يكفى فى حصول الشفاعة احدهما والناظم رحمه الله راج وداخل جاير القسمين فهو غير محترم شفاعته صلى الله عليه وسلم وفى البيت جناس الاشتقاق بين يحرم ومحترم وجناس القلب بين الراجى والجار

ومنذ الزمت افكارى مدايحه ... وجدته لخلاصى خير ملتزم

منذ ظرف زمان فى محل نصب بوجدت وقال الزركشى فى محل رفع على انه مبتدا ووجدته الخبر الزمت من الزمته الشى فالزمه بمعنى تكفيل القيام به واصله ماخوذ من الملازمة وهى عدم المفارقة افكارى جمع فكر مفعول اول لالزمت ومدايحه الثانى جمع مديح وجدته الضمير مفعول وجدت عايد على النبى صلى الله عليه وسلم لخلاصى متعلق بوجدت او مفعول ملتزم واللام لتقوية العمل اى لخلاصى مما سانى من مرض وغيره خير نصب اما على الحال ان كان وجد بمعنى اصاب وعلى المفعول الثانى ان كان بمعنى علم ملتزم بكسر الزاى اسم فاعل بان وفى خلاصى على حسن الوجوه ونعم الخلاص من كل شدة وبلوى صلى الله عليه وسلم وزاده فضلا وشرفا لديه

ولن يفوت الغنى منه يدا تربت ... ان الحيا ينبت الازهار فى الاكم

الغنى بالكسر والقصر ضد الفقر فاعل يفوت والضمير فى منه للنبى صلى الله عليه وسلم يدا مفعول يفوت ولو رفعت على الفاعلية ونصب الغنى على المفعولية لجاز اذ الفوت يتحقق فى كل منهما والمراد زايد فهو من مجاز الحذف ويدا من الاسما التى حذفت اعجازها كرم وحكمها مشهور مسطور تربت اى افتقرت وكانه ماخوذ من التراب واما اترب بالهمزة فمعناه كثر ماله حتى صار كالتراب والجملة صفة يدا وعدم فوتها الغنى لعمومه منه لجمع الايدى المفتقرة ومنه يد الناظم فيدخل فى عموم كلامه ثم اتى بجملة موكدة كالدليل لمدعاه وان كان كالشمس وضوءها فقال ان الحيا بالقصر اى المطر ينبت الازهار فى الاكم جمع اكمه الربوة المرتفعة ويجمع على اكام كجبل وجبال ويجمع اكام على اكم ككتاب وكتب ويجمع اكم على اكام كعنق واعناق حاله فى الصحاح والانبات فى الاكم لعموم الحيا لها مع انها لعلوها مظنة عدم الانبات لعدم ثبات الماء عليها فكما لم يفتها مع ذلك النبات لم يفت الغنى من النبى صلى الله عليه وسلم يدا لايظن غناها لانه صلى الله عليه وسلم يفوق على الغيث كرما وعلى الجود جودا وجوده عليه السلام وانه اجود الناس امر ظاهر لا يحتاج الى دليل وقد قدمنا شيا من ذلك وفى البيت الطباق بين الغنا وتربت والجناس ومراعاة النظير والتذييل فان المصراع الثانى ذيل ودليل للاول

ولم ارد زهرة الدنيا التى اقتطفت ... يدا زهير بما اثنى على هرم

لم ارد لم اطلب والبيت كالاحتراس عما يفهم من البيت الاول وزهرة الدنيا بسكون
الها وقد تفتح زينتها ومستلذاتها من حال وغيره مفعول ارد التى اقتطفت فى محل
نصب صفة زهرة وفى نسخة قطفت وهما لغتان يقال قطفت الزهر واقتطفته جنيته
ويروى البيت بهما ويدا بالتثنية فاعل واختيارها على الافراد للاشعار بكثرة الاقتطاف
لكثرة العطا وزهير هو زهير بن ابى سلمى بضم السين قال التبريزى وليس فى العرب سلمى
بضم السين غيره شاعر جاهلى وابنه كعب الذى له القصيدة المشهورة بانت سعاد التى
امتدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولزهير ولد اسمه بجير وكعب وبجير صحابيان
ومات زهير قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم بسنة واخته خنسا شاعرة مشهورة و
هو احد الثلاثة المقدمين على ساير الشعرا امرئ القيس وزهير والنابغة واختلف
فى تقديم احدهم على الاخرين وله من العمر ماه وعشرون سنة ذكر صاحب الاغانى ان
النبى صلى الله عليه وسلم نظر اليه وله ماة سنة فقال اللهم اعذنى من شيطانه فما لاك
بعدها بيتا حتى مات والبا فى بما للسببية وما مصدرية او موصولة اى باثنايه او
بالذى اثنى به على هرم بكسر الرا هو هرم بن سنان احد اجواد العرب وكان قد وصله
بصلات خارجة عن العادات وكان خلق انه كلما مدحه اعطاه غرة عبدا وامة او فيعتها
ولا يسلم عليه الا اعطاه كذلك فاستحى زهير منه والعرب تهجر للافراط فى الحصر فكان
اذا راه فى قوم قال انعموا صباحا غير هرم يروى عن عمر بن الخطاب انه قال لكعب بن
زهير ما فعلت تلك الحلل التى كساها هرم اباك قال ابلاها الدهر قال لكن الحلل التى
كساها ابوك هرما لم يبلها الدهر ويروى عن عايشة انها قالته لبعض بناته وانما اختار
زهيرا هنا دون غيره لان ولده كعبا مدح النبى صلى الله عليه وسلم بالقصيدة المشهورة
بانت سعاد واعطاه صلى الله عليه وسلم بردته ويعجبنى هنا قول بعضهم

لقد قال كعب فى النبى قصيدة • وقلنا عسى فى مدحه نتشارك •
فان شملتنا بالجوايز منحة • كمنحة كعب فهو كعب مبارك •

ومراد الناظم باحتراس بيته اننى ما مدحته الا ليقبلنى وافوز بالغنا منه فى الآخرة وهو
الشفاعة فى المذنبين وانا منهم لا للعطاء الدنيوى وفى البيت جناس الاشتقاق
بين زهر وزهير ومراعاة النظير بين زهره واقتطفت

يا اكرم الرسل ما لى من الوذ به • سواك عند حلول الحادث العمم

يا اكرم الرسل عطاء وطبعا وفى نسخة يا اكرم الخلق بمعنى المخلوق ولا شك انه اكرم
خصوصا وعموما عند الله وعند الناس ما نافية بمعنى ليس لى خبرها اسمها من الوذ به
اى الجا اليه من لاذ يلوذ لواذا ولياذا سواك يا اكرم الرسل عند حلول الحادث العم

بالعين

بالعين المهملة وكسر الميم الاولى اى الشامل للخلق وهو هول يوم القيامة حين يفر المرء من اخيه
وامه وابيه وصاحبته وبنيه وفصيلته التى تؤويه ومن فى الارض جميعا يوم يقول كل امرئ
نفسى نفسى وتقول انت يا اكرم الخلق انا لها انا لها امتى امتى فالوذ بك وحاشاك ان
يضيع من يلوذ بك وفى الالتفات من الغيبة الى الخطاب من المبالغة ما لا يخفى من وجوه
ولذلك اتى باسم التفضيل كما فى قوله يا اكرم الرسل عند النداء لان من قصد الكريم لا يضام
ونفى وجود سواه يلوذ به • ما لى سوى فقرى لبابك حيلة • فلئن رددت فاى باب اقصد •

ولن يضيق رسول الله جاهك بى • اذ الكريم تحلى باسم منتقم

الضيق ضد السعة رسول الله منادى بحذف حرف الندا جاهك فاعل يضيق والجاه المنزلة
والرتبة ماخوذ من الوجاهة بى متعلق بيضيق اذ الكريم وفى نسخة اذا الكريم فاعل بفعل
محذوف دل عليه المذكور والمراد بالكريم هنا هو الله تعالى واختيار الكريم هنا على غيره لتلقين
الحجة كما فى قوله يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم تحلى بالحاء المهملة اى اتصف وفى نسخة
تجلى بالجيم اى ظهر فى صفات الجلال وهى العز والقهر وهو مقام التجلى بصفات الانتقام
وفى الصحيح فى حديث الشفاعة ان ربك غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن
يغضب بعده مثله فلذلك قال باسم منتقم اى بالفعل من المذنب ونعوذ بالله من غضب
الحليم فاذا لم يضق جاهك بى فى ذلك المقام ووسع جميع الانام فكيف بغيره من المقامات
فجد على بالشفاعة فانت لها

فان من جودك الدنيا وضرتها • ومن علومك علم اللوح والقلم

البيت تعليل وتاكيد لما قبله والجود افادة ما ينبغى لمن ينبغى لا لعوض ولا لغرض والدنيا
اما من الدنو او من الادنى وضرتها هى الآخرة مشتقة من الضر كانها تضر بالاخرى فان
كلا من الضرتين تضر بالاخرى كلما ارضيت احداهما اسخطت الاخرى قال عليه الصلاة
والسلام من طلب الاخرة اضر بدنياه ومن طلب دنياه اضر باخرته فيعسر الجمع بينهما
الا نادرا ما احسن الدين والدنيا اذا اجتمعا وللصوفية هنا كلام لطيف ومعنى كونهما
من جوده انه صلى الله عليه وسلم واسطة فى فيضان الوجود على الماهيات والكمال على الموجودات
وقد ورد اول ما خلق نور نبيك ثم خلق منه الحديث ولانهما خلقتا بسببه ولانه جاد بالدنيا
بعد ان عرضت نفسها عليه وقد قدمنا طرفا من جوده واما الاخرة فقد علمت ان له اللواء
المحمود والحوض المورود والشفاعة العظمى والمقام الاسمى وقد قدمنا شيئا من ذلك
ومن علومك علم اللوح والقلم من للتبعيض فى كل منهما اما فى الاول فظاهر واما كون علم اللوح
والقلم من بعض علومه فلان الله سبحانه وتعالى اطلعه ليلة الاسرا على جميع ما فى اللوح المحفوظ
مما كان ومما هو كاين ومما سيكون الى يوم القيامه وزاده بان اطلعه على علوم اخر عن تلك العلوم

التي في اللوح منها علوم الاولين والآخرين وهما المعارف الالهية المتعلقة بالذات
والصفات فهي لا تتناهي والمراد من اللوح هو اللوح المحفوظ وهو ام الكتاب والقلم هو
الذي خط اللوح فخط فيه مقادير الاشيا كما روى ابو داود عن عبادة بن الصامت قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول ما خلق الله القلم وقال له اكتب قال
ماذا اكتب قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة واختلفوا في الاضافة هنا هل
هي من اضافة للمصدر الى فاعله فيلزم عليها الشعود او الى مفعوله فيلزم الاحاطه
بمعرفة ما فيها والظاهر ان المراد بعلمها ما اثبت فيهما والاضافة يكتفي فيها بادنى ملابسه

يا نفس لا تقنطي من زلة عظمت … ان الكبائر في الغفران كاللمم

يا نفس منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة للعلم بها من المقام وفي المنادى المضاف
الى ياء المتكلم لغات افصحها الكسر لدلالتها على الياء المحذوفة والاتيان بها للاشارة الى قوله
تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطي من قنط بفتح العين يقنط بالكسر والضم
وبكسرها في الماضي وفتحها في المضارع قال ابن الاثير في النهاية القنوط اشد اليأس من الشيء
وذكر صاحب الكشاف ان القنوط ظهور اثر اليأس من التضاءل والانكسار من زلة من
تعليلية اي من العفو عن زلة بفتح الزاي واصلها الصغيرة من الذنوب لانها ماخوذة
من الزلل قيل المراد بها هنا مطلق الذنب فبينها بقوله عظمت اي كبرت صفة زلة والاولى
هنا ان نحملها على الاصرار عليها فان الصغيرة تنقلب كبيرة بالاصرار عليها فالكبيرة مطلقا
في حكمها وقد قال ابن عباس هي سبع وهي الى السبعماة اقرب الا انه لا صغيرة مع الاصرار ولا
كبيرة مع الاستغفار ان الكبائر جمع كبيرة وقد اختلفوا في تعريفها على اقوال عديدة بعد اختلافهم
في تقسيمها الى كبائر وصغائر قال امام الحرمين الكبيرة كل جريمة تؤذن بقلة اكتراث مرتكبها بالدين
ورقة الديانة وقيل كل ما توعد عليه بخصوصه وقد ذكرنا تعاريفها وما يتعلق بها حدًّا وعدًّا
مستوفاة بادلتها في شرحنا على الكبائر والصغائر فليراجع واللام في الكبائر للجنس والمراد
بها هنا ما عدا الشرك الذي هو اكبر الكبائر لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء فلذلك قال في الغفران كاللمم وهو صغار الذنوب فهي بالنسبة
الى رحمة الله تعالى التي وسعت كل شيء ومغفرته سواء في المغفرة فيجوز العفو عنهما بتوبة وبدونها
ويجوز ان يعاقب على الصغائر ويعفو عن الكبائر اذا لم يكن عن استحلال وفيه الرد على
المعتزلة وقال تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر
الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وفي البيت مراعاة النظير والمقابلة بين القنوط
والغفران وبين الكبائر واللمم وبينهما وبين زلة

لعل رحمة ربي حين يقسمها … تأتي على حسب العصيان في القسم

لعل

لعل ترج في المحبوب كما هنا واشفاق في المكروه والرحمة ان فسرناها بارادة الخير يكون من
صفات الذات او بالانعام على العباد فمن صفات الافعال وفي ذكرها بعد حرف الترجي ما لا يخفى
من قوة تحقق الرجا لا سيما واضافتها الى الرب دون بقية الاسماء لان الذي يربي عبده من
اول امره الى اخره هو ارحم به مع سعة رحمته تعالى واضافة الرب الى ضمير المتكلم زيادة على المقصود
بالمقام وقد ورد ان لله تعالى ماة رحمة جعل منها في الدنيا واحدة فبها يتراحم الخلق وبها تعطف
الام على ولدها وادخر تسعة وتسعين رحمة عنده يوم القيامة فاذا كان يوم القيامة ضم الرحمة
الى ما عنده فما ظنك بهذه الرحمة المنتسبة الى ماة رحمة الموجود منها جزء في الدنيا مع قوة الرجا
من طالبها حيث قال لعل رحمة ربي حين يقسمها على الخلائق تأتي على حسب بفتح السين
واسكانها لغة او ضرورة العصيان كبيرا كان او صغيرا في القسم جمع قسمة بمعنى قسم و
هذا البيت بناه على الرجا وقد ورد في حديث الصحيحين انا عند ظن عبدي بي والرجا
والخوف يعتبر كل منهما في محل بحسبه ومذهبي ان الرجا اولى ترغيبا في رحمة الله

يا رب واجعل رجائي غير منعكس … لديك واجعل حسابي غير منخرم

يا رب منادى مضاف الى ياء المتكلم واجعل معطوف على فعل يستفاد من لعل رحمة ربي اي
يا رب ارحمني واجعل رجاي مفعول اول لاجعل اي رجاي الرحمة غير منعكس الثاني والرجا
بالمد الامل القريب الحصول المطموع فيه ويلزمه الخوف لديك بمعنى عندك ظرف لغير منعكس
واجعل حسابي اي ما حسبته من العفو وقدرته من الرجا غير منخرم عندك بان يحصل الوجو
والمحبوب من عفوك عن ذنوبي كبيرها وصغيرها واصل الخرم الانقطاع

والطف بعبدك في الدارين ان له … صبرا متى تدعه الاهوال ينهزم

والطف معطوف على ما قبله في البيت السابق واللطف الرفق كما في سبحة الله لطيف
بعباده والعدول عن بي والاتيان بالظاهر في بعبدك للاشعار بالغلبة والاستعطاف
اي ليس لي ما اتوسل به في حصول اللطف الا العبودية في الدارين الدنيا والآخرة فيما قدر
عليه فيهما من المؤلمات ليخففها عنه ان تعليل لالطف له خبرها صبرا اسمها اي على ما يصيبه
فيهما من المؤلمات لكن متى تدعه اي تطلبه الاهوال جمع هول وهي المخاوف من هاله يهوله
ينهزم صبره من الانهزام ولا يثبت خوفا من الهلاك لعدم قدرته على ذلك وباللطف يندفع
الهلاك وينهزم مجزوم في جواب الشرط وكسر ميمه للروي

وائذن لسحب صلاة منك دائمة … على النبي بمنهل ومنسجم

وائذن من الاذن في الشيء بمعنى اباحة فعله واختياره على غيره للاشعار بان السحب متهيئة
لهاليه الانهلال موقوفة على الاذن لسحب متعلقة باذن بسكون الحاء مخفف سحب بضمها جمع
سحاب سمي به لانسحابه في الجو واضافه الى صلاة على الاستعارة والصلاة من الله الرحمة منك صفة

صلاة دايمة بالجر صفة صلاة وبالنصب حال منها على النبي متعلق بدايمة لا بصلاة لان المصدر
المنعوت قبل العمل لا يعمل وانما علقها الزركشي بالصلاة حيث قال وعداها بعلى لتضمنها
معنى التعطف لانه جعل منك متعلقا بناشية مقدرة بمنهل البا للمصاحبة ومنهل صفة
لمزن محذوف اى السحاب منهل اى سايل سيلانا شديدا ومنسجم من الانسجام وهو السيلان
مطلقا وهما متعلقان بايدن وقيل متعلقان بدايمة وفي بعض النسخ

وَآلِهِ الغُرِّ وَالصَّحْبِ الَّذِينَ عَلَوا ... أَهْلَ الصَّفَا وَالوَفَا وَالعَقْلِ وَالكَرَمِ

اله هم مؤمنوا بني هاشم وبني عبد المطلب ابني عبد مناف قاله الشافعي وروى عن ابي حنيفة
ومالك انهم بنو هاشم خاصة وقيل بني قصي وقيل اقاربه من قريش وقالت الرافضة
فاطمة والحسنان فقط وذهب النووي وعزاه الى المحققين ان اله امته وهو قول جابر
ابن عبد الله وبه قال سفيان الثوري قال الازهري وهو اقربها للصواب الغر جمع اغر
وهو الشريف نعت للآل واصل الغرة بياض في جبهة الفرس ثم استعير لكل واضح معروف
وغرة القوم سيدهم وغرة كل شيء اوله والصحب اسم جمع لصاحب كركب وراكب وهو كل
من اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا ومات على الاسلام الذين علوا اى لصحبته على
من سواهم فوالذي نفسي بيده لو انفقت احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وفي
قوله علوا اشارة الى قوله عليه السلام اصحابي كالنجوم اهل الصفا اذ لا غش عندهم ولا كدر
والوفا حيث لا غدر عندهم والعقل اذهم اعقل الناس حلما ورايا والكرم لانهم بذلوا انفسهم
واموالهم في رضا الله ورسوله وجاهدوا في الله حق جهاده ولا اكرم ممن بذل نفسه وماله
في طاعة الله ورسوله

مَا رَنَّحَتْ عَذَبَاتِ البَانِ رِيحُ صَبَا ... وَأَطْرَبَ العِيسَ حَادِي العِيسِ بِالنَّغَمِ

ما مصدرية ظرفية رنحت بالنون والحاء المهملة اى ميلت عذبات البان اى اغصانه
المتوخية جمع عذبة بالذال المعجمة يقال عذبة اللسان طرفه وعذبة السوط طرفه وتجمع على
عذب ايضا وهو هنا على الاستعارة في الترشيح لانه يكون من سكر او طرب والمراد اغصان
البان وخصه بالذكر على عادة الشعرا في تولعهم به وتشبيههم اغصانه بالقدود التي يميلها نسيم
الغرام وصبا الصبا ريح صبا فاعل رنحت وهي التي تاتي من الشرق وقت الصبح عند السحر
صوب باب الكعبة فكان العذبات تصبو لها اى تميل وخصها بالذكر لوجوه منها انه
صلى الله عليه وسلم نصر بها وكان يحبها فتشرفت ذكر ومنها ان العشاق ابدا يستروحون
اليها لانها تاتي باخبار الاحباب واضافها كما في شجر الاراك واطرب العيس عطف على ما
رنحت عذبات والطرب خفة تعتري الانسان من حزن او سرور والمراد هنا حركة السرور
والعيس كرام الابل بيض يخالطها شعرة اى حمرة شديدة جمع اعيس وعيسا واصل عينه

الضم

الضم لكن كسرت مناسبة لسكون اليا بعدها وهو مفعول مقدم فاعله حادي العيس
اى السابق للابل المغني لها بحسن صوته فانه يهيجها على سرعة المشي بالنغم اى بالصوت الحسن
متعلق باطرب والبا للاستعانة ولهم في تهييج العيس بالنغم ازجال مطربة وحكايات حسنة
بحيث انها تقطع المراحل البعيدة في مرحلة كما حكاه الغزالي في الاحيا وغيره والناظم رحمه الله
لما جعل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم مدة ترنيح البان واطراب العيس وهما لم يزالا
كذلك فعلا وقوة فالصلاة عليه دايمة بدوامها وخص البان لانه المحرك بترنحه الاشواق
للهيج بتنسم ريحه قلوب العشاق والعيس لانها الحاملة الى ديار الحبايب الموصلة لهم بقطعها
الرمال والسباسب فانظر يا اخا الوجد والهيام والشوق الزايد والغرام الى زيارة
المصطفى عليه السلام والاقتدا باخلاقه العظام اذا ترنحت الاشجار من صبا الاسحار
وطربت الانعام بطيب الانغام فكيف بك وانت المخصوص بالعقل الوافر والفكر الصحيح
الظاهر وفضلت على ساير الاجناس من الحيوانات وعلوت ايها الانسان بهذا النبي
الرفيع الشان اما يحدوك الى مقامه العظيم ويسوقك ما يشوقك الى هديه القويم
وصراطه المستقيم حادي الهداية والرشاد في منهج الديانة والسداد فتتبع شريعته
وتقتفي سنته وتشكر بالصلاة والسلام عليه منته اللهم انا نسالك ونتوسل اليك
به صلى الله عليه وسلم ان تديم صلواتك عليه ابد الاباد صلاة ترضيك وترضيه بها
وترضى بها عنا وان تجزيه عنا افضل ما جزى نبيا عن امته وان تشفعه فينا شفاعة
سابقة على العذاب منجية لنا يوم البعث والحساب ونشهدك اللهم انه نبيك ورسولك
النبي الكريم الذي بلغ الرسالة وادى الامانة ونصح الامة وكشف الغمة وازال الشبهة
فصل يارب عليه وسلم وزده شرفا وتعظيما عليه وعلى اله واصحابه واتباعه الى يوم الدين
برحمتك يا ارحم الراحمين واغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين وصلى على جميع الانبياء و
المرسلين والحمد لله رب العالمين قال المؤلف رحمه الله تعالى ما صورته نجز تعليقه
وتاليفه ولله الحمد على يد مؤلفه افقر عباد الله تعالى محمد رضي الدين بن يوسف بن ابي
اللطف المقدسي لطف الله به وقت اذان الظهر يوم السبت ثالث ربيع الثاني من
شهور سنة ست عشر بعد الالف احسن الله ختامها

قد وقع الفراغ من كتابة هذه النسخة على يد العبد الفقير اليه تعالى الراجي عفو ذنبه احمد بن محمد بن
محمود الكوينكي ساكن في بلدة قسطنطينية وذلك في ليلة يوم الثلثا بين المغرب والعشا
في رجب المرجب سنة اثني وثلثين وماية والف
٢٠
قلت رحم الله من نظر بعين الستر الى الخلل ولم ينتقد المعايب والزلل وان تجد عيبا
فسد الخلل جل من لا فيه عيب وعلا
١١٣٢

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور بابن عنب
عفي عنه